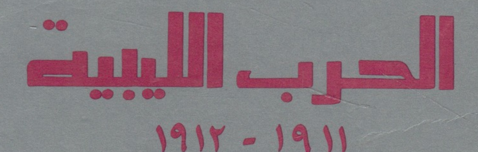
فرانشسكو مالجيري



١٩١١ - ١٩١٢

ترجمة

د. وهبي البوري



الدار العربية للكتاب

صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك





صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



فرانشسكو مالجيري

الحرب الليبية

١٩١١ - ١٩١٢

ترجمة

د. وهبي البوري

الدار العربية للكتاب

ليبيا - تونس

مقدمة المترجم

ان الباحث في تاريخ ليبيا وقت الغزو الايطالي وطيلة سنوات المقاومة الوطنية لا يجد بدا من اللجوء الى المصادر الايطالية اذ لا يجد خلافها سوى القليل من المراجع الاجنبية وبعض المؤلفات العربية . والمكتبة الايطاليــة تستاثر بنصيب الاسد في كل ما كتب عن ليبيا . وتعد بالمئات الكتب والابحاث والدراسات التي صدرت باللغة الايطالية عن ليبيا في جميع الميادين . واذا ما تركنا جانبا الابحاث والدراسات وحصرنا الجهد فيما نشــر من كتب سياسية وعسكرية وتاريخية تتعلق بفترة الغزو الاولى وبسنوات المقاومة الطويلة ، فانه من العسير العثور على كتاب واحد له وزنه نراه قد سلك الموضوعية وابتعد عن روح التحيز والتعصب وتجاهل الشعب وقدراته وهي الروح التي اصطبغت بها أغلبية الكتب التي وضعها كتاب ايطاليون عن ليبيا . اما الكتب التي صدرت بصورة خاصة في العهد الفاشستي ، فجميعها — باستثناء الابحاث العلمية — قد تميزت بنعرة الغرور الفاشستية وبتجاهل العنصر العربي وبتكييف المعارك الحربية والوقائع والاحــداث بما يتفق وسياسة واغراض النظام الفاشستي المتغطرس .

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية تشكلت بوزارة الخارجية الايطالية لجنة من كبار المختصين لتقييم العمل الايطالي في افريقيا اي لاعادة كتابة

تاريخ المستعمرات الايطالية منذ الاستيلاء عليها حتى وقت التخلي عنها . وقد أصدرت اللجنة سلسلة من الكتب تشمل الكثير من الدراسات والابحاث والمعلومات في جميع ميادين العمل الايطالي في افريقيا .

وكنا نتوقع بعد انسحاب ايطاليا من ليبيا وتنازلها عن جميع مستعمراتها السابقة ان يظهر الى الضوء اي بحث موضوعي يعكس بصدق الاحداث التي دارت فوق أراضي ليبيا دون تاثر بالروح الاستعمارية البغيضة المتعصبة ، واعتقدنا أن سلسلة الكتب هذه التي صدرت تحت اسم « ايطاليا في افريقيا » قد تفي بالغرض الذي ننشده وترفع الستار عن الكثير من الاسرار والغموض الذي احاط بسياسة ايطاليا وبعملياتها الحربية وبعلاقاتها بعرب ليبيا خلال فترة الاستعمار الايطالي . ولكننا باطلاعنا على القسم الخاص بالصراع المسلح الذي دام أكثر من عشرين سنة ما بين المقاومة العربية الليبية وايطاليا وكذلك الاحداث السياسية التي صاحبت او تخللت هذا الصراع ، لم نعثر على اي تقييم موضوعي لهذه الوقائع بل وجدنا تكرارا لما كان ينشر ويذاع ويقال خلال فترة الاحتلال .

والكتاب الذي نقدمه للقراء من تاليف الاستاذ فرنشسكو مالجيري استاذ التاريخ بجامعة سالرنو ، وهو مؤلف معروف ومحقق دقيق ، بذل جهدا طيبا في اظهار حقائق وخفايا الاعداد الديبلوماسي والحربي للغزو وسير العمليات العسكرية وما صاحبها من تطورات سياسية ودولية من وقت الغزو حتى التوقيع على معاهدة أوشي . وهو كتاب موضوعي — لعله الاول من نوعه من بين المؤلفات الايطالية — بقدر ما سمحت الامكانيات لمؤلفه في التحري والتحقيق ، بعيد عن التعصب اعتمد الكاتب فيه على ما حوته في هذا الصدد المحفوظات السرية الايطالية والوثائق السرية النمساوية والبريطانية والالمانية واستند كذلك على الصحافة وعلى الاحداث والمظاهرات والاحتجاجات التي كانت تعبر عن الحالة النفسية للشعب الايطالي والمجندين قبيل الغزو وبعده . وقد كرس المؤلف قسما كبيرا من الكتاب لدراسة الاوضاع الداخلية في ايطاليا والاوضاع الدولية في فترة الغزو

والمعارضة التي قامت في وجه الحملة الليبية والمؤثرات التي جرت الحكومة الايطالية الى اعلان الحرب على تركيا دون استعداد وبطريقة مرتجلة طائشة . وابرز المؤلف دور الصحافة ورجال القلم والشعراء ورجال الدين الذين انجروا جميعهم وراء حملة القوميين المتشنجة ومن يدور في فلكهم وعاشوا في أوهام عظمة روما القديمة وتجدد الحروب الصليبية والتوسع الاستعماري الذي كانوا يظنون انه سيخلص الجنوب الايطالي من مآسيه ويصل بايطاليا الى صف الدول العظمى . وقدم المؤلف في هذا الكتاب حقائق تستند على الوثائق الرسمية عن حالة العجز والخوف والذعر التي كان يعيشها الجيش الايطالي الغازي على شواطىء ليبيا وعن خيبة الامل التي اصابت الحكومة والشعب الايطالي بعد أن تحولت « النزهة العسكرية » الى حرب طاحنة فرض فيها المناضلون العرب على ما يقارب المائة الف جندي ابطال القبوع في الخنادق تحت حماية مدافع الاسطول .

ويستنتج المؤلف من ابحاثه ان الحرب الليبية الايطالية كانت سببا في الاطاحة بنظام جوليتي ، وفي احداث تغيير شامل في السياسة والحياة الايطالية وفي وضع مقدرة الجندي الايطالي في حجمها الطبيعي الامر الذي جعل جوليتي وقت اندلاع الحرب العالمية الاولى يصر على عدم دخول ايطاليا الحرب وأن يبقيها قرابة العام بعيدة عن الصراع . وفي حديث له مع سالاندرا رئيس الوزراء الذي خلفه قال : « لقد كنت ازور البلاغات حول القتال في ليبيا كي لا أبين باننا لا نستطيع ان نربح الا اذا كان عددنا عشرة مقابل واحد » (١)

أما بالنسبة لحرب ليبيا فان الغزو الايطالي والاعداد له قد خلق وعيا قويا في الشعب الليبي وأخرجه الى ساحة الاحداث الدولية كالطرف الرئيسي في الصراع الايطالي — التركي . فايطاليا عندما اقدمت على مغامرتها كانت على ادراك تام بضعف الحامية التركية بليبيا وبتفكك أوصال الامبراطورية التركية وتخاذل رجالها ، وكانت تعتقد ان الحامية التركية لا تستطيع الوقوف في وجه الحملة الايطالية الكبيرة وأن الصراع اذا كان هناك صراع

---

١ — اندرو مونتانيللي Indro Montanelli ايطاليا في عهد جوليتي — الناشر ريتسولي ميلانو ١٩٧٤ .

سيكون قصيرا جدا . وقد ذهب جوليتي الى ابعد من ذلك عندما اعلم الملك أن تركيا ربما تستلم وتحتل ليبيا بدون حرب . وعندما لفت نظـر دي سان جوليانو وزير الخارجية الى احتمال قيام مقاومة عربية أجاب بكل ثقة بـان العرب سيقفون الى جانب القوي . ولكن معركـة الشاطيء قلبت جميـع مخططات ايطاليا رأسا على عقب وفاجاءت الحكومة والشعب الايطالي بما لم يكن يتوقعه أبدا . فلم تجد ايطاليا في مواجهتها الحامية التركية الضعيفة الضئيلة وانما وجدت شعبا محاربا مصمما على الذود عن أرضه وطـرد الغزاة من وطنه . وادركت ايطاليا اذ ذاك فقط أن مغامرتها ستكلفها جهودا كبيرة وتضحيات باهظة وخوض حرب لا يعرف مداها ولا حدودها . وقـد أثارت المقاومة العربية الليبية حماس واعجاب الشعوب الاسلامية والعربية وبعثت فيها روح الامل والثقة .

وتحدث العالم وصحافته بدهشة واعجاب عن بطولة الشعب العربي الليبي واعترف العدو قبل الصديق بذلك . فعبر جوليتي عن استيائه الى وزيـر حربيته مستغربا كيف أن خمسة أو ستة الاف من العرب يهزمون اربعين الف جندي ايطالي . وكتب الجنرال كابيللو احد القادة الايطاليين بالجبهة الليبية فقال : ((انه أمر لا يصدق ويثير الاعجاب في نفس الوقت للشجاعة التي يبديها عشرون أو ثلاثون عربيا عندما يهجمون على الخنادق ويموتون وكثيرا ما يتركون أحدهم بين الاسلاك الشائكة ومقصه بيـده)) . وقـال الفيلد مرشال فون در قولتز المشرف على تدريب الجيش التركـي : ((ان الضمير العربي قد اكتسب سموا بمقاومته)) ويقول مؤلف الكتاب الذي اورد الفقرات المذكورة التي استشهدت بها : ((ان مقاومة عرب ليبيا كانت سببا رئيسيا في انتهاج الجنرال كانيفا للطريقة (تاكتيك) الانتظارية وعجزه عن حل الحرب الليبية بالقوة . أن هذه المقاومة هي العمل الجديد المربك الذي فاجأ الرأي العام الايطالي والحكومة والعسكريين ، وكيف كل عملية الغزو الليبية . ويمكن القول بان المشاكل المتعلقة بسير الحرب والصعوبات التي وجدتها ايطاليا في الميدان الديبلوماسي ، والحملة العنيفة التي قامت بهـا

الصحافة الاجنبية ضد ايطاليا تعود في الجـزء الاكبر منهـا الى الموقف المعادي الذي اتخذه العرب ضد الجيش الايطالـي » .

وبعد أن اقتنعت أوروبا بعجز ايطاليا وبهزيمتها تجاه مقاومـة الشعب العربي الليبي الاسطورية استعانت ايطاليا بالدول الاوروبية للضغط علـى تركيا خارج ليبيا لانهاء الحرب معها . واضطرت تركيا تحت ضغط الحرب البلقانية وأوضاعها المتردية أن ترضخ وتوقع على معاهدة صلح أوشي التي تخلت بموجبها عن ليبيا وعرب ليبيا . وظنت ايطاليا انه باستسلام تركيـا وانسحاب بقية قواتها سوف تنتهي الحرب ويستتب لها الامر في ليبيا ولكنها لم تتخيل أبدا ان انسحاب الاتراك سوف يزيد من اصرار الشعب العربي الليبي ومن مقاومته وانه حتى بعد أن سدت في وجهه جميع سبل المساعدة الخارجية سيستمر في مقاومة ايطاليا بكل جبروتها وغرورهـا وجنودهـا المرتزقة من شرق افريقيا ما يزيد على العشرين عامـا .

ومن البديهي أن المؤلف قد استعان أساسا بالمصادر الايطالية وبالرغم من جهوده في ابراز الحقائق ومختلف التناقضات ووجهات النظر ، فانه يضطر أحيانا الى الاكتفاء بوجهة النظر الايطالية الرسمية التي ثبت أنها كانت تخفي الحقائق ولا تظهر الا ما كان في صالحها وخاصة فيما يتعلق بسيـر العمليات الحربية ، حيث كانت تهول في عدد خسائـر العرب وتقلل مـن خسائرها . وقد ذكرت المصادر الايطالية الرسمية ـ على سبيل المثال ـ ان خسائر ايطاليا في العام الاول من الحرب قد بلغت ٧٦٥١ جنديا وضابطا ما بين جريح وقتيل وموتى بسبب المرض ، هذا في حين أن الكاتبـة الروسيـة ياخيموفتش قد ذكرت ــ استنادا على المصادر الروسية في ذلك الوقت ــ أن خسائر ايطاليا في العام الاول من الحرب لا تقل عن سبعين ألف رجل ما بين قتيل وجريح وموتى في المستشفيـات . (٢)

وقد التزمت قدر جهدي أن تكون الترجمة العربية مطابقة للنص الايطالي دون أن ابتعد عنه باي شكل من الاشكال . وقد كتبت بالاحرف اللاتينية أرقام

ـ ٢ ـ ز.ب. ياخيموفيتش « الحرب التركية ــ الايطالية » الترجمة العربية ــ منشورات الجامعة الليبية بيـروت ١٩٧٠ .

ورموز الملفات الموجودة في المحفوظات السرية الايطاليـــة وغيرهـــا من محفوظات الدول الاخرى التي أوردها المؤلف لكي يسهل على الباحث العثور على المصدر الذي يريد الرجوع اليه . وبالنظر الى أن المؤلف لم يجمع المصادر التي استعان بها في جدول واحد فقد ارتأيت تسهيلا على القارىء جمع هذه المصادر في جدول بآخر الكتـــاب .

وأخيرا أرجو أن أكون قد أسهمت بهذا الجهد المتواضع في اضافة كتاب جديد الى المكتبة العربية عن تاريخنا المجيد وصراع الشعب العربي الليبي العظيـــم .

وهـــبي احمـــد البـــوري

مقدمة المؤلف

ان فن كتابة التاريخ الايطالي فيما بعد الحرب العالمية الثانية الذي ساهم مساهمة فعالة في اعادة بناء الكثير من المظاهر الاساسية لحياة شعبنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية من وقت الوحدة الى الحرب العالمية الثانية يبدو انه اهمل حتى الان فترة من أهم فترات التاريخ الايطالية في اوائل التسعمائة اي فترة الحرب الايطالية التركية . ان عامي ١٩١٢ - ١٩١١ يكونان فترة تستطيع ان تبوح باشياء كثيرة لمن يعرف كيف ان ينظر فيما وراء حدث الغزو الليبي في حد ذاته ويحاول ان يحلل الاحداث والوقائع والحالات النفسية للنخبة وللجماهير ، ولمن تتجه انظاره الى الفترة اللاحقة للغزوة الليبية والى السنوات الاولى من الحرب العالمية والسنوات التي تلت الحرب مباشرة . وقد لاحظ برونيللو فيجينتسي على سبيل المثال ان مؤرخي الحياد والتدخل (بالنسبة للحرب العالمية الاولى) كانوا ميالين الى الاخذ بحركات عام ١٩١٤ كما لو كان هناك فراغ بالنسبة للفترة السابقة . هذا في حين يجب العودة الى سنوات ١٩١٤ - ١٩١١ التي « ما بين حق الانتخابات العام واحتكار

التامينات وحرب ليبيا » رات « النظام الجوليتي يدخل في ازمته » (١) انها السنوات التي تبدأ فيها ـ في مظاهره الواضحة ـ غروب « ايطاليا جوليتي وتوراتي » كما كانوا يسمونها القوميون الايطاليون . فالحرب الايطالية التركية ـ مع ما احدثته في الميدان السياسي والعسكري والديبلوماسي والاقتصادي والاجتماعي ـ تمثل عقدة وفترة لا يستهان بها لا عند تقييم النظام الجوليتي فحسب بل وعند تقييم الاشتراك الايطالي في الحرب العالمية الاولى بكل نتائجه .

فالجيش والاطارات العسكرية التي اضطرت عام ١٩١٥ الى مواجهة مجهود الصراع العالمي لم يكن هم نفس الرجال الذين استنزفتهم حرب العصابات المضنية والتي لا نهاية لها ما بين كثبان رمال طرابلس وبنغازي ودرنة (٢) وقد اظهر هؤلاء الرجال وخاصة كوادر الضباط ـ حدود احتمالهم وعملت الحرب الكبرى على فضح ذلك بصورة ماسوية ؟

---

(١) بروتيللو فيجيتسي B. Vigezzi « من جوليتي الى سالاندرا » فيرنسه ١٩٦٩ ص ٦٢ ــ ١٦ . « فبعد الحرب الاوروبية وبعد الفاشستية ــ كتب فيجيتسي ــ فان احداث ايطاليا وقت العشية » (عشية دخول الحرب العالمية الاولى) تبدو ضئيلة بالمقارنة . وهذا مفهوم . ومع هذا فالايطالي الذي عاش ما بين عام ١٩١١ و ١٩١٤ قد احس جيدا بان الارض تهرب من تحت اقدامه . انها الحرب . حرب ليبيا بعد زمن طويل من السلام بعد عهد جوليتي الذي عود البلاد على السلام (ص ٦٢) .

(٢) ان الحرب الليبية بالاضافة الى انها اربكت مشروع تجديد الجيش قد تسببت في « انخفاض قوته وتجهيزاته » (راجع جورجو روشات) « الجيش الايطالي في صيف ١٩١٤ » منشور في « نوفا ريفيستا ستوريكا » مايو ــ اغسطس ١٩٦١ ص ١٦ ــ ٣١٠) ولاحظ الجنرال بروزاتي ياور الملك الخاص اذ كتب في ذيل تقرير بعث به اليه وزير الحربية سبنقاردي يوم ٤ اكتوبر ١٩١٣ حول حالة الجيش لاحظ ما يلي : « ان حالة الجيش داخل الوطن كانت ولا تزال حقا تعسة لاسباب عدة لا تستطيع اية قوة انسانية ان تتغلب عليها . وان اطالة مدة الحرب بصورة خاصة تسببت في الضرر » . (A.C.S., A.B., x. 10, f. VI. 5. 37)

والطريقة التي اتبعها جوليتي في اعلان الحرب والبرلمان معطل افلم يتخذها سالاندرا مثلا وسابقة في مايو ١٩١٥ كي لا يعرض اعلان الحرب ضد النمسا ـ المجر على مجلس تطالب اغلبيته بالحياد ؟ (٤) وقرار التدخل نفسه الم يكن ثمرة اتفاق ضيق ما بين سالاندرا وسونينو على غرار ما حدث بالنسبة للحرب الليبية عند ما تم الاتفاق ما بين جوليتي ودي سان جوليانو مع ابعاد الوزراء الاخرين بما فيهم وزير الحربية ورئيس اركان حرب الجيش ؟

وفيما يتعلق بالاحزاب فاي الاثار احدثتها الحرب الليبية في القوتين اللتين كان عليهما احداث ثورة في الحياة السياسية والبرلمانية الايطالية فيما بعد الحرب الاولى وهما الاشتراكيون والكاثوليك ؟ فبالنسبة للاشتراكيين فقد تسببت الحرب الايطالية التركية في اول انقسام هام داخل الحزب وفتحت الباب لصعود موسوليني السياسي . اما بالنسبة للكاثوليك فكانت هذه المناسبة التي بدأت فيها الحركة التي وصفها دي روزا باسم « الهروب الى الامام » للكاثوليك العاملين من اجل ازالة (...) ماضي معارضتهم للدولة الليبرالية » (٥) التي تحققت بصورة ملموسة

---

(٣) كتب مونتيكوني ان التجربة الليبية وعلاقتها بالسلوك في الحرب الكبرى شديدة الصلة والوضوح لدرجة ان الاشادة والاتهامات التي وجهت الى قيادات اعوام ١٩١٨ ـ ١٩١٥ كانوا يعودون بها الى سلوك هذه القيادات في عامي ١٩١٢ ـ ١٩١١ (كابيلو على سبيل المثال) « البرتو مونتيكوني علم التاريخ العسكري الايطالي ومشاكله » تقرير مقدم الى المؤتمر الوطني للتاريخ العسكري . روما ١٩ ـ ١٧ مارس ١٩٦٩ وزارة الدفاع (روما ١٩٦٩) صورة ص ١٢) .

(٤) راجع حاشية رقم ١٤٨ ص ٢٦٠ .

وواضحة في اتفاق جنتيلوني عام ١٩١٣ .

والقومية الايطالية التي كان لها الكثير من الوزن في ١٩١٥ عند ما ارادت فرض ارادة رجل الشارع على البرلمان ودفعه الى الحرب ، فانها نفس القومية التي نمت ونضجت وادركت قدرتها على استقطاب جزء من الراي العام المفكر وذلك في صيف عام ١٩١١ . فقد قامت في ذلك الصيف بمؤازرة الصحف الاخبارية الكبيرة بإدارة حملة صحافية من اشد ما عرفه تاريخ ايطاليا الموحدة .

ولا نريد ان نتحدث عن تاثيرات الحرب الليبية على الحالة الاقتصادية وعلى التوازن الدولي وعلى الوضع القائم في البلقان الذي ظهر في عام ١٩١٤ على انه مستودع بارود اوروبا .

وقد حاولنا ان ناخذ في الحسبان مختلف مظاهر الحرب الايطالية ـ التركية من المظهر الديبلوماسي الى العسكري والاقتصادي مع الاشارة بصورة خاصة الى اتجاهات الراي العام ومختلف الطبقات الاجتماعية وبالطبع اتجاهات القوى السياسية والاقتصادية والثقافية في البلاد . واننا مقتنعون مثل شابود ان « الانغلاق داخل اماكن مجردة ومحكمة الاغلاق من الداخل ثم الزعم بجني مغزى وقيمة احداث ليست الا محاولة شبيهة بمن يريد ان يضيىء المدن الحديثة ببعض مصابيح غاز البترول » (٦) ان الحديث عن العملية الليبية لا يعني الاقتصار على الميدان الاقتصادي او العسكري وهما المظهران اللذان تراهما العين لاول وهلة بوضوح بل يعني ايضا قطف اللحظة التي اخذ فيها مجتمع

---

(٥) غابريلي دي روزا « الكاثوليكيون » منشور في AA. VV. (كتاب متنوعون) « « جروح التدخل » فيرنسه ١٩٦٨ ص ١٦٩ .

(٦) فدريكو شابود « تاريخ السياسة الخارجية الايطالية من عام ١٨٧٠ الى عام ١٨٩٦ . باري ١٩٦٥ مجلد ١ ص ١٠ .

سياسي ومدني مثل المجتمع الايطالي في العقد الاول من القرن اخذ يتحول ويغير اتجاهه تحت مؤثرات مستترة وغير ظاهرة للعين تقريبا ولكنها تجد الفرصة للظهور الى الضوء من اجل التاثير وفرض الاتجاهات والاختيارات . ان الحرب الليبية البسيطة في حد ذاتها التي كانت تبدو منذ عشرات السنين كامر منتهي طال الزمن ام قصر ، تركت اثارها العميقة على مختلف الميادين غير المتوقعة في الحياة الوطنية . لم تقتصر اثارها على السياسة والمالية والتجارة والجيش والعلاقات الديبلوماسية ، وانما اثرت ـ بصورة كبيرة أم صغيرة ـ في الادب نفسه وفي الفنون والمطبوعات واسلوب الاستماع والحكم على بعض الامور وبعض مشاكل البلاد . انها السنوات التي اخذت تنطوي فيها صفحة عصر من تاريخنا السياسي والمدني واخذت تفتح صفحة جديدة . انها السنوات التي شرع فيها مجتمع في ادارة ظهره لاسلوب حياة هادئة في جوهرها ونشطة حتى وان تخللتها ازمات وغليان لا مناص منه ، وقد اخذ هذا المجتمع يتجه نحو عهد تعس متشنج ومعذب تسببت الحرب الليبية ـ حسب نظرنا ـ في بوادره وفي مقدماته المنذرة لهذا المنعطف الحاسم لا في تاريخ بلادنا فحسب وانما في تاريخ اوروبا باكملها . ان الحرب الليبية ـ تحت مظاهر كثيرة ـ تمثل احد الاحداث التي تقرر التحول في الحياة السياسية والمدنية لشعب ما .

ووفقا لدرس لوسين فبفره ومارك بلوخ نعتقد انه توجد دوما في اعماق التاريخ « الحاجة في البحث وايجاد الرجل حيثما كان (او احيانا حيث يختفي) ، الرجل الحي ذو الاحساس ، الرجل المشحون بالعواطف والحماس والمزاج » (٧) ولهذا

---

(٧) لوسين فبفره ، لمحة عن حياة مارك بلوخ في « مارك بلوخ » محاسن التاريخ او فن المؤرخ ، تورينو ١٩٦٩ ص ٦ .

السبب قد حاولنا بقدر الامكان ان لا نكتفي بالتحقيق في مواقف ومراكز الشخصيات الكبيرة في السياسة الداخلية والدولية التي لا يمكن اغفالها ، بل تعرضنا ايضا للاشخاص المجهولين والمغمورين من صانعي هذا الحدث امثال الجنود الملقي بهم فيما وراء البحار وذلك بكل اوهامهم وافكارهم ومشاكل صراعهم اليومي .

ولا ادعي في هذا البحث انني قد حويت وانهيت البحث في كل موضوع من هذه الدراسة ، فالعملية الليبية رغم وقوعها في فترة قصيرة من الزمن فهي تمثل تشعبات ومنعطفات كثيرة تتطلب دوما تساؤلات جديدة ومشاكل جديدة . وقد حاولنا بقدر الامكان الاستفادة من المصادر راسا دون اهمال الوثائق التاريخية الضرورية والمنشورات وصحافة الفترة التي نقوم بدراستها بالاضافة الى المساهمة التاريخية التي قد تلقي الضوء على مظاهر خاصة من دراستنا .

ولا يمكن انهاء هذه المقدمة دون التوجه بالشكر الى الاستاذ غبريلي دي روزا الذي كان الى جانبنا وشجعنا وتتبع هذا البحث . والاستاذ رنزو دي فيليتشي من اجل مقترحاته المفيدة والمنشطة ، والاستاذ ريناتو موري الذي سمح لنا بالاطلاع على بعض ملفات المحفوظات التاريخية بوزارة الخارجية ، والاستاذ ماريو قارزيني من المحفوظات التاريخية لوزارة المستعمرات الملغاة ، والموظفون بمحفوظات الدولة المركزية بروما لمساعدتهم وارشاداتهم والى جميع الاصدقاء والزملاء الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم ومساعدتهم .

ف. م.

التوغل السلمى وبنك روما

ليبيا وسياسة ايطاليا الخارجية ــ التوغل السلمي ــ تيتوني وبنك روما ــ مبادرات بنك روما في ليبيا ــ المنافسة الالمانية ــ العداء التركي ــ حدود نشاط بنك روما ــ فشل التوغل السلمي .

عند ما تفجرت في عام ١٩١١ مسألة احتلال ايطاليا لاراضي طرابلس وبرقة بصورة متشنجة ومضطربة فقد كان ذلك نهاية لعمل طويل شاق قام به انصار التوسع الاستعماري الايطالي منذ عشرات السنين (١) .

---

(١) ان البحث من اسباب وخلفيات الحرب الليبية موضوع لا يمكن احتوائه في فصل واحد حتى ولو كانت هناك رغبة في مواجهته بدقة واهتمام . ونرى ان امرا كذلك يخرج من نطاق الغاية التي نقصدها من كتابنا هذا ، ولذلك نقتصر على تحليل سريع لسوابق الحرب الايطالية ــ التركية الديبلوماسية التي كانت بدون شك من اسباب ازمة العلاقات الايطالية التركية واندلاع القتال . وفيما يتعلق بالمسالة الليبية في سياسة ايطاليا الخارجية يمكن مراجعة المصادر التالية . انريكو سيرا Enrico Serra التفاهم حول البحر الابيض المتوسط ١٩٠٢ ، مرحلة حاسمة في العلاقات الايطالية ــ البريطانية ميلانو ١٩٥٧ ، روارد دي كارد Rouard de Card « اتفاقات سرية بين فرنسا وايطاليا بخصوص مراكش وليبيا » باريس ١٩٢١ ، اوغوسطو توري Augusto Torre « الاعداد الديبلوماسي للحملة الليبية » منشور بمجلة « راسينيا دي بوليتيكا انترنا سيونالي Rassegna di Politica Internazionale ديسمبر ١٩٣٦ وينایر ١٩٣٧ ، لويجي بتياني Luigi Petiani « المسالة الليبية في السياسة الاوروبية » فلورنس ١٩٣٩ ، رفائيلي تشاسكا Raffaele Ciasca

ويمكن التأكيد انه منذ عام ١٨٨١ أي في غداة احتلال فرنسا لتونس وجهت ايطاليا انظارها الى شواطىء ليبيا الواقعة على البحر الابيض المتوسط باعتبارها شبه « مكافاة تعويضية » عن ضياع تونس . وكانت سياسة كريسبي بالاضافة الى اسباب اخرى ذات صبغة دولية ، قد دفعت بايطاليا عام ١٨٨٥ وعام ١٨٨٦ في اتجاه افريقيا الشرقية والحبشة من خلال حملات مدمرة انتهت بهزيمة « دوقالي » . « وعدوه » ومع ذلك فقد ظلت طرابلس تشغل باستمرار افكار من بيدهم دفة سياسة ايطاليا الخارجية . فمنذ عام ١٨٨٧ بمناسبة تجديد الحلف الثلاثي تم اتفاق منفصل بين المانيا وايطاليا قدم ضمانات فيما يتعلق باهتمام ايطاليا بطرابلس وهي الضمانات التي تأكدت بصورة صريحة بمناسبة تجديد الحلف في عامي ١٨٩١ و ١٩٠٢ . وعندما قامت ايطاليا وفرنسا في بداية القرن الجديد بسياسة تقارب فيما بينهما بعد الازمات التي عرفتها العلاقات بين البلدين في عهد حكومات كريسبي فقد كانت طرابلس النقطة الرئيسية في عدة تفاهمات وخاصة في الرسائل المتبادلة في ١٤ ـ ١٦ ديسمبر ١٩٠٠ والتي تعهدت فرنسا بموجبها باطلاق يد ايطاليا في طرابلس وبرقة مقابل سكوت ايطاليا تجاه حدوث تعديلات محتملة في الاوضاع السياسية في مراكش . وتأكد هذا التفاهم فيما بعد في اتفاقيات برينيتي ـ باريير Prinetti-Barriere لعام ١٩٠٢ وابرمت اتفاقيات مماثلة في

« التاريخ الاستعماري الايطالي المعاصر » ميلانو ١٩٤٠ ، جواكينو فولبي Gioacchino Volpe « ايطاليا في الحلف الثلاثي » (١٨٨٢ ـ ١٩١٥) ميلانو ، اليساندرو ليسونا Alessandro Lessona افريقيا الشمالية في سياسة البحر الابيض المتوسط » روما ١٩٦٢ ، انريكو سيرا « كاميل باريو والتفاهم الايطالي الفرنسي » ميلانو ١٩٥٠ ، كارلو زاقي Carlozaghi « باسكوالي ستانزلا ومانشيني وافريقيا ومسالة البحر الابيض المتوسط » روما ١٩٥١ ، تيتو مانليوتاراسكي Tito Manlio Taraschi « ليبيا الايطالية في الاعداد الديبلوماسي وفي الاحتلال » نابولي (بدون تاريخ) ، جاكوموبرتيكوني Giacomo Bertecconi السياسة الخارجية الايطالية من عام ١٨٦١ الى عام ١٩١٥ تورينو ١٩٦٧ .

نفس عـام ١٩٠٢ ما بين ايطاليا وانكلتـرا تتعلق بسياسة بريطانيا في مصر من جهـة وتـوسع ايطاليـا في ليبيـا من جهـة أخـرى . وقـد استطاعـت ايطاليا بسيـاسـة « رقصات الفالـز » هذه ان تتحصـل عام ١٩٠٩ على رضاء روسيا ايضـا وذلك بموجب اتفاقيـات راكـونيجي المبـرمة في اكتـوبـر ١٩٠٩ .

وفي الخـلاصة فان النشاط الديبلومـاسي الايطالي ازداد مع مطلع القـرن الجديـد في محاولـة لـوضع الاسس من أجـل تحقيق احتـلال ليبيـا بصورة ملموسة . واذا كانت هذه هي الخطوط العريضة لاهم مـراحل السياسـة الخارجيـة الايطاليـة في اتجـاه الاستيلاء على طـرابلس المقبـل فان هنـاك ايضا مبادرات اخـرى لا تقـل اهميـة أو وزنـا وحتى وان كانت تخـرج عن نطاق الميدان الديبلوماسي البحت الا انها كانت حاسمة في تنشيط عمليـة تحقيق الاحتـلال الايطالي في خـريف عـام ١٩١١ . ونحـن نقصد بصورة رئيسية ما كان يسمى « بالتوغـل السلمـي » والذي كان بنـك رومـا منفـذه الاكبـر في السنـوات الاولى من القـرن الجـديـد .

وكانت عبارة التوغل السلمي معروفة في السنوات التي سبقت الحملة الليبيـة وكانت تعبـر عن مجهـود الحكومة لخلـق شبكـة من المبادرات في طـرابلس وبرقـة من أجـل تسهيـل ابتـلاع الولايـة التدريجي الصامت ثم ضمها بعـد ذلك بهـدوء دون اطـلاق رصاصة واحـدة (٢) وقـد كـان مـن الضروري في هـذا الصدد قيـام منظمـة مـاليـة ضخمة تتولى شرف واعباء تطوير سلسلة من الصفقات في تلك البلاد من شـانهـا أن تؤمـن لايطاليا الافضليـة في الميـدان التجـاري والاقتصادي كمقدمـة ضرورية لضم البـلاد مستقبـلا .

وقد وقـع الاختيـار عـام ١٩٠٥ علـى بنـك رومـا المـؤسسة المـاليـة

---

(٢) جـوسبي بفيـوني Giuseppe Bevione « كيف ذهبنا الى طرابلس » توريغو ١٩١٢ ص ١٢٢ .

المعروفة والمرتبطة بالاوساط الكاثوليكية . وقد نشأ هذا البنك في ٩ مارس ١٨٨٠ بناء على مبادرة بعض البارزين من بين النبلاء الرومانيين الكاثوليك ومن ضمنهم فرنشسكو بورقيزي Francesco Borghese وسيجزموندو جوستنياني باندينى Sigismondo Giustiniani Bandini وجوليو ميريقي Giulio Mereghi وبيترو بريللي Pietro Pirelli الذي كان اول رئيس للبنك وكاميللو روسبيليوزي Camillo Rospiglios, وادواردو سوديريني Eduardo Soderini .

ونشأ البنك كمؤسسة مالية ذات صبغة محلية غير انه اخذ يكتسب تدريجيا قوة واتساعا ، فاهتم في العشرين سنة الاولى من حياته بتمويل قطاع الخدمات العامة الرومانية مثل المياه والغاز وشركة المطاحن والنقل المشترك الكهربائي (ترمواي) في المدن والحافلات (اومنيبوس) . وقد كانت هذه الخدمات تعتبر في نهاية القرن من بين الاستثمارات الاكثر ربحا بالرغم من انها كانت لا تتطلب سوى حركة راسمال محدودة . وقد استطاع بنك روما بعد مارس ١٩٠٠ ان يبتلع البنك الكاثوليكي الروماني الفني – العمالي وان يوسع دائرة اعماله بصورة ملحوظة داخل ايطاليا اولا وخارجها فيما بعد . (٣) وكان ارنستو باتشيللي Ernesto Pacelli يتولى رئاسة البنك عام ١٩٠٥ وهو من النبلاء الرومانيين الكاثوليك . وكان توماسو تيتوني Tommaso Tittoni وزيرا

---

(٣) فيما يتعلق بمولد ونشاطات بنك روما راجع « بنك روما » بحث تاريخي وضعه لـ. سبلندوري L. Splendore روما ١٩١٣ ، فرنشسكو بونكومباني لودوفيزي F. Boncompagni Ludovisi « بنك روما » منشور في Italia Divittorio Emanuele III اعتنى بوضعه توما زوسيللاني Tommaso Sillani روما ١٩٢٥ ص ٢٧٠ وما يليها .Sceledro شيليدرو « الخمسة وسبعون عاما لبنك روما » منشور في Strenna dei Romanisti روما ١٩٥٥ ص ١٠٣ – ٩٨ ، البرتو كاراتشولو Alberto Caracciolo – « روما عاصمة » روما ١٩٥٦ ، اليساندرو « بنك روما وحرب ليبيا » منشور في مجلة « التاريخ والسياسة » يوليه – سبتمبر ١٩٦٨ ص ٥٠٠ – ٤٩٥ وبخصوص علاقات بنك روما بالحزب الشعبي والنظام الفاشستي راجع غابريلي دي روزا Gabriele De Rosa « المحافظون الوطنيون » بريشا ١٩٦٢ ص ٢٦ – ١٠٣ .

للخارجيـة وهو الرجـل الذي ساعـد قبل عـام واحـد على تحطيـم جـزئي لمبـدأ No expedit الذي حظرت بموجبه الكنيسة على الكاثوليك المشاركة في الحياة السياسية للدولة ونتج عن ذلك ان اشترك قسم من الكاثوليـك في حيـاة البـلاد السياسية بعـد عشرات السنين من الصراع ضد المؤسسات الليبراليـة . (٤) ومن المحتمـل أن تيتوني باختياره لبنـك روما (الذي كان رئيسه رومولو تيتوني شقيق وزيـر الخارجيـة) كممثل للمصالح الايطاليـة في طرابلس كان متأثـرا باعتبارات ذات صبغة سياسيـة حتى وان كان الامـر بالنسبة للبنـك لا يعـد صفقـة ضخمـة سهلة وسريعة . وكما لاحـظ فيما بعـد كورادو زولي المحـرر في صحيفة « سيكولـو » التـي يصدرهـا تيودورو مونيتا Teodoro Monita وهو بكـل تأكيـد غير مهتـم بتشيعـه للكنيسة اذ لاحظ أن في الامـر « انفـاق امـوال كثيـرة واستعمـالهـا دون ضمانات كـافية » وان اصحاب البنوك الذين بحـت أصواتهـم بعـد ست سنوات بنشيـد طـرابلس بالاشتراك مع الجوقـة الوطنية فان وطنيتهم لـم تـدفعهم في ذلك الـوقت الى المخاطـرة برؤوس امـوالهم (٥) ولاحظ دي سان جـوليانـو نفسه Di San Giuliano « احقاقا للحـق » في أول ابـريـل ١٩١١ في برقيـة الى مايوردي بلانشز Mayor De Planches سفير ايطاليا اذ ذاك في اسطمبول ان « جميع عملنا في تلك البلاد (طرابلس وبرقـة) يجب بالضرورة أن يتركـز في المـؤسسة المذكـورة (بنـك رومـا) حيث اننا لم نتحصل من ايـة جهة اخـرى (لا مؤسسات ولا افراد) على ادنـى موافقـة » . (٦)

---

(٤) راجـع غابريلي دي روزا « تاريـخ الحركـة الكاثوليكية بايطاليـا ، المجلـد الاول » « منـذ عـودة الملكيـة بعـد نابليـون الى عهـد جـوليتي » باري ١٩٦٦ ص ٤٢٨ ومـا يتبعهـا .

(٥) كورادوزولي Corrado Zoli « بمناسبة مناقشة المسـألـة الليبيـة تصحيـح خطـا » نشـر في صحيفـة « سيكولـو » بتاريخ ٩ مـارس ١٩١٤ .

(٦) الـوثيقـة موجودة بمقال ريناتـو موري Renato Mori « التغلغـل السلمـي الايطالي في ليبيـا من عـام ١٩٠٧ الى عـام ١٩١١ وبنك رومـا » نشـر في مجلـة « الـدراسـات السيـاسيـة الـدوليـة » يناير — مـارس ١٩٥٧ ص ١١٤ .

ولا ثمة شك في ان ضغط الحكومة هو الذي دفع ببنك روما الى القيام بنشاطه في ليبيا وهو افتراض تؤكده مطالبة البنك في العاشر من سبتمبر ١٩١٥ عن طريق القضاء عن وزارات الخارجية والمستعمرات والخزانة بدفع تعويض عن الاضرار التي لحقت بالبنك خلال الحرب في ليبيا .

« ان الحكومة الايطالية كانت تصرح رسميا منذ عام ١٩٠٥ — تؤكد الوثيقة المذكورة — بنية ايطاليا في الاستيلاء اقتصاديا على ليبيا وحيث انها لا ترغب ولا يجب احتلالها عسكريا في الوقت الحاضر فكان من اللازم القيام « بسياسة توغل » بوسائل اقتصادية وبمبادرات قوية (٧) .

وقد قبل بنك روما « الدعوى ورضخ لالحاح الحكومة » وقد حقق جميع نشاطاته في ليبيا « بتفاهم متواصل مع الوزراء المختصين » دائما تحت الحاح الحكومة وبدعوة منها انشاء البنك مركزا له في اسطمبول « وقام بتنظيم ومواجهة جميع نفقات بعثة سفورزا » . (٨)

وقد شرع البنك رسميا في نشاطه في ليبيا يوم ١٥ ابريل ١٩٠٧ وذلك

---

(٧) تقدم المحامي فيليبو بيديكوني F. Pedicone هذه الدعوى الى محكمة روما وهي موجودة في A. Mai, pos. 178/1 f. 7 بنك روما المطالبة القضائية والمصالحة مع الحكومة » (اشكر الاستاذ فرنشسكو مارقوتا بروليو Francesco Margiotta Broglio الذي ارشدني الى هذه المحفوظات) وقد اخذت الجمعية العامة للمساهمين لبنك روما علما بذلك وتبنت رغبة المجلس في « مطالبة الحكومة بتعويض الخسائر والنفقات الناتجة عن نشاط البنك في الشرق وفي ليبيا » راجع اليساندرو داليساندرو Alessandro d'Alessandro المصدر المذكور ص ٤٩٥ حاشية رقم ٨ — بخصوص هذا الخلاف راجع الصفحات من ٣٦٥ الى ٣٧١ من هذا الكتاب .

* وزير خارجية ايطاليا وقت غزو ليبيا (المعرب) .

(٨) A. Mai, المذكور . اجتمعت بعثة المعادن التي كان يترأسها الكونت اسكانيو سفورزا Ascanio Sforza بطرابلس ببعثة انياتسيو سان فيليبو Ignazio San Filippo الذي كان يقوم منذ زمن بابحاث في تلك المناطق وقد سافرت البعثتان من طرابلس يوم ٨ أبريل ١٩١١ وتوغلتا في الداخل وتعذرت عليهما العودة بعد اندلاع القتال وسقط اعضاؤهما اسرى بيد الاتراك . وكان سفورزا مديرا للمنشئات الكهربائية والميكانيكية بمشروع مياه اقليم « بوليه » Puglie راجع اسكنيو سفورزا « اسر ورحلات في ليبيا » ميلانو ١٩١٢ .

بتاسيس فرع له في طرابلس وذلك في نفس العام الذي بلغت فيه ازمة فائض الانتاج درجة اثرت في الاقتصاد الايطالي (وبصورة خاصة في قطاعي المعادن والقطنيات) (٩) . وتاسست فيما بعد وكالات تجارية للبنك في بنغازي وزوارة والخمس وسرت ومصراتة وزليطن ودرنة وطبرق والسلوم وفي المدن الاخرى في الدواخل ووجه البنك ايضا نشاطه الى الميدان الصناعي والزراعي : فانشأ في شهر ديسمبر من عام ١٩٠٧ مؤسسة الزيوت الايطالية بطرابلس واقامت لها منشآت في كل من الخمس ومصراتة وزليطن وفي شهر مارس ١٩١٠ افتتح بطرابلس مصنع كبير لعصر الزيتون بواسطة سلفور الكربون ، ودشن يوم ١٦ اغسطس ١٩١٠ بطرابلس ايضا مطحن كبير اسطواني (١٠) . اوجد البنك ايضا مشأة زراعية في بنغازي تتضمن الاف الهكتارات وخمسة عشر الفا راس من الماشية وكانت تسيير بطريقة المشاركة مع بعض قبائل برقة . ومن نشاطات البنك الاقل اهمية تذكر التسليف مقابل الرهن بطرابلس (١١) . ومصنعا للثلج وتصنيع الاسفنج وريش النعام وانشاء مطبعة وغير ذلك من النشاطات واخيرا لا بد من ذكر خط الملاحة الذي كان يصل الى الاسكندرية والخط الساحلي وكلاهما تساعدهما الحكومة بما قيمته ٢٠٠ الف

---

(٩) راجع اليساندرو المصدر المذكور ص ٤٩٤ .

(١٠) راجع ريناتو موري المصدر المذكور ص ١١٠ .

(١١) انتقد بفيوني الاساليب التي يستخدمها البنك في عملية الرهونات واكد ان البنك لا يقبل الا الرهنيات التي تتجاوز قيمتها خمسة فرنكات بحيث أن الفقراء كانوا مضطرين الى اللجوء الى المرابين الذين كانوا يتقاضون فائدة تبلغ المائة والمائتين في المائة (البنك يتقاضى فائدة قدرها ٩ ٪) وكان المرابي يستخدم البنك في اعادة رهن ما أودع لديه للحصول على السيولة اللازمة للاستمرار في عملياته . « فبمثل هذا الاسلوب — كتب بفيوني — لم يقض على الرباء في الحالات التعسة بل ان رؤوس اموال البنك اخذت تغذي عمليات الرباء هذه واصبح البنك بذلك ممولا للمرابي القذر . ان الاستغلال خطير ويومي ويجب أن يزول في أسرع وقت من أجل سمعة البنك » جوسبي بفيوني G. Bevione المصدر المذكور ص ٢٨ — ١٢٧ .

ليرة في العام (١٢) . وكان من اهداف البنك الرئيسية البحث واستغلال الموارد المعدنية في البلاد وخاصة الفوسفات والكبريت . وفي هذا الصدد اسندت الى المهندس اسكانيو سفورزا رئاسة بعثة للمعادن في عملية للبحث عنها في دواخل البلاد ، وهي البعثة التي واجهتها مضايقات مطلقة من قبل السلطات التركية . (١٣) وعلى كل فقد جرت المحاولة من اجل خلق شبكة كثيفة من النشاطات كان اغلبها غير اقتصادي ولكنها ترمي الى اشعار الناس بالوجود الايطالي الدائم والمتزايد نشاطه في تلك البلاد التي وجهت اليها ايطاليا انظارها منذ زمن .

وقد كان التشدد التركي في منح الرخص ومنافسة مجموعات اجنبية قوية من اسباب عرقلة نشاط بنك روما بصورة ملحوظة وخاصة في ميدان المعادن وقد اضطر ازاء ذلك الكواليير انريكو بريشاني Enrico Bresciani الذي اسندت اليه ادارة البنك في ليبيا الى انشاء مؤسسة ايطالية فرنسية مصرية انضمت اليها ايضا شركة طرابلسية كان يتراسها السيد مصطفى بن ذكري وذلك كمحاولة للتستر على الوجود الايطالي . وتلى تاسيس هذه المؤسسة قيام واحدة اخرى رباعية بقصد البحث عن المعادن في طرابلس وبصورة خاصة عن معدن الفوسفات وكذلك انشاء السكك الحديدية واحتمال بناء الموانيء اللازمة للنشاط المعدني . (١٤) بيد ان وجود الايطاليين في المؤسسة كان سببا فيمعارضة الحكومة التركية لها بكل قوة . وقد بلغ الامر بالاتراك الى درجة عزل والى طرابلس لسلوكه الضعيف جدا « تجاه الايطاليين وارسال خلف له اللواء ابراهيم باشا ومهمته كما كتب بريشاني في مذكرة — هي « اخماد حماسنا والغاء

---

(١٢) ان الحكومة الايطالية نفسها قد دفعت الشركة الوطنية للخدمات البحرية الى انشاء خطين بحريين يمران بطرابلس وبرقة وهما : خط جنوا — سيراكوزا — مالطا — طرابلس — كاليري — جنوا . وخط بالرموا — طرابلس — بنغازي — خانية — اسطمبول . (المذكور ص ٢٩ — ١٢٤) .

(١٣) المذكور ١٥٥ راجع حاشية رقم ٨ .

(١٤) راجع ريناتوموري المصدر المذكور ص ١١٢ .

الاتفاقيات المعقودة مع الوطنيين » . (١٥) وتلت ذلك حملة عنيفة ضد ايطاليا قادتها الصحيفة الطرابلسية « المرصاد » بينما كانت من جهة اخرى جماعات فرنسية والمانية وامريكية تسعى للحصول على امتيازات للتنقيب عن المعادن في ليبيا . وقد استاء دي سان جوليانو استياء شديدا تجاه قلة الوفاء خاصة من قبل الحلفاء الالمان الذين كانوا على ما يبدو يستغلون اوضاع المبادرات الايطالية الصعبة في ليبيا للدخول في منافسة معها بمساعدة السلطات التركية . وفي رسالة من دي سان جوليانو الى السفير الايطالي ديي بلانشي De Planches هكذا علق على سلوك الحليفة :

« ان المانيا — مثل النمسا — هنغاريا عليها واجب ادبي بان تبذل كل وسيلة ممكنة حتى لا ينافسنا مواطنوها في منطقة ليس لها فيها مصلحة ملحوظة . وهذا الواجب لا ينتج عن علاقات التحالف التي تربطنا بها ولكن ناتج ايضا عن النصائح التي ما برحت المانيا توجهها لنا في كل مناسبة كي نكون حذرين وصابرين بالنسبة لطرابلس وبرقة . غير ان الحذر والصبر قد يصبحا مستحيلين من قبلنا اذا ما راينا ان وضعنا الذي اكتسبناه في افريقيا العثمانية قد غدى مهددا .

ان مهمة سعادتكم يجب ان تكون (. . .) بذل نفوذكم بصورة غير مباشرة لدى زملائكم وخاصة لدى السفير الالماني بحيث يدرك الضرورة بان من مصلحة المحافظة على كيان ولايات الامبراطورية الافريقية ان لاتقام في وجهنا منافسة هناك . (١٦) »

---

(١٥) المذكور . صرح ابراهيم باشا بعد تعيينه بصراحة في مجلس الادارة انه سوف يعارض بانتظام وبصورة لا رجوع فيها جميع النشاطات الايطالية واشعر المجلس صراحة ان تلك هي تعليمات حكومته . راجع برقية دي سان جوليانوا الى تيتوني وامبريالي في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ الموجودة في A.S. MAE, SEG. Gen. Nº 42 pos. 17, f, 641 وفيما يتعلق بسعي الحكومة الايطالية لعزل ابراهيم باشا وتغييره راجع ايضا ص ١٨٨ وما يليها .

(١٦) الوثيقة بتاريخ اول ابريل ١٩١١ موجودة في كتاب رنيا تومسوري المذكور ص ١٤٤ — ١١٣ .

ولكن الالمان لم يحدوا من نشاطهم الاقتصادي بل انه في شهر يونيو ١٩١١ قد اشيع انهم سوف يقيمون مزرعة نموذجية في طرابلس ومصنعا لعصر الزيت قد ينافس المعصرة التي يديرها بنك روما وكذلك انشاء خط ملاحة تديره وكالة الملاحة الالمانية « دوتش ليفانت ليني » وذلك في الوقت الذي كانت قد بدات فيه الحملة القومية لصالح احتلال ليبيا . وسارع بنك روما لتلافي الامر بفتح وكالة له باسطمبول ولكن لم يفلح في التخفيف من حدة عداء السلطات التركية .(١٧)

وقد اشيع في نفس الوقت ان الحكومة التركية قد تحاول الحيلولة دون حصول شركات ايطالية على الحصول على اعمال انشاء ميناء

---

(١٧) المذكور ص ١١٤ . كانت الحكومة الايطالية تقصد بانشاء وكالة مصرفية باسطمبول خلق وجود اقتصادي ايطالي بسوق تركيا الغني . وقد طلب من بنك ايطاليا القيام بهذه المبادرة غير انه تردد . وقد نظر لوتساني الى المبادرة باهتمام خاص لانها كما لاحظ فولبي « تضع مسالة طرابلس في اطار اوسع وهو التغلغل في جميع انحاء الامبراطورية التركية وفي جميع بلاد الشرق التي كانت موضع تنافس متزايد بين الدول في تلك السنوات . بل من المحتمل جدا انه كان لا ينظر الى طرابلس الفقيرة جدا بل الى الشرق واسيا الصغرى ، كان ينظر الى طرابلس كمرحلة او موطىء قدم للاندفاع اكثر الى الامام » (جواكينو فولبي ، « عملية طرابلس » روما ١٩٤٦ ص ٢٠) .

اما بنك روما فان الجمعية العامة للمساهمين قد تقبلت بحماس في جلسة يوم ٣١ مارس ١٩١١ فكرة فتح فرع للبنك في تركيا . وقد جاء في تقرير المساهمين : « نود ان نشعركم بقرارنا في توسيع نشاط مصرفكم في الشرق بفضل تاسيس مركزين واحد في اسطمبول والاخر في القدس . وبدا لنا ان فرعا لمصرفكم في اسطمبول يكتسب اهمية وضرورة الان حيث ان مصالح ملحوظة ناتجة من مختلف اعمالنا في طرابلس وبرقة تفرض ايجاد حماية فعالة للسير نحو نتائج مجزية وهو ما يجب ان يكون مكافاة مناسبة لمعهدكم لعنايته الجمة وعمله المتواصل ومبادراته الشجاعة التي يمارسها منذ سنوات بثقة وصبر واضعا نصب اعينه ان جنوا والبندقية كانتا اسواق الشرق باكمله . (...) فنحن نؤمل ان وجود معهدكم على ضفاف البوسفور سيزيل الشكوك وسوء التفاهم والريبة في طرابلس التي لا يجب ان تكون لانها تتضارب مع مصالح البلدين . » (بنك روما الجمعية العامة العادية بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩١١ . تقرير مجلس الادارة روما ١٩١١ ص ١٠) .

طرابلس ولكن على الرغم من ضجة الصحافة الايطالية ومذكرات الاحتجاج التي ارسلتها وزارة الخارجية الايطالية الى حكومة اسطمبول والى الحكومات الاوروبية ، فان ايطاليا لم تكن تملك الوسائل لتجنب مقاطعة الاتراك لنشاطاتها الاقتصادية والتجارية في ليبيا . وفي ١٤ اغسطس بعث جاكمودى مارتينو القائم بالاعمال الايطالي باسطمبول برسالة الى وزير الخارجية حلل فيها الوضع بصورة واقعية ملاحظا عدم وجود « وسائل قانونية » تستند الى القانون الدولي لمنع المعاكسات التركية هذه وعلى كل فلا يوجد اي اساس قانوني لذلك ولا يمكن مواجهة الاتراك بحجة انه ما دامت لايطاليا مطامع في طرابلس وبرقة فيجب ان تحقق تغلغلها السلمي في الميدان الاقتصادي والصناعي والتجاري بحيث تتمكن من الاستحواذ التدريجي الهادىء على « تلك الولايات » ولاحظ دى مارتينو في هذا الصدد :

١ ــ « ان تلك النشاطات الصناعية والنشاطات الاخرى المماثلة التي بدون شك تساعدها السلطات المحلية فهي تكون ضررا واضحا على وضعنا السياسي والاقتصادي في طرابلس وقد تخلق مع مرور الزمن حالة معاكسة لطامحنا في المستقبل .

٢ ــ اننا لا نملك اية وسيلة لمنع الرعايا الاجانب من عقد صفقات في طرابلس .

٣ ــ اننا لا نملك اية وسيلة لمنع الاتراك من مساعدة المبادرات الاجنبية الضارة بالنشاط الايطالي . فالحكومة تمارس بهذه الطريقة واجبها المقدس في مقاومة التغلغل الايطالي الذي لا تخشى سواه .

٤ ــ كلما تاخر الحل المنطقي الوحيد للمشكلة الطرابلسية كلما ازدادت صعوبة حلها . (١٨)

وكان دي مارتينو المعروف بمناصرته الشديدة للحملة الطرابلسية يرمي

---

(١٨) الوثيقة موجودة في كتاب رناتو موري المذكور ص ١١٦ .

بالطبع من وراء النقطة الاخيرة من تقريره الى تاييد موقفه وابراز الوضع الخطير الذي تتخبط فيه الحكومة بالنسبة للمسالة الطرابلسية فهو في الخلاصة لا يرى خيارا بعد : الحل الوحيد ، وهو تحطيم التردد والانتقال بصورة حاسمة الى العمل اي الغزو .

وكانت هذه في الواقع فكرة جميع اولئك الذين كانوا ياملون من الحكومة ان تقوم بعمل اكثر حزما بالنسبة لطرابلس . وكان يرى هؤلاء ان رجال الحكومة الايطالية قد ابتكروا « المعادلة الماكرة » الخاصة بالتغلغل السلمي لاخفاء « عدم الاستعداد والعجز ونفورهم من حل هذه المشكلة الاساسية في حياة الامة بصورة باتة وترك حلها لمن سيخلفهم » وكان من اللازم ان تحل ارادة الاحتلال محل « ارادة التغلغل » (١٩)

ولنرى باي شكل تم ذلك العداء التركي ضد النشاطات الايطالية وضد ايطاليا مما اثار الكثير من الضجة على الصحافة وفي الدوائر السياسية والاوساط الديبلوماسية في الفترة ما بين عامي ١٩١٠ و ١٩١١ ؟ ففي يوم ٢٩ سبتمبر ١٩١١ نفس اليوم الذي اعلنت فيه ايطاليا الحرب على تركيا بعث دي سان جوليانو تقريرا الى سفارتي ايطاليا بباريس ولندن حول مختلف حوادث العداء والعراقيل التي قامت بها السلطات التركية ضد الايطاليين وقدم العناصر التي تمكن السفيرين امبريالي وتيتوني في تبرير قيام ايطاليا بحربها ضد تركيا لدى الصحافة البريطانية والفرنسية . ولاحظ دي سان جوليانو في تقريره كيف ان الصراع الذي انفجر قبل قليل لم يكن سوى « خاتمة سلسلة طويلة من الظلم والتعسف الفعلي الغير ظاهر الذي مارسته السلطات التركية ضد ايطاليا والرعايا الايطاليين » واشار دي سان جوليانو ايضا الى سلسلة من شكاوي المواطنين « من التصلب ونكران العدالة والاضطهاد الفعلي الحقيقي » (٢٠) واشار ايضا الى « اهانات

---

(١٩) جوسبي بفيوني المذكور ص ١٣٣ .

(٢٠) المذكور .A.S. MAE هكذا واصل دي سان جوليانو تقريره « وفي هذا النوع من الشكاوي التي لا تجد حلا ابدا مما يدل على عدم اكتراث الباب العالي باهتمام الحكومة

واعتداءات على موظفي القنصليات الايطالية » كما لاحظ بصورة خاصة كيف ان مع قيام النظام التركي الجديد الذي بعث آمالا كثيرة في ايطاليا فقد تضاعفت الحوادث المؤلمة وازدادت خطورة » . ومن ضمن الوقائع التي ذكرها وزير الخارجية نالت احداها اهمية خاصة وقدمتها السلطات الايطالية باعتبارها « حادثا خطيرا جدا » وقد انتهى في الواقع كزوبعة في فنجان وهذا الحادث هو خطف فتاة قاصرة :

« تدعى جوليا فرانزوني كانت تبلغ السادسة عشر من عمرها اختطفت بالخداع من اسرتها — كما يقول دي سان جوليانو — وهي من اسرة عمال شرفاء يعملون في السكك الحديدية العثمانية باضنة ، وقد احتجزت الفتاة واجبرت بالقوة على اعتناق الاسلام وزوجت بالقهر الى مواطن مسلم رغم احتجاج والديها والاجانب من جنسيات اخرى ورغم تدخل القنصلية الملكية والسفارة الملكية » .

وقد اراد دي سان جوليانو ان يضغط على هذا الحادث بالذات الذي وصفه بانه « طريقة بربرية لتغيير الدين بالقوة وخطف فتاة غرة » وظن وزير الخارجية الايطالي انه من المحتمل ان يؤثر هذا الحادث في الراي العام الفرنسي والبريطاني بالنظر لطابعه الخاص غير أنه في عام ١٩٣٧ نشر جاكمودي مارتينو « مذكرات وظيفية » وتعرض لهذا الحادث فقلل من حجمه بصورة ملحوظة وكتب يقول في الخصوص ان الحادث :

« كان ذا طابع مضحك (. . .) لقد ارسلت الى الوزير الاكبر مذكرة احتجاج رسمية وقد اجابني الوزير ان الفتاة تزوجت وفقا للشريعة الاسلامية وانها سعيدة جدا مع زوجها . وبالطبع اننا لم نقتنع بهذا الرد

الملكية المشروع يكفي ان نذكر شكاوي جوستنياني لتدخل السلطات التركية التعسفي في مجرى العدالة المحلية وكذلك كوهن وكريسوني وماركوبولي وورثة سولا وهم دائنون للدولة ولشخصيات من العائلة الامبراطورية . وقد اضطرت المؤسسة الايطالية ستاني بسبب عداء السلطات التركية ان تتخلى من امتياز قطع الاخشاب في ولاية برقة » .

(. .)واذكر ان تحريات قامت بها السلطات القنصلية الايطالية في هذا الصدد قد دلت على ان تلك الفتاة الطيبة كانت لا تريد مطلقا مغادرة حريمها (٢١)

وبين دي سان جوليانو فيما بعد الى السفيرين تيتوني وامبريالي في مذكرته حوادث اخرى قام بها الاتراك يشوبها العنف وعدم التسامح والقرصنة ففي يوم ٥ يونيو ١٩٠٩ استولت سفينة المدفعية التركية « نوراهاد » بالقوة وعلى بعد ٤٠ كيلومتر من الشواطىء التركية على مبلغ ٢٣٤٠ ريالا من المركب الشراعي الايطالي « سليمة » وفي عام ١٩١٠ صادرت سفينة حربية تركية الباخرة الايطالية « جنوا » وجرتها الى ميناء الحديدة حيث « كانت موضع اجراءات ظالمة ومحاولة استيلاء بالقوة المسلحة » وفي ٥ ديسمبر ١٩١٠ صعد قائد سفينة مدفعية تركية بالقوة على ظهر المركب الشراعي الايطالي « سليمة » واجبر ربانها بتسليم المراسلات الخاصة بتجار مصوغ ، وتكررت مثل هذه الحوادث ضد سفن ايطالية اخرى بقصد الاضرار بتجارة اريتريا .

وفيما يتعلق بطرابلس لاحظ دي سان جوليانو ان هدف السلطات التركية في تلك البلاد « اثارة حرب ضد المصالح الاقتصادية والتجارية الايطالية والحيلولة بجميع الوسائل دون توسع النفوذ الايطالي ، ومنع قيام علاقات ما بين المواطنين وبنك روما ومعاقبة المواطنين باتهامهم « بجرائم خيالية » اذا اقاموا هذه العلاقات ومنع البنك من الحصول على الاعتراف القانوني امام المحاكم المحلية . (٢٢)

« وقد رفضت جميع طلبات الامتياز أو الاعمال التي قدمها الايطاليون مثل شبكات المياه والمنشآت البرقية واللاسلكية واعمال الطرق وغيرها

---

(٢١) جاكمودي مارتينو Giacomo De Martino « مهمتي في اسطمبول من اجل الحرب الليبية « راسنيا دى بوليتيكا انترناسيونالي Rassegna Di Politica Internazionale ابريل ١٩٣٧ ص ٢٦٥ .

(٢٢) حدد دى سان جوليانو عمل بنك روما « بانه عمل تقدم اقتصادي وتمدني حقيقي ومفيد للبلاد » (A.S., MAE. المذكور) .

ومخالفة للاتفاقيات بمنع الرعايا الايطاليين من شـــراء الاراضي وتسجيلها باسمائهم في دوائر التسجيل العقـاري في بنغـازي ودرنة والخمس ويتعرض المـواطنون الـــراغبون في بيـــع أراضيهم للايطاليين للتهديـــد ويقعون تحـت طائلـــة الانتقـــام باعـــذار بعيـــدة عـــن السبب الحقيقـــي .

وعـــدد دي سان جوليانـــو حـــوادث عنف ارتكبت ضد الايطـــاليين مثـــل مقتـــل الـــراهب (جوستينو) بدرنـــة والراهب غاسطوني تيريني الذي قتـــل ما بيـــن طـــرابلس والخمس وقيـــل انـــه انتحـــر . وكذلك الحادث الذي كـــان ضحيته مديـــر صحيفـــة « ايكو دي تـــريبولي » الذي انهـــال عليـــه رجـــال الشرطـــة ضربـــا . واشار الى مـــوقف صحيفة « المـــرصاد » لسان حال الولاية التي تقف ضد ايطـــاليا موقفا معاديا صريحـــا وعنيفـــا وقـــد ختم وزير الخارجيـــة كلامـــه قـــائـــلا :

« ان الحكومة الايطاليـــة تحلت بالصبر والتسامح مما لن يتكـــرر مثلـــه في تاريـــخ الشعـــوب رغبـــة في عـــدم خلـــق صعوبات واحـــراج للامبراطوريـــة العثمانية ولاوروبا (..) بيـــد ان الكيل قد طفـــح (..) ولم تعـــد لايطاليا ثقـــة في حـــل مشاكلها بصورة وديـــة مـــع تـــركيـــة .

وقد خيبت امالها الكلمات الجـــوفاء الكثيرة والـــوعود الكاذبـــة التي اعطيت لهـــا في السنوات الاخيـــرة ، وقد فقـــدت ايطاليا الصبر وقررت ان تخـــرج من حالـــة التسامح والتساهـــل التي قـــد توصمها بالضعف والاعتـــراف بان مركزهـــا ادنى من غيـــرها . الامـــر الذي جعلها تقـــرر الحصول على احترام مصالحها بكـــل قـــوة . وان الـــذنب في ذلك يقـــع على اولئك الذين منذ ثلاث سنوات يقومون باستفزازنا يوميا ويخلقون عن طريق حوادث صغيرة وكبيرة جـــوا من العـــداء لنـــا في جميع ولايـــات الامبراطورية العثمانيـــة وخـــاصـــة بطـــرابلس الامـــر الذي جعـــل سلامـــة الرعـــايا الايطاليين غير آمنـــة وعرض سير التجارة الارتيرية في البحر الاحمر للخطر » . (٢٣)

---

٢٣) نفس المصـــدر

هـذه هي الصيغـة التي اراد دي سان جوليانـو أن يقـدمها الـى الـراي العـام الفـرنسي والانكليـزي حـول مختلف احـداث التعنت التي قـام بها الاتـراك ضد الايطاليين . وكان الوزيـر نفسه قـد سبق أن اشار الى السفيرين تيتونـي وامبريالي الى انـه « من الخطـر على حجتنا ان نذكـر حـوادث خـاصة لظلـم وعـداء التـرك نحـونا » نظـرا لان الاتـراك « بارعـون في اعطـاء هـذه الحـوادث ثوبـا قانـونيا ظاهـريا » . (٢٤)

ولا شك في ان العـداء التركي بلـغ اشده ما بيـن عـامـي ١٩١٠ و ١٩١١ وقـد ساهـم بمساعـدة الصحافـة (الايطاليـة) فـي خلـق ذلـك الجـو المعـادي لتركيـا الذي اجتـاح ايطاليـا في صيف ١٩١١ . ولا يمكن على كـل حـال الا الاشارة الى انه في عـام ١٩١٠ بالـذات وبالرغم من العـداء التركي فقـد حققت العلاقـات التجاريـة ما بيـن ايطاليـا وطـرابلس زيـادة كبيرة في المبادلات التجارية ما بين البلدين وقد بلغت هذه الزيادة في عام ١٩١٠ بالنسبة الى عـام ١٩٠٩ : ٥٩ ٪ حيـث انتقلـت من اربعـة مـلايين ونصف الى سبعـة مـلايين و ٦٠٠ الف ليـرة ، وبلغت زيـادة الصـادرات الايطاليـة الى طـرابلس ٦٦ ٪ ، اذ انتقلت قيمة الصادرات من مليونين وتسعمائـة الف الى اربعـة مـلايين و ٤٠٠ الف ليـرة ، (٢٥) وقد استطاعت

---

٢٤) « .A.S. MAE المذكور . برقية دى سان جوليانو الى تيتوني بتاريخ ٢٥ سبتمبـر ١٩١١

٢٥) معلومات تتعلق بالتجارة ما بين ايطاليا وطرابلس من عام ١٩٠٥ الى ١٩١٠ (القيمـة بملايين الليرات)

	واردات ايطـاليا من طرابلس	صادرات ايطاليا من طـرابلس	مجموع المعاملات
١٩٠٥	٠ر٧	٠ر٣٠	٧ر٣
١٩٠٦	٠ر٦	٩ر٣	٥ر٤
١٩٠٧	٠ر١	٥ر٣	٥ر٤
١٩٠٨	٠ر٧	٢ر٣	٩ر٣
١٩٠٩	٦ر١	٩ر٢	٥ر٤
١٩١٠	٨ر٩ *	٤ر٤	٦ر٧

(راجع لويجبي اينـاودى « بخصوص طـرابلس » بصحيفـة ريفـورماسوشيالي « Riforma Sociale اكتوبر ١٩١١ مجلد ١٢ ص ٦٠١) .

* يبدو ان هناك خطا في النص الاصلي وان الرقم الحقيقي هو ٢ر٢ (المعرب) .

ايطاليـا ايضا تنشيط التجـارة الناميـة في تلك الاراضي بحيث ان نصيب ايطاليـا من تجـارة طـرابلس الدوليـة الذي بلـغ عـام ١٨٩٥ نسبة واحـد من عشرين فقد بلغت هذه النسبة عام ١٩١٠ قرابة الخمسين في المائة (٢٦) ولهذا حتى مع وجـود صعوبـات خطيـرة فان مركـز ايطاليا الاقتصادي والتجـاري بطـرابلس لم يكـن معـرضا للخطـر بدرجـة تستدعي تدخـلا مسلحـا ٠

ولكن ما هي اسباب تعنت تركيـا ضد بنـك رومـا والنشاطات الايطاليـة الاخـرى ؟ فاذا كانت الحكومـة الايطالية قد ارتكبت الخطـاء في تغلغلها السلمي في ليبيـا فلا شك ان اكبـر اخطائها كان هـو عـدم اخفائها بقدر كاف للطابع الشبه رسمي الذي اكتسبه البنـك في مبادراته الليبيـة ٠ فقد كان الاتـراك يعلمون جيـدا ان لايطاليـا مطامـع في طـرابلس وبرقـة ٠ (وحتى لو فرضنا انهم لم يكونوا على علم فان الصحافة الايطالية قد احاطتهم علمـا بذلك) وسرعـان ما ادركـوا من خـلال الكثيـر من المظاهـر الواضحـة ان بنـك رومـا كان عبـارة عن « حصان طـروادة » ايطالي داخـل الولايات الافريقيـة لامبراطـوريتهم ٠

ان مـزاعم الصحافة والحكومـة الايطالية نفسهـا بان تتسم مـواقف الحكومـة التركيـة دوما بالرضاء والتفهم ربما كانت مبالغـا فيها ٠ وممـا لا شك فيه ان الحكومة الايطالية قد فعلت قليلا وقليلا وكانت تريد ان تفعل خـاصة في النصف الاخير من عـام ١٩١١ في سبيـل تسوية المشاكل وايجاد طـريق للوفـاق ٠ بـل الامر كان بالعكس فكل خـلاف مهما كان بسيطا وكل حـادث مهما كان صغيـرا قد ضخـم اكثـر من اللازم ٠ وحتـى جاكمـودي مارتينـو نفسه اعتـرف في مذكراتـه ان « اهتمـام » الكونسولتـا (وزارة الخارجيـة) لم يكـن موجهـا نحو تسويـة المشاكل بـل « تركها تتجرجـر »

---

٢٦) بلغ مجموع المبادلات ما بين ايطاليا وطرابلس في عام ١٨٩٥ ما يقرب المليون ليرة منهـا ٢٥٤ الف ليرة تتعلق بالواردات الايطالية و ٧٦٢ الف ليرة خاصة بالصادرات (نفس المرجع) ٠

كما هـو من السهـل ادراك ذلك من خـلال التعليـمات التي كان يبعث بهـا دي سـان جوليانـو الى اسطمبول ٠ (٢٧)

ويجـدر بنا التساؤل فيما اذا كان التغلغل الاقتصادي الايطالي مستوحـي دوما من تلك التعليمات التي كان في امكانها ان تعطي احسن النتائج لـو لم تكـن شديدة العـدوان وغيـر متماشية كثيرا مع الـوسط الذي كان عليها ان تتحقق فيـه ٠ فيجب النظـر على كـل حـال فيما اذا كانت هناك عيـوب في نشاط بنـك رومـا خـلال السنوات الخمس التي مـارس فيهـا نشاطـه الاقتصادي والتجـاري المتنـوع في طـرابلس وبـرقـة ٠ فالعيـب الاول الاساسي لاحظـه لويجـي اينادوي الـذي استهجـن بصورة خـاصة أن معهدا مصرفيـا يتحـول الى مقـاول مشوهـا بذلك مهامـه الاصليـة ٠

« (٠٠٠) ان البنـك عـلاوة على انه اشترى مساحات شاسعة من الاراضي وانشا خطـوط ملاحـة فقـد اسس مطحنـا للغـلال يعمـل في هـذه الايـام من اجـل تمـوين القـوات الايطالية بالدقيق ٠ ونشـاط البنـك الصنـاعـي والتجـاري والبحـري هـذا كان مـوضع ثنـاء عظيـم من قبـل الصحـافـة الايطاليـة وكانت التقاريـر المقدمـة الى الجمعيـة العامـة للمساهميـن فـي البنـك محـل رضاء متواصل وليسمح لي بالتعبيـر بحريـة عن انطباعاتي ٠ وهي أن البنـك قد يكون محقـا بكل هذه الانشطة المتنوعـة في بـلاد تكـاد تكون ميتـة وحيث ان كـل شيء فيها يحتـاج الى العمـل ٠ وقد يكون انشاء خطوط الملاحـة والمطاحن وشـراء الاراضـي وسيلة طيبـة للـدعاية ونفقـات تسيير مثمـرة ٠ ولكن النتائج المـالية للعمل المصرفي البحث تظهر بعـد بضع سنوات اذا كانت الامـوال قد انفقت في مـوضعها ٠ وقد يبـدو لي منطقيـا أنه بعـد تجـاوز هذه الفتـرة الاولية فعلى البنـك ان يتخلص من جميع هـذه المنشآت التي وضعت بصورة غريبة في غيـر محلها بالنسبـة لمؤسسـة مصـرفيـة ٠

---

٢٧) جاكمودى مارتينو . المصدر المذكور ص ٢٦٥ .

ان رجل المصرف يجب ان يعرف جيدا الجهاز الفني ويعرف قبل كل شيء طريقة تسيير المنشآت الصناعية والزراعية والتجارية التي يقرضها الاموال وعليه بصورة خاصة ان يعرف كيف يقدر الصفات الشخصية لمن يديرونها ولكن لا يجب على رجل المصرف ان يقوم هو نفسه بمهام رجل الصناعة والزراعة والتجارة فان وضعا كهذا لا يمكن الا ان يكون محفوفا بالخسائر والاخطاء » ٠ (٢٨)

وهناك دراسة اكثر جدية وتفصيلا حول حدود نشاط بنك روما في ليبيا يقدمها انريكو انساباتو Enrico Insabato رجل ثقة جوليتي الذي ارسله الى طرابلس وبرقة في صيف ١٩١١ بقصد تنوير رئيس الوزراء حول الوضع في ليبيا وانساباتو هذا شخصية غريبة لطبيب استعماري « فوضوي مزعوم في خدمة البوليس » ٠ (٢٩) وقومي وصديق للسنوسي وخبير في شؤون العالم العربي لاقامته مدة طويلة بالقاهرة حيث اوفد رسميا كمراسل لصحيفة « كوريري ديلاسيرا » (٣٠)

---

٢٨) لويجبي انياودى — المرجع المذكور ص ٦٠٢ — ٦٠١ .

٢٩) هكذا كتب دى مارتينو الى بروساتي في رسالة مؤرخة ٣٠ يناير ١٩١٠ .

٣٠) يفهم ذلك ايضا من رسالة بعث بها جوليتي الى بروساتي بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩١١ (المصدر المذكور رقم ٢٨٥) وقد اجاب بروساتي على رسالة جويلتي طالبا منه ان لا يثق فيه وانتقد فكرة انساباتو في « التوسع في الهدايا لاعيان السنوسية لكسب صداقتهم » وكذلك ان « يهبهم ثلاثة الاف بندقية » وجاء في رسالة لاندريا توري الى البرتني بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩١١ حيث وضح المحاولات التي تبذلها الحكومة لكسب ود السنوسيين ، فكتب « لقد سافر الى واحة الكفرة شخص ايطالي أعرفه شخصيا وقد اقام لسنوات كثيرة في مصر . وهو يقول ان لديه نفوذا كبيرا على السنوسي . وفي كل مرة يزورني منذ خمس سنوات يكرر لي انه الوحيد الذي في امكانه ان يؤثر على السنوسي في وقت معين . وقد استعانت وزارة الخارجية بوسيط آخر ولم تعتقد فيما كان يدعيه هذا الايطالي . غير ان جوليتي كان يثق فيه وقد ارسله الى الكفرة . وهذاالايطالي يدعى انساباتو وهو طبيب وعندما كان في روما في شهر اغسطس صرح انه على استعداد ليقدم لي أدلة حديثة العهد ومقنعة حول صداقته بالسنوسي . وقد اوصيت به خيرا دي سكاليا (وكيل وزارة الخارجية) وقد اوصى به هذا اولا (او اشار به) الى قوتيشا رديني وتيتوني ولوتساتي ولكن شيئا لم يتم في الامر . وسنرى

وتحتوي تقاريره على بعض العناصر الهامة حول نشاط بنك روما والممثلين القنصليين وحول مواقف العرب تجاه ايطاليا • وحتى ولو ان جوليتي لم يعتبر تقارير انساباتو ذات « اهمية كبيرة » (٣١) غير انه لا بد من الاشارة الى ان الكثير من توقعات انساباتو قد تحققت •

ففي تقرير له بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩١١ ارسله من طرابلس قام بدراسة عميقة لنشاط بنك روما • وقد اتخذت ملاحظاته احيانا صفة التنديد ولم تخلو من بعض الاعتداد بالنفس ، وهي تبدو من خصائص من يحكمون على ما فات • ومع كل ذلك فان ملاحظات انساباتو كانت غالبا ما تصيب الموضوع وتقدم عناصر كافية لدراسة نشاط بنك روما في افريقيا الشمالية • ولعل من اهم الاخطاء التي اكتشفها انساباتو هو ترك انتشار الشعور لدى العرب والاتراك بان بنك روما كان « جهازا اوجدته ومولته الحكومة الايطالية من اجل اعداد احتلال طرابلس لا من اجل العمليات المصرفية ونشر النفوذ الايطالي فقط » وقد تحول هذا الشعور الى اقتناع سائد • وهناك عوامل كثيرة ساعدت على خلق وتغذية هذا الاقتناع •

« لويجي البرتني — مراسلات ١٩٢٦ — ١٩١١ — المجلد الاول « من الحرب الليبية الى الحرب العظمى » ميلانو ١٩٦٩ ص ٣٢ — ٣١) وانساباتو الذي عين فيما بعد امين سر خاص لجوليتي . تقابل في يناير ، ٢٥ يناير ١٩٢١ مع الاب روزا من صحيفة « تشيفيلتا كاتوليكا » Civilta Cattolica ليعرف منه — بناء على تكليف من جوليتي ، راى الكرسي المقدس حول الحزب الشعبي الايطالي (راجع نينوفاليري « من جوليتي الى موسوليني » ميلانو ١٩٦٧ ص ١٣٤ — ١٢٩) . بخصوص انساباتو والحرب الليبية راجع مارشيلا بنكرلي Marcella Pincherle « اعداد الراي العام لحملة ليبيا منشور في « راسينيا ستوريكا ديل ريسور Rissagrastorica Del Risorgimento. يولو — سبتمبر ١٩٦٩ ص ٤٦٤ — ٤٦٣ . اشارة هامشية رقم ٣ .

(٣١) .A.C.S المذكور . رسالة من انساباتو الى جوليتي من القاهرة بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٣ طالب باصرار بضرورة اعادة قراءة تقاريره «كي تقتنعوا بقلة اخطائي وانه يكون من المفيد قراءتها باهتمام بدلا من اعتبارها — كما يقول السيد مريكاتاللي « قصاصات طويلة وغير ذي فائدة » . (الرسالة توجد في اوراق جوفاني جوليتي — « اربعون سنة من الحياة السياسية الايطالية المجلد ٣ من مقدمة الحرب العالمية الى الفاشية » ١٩٢٨ — ١٩١٠ اعتنى بنشره كلاوديو بافوني . ميلانو ص ٨٠) Claudio Pavone

« ان اول دليل على ذلك ـ يقول الاتراك ـ كما كتب انساباتو ـ هو ان القنصليات ظلت حتى الآن المحامية عن البنك حتى ضد رعاياها انفسهم ٠ والدليل الثاني هو ان البنك يحاول ان يغزو ويستولي وليتولى هو جميع المبادرات والمقاولات والاعمال ٠ وان عمل البنك كان موجها بصورة خاصة الى امتصاص وتدمير التجارة الصغيرة والمنشآت الصغيرة سواء كانت عربية ام ايطالية ٠ فعند ما كان تاجر صغير يلجأ الى البنك للحصول على مساعدة كان طلبه يرفض ويعرض عليه البنك التنازل عن مؤسسته واذا لم يفلح في الامر فانه ينشيء مؤسسة مماثلة او يقوم بعملية منافسة رهيبة تدمر في النهاية صاحب المصنع الصغير أو التاجر ٠ (٣٢)

أن هذه الاساليب قد خلقت في برقة وطرابلس استياء حادا لدى « العنصر العربي الذي كان يجب علينا اكتسابه » ٠

« ويواصل انساباتو كلامه فيقول : اذا ما فكرنا في ان لكل من هؤلاء التجار الصغار عملاءه الامناء الذين يشاطرهم الود والحقد ، وان الاتراك من صالحهم تهويل الامور والنفخ في النار وان المالطيين واليونانيين واليهود باستثناء القليلين جدا يرون مصالحهم مهددة فهذا كله سيقنعنا سريعا بان الاشاعات السائدة حول رفع السلاح في وجه ايطاليا وربما قيام ثورة حقيقية وطنية ضد الايطاليين ليست بالامر المبالغ فيه » ٠ (٣٣)

وقد اورد انساباتو شهادة رئيس مهندس الولاية وهو ارمني كاثوليكي يدعى يوحناس الذي قال له : « بما ان اغلبية ممثلي البنك هم من اليهود الذين يكرههم العرب » فان البنك « تزداد كراهيته يوما بعد يوم

---

٣٢) A. Mai., pos. 103/3 of. 23 « نقاط جمعها الدكتور انساباتو وانتقاداته للاعداد لاحتلال برقة » .

٣٣) المصدر نفسه .

وعلاوة على ذلك فان جميع مبادرات البنك كانت تسير باساليب غير اقتصادية الامــر الذي خلـق لــدى السلطات التركية شعــور الشك والـريب في كـل مبــادرة ايطاليــة ٠ وعلى سبيــل المثــال فقـد لاحـظ انسابـاتــو بخصوص المطحــن « ان نفقــات الانشاء بلغت مليون ليــرة في حين انــه كان يكفــي نصف مليون فقط » وقد وصف مدير المطحــن نفسه « مطحنـــة وغيره من عمليات بنك روما بانها هواية صناعية » والانباء المتعلقة بشراء الاراضي كانت تثير انزعاجا اكيدا « حيث ان ما دفع فيها يوازي عشرة امثال قيمتها الحقيقيــة الامــر الذي اعطى الحكومة التركيـ انطباعا بان البنك يريــد ان يشتري باي ثمــن كي يستولى على الا، مي لا ليحقق صفقات تجارية » (٣٤) ويضاف الى كل ذلك ان البنـك والقنـصل برنـــاي وكثيرين من الافــراد لم يروا من الضروري « لدى اتمام المبيعـــ ت ان يطلبــوا جميـــع الضمانات القانــونيــة » ولذلك فقــد :

« وجــدوا انفسهم تجــاه فسخ عقــود وقضايــا ومشاكل لا نهايــة لها لم تكــن سببــا بالطبع في تحسين سمعــة البنــك ٠ كما ان القــول بان السفــن الحــربية الايطالية سوف تصادق على الاخطـــاء قــد اثار استياء عظيما ضــد الحكــومــة الايطاليــة ٠

يتطلب الامــر الآن حزمــا وحــذرا لا حــد لهما من اجل معالجة هذه المسائــل المرتكبة للتمكن من مــواجهة المعاكسات التركية التي تــزيد وتعقد الامـــور للاساءة الى هيبتها » .

وقوبلت النتائج التي توصل اليها انساباتــو بالسلبيــة التامــة لــدرجــة أن قيل لـــه : اذا كانت اخطاء بنـــك رومـــا واخطاء الديبلوماسية بالرغم

---

٣٤) فيما يتعلق بالاراضي لقد لاحظ بفيوني ايضا : « مؤسسة بنغازي الزراعية استثمر فيها راسمال قوي ولا اعتقد ان الثمار الان تــوازي المجهود . وكما ذكــرت سابقا حيث ان البنك لم يفلح في توطين معمرين ايطاليين في الاراضي الشاسعة التي يملكها البنك فقد اضطر الى تاجيرها للعرب . والنتيجة بالطبع تعسة جدا » .
(جوسبي بفيوني المصدر المذكور ص ١٢٧ — ١٢٦) .

من تحريض الاتراك لم تتسبب في اي حركة معادية للايطاليين بطرابلس فهذا يعود وحده الى أن مشائخ الطرق السنوسية لا يزالون يكنون الود للايطاليين ٠

« واذا في الغد – واصل انساباتو كلامه – وقف العرب بعجل ضدنا لسوء الحظ فان الحياة في طرابلس وبرقة ستكون مستحيلة علينا ٠ واذا ما اضطرت اذ ذاك الحكومة الايطالية الى التدخل بالقوة تحت ضغط الاحداث فانها سوف لن تجد في مواجهتها الجيش التركي وحده (من عشرة الى خمسة عشر الف رجل) وانما ستجد الشعب كله ضدها وخاصة في برقة حيث ان الجميع مسلحين » ٠

وكان انساباتو يرى على حد قوله – انه من الضروري « قبل أن تواجه سوء نية الاتراك بالقوة » فعلى الحكومة الايطالية « أن تقوم بروح العدالة بتصفية جميع المشاكل المعلقة للحيلولة دون حدوث سوء تفاهم مع السكان الوطنيين ولحرمان الاتراك من هذا العذر الذي يخفون وراءه عداءهم لنا » . (٣٥)

ان تاكيدات انساباتو تعدل من حجم موقف بنك روما والمبادرات الايطالية في ليبيا بصورة ملحوظة وبالرغم من قبولنا بحذر لوجهة نظر انساباتو (التي ثبتت صحتها لدى التجربة) فان المهمة التي اسندت الى بنك روما عام ١٩٠٥ من الممكن اعتبارها قد فشلت وانه لا يجب الحكم على جميع مظاهر هذه المهمة بصورة سلبية ٠

واذا فشل المعهد العالي الروماني في القسم الاكبر من المهمة التي اسندتها اليه الحكومة فلا يمكن السكوت على انه لم يكن حرا في تصرفاته : لانه لم يتمكن من القيام بسياسة مستوحاة من المبادىء الاقتصادية والمالية بسبب الضغط عليه من قبل وزارة الخارجية والحكومة الايطالية ، واضطراره الى العمل تحت التكييف السياسي الذي كان لا يساعد على تسيير الاعمال

---

٣٥) A. MAI. المذكور .

بصورة نشيطة ومزدهرة . ولكن هناك مظهرا ايجابيا في مهمة بنك روما بليبيا سبق ان اشار اليه ريناتو موري ، وهي محاولة تنظيم استغلال موارد بلاد من النوع المتخلف بوسائل جديدة ومتقدمة بالنسبة لذلك الوقت • واجتهاد البنك ولو بوسائل مرتبكة بنتائج ضئيلة واهداف واضحة — في أن يوجد محاولة :

« تعاون ما بين الاوروبيين والسكان الوطنيين من اجل تنمية بلد افريقي اقتصاديا . هو تعاون لا يجب ان يقتصر على تقديم العمل لليد العاملة الزراعية وانما يجب أن يهدف الى رفع مستوى الطبقات الفقيرة اقتصاديا واجتماعيا وفي نفس الوقت اشراك المسؤولين المحليين — بنفس الحقوق — في المبادرات الرامية الى تقوية البلاد اقتصاديا » • (٣٦)

ومن الطبيعي ان ثمار مثل هذه الاعمال لا تجنى الا بعد زمن طويل ، ومع ذلك فسيظل امرها محصورا في هذا العمل كان يمثل مقدمة اولية لنظم التعاون الفني — الاقتصادي التي قامت ولا تزال تتحقق على نطاق واسع في العلاقات الاقتصادية التي تسري اليوم ما بين الدول الكبيرة الصناعية وبلاد العالم الثالث الجديدة •

وقد لاحظ كاروتشي ان نشاط بنك روما والحرب الليبية نفسها مثلت فيما بعد : « مظهرا من مظاهر الصراع بين الراسمال الايطالي الذي كان آخر القادمين وبين راسمالية الدول الاخرى من اجل الاستيلاء على السوق العثمانية » • (٣٧) ففي تلك السنوات بالذات اخذ بنك روما يكتسب نفوذا اكثر فأكثر في ميدان الاقتصاد وخاصة بالنسبة للصناعة المعدنية • وكانت مهمة البنك ترمي الى احتكار النشاط الصناعي الكبير المتزايد دوما « والقيام دائما بدور القاعدة للمؤسسات » وان

---

٣٦) ريناتو موري المصدر المذكور ص ١٨ — ١١٧ .

٣٧) جامبيرو كاروتشي Giampiero Carocci « جوليتي والعهد الجوليتي » تورينو ١٩٦١ ص ١٤٣ .

الـراسمال المصرفي « يرتفـع في هـذا الـدور كدافع ومسيطر في نفس الوقت على الصناعـة ويكتسب بذلك قـوة جديـدة سواء كانت ظاهـرة أم خفيـة تجـاه الحيـاة الـوطنية حتى في المـارسة السياسية » . (٣٨)

وفي هـذا الجـو الذي يتزايـد فيه تطـور واهميـة النشاط المصرفـي ، ربمـا اعتقـد المشرفون على بنـك رومـا ان التجربـة الطـرابلسية التي قـام فيها البنـك بدون المتعهد الصناعـي والزراعي والمعدنـي الخ قـد اتت باحسن النتـائج . والنتـائج من وجهـة النظـر الاقتصاديـة البحتـة قـد تكون لصالحهم حيث ان راس المـال المكتتب انتقـل من ثـلاثين مليـون ليـرة عـام ١٩٠٥ الى مائتي مليون ليـرة عـام ١٩١٢ وارتفعت الاربـاح الصافيـة من ١،٧٣٦،٦٧٣ الى ١٢،٣٥٤،٩١٥ ليـرة (٣٩) وقـد كانت الحرب السبب فيما لحـق بالبنك من ضرر . فان الصراع كان بالطبع عائقا خطيـرا

---

(٣٨) ريكاردوباكي Riccardo Bachi « سيمات التطور الاقتصادي الايطالي الحديث » منشور في ايطاليا ايكونوميكا عام ١٩١٣ تورينو ١٩١٤ . ان الاهمية المفرطة التي اكتسبتها هـذه المصارف في ميدان الاستثمار الصناعي — كتب روزاريو روميو — هي من ابرز المميزات التاريخية في التطور التاريخي الايطالي (Rosario Romeo روزاريو روميو « مختصر تاريخ الصناعات الكبيرة في ايطاليا » بولونيا ١٩٦٧ ص ٧٠) . بخصوص سياسـة هذه الفترة الاقتصادية راجع ايضا لوتشانو كافانيا Luciano Cafania تكـوين قاعـدة صناعيـة مـا بيـن عـام ١٨٩٦ — ١٩١٤ » وكذلك البـرتو كـاراتشـولو Alberto Caracciolo « الصناعة الكبرى في الحرب العالمية الاولى » منشور في كتاب مختلفون » .AA. VV « تكـوين ايطاليا الصناعية » باري ١٩٦٩ ص ١٦٢ و — ١٣٥ — ٢٢٢ — ١٦٣ بخصوص تحليل تاريخي سريع للموضوع راجع ليوفالياني Leo Valiani تاريخ ايطاليا من عام ١٩١٥ الى ١٩٧٠ . مساهمات تاريخية في العشرين سنة الاخيرة منشور في جـوليات « مؤسـسة ليوجبي اينـاودي المجلد ١ ، ١٩٦٧ ص ٧٤ — ٦٧ (فصل ٣ ، النقاش حول التطور الاقتصادي) .

(٣٩) هذه الارقام تتعلق بتطور بنك روما من عام ١٨٨٠ الى ١٩١٢ .

الارباح الصافيـة		راس المال المكتتب	
١٨٨٠	٣ر٠٠٠ر٠٠٠ ليرة	١٩٠٠	٧٤٠ر٠٠٠ ليرة
١٩٠٥	٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ليرة	١٩٠٥	١ر٧٣٦ر٦٧٣ ليرة
١٩١٠	١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ليرة	١٩١٠	٦ر١٤٦ر٢٠٠ ليرة
١٩١٢	٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ليرة	١٩١٢	١٢ر٣٥٤ر٩١٥ ليرة

في وجه نشاط البنك في ليبيا والامبراطورية العثمانية الامر الذي اجبره على تعطيل نشاطه وتجميد رؤوس اموال ضخمة مستثمرة علاوة عن جميع الاضرار الاخرى التي تتسبب فيها الحرب . ولم يمض وقت طويل كي تظهر النتائج السلبية حيث اضطر البنك عام ١٩١٤ ان يعلن عن تخفيض خمسين مليون ليرة من راسماله . (٤٠)

ومع ذلك فمن المشكوك فيه ان البنك قد نظر الى الحرب بالرضا ودفع الحكومة نحو احتلال طرابلس بالسلاح ، (٤١) على امل الاستفادة من الوضع الجديد والتخلص من معاكسات الاتراك لنشاطه وامكانية عمله بمساعدة السلطات الجديدة ٠ وكان الخطا يكمن في اعتقاد الجميع ان الحرب ستكون قصيرة وسهلة وان الامر اصبح الآن عبارة عن قطف الثمار الكثيرة الناتجة عن الاموال التي انفقت في التغلغل السلمي وعن التقدير الذي اكتسبه البنك لدى الحكومة الايطالية ٠

اما فيما يتعلق بنتائج التغلغل السلمي فلا ثمة شك في انها فشلت فشلا ذريعا فهذه المحاولة التي بدات قبل خمس سنوات لم تحقق اية نتيجة على ما يبدو اكثر من زيادة العداء التركي وفقدان عطف العنصر المحلي بالنسبة لنا بصورة بطيئة مستمرة ٠ (٤٢) وبفيوني نفسه لاحظ في

(اليساندورود اليساندور ، المصدر المذكور ص ٥٠٠) لدى دراسة هذه الارقام يجب الاخذ بعين الاعتبار ان عام ١٩١١ وقع ادماج بنك روما وبنك ليقوريا مما ادى بالطبع الى زيادة راس المال .

(٤٠) نفس المصدر ص٤٩٥ راجع ايضا ص ٣٦٧ من هذا الكتاب .

(٤١) راجع اليساندرود الساندرو ، المصدر المذكور ص ٦ ــ ٥٠٣

(٤٢) كتب القنصل الايطالي ببنغازي برنباى بهذا الخصوص في ٦ سبتمبر ١٩١١ الى دي سان جوليانو قائلا : (...) اذا كان برنامج تغلغلنا السلمي لم يعط حتى الان ما كان يحق لنا ان ننتظره فذلك يعود في جزء كبير منه الى سوء نية الاتراك الواضحة وايضا الى الطريقة المستعجلة القافزة التي بدات بها مؤسساتنا وذلك دون التوقف لدراسة دقيقة للوسط الاجتماعي الوطني الذي يتوقف عليه مستقبل طرابلس
(A.C.S., C.G., b. 12, f. 10)

رسالـة له من طـرابلس بتاريخ ٩ يونيـو ١٩١١ انـه في نفس الـوقت الذي يجـري فيه التـوسع الاقتصادي فقد رؤى « انهيار نفـوذنا وتضاعف مخيف للعقبـات التي كان يجب مصارعتها • (٤٣) ولم تصحب عملية التغلغل السلمي اي تـدفق من المهاجرين ولـو كان ضئيلا بحيث ظل الامر بانـه لم يستقر في جميع اراضي بنـك رومـا مستعمر ايطالي واحـد فـي حيـن انـه كـان من المفيـد جـدا اجـراء تجربـة لمعرفـة امكانيـة اتخـاذ برقـة وطـرابلس كمستعمـرة اسكـان •

ان حـل مشكلة طرابلس التي شغلت كثيـرا الديبلوماسية الايطالية وظلت لقـرابة عشر سنوات في قمة أفكـار وزراء خارجية بـلادنا ، اصبح هذا الحـل أكثـر صعوبـة واكثـر تعقيـدا في عشية تحقيقـه عند مـا فتحـت الاحـداث الـدولية مثـل الازمـة الالمانية ـ الفرنسية في يوليو ١٩١١ لايطاليا امكانيـة القـاء مطامعها المستترة بالنسبة لطرابلس على البساط الديبلوماسي • ويجب أن نضيف على كل حـال ان الاخفـاق في تحقيـق التغلغـل السلمـي والعداء التركي بصورة خاصة قـد مكنا الحكومة ان تدفـع عملها من أجل طـرابلس الى العمـق وأن تستعجله وأن تجـد المبـرر لارسال حملة عسكريـة أو على حـد قـول دي مارتينـو « ان تضع وثيقـة الاتهام العظيمة (•••) التي تضمنها انـذارنا الى تركيـا » (٤٤) ويظل مع كل ذلك الامـر ان الحالـة المتوتـرة والمعادية للايطاليين التي وجـدت في طرابلس وبرقـة خاصة بيـن الاوساط العربيـة قد جعلت الآن احتلال تلك الاراضي اكثر صعوبة وخطورة •

---

(٤٣) جوسبي بفيوني ، المصدر المذكور .

(٤٤) جاكمودي مارتينو ، المصدر المذكور ص ٢٦٦ .

حملة الصحافة لصالح عملية الغزو
الموافقون والمعارضون والمنتقدون

القوميون والحرب ـ صحيفة « ايديانا سيونالي وليبيا ـ كوراديني : صحيفة « اورادي تريبولي » ـ الصحافة الاخبارية ـ جوسبي بياتسا وصحيفة « لاتريبونا » ـ جوسبي بفيوني وصحيفة « لاستامبا » ـ صحف المجموعة الكاثوليكية ـ صحيفة « كموريري ديلاسيرا » تنضم الى الحملة ـ الصحافة الجنوبية ـ المنشور حول ليبيا ما بين عامي ١٩١١ و ١٩١٢ ـ المنتقدون والمعارضون : ليوني كيتاني Leone Caetani اوقواويتي Ugo Ojetti لويجي لونساتي Luigi Luzzati فردينانْدومارتيني Ferdinando Martini قايطانوموسكا Geatano Mosca ، لويجي ايناودي Luigi Einaudi، ادواردو جيريتي Eduardo Giretti قايطانو سالفيميني Gaetanosalvemini وحملة المعارضة لليبيا بواسطة صحيفتي « لافونتشي » و « لونيتا » ٠

كان القوميون الايطاليون منذ بضعة اعوام يؤملون في حرب ، اي حرب مهما كان ثمنها ومهما كان نوعها لتخلص ايطاليا من الاتجاهات السلمية والانسانية والديموقراطية والدولية وجميع ما يشابهها من تيارات كان يعتبرها القوميون مسممة لحياة البلاد الخانقة الكئيبة بسبب سياسة حكومات الاصلاح الضعيفة الفاقدة لعامودها الفقري ٠ ولهذه

الاسباب هتف القوميون عام ١٩٠٤ للحرب الروسية ـ اليابانية بحماس على أمل أن تفيد ايطاليا كدرس في « العزيمة والقوة » (١) وقد رأى انريكوكوراديني Enrico Corradini في تلك الحرب « مظهرا للحياة العصرية والعملية » وكل هذا معناه أن العاطفيين والانسانيين والمبشرين بالحب والسلام وفلاسفة الطبقات والثقافات العالمية » جميعهم مخالفون لروح عصرنا بدلا من أن يكونوا ـ كما يدعون المعبرين عن الجزء الافضل منها ٠ (٢)

وبالرغم من الخلافات العقائدية التي تغلبت عليها الحدة ، فان الحركة القومية اخذت في السنوات التالية تبحث عن « حربها » عن أي حرب تهز وتوقظ القوى الوطنية الخامدة ٠ وكانت الحركة منقسمة ما بين فكرة سيقيلي SIGHELE الوطنية التحررية الرامية الى الدفاع عن المواطنين الايطاليين الذين لا زالوا خاضعين للنمسا والعمل على تخليصهم وبين اتجاه كوراديني الامبريالي الذي كان يرى في التوسع الاستعماري وفي حرب الاستيلاء « نظاما معنويا » واسلوبا للبعث الوطني » (٣) ٠ ومنذ مؤتمر فلورنس في عام ١٩١٠ حيث اخذت ترتسم مختلف اتجاهات القومية هذه وحيث تحقق مولد الحركة الرسمي على المستوى التنظيمي ، فقد لوحظ منذ ذلك المؤتمر تغلب تيار كوراديني ونستطيع القول انه

---

(١) تاكيد المدفع « منشور في صحيفة « المملكة » في ١٤ فبراير ١٩٠٤ والان منشور في « الثقافة الايطالية في التسعمائة من خلال المجلات » مجلدا : « ليوناردو » « هرمز » « المملكة » باشراف ديليا فريجيي Delia Frigesi تورينو ١٩٦٠ ص ٤٨٧ . راجع ايضا حول اتجاهات المجتمع الايطالي السياسية ـ الثقافية في اوائل التسعمائة (بداية القرن العشرين لوتشياستراببيني Luciastrappini « الثقافة والوطن تحليل اسطورة « منشور في كتاب ستراببيني Strappini ميكوتشي Micocci ابروتسيزي Abruzzese « طبقة المثقفين : المثقفون والمجتمع في اول التسعمائة الايطالية » باري ١٩٧٠ ص ١٤٠ ـ ٧ .

(٢) انريكو كوراديني الحرب في صحيفة « المملكة » في فبراير ١٩٠٤ والان منشور في « الثقافة الايطالية في التسعمائة من خلال المجلات » المذكور مجلدا ص ٤٨٥ .

(٣) راجع فرانك وتانيطا ـ « القومية الايطالية » ١٩٦٥ ص ٨٤ وما يليها .

منذ ذلك الوقت اخذت تتحرك الحملة القومية لصالح احتلال ليبيا .
لقد حدد القوميون هدفهم المباشر في الصراع وشعروا ان « ايطاليا كانت على مفترق طرق : اما الاستيلاء على طرابلس في الحال للسير الى الامام واما التنازل عن طرابلس والتخلف بصورة لا يمكن تلافيها » (٤) .

وبمولد صحيفة « ايديانا سيسونالي » Dea Nazionale (الفكرة الوطنية) التي صادف صدور اول اعدادها في شهر مارس سنة ١٩١١ ذكرى هزيمة عدوه . وقد تولى ادارتها كوراديني Corradini وفد رزوني Federzoni ومارافيليا Maraviglia وفوجي دافانزاتي Forges Davanzati وكوبولا Coppola فبمولد هذه الصحيفة بدات حملة الصحافة لصالح احتلال ليبيا تتكلم بلهجة قوية . وكانت صحيفة « ايديانا سيسونالي » في الخلاصة من اولى الصحف التي واجهت باصرار ودون تردد طرق الراي العام الوطني (اعداد الراي العام للغزو) ، تساندها في ذلك صحف واسعة الانتشار مثل « لاستامبا » La Stampa والجورنالي ديطاليا Giornale d'Italia « ولاتريبونا » La Tribuna وكوريري ديطاليا Corriere d'Italia وغيرها من الصحف التي قامت ولا شك بالضغط الاكبر من اجل تكوين راي عام مؤيد للغزو .

وقد لوحظ انه عندما ولدت صحيفة « ايديانا سيسونالي » منذ ثلاثة اشهر تقريبا كانت هناك صحف ايطالية كبرى مهتمة فعلا بمسالة طرابلس (٥) . وهي ملاحظة صحيحة غير انه لا يمكن الا الاشارة الى ان صحفا يومية مثل « لاتريبونا » و « لاستامبا » و « كوريري ديلا سيرا » نفسها التي لم تشترك الا متاخرة جدا في صميم حملة الدعاية من اجل الحرب ، فقد ظلت هذه الصحف حتى نهاية شهر مارس تقتصر بصورة عامة على انتقاد العداء التركي والتعليق على تصريحات وزير الخارجية لاظهار اهتمامها بالمسالة الطرابلسية . فلم تكن الحملة حسب وجهة نظرنا — حملة

---

(٤) بير لود وفيكوا وكيني Pier Ludovico Occhini كورادينيء فلورنس ١٩٣٣ ص ٢٣٠
(٥) راجع مارشيلا بنركلي المصدر المذكور ص ٤٥٨ .

صحفية مركزة في مستوى اللهجة والحرارة التي عرفتها فيما بعد . فصحيفة « لاتريبونا » نفسها ـ التي غدت فيما بعد من محركي هذه الحملة فقد كانت لا تزال تعتبر في يوم ٢٥ يناير ١٩١١ « ان الباب العالي يكن شعورا بالصداقة نحو ايطاليا » (٦) ويبدو لنا واضحا انه ابتداء من شهر مارس فقط بلغت هذه الحملة الصحافية درجة من الحدة جعلتها تؤثر على الرأي العام الايطالي . اما بالنسبة لصحيفة « جوردنالي ديطاليا » وقد دفعت في الفترة ما بين ١٩١٠ والاشهر الاولى من عام ١٩١١ بالمسالة الطرابلسية الى الامام لا يسعها الا ان تؤيد ، خاصة وان مديرها برقاميني Bergamini ومن بين محرريها فدرزوني وكثير من القوميين من بينهم كوراديني نفسه الذي كان يعد من أنشطهم . ومن المؤكد انه ليس من السهل التحليل بالوثائق عن الروابط ما بين مولد « ايديانا سيسونالي »وتفجر المسالة الطرابلسية على صفحات الصحافة الاخبارية . غير ان هناك امرا مؤكدا وهو توافق التواريخ . لقد سافر بياتسا Piazza الى طرابلس في اوائل مارس بصفته مندوبا لصحيفة « لاتريبونا » ولحق به بفيوني Bevione بعد قليل بصفته مندوبا عن صحيفة « لاستامبا » ويبدو ان تاريخ اول مارس أي ذكرى هزيمة عدوه اصبح بالنسبة للقوميين كابوسا مزعجا ملازما لافكارهم كانوا يريدون الخلاص منه . فقد ذيل قوالتيري كاستلاني Gualtieri Castellani مقدمة كتابه « تونس وطرابلس » بهذا التاريخ متمسكا بكل قواه بضرورة التاكيد الامبريالي « من اجل » بعث ضمير وطني ايطالي . (٧)

ولم يخلو عدد من اعداد صحيفة « ايديانا سيسونالي » في الاشهر الاولى من حياتها من ترديد اسم طرابلس . وقد اتخذت الصحيفة الاسبوعية القومية المذكورة موقفا ثابتا منذ صدور عددها الاول :

---

(٦) نفس المصدر ص ٤٥٤ . لاحظت الكاتبة بتكيرلي نفسها انه في المدة اللاحقة فقط كانت هناك نية دقيقة في اثارة الراي العام من اجل اهتمام اكثر بطرابلس ومن اجل هذه الغاية اخذت الحملة تزداد قوة واخذت تبحث عن مواضيع جديدة وتلجا الى دواعي وطنية والى وصف متفائل للاماكن التي يراد احتلالها » . (ص ٤٦٢)

(٧) قوالتيرو كاستيلليني Gualtiero Castellani « تونس وطرابلس » تورينو ١٩١١ ص ٢٢١ .

« ان المسالة الطرابلسية قائمة اليوم . تبدو واضحـــة وصافية بجميع سوابقها التاريخية والسياسية والديبلوماسية وبحالة الواقع الحاضرة التي تتاكد في كل يوم مترفعة عن المبالغات التي قد يتضمنها الحديث عن بعض الحوادث او في تكذيبات الحكومة التي قد تكون صحيحة . وان الحل ــ بعد التجارب المفجعة لسياسة التفاهم مع البـــاب العالي ــ غدا واحدا : وهو اختيار حاسم يجب ان تضعه الحكومة الايطالية امام الحكومة التركية . اما وضع حد للعداء والاعتراف الواســع بحقوقنا فـــي طرابلس وأما الاحتلال الاقليمي وليس هناك من طريق وسط » (٨) .

ــ وقد قامت صحيفة « ايديانا ناسيونالي » بمواجهة المشكل الليبي بتعمق في جميع مظاهره وقد حاول قوالتيـــري كاستيلاني من جهتـــه بعد عودته من طرابلس ان يلقي الضوء في سلسلة مقالات على ثروات وموارد البلاد (٩) .

---

(٨) « ماذا يراد بطرابلس » منشور في « ايديناسيونالي » اول مـــارس ١٩١١ . وتجـــدر الملاحظة الى المصادفة الغريبة بين هذا الموقف والطريقة التي اخذ يعالج بها دي ســـان جوليانو المشكلة الليبية .

(٩) عندما قدمت صحيفة « ايديناسيونالي » اول مقالاتها بعنوان « ماذا تساوي طرابلس » حددت الصحيفة المسالـــة الطرابلسية « بانها اعظـــم مسالـــة معاصـــرة في سيـــاستنا الخارجية » . وقد اثارت مقالات كاستيلليني هذه جدالا مع بريتسوليني Prezzolini الذي اكد من على صفحات « لافوتشي » ومستندا على تقرير .I.T.O * بان الميـــاه في برقة ضئيلة مخالفا بذلك ما كتبه كاستيلليني على صحيفة « ايديناسينالي » وفي كتابه « تونس وطرابلس » . وقد هـــاجمت « ايديناسيونالي » بريتسوليني بعنـــف : « ان برهاننا الوثائقـــي كان من المنطـــق والصحـــة قوي ومستقيـــم بمقـــدار الشغف الحي والحماس الذي نضعه وسنوالي وضعه في دعايتنا . وهكذا يتحصل بريتسوليني على تقرير .I.T.O فيتصفحه ويقراه ويدرك ان لا ميـــاه ببرقة فيغمره في الحـــال الســـرور ظانا انه على اساس هذه الوثيقة المزعومة يستطيع ان يدين حملتنا . انه في حاجـــة لعداء القومية كي يصبح شيئا ما في السياسة حيث اصبح رواية لسالفيميني فاذن هو في حاجة لان يقف ضدنا . فاذا كان في سبيل هذه المحاولة يجـــب ان يتنكـــر لتاريخ سياسي ودبلوماسي باكمله ولحقيقة سياسية ودبلوماسيـــة واقتصاديـــة وان يستغـــل

وحاولت الصحيفة الوطنية الاسبوعية ان تضغط من جهة اخرى على تصرفات النظام التركي العدائية للمبادرات الايطالية وحول موقف ايطاليا في الحلف الثلاثي الذي كان لا يسمح بالتردد في القرارات الواجب اتخاذها :

« اذا ما اظهرنا لحلفائنا اننا موجودون واننا اقوياء فقط فاننا نمدهم بالثقة التي فقدوها . وعندما نطرح بصورة واضحة وثابتة حقنا في طرابلس فقد نبرهن على اننا نريد ونعرف أن نناقش سياستنا الخارجية على اساس مصالحنا ، وفي النهاية عندما سوف نواجه المشكلة البلقانية فقد نخرج من حالة سوء الفهم التي جعلت المعاهدة الثلاثية حتى اليوم ذات قيمة سلبية وأفرغتها من كل مضمونها السياسي . والذي قد يزداد خطورة من اليوم فصاعدا نظرا لاحترامنا المتهيب للوضع القائم الذي يريدون منا ان ندفع ثمنه في البحر الابيض المتوسط وذلك بمنعنا من القيام بعمل يجب ان نعتبر انفسنا في كامل الحرية للقيام به (١٠) .

وحاول فدرزوني — من جهته دائما — من على صفحات لسان حال القوميين ان يدلل بعدم وجود خيار محير بين تحرير الاراضي التي لاتزال خاضعة للاجنبي (Irredentismo) وبين التوسع الاستعماري وهو الامر الذي كان يزعج على

جهل الكثيرين مع الاسف لهذه المشاكل الذين يرغب الكثيرون لاغراضهم الخاصة ان يظلوا في جهلهم ، فان بريستوليني مستعد لذلك . فهو منذ بعض الوقت يمارس سياسة خالية من الضمير ومن الترابط من على صفحات جريدته وما بين مقال من « فيكو » واخر عن « كوربيه » يصدر حكمه على « الوهم الطرابلسي » مستندا على وثيقة I.T.O. المزعومة التي لا تدحض متجاهلا بذلك ومحاولا جعل قرائه الذين لا زالوا يعتقدون فيه ان يتجاهلوا هم ايضا برهاننا ووثائقنا . واليوم وهو يقدم دليلا جديدا على عدم نزاهته ويحاول تضليل قرائه لاحول اشخاصنا وحركتنا المثالية وانما حول مسالة دقيقة تبنيناها وهي مسالة وطنية ذات اهمية كبرى في السياسة الايطالية وهو يجرا ايضا من جديد على محاولة اسداء الموعظة المعنوية ليخفي باي شكل سخافته واننا لا نستطيع الا ان نكرر له احتقارنا . « (قوالتيروكاستيلليني) ساعة طرابلس تستعجل . المياه في برقة وفي غيرها منشور في ايديناسيونالي » في ٢٥ ابريل ١٩١١.

* (منظمة الاراضي اليهودية التي زارت برقة عام ١٩٠٨ للبحث عن وطن قومي . المعرب)

(١٠) المصالح الايطالية مهددة في طرابلس « منشور في ايديناسيونالي » في ٥ ابريل ١٩١١ .

ما يبدو اولئك القوميين الاكثر حساسية بالنسبة لمشكلة بحر الادرياتيك . ففي يوم ١٩ ابريل ١٩١١ بمناسبة توجيهه التحية الى مؤتمر «ترينتووتريستي» طمأن فيدرزوني المطالبين بتخليص الاراضي الايطالية التي لا تزال محتلة بان برنامج القوميين ــ حسب قوله ــ قائم على دراسة ايجابية وموضوعية لجميع اوضاع الحياة العامة الايطالية (١١) . وعاد فدرزوني لنفس الموضوع فكتب على صفحات « ايدياناسيونالي » يوم ٤ يونيو ليؤكد بان المسالة هي اسلم وسيلة لفتح باب النقاش حول اقليم « ترنتينو » وكان يرى ان المانيا كانت تنوي تاجيل المسالة الليبية الى حين تجديد المعاهدة الثلاثية و : « ربما الى اليوم الذي تصل فيه النمسا الى سالونيك لكي يكافئوننا بالشيء الذي كان لنا حــق فيه منذ زمن طويل . وستكون هــذه الهدية حائلا بيننا وبين التعويضات الحقيقية بالنسبة لذلك الحدث الذي ربما لابد منه وهو التنازل لنا عن « الترنتينو » وتوطيد التوازن في بحر الادرياتيك » (١٢) .

فالموضوع بالنسبة لفيدرزوني هو الاستيلاء على طرابلس في اقرب وقت ممكن بحيث لا يكون هناك شاغل وقت نهاية اجل وتجديد المعاهدة الثلاثية . انها الطريقة الاكيدة لفتح الطريق في المستقبل القريب « لمطالبنا الفعلية باراضي اقل بعدا واكثر معزة على نفوسنا والتي نتمنى ان تتحقق ولو اننا في الوقت الحاضر نراها سابقة لاوانها » (١٣) .

وحاولت الدعاية القومية التغلغل في كل مظهر من مظاهر الحياة الوطنية وحيث كان من الممكن ادراج القضية الطرابلسية . وقد تقدم فيدرزوني امام مؤتمر الايطاليين المغتربين الثاني في ١٤ يونيو بجدول اعمال تمت الموافقة عليه خلال المناقشة في القسم الخامس الخاص « بالتوسع الاقتصادي » .

---

(١١) راجع رفائيلي مولينيللي Raffaele Molinelli « من اجل تاريخ القوميــة الايطالية » اوربينو ١٩٦٦ ص ٨٥ ــ ٨٤ .

(١٢) جوليودي فرنزي Giulio De Frenzi (لويجيي فدرزوني) « طــرابلس وتحــرير الاراضي . خيار محير غير موجود منشور في « ايدياناسيونالي » في يونيو ١٩١١

(١٣) نفس المصــــــدر .

« وكان اقتراح فيدرزوني يدعو « الى ضرورة قيام الحكومة الايطالية بعمل حازم وسريع يكون بمثابة ضمان اكيد لحقوقنا ومصالحنا في طرابلس ». (١٤) وكان كل المؤتمر مع هذا موجها نحو مواقف قريبة من دعوى القوميين وقد طالب بزيادة النفقات العسكرية والبحرية واستنكر سياسة الخمول تجاه تركيا وطالب بدفاع اقوى عن المصالح الايطالية في الخارج ولم يات عقد المؤتمر عفوا فقد قام بتنظيمه المعهد الاستعماري الايطالي الذي اسسه عضو مجلس الشيوخ جاكو مودي مارتينو Giacomo De Martino (يجب عدم الالتباس بينه وبين حفيده القائم باعمال السفارة الايطالية في اسطنبول) وكان عطف دي مارتينو على القوميين وعلى التوسع الاستعماري الايطالي في ليبيا غير خاف على احد (١٥) .

وقد ربط القوميون — كما هو معروف — بين مسالة الهجرة والمسالة

---

(١٤) راجع المعهد الاستعماري الايطالي ، « وثائق المؤتمر الثاني للمغتربين الايطاليين » (٢٠ ١١ يونيو ١٩١١) روما ١٩١١ . تحدث لصالح اقتراح دي فرنزي كل من سود يرني وفواوسااللو وغيرهم . بخصوص الحملة لصالح احتلال ليبيا كشرط اساسي لحل مشاكل الهجرة راجع فردنياندو مازوني Ferdinando Manzom « الجدل حول الهجرة في ايطاليا الموحدة (حتى الحرب العالمية الاولى) ميلانو ١٩٦٢ ص ١٥ — ٢٠٧ .

(١٥) عضو مجلس الشيوخ جاكومودي مارتينو (١٩٢١ — ١٨٩٤) * تولى وكالة وزارة الخارجية من فبراير الى اغسطس ١٩٠١ نظم في عام ١٩٠٧ اول مؤتمر للمغتربين الايطاليين واسس وتراس المعهد الاستعماري الايطالي وهو مؤلف كتاب « تورينا وقرطاج » (بولونيا ١٩٠٨) الذي يحرض فيه الايطاليين على احتلال برقة . وبعد اندلاع القتال بقليل وجه دي مارتينو الذي كان حاكما لبنادير (صومال) برقيتين الى دي سان جوليانو واحدة من زنجبار بتاريخ ٤ اكتوبر قال فيها « تعلم كم احببت واهتممت ودرست المسالة الطرابلسية . اني واثق ان عملك والفرصة الغير متوقعة في هذا الظرف ستتيح لايطاليا ودبلوماسيتها الثار لكثير من الاخطاء وخيبة الامل » . وابرق من عدن في يوم ١٥ اكتوبر بما يلي : « الموظفون .(A. MAI, pos. 104, f. 1) المدنيون والعسكريون يشاركونني التاثر (..) واثقين أن بفضل مجد السلاح ويقظة سعادتكم وبفضل دبيلوماسيتنا ستتوطد ايطاليا بجدارة وباستمرارية في البحر الابيض المتوسط . المصدر المذكور » .

* عين جاكو مودي مارتينو المذكور حاكما لبرقة من ١٩١٩/٧/١ الى ١٩٢١/١١/٢٣ وهو تاريخ وفاته في مدينة بنغازي (المعرب) .

الطرابلسية برباط وثيق فكانوا يرون في برقة وطرابلس الارض التي يجب ان توجه اليها اليد العاملة الايطالية بدلا من اجبارها على حياة صعبة فيما وراء جبال الالب . غير ان الباعث القومي كان يحتوي ظاهريا فقط على مظاهر ذات صبغة اجتماعية . فلم يكن القوميون يهتمون بالقوانين الاجتماعية والصحية التي كان يخضع لها مهاجرونا فكانوا يخشون ان تضعف الوحدة الروحية والضمير الوطني للبلاد من جراء تشتيت القوى الايطالية في العالم وان يذوى في نفوسهم تعلقهم بموطنهم الاصلي . فقد كتب انريكو كوارديني Corradini في عام ١٩١٠ بعد قيامه برحلة في امريكا قصة عنوانها « الوطن البعيد » (١٦) كان ابطالها المهاجرون من جهة والقوميون من جهة اخرى . فقد اراد كوراديني ان يظهر في الهجرة صورة دولة ايطاليا القديمة وان يصور القومية ببداية ارادة التجديد .

والحرب تبرز في هذه القصة كالفضيلة الباعثة للافراد (١٧) . وان النجاح الذي لاقته قصة كوراديني هذه وقصته التالية « الحرب البعيدة » (١٨) التي تدور احداثها وقت الحملة الافريقية عام ١٨٩٦ وهـي كما كتب الكاتب في المقدمة ترمي الى اظهار « التناقض ما بين اوضاع ايطاليا الحاضرة وعظمتها المقبلة كما اخذت تتجلى في طموحات الجزء الخير من الايطاليين » (١٩) وهذا يدل على موقف جزء من الرأي العام في فترة ما بين عام ١٩١٠ وعام ١٩١١

---

(١٦) تريفس Treves ميلانو ١٩١٠ .

(١٧) راجع بيرلودو ميكولوكيني المصدر المذكور ص ١٩٨ وما يليها . يختم كوراديني كتابه بنبأ انـدلاع الحـرب بين ايطاليا والنمسا الذي وصـل ريـو دي جانيرو . فالعمال الايطاليون يتركون المصانع ويتبرعون بمدخراتهم من اجل الحرب ويسارعون الى السفر .

(١٨) راجع نفس الكتابين الذي نشر في « مارزوكو » في ١٢ مايو ١٩١٠ وفي « كوريري ديلا سيرا » بتاريخ ٥ يونيو ١٩١٠ وفي « لاسيرا » بتاريخ ١ يونيو ١٩١٠ وفي «الاستامبا» بتاريخ ١٨ يونيو ١٩١٠ وراجع ايضا موريس موريت Maurice Muret « القومية الايطالية » باريس ١٩١٠ ص ١٠ وما يليها . (بالفرنسية)

(١٩) انريكو كوراديني « الحرب البعيدة »ميلانو ص ٥ . ويوجد تفسير دقيق للكتابين في كتاب ماريو ازنيتي « اسطورة الحرب الكبرى من مارينتي الى مالابارتي » باري ١٩٧٠ ص ١٠ — ٢١ .

تجاه المشاكل التي اثارها القوميون في ذلك الوقت الامر الذي ساعد فيما بعد على الحملة الليبية .

وبالطبع فقد كان كوراديني على راس الحركة المؤيدة للحرب ضد تركيا . وقد كتب بير لودوفيكو اوكيني P. L. Occhini الذي كتب ترجمة حياة كوراديني قائلا : « لا نبالغ اذا قلنا ربما لم يقم احد باكثر مما قام به كوراديني من اجل اقناع الايطاليين بايجاد راي عام مؤيد لاحتلال طرابلس » (٢٠) وقد طاف كوراديني في الاشهر الاولى من عام ١٩١١ بانحاء ايطاليا فزار ميلانو وفرنسا وجنوا وبولونيا وروما حيث القى محاضرات حول موضوع « العمال والهجرة وطرابلس » وكتب مقالات بهذا الصدد على الصحف والمجلات . وفي شهر يوليو سافر شخصيا الى ليبيا حيث بعث برسائل من طرابلس وبرقة الى صحيفة «ايديا ناسيونالي» وقد جمعها فيما بعد في كاتب بعنوان «ساعة طرابلس » وقد حوى الكثير من الاراء الكورادينية من اجل المطالبة باحتلال طرابلس : من ضرورة ايجاد منافذ للهجرة الايطالية الى الاشادة بثروات وخصوبة الاراضي الليبية (٢١) . غير ان اهم الموضوعات التي حواها كتاب كوراديني كانت ذات صبغة سياسية وخاصة فيما يتعلق بدور القومية« التي لم تولد بارادة الرجال » ولكن من « حاجة الامة نفسها ومن غريزتها في البقاء. فالرجال — كتب كوراديني — عندما شرعوا في العمل وجدوا في انفسهم قوة لا تقهر ... قوة الامة نفسها التي قاومت في النهاية اولئك الذين جرحوها في غريزة بقائها بصورة عميقة ولامد طويل . وهكذا كان الامر بالنسبة للقومية بصورة عامة وبالنسبة للمسالة الطرابلسية بصورة خاصة تلك المسالة التي كانت القومية بطلتها . لقد كانت مسالة غريزية فالامة في اول تحركها للتحرر من عبودية ثلاثين طاغ فانها تمثل مسالة حيوية بالنسبة لها . مسالة واقعها » (٢٢) .

---

(٢٠) بيرلود ونيكواوكيني ، المصدر المذكور ص ٣١ — ٢٣٠ .

(٢١) « هناك اراضي — كتب كوراديني — وهي حقيقة تاريخية . وهي اراضي خالية من الرجال وهي ليست مهملة لانها قاحلة بل قاحلة لانها مهملة » (انريكو كوراديني « ساعة طرابلس » ميلانو ١٩١١ ص ٩٧) .

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٠ — ٩ .

فبطرابلس وبالحرب قد تبدأ ايطاليا في الخلاصة عـــهدا تاريخيا جديدا — فمن الحرب — حسب القومية الكوراديينية — كان يجب ان تولد ايطاليا جديدة رسمية غير تلك المهانة منذ خمسة عشر سنة باتباع سياسة داخلية فقط (٢٣) ، اذلت شخصية الامة . وطرابلس بتحريرها « لقوات غير اعتيادية خامدة » قد تغير « فجاة » معنويات الشعب وقد تبدأ فترة « النهضة الجديدة للامة الايطالية امام الـــخارج وامام الداخل » وقد دفعـــت هذه الاعتبارات بكوراديني الى الخلاصة بانه في الواقع لم يكن يهمه اذا كانت ليبيا صفقة حسنة او سيئـــة بالنسبـــة لايطاليا واذا كان المهاجرون الايطاليون الى الاراضي الجديدة قد يجدون العمل والثروة ام لا — . ان مبدأ الايحاء للحملة القومية كان ذي صبغة سياسية وليس اقتصادية « كان من اجـــل سياسة خارجية وليس بسياسة داخلية » .

« وقد كتب كوراديني » في آخر صفحات «ساعة طرابلس» ان اول موضوع هو الضرورة بان تحتفظ ايطاليا وتزيد من مركزها في البحر الابيض المتوسط ضد الدول التي تسيطر على نفس البحر (...) شجر الزيتون والواحات يجب ان تستهوينا وتحويلها الى أشجار مثمرة سيكون اعظم عمل لنا فـــي هذا القرن وستكون الثمار جزاءنا ، غير ان اجتياز البحر يجب ان يكون واجبنا حتى ولو يتطلب تضحية وان هذا الواجب قد فرضه علينا الاخرون (٢٤) .

« وفي شهر سبتمبر بدأ نفاذ صبر القوميين يتزايد : « ماذا يجب ايضا ؟ » تساءلت صحيفة ايديناسيونالي » في ١٤ سبتمبر ١٩١١ (٢٥) لقد كان من

---

(٢٣) انه لمن الغريب — تحت بعض المظاهر ان يتهم القوميون بصورة مباشرة عهد جوليتـــي بخلوه من السياسة الخارجية . بينما قامت ايطاليا في الواقع في تلك الاعوام باعمال هامة وذات مغزى في الميدان السياسي الخارجي . وكانت جميعها ترمي الى التقارب مع دول الوفاق التي لا يمكن تجاهلها او التقليل من قيمتها .
— ان سبب انتقاد القوميين يعود الى عدم قيام الحكومة بسياسة حازمـــة توسعيـــة وهم يخلطون بذلك بين السياسة الخارجية والسياسة الامبريالية .

(٢٤) انريكو كوراديني — المصدر المذكور ص ٢٢٣ — ٢٢٢ .

(٢٥) « الامة تعود الى كريسبي » منشور في « ايديناسيونالي » في ١٤ سبتمبر ١٩١١ .

الواجب حسب قول الصحيفة القومية ــ القيام « بعمل الارادة » وهو القوة اللازمة لتحطيم التردد وهي القوة التي كما يبدو كان يفتقدها جوليتي وكان كوراديني واصدقاؤه على ما يبدو يأسفون لان يكون رجل دولة « درومبرو » (جوليتي) هو المحقق لعمل يعتقدون انه ليس اهلا له وان يكــون هو الذي يتولى الانتقال من « الظلام الى النور » « وتوطيد ايطاليا بقوة كدولة من دول البحر الابيض بعد فترة طويلة من الظلام والجبن الذي كان جوليتي ان لم يكن هو اكبر شخصية في هذه الفترة فهو من اكبــر الشخصيات المسؤولة عنها » . ولم يكن يسمح في تلك الفترة لجوليتي ان يتردد اكثر بل كان عليه ان « يريد » لان سان جوليانو كان ينتظر « اشارة المــوافقة » وهكذا فان صحيفة « ايديانازيونالي » لم تقتصر على التشجيع والدعوة بل قد جاء الوقت الذي انتقلت فيه الى التهديد والتخويف :

« ولكن اذا كان « جوليتي » مترددا لانه شيخ ولان المهاترات الاشتراكية تضايقه ولان روحه نافرة فلا يجب ان يؤخر الامة . ان الامة قد تجاوزت التردد وتجاوزت الخط الذي فرضته عليها الانانية الاشتراكية الديمقراطية الخسيسة والمسكينة والمؤلمة الجبانة . فاذا كان جوليتي يماطل في هذه المرة ايضا وقد يؤذي عمله هذا ايطـــاليا فنحن في هذه المرة سنعرفه في النهاية وان كل مخطىء سيعاقب ، وكل ذنب سيكون خيانة » (٢٦) .

وكانت ايطاليا في صيف ١٩١١ تجتازها الموجــة القومية الحربية التي اصابت عدواها بشدة متفاوتة جميع الاوساط السياسية والثقافية في البلاد . وكان ذلك عام الاحتفالات بالعيد الخمسيني للــوحدة الايطالية . فمنذ ربيع ١٩١٠ مع الاحتفال بتدشين تمثال الحرية ببلرمو تواصلت الحفلات والطقوس وقد توجت بمعارض تورينو وفلــورنس وروما والتدشين المــهيب لتمثال

(٢٦) نفس المصدر . يبدو ان هذه الكلمات تردد بصورة متواضعة واقل دراماتيكية الكلمــات التي القاها « دانونزيو » في « مايو الساطع » الروماني عام ١٩١٥ والتي قال فيهــا « انصتوا ان جريمة الخيانة قد اعلنت واثبتت وابلغــت ان الاسماء المشينة معروفــة والعقاب ضروري » (غابريلي دانونسيو Gabriele d'Annunzio « من اجل ايطـــاليا الكبرى » روما ١٩٤٣ ص ٨٧ ــ ٨٦) .

فيتوريو ايمانويل الثاني عند اقدام هضبة كابيتولينو بروما الذي جرى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩١١ وكانت تلك المناسبة التي القى فيها الملك خطابا اكد فيه للايطاليين : « في هذا الجمع الوطني المتحمس الذي لا يقاوم فاننا نقسم باننا نجعل ايطاليا اكثر حرية واكثر سعادة واكثر احتراما في العالم » . وبعد شهر عبر الوزير نيتي Nitti بمناسبة تدشينه لمعرض تورينو بكلمات مثل هذه :

« لقد انتهى الشتاء القاسي وبدت الزهور في قمة الشجرة » وقد لاحظ فولبي Volpi أن القول بان سلسلة الاحتفالات والخطب هذه تدفع الناس الى خشوع ديني فقط فذلك معناه انهم لا يعرفون طبيعة الايطاليين (٢٧) .

وانضمت اصوات متحمسة ونافذة الصبر الى اصوات القوميين في المطالبة بعمل حكومي حاسم يحقق حلم ايطاليا في ان لا تكون مهملة بين الدول الاوروبية وقد غدت هي ايضا مالكة لمستعمرة على البحر الابيض المتوسط تزيد من الاحساس بثقلها وبوجودها على مسرح السياسة الدولي ، وفي نفس الوقت تغسل عار هزيمة عدوه المؤلمة وخيبة الامل التي لم تنطفىء بسبب احتلال تونس التي ظلت لسنوات عديدة من اكبر اهداف سياسة ايطاليا الخارجية . ان الخوف من ان يتكرر بالنسبة — لطرابلس — ما حدث قبل ثلاثين عاما بالنسبة لتونس كان الشبح الذي استند اليه بشكل ظاهر المحرضون على احتلال ليبيا .

وان الاقتناع بان هذا الاحتلال اصبح ضرورة لازمة لا تقبل المماطلة ، قد غذته الضجة التي خلقتها الصحف اليومية بصورة خاصة في البلاد في تلك الاشهر من عام ١٩١١ . وقد انضم الى القوميين والى « ايديا ناسيونالي » كل من جوسبي بياتسا Giuseppe Piazza وجوسيبي بفيوني Giuseppe Bevione برسائلهم عن شمال افريقيا التي نشرتها « لاستامبا » « ولاتريبونا » وكذلك « جورنالي ديطاليا » «ومساجيرو » Il Messagero وريستودول كارلينو

(٢٧) جواكينو فولبي ، المصدر المذكور ص ٥١ .

Resto Del Carlino والصحف الكاثوليكية « كوريري دي ايطاليا » Corriere d'Italia التي تصدر في روما و « افنيري ديطاليا » Avvenire d'Italia التي تصدر في بولونيا اي جميع صحف الاخبار الكبـــرى باستثناء « كـــوريري ديلاسيرا » التي انحازت فيما بعد الى اتجاه الصحافة الايطالية العام .

وكانت هذه الحملة الصحفية ترمي اساسا — بناء على شهادات ووثائق تتفاوت صحتها — الى الاشادة بالاهمية الاستراتيجية والاقتصادية لطرابلس وبرقة والتشديد على خصوبتها ووفرة ثرواتها الزراعيةوالمعدنية مما كان يصور الاقليميين كهدف مثالي للهجرة الفلاحية الايطالية وخاصة الجنوبية منها . ومما يستحق الاشارة هو ان هذه الحملة الصحفية مع تفاوت لهجتها كانت تشترك في نفس الاتجاه والطابع الذي يرمي الـــى التدليل بصورة جوهرية على مبلغ الصفقة الكبرى التي قد تحققها ايطاليا باحتلال ليبيا وتاثير هذا الاحتلال الايجابي على تطور البلاد الاقتصادي . — وجميع ذلك كانت تعززه باستمرار الذكرى القديمة للحروب الصليبية ضد الاتراك ومعركة ليبانتو * وايضا صورة روما الامبراطورية وممتلكاتها الافريقية التي يمثـــل الاحتلال المحتمل عودة ايطاليا الى « الطرف الاخير من شواطىء البحر الابيض التي كانت تملكها »(٢٨) .

وهناك بعض الامثلة على هذا النوع من هذه الحملة الدعائية التي تبدو اليوم امام اعين القارىء الذي لا يستطيع ان يندمج في الجو الذي طبعت به ايطاليا في الذكرى الخمسينية تبدو مثير للدهشة والحيـــرة ، ففي الواقع هناك اكثر من علامة استفهام واكثر من شك قد يتولد في من يجتهد ان يفهم كيف ان هذا النجاح وهذا الحماس وهذه الضجة تقررها بصورة خاصة حملة

---

(٢٨) « هانحن » مقال في « لاستامبا » بتاريخ ٦ اكتوبر ١٩١١ .

* معركة بحرية كبرى دارت رحاها بين الاسطولين المسيحي والتركي في ليلة ٧ اكتوبـــر ١٥٧١ بخليج باتراس وادعى المسيحيون الانتصار على الاسطول التركي رغم ان خسائر الطرفين كانت متقاربة واستطاع الاتراك الاحتفاظ بقبرص التي كان تحريرها هدف القوى المسيحية المتحالفة (المعرب) .

راي عام كانت مليئة بالمتناقضات الكثيرة وبمظاهر كثيرة بدون قواعد اكيدة ، فتوجد صفحة معروفة لقايطانو سالفيميني G. Salvemini كرر فيها علامات الاستفهام هذه بحدة وحيوية زادها قوة طابعه البـــارع في الجدال : كتب سالفيميني يقـــول :

ان المؤرخ الذي يريد في المستقبل ان يعيد بناء هـــذه الفترة العكرة من حياتنا الوطنية عليه ان يحكم بان الثقافة الايطاليـــة في العشر سنوات الاولى من القـــرن العشرين لابد وانها انحـــدرت كثيرا الى الاسفل حيث تمكنت الصحف اليومية الكبرى والصحفيون الذين يبدون انهم من الكبار من جعل البلاد باكملها تعتقد في السخافات الفظـــة التـــي ارادت ان تبرر بها العملية الليبية وتثيرها . الا كان يوجد بايطاليا علماء جديون وذوي ضمير ماذا كان يفعل اساتذة الجامعات في الجغرافيا والتاريخ والاداب الكلاسيكية والقانون الدولي والمسائل الشرقية . واذا لم يقتنعوا لماذا تركوا البلاد ليغرر بها ؟ او انهم اعتبروا الامر غير مهم بالنسبة لهدؤهم الملكوتي ؟ ان الرد على هذه التساؤلات لن يسر جيلنا كثيرا (٢٩) .

من المؤكد ان تفسير الظاهرة التي حللها سالفيميني بصفته معاصرا ليست بالامر الهين فيجب القول ـــ ان سالفيميني لم يبـــدو انه كان يدرك التطور الذي كان يقع في اوروبا وخاصة في ايطاليا في تلك السنوات . ان الصحافة كوسيلة اعلام جماهيرية قد ولدت في ايطاليا مع مولد القرن الجديد : التطور الاقتصادي الذي عرفته البلاد في السنوات الاولى من عهد جوليتي وتناقص الامية واهتمام طبقات اكثر من الشعب بالحياة السياسية وازدياد الطبقة المتوسطة من اصحاب المهن والموظفين من سكان المدن الذين كانوا يكونون تحت مظاهر كثيرة ـــ هيكل ايطاليا في عهد جوليتي .

وكذلك تزايد ظاهرة توسع المدن ، كل هذه عوامل ساعدت على نشاة جهاز جديد قوي ليس للاعلام فقـــط وانما للاقتناع الخفـــي للجماهير وفي

---

(٢٩) قيطانو سالفيميني ، كيف ذهبنا الى ليبيا وكتابات اخرى من عام ١٩٠٠ الى ١٩١٥ بعناية اوقوستوتوري ، ميلانو ١٩٦٣ .

الخلاصة فان الصحيفة ـ اي ـ صحيفة الاخبار الكبيرة قد اكتسبت دورا واهمية لم تجربها ايطاليا من قبل . ولقد اكتسبت الصحف الايطالية في السنوات الاولى من القرن العشرين ثوبا مطبعيا جديدا واكثر حيوية وبدات تبرز العناوين الكبيرة وتزداد الخدمات المصورة وتطورت ابواب مختلف احداث الساعة واخذت تتوطد اكثر فاكثر شخصية « المندوب الخاص » والمراسل في الخارج واعطى الاهتمام بالاخبار الرياضية التي تلهب خيال القارىء المتوسط وتغذي التطرف الوطني (٣٠) كما تطورت ايضا صفحات الاعلان وولدت الصفحة الثالثة المخصصة للنقد الادبي والمسرحي الفني . وفي الخلاصة فان الصحيفة لم تعد بعد شيئا ثمينا خاصا ببعض المطلعين او لصفوة سياسية او ثقافية فقد غدت الصحيفة مع القرن الجديد مادة استهلاكية يتسع انتشارها باستمرار وتدخل في كل يوم الى المكاتب والمنازل وفي المصانع ايضا وتنجح في فتح ثغرة في العقول والضمائر وقد لاحظ البرتو كارا تشولولو Alberto Caracciolo وكان يتحدث عن الحرب العالمية الاولى ولكن كلامه كان يبدو متلائما وصالحا ايضا بالنسبة للفترة التي نقوم بدراستها فقال :

« ان من كان يعرف كيف يستفيد من الوسائل الجديدة كان في امكانه ان يكسب معارك كبيرة في تلك التي كانوا يطلقون عليها اسم الحرب النفسية Psycological Warfare التي كان في امكانها ان تدعم انفعاليا نفوسا وقوات للحصول على جهود لم تعرف من قبل (...) ان النتيجة الخارقة للوضع الجديد للاعلام والصحافة والتعليم تكمن فعلا في امكانية نقل احداث « وكلمات سر » في الحال وفي العمق لدى تجمعات كبيرة من الجماهير وحيث ان هذه

---

(٣٠) هناك امر ذو مغزى وهو انه في الوقت الذي كانت صحف « البرجوازية » والصحف القومية تعطي اهمية للاخبار الرياضية وتشجيع تطور الرياضة كانت الصحف الاشتراكية وعلى سبيل المثال صحيفة « افانتي » لسان حال اتحاد الشباب الاشتراكي كانت تدعو الشبان الى عدم الاشتراك في الاحتفالات الرياضية ثم عندما رؤى ان الشبان تستهويهم الرياضة فكروا في ابتكار « راكبي الدراجات الحمر » الذين يقومون « برحلاتهم الاجتماعية في الارياف والضواحي ويؤدون دعاية طيبة » (راجع جوسبي ماماريلا Giuseppe Mammarella اصلاحيون .. وثوريون في الحزب الاشتراكي الايطالي ١٩١٢ ـ ١٩٠٠ » ـ بادونا ١٩٦٨ ص ٢٩١) .

التجمعات كانت قابلة (...) لان تكون من خلال وسائل الاعلام الجماهيرية دائما اكثر تماثلا « في المواقف كما يقول تومبي Toynbee وبالتالي حتى في القرار والعمل ايضا » (٣١) .

ان انفجار الموافقات على الحرب ضد تركيا كان بالفعل ظاهرة محدودة في المدن وفي المراكز التي تقرأ وتنشر فيها الصحف بينما كان قسما من العمال « وجميع سكان الارياف غريبين تماما عن ذلك كما قال لويجي ايناودي (٣٢)

ولننظر الى بعض الامثلة لهذه الحملة الدعائية التي تطورت في ايطاليا ما بين ربيع وصيف عام ١٩١٢ . ولنبدأ من الموضوع الذي كان اكثر استغلالا واكثر شيوعا : وفرة الموارد الاقتصادية الليبية وهذا الموضوع كان عزيزا على نفس جوسيبي بفيوني وهو من خيرة صحافي ومحرري « لاستامبا » التي كانت تصدر بتورينو القريبة من رئيس الـــوزراء وكان يتولى ادارتها (الفريدو فراساتي Alfredo Frassati) احد انصار جوليتي .

ولم يكن بفيوني يخفي في ذلك الوقت عطفه على القوميين . فقد القى يوم ٦ فبراير ١٩١١ محاضرة عن الارجنتين لحساب الجمعـــية القومية ، وفي عام ١٩١٥ ترك صحيفة « لاستامبا » لانه لم يشارك الصحيفة موقفها الحيادي ــ وانتخب في عام ١٩١٣ نائبا عن القوميين ثم عين وكيل وزارة لرئاسة الوزارة في عهد حكومة بونومي ما بين عامي ١٩٢٢ ــ ١٩٢١ واخيرا انتهى بالانضمام الى الفاشيستية . وقد قام جوسبي بفيوني فـــي ابريل ١٩١١ برحلة الى طرابلس من حيث بعث الى صحيفته بعدة رسائل جمعها فيما بعد في كتاب (٣٣) .

---

(٣١) البروتوكاراتشولو A. Caracciolo « دخول الجماهير المسرح الاوروبي » موجود في AA. VV. « جراح التدخل » المذكور ص ٢٢ . راجع ايضـــا فاليريوكاسترونوفو « الصحافة الايطالية من الوحدة الى الفاشية » باري ١٩٧٠ ص ١٨٧ وما يليها (Valerio Castronovo)

(٣٢) لويجبي ايناودى / المصدر المذكور ص ٦٣٨ .

(٣٢) جوسيبي بفيوني « كيف ذهبنا الى طرابلس » المذكور

ـــ وكتب من درنة يوم ٨ مايو يقول :

« نخيل وزيتون وتين ولوز ومشمش وبرتقال وشجر ارز وموز ، وجميعها تملا الحقول والبساتين وتطل بغبطة من وراء الجدران القصيرة الفاصلة ما بين العقارات مثلما يطفح النبيذ الكريم من على حافة الكاس » (٣٤) .

وبعث بفيوني برسالة من طرابلس في ١٣ يونيو يصف فيها القطر الطرابلسي باوصاف جنة الله في ارضه :

« رايت اشجار توت كاشجار الزان واشجار زيتون اضخم من شجر السرو . الاعشاب الطبية تحصد اثنتي عشر مرة في العام . وتترعرع اشجار الفاكهة بصورة رائعة . اما انتاج القمح وحبوب القصب فيبلغ في المتوسط ثلاثة او اربعة اضعاف ما تنتجه خيرة اراضي اوروبا المزروعة بطريقة علمية . والشعير من اجود ما عرف وتحتكره انكلترا من أجل صناعة البيرة وتزدهر المواشي التي رغما عن الاهمال المخيف الحالي الموجودة فيه فانه يصدر منها مئات الاف الرؤوس الى مالطا ومصر . الكروم تنتج عناقيد العنب يزن الواحد منها كيلوغرامين او ثلاثة كيلوغرامات . والبطيخ ينمو بصورة لا تصدق اذ تزن الحبة الواحدة ما بين عشرين وثلاثين كيلوغراما » (٣٥) .

وفي الخلاصة فان طرابلس كما تراءت لبفيوني كانت جديرة « بما كنا نفكر فيه » وفي ٣٠ يوليو ١٩١١ وجه بفيوني من على صفحات جريدته « رسالة مفتوحة » الى جوليتي بتكليف من الفريد وفراساتي . وكانت الرسالة عبارة عن دعوة الى جوليتي للعمل ووضعه امام « مسئولياته التاريخية والسياسية » وتنبيهه الى خطر تصفيته سياسيا اذا استمر في التردد وترك الفرصة تضيع منه (٣٦) .

---

(٣٤) نفس المصدر ص ٦٣ .

(٣٥) نفس المصدر ص ١٧١ .

(٣٦) نفس المصدر ص ١٦٢ . « ان المسالة طرابلس ايها النائب جوليتي ــ اضاف بفيوني ــ مسالة داخلية لا خارجية . ففي طرابلس الكثير من الكبريت مما يعرض سيشليا للجوع اذا استولى عليها اخرون » (ص ١٦٣) .

وقد كتب بفيوني الى جوليتي في رسالته هذه قائلا : « ان هناك لحظات في حياة الشعوب حيث يجيء دور رجال السلام والاصلاح الداخلي ليتولوا دور رجال الحرب والتوسع الخارجي : لان حياة الشعوب متعددة الوجوه ورجال الدول يجب ان يكونوا قوى عالميـــة في استطاعتهم مـــواجهة وحل جميع المشاكل التي يعمل الواقع الذي لا يكل على خلقها ولو كان الثمن ان يكونوا شخصيات عظيمة مدمرة فاشلة » (٣٧) .

ونفس لهجة بفيوني نجدها لدى صحفيين اخرين مثل جوسيبي بياتسا محرر « لاتريبونا » وهو صقلي يهتم بالدراســـة الادبية والفلسفية ومرتبط بالثقافة الالمانية (٣٨) وقد ذهب هو ايضا الى طرابلس في ربيع ١٩١١ قبل ذهاب بفيوني وارسل من هناك عددا من الرسائل الى صحيفته جمعت في كتاب اطلق عليه اسما ذا مغزى وهو « ارضنا الموعودة » (٣٩) واوصاف ومخططات بياتسا تشبه كثيرا تلك التي ذكرها بفيوني والجوهر يظل واحدا : اي ان هناك في طرابلس امكانية تحقيق معجزة من « الكـــروم والزيتون والفواكه والحبوب » (٤٠) فكانت هذه الافكار عبارة عن نغمة واحدة تتكرر وتقفز من صحيفة لاخرى بلهجات تزداد افتعالا وهي نفس اللهجة التي كان كوراديني يستعملها في رسائله :

« يعتقد ان بطرابلس ثلاثة ملايين نخلة مثمرة (٤١) (...) وبرقة خصبة

---

(٣٧) المصدر المذكور ص ١٩٢ .

(٣٨) في عام ١٩١٩ تولى بياتسا رئاسة تحرير صحيفة « تريبونا » ولكن في عام ١٩٢٣ غادر الصحيفة بعـــد ان تخلى اوليدو مالاقودي O. Mallagodi من ادارتهـــا . فانتقـــل بعد ذلك الى صحيفة « جورنالي ديطاليا » تحت ادارة فيتوريو فيتوري [illegible] وظل بها حتى عام ١٩٢٦ عندما التحق بصحيفة « لاستامبا » كمراسل لها من برلين . وتولى ايضا امانة المعهد الاستعماري الايطالي وساهم في تحرير مجلة « بوليتيكا » .

(٣٩) جوسبي بياتسا « ارضنا الموعودة » رسائل من طرابلس مارس — مايو ١٩١١ . رومـــا ١٩١١ .

(٤٠) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٤١) يقول بفيوني ان طرابلس وحدها تملك مليوني نخلة (جوسبي بفيوني المصدر المذكـــور ص ١١٣) .

جدا ، فقيـــرة فـــي المياه السطـــحية وغنية بالمياه الباطنية (٤٢) (...) ومرتفعاتها الجبلية مغطاة بالغابات وبالقمح والشعير والمراعي . هناك معادن كبريت وفوسفات ومعادن ثمينة (...) والجو في برقة شبيه باغلب اجــزاء طرابلس صحي جدا والحرارة تشبه حرارة صقلية ، فهاتان المنطقتـــان اي طرابلس وبرقة هما التركة المتبقية لنا من امبراطورية روما علـــى شواطيء افريقيا » (٤٣) .

وهكذا يدخل عامل جديد يزيد من خصوبة الادب المؤيد لغزو طرابلس في عام ١٩١١ . وذلك عودة ظهور اسطورة روما الامبريالية المسيطرة على بحار وشعوب الشرق . ان الحكم الروماني الـــذي تلته « افات الحكـــم العربي والتركي » ــ يلاحظ بفيوني ــ كان ولا بد ان يخلفه « حـــكم رابع اسمى ينطلق بل يعيد انطلاقه من نفس الشواطيء التي ذهبت منها الى برقة اقوى الادارات حاملة نسور الكتائب « وذلك من اجل » اعـــادة الاوضاع القديمة واحياء الاراضي المتروكة من اجل زراعة الحبوب والزيتون ، (٤٤) وتربية الماشية والحيوانات ولتجعل من « بنتابوليس » (المدن الخمس) التي أقام فيها القدماء حدائق هسبيريدس .. لتجعل منها من جديد درة افريقيا وقرة عين البحر الابيض المتوسط . (٤٥)

وقد طرح الموضوع بشكل يثير التاثـــر ويوقظ اساطير المذهب التقليدي (كلاسيكية) ويخلق جوا من الكبرياء الوطنية وطموحات العظمة الخطيرة . ولقد ولدت الامبريالية الايطالية التي لم تعد تقتصر على الخطب وعلى مقالات

---

(٤٢) اكد بفيوني ان المياه تمتد « في طبقة متصلة من الجبل الى البحر على عمق بسيط يبلغ احيانا مترا او مترين تحت سطح الارض » (جوسبي بفيوني المصدر المذكور ص ٦٣)

(٤٣) انريكو كواrديني ، المصدر المذكـــور .

(٤٤) بخصوص شجر الزيتون لاحظ بفيوني « ان الشجيرات الكثيفة غير المنخفضة والتي يميل لونها الى الصفاء قليلا » والتي كانت تنتشر على الشواطيء فهي ليست الا « اشجار الزيتون البري الذي اوجدته جذور اشجار الزيتون الجيد الذي زرعه قدماء الرومان » (جوســبي بفيوني ، المصدر المذكور ص ٥٦ ــ ٥٤) .

(٤٥) نفس المصـــــدر ص ٥٥ .

امثال كوراديني اودي فينزي بل كظاهرة عامة ومنتشرة بين طبقة البرجوازية المتوسطة فــي البلاد . وقد قام روبرتو ميكيلس Roberto Michels بتحليل دقيق لهذه الظاهرة التي وضعت اقدامها في ايطاليا في تلك الفترة وحــاول ان يلقي قبل كل شيء الضوء على التناقض القائــم حول مطلب يستند على قانون يعود الى اكثر من خمسة عشر قرنا الى الوراء . وهو مطلب يقول عنه العالم الاجتماعي المشهور :

« انعكس على عقول اتباع المذهب الابتداعــي (رومانتيكي) ـــ ومن لم يتاثر بهذا المذهب في تلك الايام ولو قليلا ؟ ـــ وذلك مثل قانــونا عنصريا ومعنويا وترك جانبا الفاصل الزمنــي بين طرابلس الــرومانية وطرابلس التركية الذي دام اكثر من الف وخمسمائة عـــام فتجاهلوا جميع التغييرات الكبيرة العنصرية والمعنوية والقانونية والاجتماعية التي احدثتها حتميا هذه الفترة الزمنية في تنظيم شمال افريقيا وفي تنظيم ايطاليا نفسها .

وكانت الاغلبية تصدر احكامها على اساس منطق مذهل للغاية صائحين ان طرابلس كانت لنا ويجب ان تعود الينا » (٤٦) .

ـــ وجوفاني باسكولي نفسه Giovanni Pascoli * قد بدأ في تلك الايام وكانه

---

(٤٦) روبرتوميكلس R. Michels « الامبريالية الايطالية » ميلانــو ١٩١٤ ص ١١٥ .

« لواردات الامم ان تطالب بحقها التاريخي ـــ واصل ميلكس كلامه ـــ في اعادة الحدود التي كانت لها في اوقات مجدها الغابر (....) فان اوربا قد تجد نفسها في وقت قريب وقد تحولت الى ساحة صراع بربري ورجعت الى عهد هجــرة الشعــوب الهمجية .

وسوف لن يوجد شعب واحد سيدا في دياره .

وتظهر بسهولة اذن فسحة خيال البرنامج الذي يقدمه الادباء المفتونين بالسياسة وبلا شعورية الى رجال الدولة . وهذا ليس معناه اننا ننكر ان ذكرى الممتلكات القديمــة قد يكون وسيلة تاكتيكية مفيدة في اوقات حرجة في السياسة الخارجية لاشعال حماس الجماهير الشديد حتى وان كان هذا الاسلوب من الوجهة المعنوية ناقصا دائما . غير ان هذه الذكريات تشعر الجماهير بان استعمال القوة واعمال النهب المحاطة بهالة الحــق القديم ـهي عملية خداع ضرورية لاثارة نشاط الجماهير الحربي وهي المتعطشة دائما للعدالة بقدر ما هي عاجزة عن اكتشافها » (ص ١١٨) .

* شاعر ايطالي شهير (المعرب)

مسحورا بتلك الرؤيا الابداعية ــ الادبية وهي عودة روما الى الشواطىء التي كانت تملكها فيقول : يا طرابلس ويابرنيقه ويالبتس ماجنا (...) سوف ترين من جديد بعد قرون عديدة المعمرين من سلالة دوريو والكتائب الرومانية انظروا الى اعلى فهناك ايضا النسور » . (٤٧)

والغريب ان الصحيفتين الاكثر قربا من رئيس الوزراء وهما « لاستامبا » و « لاتريبونا » كانتا من بين اكبر الضاغطين على المسالة الليبية . وقد راى عدد غير قليل من الناس ومن ضمنهم سالفيميني ان موقف الصحيفتين من المكن ان يكون بتوجيه من جوليتي نفسه لخلق الجو المساعد ليقوم فيه بمبادرته التالية (الغزو) (٤٨) وبالطبع لم تنقص المقدمات لتعزيز مثل هذا الافتراض ولكن حتى الان لا توجد الادلة لتاكيد ذلك . وتحليل هذه الظاهرة بدقة على ضوء بعض الاعتبارات لا يمكن اعتماده نظرا للافتراض المذكور . فعندما سافر « بفيوني » و « بياتسا » الى ليبيا وشرعا في كتابة مقالاتهما المحرضة على الاحتلال (مارس ــ ابريل ١٩١١) كانت الاوضاع بالنسبة لاستعمال القوة الايطالية في ليبيا غير واضحة ولم تكن الحالة الدولية في تلك الفترة بالطبع مساعدة على القيام بحملة في ليبيا . فقد اكد وزير الخارجية سان جوليانو نفسه امام مجلس النواب يوم ٧ يونيو ان السياسة الايطالية « اسوة بسياسة الدول الاخرى » تقوم على المحافظة

(٤٧) نص خطاب باسكولي هذا الذي القاه يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١١ منشور في « منشا ايطاليا المعاصرة » الذي اعتنى بنشره اوتافيوباريه O. Barié روكا سان كاشانو Rocca San Casciano ١٩٦٦ ص ١٠٨ ــ ١٠٤ .

(٤٨) كتب سالفيميني « هل من المكن ان صحيفتي « لا تريبونا » و « لاستامبا » تحوكتا دون توجيه من الحكومة ؟ (تايطانو سالفيميني ، المصدر المذكور ص ٣٢٩) . ويبدو ان رفائيلي مولينيلي ايضا من هذا الراي حيث كتب « ان تحرك اول صحيفتين كبيرتين لصالح الغزو كان من قبل الصحيفتين الاكثر ارتباطا برئيس مجلس الوزراء فهذا اذا ما عرفنا الرجل والزمن لا يخلو من مغزى » ويعتبر مولينيللي بالاتفاق مع سالفيميني ان الحملة الصحافية قد افادت جوليتي « اكثر مما كان يرغبه » (رفائيلي مولينيللي ، المصدر المذكور ص ٨٩ ــ ٨٨) ويرى فولبي ان موقف صحافة جوليتي قد يكون بايحاء من جوليتي نفسه ليكون دافعا له للتخلص من اخر الترددات (جواكنيوفولبي ، المصدر المذكور ص ٤١) .

على الوضع القائم بالنسبة لسلامة الاراضي وكيان الامبراطورية العثمانية» (٤٩) ولم تبرز امكانية العمل في طرابلس الا بعد انفجار الخلاف الفرنسي ـ الالماني حول مراكش (يوليو ١٩١١) ولهذا يبدو اذن من غير المحتمل ان يحاول رئيس الوزراء تنشيط تيار الراي العام الذي لم يكن هو متاكدا من امكانية ارضائه ويعرض نفسه بذلك للانتقادات الحادة والعنيفة في حالة فرض عدم التحرك عليه .

ولا يجب ان ننسى ان جوليتي بالرغم من قدرته على مراقبة « لاستامبا » « ولاتريبونا » لصداقته بمديريهما « فرساتي ومالاتودي » فانه كان وراء مجموعات مالية وصناعية كانت تعمل دائما من وراء هاتين الصحيفتين بثقل قوي وان كان مختلفا . (٥٠)

ويكفي القول ان نجد وراء « لاتريبونا » اجهزة مثل المصرف التجاري الذي يملكه جويل Joel وايرازموبياجو Erasmo Piaggi ومصانع السكر اللومباردا الليقوري لصاحبها اميليو بروتسوني Emilio Bruzzone وهي مجموعات قامت قبل بضعة اشهر بتمويل الصحيفة الرومانية التي كانت تجتاز ازمة خطيرة .

اما فيما يخص « لاستامبا » فان دي سان جوليانو نفسه قد بعث برسالة الى جوليتي يوم ٩ اغسطس ١٩١١ ينتقد فيها لهجة الصحيفة التورينية التي تقف بصورة خاصة موقفا سلبيا من العمل الديبلوماسي الذي كان الوزير يقوم به ووصف الصحيفة بانها « وزارية في كل شيء ما عدا السياسة

---

(٤٩) وزارة الشئون الخارجية ، « ايطاليا في افريقيا » المجموعة التاريخية : « سياسة ايطاليا الاستعمارية في الوثائق والمحفوظات النيابية » ، نص جاكمو برتيكوني G. Berticone اعتنى بوضعه توليلموتوليلمي G. Guglielmi روما ١٩٦٤ ص ٨٥ .

(٥٠) لننظر على سبيل المثال كل النشاط الذي بذله جوليتي ورولاندي ريتشي في اغسطس ١٩١٠ من اجل الحصول على مساهمة تمكن صحيفة « لاتريبونا » من البقاء على قيد الحياة في » من اوراق جوليتي « المصدر المذكور المجلد ٣ ص ٣٢ ـ ١٧ . وحدث في نفس الوقت تعيين مالاتودي مديرا لصحيفة « تريبونا » وخروج لويجي رو واتوبطو فيريرو .

الخارجية » (٥١) وفعلا كان هناك ما يبرر امتعاض سان جوليانو من صحيفة « لاستامبا » فقد قامت الصحيفة بهجومات عنيفة حازمة ضد وزير الخارجية متهمة اياه بسلوك سياسة تعسة . وبلغ بها الامر الى التاكيد ان سان جوليانو كان يبدو « غير متهم » بسياسة البلاد الخارجية ودعت جوليتي الى التخلص من وزير خارجيته ومن الواضح ان صحيفة « لاستامبا » ربما كانت لا تستطيع ان تنال من شخص جوليتي مباشرة فكانت توجه هجومها الى المسؤول عن السياسة الخارجية غير ان الاتهام كان في الواقع يشمل السلوك « الجامد » لكل الهيئة الحكومية .

اما فيما يتعلق بصحيفة « لاتريبونا » فالامر الغريب انها بعد ان ظلت لفترة طويلة من بين اشد الصحف المحرضة على احتلال طرابلس قد اعتدلت في حماسها بشكل ملحوظ قبل انفجار القتال بايام لدرجة انها نشرت ثلاث مقالات لقايطانو موسكا Gaetano Mosca القى من خلالها مياها كثيرة على نيران الحماس . ولا نجازف اذا افترضنا ان تدخلا من الاعلى قد احدث التغيير في اسلوب الصحيفة الرومانية من أجل تمكين الحكومة من العمل في هدوء بعد ما اتخذ جوليتي قراره — على ما يبدو — بالعمل على الغزو (٥٢) .

ومن جهة اخرى فان رجالا لجوليتي مثل « فراساتي » « ومالاقودي » لا يجب بالضرورة ان يشاركوا رئيس الوزراء في كل عمل ومبادرة يقوم بها . وان « مالاقودي » نفسه لم يتردد ان يلاحظ عام ١٩١٥ انه بالرغم من « الاحترام والصداقة اللتين يكنهما لجوليتي فانه لم يكن متفقا معه فيما يتعلق بالتدخل الايطالي في الحرب العالمية (٥٣) ولاحظ « فراساتي بدوره

---

(٥١) نفس المصدر المجلد ٣ ص ٥٨ .

(٥٢) بخصوص تغيير لهجة « لاتريبونا » راجع مارشيلا بنكيرلي المصدر المذكور ص ٧٤ — ٤٧٠ .

(٥٣) اوليندو مالاقودي O. Malagodi حديث من حرب ١٩١٩ — ١٩١٤ نشر بعناية بونيللو فنشنزي Brunello Vigenzi نابولي ١٩٦٠ ص ٦٣ .

ان تاييده لجوليتي كان نتيجة ملاقاة في « المثل العليا » غير ان كل واحد كان يعمل في محيط نشاطه » (٥٤) .

واشار نينو فاليري Nino Valeri الى انه « من الصعب التحقق من المتانة السياسية والمعنوية للولاء الذي ربط اتباع جوليتي الاكثر التزاما برئيسهم بحيث ان الحكم على هذا الولاء يبدو بدون شـك غير سليم . اما بالنسبة للمبالغة في الاطراء الذي لم يغربل بصورة انتقادية واما بسبب التخوف لمن لا يريد ان يبدو عميلا ويميل الى الانتقام عمدا او عفوا لعمالته حتى سنحت له الفرصة » (٥٥) .

وفي هذا التحليل للدور الذي لعبته الصحافة اليومية في سبيل تحقيق الحملة الليبية لا يمكن التقليل من اهمية موقف صحيفة جديدة نسبيا ظهرت في ميدان الصحافة الوطنية الا وهـي صحيـفة : « كوريري ديطاليا » Corriere d'Italia وهي صحيفة رومانية اسست عام ١٩٠٦ وفرضت نفسها في ميدان الصحافة ذات الاتجاهات الكاثوليكية بصفتـها صحيفة من نوع عصري ذات خدمات ومراسلات واسعـة وجديدة كلية بالمقارنة مع تقاليد الصحافة الكاثوليكية فيما بعد الوحدة . ولا يجب اهمال الامر من ان هذه الصحيفة الجديدة قد حاولت ان تنطق ــ داخل الميدان الكاثوليكي ــ باسم السياسة الرامية الى تحطيم التطرف الاحتجاجي القديم واشراك الكاثوليك في النظام السياسي لدولة الاحرار (ليبرالية) ، مقتربة من الميول المعتدلة لرجال مثل تيتوني Titoni اوكاميروني Cameroni وقد ايدت الصحيفة تدخل الكاثوليك فـي الانتخابات السياسية لعام ١٩٠٩ . وقد تـولى باولوماتي جنتيلي Paolo Mattea Gentile ادارة الصحيفة عام ١٩٠٨ بعـد ان عمـل فيما بعد في الجناح الايمن للحزب الشيوعي وانضم الى الفاشيستيةحيثتولى

---

(٥٤) الفريد فراساتي A. Frassati « جوليتي » فلورنس ١٩٥٩ ص ٩ . بخصـوص ملاقات فراساتي بجوليتي راجع فاليريو كاسترونونو المصدر المذكور ص ٨٧ ــ ١٨٢ .

(٥٥) نينوفاليري Nino Valeri مقدمة الى جوفاني جوليتي « خطابات خارج البرلمان تورينو ١٩٥٢ » ص ٦١ ــ ٦٠ .

وكالة وزارة العدل عام ١٩٢٥ ثم عين عضوا في مجلس الشيوخ عام ١٩٣٤ ودخلت صحيفة « كوريري ديطاليا » في اتحاد الصحف الكاثوليكية التي كان يتراسه جوفياني قروسولي (٥٦) Giovanni Grosoli وهي بالاشتراك مع صحف اخرى من هذه السلسلة مثل صحيفة « افنيري ديطاليا » الصادرة ببولونيا . والتي كانت مناشد المؤيدين للحرب الليبية لدرجة ان الكثيرين راوا وراء هذه الصحافة الكاثوليكية ووراء « كوريري ديطاليا » بصورة خاصة ظل بنك روما . ولا شك انه بالنظر للروابط القائمة ما بين بنك روما والراسمالية الكاثوليكية الرومانية من جهة وما بين هذه الاخيرة وصحيفة « كوريري ديطاليا » من جهة اخرى فانه لابد ان تاثير هذه الاوساط على الصحيفة كان موجودا (٥٧) . وفي تقرير بعث به قنصل ايطاليا بطرابلس بستالوتسا Pestalozza بتاريخ ١٥ اغسطس ١٩١١ الى دي سان جوليانو لم يخف

---

(٥٦) الصحف الكاثوليكية التي انضمت الى الاتحاد (الشركة الرومانية للنشر) كانت «كوريري ديطاليا» الصادرة بروما و «افنيري ديطاليا» الصادرة ببولونيا و «ايطاليا» الصادرة بميلانو ، و «مومنتو» الصادرة بتورينو و «ميساجيرو توسكانو» الصادرة في بيساو و«كوريري دي سيشليا» الصادرة ببلرمو . « الان الامر يتعلق بصحافة : لاحظ تابريلي دي روزا — لا علاقة لها بالصحافة القديمة المتطرفة : فهي الصحف اليومية الكبيرة العصرية من حيث انها حرة وملحة ومهتمة جدا بالمشاركة في مشاكل الحياة الايطالية ولا تركز على المسالة الرومانية وتؤيد ترشيحات الكاثوليك السياسية (تابريلي دي روزا ، المصدر المذكور مجلد 1 ص ٥٤٠ — ٥٣٩) . بخصوص مولد صحيفة « كوريري ديطاليا راجع فرانشسكو مالجيري « الصحافة الكاثوليكية بروما من عام ١٨٧٠ الى ١٩١٥ « برشا ١٦٩٥ ص ٣٠ — ٣٢١ .

(٥٧) بخصوص مساعدة بنك روما لصحيفة « كوريري ديطاليا » فقد دار الحديث منها في فترة الحزب الشعبي . وقد اعزى فرنشيسكو لسويجبي فيراري F. L. Ferrari تمويل صحف الاتحاد الى بنك روما والى اصحاب مصانع السكر (تم حل اتحاد الصحف الكاثوليكية في سبتمبر سنة ١٩١٨) . (فرانسكولويجبي فيراري « العمل الكاثوليكي والنظام » فلورنس ١٩٥٨ ص ٣) وكتب البرتو دي ستيفاني A. De Stefani ايضا يؤكد ان بنك روما كان يمول صحيفة « كوريري ديطاليا » (البرتو دي ستيفاني « فوضى مصرفية » ميلانو ١٩٥٧ ص ٢٨١ ، راجع ايضا دي روزا « المحافظون الوطنيون » المذكور ص ١٠٣ وما يليها) ومع عدم امكان نفي مساعدة بنك روما لصحيفة « كوريري ديطاليا » وصحف اخرى بالاتحاد الكاثوليكي وذلك حتى بالنسبة

الروابط القائمة ما بين الاستاذ تشيبوليتي Cipolletti مندوب « كوريري ديطاليا » والكمندتور بريشاني (مدير بنك روما بطرابلس) الذي كان يعمل من أجل « بقاء الحملة القومية حية » (٥٨) وقامــت صحيفــة « كوريري ديطاليا » بنشاطها الدعائي لليبيا حسب الاساليب التقليدية المتكررة اكثر من مرة : الشكوى من العداء التركي ، ثـروات الاراضي الليبية ، ضروة قيام الحكومة بسياسة حازمة والاشادة بالنشاطات الايطالية في ليبيا ، ووصل الامر بالصحيفة عند منتصف سبتمبر الى الشكوى من الملك نفسه لانه معارض لرغبة الحكومة والبلاد :

« تشير بعض الجهات الـى ترددات وحيرة قد تعرقــل عمل الحكومة الايجابي وانها ناتجة عن نصيحة بناء علــى التحريات التــي جرت لدى الحكومات الاوروبية وان تردد رئيس الوزراء قد يعود الى عدم تشجيع الجهات العليا له وقد اردنا الاشارة على سبيل العلم الى ما يتكررفي هذا الصدد في بعض الاوساط السياسية ونظرا لخطورة الامر فاننا نتردد في ضمان صحتها حيث أنه من الصعب الاعتقاد ان الارادة العامة لامة تطالب بضمان مستقبلها السياسي والاقتصادي من الممكن ان تواجه برفض اشخاص تلجا اليها نفوس البلاد الواثقة في امل الحصول على حمايتها القوية » (٥٩) .

ولم تختلف بقية صحف المجموعة التي يتراسها فروسولي مثل « مومنتو » التي كانت تصدر بتورينو و « لافنيري دي ايطاليا » . التــي كانت تصدر ببولونيا والتي شنت في ٥ يوليو حملة عنيفة ضد دي سان جوليانو وبلهجة

للفترة السابقة ومع هذا يجب الملاحظة ان « شركة النشر الرومانية » كانـت صحفها في تلك السنوات تواجه صعوبات ماليــة جمــة . راجع قابــريلي دي روزا » تاريخ الحركة الكاثوليكية بايطاليا » المصدر المذكور مجلــد ١ ص ٤١ ــ ٥٣٩ . وبخصوص صحيفة « افنيري ديطاليا » راجع لورنسويدسكي Lorenzo Bedeschi مغزى واهداف اتحاد فروسولي منشور في راسينا بولتيكادي استوريا Rassegna Politica Di Storia يونيو ١٩٦٤ ص ٢٤ ــ ٧) .

(٥٨) اليساندرود اليساندرو ، المصدر المذكور ص ٥٠٥ .

(٥٩) « كوريري ديطاليا » ١٤ سبتمبر ١٩١١ .

واسلوب صارم وفي حدود ــ اللياقة . ان الضعف والجمود الايطالي تجاه تركيا ــ حسب قول الصحيفة البولونية ــ كان الدليل على « سياسة الوزير دي سان جوليانو الخارجية المشؤومة » ولذلك « فان اليوم الذي ينزل فيه النائب المحترم دي سان جوليانو وهو رجل موهوب ولكنه لا ينتج بسبب مرض تصلب الشرايين الذي حطمه والتهاب المفاصل الذي لا يرحمه ــ يوم ينزل من درج الكونسولتا (وزارة الخارجية) بخطوات المتقاعد فسيكون ذلك اليوم يوم ارتياح وامل لايطاليا » (٦٠) .

وكانت صحيفة كوريري ديلا سيرا اخر كبريات صحف الاخبار التي دخلت في جوقة الدعاية لصالح العملية الليبية ويفسر لويجي البرتيني Luigi Albertini هذا السكوت في اول الامر بتمسك « الكوريري بتقاليدها في « معارضة المغامرات الاستعمارية » ثم لاقتناعها الضئيل بفائدة احتلال ليبيا من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية (٦١) . ويؤكد البرتيني ان ما جعله يحطم التردد ويقتنعه بمناسبة تاييد الحملة الليبية هو تدخل عوامل تقدير سياسية ومعنوية والتحقق بانه في تلك الفترة « لم تعد هناك امكانية الخيار

---

(٦٠) « اهانة تركية جديدة » منشورة في « افريزي ديطاليا » ٥ يوليو ١٩١١ . بخصوص صحيفة « مومنتو » راجع ماسيمو سالفادوري Massimo Salvadori « الحركة الكاثوليكية بتورينو » ١٩١٥ ــ ١٩١١ تورينو ١٩٦٩ ص ٤٨ ــ ٤١ .

(٦١) « ان اوضاع البلاد الداخلية السياسية والمالية ــ كتب البرتيني ــ وشعورنا بالتزامات نحو الجنوب والجزر قبل المناطق الاستعمارية والاقتناع بعدم تحريك وسائل دفاعنا في اتجاه النمسا التي ولابد من الصراع معها عاجلا ام آجلا وكذلك قلة مياه الاراضي الليبية واستحالة توجيه تيارات الهجرة اليها كل ذلك دفعني في صيف ١٩١١ الى التامل حول الطرق التي يجب اتباعها . وكنت مترددا حول فوائد الاحتلال المادية وحول الفوائد العسكرية . فلم اكن اعتقد اذ ذاك كما لا اعتقد اليوم في النظريات الكثيرة المنتشرة حول ما يسمونه « بالمفاتيح » * وحول المزايا التي سوف يتحصل عليها مركزنا في البحر الابيض المتوسط بعد احتلال الموانىء الليبية . فان ما يبدو لي ان ايطاليا بدلا من أن تتقوى فانها ستضعف بعد وضع اقدامها على الاراضي الافريقية (لويجي البرتيني « عشرون عاما من الحياة السياسية » . القسم الاول مجلد ٢ : ١٩١٤ ــ ١٩٠٩ بولونيا ١٩٥١ ص ١١٣)

ما بين طريقين فلم يعد في امكاننا التخلي عن ممارسة حقــوق اتمنا عليها معاهدات وصداقات » (٦٢) .

وان الحجج التي يقدمها البرتيني لتفسير تحول صحيفة « كوريري ديلا سيرا » ممكن قبولها بصورة عامة حتى ولــو انه مــن المناسب البحث عن اسباب يبدو ان البريتني يريد السكوت عليها .

ولم يشر مدير « كوريري » ، الى عملية الاقتناع التي بذلها معه بالحاح مراسله في رومــا النائب اندريا توري Andrea Torre من رجــال السياسة والصحافة المرموقين وصديق لسونينو Sonnino الــذي عمل معه كرئيس لمكتب الصحافة بوزارة الداخلية في الفترة التي تولــى فيها سونينو رئاسة الوزارة في عامي ١٩٠٩ ـــ ١٩١٠ ، وكان اندريا توري هــذا من معارضي جوليتي حتى ولو انه عام ١٩١٠ جاء ذكره كمرشــح لتولــي ادارة صحيفة « لاتريبونا » بفضل مساعدة لوتساني (٦٣) ثم غدا فيما بعد من مناصري التدخل في الحرب الكبرى المتحمسين . وقد حاول منذ شهر يوليو ١٩١١ ضم البرتيني الى مواقع المؤيدين لطرابلس (لعملية الغزو) ذاكرا له ان عناصر كثيرة من بينها تغيير السفير والقنصل في اسطمبول وطرابلس تبعث على الاعتقاد « ان احتلال طرابلس لم يعد بعيدا » (٦٤) .

وكان اكثر حزما في رسالة اخرى مؤرخة في ٢٤ اغسطس سنة ١٩١١ لوح فيها بالخطر في انه اذا ظلت الحكومة بدون حراك فذلك معناه « كارثة ضخمة » وان ايطاليا ستصبح « سويسرا بحرية » متى ستبدؤون ؟ ـــ يتابع توري ـــ لا يجب اضاعة الوقــت لقد تخليت عــن الجبل لاكون هنا فوق الثغرة . واضيف ان الحملة اذا ما سارت بصورة باهرة ستفيد « الكوريري » كثيرا واني ابــدأ من مشكلة مراكش ومن تحقيق فــرنسا لحلمها القديم في

---

* مراكز استراتيجية تتحكم في منطقة معينة . (المعرب)

(٦٢) نفس المصــدر ص ١١٥ .

(٦٣) راجع « من اوراق جوليتي » المذكور مجلد ٣ ص ٣٠ ـــ ٢٤ .

(٦٤) لويجبي البرتيني « مراسلات » ١٩٢٦ ـــ ١٩١١ نشر بعناية اوطانيوباريه O. Barié ميلانو ١٩٦٩ مجلد ١ ص ٧ ـــ ٦ .

امبراطورية افريقية على البحر المتوسط . هل نحن متفقون ؟ واني اعود الى المحادثات التي جرت بيننا في مونتي كايتني . واكرر لك انني تحققت من كل شيء من اساسه » (٦٥) .

ليس هناك شك في ان قوات اخرى سياسية واقتصادية كانت تعمل وراء « توري » (٦٦) فعلى سبيل المثال كان هناك « سونينو » وحسب شهادة جاكمودي مارتينو كان دي سان جوليانو نفسه يضغط على «توري» كي يعمل على ضم صحيفة مثل « كوريري ديلاسيرا » الى جانب المحرضين على الغزو من اجل التغلب على تردد جوليتي ويذكر دي مارتينو نفسه ان توري تولى خلال صيف عام ١٩١١ « عملية اقناع لدى صحيفته ، وان « دي سان جوليانو من جهة اخرى كان ينتظر بفارغ الصبر تعديل موقف الكوريري الجديدوقد اكد للنائب توري ان تغيير اتجاهالصحيفة سيكون له اثر كبير على قرارات جوليتي » وعندما استطاع توري يوم ١٠ سبتمبر نشر اول مقالاته المؤيدة للغزو طار سان جوليانو من الفرح وفي اتصال تليفوني معه من « فيوجي » يقال انه اكد له « في امكانكم ان تعتبروا ان آخر الصعوبات قد تم اجتيازها وان الامر سيتم واشكركم باسم بلادنا » (٦٧) .

وقامت صحيفة « كوريري ديلاسيرا » بحملتها الصحافية التي بداتها في ١٠ سبتمبر بذكاء واعتدال وليس من السهل العثور في مقالات هذه الصحيفة على المبالغات والتاكيدات المغالى فيها التي كانت تنشر في الصحف الايطالية الاخرى .

وكانت المواضيع التي عالجتها الصحيفة تتناول بصورة خاصة السياسة

---

(٦٥) نفس المصدر، ص ٧ — ٨ . مسودة هذه الرسالة محفوظة في A.C.S., C.T. b. 1, f. IV. « مراسلات سياسية » بتاريخ ٢٥ اغسطس ١٩١١ .

(٦٦) « عالم المصارف والصناعة والصفقات ينتصر » تاملوا في ذلك « كتب توري الى البرتيني في الرسالة المذكورة بتاريخ ١٩ يوليو (لويجبي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص٦)

(٦٧) جاكمودي مارتينو المصدر المذكور ص ٢٨٣ حاشية .

الخارجية وضرورة عدم الوقوف جامدين متفرجين على توسع المستعمرات الفرنسية والالمانية .

« أن الاتفاق الالماني — الفرنسي — كتب توري يقول — اعطى لافريقيا تنظيما جديدا لاندري الى متى سيدوم — وليس من مصلحة فرنسا ولا انجلترا ولا المانيا ان تعكر هذا الوضع بل ستعمل لكي لا يقوم الغير بخلق احداث جديدة تربكه .

فمن المناسب ان نعمل اليوم لا في الغد . اليوم يجب ان تحدد المسالة الطرابلسية ولا نتاخر بدون سبب ولا نؤجل بدون ان نصل الى نتيجة مثيرين تركيا بالادعاءات ولا نحقق ما نصرح به وهي حقوقنا » . (٦٨)

ونفس الاشادة بالموارد الاقتصادية الليبية جاءت بلهجة اكثر اعتدالا من غيرها ولم تنس الصحيفة الاشارة الى العمل الصعب الذي ينتظر ايطاليا لاستثمار الاراضي الجديدة (٦٩) . وعندما دعى توري في منتصف سبتمبر لصياغة مقال يؤكد فيه عدم وجود علاقة بين العملية الليبية والتحركات المحتملة في البلقان ، كتب رسالة الى البرتيني مؤكدا بانه لا يشعر في صميمه بانه في امكانه كتابة مواضيع مثل هذه لا يؤمن بها ضاربا بذلك المثل الاعلى على جدية ملحوظة للمهنة « لا نستطيع ابدا القول — كتب الى البرتيني يوم ١٥ سبتمبر — (..) اننا بذهابنا الى طرابلس لن نتسبب في اي انعكاسات في البلقان . من يضمن ذلك ؟ ان الحكومة تقول لا ولتتحمل هي المسؤولية » (٧٠)

ومما لا شك فيه — على كل حال — ان الثقل الذي احدثه انضمام

---

(٦٨) اندرياتوري « وقت الحلول » منشور في كوريري ديلاسيرا » ١٠ سبتمبر ١٩١١ بخصوص التكييف الذي اعطاه توري لحملة الصحافة لصالح الاحتلال المتعارض مع اراء البرتيني راجع اوتافيو باريه « سياسة كوريري ديلاسيرا » الوطنية منذ حرب ليبيا الى الحرب العظمى » منشور في مجلة « ريسور جيمنتو » اكتوبر ١٩٦٨ ص ١٧٣ .

(٦٩) راجع اندريا توري « قيمة طرابلس » منشور في « كوريري ديلاسيرا » ١٥ سبتمبر ١٩١١ .

(٧٠) لويجيي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ١١ . الرسالة مؤرخة في ١٥ سبتمبر .

صحيفة كوريري ديلاسيرا للعملية الليبية كان عظيما وقد احدث بالطبع اثرا لا يستهان به في القرارات اللاحقة التي اتخذها جوليتي . وان انضمام اكبر صحيفة معارضة لنظامه الى المحرضين على الحملة العسكرية كان ولا بد وان يرضي جوليتي الذي كان دوما شديد الحساسية للمسائل الداخلية وان يبرهن له على ازدياد ضيق ميدان المعارضين للحملة الليبية .

وكان جوليتي لا يجهل اي قوى سياسية واقتصادية وثقافية كانت تعمل من وراء صحيفة ميلانو — وكان يعلم جيدا انه الى جانب البرتيني كان هناك مجموعة الاحرار ومن بينهم واحد من اكبر خصومه السياسيين : سدني سونينو (٧١) . ولا بد ان جوليتي قد شعر بتغطية اكبر لموقفه بعد الموقف الجديد الذي اتخذته صحيفة لويجبي البرتيني (٧٢) . وبدخول « كوريري

---

(٧١) بخصوص معارضة « كوريري ديلاسيرا » لجوليتي ، راجع جامبيرو كاروتشي Giampiero Carocci المصدر المذكور ص ١٣٠ — ١٢٣ وكذلك اوتافيوباريه « لويجبي البرتيني» و «كوريري ديلاسيرا» ومعارضة جوليتي منشورة في مجلة «اكليو» يناير ١٩٦٨ « مساء امس كتب لي سونينو — اكد توري في رسالته المذكورة المؤرخة في ١٥ سبتمبر (..) وهو ايضا يمدح ويشجع على الاستمرار ثم يدعونني الى « روميتو » لرغبته في محادثتي . « وقد تجاوز سونينو بهذه المناسبة خلافاته مع جوليتي وذلك لموافقته على سياسته الاستعمارية : راجع البرتو برقاميني Alberto Bergamini «جوليتي وسونينو» منشور في « اوسرفاتوري بوليتيكواي لتراريو Osservatore Politico E Lietterario يوليو ١٩٥٨ وقد اهداه الى « جوفاني جوليتي بعد ثلاثين سنة » ص ٨٩ وما يليها .

(٧٢) لاحظ « سالفيميني » نفسه اهمية الموقف الذي اتخذته صحيفة « كوريري ديلاسيرا ». ففي رسالة الى كارلو بلاتشي بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩١١ اكد « انك على حق عندما كتبت ان ممارسة السياسة من على اعمدة « لافوتشي » اسهل من ممارستها بوزارة الخارجية . ولكن انتبه انه من السهل ايضا القيام بها من على اعمدة « كوريري ديلاسيرا » مع الفارق ان سياسة « كوريري ديلاسيرا الخارجية اعظم بكثير من سياسة « لافوتشي » فاذا صحنا طالبين الحرب ضد تركيا فان تركيا لا تشعر بذلك . اما صيحات « الكوريري » الى الحرب فهي اهم بكثير . (فايطانو سالفيمني « اوراق » مجلد ١ : ١٩١١ — ١٨٩٥ وضع بعناية الفيراجنتريللي Elviragingarelli ميلانو ١٩٦٨ ص ٥٠٣ — ٥٠٢) بخصوص صحيفة « كوريري ديلاسيرا » والحرب الليبية راجع ايضا اوتافيوباريه سياسة « كوريري ديلاسيزا » الوطنية من عام ١٩٠٨ الى الحرب الليبية نشر بمجلة « ريسورجيمنتو » يونيو ١٩٦٨ ص ١٠١ — ٩٠ .

ديلاسيرا » الى جانب محرضي العملية الليبية فان انضمام كبريات صحف الاخبار الى صالح احتلال ايطاليا لليبيا كاد ان يكون كاملا .

ويتبقى دراسة مواقف الصحافة في جنوب ايطاليا التـي كانت حساسة بصورة خاصة بالنسبة للعملية على امل ان الاحتلال الجديد قد يفيد في حل مشاكل الجنوب ويجعل منه الجسر الطبيعي ما بين المستعمرة والوطن الام وان تمتص المستعمرة الهجرة الجنوبية . ولم تبتعد صحيفتا « الماتينو » Il Mattino وصحيفة « روما » الصادرتان في نابولي — كثيرا عن المواضيع التي نوقشت على المستوى الوطني ولا عن اللهجة العامة لصحافة الاخبار . فقد كانت الصحافة الجنوبية حاضرة ولكنها لم تكن حاسمة فابرزت صحيفة « روما » بصفـة خاصة ثروات ليبيـا الضخمة بينما ضغطـت صحيفة « الماتينو » على طابع العملية كتوطيد للسياسـة الخارجية . والصحيفتان الكبيرتان النابوليتان كانتا ايضا في شهـر سبتمبـر عام ١٩١١ طافحتين بالمقالات المحرضة للحكومة الايطالية على العمل وانهاء التردد .

« ان السياسة المنزلية — كتبت صحيفة «روما» في ١٠ سبتمبر — قد تكون شيئا عظيما بالنسبة لايطاليا ذات المشاكل الداخلية الكثيرة والعاملة على تحقق الكثير من الاصلاحات والتي عليها ان تعالج جـروحا مؤلمة كثيرة . ولكن ايطاليا لا تستطيع ان تنسلخ عن بقية بلاد العالم ولا ان تسلك حياة انزواء وعزلة دون التطلع الى ما وراء البحر الذي يحيط بهـا . ان حياتها مرتبطة بحياة غيرها من الامم ويجب ان تتحرك وفقا للحركة التي كانت تدمغ كل النظام الكوكبي الاوروبي » .

ولفـت صحيفـة : ماتينـو » لصاحبهـا ادواردو مسكـارفـوليـو Eduardo Scarfoglio المعروفبعطفه على القوميين — النظر اكثر من مرة الى غسل عار عدوه من خلال منعطف حاسـم في سياسة البلاد الخارجية :. منعطف ظل منتظرا بصورة « محمومة » لعله يكون جديرا بدولة عظيمة تنفق ٦٠٠ مليون في العام على جيشها وبحريتها » . (٧٣)

---

(٧٣) « المـاتينـو » ١٤ — ١٣ سبتمبـر ١٩١١ .

وفي يوم ٢٧ سبتمبر ١٩١١ عشية الحرب عندما لاح ان قرار الحكومة اصبح اكيدا فقد استطاعت صحيفة « ماتينو » ان تهلل وان تحي غسل العار الوطني الذي طال انتظاره .

« بعد مرور خمسة عشر سنة على معركة عدوه ، خمسة عشر سنة من الانتكاس العميق القينا خلاله بالسلاح في حين ان جميع من حولنا كان يعد الدروع ويشحذ السيوف ولكن هكذا في أحاك واتعس لحظة عندما كانت تلك الديماغوجية (سياسة تملق الجماهير) التي ارادت واتمت تجريد الوطن من رجولته وقت توليها الحكم ، فان انتفاضة الضمير الوطني وارتعاش الجسم الذي لا يخضع للموت قد جر اكثر الحكومات ترددا ازاء ردود الفعل هذه واعجزها عن العمل بسبب روابطها السياسية » .

وصحيفة سكارفوليو (ماتينو) هذه ستكون فيما بعد على كل من اشد النقاد ومن انبه الحاكمين على سلوك الحرب حيث لم تتردد عندما سنحت لها الفرصة من التنديد بالاخطاء المفترضة او بضعف الحكومة . واشتهر خلافها حول طبيعة وشروط معاهدة الصلح مع تركيا الموقعة في اكتوبر سنة ١٩١٢ (٧٤) .

وكانت صقلية المكان الذي نظر فيه الى احتلال ليبيا بامال كبيرة اكثر من اي مكان آخر وذلك لخلاص الجنوب . فرجال مثل فيرقا Verga (٧٥) وكبوانا Capuana لم يخفوا حماسهم غير ان الجزيرة وجدت في احد

---

(٧٤) راجع ص ٥٩ — ٣٥٧ . بخصوص الصحيفة النابولياتية الاخرى الهامة «لابروباغندا» لسان حال الاشتراكيين راجع ص ٢٥ — ٢٢٣ .

(٧٥) حي « فيرقا » بمناسبة راس عام ١٩١٢ من على صفحات « جورنالي ديطاليا » حي « الجنود الشجعان » الذين كانوا « يرفعون عاليا اسلحتهم فوق اثار روما المجيدة » وعبر لويجبي عن تضامنه « مع ابناء ايطاليا البواسل » الذين كانوا يقاتلون في اراضي طرابلس وحيا في « عملية الغزو الليبية اعظم مولد لضمير أيطاليا (راجع اميليوسكاليوني Emilio Scaglione « الربيع الايطالي ») مقتطفات من اجمل صفحات الحرب الايطالية — التركية نابولي ١٩١٣ ص ٣٠٧ .

الاشتراكيين جوسبي دي فليتشي جوفريدا Giuseppe De Felice Giuffrida اشد المؤيدين لعملية الغزو وكان دي فليتشي يرى في احتلال ليبيا امكانية تخلي صقلية عن مركزها كملحق للامة وان تغدو بالعكس المركز الجغرافي للبحر الابيض المتوسط .

وقالت صحيفة « كوريري دي كتانيا » Corriere Di Catania الناطقة باسم واراء دي فليتشي الذي سافر الى طرابلس بعد نشوب القتال وارسل الى صحيفة كتانيا برسائله من هناك :

« باحتلال ايطاليا لطرابلس ــ كتب دي فليتشي على صفحات « كوريري دي كتانيا » بتاريخ ٢٧ اكتوبر يقول سيتغير النظام الاجتماعي ايضا ويتعدل ويتطور ويتخذ شكلا عنصريا آخر ويقوم بمهام اقتصادية جديدة : سيشليا والجنوب لن يبقيا بعد الان فيما وراء حدود المهام الحيوية لحياتنا الاجتماعية بل سيكونان بدورهما جسرا للمرور ما بين تجارات بلادنا الجميلة الاكثر تطورا وتلك التي اخذوا يطورونها في بلاد اوسع واغنى من الارض الايطالية باربعة اضعاف » (٧٦) .

وموقف دي فليتشي بالرغم من اللهجة التي تشتم منها في بعض الاحيان الرائحة القومية يجب ان يوضع قبل كل شيء في اطار هذا الامل الحي .. في اطار ان شيئا ما سيتغير ، وان احتلال ليبيا سيضع مصير الجزيرة المحزن على منعطف هام . ان الرجل الذي قاد ثورة الفاشية الصقلية كان يامل حقا في خلاص سيشليا . ولكن لهجته تغيرت فيما بعد تجاه طريقة سير الحرب في الميدان العسكري بسبب الصفقات التي كانت تدور حولها وبسبب سياسة القمع ضد العرب مما افقد العملية مغزاها كعمل تمدني . ولا شك في ان دي فيلنشي ايضا « وكوريري دي كتانيا » قد ساهما في تغذية الامال

(٧٦) مذكور في كتاب الفيوكارا Alfio Carra سيشليا الشرقية منذ الوحدة الى الحملة الليبية » كاتانيا ١٩٦٨ ص ٢٣٢ . بخصوص موقف شخصية سيشليه اخرى مرموقة لويجي ستورسو راجع ص ٢٥٤ ــ ١ ــ حاشية ١٣٨ .

والحماس اللذان طبعا فترة عشية الحرب الايطالية التركيـــة ، وان كانت هذه المساهمة لا تخلو من بعض الاخـــتلافات المنحصرة تقـــريبيا في نطاق المصالح الاقليمية .

فالصحافة اذن قامت بدور هام في احداث الحرب التركية الليبية . وكتب فيكو مانتقاتسا Vico Mantegazza على صفحات « جورنالي دي ايطاليا » يوم ٢٧ اغسطس يقول ان « مهمة الصحافة » كانت في تلك اللحظة « اكثر من اي وقت » هي :

« المحافظة على بقاء القضية حية ومعارضة سياسة التنويم التي تهيء بواسطتها اقسى خيبات الامل واليقظات المحزنة التي عرفت في تاريخ بلادنا الافريقـــي باسمى تونس وعدوه ولا اراد الله ان نضيف اليها طـــرابلس ايضا » (٧٧) .

اما اذا كان هذا العمل قد اثر ام لم يؤثر في قرار الحكومة فقد نوقش ذلك كثيرا وسنعود الى دراسته فيما بعد . وهنا من الممكن التاكيد انه مهما كانت النتيجة العملية للحملـــة الصحفية فان امرا واحدا يظـــل اكيدا : وهو ان الصحافة قد ساهمت في خلق جو تربص انفعالي في البلاد وان خيبة الامل في ذلك الوقت كانت تكون خطرا كبيرا على بقاء حكومة جوليتي نفسها .

ولم تكن الصحافة اليومية هي وحدها التي كانت تقوم بنشـــاطها لصالح الاحتلال الليبي . لقد اجتاحت ايطاليا عام ١٩١١ موجة من المطبوعات : كتب، وكتيبات ، وكراسات جميعها تدور حول نفس الموضوع وغالبا ما كانت عبارة عن كتب رحلات وشهود عيان وتحاليل سياسيـــة واقتصادية ومجموعات مقالات او خطب سبق نشرها . وهذه المطبوعات لا تقدم في الواقع باستثناء

---

(٧٧) « طرابلس ومحالفاتنا » مقابلة في صحيفة جورنالي دي ايطاليا ٢٧ اغسطس ١٩١١ . وكتبت صحيفة « روما » في ١٣ سبتمبر (٠٠٠٠) « اذا ارتفـــع العلـــم الايطالي خفاقا في يوم من الايـــام على طـــرابلس وبنغـــازي فهذا سيكـــون نتيجـــة للدفـــع الكبيـــر التي قدمتـــه الصحافـــة الايطاليـــة في سبيـــل هذه العمليـــة » .

البعض منها العناصر لاي تقييم جديد او مبتكر ولكنها تدخل هي ايضا في الجو الذي خلق عام ١٩١١ حول المغامرة الليبية . فمطبوعات من هذا النوع تعززها اقوال شهود حول الحرب ظلت تصدر بشكل غير عادي حتى عشية الحرب العظمى (٧٨) . ولم تشذ عن هذا الجو سوى بعض المجلات التي كانت

---

(٧٨) ان وضع احصاء شامل عن جميع الانتاج المطبعي الخاص بليبيا والحرب الايطالية ـ التركية الذي ظهر ونشر ما بين عامي ١٩١١ ـ ١٩١٢ لهو امر يكاد يكون معقدا . وعلى كل نعتبر الجدول التالي على سبيل الارشاد يعطي فكرة عن عدد المطبوعات الملحوظ التي صدرت حول الموضوع في العامين المذكورين : قوالتيري كاستيلاني Gualtieri Castellani « تونس وطرابلس » المذكور ، انريكو كوراديني Enrico Corradini « ساعة طرابلس » المذكور ، نفس المؤلف « ارادة ايطاليا » نابولي ١٩١١ انريكوليوني Enricoleone « توسع ومستعمرات » روما ١٩١١ ، ج. مانتوفاني G. Mantovani « ليبيا » ميلانو ١٩١١ ، فيتوريو نازاري Vittorio Nazari « طرابلس . انطباعات حول رحلة » روما ١٩١١ ، جوسبي بياتسا G. Piazza « ارضنا الموعودة » المذكور ، دومينكوتومياتي Domenico Tumiati « طرابلس » ميلانو ١٩١١ ، ش . البيريتشي C. Albericci « مع جنودنا في ليبيا » مونزا ١٩١٢ ، باتشي باتشي Baccio Bacci « الحرب الليبية كما تصفها رسائل المقاتلين » فلورنس ١٩١٢ امليتوباتاليا Amleto Battaglia « ليبيا . طرابلس وبرقة » مانتوفا ١٩١٢ ، جوسبي بفيوني G. Bevione « كيف ذهبنا الى طرابلس » المذكور ، تشيزاري كاوسا Cesare Causa « الحرب الايطالية التركية » فلورنس ١٩١٢ توسطافوكوين Gustavo Coen « ايطاليا في طرابلس » ليفرنو ١٩١٢ ، انريكوكورادينى E. Corradini « احتلال طرابلس » ميلانو ١٩١٢ ، فيتوريوكوتافافي Y. Cottafavi « في ليبيا الايطالية انطباعات ودراسات وذكريات » بولونيا ١٩١٢ لوتشودارلكنق Lucio Darkling « ليبيا الرومانية والحملة الايطالية » روما ١٩١٢ ، كارلودارلنق Carlo Darling « الحملة الايطالية بليبيا » روما ١٩١٢ ، اميليودي سانتيس Emilio De Santis « من خانيا الى طرابلس مذكرات رحلة » روما ١٩١٢ ، اركانجلوتسليري Arcangelo Ghisleri « طرابلس وبرقة » من البحر الابيض الى الصحراء » ميلانو ١٩١٢ . ارتورولا بريولا Arturo Labriola « حرب طرابلس » والراي العام الاشتراكي » نابولي ١٩١٢ ، ب. مامولي P. Mamoli « برقة » نابولي ١٩١٢ ، فيكومانتيقازا V. Mantegazza « مشاكل السياسة الخارجية . حملة طرابلس » ميلانو ١٩١٢ ، قايطانوموسكا G. Mosca « ايطاليا وليبيا . اعتبارات سياسية » ميلانو ١٩١٢ ، ارنستو باليك Ernesto Palica « ايطاليا واحتلال ليبيا » جنوا ١٩١٢ ، جوسبي بياتسا G. Piazza « كيف احتللنا طرابلس » روما ١٩١٢ ،

تعد من كبريات المجلات . امثال : لارسينيا ناسينالي (٧٩) La Rassegna Nazionale المجلة الفلورنسية الشهيرة المنتمية الى المحافظين الكاثوليك اوراسيناكو نتمبورانيا التي كان يتولى ادارتها ج. أ. كولونادي شيزارو G. A. Colonnadi Cesaro وفينشينزو بكاردي Vincenzo Pacardi التي اسست في روما وهي بالرغم من ادعائها التحرر من بعض المواقف السياسية غير انها كانت كثيرة القرب من تلك الراديكالية ذات الملامح المؤيدة للقومية وقد تبنت التدخل في الحرب عام ١٩١٤ ــ ١٩١٥ لتلتقي فيما بعد بالفاشستية . ومجلة لاراسينيا كونتيمورانيا La Rassegna Contemporanea لم تردد في كتابة مقالات تحذر من امكانية المكاسب السهلة (٨٠) . ومجلة نوفا انتولوجيا Nuova Antologia ايضا نظرت باهتمام الى الحملة رغم انها لم تخف احيانا اعتراضها وكتابة مواضيع جدلية حول الموضوع .

ان جميع هذه المعلومات قد كونت اطارا للحملة لصالح العملية الإستعمارية التي قادتها الصحافة اليومية والتي طبعا بالنظر لانتشارها وميزتها الطبيعية

رواد ايطاليون في ليبيا « تقارير مندوبي الجمعية الايطالية للاستكشافات الجغرافية والتجارية بميلانو (١٨٩٦ ــ ١٨٨٠) .. ميلانو ١٩١٢ ، تويدوبودريكا Guido Podrecca « ليبيا . انطباعات وحوار » روما ١٩١٢ ، جوسي ريكيري Giuseppe Ricchieri « طرابلس وايطاليا » ميلانو ١٩١٢ ، رفائيلي ريكيري Faffaele Ricchieri « ليبيا الداخلية » روما ١٩١٢ ، اوقوسابيتا Ugo Sabetta « منطقة درنة » روما ١٩١٢ ، ايمانويل سيرا Emanuele Serra « المجد الجديد » بيلا ١٩١٢ ، اسكاينو سفورزا Ascanio Sforza « اسر ورحلات في ليبيا » المذكور ، تشيزاري سبيلانزوني Cesare Spellanzon « افريقيا العدوة » فنيسيا ١٩١٢ ، « لصالح حرب طرابلس وضدها » . مناقشات في الميدان الثوري « نابولي ١٩١٢ » .

(٧٩) بخصوص موقف المجلة الفلورنسية حول المشاكل الاستعمارية والعلاقات القومية وجدول المقالات المتعلقة بالحملة الليبية ، راجع قلاوكوليكاتا Glauco Licata مجلة « راسينيا ناسيونالي » روما ١٩٦٨ ص ٢٠ و ٣٦ ــ ٢٢٥ .

(٨٠) راجع تينوفالينتي Ghino Valenti « مشكلة طرابلس الاقتصادية » منشور في « راسينياكونتمبورانيا » . هذا المقال نال موافقة لويجبي ايناودي (راجع لويجبي ايناودي المصدر المذكور ص ٦١٢).

في الفورية كانت عنصر الطليعة التي استند اليها المحرضون على الغزو لخلق الجو الملائم لتحقيقه .

* * *

ولم تخلو البلاد من المعارضين للعملية الليبية (احتلال ليبيا) وبصرف النظر عن المعارضة الاشتراكية ومعارضة قوى سياسية اخرى سنذرس اوضاعها فيما بعد . فقد كانت هناك معارضة منعزلة حتى ولو ان من قام بها هم رجال ذوي نفوذ وثقافة كانت تشغلهم النتائج التي قد تحدثها سياسة مغامرة على حياة البلاد الداخلية وعلى علاقاتها الدولية .

وكان ليوني كايتاني من اوائل من حذروا الحكومة من مخاطر عملية استعمار ليبيا . وكان كايتاني من كبار الاقطاعيين بروما ومستشرقا مرموقا فاز بجائزة «اللينشي» * في عام ١٩٠٨ لمؤلفه « حوليات الاسلام » وعندما جرت في مجلس النواب من السابع الى التاسع من يونيو ١٩١١ مناقشة ميزانية وزارة الخارجية ، كان صوت كايتاني من الاصوات القليلة التي ارتفعت لتبرهن على عدم فائدة المجهود العسكري والمالي المرتبط باحتلال اقليم ضئيل القيمة على حد قوله (٨١) .

وقد لاحظ كايتاني من خلال نقاشه انه لم تكن لطرابلس ولا يمكن ان تكون لها اهمية استراتيجية لان شواطئها « الاكثر غدرا » في جميع حوض البحر الابيض المتوسط لدرجة ان شواطىء سرت الطرابلسية كانت احدى المرافىء التي كانت سفن القدماء اكثر تعرضا فيها للغرق» (٧٢) . ولم يفهم كايتاني الاهتمام الذي كان يبديه جزء من البلاد من اجل ليبيا والتصلب الذي كان يبدو في المطالبة باحتلالها .

---

(٨١) بخصوص معارضة كايتاني للحملة راجع جورج ليفي ديلافيدا G. Levi Del Lavida « اشباح عثر عليها من جديد » فيشنزا ١٩٦٦ ص ٤٤ وما يتبعها .

(٨٢) راجع « ليبيا من خلال وثائق البرلمان واجراءات الحكومة » ميلانو ١٩١٢ ص ٣٢٩ .

(*) مجمع علمي قديم تاسس عام ١٦٠٣ وكان من ابرز أعضائه تاليليو تاليلي (المعرب).

« ان هذا البلد اي طرابلس — اكد كايتاني — ليس به طرق ولا موانىء ولا سكك حديدية ولا مباني ولا شيء مطلقا ولذا فنحـن من اجل الاسباب السامية جدا التي لا افهمها يتوجب علينا احتلال طـرابلس وعلينا ان ننفق ملايين لا حصر لها اي مئات الملايين في عمليات عسكرية . هل لدينا الكثير من المال لكي نلقي به هباء » ؟

لقد كان كايتاني يخشى قبل كل شيء « العمى » الشبيه بذلك الذي اوصل البلاد الى احتلال ارتريا والبنادير والذي لا تزال البلاد تدفع ثمن نتائجه . واكد بعد ذلك ان (المعوقات) التركية كانت نتيجة للضجة التي كانت تقيمها الصحافة حول طرابلس واكد بلهجة حادة مشوبة بالعداء للكنيسة . بما ان بنك روما « المعبر المباشر عن الفاتيكان » هو الممثل للمصالح الايطالية في طرابلس فهو امر يثير الشكوك حوله .

وكان قلق كايتاني يعكس قبل كل شيء الخشية المميزة لمن يعتبر نفسه المدافع عن الدولة العلمانية لايطالية الثالثة ولبدة النهضة . فكان يرى في بنك روما وسط الضجة التي تثيرها الصحف الكاثوليكية حول ليبيا نوعا من العدوى الكهنوتية بالنسبة للدولة المتحررة (ليبرالية) وكذلك الخوف من خطر قيام الكنيسة بهجمات محتملة والشك في ان تكون المسالة كلها كانت « تخفي سياسة دقيقة جدا ترمي الى صرف انتباهنا عن المسائل الداخلية » (٨٣) . ونفس القلق سيكون ظاهرا ايضا لدى قايطانو سالفيميني .

واوقو اويتي Ugo Ojetti ايضا على سبيل المثال كان يكرر في رسالة بعث بها الى البرتيني بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩١١ شعور الوقاية والشك هذا تجاه موقف الكاثوليك المؤيد لحرب ليبيا :

« اليوم — كتب اويتي — رأيت عددا من صحيفة « كوريري دي ايطاليا » : طرابلس / طرابلس / طرابلس / اني يا عزيزي البرتيـني من ابناء روما

---

(٨٣) نفس المصدر ص ٣٢ — ٣٣١ . ايديناسيونالي « بتاريخ ١٥ يونيو ١٩١٥ وصفت كايتاني بعد هذا الخطاب الطويل بانه « مغفل طويل » .

وعندما يقدم لي الرهبان نصيحة اسال نفسي دوما « ما هي مصلحتهم في ذلك » ؟ (٨٤) غير ان حكم اويتي السلبي على العملية الليبية لا يستند فقط على تعصبه المضاد للكنيسة ولكنه كان يضع امامه ايضا مواضيع سياسة خارجية وداخلية . فمن جهة كان يرى هذا الناقد الادبي المشهور خطر النمسا التي عندما ترى ايطاليا مشغولة في ليبيا ستتمكن ولمدة « نصف قرن » ان تفعل ما يحلو لها في البلقان — وكان قلقا من جهة اخرى للظرف الصعب الذي تجتازه البلاد بسبب اشتداد حدة المشاكل الاجتماعية :

« عندما اقرا ان بفيوني يطلب منذ الان خمسمائة مليون ليرة من اجل طرق وموانىء واصلاح الاراضي في طرابلسنا وان كوارديني ينتهي الى القول ان الطبيعة في طرابلس « يجب ان تصحح ولكن يجب قبل كل شيء تغيير السكان والنظام وهي مهمة تقع على عاتق ايطاليا » وافكر فيما كتبه بارزيني Barzini عن فريبكاور وما كتبه فيلاري Villari عن الجنوب بصورة عامة في كل ما عجزنا عن القيام به بانفسنا في نصف قرن وما لم نستطيع ان نقوم به لقلة الرجال والمال لفقد الاخلاص والنظام .. عندما افكر في كل ذلك اشعر بالخوف . والخوف كلمة شجاعة بما فيه الكفاية عندما يتعلق الامر ببلد جديد متفكك مثل بلدنا بالكاد يشرع الان في اصلاح نفسه .

وهذا لا يكفي فمن احسن منكم يتذكر ما حدث لايطاليا اثر الفترة الاخيرة من عهد كريسبي والاستعمار والاضطرابات الداخلية والاضرابات وتحطيم قوانا القليلة والثقة فينا » (٨٥) .

ووضع اويتي اصبعه على جرح ايطاليا الملتهب في تلك السنوات وهي

---

(٨٤) لويجي البريتني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٠ .

(٨٥) نفس المصدر ص ٩ . راجع مقالات باسكوالي فيلاري P. Villari « التحقيق حول الجنوب » منشور في « كوريري ديلاسيرا » بتاريخ ٣ و ٦ سبتمبر ١٩١١ . وكانت تجري في تلك الايام بنابولي محاكمة كوكولو Coccolo التي ابرزت بصورة مثيرة وملفتة للانتباه مشكلة عصابات « الكامورا » والمافيا التي كانت تمثل المظهر الاكثر ازعاجا للازمة التي كان يجتازها مجتمع الجنوب .

مشكلة الجنوب الاجتماعية التي عادت الى المسرح ما بين اغسطس وسبتمبر سنة ١٩١١ بالذات بكل واقعها القاسي من «فربيكاور» وهي مركز صغير يقع في ولاية كوزنسا Cosenza حيث قيام السكان في ٢٧ اغسطس على اثر اصابتهم بالكوليرا وبسبب ياسهم من جمود السلطات المحلية والمركزية بمهاجمة دار رئيس البلدية وقتل احد المحصلين التابعين لها بالفؤوس وبعد التصادم مع رجال الشرطة قاموا بقطع اسلاك الهاتف ولاذوا بالفرار وقد ازاحت بلدة فربيكارو الستار امام ضمائر البلاد الاكثر حساسية عن حقيقة الجنوب المؤلمة . وقد كشف لويجبي بارزيني المندوب الخاص لصحيفة « كوريري ديلا سيرا » بكاليري في رسائله الى الصحيفة حقيقة مجهولة ومدهشة بالنسبة له وهي : « ان السكان الفقراء في جزء جميل واسع من ايطاليا يبدون فجاة وكانهم يختلفون عنا كما لو انهم من جنس آخر بعيد او ينتمون الى عنصر آخر بعيد ولم تعد حياته ولا نفسيته تمت الينا بعد بصلة » (٨٦) .ان صورة هذا الواقع الجديد الذي لونه بارزيني بذكاء حاد تبدو في بعض اجزائها مثيرة للاضطراب وعلى الاخص عندما يواجه موضوع الطابع والحالات الاجتماعية والنفسية للعامة في الجنوب « ان الجهل الحيواني المدهش لهذا العامي يتجاوز حدود المعقول — فهو يتلمس طريقه في ظلمة مخيفة وفي ضميره ليل عميق لا يعرف شيئا ولذلك يعتقد في كل شيء والحياة الوطنية في نظرة قصة اطفال خرافية . وفي اعماق هذه الظلمات المذهلة يوجد كابوس مخيف . شعور المحكوم عليه بالاعدام وفي انتظار التنفيذ . ولا يمكن الا ان يشعر الانسان بالالم والتاثر عندما يسمع النساء الامهات يطلبن منك في اصوات مضطربة — الرحمة . انت ايها الاجنبي قل كلمة من اجل اولادي كي لا يقتلونهم » (٨٧) .

---

(٨٦) لويجبي بارزيني L. Barzini « فيربيككارو في صميم العصور الوسطى » منشور في « كوريري ديلاسيرا » ٣١ اغسطس ١٩١٢ .

(٨٧) لويجبي بارزيني « في بلاد الخرافات المتوحشة » في صحيفة « كوريري ديلاسيرا » ٢ سبتمبر ١٩١١ .

انه لعالم بعيد غير مفهوم تقريبا ذلك العالم الذي كان يبدو امام اعين بارزيني والذي تغرق جذور مساوئه بعمق في قرون من الاقطاع والتطير والسحر والذي يبدو ان الثورة الوطنية لم تلمسه ولم تخدشه . انه العالم الذي يتحدث فيه الفلاح عن :

« الحكومة كما لو كانت دولة اجنبية سيدة (...) انه لا يعرف غير الفكرة الاقطاعية حول العلاقات ما بين الحكومة والشعب . يشعر انه محتل ومنحني باستسلام امام مصيره (...) فلديهم الارتياب الغريزي ارتياب من يشعر بانه مهمل وغير مسلح ومخدوع (...) الفلاح هو الضحية دائما (...) ان رجال البلدية الافاضل ، يعتبرهم التابعين واتباع التابعين للسلطة المركزية العظيمة المدهشة » (٨٨) .

وقد اثر تحليل بارزيني هذا في اويتي تاثيرا عميقا كما يبدو من الرسالة التي كتبها الى البرتيني مؤكدا فيها ان مسؤولية خطيرة تقع في تلك الفترة

---

(٨٨) لويجي بارزيني « ارض ايطالية في حاجة الى البحث » في صحيفة « كوريري ديلاسيرا » ٤ سبتمبر ١٩١١ . وقد قامت صحيفة « فوتشي » بصورة خاصة بجدال قوي حول أحداث نربيكارو . « ان حادث فيربيكارو ـ كما يقرا في العدد الصادر يوم ٣١ اغسطس ـ هو الدليل الجديد على ما نقول منذ ثلاث سنوات : أن مشكلة الجنوب هي الاولى والاكثر استعجالا في ايطاليا . تلك ألبلدة التي تقع على مسافة اربع ساعات من محطة سكة حديد بدون طريق ممهدة وبدون مياه وبعميد سليل اسرة كبير ، فهي ذات طابع خاص وتعبر في حد ذاتها عن كل الجنوب . ان ايطاليا الرسمية تستعد لنقل المدينة والمياه وراس المال الى عرب طرابلس . ايطاليا الرسمية ذات احساس انساني . («فيربيكارو» في جريدة « فوتشي » ٣١ اغسطس ١٩١١) . ان الجماهير الثائرة في فيربيكارو ـ كتب بدوره سالفيميني يوم ٧ سبتمبر عن تفسيرها للكوليرا بذلك « المنحوق » الذي رشته الحكومة والسادة الافاضل « لمنع فقراء الناس من التكاثر اكثر من اللازم قد اعطت هذه الجماهير شكلا خرافيا وبربريا لشعور العداء وعدم الثقة نحو « السادة الافاضل » ونحو « الحكومة » وان تلك هي الحالة النفسية الدائمة لجماهير الجنوب . غير ان طريقة التعبير الخرافية البربرية هذه لا يجب ان تنسينا عدالة الشعور الاساسي » (قايطانو سالفيميني) ، بصحيفة « فوتشي » ٧ سبتمبر ١٩١١ .

على عاتق صحيفة « كوريري » وان في امكانها ايقاف هـذا السباق نحو طرابلس » . (٨٩) .

ان القلق على اوضاع البلاد الاقتصادية الذي اشار اليه اوتواويتي الذي كان يخشى قبل كل شيء التاثيرات الاجتماعية والسياسية — اخذت على ما يبدو تقلق ايضا رجالا مرموقين في عالم السياسة والنيابة الايطالية . فلويجي لوتساتي Luigi Luzzati على سبيل المثال وهو رئيس سابق لمجلس الوزراء قد ساند عملية الغزو فيما بعد بقوة ، كتب يوم ١٦ سبتمبر الى فرديننـد ومارتيني قائلا انه لا يستطيع ان يخفي ان اوقاتا صعبة جدا تجتازها البلاد في المجال السياسي والاقتصادي والمالي « فعلاوة على التزامات الميزانية جاءت الكوليرا وثوارن بركان ايتنا وحملة طرابلس « اذا جاءت » انني لم ار احدا من زملائي في الوزارة — اضاف لوتساتي — ولا اعرف شيئا بالدقة . ولكن سكاليا Scalea الموجود في حمامات مونتي كاتيني قال للجميع اننا سنذهب الى طرابلس وان البحرية والحربية بالتاكيد على استعداد . ومن الطبيعي ان انشاء مستعمرة اسكان في برقة يحتاج الى مبالغ ضخمة واذا لم يكن في الامكان جعلها مقرا مقبولا لهجرتنا فما فائدتها ؟ .

بيد ان حيرة لوتساتي كانت تستند ايضا على اعتبارات ذات صبغة سياسية دولية . فكان يردد الخوف الكبير من اشتعال النيران في البلقان وتحقيق لعبة النمسا التي ترنو باستمرار الى شبه الجزيرة البلقانية .

« هل الحكومة مستعدة ؟ يتساءل لوتساتي — اذا ذهبنا عن طريق القوة لا بالاتفاقيات فان الحرب ضد الاتراك لن تكون سهلة — واذا كان هناك خطر

---

(٨٩) لويجي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ٩ « انتم تقولون — اضاف اويتي — نحن متفقون معكم غير انه اذا لم نستول على طرابلس الان فلن نستولى عليها ابدا . وهناك خطر استيلاء الغير عليها (لا اعتقد ذلك) او ان تركيا تستطيع ان تحصن في المستقبل الدفاع عنها (وهذا ايضا لا اعتقده) فالقدر يجبرنا على مواجهة الاخطار المذكورة والى غير ذلك « وانا الايطالي الصغير (على وزن الانكليزي الصغير) وبصفتي روماني فانني افكر هكذا » (المذكور) .

ثورة الدول البلقانية ضد الاتراك فماذا ستفعل النمسا ؟ هل ستذهب الى فالونا او الى سالونيك ؟ وعندئذ لن يكون من المؤكد ان يتخلى الايطاليون عن احتلال افريقي غير سهل وباهظ التكاليف وله مثل هذه التبعات القاسية؟ ان تغيير مزاجنا معروف وانه من الصعب جدا بالنسبة لنا كحل للمشكل اذا كان من الانسب عدم الذهاب الى طرابلس كي لا تذهب النمسا الى فالونا وسالونيك » (٩٠) .

وكان رد مارتيني بتاريخ ١٨ سبتمبر مليئا ايضا بالحيرة والتساؤلات المقلقة :

« هل سنذهب حقا الى طرابلس ؟ انا لا اظن ذلك ... ولكن اذا ما ذهبنا نذهب بموافقة من ؟ هل البلاد مع اظهارها لارادتها الاكيدة في هذه المسالة مستعدة لعواقب هذا العمل ؟ » (٩١) .

لوتساتي ومارتيني لم يعارضا في المبدأ ، ولكن يلاحظ عليهما القلق قبل كل شيء والشك في فائدة عملية استعمارية لا يمكنها الا ان تزعج من كان يرى الوضع السياسي الداخلي الهش ووجود مشاكل ذات صبغة اجتماعية كانت تعكر ضمائر الكثير من الايطاليين اذا لم نشر الى القلق الناتج عن حرب تبدو غير سهلة الحل ومليئة بالمكائد ومن المحتمل ان تعكر صفو الوضع القائم الاوروبي .

لقد نشر قايطانو موسكا G. Mosca وهو عالم اجتماعي مشهور وباحث في القانون الدستوري ورجل سياسة وعضو في مجلس النواب منذ عام ١٩٠٨ . نشر على جريدة « لاتريبيونا » ثلاثة مقالات من ١٩ الى ٢١ سبتمبر تكتسب اليوم شكل النبوءة للوضوح والدقة التي حلل وبين بها اخطار الحرب

---

(٩٠) توجد رسالة لوتساتي الى مارتيني في A.C.S., C.M., b. 13, f. 6

(٩١) توجد رسالة مارتيني الى لوتساتي في كتابه الاخير « مذكرات » المجلد ٣ الذي نشر بعناية الينا دي كارلي وفيروتشي دي كارلي والبروتودي ستيفاني ، ميلانو ، ١٩٦٦ ص ٤٤٤ .

مع تركيا ، ولم يكن هو من المعارضين للتوسع الاستعماري الايطالي كمبدأ ولكنه حاول ان يفهم ان تركيا لن تتخلى بسهولة عن احدى ولاياتها دون صراع ضار وان ايطاليا لا يمكنها ان تنهي القتال بهجوم مفاجىء على بعض الارخبيلات او على بعض موانىء الامبراطورية العثمانية .

وان العواقب الاقتصادية للحرب قد تكون — حسب موسكا — تقلصا في الصادرات الايطالية للامبراطورية العثمانية والغاء الاتفاقات التجارية ما بين ايطاليا وتركيا وصعوبة في نقل السلع الايطالية عبر الدردنيل واشار موسكا نفسه الى احتمال خطر انضمام العرب الى الاتراك ضد الاحتلال الايطالي مما يجعل الحرب طويلة وصعبة وباهظة التكاليف — وكان يرى موسكا ان الاصول في موازنة الاحتلال لن تغطي الخصوم (٩٢) .

وكانت الفكرة التي ابداها لويجي ايناودي حول العملية الليبية اكثر فنيا ولكنها صحيحة ايضا على مستوى الاعتبارات الاقتصادية . وكان لويجي ايناودي في السابعة والثلاثين من عمره في ذلك الوقت وقد اشتهر كاقتصادي مرموق واكتسب التقدير وكان استاذا في العلوم المالية بجامعة تورينو ، وكان يقود منذ اعوام معركته التحررية من على صفحات « كوريري ديلا سيرا » ولا يمكن اعتبار ايناودي معارضا للاستعمار كمبدأ بل بالعكس كان مؤمنا ومحبذا للتوسع الاقتصادي الايطالي وذلك في كتاب نشره عام ١٨٩٩ تحت عنوان « الامير التاجر » . وفي مقال عن الحرب الليبية نشره ايناودي في مجلة « ريفور ماسوشيالي » حاول ان يحصر ملاحظاته في المشاكل الاقتصادية البحتة مع التطرق هامشيا الى الموضوع السياسي . ولا شك ان التحليل الذي تركه لنا ايناودي في غاية الوضوح والدقة الباعثة على الدهشة حتى ولو انه من المحتمل ان تكون توقعاته بمواجهة الشعب الايطالي لتضحيات كبيرة قد ضايقت البعض في تلك الفترة المشحونة بالامال الكثيرة . وقد وضع ايناودي في مقدمة مقاله الطويل المذكور انه يرمي الى اظهار « حقيقتين » :

---

(٩٢) أدرجت مقالات موسكا فيما بعد في كتاب تايطانو موسكا « ايطاليا وليبيا » المذكور ص ٣٨ — ١ وقد تقبل موسكا فيما بعد العملية (الغزو) وتتبعها بامال كبيرة .

اولا : انه لمن الوهم الاعتقاد ان طرابلس ستدر ارباحا وفيرة على الوطن الام وذلك الا بعد زمن بعيد وبصورة غير مباشرة .

ثانيا : ان التضحيات الاقتصادية التي ستفرضها المستعمرة على ايطاليا هي حقيقة يجب مواجهتها بادراك وهدوء » .

وشرع هــذا الاقتصادي الشهير في دراسة للــوضع الاقتصادي في طرابلس ولمواردها من خلال الاحصائيات المتعلقة بالتجارة الخارجية لتلك البلاد ومن خلال المبادلات التجارية مع ايطاليا وقد اوصلته دراسته هذه الى نتيجة وهي ان طرابلس كانت تمثل اقل من واحد على ثمانية عشر من جملة الواردات الايطالية من كل تركيا وواحد على خمسة وعشرين من الصادرات . ويستخلص ايناودي من ابواب التجارة الطرابلسية نفسها « الفكرة في ان طرابلس بلد فقير في مرحلة ما بين الزراعة ورعاية المواشي وهي تبيعنـــا منتجات الحيوانات التي تربى على الطبيعة ومنتوجات زراعية بدائية وتاخذ مقابلها في الاغلب قطنيات وحرائر من النوع الرديء بالاضافة الى الدقيق الذي ينقصها » (٩٣) .

وكان ايناودي يرى في الخلاصة انه من الضروري ان « نبعد مقدما كل أمل في ان المستعمرة قد تصبح ابدا منتجة بالنسبة لميزانية الدولة » والاقتناع بان المستعمرة الجديدة قد تكون سببا دائما للنفقات بالنسبة لنا الذين استولينا عليها وتزداد هذه النفقات بمقدار ما احسنا القيـــام بواجبنا » (٩٤) . ولم

---

(٩٣) لويجي ايناودي ، المصدر المذكور ص ٦٠٠ ــ ٥٩٨ . استوردت ايطاليا في عام ١٩١٠ من طـــرابلس ما قيمته بملايين الليرات : بقـــر (٤ر١) ، بيض (٦ر٠) صوف مغزول وخـــام (٥ر٠) خيـــول (٢ر٠) تمـــور (١ر٠) شعر حيوانات (١ر٠) بذور زيتيـــة (١ر٠) سلـــع اخرى (٢ر٠) المجموع (٢ر٣) وصـــدرت ايطاليا في نفس العـــام الى طـــرابلس : فضلات حريـــر وخيوط (١ر١) سميـــد (٩ر٠) دقيق قمح (٧ر١) خيـــوط (١ر١) خيوط قطنيـــة (٥ر٠) عيدان ثقاب (١ر٠) منسوجـــات قطنيـــة (١ر٠) حريـــر خـــام (١ر٠) قطع مـــن القمـــاش المخيط (١ر٠) سلـــع اخـــرى (٨ر٠) المجمـــوع (٤ر٤) .

(٩٤) نفس المصدر ، ص ٦٠٤ واضاف ايناودي : « وحتى اذا اقتصـــر على اقامة العـــدالة

يكن ايناودي من باب اولى معارض للعملية غير ان تعليلاته كانت معاكسة لتلك التي عرضها المحرضون الاخرون على الغزو فبالنسبة له كان في الامكان وضع اسس حقيقية لعمل تمدني بفضل تضحية الدولة « والمواطنين الايطاليين باعتبارهم ممولين بدون امل في انتظار مقابل وقد يكون مريحا جدا — اضاف ايناودي — لو امكن القيام بدور المعمرين لاثراء الدولة ودفع ضرائب اقل » فاذا ارادت ايطاليا ان تنتزع طرابلس من الاتراك عليها ان تفعل ذلك باخلاص وبدون مصلحة :

« نحن نريد ان ننتزعها منهم لاننا كمواطنين ايطاليين منتظمين في شكل دولة وبصفتنا من دافعي الضرائب سنكون مستعدين لان نقوم بتضحية لصالح شعب آخر ولصالح اجيال شعبنا المقبلة وهي التضحية التي على ما يبدو ان الاتراك غير مستعدين ان يقوموا بها (...) (٩٥)

وانتقل بعد ذلك ايناودي الى الطعن في ادعاءات بفيوني حول الثروات الزراعية في طرابلس مؤكدا ان الثروة الوحيدة في البلاد هي الكروم « وربما » « الزيتون » اي انها مثل منتوجاتنا وانها اذا كثرت ستنافس بصورة غير سارة انتاجنا في الداخل والخارج « وعلى كل حال بالنظر الى الطبيعة الزراعية لتلك البلاد التي تتغلب عليها زراعة التمور والقطن وهي زراعة « بطيئة العطاء واحيانا بطيئة جدا » فان عملية الاستعمار تتطلب عمل « عشرات السنين والقرون » (٩٦) وان هذا الوضع كان يحول دون التفكير

والامن ونشر التعليم وانشاء الطرق والمرافىء والسكك الحديدية الرئيسية الاستراتيجية والتمدنية وغيرها فيجب انفاق مئات الملايين ومع مرور الزمن ستبلغ نفقات الانشاء بضعة مليارات وبضعة عشرات الملايين كمصاريف سنوية جارية مع الامل انه بعد بعض الوقت ربما لا يقل عن ثلاثين عاما قد تستطيع ميزانية المستعمرة الحياة بمواردها دون مساعدات الوطن الام . ومن المحتمل ان يكون حتى ذلك امل ضائع (...) » .

(٩٥) نفس المصدر ص ٦٠٥ .

(٩٦) نفس المصدر ص ٦١٢ . اكد بفيوني ان الانتاج الزراعي الطرابلسي « مدهشا » وقد لاحظ ايناودي انه حسب الارقام التي اورها بفيوني نفسه ان انتاج القمح

في انشاء مستعمرة اسكان تستطيع في وقت قصير ان تحل مشكلة الهجرة الايطالية وفي الواقع يلاحظ ايناودي انه قد تكون معجزة اذا امكن في بعض الوقت ان يهاجر الى ليبيا : اكثر من بضعة عشرات الالاف من المهاجرين وقد زاودوا بالراسمال الكافي ليتمكنوا من انتظار المحاصيل المجزية لبضعة سنوات من اجل تشييد المساكن وغرس الاشجار وغير ذلك (...) وهذا يعني ان طرابلس ليست ولن تكون لمدة طويلة دواء بديلا لامريكا بالنسبة للمهاجر الفقير الذي يسافر الى الخارج لا من اجل استخدام مدخرات محققة وانما من اجل تكوين المدخرات عن طريق العمل » . (٩٧)

ولدى مواجهته للمشاكل المالية المرتبطة بالحرب الليبية فلم يخف ايناودي احتمال زيادة قيمة الفائدة يتبعها انخفاض في السندات لا بسبب مناورات غير شريفة وضد الوطن (٩٨) — كما تؤكد بعض الصحف — وانما لاسباب اقتصادية بحتة .

الطرابلسي كان ٧ر٤ قنطار عن كل هكتار في عام ١٩٠٧ و ٤ر٢ قنطار في عامي ١٠ — ١٩٠٩ و ٢ر٤ في عامي ١١ — ١٩١٠ ، هذا في حين ان الانتاج الايطالي في اسوا عام اي ١٩١٠ بلغ في المناطق الجبلية ٣ر٦ قنطار عن كل هكتار وبلغ في المناطق المرتفعة ٥ر٧ وفي السهل ٠٠ر١٣ قنطارا .

« وعلق ايناودي قائلا : اذا كان « مدهشا » محصول لا يصل الى نصف متوسط المحصول الايطالي في السنوات السيئة فيستحسن تغيير القاموس » ص ٦١١ .

(٩٧) نفس المصدر ص ٦١٣ . « ان نجاح مستعمراتنا القديمة الضئيل — لاحظ ايناودي — لا يشجع على الامل في الحصول على نتائج مباشرة ، ومن المحتمل مع مرور الزمن ومع تحسن انفسنا وثقافتنا وعاداتنا قد نصل الى حل هذا المشكل الشاق » (ص ٦١٥) .

(٩٨) وذكر ايناودي في العدد التالي لمجلة « ريفورمايسوشيالي » « حادثا مضحكا » حول قول الصحف بوجود خطر مناورات لصالح تركيا بقصد تخفيض قيمة السندات الايطالية ورفع قيمة السندات التركية عند اغلاق السوق المالية في اخر الشهر : « منذ ٢٠ نوفمبر لم يمر يوم دون ان يتهم فيه تشيريمني Cirmeni واتباعه « المصرفية الدولية » بسعيها في هبوط قيمة السندات الايطالية ورفع السندات التركية وذلك في يوم ٣٠ اي نهاية الشهر . وقصد مر يوم ٢٤ وكذلك يوم ٢٥ و ٢٦ في حين ظل هؤلاء يبشرون بالابادة في

« (...) وحيث انه لم يعرف ابدا ان حربا قد تسببت في تخفيض قيمة الفائدة بل العكس ان مدارس الاقتصاد السياسي الصغيرة تدرس بان الحروب من العوامل المتسببة في ارتفاع قيمة الفوائد ولذلك فمن الطبيعي جدا ان يؤثر اعلان الحرب وتفاوت زمن استمرارها على قيمة راسمال السندات في السوق المالية بصورة قد تقل او تزيد لغير صالحها » (٩٩) .

والخلاصة التي توصل اليها ايناودي تمشيا مع اسلوب مقاله كله كانت

يوم ٣٠ تبعا للغايات المصرفية السيئة . لكن يوم ٣٠ حل ولم يحدث شيء وذلك لان : تحركات السوق المالية لا تقوم على الاخبار الكاذبة والمروجة منذ زمن كما وضحت ذلك في المرة السابقة ، لان نهاية الشهر التي كان الكتاب لا زال ينتظرونها في يومي ٢٦ و ٢٧ ويحددون لها يوم ٣٠ قد مرت في يومي ٢٤ و ٢٥ نوفمبر وفي احد الايام ــ وكان موضوعا يثير الضحك ــ اذ قرات على احدى الصحف بل في صحيفتين مقالا « للاقتصادي المحارب » ولكنه كان اميا منشغلا جدا بيوم ٣٠ نوفمبر وذلك في الصفحة الاولى في حين احتوت الصفحة السادسة على اخبار مندوب السوق المالية المتواضع وهو من المتخصصين اذ يقول ان تصفية نوفمبر قد تمت وان الاسعار الجارية هي اسعار نهاية ديسمبر . وهي نظرية تعرفها حتى حواجز الوقاية من العربات الموجودة بالطرق قرب السوق المالية والتي يجهلها اولئك الذين اشاعوا اختراع « المصرفية الدولية » السخيف اي ان تصفية اخر الشهر في ايام متغيرة ما بين ٢٤ و ٢٦ من الشهر (.....) اليس من المؤسف ان الراي العام ابتداء من الصحفيين ثم المنتخبين واخيرا البرلمان والحكومة قد خدعتهم هذه السخافات ؟ « ادوارد وجيرتي ــ لويجي ايناودي » بخصوص طرابلس . تفاؤل وتشاؤم استعماري ؟ منشور في « ريفورماسوشيالي » ديسمبر ١٩١١ مجلد ٢٢ ص ٧٦١ ــ ٧٦٠) .

(٩٩) لويجي ايناودي ، المصدر المذكور ص ٦١٧ . في اليوم الاول من شهر اكتوبر ١٩١١ في الوقت الذي كان ايناودي يكتب فيه مقاله ، كان مدير عام بنك ايطاليا يعرض على جوليتي حالة البلاد المالية : ان حالة التداول النقدي قد ازدادت خطورة في شهر سبتمبر بسبب احوال السوق النقدية الدولية التي ادت تدريجيا الى زيادة فائدة الخصم لدى جميع معاهد الاصدار باوروبا بما في ذلك بنك فرنسا (...) وقد سحبت من ايطاليا مبالغ ضخمة استثمرت من الخارج في عمليات دعم ومضاربة في السوق المالية واعادة الخصم . ان العالم الخارجي يساعدنا في الاوقات النقدية الملائمة ويحرمنا من المساعدة ويضر باوضاعنا النقدية بالضغط على سعر الصرف عندما تكون اوضاع السوق غير ملائمة . وفي منتصف شهر سبتمبر زادت حدة المسالة الطرابلسية من خطورة الوضع للاسباب التي لا ضرورة لذكرها » (A.C.S., C.G., b. 12, f. 10).

غير مشجعة لاولئك الذين ارادوا الحملة واقاموا اقتناعهم على اساس انها صفقة اقتصادية ضخمة .

« ان تضحيات حالية اكيدة ـــ كان يؤكد ايناودي ـــ وفوائد ممكنة مستقبلا لاجيال من المعمرين : هذه هي النتيجة المتوقعة للعملية الطرابلسية وهـــي تعني بما ان الفوائد من الممكن ان يـــراها ابناؤنا واحفادنا فيجب علينا ان لا نهتم بالامر ويجب علينا ان نجهزهم بتضحياتنا وبعملنا الذي لا يكل » .

وضمن ايناودي خطابه مبررات ذات صبغة اخلاقية علاوة عن المبررات الاقتصادية حيث كان يرى ان الضرائب المحتملة الممكنة في المستقبل يجب ان تتحملها تلك :

« الطبقات التي ارادت العملية بحرارة او بعبارة اخرى بما ان هذه العملية قد تسببت فيها بصورة رئيسية حركة فكريـــة للطبقات المثقـــفة والمتعلمة والثرية والمهنية والادارية (بيروقراطية) وهذه الطبقات هي الواجب عليها تقديم عصب الاحتلال والاستعمار (...) ، من الممكن اعفاء اصحاب الدخولات الصغيرة التي تصل في ايطاليا الى ١٢٠٠ ليرة وهي تشمل بالاضافة الى قسم من العمال جميع الطبقة الريفية اي العملـــة والفلاحين والمـــزارعين بالمشاركة وصغار الملاك وهي الطبقة التي ظلت غريبة تماما عن هذه الحركة المثالية وهي التي تساهم بغزارة في حدود قواها الذاتية وذلك بتقديم الجنود للجيش .

واضاف ايناودي ايضا بشيء من السخرية الذكية :

« لو كان في الامكان تمييز القوميين عن غيرهم من المواطنين فقد يكون من المنطق فرض ضريبة اضافية خاصة عليهم تعويضا عن المزايا الخاصة التي فازوا بها نتيجة لتحقيق مثلهم العليا ، وفيما يخصني شخصيا بصفتي قوميا علـــى طريقتي فساجـــد انه سليم جـــدا ان تطبق علـــى هـــذه الضريبة الاضافية » (١٠٠) .

(١٠٠) لويجبي ايناودي ، المصدر المذكـور ص ٦٣٨ . كان ايناودي يفضل فـرض الضرائب

ان ملاحظات ايناودي هذه لم تؤثر على كل حال على اماله في مستقبل سعيد لبلاده على المستوى الثقافي والاخلاقي والسياسي بعد نهاية الحرب . لقد كان مقتنعا ان ايطاليا ستتجاوب بصورة جيدة وقد بدا له فعلا ان الناس اخذت تستنشق « هواء غير الهواء الاول » الامر الذي دفعه الى الاعتقاد ان الايطاليين في امكانهم ان يكونوا :

« الباعثين للقوات الخفية للشعوب البدائية ومهيىء العظمة السياسية والثروات لاحفادنا وانهى ايناودي كلامه قائلا : ان الشعوب العظيمة هي التي تضحي مدركة من اجل الاجيال القادمة » (١٠١) .

ولم يعجب ادوارد وجيريتي Giretti هذا الراي الخاص القاطع الذي ابداه ايناودي بالنسبة للمشكلة الطرابلسية رغم مشاركته له في العناصر الاساسية التي قام عليها مقاله ، غير انه كان يرى ان الخلاصة التي وصل اليها ايناودي فيما يتعلق بمستقبل البلاد كانت كثيرة التفاؤل . وكان جيرتي من ابرز ممثلي التحرر اليساري الذي كان يتزعمه رجال مثل دي فيتي دي ماركو De Vitti De Marco واوقوماتسولا Ugo Mazzola وفرنشسكو بابافافا (١٠٢) Francesco Papafava وكان يحرر في « صحيفة الاقتصاديين »

لمواجهة نفقات الحرب بدلا من الديون لان الضريبة تهذب والدين يفسد . ان الضريبة تفرض على المواطنين مواجهة الواقع وتجعلهم يرضون بقوة وتزداد هذه الارادة بمقدار استعدادهم على الدفع من اجل الحصول على موضع رغباتهم .

(١٠١) المذكور ص ٦٤٠ .

(١٠٢) بخصوص التحررية (الليبراليين) في عهد جوليتي وخاصة فيما يتعلق بايناودي وجيريتي راجع جوسي اري Gusieppe Are « الاشتراكية والتحررية والراسمالية الصناعية في العهد الجوليتي » منشور في « كريتيكا ستوريكا » (النقد التاريخي) « يوليو ١٩٦٩ ص ٦٥ ــ ٤٠١ . وفيما يهم التحررية اليسارية راجع غابريلي دي روزا Gabriele De Rosa « ازمة دولة الاحرار في ايطاليا » روما ١٩٦٤ ص ١٢٥ ــ ٧٨ ، ولوتشوأفاليانو Lucio Avallano « التحرريون وحلف الاحزاب الشعبية من عام ١٨٩٨ الى ١٩٠٣ ، منشور في « راسينادي بوليتيكا اي دي ستوريا Rassegna Di Politica E Storia

وفي صحيفة « اونيتا » التي كانت يصدرها سالفيميني وكان جيرتي معروفا بثقافتـه الاقتصاديـة غيـر العاديـة « كما وصفـه فيلفـريد باريتـو Vilefredo Pareto (١٠٣) ، وقد رد علـى ايناودي فـي العدد التالي لمجلة « ريفور ماسوشيالي » فاعترف لايناودي بالشجاعة « لقوله كلمـة حق قاسية وسط الافتتان الاستعماري الذي تملك الراي العام الايطالي . « ولكن لم يستطع اخفاء » شكوكه « حول الامال التفاؤلية التي عبر عنها ايناودي والتي قد يعتبر تحقيقها مثلا يكاد يكون وحيدا اكثر من كونه نادرا في التاريخ وهي السياسةالاستعمارية المتقنة المثالية. «والقائمة» على عمل ثوابي طويل يتضمن انكار الذات لصالح قضية تمدين شعوب متخلـفة وللصالح المادي ايضا لذرية بعيدة جـدا » (١٠٤) وكـان تشاؤم جيريتي هـذا قائما على « تجارب الحياة العملية » التي جعلته يخشى جـدا ان « يتبخر » بصورة سحرية حماس جزء كبير من الشعب الايطالي لصالح الحرب » وذلك عندما تقدم قائمة (؟) دفع الحساب » (١٠٥) وقد لاحظ جيريتي ايضا « ان الصبر

نوفمبـر ١٩٦٦ وبخصوص جيـريتي ، راجـع انطونيوبابـا Antonio Papa « ادوارد جيـريتي » منشور في بلفاقـور Belfagor ٣١ ينايـر ١٩٧٠ ص ٦٨ — ٥٠ « ان معـارضة جيـريتي الصريحة لحـرب طـرابلس هي مستوحـاة من مشاعره القديمـة الشديدة المعادية لكريسبـي ومن عدائه البيـن للحرب وقد املاها عليه نضالـه في سبيـل السلام وجداله الدائم ضد النفقات العسكرية وقلقه على الميزانية وخوفـه من فـرض ضرائب جديدة وبصورة عـامـة من خوفـه علـى « ايطاليـا الصغيـرة » مثلـه الاعلـى التي كان يـريد ان يـواجه بهـا حمـاس القـوميين والقدرية الليبية للجوليتيين .

(١٠٣) فيلفريدوباريتـو V. Pareto « احـداث ايطاليا » في صحيفة الاقتصاديين » اول ابريل ١٨٩٧ والان منشور في كتـاب فيلفريدوباريتو .« احداث ايطـاليا » اشـرف على نشره كارلـو مونقـاديني Carlo Mongardini بريشا ١٩٦٥ ص ٤٩٠ .

(١٠٤) ادوارد وجيريتي — لويجبي ايناودي ، المصدر المذكور ص ٤١ — ٧٤٠ .

(١٠٥) نفس المصدر ، ص ٧٤٢ . (...) وعلى كل حـال — لاحظ جيريتي — كيف يمكننا ان نؤمـل ان اصحاب صناعـة الحديـد والسكر ببلدنـا والناخـرين في خـزائـن الدولـة في اتفـاق اخـوي مـع الارستقراطيـة العقاريـة هم على وشك التنازل عـن امتيازاتهم القانـونية لا المشروعـة في الـوقت الذي اصبح في امكانهم توسيع نشاطهـم الاستغـلالي بصورة مجزيـة وان يجـددوا المثـل الوحيـد في تاريـخ الارستقراطيـة الفـرنسيـة » (ص ٧٤٣) .

على الاستثمارات الطويلة الاجل لم يكن ابدا من الفضائل المميزة للراسماليين الايطاليين في الوطن الام » ويقل هذا الصبر طبعا لدى مهاجريننا « هل العشرون الف ايطالي او اكثر — تساءل جيريتي — الذين على ما يقال قد تقدموا بطلبات جوازات سفر الى طرابلس هم من الناس الذين في امكانهم انتظار المكاسب من الان حتى عشرة او عشرين عاما ؟ » (١٠٦) .

بيد ان اكثر ما كان يقلق جيريتي لم تكن المسائل الاقتصادية بقدر ما كانت المسائل السياسية والمعنوية فقد كان يبدو له ان شيئا غير نظيف وغير مهذب اخذ يتغلغل في المجتمع الايطالي لتلك السنوات ، وذلك يعني ان العنصر المتغلب في الحماس الذي اثارته العملية الطرابلسية في كثير من الايطاليين هو : « الطمع اللامحدود في ملك الغير » . وجميع ذلك كان يدل على تقهقر سريع لايطاليا من الطابع الحديث المتمدن الذي اخذت تتجه اليه ببطء ولكن تدريجيا الى نموذج اخر متاخر لمجتمع بربري عسكري » . وكان يعتقد انه لا مفر من ان ذلك سيحدث بالاضافة الى زيادة المهام العسكرية والنفقات غير المثمرة :

« تغلب جديد للغرائز غير الشريفة للشعب الايطالي وازدياد جرائم العنف والدماء ونقص في حب العمل الهادىء والمنتج » .

وكان نفس النظام النيابي يبدو وكانه قد الغي والغيت معه « الحرية العملية للاقليات وحق النقاش والنقد والرقابة على العمل الحكومي» (١٠٧) .

---

(١٠٦) نفس المصدر ، ص ٧٤٤ .

(١٠٧) نفس المصدر ، ص ٧٤٧ . « البرلمان مغلق الى اجل غير مسمى دون ان يحتج احد وخاصة النواب ويسر التسعة والتسعون في المائة من بينهم البقاء بمنازلهم وعدم الاضطرار الى التعبير عن رايهم مع الحرب او ضدها . وهذا امر يخزي الاعتراف به لان اعدائنا اساتذة في امور الحرية والدستورية . ان البرلمان التركي مفتوح رغم قيام الحرب بانتظام وان ممثلي البلاد في امكانهم المناقشة والموافقة على الميزانيات واجراءات الحكومة غير الاعتيادية . اما نحن في ايطاليا فنضطر الى الوثوق في الميزانيات المصطنعة التي يعدها

ولم يضف ايناودي في رده على جيريتي شيئا جديدا على الاعتبارات التي سبق ان اوضحها حتى ولو انه حاول ان يشدد على الخطاب المتعلق بضرورة القيام بسياسة اقتصادية متحررة في المستعمرة الجديدة وهي نفس فكرة جيريتي و « دي فيتي دي ماركو » حتى وان كان التاثير الجنوبي يدفع بهذا الاخير الى نتائج مختلفة حول العملية الليبية (١٠٨) . اما بالنسبة لايناودي والتحريين الايطاليين بصورة عامة فانهم كانوا يرون ان عملية الغزو قد تنهي الى « جزيمة ضد الوطن » :

« اراقة دماء ذكية فتية كثيرة وتبديد اموال وفيرة بذل دافع الضريبة عرقه في سبيل جمعها وذلك من اجل خلق مجال مغلق فقط لصالح مختلف الاساليب الخفية للمقاولين المحظوظين الذين تنعم بهم ايطاليا (...) واذا ارادوا خلق

الوزير « تيدسكو » والتي يحاول ان يدخل في روعنا بموجبها ان هناك فائض ويكفي القول ان الوزير عند ما يضع توقعاته الوردية لا ياخذ في الحسبان ماذا ستكلف الحرب واحتلال طرابلس منذ اول ديسمبر ١٩١١ ويحسب ٤٠ مليون ارباح السكك الحديدية الحكومية وهي ليست الا نتيجة تلاعب حسابي على طريقة « لوجيزموغرافيا » (ص ٧٤٨) .

(١٠٨) اتخذ دي فيتي دي ماركو بمناسبة الحرب الليبية موقفا خاصا في محاولة — كما لاحظ روزاريو فيلاري — Rosario Villari « في ان يدخل التحررية الراديكالية الجنوبية في موجة التوسع القومي المنتفخة » (راجع « الجنوب في تاريخ ايطاليا » باشراف روزاريو فيلاري ، باري ١٩٦٦ ، مجلد ١ ص ٤٢٥) . وكان دي فيتي يؤمل في تطور ليبيا كمستعمرة اسكان من اجل فلاحي الجنوب مطالبا « بسياسة الباب المفتوح » بقصد مساعدة تطوير المستعمرة الجديدة وارضاء حاجتها من رؤوس الاموال . وكان دي فيتي يرى ان الخطر الاكبر على المستعمرة كان يكمن في تحالف اصحاب الصناعة في الشمال والمنتجين في الجنوب الذين اذا ما راوا امكانية وجود خطر منافسة منتوجات المستعمرة لهم يسهلون قيام سياسة الحماية الجمركية في ليبيا . وهذه السياسة حسب وجهة نظر دي فيتي — قد تتسبب في « توسيع حدودها السياسية وتزيد من اثارها المخربة على اقتصاد الجنوب . اذ ان ليبيا قد تصبح بالفعل مثل سيشليا وكلابريا وبوليا اي بلد منتج للنبيذ والزيت والحوامض وربما الكبريت والتبغ ومستهلكا للحديد والقطن والسكر وغيره . ونتيجة ذلك التي جربت بعد عام ١٨٨٧ هي ارتفاع اسعار المصنوعات لضرر الجنوب المنتج . » نفس المصدر ص ٢٨ — ٤٢٤) .

ضرائب تفاضلية على الواردات الاجنبية في المستعمرة لصالح صناع الحديد والسكر والقطن (...) ومختلف المستغلين الايطاليين فهذا ما يؤكد ان احتلال المستعمرة قد يسجل تاريخا مشؤوما في تاريخ ايطاليا » . (١٠٩)

وقد اقترح ايناودي « العمل الايطالي والراسمال الدولي » كصيغة لتسيير الاراضي الجديدة بصورة اقتصادية . واعترف جيريتي في ختام جداله مع صديقه انهما كانا « محبين مخلصين » لايطاليا الصغيرة « وخصمين لدودين مقتنعين ضد استعمار التهليل المحتكر » . وبالنسبة لجيريتي ايضا — الذي كان يعتبر عملية الغزو « مضادة للمبادىء الوطنية ومنتهكة لقانون الاخلاق الذي يرتكز عليه التعايش ما بين الرجال والدول » ، كان يرى ان الحل الوحيد في ذلك الوقت كان « سلاما بشرف » مع الاتراك ، وان اية فوائد لن تستطيع ان تعيد للبلاد « التضحية الثمينة في الدماء والمثل العليا » التي تجرها الحرب وراءها . اما الثمن المادي للحرب فقد يكون فيما بعد :

« التفكير العادل المستحق عن الطيش الذي جعل ايطاليا بكاملها — حكومة وشعبا — تنقاد وتقتنع بترهات المجد والاثراء التي يوزعها بضعة عشرات من الصحفيين ذوي المصلحة والذين لا يشعرون بمسؤولية او ضمير » (١١٠)

وكانت لهجة جيريتي اكثر حدة من ايناودي وذلك في جداله واستيائه وتضايقه مما كان يقع في البلاد في تلك الفترة . وانطلاقا من نفس الاعتبارات الاقتصادية والفنية التي جاء بها ايناودي ووصولا بصورة جوهرية الى نفس النتائج ، فان جيريتي قد شدد على الخلاف المتعلق بالمظهر المثالي للعملية . فبدا وكانه يعكس اصداء بعض نغمات قايطانو سالفيميني الذي

---

(١٠٩) ادوارد جيريتي — لوجبي ايناودي ، المصدر المذكور ص ٥٦ — ٧٥٥ . وعاد ايناودي الى التاكيد (....) علينا ان نقول علنا ان المستعمرة لا يمكنها ان تقدم مكاسب ممتازة لاصحاب المصانع في الوطن الام ولا ان تخصص لمجموعات صغيرة من الراسماليين الايطاليين ولا ان تغلق بجدار من الرسوم ضد المنافسة الاجنبية وفي الخلاصة لا يجب ان تعتبر المستعمرة صفقة جيدة من اجل ثراء الايطاليين المحظوظين الذين سيكونون الاوائل في وضع ايديهم على ثرواتها .

(١١٠) نفس المصدر ص ٦٤ — ٧٦٣ .

كان في تلك الفترة على صلة وثيقة به كمحرر بصحيفة « اونيتا » الناشئة . وايناودي بدوره قد غير رايه المتفائل حول المزايا المعنوية للحرب الليبية التي ذكرها في مجلة « ريفورما سوشيالي » . وقد واجه ايناودي انتقادات قاسية خاصة بعد نشره لبضعة مقالات على صحيفة « ايكونومست » البريطانية وذلك تحت اسم مستعار « ايتاليكوس » (١١١) الامر الذي اثار « لويجبي لوتساتي » وجعله يدخل في جدال صحفي مع ايناودي على صحيفة « كوريري ديلا سيرا » (١١٢) وقد اضطر ايناودي ازاء ذلك الى كتابة رسالة الى لويجبي البرتيني ينبئه فيها ان الرسائل التي نشرتها صحيفة « ايكونومست » هي من كتاباته وعبر عن انزعاجه الشديد لروح التعصب وعدم التسامح التي وجدتها ايضا لدى الاصدقاء الذين كانوا على ما يبدو لا يدركون الفرق القائم بين الانتقاد والملاحظات الهادئة وبين الافتراء والمواقف المضادة للوطن . وقد اعاد ايناودي بعد ذلك النظر حتى في نظرته للطابع المعنوي للعملية مدركا ان فكرة جيريتي كانت تبدو وقد اصابت الهدف بصورة اعظم :

« (...) لقد بالغت في صحيفة « ريفورماسوشيالي » في التغني بالطابع المعنوي والتطلعي للعملية الليبية . فعندما كونت تلك الفكرة كانت قد استولت علي ، اما الان فانا مقتنع مع شيء من المرارة بان جيريتي كان على حق واني كنت على باطل لاني اقمت ارائي على امال خيالية .

وبذلك اكون قد انهيت لا اقول دفاعي الذي لا ارى اني في حاجة اليه ،

---

(١١١) راجع Italicus, an Italian Explanatoin of the Raid on Tripoli منشور في صحيفة Economist « ٢١ اكتوبر ١٩١١ ص ٨٢٥ ـ ٨٢٤ و ٢٨ اكتوبر ١٩١١ ص ٨٨٤ ـ ٨٨٣ ، نفس المصدر ، Italy, the cost of war منشور في Economist « ١٨ نوفمبر ١٩١١ ص ١٠٥١ . وقد عبر ايناودي في هذه المقالات عن نفس الافكار التي سبق ان عبر عنها في صحيفة « ريفورماسوشالي » .

(١١٢) لويجبي لوتساتي L. Luzzati « الكاتب الايطالي الذي يهين وطنه في انكلترا منشور في « كوريري ديلاسيرا » ٧ يناير ١٩١٢ . واتهم لوتساتي ايضا مراسل صحيفة « ايكونومست » بانه طعن في ايطاليا .

وانما واجب التفاهم معك . ان طرابلس سببت لي مرارات لا نهاية لها . واحدى كبرياتها الاختلاف في الاراء حول العملية نفسها . والان سواء كان الامر وطنية او افتراء بالنسبة للعملية فلا يمكنني بعد الان الكتابة على صفحات « الكوريري » . اليوم ارسلت اخر مراجعة للمعادن وبكيت لافتراقي عنها . ولهذا لن تراني ابدا اكتب لاية صحيفة اخرى ولو عشت مئة سنة .

فهل آمل على الاقل ان يتركونني في هدوء من اجل مدرستي وعائلتي وتاريخي البيمونتي الذي اخطات في اهماله للاهتمام بوسائل تثيرني وتضطرني الى كتابة ما يمر بذهني وتسبب لي جميع انواع الاتهامات الجائرة اليوم من اجل طرابلس وبالامس من اجل الاحتكارات ؟ » (١١٣) .

فاذا كانت مواضيع ايناودي وجيريتي وموسكا وغيرهم لم تجد سوى صدى ضعيفا ذلك لانها اطلقت بصوت خافت وبصورة شبه مستترة وكانت تجري في الغالب عن طريق المراسلات الخاصة . فان قايطانو سالفيميني كان هو الذي خلق حملة حقيقية معارضة لليبيا . وقد تبنى بصورة منتظمة ضرورة محاربة اراء اولئك الذين كانوا يعتبرون ان الحملة كانت مفيدة للبلاد وقام بعمله هذا متبعا في ذلك « الاسلوب التاريخي » بجمع « كل العناصر التي تحت يده » وبالاستفسار ايضا لدى الاصدقاء والمعارف » (١١٤) .

---

(١١٣) لويجبي البرتيني ، المصدر المذكور ، مجلد ١ ، ص ٩٤ كتب ايناودي في رسالة اخرى لاحقة الى البرتيني بتاريخ ٢٨ مارس ١٩١٢ : « قال لي احد الاصدقاء هنا في روما ان جوليتي يزعم انه تحت يده مسودات « صحيفة ايكونومست » مصححة بخط يدي وقد قدمتها له سفارتنا بلندن . وقد كتب الي « ايكونومست » طالبا تفسيرا لذلك . واني امام هذا الاختيار : هل استطيع الاستمرار في الخضوع لهذا التهديد الطويل لمنعي من الكلام عند ما يكون لدى ما اقوله او اعتقد بمن واجبي ان اقوله حتى وان كان ضد الحكومة ومراكز القوة ! او من الانسب لي ان افضح جميع الامور مرة واحدة وللابد ! » (نفس المصدر ص ٩٧) .

(١١٤) اوقوسطوتوري Augusto Torre مقدمة كتاب قايطانوسالفيميني « كيف ذهبنا الي ليبيا » المذكور

وفي مقدمة كتابه « كيف ذهبنا الــى ليبيا » (١١٥) الصادر عام ١٩١٤ والذي جمعت فيه كتابات سالفيميني واصدقائه في معارضة العملية يتساءل سالفيميني :

« هل الشعب الايطالي قد يوافق على الحملة بهذا الاندفاع وهل كان في الامكان تحقيق العملية لو ان شعبنا لم يخدع حول ثراء الغنيمة وحول سهولة الاحتلال ؟ ونفس رجال الدولة الذين رهنوا ايطاليا ديبلوماسيا قبل عشــر سنوات في سبيل هذه العملية هل كان في امكانهم ان يقدمــوا على هذه الخطوة لو انهم قدروا بصورة احسن حساب الاثار القريبة والبعيدة لمبادرتهم والمزايا والاضرار التي كان على البلاد ان تنتظرها » (١١٦) .

وفي الخلاصة ــ بالنسبة لسالفيميني ــ ان عدم الصحة والمبالغات التي غمرت كتب وصحف تلك الفترة ضللت الراي العام الذي قبض على يد الحكومة واجبرها على العملية .

« ان ايطاليا عام ١٩١١ كانت مصابة بالملل . كانت مشمئزة من كل شيء . لقد وصلت الاحزاب الديمقراطية الى آخر درجة من احتقار الشعب . النائب جوليتي كان نفس النائب جوليتي . النائب سونينو كان يبدو كعربة مهملة على قضيب سكة حديد ميت . لم يكن يوجد اي رجل بارز يثق في مستقبل افضل . ان اي شيء كان افضل من هذا الركود العالمي . وهذا « الشيء » تقدمه الصحف اليومية في شكل (احتلال الارض الموعودة) احتلال سهل تليل الثمن ومفرط الانتاج وهو ضروري جدا لايطاليا . عندئذ فلتحيا الحرب ، وفي وقت قصير طغت هستيرية ونفاذ صبر القراء على الصحف : فمن كان يبالغ كان يبيع اعدادا اكثر مع الاستمرار في المزايدة وفي المبالغات فانه في منتصف شهر سبتمبر تلاشى كل رادع للجنون . وعندئذ كان لا بد ان تقرر

---

(١١٥) كتاب متنوعون .AA. VV « كيف ذهبنــا الى ليبيــا » فلورنس ١٩١٤ ص ١٧ ــ ١ الان في كتاب تايطانوسالفيميني المذكور ص ٣٢ ــ ٣٣٦ .

(١١٦) نفس المصــدر ص ٣٢٧ .

الحكومة الدخول في الحرب فجاة : بدون اعداد ديبلوماسي فوري وبدون اعداد محلي (باستثناء الاعداد المقلوب لبنك روما) وبدون اعداد عسكري فوري (١١٧) ولذلك :

« فان التساؤل عن « متى »و « لماذا » و « كيف » تمت العملية لا يجد التفسير الا اذا اخذنا في الحسبان عدم ثقافة وطيش وسهولة تاثر وثرثرة الطبقات الحاكمة الايطالية » (١١٨) .

وقد قابل قايطانو سالفيميني التيار العام بعناد وحزم وشجاعة معارضا حتى اصدقائه الذين ربطته بهم اواصر ود عميق .نضج من خلال سنوات

---

(١١٧) نفس المصدر ٣٣٠ .

(١١٨) نفس المصدر ص ٣٣٣ . درس سالفيميني في مقال بتاريخ ٢٩ فبراير ١٩٤١ سوابق العملية والروح التي تكونت في تلك الفترة في الراي العام الايطالي فتحدث هو ايضا عن « القدر التاريخي » : « لو ان امة اخرى — اكد سالفيميني — وضعت اقدامها في تلك البلاد (ليبيا) فان الاكثرية من الايطاليين الذين يقراون الصحف ويثرثرون عن السياسة حول موائد المقاهي ورجال آخرين بلهاء وغير مندفعين قد يكون لديهم الانطباع بان تلك كارثة وطنية عجيبة وان كنا حسب راينا نرى في ذلك خطا وان كانت الاراء في مثل هذه الحالات لا تساوي الا صاحبها فالكثيرون من اولئك الذين يلومون اليوم الحكومة على قيامها بالعملية (طرابلس) قد يصعقونها لو ان ليبيا افلتت من ايطاليا واولئك الجمهوريون الذين يحتجون اليوم ضد الملكية لانها ذهبت الى هناك قد يطالبون بالجمهورية لو ذهب أحد اخر الى ليبيا . وهكذا فان « القدر التاريخي » كان ولا بد ان يقودنا عاجلا ام اجلا الى ليبيا . وان « القدر التاريخي » هو عدم الثقافة والطيش اللذان جميعنا في ايطاليا مصابون بمرضهما مع بعض التفاوت . وبفضل عدم الثقافة والطيش تحولت امنية مبهمة وخيالية الى عقيدة ثابتة استطاعت تدريجيا ان تستحوذ حتى على رجال غير طائشين ومتعلمين وذلك لان احدا لم يدر بخلده ابدا ان ينتقد هذه العقيدة بالذات على اعتبار ان الامر لا يتعدى كونه امنية دون اخطار مباشرة وبدون عواقب عملية ، واستمر الامر لمدة ثلاثين عاما دون مبالاة يتارجح بين الرغبة والاعراض الى ان تعثرت في لحظة العقد في المشط وامسك « القدر التاريخي » لطيشنا وجهلنا برقابنا واضطررنا اخيرا الى الترك او الاخذ (لماذا كان يجب علينا ان نذهب الى ليبيا) منشور في صحيفة « اونيتا » ٢٠ فبراير ١٩٢٤ والان منشور في كتاب قايطانوسالفيميني المذكور ص ٣١٨) .

طويلة من التعاون والعمل الاخوي . فبعد ان تخلى عمليا عن صفوف الاشتراكية اخذ منذ ثلاث سنوات يساهم بصورة ايجابية في مجلة « لافوتشي » (الصوت) لصاحبها بريتسوليني . وببداية المشكلة الطرابلسية اراد سالفيميني ان يتخذ من هذه المجلة الفلورنسية منصة الاتهام ضد المحرضين على عملية الغزو « ووضح في ٢٤ اغسطس ١٩١١ الاسباب التي لا تبرر احتلال ليبيا . وقد برز من بين هذه الاسباب بوضوح تخوفه من احتمال مطالبة النمسا بتعويضات في البلقان الامر الذي قد تتبعه مسابقة في التعويضات التي قد تستغلها ايضا دول الوفاق بحيث تترك ايطاليا في حالة شلل وعزلة في عملية هذا النهب العام » (١١٩) وكان عليه وسط هذه المناورات ان يؤكد من جديد وباصرار انه حتى ولو ان طرابلس كانت :

---

(١١٩) (١) على ايطاليا ان تحتفظ في طرابلس على الاقل بعشرين الف رجل ، والاسطول الايطالي قد يظل مشغولا بين « تارانتو » وافريقيا لتامين المواصلات المستمرة ما بين الحملة العسكرية والوطن الام . وفي وقت مناقشة شروط تجديد الحلف الثلاثي فان ايطاليا قد تجد نفسها مثل الرجل الذي وضع يديه في الشرك ويريد ان يتفاهم في مصالحه مع من وقف وراءه مسلحا بهراوة . وان جميع التضحيات المالية الضخمة التي بذلت في السنوات الاخيرة بحجة انها تفيد في تامين حرية عمل اكبر لنا وقت تجديد الحلف الثلاثي قد تعتبر أنها انفقت في غير طائل . (٢) ان النمسا التي عندما ضمت اليها نهائيا البوسنة والارزقوفينا اضطرت منذ ثلاث سنوات الى التنازل عن حقوق الاحتفاظ بحامية عسكرية في سنجق نوفي بازار وهو تنازل لم يغفره النمساويون والهنغاريون لارهانتال (وزير الخارجية) وان النمسا وفقا للتقاليد الديبلوماسية قد يكون لها الحق ان تطالب بتعويضات ولدى تقرير حجم هذا التعويض لن تستطيع ايطاليا معارضتها لا قانونيا ولا عمليا بسبب الشلل الذي قد تكون الحقته بها العملية الطرابلسية . (...) (٣) ان روسيا وفرنسا وانكلترا ستكون اقل مقدرة على مقاومة الزحف النمساوي ـ الالماني بالنظر لتخلي ايطاليا عنها . ولذلك فقد تتبع هذه الدول ايضا سياسة التعويضات وتتضامن معا لانتزاع كل ما يمكن من عملية السلب العام . وخلال هذه المساومات فان ايطاليا المشغولة في طرابلس والمعزولة بين النظامين الديبلوماسيين لان كل منهما معاد لها ستقوم هي اذن بالاضافة الى الامبراطورية العثمانية بدفع نفقات المائدة . وربما قد لا تستطيع حتى الاحتفاظ بطرابلس . وعلى كل فعليها ان تستجدي من المانيا والنمسا التنازل عن اي مطمع في طرابلس . وهذا هو الشرك الذي قد تقع فيه ايطاليا في الذكرى الخمسينية للوحدة اذا ما اتبعت تشجيع رجالنا

« بلد المغانم التي يتغنى بها النمساويون ــ الرهبان * والقوميون في هذه الفترة ولبضعة سنوات اخرى فان ايطاليا عليها ان تحتفظ بسكونها ولا تقم بمبادرة تتضمن اية مفاجاة دولية ، وان تعمل قبل كل شيء على منع النمسا من اي تقدم في اتجاه سلانيك وان تخضع كل اعمالها لهذا الهدف الاسمى وان ترتبط ارتباطا وثيقا بجميع اولئك الذين تهمهم مثلنا المحافظة على الوضع الراهن » (١٢٠) .

وفي ٢٨ سبتمبر رد سالفيميني بمقال وقعه باسم « لافوتشي » على المواضيع التي اثارها بفيوني على صحيفة « لاستامبا » والتي اكد فيها ان ثروة « طرابلس تساوي الملايين التي يكلفها الاحتلال العسكري وتساوي المخاطرة بالاعتداء على كيان الامبراطورية العثمانية بما يتبع ذلك من فتح القضية الشرقية بصورة شرسة » .

وقد اجاب في نفس المقال على اندريا توري الذي اكد من على صفحات « كوريري ديلا سيرا » بتاريخ ١٥ سبتمبر ان مناجم الكبريت الطرابلسية تمتد لمسافة « الاف الكيلومترات » ورد كذلك على قايطانو موسكا الذي اكد من جديد من على صفحات « لاتريبونا » بتاريخ ٢٢ سبتمبر الفوائد الناتجة عن استغلال مناجم الكبريت الليبية (١٢١) .

من النمساويين ــ الرهبان . وتساعد في ذلك القوميون .. هنيئا لهم . « الشرك الطرابلسي » في صحيفة « لافوتشي » ٢٤ اغسطس ١٩١١ . الان منشور في كتاب قايطانوسالفيميني المذكور ص ٩٥ ــ ٩٤ .

(*) يعني المؤلف رجال الكنيسة الكاثوليكية واتباعهم (المعرب) .

(١٢٠) المصدر المذكور .

(١٢١) « الثقافة الايطالية في طرابلس » منشور في « لافوتشي » في ٢٨ سبتمبر ١٩١١ ، والان منشور في كتاب سالفيميني المذكور ص ١١٤ ــ ١٠٢ « عندما يراد القذف بالبلاد في عملية خطيرة كعملية طرابلس ــ كتب سالفيميني ــ وتقوم حملة صحافية مجنونة اساسها الاراجيف وعدم الدقة والتزوير والطيش والتستر المنتظم فان من واجب من لا يريد أن يسير الى الامام وراسه في الزكيبة ان يلفت نظر البلاد الى حقيقة الوضع والى الاخطار الاكيدة والمفترضة الناتجة عنه » .

واجتهد سالفيميني في ان يوضح ان معارضة « لافوتشي » لعملية الغزو الليبية لا ترتبط بتعصب دولي او من اجل السلام « وانما كانت تمليها اسباب وجيهة : اسباب سياسية واقتصادية ومعنوية » (١٢٢) . ولم يعجب موقف سالفيميني هذا الحاسم والمدعم بالاحصائيات والوثائق وشهادات الخبراء والباحثين لم يعجب ولم يرض محرري « لافوتشي » الاخرين الذين كانوا يخشون ان تتورط المجلة باكملها فـي هذه المعركة وان تـفقد بذلك طابعها الثقافي البحت الذي كان يميزها ويعـطيها سيماء ذاتيـة . كما انهم لم يرضوا عن هذا الجدل التفصيلي وافساح المكان والاهمية لمسائل سياسية طارئة ، مما يدفع على التفكير في ان المجلة هي لسان حال فريق سياسي وليست منبرا لمجموعة من المثقفين (١٢٣) .

« لا توجد قومية ــ اضاف سالفيميني ــ تستطيع ان تثبت ان استنـزاف الزراعـة الايطالية كان من اجل تقوية الـزراعة الطرابلسية لاجبـار فـلاحينا المضطرين الى الهجـرة باعـداد كبيرة كي يذهبوا الى طـرابلس في طلب العمل الذي تحول البلاغة القوميـة دون حصولهم عليه في ايطاليا تستطيع ان تثبت ان هـذا العمـل وطنـي ومفيـد » (نفس المصدر) . فاذا ما سكت الجميع ــ كتب سالفيميني ــ الى كارلو بلاتشي في ٢١ سبتمبر ــ وتركوا المبـادرة والمسؤولية للحكومة فعلينا نحن ايضا ان نصمت غير ان الجميع يتحدثون لان احـدا لا يثـق في الحكومة ولان كـل واحـد يريـد ان يجـر الحكومة الى حيث يريـد هو . ولانه كان على القوميون ان يقوموا بدفعـة اخـرى نحـو الارتباك الـداخلي وان يمارسوا السياسة الخارجية من اجل فـرضها على الحكومـة من الخـارج لتحقيق سياسات داخليـة . ففي هذه الحالات يجب ان يقـول كل واحـد كلمته . وان كلمتي تساوي على ما اعتقد اكثر بكثير مـن كلمة كوارديني وتوري اللذين هما في الخلاصة ليستا الا انصاف اغبيـاء » (قايطانو سالفيميني « اوراق » المذكـور مجلـد ١ ص ٥٠٣) .

(١٢٢) « طـرابلس والحلـف الثلاثي » منشور في « لافـوتشي » بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩١١ ، الان منشور في كتاب قايطانو سالفيميني « كيف ذهبنـا الى ليبيـا » المذكور ص ٩٩ .

(١٢٣) ان الخـلاف مع سالفيميني ــ كتب في هـذا الصدد بريتسوليني ــ يعـود الى عهـد قديـم ان مزاجـه السياسي والشخصي يود دوما ان يعطي لمجلـة « لافـوتشي » طابعـا سياسيا فقط وليس بالسياسة العامـة حيث كـانت « لافـوتشي » تنشـر مقالات سياسية (اي كثقافـة وضرورة معنويـة) بل كان يريد السياسة العاديـة الراميـة الى طعـن الرجـل السيـاسي او ذاك او هـذا الاجـراء السيـاسـي او الاخـر (جوسبـي بريتسولينـي G. Prezzolini » عهـد « لا فوتشي » ميلانو ــ فلـورنس ١٩٦٠ ص ٤٣٠) .

« الان جاء دور طرابلس » هكذا كان سالفيميني يرد بشـــدة على هذه الاتهامات كاتبا الى بريتسوليني يوم ١٨ سبتمبر ١١٩١ : « يجب الاصرار على طرابلس في كل اسبوع . فاذا كان هناك اصدقاء لمجلة « لافوتشي » يعتقدون ان تلك ليست بالثقافة فما عليهم الا ان يستسلموا « للفراشة » * والاخبار الثقافية (١٢٤) . وفي رسالة اخرى بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩١١ كتـــب الى بريتسوليني : « ان الثقافة الحقيقية بالنسبة الى اليوم هي الحـــديث عن طرابلس . الباقي كله اليوم ليس بالثقافة وانما عبارة عن ادب » . واضاف في نفس الرسالـــة « اذا كان هـــؤلاء الاصدقاء بصفتهـــم مؤيدين للعملية الطرابلسية ويزعمون ان على « لافوتشي » ان لا تهتم بهذا الموضوع كي لا تقوم بالسياســة العادية او اذا وجدوا ان الاهتمام بطرابلس لا يعتبر ثقافة في حين ان الاهتمام ببيكاسو هي الثقافة ، فاذا تغلب هذا الاتجاه على مجلة « لافوتشي » فاني اعلن لك منذ الان عن انفصالي الكامـــل عنك » (١٢٥) .

وفي اليوم التالي (٢٩ سبتمبر) تولى جوفاني اميندولا الذي كان ينوب عن بريتسوليني في ادارة المجلـــة الفلورنسية في تلك الفترة تولى الـــرد على سالفيميني :

« يبدو لي ان المرحلة الاولى من المشكلة الطرابلسية قد انتهت . وهي مرحلة اعداد الراي العام وخلق الاسباب الحاسمة للقرار . وقد اتخذ في النهاية القرار : واكدنا مسؤوليتنا ووضحنا تحفظـــاتنا واني لارى اذن ان مشكلة التساؤل كيف اتخذ القرار تخرج من ميدان الاحداث الجارية لتدخل ميدان التاريخ (...) وهذا لا يعني ان « لافـــوتشي » لا يجب ان تهتـــم بعد الان بطرابلس ، غير ان الامر في الوقت الحالي يتعلق بعمليات بحرية وعسكرية وديبلوماسية لا نستطيع ان نقول فيها شيئا . ان التحفظ اذن حـــول هذه

(*) اســـم مجلـــة

(١٢٤) نفس المصـــدر ٤٣٣ .

(١٢٥) نفس المصـــدر ص ٤٣٨ — ٤٣٧ .

النقطة يبدو لي واجبا (...) وعلى كل يا عزيزي سالفيميني قد اكون مخطئا في رأي ولكني لا أريد ان افرض عليك ولا اود ان تخرج من « لافوتشي » بهذه الطريقة والسرعة متخليا ــ حسب وجهة نظري ــ عن واجب الاتزان حتى ولو كان ثمن ذلك ان تملا صفحات « لافوتشي » بكتاباتك الطرابلسية التي قد تعتبر جاءت في غير وقتها (...) انتظر : والانتظار لا يبعد امكانية حل المسالة بصورة اساسية » (١٢٦) .

وقد حاول امندولا ان يصرف سالفيميني عن تلك الحالة التي كانت تبدو له انها اصبحت نوعا من الهوس وطلب منه أن يهتم بمسائل اخرى كان مهتما بها كثيرا وهي لا تقل اهمية بالنسبة لحياة البلاد المدنية والسياسة وذلك مثل مسالة حق التصويت العام .

ومع ذلك فقد اضطر سالفيميني على مضض منه ان يقطع الحوار بينه وبين اصدقائه بمجلة « لافوتشي » حيث كتب بتاريخ اول اكتوبر :

« اعتقد انه من واجبي ان اكف عن اي تعاون مع « لافوتشي » الى ان تجلوا ازمتكم في الاتجاه الذي اراه صوابا (...) ان مشكلة طرابلس قد وضعت كل منا في مكانه : هذا هو كل شيء . نستطيع اليوم ان نرى بصورة احسن ما في نفوسنا ونفوس الغير . ونشعر اننا لا نتفق سوى في طموح عام (مشترك) اي في حياة اكثر جدية وكرامة . غير ان هذا الطموح العام المشترك لا يكفي ليسمح لنا بالبقاء سويا . ان البابا بيوس العاشر يطمح في ان تحصل الانسانية كلها على حياة اكثر جدية واكثر كرامة . ومع هذا فهو

---

(١٢٦) ايفاكوهن امندولا Eva Kühn Amendola « الحياة مع جوفاني امندولا . رسائل » ١٩٠٣ ــ ١٩٢٦ فلورنس ١٩٦١ ص ٢٩٧ ــ ٢٩٦ . كان جوفاني امندولا بصورة جوهرية مؤيدا للغزو حتى وان كان يريد ان يفصل بين تاييده وتاييد اولئك الذين جعلوا « من التوسع والاضطرابات قانون الحياة الوطنية » ثم نيما بعد وصف الحرب بانها « حرب دون المتوسطة » (راجع جانبيرو كاروتشي Giampiero Carocci «جوفاني امندولا في ازمة الدولة الايطالية ١٩٢٥ ــ ١٩١١» ميلانو ١٩٦٥ ص ٢٣ ــ ١٨) .

قد لا يساهم في مجلة « لافوتشي » . وحيث انني تركت الحزب الاشتراكي ولا اجد في « لافوتشي » ولا حولها تلك المجموعة التي تبعث في الامل في عمل مفيد مما يضطرني الى العمل ، وحيث انني مقتنع بأن رجلا بمفرده في المجتمع الحديث عبارة عن عاجز ، ولذا فانني اقدم احتراماتي للعالم الحديث واكب على « الدراسة » لحسابي الخاص (...) سانزوي في عقر داري . هذا هو كل شيء . انها ازمة داخلية تخصني وحدي » (١٢٧) .

وبعد بضعة ايام اي في ٦ اكتوبر كرر سالفيميني نفس الافكار في رسالة جديدة الى بريستوليني وهي ضرورة « الكلام والافصاح عن الحقيقة : ١) كي تبدو المسؤوليات واضحة في حالة الفشل ، (٢) وحيث انه في حالة نجاح عسكري ودبيلوماسي تستطيع البلاد ان تضع بترو برنامج عملها هناك « فمن الضروري » الحديث عاجلا « في الوقت الذي يدور فيه القتال وذلك لاعداد النفوس للامر » (١٢٨) . وختم سالفيميني كلامه بشيء من المرارة :

« اني اؤكد ان انفصالي عن « لافوتشي » سيسبب لي الما لا نهاية له .

---

(١٢٧) ايفاكوهن امندولا ، المصدر المذكور ص ٣٠٠ ـــ ٢٩٨ .

(١٢٨) فقد كتب سالفيميني الى بريتسوليني في هذه الرسالة المؤرخة في ٦ اكتوبر ١٩١١ :
« يبدو لي انك لا انت ولا امندولا تدركون بوضوح خطورة الخلاف . (...) حذار . انا لا اقول ان على « لافوتشي » ان تتخذ موقفا . اقول : دعوني انا اتخذ موقفا تحت مسؤوليتي . واذا احدكم اعتقد انني على خطا فليحاربني من على صفحات « لافوتشي » سنتناقش وندرس . ان فريقا من اصدقاء « لافوتشي » يرى انه يجب علي ان اصمت حول ما اعتقد ان اقوله بسرعة . فهم يرون من المناسب الاهتمام بشجر السرو في سان قويدو اكثر من الاهتمام بطرابلس . (...) والشيء الذي لا استطيع ابتلاعه هو انه يجب علي ان اصمت : اي علي ان اشترك بصمتي في تزوير الاخرين » . لقد كان سالفيميني يرى ضرورة الكلام عن المسالة الطرابلسية في كل صدد لدفع الاوهام واعطاء (...) القراء الشعور بحقيقة الواقع مع مواصلة القول انه مهما كان هذا الواقع والى الحد الذي وصلت اليها الامور فعلى ايطاليا ان تقاوم بشدة لتخرج بكرامة وبفائدة من الحالة العاثرة العسكرية والدبيلوماسية » (جوسبي بريتسوليني المصدر المذكور ص ٤٤٧ ـــ ٤٤١) .

ان « لافوتشي » اعتبرها الى حد ما منزلي ايضا (١٢٩) . ولكني لا استطيع ان اتهاون في واجبي . وواجبي اليوم هو : اما التحدث باستمرار عن طرابلس وفي كل وقت حتى افرغ ما في جعبتي واما عدم الكلام عن اي شيء. لا اعتقد اني ساعمل شيئا لحسابي ، فاذا انفصلت عن « لافوتشي » ستكون في ذلك نهاية ذلك العالم الذي بدا يتكون في داخلي في الوقت الذي كان يسقط فيه الاخر . ساشعر حقا بوحدتي وعندما يكون الانسان وحيدا فانه يفضل الصمت . سأتأمل في نفسي وادرس لمدة عامين تقريبا وساعيد صياغة ثقافتي : ثم سنرى . (١٣٠)

ولم يتراجع بريتسوليني وامندولا واصدقاء « لافوتشي » الاخرون خطوة واحدة تجاه موقف سالفيميني وذلك لاقتناعهم كما كتب امندولا نفسه الى سالفيميني يوم ٢٠ اكتوبر بان المجلة الفلورنسية لا تستطيع ان تتخلى عن واجب « تجنيب الامة اخطارا في المستقبل » (١٣١) .

---

(١٢٩) وفي رسالة اخرى الى بريتسوليني بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٩١١ هكذا كتب سالفيميني في نفس الموضوع :
« منذ ثلاث سنوات وجدت فيكم اسرتي . وساهمت مجلة « لافوتشي » كثيرا في اعطائي غرضا يجعل حياتي مقبولة في الوقت الذي تلاشى فيه كل ما من شانه ان يقويني شخصيا وفي الوقت الذي تساقط فيه بصورة مفاجاة قطعا ايماني برجال الحزب الاشتراكي » (نفس المصدر ص ٤٥٣) .

(١٣٠) نفس المصدر ص ٤٤٧ .

(١٣١) ايفاكومن امندولا ، المصدر المذكور ص ٣٠٢ . « لا يكفي كونهم اصدقاء ــ كتب في هذا الخصوص جوفاني بويني G. Boine في ٢٣ اكتوبر ١٩١١ ــ الى امندولا ــ ويريدون النقاء : انها مسائل عامة جدا بحيث تتجمع من اجل سالفيميني . فاذا كان ثائرا ضد الاشتراكيين ام لا فجوهره ديمقراطي عاطفي ومن الاكثر خطورة لانه صادق » (نفس المصدر ص ٣٠٧) واجابه امندولا معبرا عن سروره لتمكنه في محاولته « من مساعدة بريتسوليني وانقاذه من المنحدر الذي كان من الممكن ان يجره اليه سالفيميني » (نفس المصدر ص ٣٠٩) وفي رسالة بتاريخ اول يناير ١٩١٢ بعث بها امندولا الى بابيني Papini صاح : سالفيميني التعس كان في امكانه ان يجنبنا المضايقات ويجنب نفسه الاحراج » (نفس المصدر ص ٣١٧) .

ان اللعبة قد انتهت اذن. ولكن سالفيميني بالرغم من ادعاءاته لم ينزو في عقر داره ولم ينطو على نفسه . فقد تغلب عليه واجب الحديث باستمرار عن طرابلس حتى « يفرغ ما في جعبته » ، وكان ذلك من الاسباب الاساسية التي دفعته الى تاسيس صحيفة « اونيتا » بالرغم مـن ان امندولا كان قد حذره من ان انشاء صحيفة يعد من اقسى انواع العذاب التي يحب الرجال ان ينزلوه بانفسهم » .

وصدر العدد الاول من صحيفة « اونيتا » يوم ١٦ ديسمبر ١٩١١ بعد ان ناقش هذه المبادرة سالفيميني وجوستينو فورتوناتو Giustino Fortunato وجينو لوتساتو Gino Lozzato وجوسبي بتراليوني Giuseppe Petraglione

وكانت الصحيفة ــ حسب نوايا مؤسسها ــ يجب ان تكون لسان حال ضمير الجماهير الجنوبية التاريخي (١٣٢) . وتجمع حـول المجلة الجديدة رجال نوابغ وان اختلف منشؤهم الثقافي والسياسي من امثال فورتوناتو ودي فيتي دي ماركو Fortunato, De Vitti De Marco وجيريتي Giretti وكارانو ــ دونفيتو Carano Donvito وايناودي Einaudi وبراتو Perato وازيمونتي Azimonti وكـوليتي Coletti وتشاسكا Ciasca واتوقـويد وموندولفو

(١٣٢) راجـع ماسيمول . سالفادوري Massimo L. Salvadori « تايطانو سالفيميني » تورينـو ١٩٦٣ ص ٨٣ . وقـد لاحظ بندتوكروتشي Benedetto Croce لـدى دراسته لطابـع المجلـة الجديـدة كيف انها « لم تجهـد نفسها لتوضيح تزويـرات القـوميين الخياليـة والاخطـاء التي تعـج بها كتاباتهم ومواضيعهم (...) وكـان لها الفضل في الشروع في دراسـة الحالـة الدولية الجـديدة التي قامت والتي على ايطاليـا ان تتحرك في اطـارها . غيـر ان سالفيميني الذي اوجـد المجلـة وكـان يتولى ادارتها كان يشعـر في صميم نفسه بمثاليات ماتسيني والعدالـة الـدولية والشرف الشعبـي ويمارس برغبـة جـدالا اخـلاقيا حـادا مـا بيـن السذاجـة والتظلـم وبلمسـة من الخيـال المثالـي . (البندتوكروتشي B. Croce « تـاريخ ايطاليـا في عـام ١٨٧١ الـى ١٨١٥ » بـاري ١٩٥٩ ص ٢٤٧) . جـوسبي بريتسوليني لاحظ بـدوره ان مجلـة « اونيتـا » كانت في جوهـرها « لافـوتشي » بدون برنامج الثقافـة وبـدون امكانية كثرة المساعدين « وكـانت » مكانا سياسيـا خـاصة بسالفيميني وحـده ولكنها لم تكن معبـرة من الجيـل الجديـد مثل مـا كانت « لافوتشي » (جوسبي بريتسوليني المصدر المذكور ص ٤٥١) .

Ugo Guido Mondolfo ورودولفو موندولفو Rodolfo Mondolfo وسلفا Silva وانسالدو Ansaldo وكارابيلليسي Carabellese وغيرهم (١٣٣) .

وكانت اهم معركة خاضها سالفيميني خلال صراعه ضد طرابلس من على صفحات المجلة الجديدة هي تدمير « تقرير رولفس » وكانت صحيفة « لاراجوني » La Ragione (العقل) قد نشرت في اعدادها بتاريخ ١٣ و ١٧ و ٢٤ سبتمبر ١٩١١ وثائق ذات مغزى كبير « وهي مراسلات تمت في الستة الاشهر الاخيرة من عام ١٨٩٤ وفي الاشهر الاولى من عام ١٨٩٥ ما بين فرنشسكو كريسبي رئيس الوزراء في ذلك الوقت وبين الباحث والرحالة المشهور جيرالدو رولفس Geraldo Rohlfs والكابتن مانفريدو كامبيرويو Manfredo Camperio وشخصيات اخرى . وذلك حول الوضع في طرابلس وبرقة (١٣٤) .

واوضحت هذه المراسلات بان طرابلس وبرقة غنيتان بالموارد الطبيعية لدرجة تعويض اية نفقات تبذل في سبيل احتلالهما وان الوطنيين الناقمين على الحكم التركي كانوا ينتظرون وصول الايطاليين كمحررين .

---

(١٣٣) المعادلة التي كانت تجمعهم كانت ما يسمى « بالواقعية » وهي كلمة اوجدها الجدال ضد موضوعية الاحزاب السياسية لان غرض هؤلاء الدمين الاشتراكية كان — حسب كلام سالفيميني ان يقنوا » وسط كتلة الكهنوتين — المعتدلين وكتلة مجموعات الجوليتيين الراديكاليين — الاصلاحيين وان يحاولوا عرقلة الجميع مدليين بان الكتلتين ليستا الا اتحادا لجماعات صغيرة ونقابية محلية (« ماسيمول سالفادوري » المصدر المذكور ص ٨٣) . وبخصوص طابع وتاريخ مجلة « اونيتا » راجع « الثقافة الايطالية في التسعمائة من خلال المجوت ، مجلد ٥ : « اونيتا » و « فوتشي بوليتيكا » بعناية فرانشسكوفولسيو واوتوسطوتويرا Francesco Golzio, Augusto Guerra تورينو ١٩٦٢ و « لونيتا » لقايطانو سالفيميني بعناية بنيامنيوفينوكيارو Beniamino F. Nochiaro فنسيا ١٩٥٨) .

(١٢٤) كانت الاوراق تتالف من ست وثائق : تقرير رولفس الى كريسبي بتاريخ ٥ يوليو ١٨٩٤ رسالة من كامبيرو الى كريسبي بتاريخ ٧ يوليو ١٨٩٤ ، رسالة من كريسبي الى كامبريو بتاريخ ٩ يوليو ١٨٩٤ وتقرير رولفس الى كريسبي بتاريخ ١٨ يوليو ١٨٩٤ ، رسالتان من كريسبي الى كامبيريو بتاريخ ٢٤ يوليو و ١٦ افسطس ١٨٩٤ .

« ان رولفس — لاحظ سالفيميني — قد قال في تقرير سري هام في عام ١٨٩٤ لا اقل ولا اكثر مما نشرته في هذه الايام حول الثروات الخيالية بطرابلس وحول احتلالها السهل جدا ، صحف ايديا ناسيونالي « وكوريري ديلابيرا » و « لاستامبا » و « جورنالي ديطاليا » و « كوريري ديطاليا » وغيرها من الصحف الطرابلسية . (...) وعليه فان هذا التقرير الغير عادي ... مزور . (١٣٥)

وقدم سالفيميني الدليل على كلامه هذا محللا بدقة التناقضات والتباينات الواردة في المراسلات المذكورة وكان بعضها واضحا كالشمس مثل الاشارة بان القنصلين ارتورو سكانيليا Arturo Scaniglia واوتوسطو ميدانا Augusto Medana عملا في طرابلس في الفترة ما بين ١٨٨٤ و ١٨٩٣ في حين انهما في الواقع شغلا منصبيهما الاول في عام ١٩٠١ والثاني في عام ١٩٠٢ . او مثل الاشارة الى « المنظمة اليهودية للاراضي » (I.T.O.) التي لم تتاسس الا في عام ١٩٠٥ اي بعد عشر سنوات من وضع التقرير المزعوم . وكذب سالفيميني بعض التاكيدات الواردة في المراسلات بعبارات اخذت من مؤلفات جيرالدو رولفس نفسه .

واستمر سالفيميني طيلة عام ١٩١٢ في مناقشة الحرب الليبية ومحاربة التزويرات القومية والجدل حتى بعد نهاية الحرب وذلك ليؤكد على ضوء الاحداث صدق ملاحظاته وتحذيراته (١٣٦) . وقد ساهم معه في هذه الحملة

---

(١٣٥) « التزويرات الطرابلسية » في صحيفة « اونيتا » ١٦ و ٢٣ ديسمبر ١٩١١ والان منشور في كتاب قايطانو سالفيميني المذكور ص ١٢٩ — ١١٧ . وبخصوص مراسلات رولفس — كريسبي راجع ايضا المقالات التالية لسالفيميني « انيوكويرينو الاماني والوثائق الكريسبية المزورة » Ennio Quirino Alamanni منشور في « اونيتا » في ١٣ و ٢٧ يوليو ١٩١٢ « الاماني والوثائق الكريسبية المزورة » في « اونيتا » تاريخ ١٠ اغسطس و ٢٧ يوليو ١٩١٢ الان منشور في « قايطانو سالفيميني » المصدر المذكور ص ٢٢٠ — ٢١٥ و ٢٢٨ — ٢٢٥ .

(١٣٦) راجع المقالات التالية : « ايرودوت وبلينيوس توميان » في « اونيتا » تاريخ ٦ يناير ١٩١٢ ، « مستعمرة ووطن ام » نفس المصدر ١٣ يناير ١٩١٢ ،

من على صفحات « اونيتا » كـل من ارمـانـد وريـتشي Armando Ricci وفرديناندو برتيني Ferdinando Bertini واوجينيـو فاينـا Eogenio Vaina وكارلو مارانيللي Carlo Maraneili وكارميلو كولامونيكو Carmelocola Monico واوجينيو ازيمونتي Eugenio Azimonti واكيلي كوين Achille Coen وليوني كايتاني Leone Caetani وادواردو جيريتـي E. Giretti (١٣٧) واثبت سالفيمني بعد عام من الحرب كيف ان «النزعة العسكرية تحولت الى حرب صعبة ماكرة في وسط معادي حذر واخذت تتهاوى اوهام الارض الموعودة من

« العمـل والاحتجـاج » ٢٠ ينايـر ١٩١٢ ، « الجنود الابطـال » نفس المصـدر ٢٧ ينايـر ١٩١٢ ، « تركيا والحلف الثلاثي » نفس المصـدر ١٧ ينايـر ١٩١٢ ، « علـم الاثـار الطرابلسي » نفس المصدر ١٧ فبراير ١٩١٢ ، « كيف تصنع ارضـا موعـودة » نفس المصـدر ٨ يونيـو ١٩١٢ Meminisse Juvabit نفس المصدر ١٢ مـارس ١٩١٢ ، « الوهـم الكبيـر » نفس المصدر ٤ مايـو ١٩١٢ ، « بنـك رومـا وليبيـا » نفس المصدر ٢٩ يونيـو ١٩١٢ ، « المسالة الليبية والديمقراطية » نفس المصدر ١٦ يوليـو ١٩١٢ ، « بطـل ايطاليا » نفس المصدر ٢٠ يوليو ١٩١٢ ، « بعـد عـام » نفس المصدر ٢٨ سبتمبر ١٩١٢ ، « القيـم الاخـلاقية للحـرب » نفس المصدر ٥ اكتوبر ١٩١٢ ، « الصلح الايطالـي — التـركي ومشكلة البلقـان » نفس المصدر ١٢ اكتوبـر ١٩١٢ ، « وجـوه صفيقة » نفس المصدر ١٢ و ١٩ اكتوبر ١٩١٢ ، « مرسوم السيادة وصلح لـوزان » نفس المصدر ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ ، « الملائمة الصحية لليبيـا الايطاليـة » نفس المصدر ١٦ نوفمبر ١٩١٢ ، « لعبـة الغبـاوة العميـاء » نفس المصدر ٦ ديسمبـر ١٩١٢ ، « ميـاه طرابلس » نفس المصـدر ١٣ نوفمبـر ١٩١٢ ، « جنونيـات استعماريـة » نفس المصدر ٣٠ نوفمبر ١٩١٢ ، « جيولوجية طرابلسية » نفس المصدر ٢٧ ديسمبر ١٩١٢ ، « الهجـرة عبـر المحيط والعملية الليبية » نفس المصدر ١٠ ينايـر ١٩١٣ ، « من يجيـد البداية » نفس المصدر ١٧ ينايـر ١٩١٣ ، « الزراعة في منطقة طرابلس » نفس المصدر ٣١ يناير ١٩١٣ ، « المـدرسة الثانوية في ليبيا والنائب تـوري » نفس المصدر ١٨ فبرايـر ١٩١٣ ، « شيلي في ليبيـا » نفس المصدر ٢١ مـارس ١٩١٣ ، « صيـد السمك في ليبيـا » نفس المصدر ١٣ يوليـو ١٩١٣ ، « السكـك الحديـدية في ليبيـا » نفس المصـدر ١٧ يونيـو ١٩١٣ ، « لماذا كان علينا ان نـذهب الى ليبيـا » نفس المصـدر ٢٠ فبرايـر ١٩١٤ ، « الاثـار العسكرية والـدولية للعملية » نفس المصدر ٦ مـارس ١٩١٤ ، ان جميـع هـذه المقـالات اعيـد نشرهـا في كتـاب « تايطانوسالفيميني » المصدر المـذكور ص ٣٢٢ — ١٣٠ .

(١٣٧) راجـع مقالات هؤلاء الصحافيين في كتاب متنوعون AA. VV. « كيف ذهبنا الى ليبيا » المـذكـور .

يوم لاخر وواجه سالفيميني هذه الميزانية المحزنة « من الاوهام والاخطاء بنضوج » البلاد التي استطاعت ان « تقدم دليلا على الحكمة والفطرة السليمة تجاه محاولات القوميين المسعورة الرامية الى دفع الحكومة نحو مغامرات جنونية » (١٣٨) واعرب عن سروره لان «جميع الجنود من مختلف المناطق» قد وجدوا انفسهم في افريقيا « متآخين ومتآلفين لا بسبب الخطر وحده وانما بسبب الشعور بالواجب والشرف الوطني « ملاحظــا » اندفاعا تضامنيا عظيما » وكان ذلك في نظر سالفيمني النتيجة الايجابيـــة الوحيدة لعملية الغزو وهي لا تستطيع « ان تكفي وحدها » من اجل :

« تبرئة اولئك الذين دفعوا بايطاليا الى هذه المغامرة علـى اساس من الاكاذيب المخجلة : لان لا شيء لاحظه سالفيميني ــ اكثر جنونا واجراما من التسبب في حرب ــ وبتلك الاساليب ــ بقصد وضع تضامن ونظام البلاد تحت التجربة : ان اولئك الذين ارادوا هذه الحرب قد برروها بحيل اخرى اي سراب الثروات الكبيرة التي سيتم الاستيلاء عليها دون اطلاق رصاصة واحدة . والضرورة الملحة لمنع حالـــة الاختناق ، باسباب سياسية عليـــا يزداد تاثيرها بقدر ما تزداد غموضا » (١٣٩) .

وقد كتب جواكينو فولبي G. Volpi بان سالفيميني :

« جعل من الجدال المضاد لعملية طرابلس في عام ١٩١١ وفيما بعد شبه رسالة باسم الحقيقة والشرف ومتطلبات الجنوب الداخلية ومصالحه . لقد كان رجلا موهوبا لا شك في استقامته وكان يعمل في تلـــك المعركة بشعور الناقد وغالبا ما ينقل المعلومات التي وان كانت ليبرالية خالصة غير انها اعظم مما لدى خصومه المفتونين بليبيا ، ولكن ميله المعتاد ايضا في دفع ارائه

---

(١٣٨) « بعد عام » في صحيفة « أونيتـــا » ٢٨ سبتمبر ١٩١٢ ، الان في «تايطانوسالفيميني» المصدر المـــذكور ص ٢٣٧ ــ ٢٣٦ .

(١٣٩) « القيـــم الاخلاقية للحـــرب » ٥ اكتوبـــر ١٩١٢ ، الان في « تايطانـــوسالفيمينـــي » المصدر المذكـــور ص ٢٤٠ .

الى الحد الاقصى ، والاخلاقيات كان يـــرى من خلالها مـــختالين ومستغلين متربصين في كل مكان وبساطة كانت تجعله يعـــري المسائـــل حتى العظم متوهما انه قد توصل الى حلها او مهـــد لها الحل السهـــل . وكان ينقصه الادراك او الاحساس بالمتطلبات التي كان من الممكن ان تفرض على امة مثل ايطاليا في فتـــرة حاسمة بالنسبة لمستقبل البحـــر الابيض المتوسط وهي حضورها ايجابيا مع فرنسا وانكلترا وروسيا ايضا والمانيا والنمسا في شمال افريقيا والشرق (١٤٠) .

ومن المؤكد ان سالفيميني قد قلل من اهمية بعض مظاهر المشكلة التي كان يراها الاخرون اساسية مثل وجود ايطاليا فـــي البـــحر الابيض المتوسط والمصالح التجارية والاقتصادية التي كانت معرضـــة للخطر فـــي طرابلس والوضع الذي كان يبدو مناسبا في الميدان الدبيلوماسي خاصة بعد احتلال فرنسا لمراكش . وعلى كل فان مغزى حملة سالفيميني ضد الحرب الايطالية ـــ التركية لا تقتصر على اقتناعه الراسخ بعدم فائدتها او بالاحرى بالضرر الذي قد تلحقه عملية الغزو بالبلاد مما يزيد من خطورة ازمة الجنوب ولا يحل المشاكل الخطيرة مثل مشكلة الهجرة . وهو اقتناع تدعمـــه دراسة مصادر موثوق بها ودقيقة كان يدفعه علـــى البحث عنها ما كان يضايقه كمؤرخ من تزويرات وتلاعب في الوثائق التي عمدت اليها الصحافة ـــ ان معركته هذه يجب ان ينظر اليها ايضا من مظهر اقل عرضية وانتفاعية بل يجب ان ينظر اليها عبر المحيط الاوسع للحياة السياسية الايطالية في تلك السنوات .

وقد اضطر سالفيميني ان يلوح بالخطر الذي كان من الممكـــن ـــ حسب وجهة نظره ـــ ان يتهدد دولة النهضة العلمانية القديمة بعد انضمام قسم من الحركة الكاثوليكية الى الحملة الليبية كما ان امكانية استفادة بنك روما الذي تتغلب عليه رؤوس الاموال الكاثوليكية ان يستفيد من سياسة الحكومة وهو الامر الذي كان يصدم شعوره المعادي للكنيسة . وقبل كـــل شيء قد

---

(١٤٠) جـــواكينونولبي ، المصدر المذكـــور ص ٣٣ .

تراى لسالفيميني في صيف ١٩١١ الخطر الذي قد تلحقه بايطـاليا موجة القومية التي اخذت تنشر عدواها بحماس متهور غير معقول في الجزء الاكبر من الاوساط السياسية والثقافية في البلاد وتقدم الى حركات مثـل حركة كوراديني ــ الذي جعل من الحرب الايطالية ــ التركية مسالة خاصة به ــ الوثيقة التي توطده بصورة كبيرة لدى الراي العام . وقد ادرك سالفيميني بحساسيته السياسية ــ التاريخية ان هذه الروح الطائفية البحتة والمضادة في داخلها للديموقراطية لم تكن تستطيع ان تقدم اية مزايا ولا اي شيء مفيد للتقدم المدني والمنظم للشعب الايطالي وللعلاقات الدبلوماسية الطيبـة مع الدول الاوروبية الاخرى » . ربما ان مصير ايطاليا قد تقرر ؟ كتب سالفيميني هذه الجملة في فبراير ١٩١٢ بلهجة تكاد تكون تنبوئية :

« ربما الخمسة والعشرون سنة القادمة التي كان من الممكن ومن الواجب ان تكون بالنسبة لايطاليا المتزنة والمدركة لمصالحها الحقيقية ــ سنوات سلام وكرامة ورخاء ، ستكون بفعل عمليـة التسمم القـومية العـالمية ــ سنوات لن تسر وطننا كثيرا » (١٤١) .

وان حكم سالفيميني على الحرب الليبية على كل حال ــ كان من الصعب تفنيده لانه استند على الجدية والانسجام وعلى اسلوب صارم رغم ان موقفه هذا بدا لبعض معاصريه في ملامح « دونكيشوتيه » : اي نوع من معركة ضد مطاحن الريح .

وقد اعتقد سالفيميني دون ان يقدر التقدير الكافي للواقع المحيط به ــ انه في امكانه ان يؤثر على الجماهير : «انهم يملكون الصحف ونحن نحرك الميادين » كتب بذلك الى بلانشي في ٢١ سبتمبر ١٩١١ (١٤٢) ولم يكن يدرك اذ ذاك ان القلة مثله من الذين كانوا يحاولون خلق تيار معاد لغزو ليبيا كانوا

---

(١٤١) « تركيـا والحلف الثلاثي » منشور في صحيفة « اونيتـا » بتاريخ ١٧ فبرايـر ١٩١٢ والان منشور في كتـاب سالفيميني المـذكور ــ ص ١٧٣ .

(١٤٢) تايطانو سالفيميني « اوراق » السابق ذكـره ص ٥٠٣ ــ مجلـد ١ .

معزولين منذ البداية لانهم كانوا يفتقرون الى الوسائل « المحركة للميادين » لقد كانوا عبارة عن معارضين منفردين لا يملكون اية امكانية لتغيير الجو الذي تكون في ايطاليا لدرجة ان الحزب الاشتراكي نفسه وهو القوة الوحيدة التي كان في الامكان الاعتماد عليها اذا اراد الحزب ذلك قد انقسم على نفسه وتردد واعتنق الكثير من رجاله البارزين فكرة جوليتي الاستعمارية .

وقد يتبادر التساؤل لماذا غير سالفيميني موقفه بمناسبة دخول ايطاليا الحرب العالمية الاولى التي كلفت البلاد اعباء مختلفة وضحايا في الارواح البشرية والثروات . لقد كان سالفيميني في الواقع ينظر الى بحر الادرياتيك منذ عام ١٩١١ وكان يخشى ان احتلال طرابلس قد يقضي على طموحات ايطاليا وقت تجديد الحلف الثلاثي في تحرير اراضيها التي كانت لا تزال تحت حكم النمسا وان هذه الاخيرة في زحفها نحو سلانيك قد تطالب بتعويضات اكبر ، وتفتح بذلك عملية «السلب العام» للامبراطورية العثمانية. وقد لا نخطيء اذا قلنا ان التدخل الديموقراطي الذي تبناه سالفيميني في عامي ١٩١٤ و ١٩١٥ تمتد جذوره في حملته ضد غزو ليبيا وفي صفحاته الملتهبة ضد هذا الغزو (١٤٣) .

---

(١٤٣) بخصوص هذه الجذور الليبية في مطالبة سالفيميني بالتدخل في الحرب العالمية راجع ايضا لوتشيا سترابيني Lucia Strabini المذكور ص ٩٦ ــ ٩٥ : وقد ركزت على قول سالفيميني باعادة العثور على « التضامن الوطني » واكدت انه بذلك اقترب من القوميين غير ان هذه الفكرة تبدو قابلة للنقاش..

من الاعداد الديبلوماسى الى اعلان الحرب

جوليتي وسان جوليانو يواجهان المشكلة الطرابلسية . النشاط الديبلوماسي عشية القتال ــ موقف انكلترا وفرنسا وروسيا ــ جاكومودي مارتينو وعمله الديبلوماسي في تركيا ــ المانيا وتركيا . موقف النمسا ، المجر ــ الراي العام الايطالي والحكومة ــ محاولات المانية ، تركية ، نمساوية لايقاف ايطاليا في آخر لحظة ــ الانذار الموجه الى تركيا واعلان الحرب ــ ردود الفعل في اوروبا ــ خطاب تورينو ــ صعوبات ايجاد حل متفق عليه ــ فيتوريو عمناويل الثالث والعملية الليبية .



كتب جوفاني جوليتي في مذكراته انه عندما تولى للمرة الرابعة الحكم في ربيع عام ١٩١١ فبالاضافة الى الاصلاح الانتخابي وانشاء احتكار التامينات فقد كانت هناك نقطة ثالثة « منذ زمن حاضرة » في ذهنه « مع الرغبة الاكيدة في انتهاز اول فرصة » لتحقيقها : «حل المشكلة الليبية » (١) . ومن المعروف ان هذا التاكيد قد احدث موجة من التفسيرات المتناقضة سواء من قبل واضعي التاريخ او الصحفيين والكتاب بصورة عامة . وقد كذب لويجبي

---

(١) جوفانـي جوليتي « مذكـرات حيـاتي » ميلانـو ١٩٦٧ ، ص ١٩٢ .

البرتيني مدير « كوريري ديلاسيرا » جوليتي ، ملاحظا « انه قبل ربيع ١٩١١ لم يكن هناك من يفكر او يستطيع ان يفكر في ليبيا . ولكي نذهب اليها كان علينا ان نواجه عاصفة اعظم من تلك التي اثارها الانزال في طرابلس عام ١٩١١ عندما تقرر هذا الانزال تحت ضغط احداث كنا غريبين عنها » (٢) . ويعتبر البرتيني في الخلاصة ان الاسباب التي قررت العملية « تنحدر من الوضع الذي اوجده حادث اغادير وعواقبه » (٣) .

وقد اشار البرتيني نفسه الى ان « تشدد النظام التركي وحل مشكلة مراكش سياسيا كانت قبل كل شيء العامل الذي جعل البلاد تدرك ضرورة سرعة العمل » (٤) . ويبدو ان راي البرتيني اقرب الى الواقع وخاصة عندما يؤكد ان الازمة الفرنسية المراكشية كانت السبب الحاسم في المبادرة الايطالية . ويكفي القول ان اوراق جوليتي لا تحتوي على اي اثر لوثائق تشير بصورة ملموسة الى امكانية احتلال ليبيا قبل « حادث اغادير » (٥) . وقد يكون من الممكن الملاحظة على كل حال ان مسالة امكانية احتلال ايطاليا لطرابلس وبرقة كانت مطروحة منذ سنوات على بساط السياسة الخارجية الايطالية . فقد نوقشت خلال الاتفاقات مع فرنسا وانكلترا وروسيا وفي الحلف الثلاثي الامر الذي لا ينفي الافتراض بان جوليتي كان ينوي في ربيع ١٩١١ « انتهاز الفرصة » لتصفية الموضوع .

غير انه من المشكوك فيه جدا ان جوليتي كان يود في تلك الفترة ان يعمل

---

(٢) لويجي البرتيني « عشرون عاما من الحياة السياسية » ـ قسم اول جزء ٢ ص ١١٨ .

(٣) نفس المصدر ـ ص ١١٩ .

(٤) نفس المصدر ص ١٢٣ .

(٥) لقد لاحظ رفائيلي مولينيللي Raffaele Molinelli في هذا الصدد : « ان البرتيني على حق فان العملية نضجت بعد اغادير فقط (يوليو ١٩١١) وهو نفس ما يقوله جوليتي ولكنه يخطيء اذا اعتقد ان القرار كان كلية مفاجاة وانه لم يحظ في اطار الحكومة بفترة اعداد حتى ولو ان الاحداث الداخلية والخارجية قد حققته بصورة نهائية . (رفائيلي مولينيللي المصدر السابق ذكره ص ٧٩ ـ ٨٠) .

على حل المسالة الطرابلسية . ففي ربيع ١٩١١ بالذات يبدو ان رئيس مجلس الوزراء كان « ثائرا ضد القوميين » الذين كانوا ينادون باحتلال طرابلس . ولدينا شهادة من قوليامو فريرو Guglielho Ferrero التي قد تبدو معارضة لما كتبه جوليتي نفسه في مذكراته . فيتحدث فيريرو عن محادثة وقعت في شهر مايو بين رئيس مجلس الوزراء نفسه واحد اصدقائه ومساعديه يبدو ان جوليتي قد صرح خلالها :

« القوميون يتخيلون ان طرابلس هي ارض يملكها زنجي ساذج تستطيع دولة اوروبية ان تسقطه عن عرشه كما تشاء . غير ان طرابلس ولاية من ولايات الامبراطورية العثمانية والامبراطورية العثمانية دولة اوروبية كبرى ان كيان ما تبقى من الامبراطورية العثمانية هو احد المبادىء التي يقوم عليها توازن وسلام اوروبا . ولكي استولى على طرابلس يجب ان احارب الامبراطورية العثمانية ، ولكي احارب دولة كبرى اوروبية يجب ان يكون لدي السبب او على الاقل الذريعة ولا استطيع اذ ابرز الحرب ضد الامبراطورية العثمانية قائلا لاوروبا ان الحزب القومي يريد طرابلس . ثم وبعد ذلك ان كيان الامبراطورية العثمانية شرط في توازن وسلام اوروبا . فهل من مصلحة ايطاليا ان تدمر احدى احجار الزوايا في المبنى القديم ؟ ولو فرضنا ان بعد مهاجمتنا لتركيا تتحرك البلقان ؟ ولو ان حربا بلقانية تتسبب في صدام ما بين مجموعتي الدول وفي حرب اوروبية ، هل في امكاننا ان نتحمل مسؤولية اشعال النيران في مستودع البارود ؟ (٦) .

ان مشكلة اتفاق تاكيدات جوليتي مع الواقع ام لا هي من نوع الخلافات التي تترك للزمن . ولا يبدو لنا ضروريا بصفة خاصة هذا التحقق الى اي مدى كان جوليتي متمسكا بتحقيق عملية استعمارية بعد ان قضى سنوات كثيرة كرسها لمشاكل السياسة الداخلية قبل كل شيء . او بصورة اخرى اذا كان

---

(٦) توليلمو فيريرو G. Ferrero « السلطة » اعداد جينا فيريرو ولومبروزو — تقديم اومبرتو كامبانيولو — ميلانو ١٩٤٧ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ .

"عمل الذي قام به في اخر شهر سبتمبر ١٩١١ كان هو اي جوليتي العامل الرئيسي فيه ام انه قد دفعته اليه مرغما الاحداث السياسية الدولية وضغط العوامل الداخلية والخارجية على وزارته . فمثلا ما هو وزن شخصية وارادة وزير خارجية مثل دي سان جوليانو في كل الاحداث وما وزن الجو الذي خلقته حملة الصحافة لصالح الحرب ؟

لقد لاحظ جوليتي نفسه ان « سان جوليانو » الذي كان يشعر نحو ليبيا بشعور خاص بصفته صقلي كان اكثر تسرعا وكان يعتقد ان من الانسب القيام بالعمل قبل حل المشكلة الخطيرة جدا المعلقة بين فرنسا والمانيا بخصوص مراكش » (٧) وبتصفح الوثائق الموجودة في اوراق جوليتي وبصورة خاصة الرسائل المتبادلة ما بين جوليتي ودي سان جوليانو عشية الحرب الايطالية ــ التركية (٨) نرى ان هذا التاكيد يجد ما يغلب تاييده (٩) . ففي يوم حادث « اغادير » بالذات في اول يوليو ١٩١١ كتب دي سان جوليانو الى جوليتي: « ان الحالة التي من الممكن ان ترتسم في مراكش تتطلب من جهتنا في اسرع وقت ممكن دراسة هادئة للسلوك الذي يجب ان يتبع وللقرارات المحتملة التي يجب اعدادها » فهذه اول وثيقة من حيث الزمن ــ يعثر عليها في اوراق جوليتي حول مسالة امكانية القيام بعمل ايطالي او على الاقل حول مناسبة دراسة الحالة على ضوء الاحداث التي كانت تتحقق في البحر الابيض المتوسط (١٠) .

---

(٧) جوفاني جوليتي ــ المصدر المذكور ص ٢١٧ .

(٨) جزء من هذه الوثائق نشر في « من اوراق جوفاني جوليتي » المذكورة . لدى محفوظات الدولة المركزية بروما ــ وتوجد ايضا وثائق اخرى هامة لم تدرج في المجموعة المذكورة . وسنشير الى الوثائق التي لم تنشر باحرف A.C.S., C.G.

(٩) فيما يتعلق بسياسة دي سان جوليانو الاستعمارية انظر رينولونغيتانو Rino Longhitano « انطونيو دي سان جوليانو » ــ روما ــ ميلانو ١٩٥٤ ص ١٣٧ ــ ١٩٤ وفرنشسكو كاتالوتشو F. Catalluccio « انطونيو دي سان جوليانو وسياسة ايطاليا الخارجية من عام ١٩٠٠ الى ١٩١٤ » فلورنسا ١٣٥ ص ٤٦ ــ ٧٣ .

(١٠) A.C.S., C.G., b. 13, f. 13

وبعد بضعة ايام أي في ٢٨ يوليو وجه وزير الخارجية الى جوليتي مذكراته المعروفة وهي قطعة دبلوماسية رائعة حاول فيها ان يقنع رئيس الوزراء بالاخذ بعين الاعتبار وبصورة واقعية امكانية القيام بعملية استعمارية . وقراءة هذه المذكرة تشعر الانسان ان دي سان جوليانو قد تامل كثيرا في مذكراته . فافعال وحروف الشرط وكلمات « ممكن » التي كانت لا تخلو منها تقريبا فقرة كانت دليلا على الصراع النفسي والعذاب الامر الذي ادركه جوليتي وقد اشر بالقلم الاحمر على كثير من هذه الفقرات . ومع هذا فان دي سان جوليانو لم يستطع الا ان يوضح حتمية قيام ايطاليا بعمل حازم في ليبيا :

« من مجمل الوضع الدولي والمحلي في طرابلس اني اليوم اميل الى الاخذ بانه من المحتمل ان تجد ايطاليا نفسها بعد بضعة اشهر مضطرة الى القيام بحملة عسكرية في طرابلس فمن الضروري ان نحسب حساب هذه الاحتمالات في كل اتجاهاتنا السياسية مع الواجب — حسب نظري ان نحاول تجنبها » .

والسبب الاساسي الذي جعل دي سان جوليانو يفضل حملة عسكرية يكمن في خطر اشتعال الفتيل في البلقان وهو لا يخفي ذلك :

« (...) ان احتمال (احتمال لا تاكيد) انزال ضربة بنفوذ الامبراطورية العثمانية نتيجة لنجاح تلك الحملة ، قد يدفع شعوب البلقان داخل وخارج الامبراطورية — هي اليوم أكثر غضبا من اي وقت من نظام الاتحاديين المركزي المجنون وقد يعجل بازمة قد تدفع او تضطر النمسا تقريبا الى العمل في البلقان » (١١) .

---

(١١) لقد لاحظ فالياني Valiani انه « منذ يناير ١٩١١ قام سان جوليانو (الذي كان وزيرا للخارجية في وزارة لوتساتي) بتكليف القائم بالاعمال الايطالي بفيانا دوق دافارنا بان ينبه النمسا — المجر بان الراي العام الايطالي وحكومة روما لا يستطيعان الصبر طويلا تجاه هذا المطلب الملح » (ليوناليياني — اسباب الحرب والتدخل الايطالي من خلال الابحاث والمطبوعات في العشرين سنة الاخيرة « المجلة التاريخية الايطالية » سبتمبر ١٩٦٦ ص ٥٩٥) .

وهذا في الواقع هو المظهر السلبي الوحيد الذي ابداه دي سان جوليانو الى جوليتي . بل قد اكد بعد ذلك بقليل انه باستثناء الخطر المذكور « فان جميع اعتباراتنا في السياسة الخارجية قد تنصح — حسب راي — بالاسراع باحتلالنا لطرابلس » وقد اضاف دي سان جوليانو الى الاعتبارات الخارجية عوامل داخلية مثل « الحاجة العامة والحية في ان تتوطد القوة الوطنية بعزم باي صورة » او « اموال ودسائس بنك روما المهتم بتعجيل الاحتلال الايطالي لطرابلس » ومن هنا نشات بالنسبة لسان جوليانو ضرورة الشروع في الاعداد العسكري كي لا نجد انفسنا بدون غطاء او على الاقل لاجبار الحكومة العثمانية على « تفسير سياستها الموجهة ضد كل نشاط مشروع في طرابلس التي قد تنتهي بجعل حملتنا لا مناص منها » .

« فاليوم يختتم دي سان جوليانو تقريره — يكفي أن يكون حاضرا في اذهاننا بان الحملة جميعها قد تغدو لا مفر منها ونوجه منذ الان عملنا نحو غاية مزدوجة : نحاول تجنبها من جهة والاعداد منذ الان لنجاحها حتى ولو كان الاحتمال كما يبدو يزداد باستمرار وسيصبح امرا لا بد منه بالرغم من ارادتنا (١٢) .

وكانت الرسالة الثانية التي بعث بها دي سان جوليانو الى جوليتي من فللومبروسا يوم ٩ اغسطس كانت اكثر تاكيدا وحزما . وقد اوضح فيها وزير الخارجية خطر « قيام بنك روما بالتفاوض والاتفاق على التنازل عن اعماله في طرابلس لصالح شركة بنوك المانية — نمساوية » (١٣) .

---

(١٢) نص هذه المذكرة في « من اوراق جوليتي » المصدر المذكور مجلد ٣ ص ٥٢ — ٥٦ وقد وضعت المذكرة في ثلاث صور فقط واحدة لجوليتي وواحدة للملك وواحدة لمحفوظات وزارة الخارجية السرية وقد حملها الى جوليتي في باردونكيا رئيس ديوانه كاميلو بيانو . والوثيقة مدرجة في الملحق رقم (١) .

(١٣) ابلغ هذا النبا الى سان جوليانو وزير البلاط الملكي ماتيولي الذي كتب في بطاقة يوم ٥ اغسطس ١٩١١ من سانتانادي فالديري (*) : (بلغتني اشاعة ان بنك روما ربما يتفاوض او قد توصل الى اتفاق للتنازل عن اعماله في طرابلس الى شركة بنوك المانية — نمساوية . ابلغك هذا النبا لانك تستطيع

« في هذه الايام (اكتب يوم ٧ اغسطس ولكن ستمر بضعة ايام قبل ان اذهب الى روما لنسخها) قد اخذت الحالة الدولية ترتسم كما كنت اتوقع . فيبدو من جهة بالفعل ان الاحتمال متزايد بان المانيا ستطلق يد فرنسا في مراكش مقابل تعويضات مناسبة . ومن جهة اخرى تزداد الريبة العثمانية حول مطامحنا في طرابلس ، ولذلك تزيد وستزداد معارضة تلك الحكومة لاي من نشاطاتنا الاقتصادية في تلك الولايات وهو امر طبيعي ولا مفر من وقوعه بالنظر الى موقف الراي العام في كلتا البلدين وللهجة صحافتنا التي تنفق والشعور المتغلب في ايطاليا (...) فمن الضروري ان يشرع في الاستعدادات منذ الان في سرية تامة لانه اذا كانت هناك قرارات ستتخذ فيجب ان يكون تحقيقها سريعا » (١٤) .

فاذا كانت التقارير والرسائل التي وجهها دي سان جوليانو الى جوليتي ما بين نهاية يوليو واوائل اغسطس ١٩١١ لا تترك كما يبدو مجالا بعد لاعادة التفكير ، فان الموقف الذي اتخذه وكيل وزارة الخارجية بيترو لانزادي سكاليا Pietro Lanza Di Scalea * كان اكثر حزما . فقد ارسل في ١٣ اغسطس ١٩١٣ تقريرا باتا الى دي سان جوليانو جاء فيه :

« اعتقد انه لا يمكن بعد تأخير اتخاذ قرارا . فانت قد لخصت المسالة بوضوح ذهني في مذكرتك التي ابلغتني اياها ، فاذا لا تتخذ قرارا بوضع المسالة بصورة قاطعة امام مجلس الوزراء ولا تجعل منها مسالة مرتبطة

ان تقدمه بما يستحق . وعلى كل حال فلتعلم ان هذه الاشاعات يتناقلها الناس (...)A.S., MAE, Gab. 10, 11, p. 22فلم يكن اذن ارنستو بانشيللي الذي هدد سان جوليانو « بالتنازل عن الاملاك الطرابلسية الخاصة بالبنك الى الالمان » كما يستنتج كانابيني (لويجبي كانابيني L. Canapini « الوطنية الكاثوليكية » باري ١٩٧٥ ص ١٧٥) .

(١٤) من اوراق جوليتي المصدر المذكور مجلد ٣ ص ٥٧ — ٥٨ .

(*) تولى دي سكاليا وزارة المستعمرات الايطالية في العهد الفاشستي من ٣ — ٧ — ١٩٢٤ الى ٥ — ١١ — ١٩٢٦ (المعرب) .

(**) Santianna Di Valdieri موقع سياحي في ولاية بيمونتي (المعرب) .

بالضرورة بحياتك كوزير خارجية ، فلن تستطيع في المستقبل ان تبرر للرأي العام باي شكل اسباب الجمود في وقت تتحرك فيه جميع الامـــم المتمدنة لتوسيع ممتلكاتها الاقليمية وفي وقت يتغير فيه الوضع في البحر الابيض بصورة اساسية بعد ما عدل كثيرا لغير مصلحتنا نحن فقط » (١٥) .

وفي نهاية اغسطس دخل سان جوليانو في اتصـــال مع كاميلو قاروني C. Garroni ولويجي مركاتيللي L. Mercatelli وهمـــا ديبلوماسيان عينـــا حديثا الاول كسفير في اسطمبول والثاني كقنصل بطرابلس وقد ابدلا قبل ان يصلا مقر عملهما بكل من القائم بالاعمال جاكمودي مارتينو ونائب القنصل قاللي Galli (١٦) لقـــد سالهما دي سان جـــوليانو رايهما ووضع تحت تصرفهما جميع الوثائق التي كانت في حوزته . والنتائج التـــي وصل اليه قاروني ومركاتيللي لم تكن تختلف عن الاقتناع الذي توصـــل اليه دي سان جوليانو حول الموضوع : « بالنسبة لطرابلس يجب القيام بعمل حاسم في اجل غير بعيد » . وعندما ابلغ دي سان جوليانو الـــى جوليتي نتيجة هذه الاتصالات في ٣١ اغسطس كتب اليه يقول :

« (...) ان المانيا ستنزعج ولكنها لن تفعل اي شيء يسبب لنا الضرر او يزعجنا بصورة جدية (...) ان مزايا ما يسمى بالاعداد (للعنصر العربي في ليبيا) قد تبدو حسب وجهة نظري اقـــل من مزايا المفاجاة . ان الوطنيين سيكونون الى جانب القوى . فاذا بدت ايطاليا كذلك (اي قوية) سيكونون معها والا فلا .

(...) من كل هذا يظهر ـــ حسب وجهة نظري ـــ وبالمنطق الواضح حقا انه اذا كانت هناك فترة اعداد سياسية محلية سابقة لعملنا العسكري ، فان هذه الفترة يجب ان تكون قصيرة جدا » (١٧) .

---

(١٥) A.C.S., C.G. b. 17, f. 38

(١٦) المصـــدر المـــذكـــور ص ١١٧ .

(٨١) A.C.S., C.G., b. 13 f. 13

وكتب جوفاني انسالدو G. Ansaldo في كتابه عن جوليتي الذي تولى فيه الدفاع عنه ضد الاتهامات المعادية له من امثال سالفيميني والبرتيني فقد لاحظ بمقارنة ذكية ان جوليتي (كان ينظر الى طرابلس كما ينظر اصحاب الحوانيت البعيدو النظر الى المحل المواجه الذي قد يحل فيه منافس لهم — ويستاجرونه عندما يستطيعون لانشاء فرع لهم فيه مع علمهم انه لن يدر شيئا ابدا (١٨) — ويبني انسالدو حكمه على افتراضات ذاتية لا تجد الا القليل من التاكيد امام الوثائق التي عثر عليها حتى الان — مؤكدا ان جوليتي « قرر العملية قبل ان يحدثه عنها دي سان جوليانو (...) وقد قررها لانه اقتنع بانه « من نصيبه هو » بعد عشر سنوات من الحكم المزدهر والسعيد ان يفوز امام الملك والشعب وامام الحلفاء بنجاح في السياسة الخارجية نجاح شخصي وضخم بحيث يعيد اليه « شبابه » ويظهر معدل مقدرته بالكامل لا بصفته مناورا بسيطا للاغلبية وانما بصفته رجل دولة » (١٩) . لا نستطيع ان نوافق انسالدو على تاكيداته الاخيرة التي تنسخ بقوة جدلية ما سبق وكتبه جوليتي في مذكراته بل تتعدى جوليتي نفسه الذي قد لاحظ فعلا ان دي سان جوليانو كان المتسرع والراغب في حل المشكلة في اسرع وقت ممكن . ولا يبدو لنا ان انسالدو يقدم خدمة لجوليتي بالقاء كل شرف المبادرة عليه وكذلك ثمن الاخطاء والقرارات المرتجلة التي قد بدت بانها كانت مدمرة لسير الحرب والتي لا تجعل من جوليتي « صاحب الحانوت بعيد النظر » الذي يصفه انسالدو . ففي الواقع ان قرار الحملة العسكرية درس ما بين شهر يوليو وشهر اغسطس ١٩١١ وغربل وتقرر بوزارة الخارجية ولم يكن ذلك بطلب من جوليتي بل يمكن التاكيد ان وزير الخارجية قد وضع رئيس الوزراء في حالة حصار بما يرسله اليه يوميا من تقارير السفراء لاطلاعه على الوضع ، وفي الخلاصة يبدو ان جوليتي اضطر تقريبا الى قبول

---

(١٨) جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٣٨٥ .

(١٩) المصدر السابق ص ٣٨٧ .

القرار ولا نعرف مقدار تحمسه له (٢٠) ومن الغريب ان المتصفح للوثائق الخاصة باعداد العملية لا يجد لجوليتي تاكيدات متفائلة وحماسية وهي ما يمتاز بها بالعكس الديبلوماسيون. ان العملية العسكرية كانت تبدو امام اعينه في مستوى اية مشكلة حكومية اخرى ، لقد ظل باردا ومبتعدا امام احتمال الحرب ضد تركيا . يبدو تقريبا انه تقبل الحرب كضرورة « وكقدر تاريخي » اشار اليه في خطابه الذي القاه بالمسرح الملكي بتورينو يوم ٧ اكتوبر ١٩١١ (٢١) .

ولم ينتظر دي سان جوليانو رد جوليتي النهائي كي يشرع في اعداد دبلوماسي مكثف وقاطع وحقيقي للعملية . والسياسة التي استوحى وزير

---

(٢٠) كل شيء ــ كتب ماريوتوسكانو Mario Toscano كل شيء يبعث (...) على الاعتقاد بان الخلاف الذي دب بين جوليتي وسان جوليانو كان اعمق مما اراد ان يظهره جوليتي في مذكرات (ماريو توسكانو « تاريخ المعاهدات والسياسة الدولية » تورينو ١٩٦٣ ص ٤٦٣) وكتب اندرياتوري من جهته الى البرتيني في ١٥ سبتمبر ١٩١١ : « جوليتي يتنشق الرياح لقد قرر ان يذهب واذا ما وجد ذريعة للبقاء يبقى . مسكينة ايطاليا ، الى اي حد قد وصلنا ، ساعة تاريخية بالنسبة للبلاد تقررها بصورة او اخرى حسابات برلمانية وترجح كفة الميزان بصورة خاصة ما قد يعود على رئيس الحكومة من هدوء شخصي قليلا ام كثيرا » . لويجي البرتيني ــ مراسلات المصدر المذكور مجلد ١ ص ١١) . وعلى كل فان جوليتي قد اعترف بعد ١٦ ديسمبر ١٩١٣ في وسط البرلمان : « لقد صرحت بذلك اكثر من مرة ولا اتردد في اعادته : انني لم اقم بحرب ليبيا بدافع الحماس : بل بالعكس (...) انها الحقيقة ويجب ان اعترف بها » (انظر برونيللو فيجيتزى ــ المصدر المذكور ص ٧٠) .

(٢١) « ان السياسة الخارجية ــ قال جوليتي في تلك المناسبة ــ لا يمكنها مثل السياسة الداخلية ان تكون خاضعة تماما لارادة الحكومة والبرلمان ولكن للضرورة المطلقة يجب ان تحسب الاحداث والاوضاع التي ليس في مقدورنا تغييرها واحيانا لا نستطيع زيادة سرعتها او تاخيرها . هناك احداث تفرض نفسها مثل قدر تاريخي حقيقي بحيث لا يستطيع شعب ان يتجنبها دون ان يورط مستقبله بصورة لا يمكن تلافيها . ففي مثل هذه اللحظات من واجب الحكومة ان تتحمل جميع المسؤوليات نظرا لان اي تردد او تاخير قد يكون بداية الانحدار السياسي الذي سيأسف الشعب لعواقبه لسنوات طويلة وربما لقرون » (جوفاني جوليتي خطابات خارج البرلمان ــ المصدر المذكور ص ٣٦) .

الخارجية منها عمله كانت تهدف الى الحصول من جهة علـــى عدم الاهتمام الودي اذا امكن من قبل دول الوفاق التي كان على كل حال يؤمل منها بشيء من التاكيد بعض المساعدة ولو كان ذلك من اجل الاتفاقات الاخيرة ومن اجل سياسة فك الارتباط الجزئي للحلف الثلاثي التي كانت تقوم بها ايطاليا منذ بداية القرن وللاقتناع بان فرنسا وانكلترا وروسيا قد لا تقوم بسياسة من شانها ان تقوي الحلف الثلاثي وتدفع ايطاليا الى احضان المانيا والنمسا — والمجر بصورة لا رجعة فيها . وكان الامر اكثر صعوبـــة بالنسبة لاقناع برلين وفيانا بهضـــم عمل كان يعكـــر بصورة انعكاسية العلاقـــات الطيبة السياسية والاقتصادية — التجارية ما بين الامبراطوريات المركزية والباب العالي . هذا دون الاخذ في الحساب الخوف الذي لوحت به المانيا والنمسا بان اذلال تركيا قد يحدث لدى الشعوب البلقانية الخاضعة لتركيا اضطرابات لدرجة تعكر بصورة ملحوظة الوضع القائم في البلقان الذي كان دوما مزعزعا وغير مستقر .

ويمكن التاكيد بصورة عامة ان الطريقة التي عالج بهـــا وزير الخارجية الايطالية الاعداد الدبلوماسي لاحتمال الدخول في حـــرب مع تركيا كانت تستند على عرض قوي للعداء التركي للمبادرات الاقتصادية الايطالية ذلك العداء الذي افقد ايطاليا صبرها الى اقصى حد . وكان دي سان جوليانو يبدي ملاحظاته الى السفراء الايطاليين في بـــرلين وفيانا ويـــوجه اليهما التعليمات بخصوص تقديم الخلاف الايطالي التـــركي الى حكـــومتي المانيا والنمسا — المجر على هذا الوجه :

« (...) ان عداء تركيا لكل نشاط اقتصادي مشروع لنا ســـواء بصورة ظاهرة او خفية مستمرة ولا يمكن التغلب عليه . ومنذ الخريف الماضي وقبل ذلك لم تجد كل الاتصالات التي اجريتها برسائل وبرقيات متتابعة ومحادثات مع سفراء تركيا ودول اخرى مبديا ومتوقعا الاخطار التي تتعرض لها تركيا باصرارها على مثل هذه السياسة . وربما اعتقدوا انها تهديدات جوفاء وهي ليست بتهديدات وليست بجوفاء وانما كانت بصفتها هذه تعبر عـــن مواقف

عادلة وحقيقية . لقد افهمت حلفاءنا في اكثر من مرة وكذلك تركيا بان تهيج الروح العامة التدريجي في ايطاليا قد يصل الى نقطة تجعل الصراع لا يمكن تجنبه والقيام بعمل حاسم لا يمكن تاجيله . لقد اصرت تركيا على معاكساتها : لقد تعددت الحوادث وحاولت امام المجلس (النواب) وفي الصحافة ان اخفف من شانها ، بيد ان تكرارها كان دليلا لا يقبل الطعن بان هناك خطة منظمة لعرقلة نشاطنا الاقتصادي والسلمي ، ومثلما كان متوقعا لقد وصل الغضب العام في ايطاليا في النهاية الى درجة انه لم يشاهد مرة اجماعا كاملا في بلادنا كما هو بالنسبة لهذه المسالة وفي هذا الوقت، باستثناء اصوات قليلة معارضة لا تنصب معارضتها على حقنا الذي يعترف الجميع بانه انتهك ولا على كرامتنا التي يعترف الجميع بانها اهينت ، وانما المعارضة تنصب على احسن الوسائل لمساندة حقنا ووضع حد للاهانة (...) ولا توجد اليوم غير وسيلة وحيدة عملية ممكنة : ان تؤمن ايطاليا الادارة الفعلية للحكومة وللادارة في طرابلس وبرقة (٢٢) .

وبعد يومين في رسالة الى السفارات الايطالية المعتمدة لدى الدول الاوروبية الكبرى شدد دي سان جوليانو على الخطر الذي يتعرض له الايطاليون في طرابلس وفي الامبراطورية العثمانية تجاه « الانفعال المتواصل » ، ضدهم وضد ايطاليا الذي يثيره الضباط الاتراك والرجال البارزون في لجنة الاتحاد والترقي (٢٣) وقد طلب دي سان جوليانو نفسه

---

(٢٢) بـ A.C.S., C.G., b. 25, f. 64 برقية دي سان جوليانو الى بانسا وامارنا من ٢٢ سبتمبر ١٩١١ .

(١٣) A.C.S., C.G., b. 17, f. 36 برقية دي سان جوليانو الى سفارات ايطاليا في لندن وباريس ومدريد وبرلين وفيانا وبطرسبورغ بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩١١ . وكان نائب القنصل الايطالي بطرابلس قاللي الذي عرض الحالة بعبارات مثيرة بينما كانت اسطمبول تكذب بصورة قاطعة وجود اضطرابات وتوتر في طرابلس . وكتب قاللي من طرابلس في ٢٠ سبتمبر يقول : « ان عمل لجنة الشباب التركي المثابر والعنيد بدا يعطي نتائجه ويوجد اليوم خطر على المستعمرة وان كان لا يزال مستترا . ومما يساهم في تغذية الاضطرابات مع الاسف الاخبار

من سفرائه التوضيح جيدا بان ايطاليا لا ترمي الى احتكار ليبيا ولكن تركيا « كانت تضعها ليس في حالة دونية فحسب وانما في وضع استمالة » . لو ان حل الازمة النهائي تاجل الى ما بعد فان الخلاف قد يزداد حدة باستمرار وقد يجعل « دائما العلاقات الطيبة الايطالية ــ التركية مستحيلة ويكون خطرا دائما على السلام الاوروبي » لان الصراع قد يشتد « في الفصل والوقت الذي قد تكون فيه التاثيرات البلقانية اكثر احتمالا من هذا الوقت » (٢٤) .

وان عرض المشكلة على مستوى الخلاف الاقتصادي البحت كان ربما احد حدود عمل دي سان جوليانو واحد الاسباب الحاسمة في المفاجاة العامة التي احدثها في الخارج التصرف الايطالي ، بالنظر الى انه كان من المعقول حل المشاكل الاقتصادية على المستوى الديبلوماسي بدلا من اللجوء الى القوة السلاح وسندرس في حدود الامكان وبقدر ما تسمح به الخيوط المعقدة التي حبكتها في تلك الايام الديبلوماسية الاوروبية المواقف والاوضاع التي اتخذتها الدول الخمس الاوروبية الكبرى في مواجهة طموحات ايطاليا .

فقد وضح دي سان جوليانو منذ ٣ يوليو ١٩١١ الى السفير البريطاني في روما سير رينيل رود ان ايطاليا قد ترى نفسها مضطرة « ان تقوم بمظاهرة في طرابلس لتؤمن سلامة الايطاليين المقيمين هناك من الظلم الذي

التي تنشرها الصحف الايطالية بدون تقدير للمسؤولية وبدون اي احد . وهذه الصحف يقراها اكثر الناس تعصبا في الشوارع وشاهدت شخصيا قبل ليلة مثل هذا الحادث « وقد اشار تاللي الى « احتمال حاجته الى حماية سريعة » وتاكيدا للخطر الذي اشار اليه نائب القنصل بطرابلس « فان المسدسات والاسلحة القليلة المعروضة للبيع قد اشتراها جميعها العرب » وقد اشتكى تاللي من الصحافة الايطالية وانتقد مجيىء العديد من الصحافيين الايطاليين ومن بينهم بياتسا وباسيتي وفليتشي مؤكدا انه اذا تسبب وجودهم في حوادث فسوف لن يتردد « لحظة في ابعادهم » (برقية تاللي توجد في (A.S. MAE, Segr. gen. pa. 40, pos. 17 a, f. 641

(٢٤) A.S. MAE المصدر المذكور ــ برقية دي سان جوليانو الى تيتوني في ٢٥ سبتمبر ١٩١١ .

يلاقونه » (٢٥) غير ان عمليات سبرغور دقيقة ومفصلة شرع فيها ابتداء من اخر يوليو . ففي ٢٦ يوليو كان دور السفير الايطالي بلندن المكيز امبريالي Imperiall الذي اجتمع بالسير اروارد غراي Grey (وزير الخارجية) وبحث معه الوضع الايطالي الصعب في طرابلس بسبب العداء التركي . وقد اجاب غراي مصرحا باقتناعه باساس الشكوى الايطالية واضاف انه في حالة ان ايطاليا تجد نفسها مجبرة على « حماية مصالحها المداسة » واذا « فشلت كل محاولة » واضطرت الى العمل ، « فان انكلترا لن تتدخل ضدها فقط بل سوف تمنحها العطف والتاييد المعنوي فحسب (٢٦) . وقد ابلغ وزير الخارجية البريطاني نفسه السفير البريطاني باسطمبول ان الشكاوي الايطالية لها ما يبررها وان ايطاليا كان يجب الا تعامل معاملة اقل من الدول الاخرى (٢٧) .

وكان دي سان جوليانو يشير دائما في كلامه الى الدييلوماسيين الانكليز والى امكانية ارسال مذكرات احتجاج او مظاهرات لاجبار تركيا على تلطيف موقفها « غير ان غراي وبصورة خاصة السفير بروما رنيل رود « وهو

---

(٢٥) B.D., IX, I ص ٢٦٠ .

(٢٦) A.S. MAE, Gab., 1911, pa 22 برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٦ يوليو ١٩١١ « غراي قد لاحظ – يواصل امبريالي – كنصيحة ودية وشخصية ، انه يبدو له من الضروري ان يكون عملنا المحتمل له مبرر كانتهاك صارخ لحقوقنا او كدليل واضح على نوايا تركيا ومعاملة ايطاليا بطرابلس معاملة اقل مما تعامل به الدول الاخرى · فقد يكون من المناسب بعبارة اخرى تجنب ان يكون هذا العمل بقصد مطالبة تركيا بالحصول على مراكز متفوقة وممتازة بصورة خاصة لانه في مثل هذه الحالة فانه سيجد نفسه محرجا امام البرلمان لتبرير العطف والمساعدة المعنوية الممنوحة لنا » وقد كان نص المحادثة ما بين غراي وسفيره رنيل رود في ٢٨ يوليو ١٩١١ مطابقة للنص المذكور باستثناء الفقرة الاخيرة (انظر B.D., IX, I, N° 221 ص ٢٦٤) ·

(٢٧) B.D., IX, I, N° 223 ص ٦٧ – ٦٦٦ ، برقية غراي الى لاوثر في ٣٠ اغسطس ١٩١١ ·

حكيم ومراقب دقيق (٢٨) قد خمن ان شيئا ضخما كان يتحرك . ففي ١٤ سبتمبر كتب الى غراي من بوزيلييو قائلا انه بالرغم من بعض الهدوء السائد و « هيجان الصحافة الايطالية المزمن بخصص المطالب الطرابلسية الذي هدأ نوعا ما » وبالرغم من ان الساسة الايطاليين كان جميعهم تقريبا على شواطىء البحار او فوق الجبال فقد يكون من الخطا التقليل من اهمية عدم المبالاة الظاهرية هذه وان لا نراقب بانتباه الموقف الايطالي (٢٩) . وبعد بضعة ايام قال انه مقتنع بان الدول قد تجد نفسها قريبا « تجاه الامر الواقع قبل ان يكون لتركيا الوقت لتنظيم المقاومة أو ان تستطيع الدول الكبرى الاخرى تقديم تحفظاتها واعتراضاتها » (٣٠) .

وعلى كل حال فان نوايا انكلترا كانت واضحة : حياد ودي تجاه ايطاليا وتصريحات قاطعة بالنسبة لتركيا كانت تشعرها بانها قد لا تجد مساندة لها في لندن . وفعلا قد كتب امبريالي في ٢٥ سبتمبر الى دي سان جوليانو انه علم من « مصدر اكيد » ان السفير التركي بلندن قد ابلغه وكيل وزارة الخارجية نيكولسون ان « تركيا لا يمكنها ان تعتمد على تاييد انكلترا في

---

(٢٨) اوتوسطوتوري « الاعداد الديبلوماسي للعملية الليبية » ١١١ : « في عشية الاحتلال » في « راسنيادي بولتيكا لنترناسيونالي » . مارس ١٩٣٧ ص ٢٢٨ .

(٢٩) B.D., IV, 1, رقم ٢٢٤ ص ٦٨ — ٢٦٧ — رسالة من رود الى غرا اي في ٤ سبتمبر وبمناسبة تغيب اهم الشخصيات السياسية الايطالية عن روما كتب جوليتي . لقد تفاهمت مع دي سان جوليانو ان يظل بحجة العطلة في فيوجي وفللومبروزا بينما كنت انا في كافوروباردونيكيا ، كي نظهر انه ليس هناك شيئا غير عادي كان مطروحا على البساط — واذكر ان الصحف الاكثر انفعالا بالنسبة للمسالة الليبية قد لامتني بحدة على تغيبي عن العاصمة وعلى عدم الاتصال بوزير الخارجية واعضاء الحكومة الاخرين في مثل هذا الوقت ولكن شتائمها كانت تبعث في نفسي السرور لانها كانت تدل على أن مخططي قد نجح نجاحا كاملا وقد ساهم في ازالة شكوك الحكومة التركية التي فاجاها انذارنا (جوليتي مذكرات حياتي : المصدر المذكور ص ٢٢٩) .

(٣٠) B.D., IV, 1, رقم ٢٢٧ ص ٧١ — ٢٧٠ رسالة رود الى غراي من بوزيليبيو ١٤ سبتمبر ١٩١١ .

الخلاف الحالي (٣١) . وبعد بضعة ايام قام نيكولسون « بافهـام امبريالي جيدا » ان الاوساط السياسية البريطانية كانت تنتظر من لحظة الى اخرى مبادرة ايطالية في افريقيا الشمالية وانهم ليست لديهم اية نية في « اثارة صعوبات في وجوهنا » (٣٢) . وفي يوم ٢٩ سبتمبـر بعد ارسال الانذار ولدى اقتراب الحرب تحادث غراي مع امبريالي وحدد فـي عبارات محكمة وعلى ضوء الاحـداث الاخيرة الموقف الانكليزي . وقد لخصه امبريالي في النقاط الاربعة التالية :

١ ــ ان انكلترا لا تنوي التدخل في الصراع .

٢ ــ ان انكلترا بموجب اتفاقيات مبرمـة مع ايطاليا تعتـرف بالاهمية القصوى للمصالح الايطالية في طرابلس وبضرورة حمايتها من قبل ايطاليا .

٣ ــ وان الصداقة الودية التي تربطها بايطاليا ــ اكثر من الاتفاقيات المذكورة ــ تجعلها ترغب في ان تتمكن ايطاليا من الحصول على الترضيات الواجبة لها .

٤ ــ غير ان ايطاليا باحتلالها لطرابلس تتخذ اجراء قصيا لا يستطيع احد اليوم ان يتوقع ما يمكن ان تكون له من عواقب خطيرة جدا على السلام الاوروبي وما يخلق من احراجات جدية لجميع الدول ابتداء من انكلترا التي لها رعايا كثيرون مسلمون ولذا فهي تثق في ان حكومة الملك (ايطاليا) ستجد الطريقة لحماية مصالحها مع تجنيب الدول الاخرى بقدر الامكان الاحراجات والصعوبات (٣٣).

---

(٣١) A.S. MAE, Segr. gen., nº 42, pos. 17 a, f. 641 برقية امبريالي الى دي سان جوليانو ٢٥ سبتمبر ١٩١١ ــ راجع ايضا حول هذه المحادثة B.D., IV, 1, رقم ٢٥١ ص ٨٦ ــ ٢٨٥ و O.U.A., VIII رقم ٢٦٤٨ .

(٣٢) A.S. MAE, المصدر المذكور برقيـة امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

(٣٣) المصدر المذكور ــ برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

(٣٤) المصـدر المـذكـور .

ويرى السفير الايطالي بلندن ان غـــراي كان يرمي من وراء خطابه الى ثلاثة اغراض : « اظهار الصداقـــة لنا ونصحنا بالاعـــتدال وروح التفاهم وتغطية مسؤوليته امام البرلمان في حالة ان تتحقق مع الاسف المضاعفات التي يخشى وقوعها (٣٤) . وعلى كل فلا شك ان غراي رغم توقعه قيام ايطاليا بعمل حاسم فقد اندهش من السرعـــة التي انتقلت بها ايطاليـــا الى العمل الفعلي . ان امبريالي لا يشير الى مفاجاة غراي هذه ربما لان وزير الخارجية قد استطاع ان يخفيهـــا ، بيـــد أنه كما يتضح من الوثائـــق الدبيلوماسية البريطانية كان غراي يتوقع ان يعمد « الايطاليون الى تقديم احتجاج شديد اللهجة الى اسطمبول وقد يصحبون الاحتجاج بتهديد قد يكون مظاهرة بحرية » ولكن لم يكن يفكر في انذار اربعة وعشرين ساعة يعقبـــه في الحال اعلان الحرب (٣٥) .

وعلى كل وبالرغم من ان المفاجاة قد كونـــت حالة نفسية عامة في كل اوروبا ، فان الحكومة الانكليزية قد اظهرت كلية عـــدم معارضتها للمبادرة الايطالية بالرغم من قلقها بالطبع بالنسبة لاستقرار السلام في اوروبا وهدوء رعياها المسلمين في الامبراطورية البريطانية . وان الود البريطاني كانت له اسباب ومصالح محددة جيدا . لقد كانت انكلترا تفضل ان ترى على حدود مصر الغربية الايطاليين عوضا عن الاتراك الذين كانوا مرتبطين عسكريا واقتصاديا بالمانيا . وكانت بريطانيا من جهة اخرى مرتاحة لان المسألة التي اثارتها ايطاليا قد تضع برلين في حرج كبير . ويبدو ان غليوم الثاني نفسه كان منفعلا في تلك الايام من سبتمبر خوفا من ان التساهلات البريطانية تجاه المطامح الايطالية قد تكون مناورة من لندن بقصد مزدوج وهو اضعاف الحلف الثلاثي الضعيف فعلا وافساد صداقة تركيا مع الامبراطوريات المركزية (٣٦).

فمهما كانت الاسباب الانكليزية الظاهرة او الخفية فهناك شيء اكيد :

---

(٣٥) B.D., IX, 1, رقـــم ٢٧٣ ص ٣٠٢ بـــرقية غـــراي الى ف . برتي في ٥ اكتوبر ١٩١١ .

(٣٦) انظـــر برقيـــة كيدرلن الى غليـــوم الثـــاني في ٢٤ سبتمبـــر ١٩١٢ في G.P., XXX, I ص ٥١ ـــ ٤٩ حـــاشيـــة .

ان الود البريطاني وبصورة خاصة قبل بداية القتال قد شجع وطمأن دي سان جوليانو جزئيا . غير ان وزير الخارجية كان يعرف جيدا انكلترا لانه عمل بها سفيرا من عام ١٩٠٦ الى ١٩٠٩ وكان يعلم مدى تاثير الراي العام على الحكومة وكيف ان الراي العام يتاثر بالصحف الكبرى . فقد كان دي سان جوليانو يخشى بصورة اساسية حملة صحافية معادية لايطاليا قد تجعل الحكومة الانكليزية تغيـر موقفها بصورة لا رجعة فيها . وعمل عن طريق امبريالي على ترويض الصحافة الانكليزية . وفي ١٦ سبتمبر ذكر دي سان جوليانو الى السفير الايطالي كيف انه خلال اقامته في لندن منذ بضعة سنوات قد عمل دوما على تنمية « العلاقات الشخصية باهم الصحفيين وهم رجال ذوو جدية وثقة « وان غالبا » ما اجتمع « بالسادة شيسول من صحيفة « تايمس » وسبندر من صحيفة « وستتمنستر غازيت » ووايز من صحيفة « مورننق بوست » (٣٧) وقد استطاع اكثر من مرة ان يغير من انطباعاتهم ولهجتهم . واليوم تعود المشكلة و « تجاه الشك في ان ايطاليا ربما تضطر الى اي عمل حاسم فـي طرابلس » فـان امبريالي قد يجب عليه « ببعض السرعة » اعلام كبار الصحافيين الانكليز حول طبيعة الخلافات الايطالية — التركية ملاحظا « روح التفاهم » التي سلكتها ايطاليا في علاقاتها بالحكومة العثمانية (٣٨) .

وقام امبريالي بعملية سبر الغور التي طلبها منه دي سان جوليانو وقابل صحفيين من ذوي النفوذ من بينهم براهام من صحيفة « تايمس » وخرج بعد هذه الاتصالات باقتناع بانه بالرغم من ملاحظته لبعض الود ومع « الاعتراف باساس الشكوى ضد تركيا » فانهم كانوا مترددين في تبرير اعمال اكراهية محتملة « من قبل الايطاليين وكذلـك » هم مترددون في تشجيعهـا بسبب تلقهم (...) وتحقيق مشاريعنا سواء بالسلام او بالعنف في طرابلس سيكون

---

(٣٧) اضاف دي سان جوليـانو — غالبا ما كانوا يحضرون مع زوجاتهم للعشاء او الغـذاء لـدي وانا ذاهب لديهـم (A.S., MAE,) المصدر المذكور .

(٣٨) المصـدر المذكـور .

لها اثرها الحتمي على الحالة الداخلية المتردية في تركيا وعواقبها الخطيرة الممكنة على سلام اوروبا » واضاف امبريالي ان صحف « دايلي غرافيك » وصحف متطرفة في الراديكالية مثل « الديلي نيوز » و « مانشستر غارديان » قد تعارض بصورة قاطعة « اي عمل ايطالي » (٣٩) .

وقد ظهر ان قلق دي سان جوليانو كان له ما يبرره : فان انشط وغالبا اعنف رد فعل لاحتلال طرابلس جاء فعلا من الصحافة الانكليزية .

اما الدبلوماسية الفرنسية فقد كانت في صيف ١٩١١ غارقة الى اذنيها في الخلاف مع المانيا بخصوص مراكش وهو الحادث الذي استمد منه دي سان جوليانو الاشارة لفتح المسالة الطرابلسية رسميا . وان روح اتفاقيات برينتي ــ بارير Prinetti-Barriere لعام ١٩٠٢ كانت تعطي ايطاليا في تلك الفترة اسبابا كثيرة تبعث على الثقة على عدم اهتمام فرنسا بعمليات ايطالية محتملة في طرابلس وبرقة . وقد حاول دي سان جوليانو في علاقاته بفرنسا اولا ان يقلل من نوايا ايطاليا تجاه ليبيا لدرجة انه في حديث له مع لاروش القائم بالاعمال الفرنسي بروما انتقد موقف الصحافة الايطالية العدائي وصرح بانه يامل في حل سلمي للخلاف بفضل تغيير والي طرابلس (٤٠) ولم يكن هناك ما يدل على ان الدبلوماسية الفرنسية حتى بعد ان ظهرت حقيقة النوايا الايطالية انها كانت مستعدة لخلق عراقيل . وفي نقاش ما بين امبريالي والسفير الفرنسي سيرين كامبون في ٢١ سبتمبر حول الازمة الايطالية ــ التركية لاحظ الدبلوماسي الفرنسي الى زميله الايطالي ان فرنسا كانت ترغب في « الاحتفاظ نحونا بمسلك مطابق تماما للاتفاق القائم ليس في الميدان السياسي فحسب بل وفي الميدان الاقتصادي ايضا » (٤١) .

---

(٣٩) المصدر المذكور ــ برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٦ سبتمبر ١٩١١ .

(٤٠) D.D.F., II, 14 رقم ٢٢٤ ص ٩١ ــ ٢٩٠ . برقية لاروش الى دي سلفسي (وزير خارجية فرنسا) في ٣٠ اغسطس ١٩١١ .

(٤١) A.C.S., C.G., b. 25, f. 64 برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٢ سبتمبر ١٩١١ .

وكان ترماسو تيتوني Tommaso Tittoni وزير الخارجية الاسبق سفيرا لايطاليا في باريس منذ عام ١٩١٠ وكان شخصية من الطراز الاول لا في الميدان الدبيلوماسي فحسب بل في الميدان السياسي في عهد جوليتي . تولى وزارة الخارجية من عام ١٩٠٣ الى ١٩٠٥ ومن ١٩٠٦ الى ١٩٠٩ وكان احد المحرضين على التغلغل السلمي في ليبيا عن طريق بنك روما ثم على الاحتلال الايطالي . وقد تركت محادثاته مع وزير الخارجية الفرنسي دي سلفس اثرا ايجابيا قاطعا . ان فرنسا قد لا تقوم بادنى عرقلة لعمل عسكري ايطالي في ليبيا ، بل صرح دي سلفس نفسه الى تيتوني : « ان اي عمل تقومون به في طرابلس وكيفما كان عملكم فنحن الامناء على التزاماتنا سنكون الى جانبكم بدون قيد ولا شرط » (٤٢) وان وفاء فرنسا لتعهداتها لايطاليا عام ١٩٠٢ قد اكدها الوزيران بيشون وكروبي لتيتوني . وديلكاسي Delcassé (رئيس الوزراء) نفسه « صرح الى تيتوني ان جميع عطفنا وتمنياتنا كانت مع ايطاليا » (٤٣) .

ولم تكن انطباعات تيتوني خاطئة : ان موقف فرنسا هذا يبدو واضحا حتى من قراءة الوثائق الدبيلوماسية الفرنسية (٤٤) . ويكفي القول ان كيدرلن * عندما تقدم باقتراح الى السفير الفرنسي ببرلين كامبون من اجل القيام

---

(٤٢) المصدر المذكور — برقة تيتوني الى دي سان جوليانو في ٢٠ سبتمبر ١٩١١ — لقد كتب جوليتي في مذكراته « ادركت الحكومة الفرنسية جيدا واقرت دون تحفظ ان الحل النهائي الذي وصلت اليه المشكلة المراكشية بموجب الاتفاقيات الاخيرة مع المانيا قد فتح بوضوح مشكلة حل المسالة الليبية بالنسبة لايطاليا . (جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٢٥) بالنسبة لتيتوني انظر فرانشسكو توماريني F. Tomassini «ايطاليا في مشية الحرب ، سياسة توماسوتيتوني الخارجية» بولونيا ١٩٣٤ .

(٤٣) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٢٥ . فيما يتعلق باللقاء بين تيتوني ودلكاسي انظر برقية تيتوني الى دي سان جوليانو في ٢٥ سبتمبر ١٩١١ في A.S. MAE المذكور .

(٤٤) D.D.F., II, 14 رقم ٣٥٣ ص ٥٠٣ ورقم ٣٥٤ ص ٧ — ٥٠٦ ورقم ٣٥٥ ص ٨ — ٥٠٧ برقيات كامبون الى دي سلفس وكايوه في ٢٤ سبتمبر ١٩١١ .

بوساطة جماعية تشترك فيها الدول الاوروبية الخمسة بقصد حل الازمة الايطالية ــ التركية وتحاشي الحرب موضحا الاخطار القائمة في البلقان وامكانية تجزئة الامبراطورية العثمانية . فقد اجابت فرنسا على ذلك سلبيا مسببة رفضها بقيام روابط صداقة بينها وبين ايطاليا (٤٥) .

والخلاصة ان ايطاليا وجدت فرنسا في احسن الاستعداد النفسي الممكن : ان حل الازمة المراكشية كان يمثل نجاحا طيبا للديبلوماسية الفرنسية ، ولم تعرقل ايطاليا خلال الازمة مطامح فرنسا في مراكش باي شكل ، فالاتفاقيات التي تمت قبل عشر سنوات كانت واضحة كما ان مصالح فرنسا الزهيدة في البلقان جعلتها تقريبا غير ميالة الى احتمال وقوع ازمات في تلك المناطق .

وكذلك بالنسبة للدولة الثالثة في الوفاق اي روسيا لقد كان دي سان جوليانو يامل جدا في موقفها الودي . لقد كانت اتفاقيات راكونيجي التي تمت قبل عامين تمثل ضمانا لايطاليا ، فحكومة بطرسبرغ لم تكن لديها مصالح خاصة في البحر الابيض المتوسط وقد يسرها ان ترى الامبراطوريات المركزية تواجه صعوبة بسبب الخلاف الايطالي ــ التركي . وكان خوف روسيا موجها فقط الى البلقان والى الاحتمال بان حدوث ازمة داخل الامبراطورية العثمانية قد تسبب حالة قد تفرض تدخل دول اخرى في شبه الجزيرة البلقانية (٤٦) . وكانت روسيا تخشى ايضا ان يكون التصرف الايطالي في ليبيا اساسا لاتفاقيات جديدة مع النمسا بخصوص الدول البلقانية . وكان هذا الخوف الروسي يبدو في محادثة بين اسفولسكي Iswolsky (سفير روسيا بباريس) وتيتوني جرت في ١٤ سبتمبر بباريس رد فيها السفير الروسي على تاكيدات تيتوني حول الاحتمال بان ايطاليا قد « تضطر الى تلقين تركيا درسا » قائلا « افعلوا ما شئتم واجتهدوا في ان لا تجعلونا نجد

---

(٤٥) D.D.F., II, 14 رقم ٣٥٦ ص ٩ ــ ٥٠٨ .

(*) وزير خارجية المانيا (المعرب) .

(٤٦) بنكندورف Benkendorff ١١ رقم ٤٤٥ ص ١٦٧ برقية كورف الى موسكو في ٣٠ اغسطس ١٩١١ .

انفسنـــا فجاة وبين يدينا حطام تـــركيا وضرورة تـــدخل اوروبي في شبه الجزيرة البلقانية » وفي نهاية برقيته الى دي سان جوليانو اكد تيتوني : ان حديث اسفولسكي يواسيني في راي الذي سبق لي ان تشرفت بالاعراب عنه الى سعادتكم اي ان احتلال طرابلس قد تعتبره الـــدول من وجهة نظر واحدة فقط وهي الانعكاسات التي قد يحدثها في البلقان (٤٧) . ان حديث تيتوني كان ذا قيمة في الواقع بالنسبة لدول الوفاق فحسب ، اما بالنسبة للنمسا والمانيا فكانت هناك عوامل اخرى تدخل في اللعبة وعلى الاخص من الناحية الاقتصادية والتجارية ، التي كما سوف ترى ستخلـــق عقبات غير قليلة في طريق سير الحرب من قبل ايطاليا .

والامر الذي اثر فـــي الموقف الـــروسي المؤيد جوهريا لايطاليا كان من المحتمل هو الاقتناع ـــ كما اكد ذلك نيراتوف Neratoff (وزيـــر خارجية روسيا) الى مليقاري Melegari سفير ايطاليا بان « حالة الحرب قد تكون قصيـــرة » وان تركيا قد تخضـــع « لقبـــول شروط من شانهـــا ترضية ايطاليا » (٤٨) .

ومن دراسة موقف دول الوفـــاق الثلاث فـــي عشية العملية الليبية في امكاننا ان نستخلص بان الديبلوماسية الايطالية قـــد قـــامت بعمل جيد في العشر سنوات الاولى من القرن الجديد كي تجد البلاد نفسها فـــي عشية حرب استعمارية مؤيدة تاييدا جوهريا من قبل الدول الثلاثة ، والكلام صالح بصورة خاصة بالنسبة لفرنسا التي منذ غداة الوحدة الايطالية نظرت بشك واحيانا بعداء سافر قوبل بالمثل ، الى السياسة الخارجية الايطالية ، ان

---

(٤٧) A.S. MAE. المصدر المذكور برقية تيتوني الى دي سان جوليانو حول البلقان كانت على كـــل حـــال متفائلـــة وقـــد كتب السفير الايطالي في نفس البرقيـــة : « يبدو لي ان النتيجـــة الوحيـــدة لاحتـــلال طرابلس من قبلنا هي حدوث اضطرابـــات في اسطمبول مـــع سقـــوط الـــوزارة وقطـــع العلاقات الديبلوماسية الايطالية التركية ومظاهـــرات شعبية ضد السفارة والقنصليات الايطالية في تركيـــا ـــ وتهديـــد للممتلكات واشخاص الرعايا الايطاليين ومقاطعة البضائع الايطالية في الموانىء التركية » .

(٤٨) المصدر المذكور ، برقية ميلقاري الى دى سان جوليانو في ٣٠ سبتمبر ١٩١١ .

حكومات العهد الجوليتي التي كانت متهمة بانها منذ عام ١٩١١ قد اهتمت فقط بالمشاكل الداخلية مهملة اهمالا كاملا توطيد وتاكيد سياسة ايطاليا في الميدان الدولي فهذه الحكومات قامت بالعكس بسياسة ذكية وصامتة بحيث انها وجدت عام ١٩١١ — اذا لم نقل التاييد المطلق — فقد وجدت على الاقل تعاطفا لا يستهان به نحو سياسة توطيد ملموسة في الميدان الاستعماري . وقد جاء هذا الموقف من دول خارج نطــاق الحلف التقليدي الذي اتصفت به السياسة الخارجية الايطالية منذ تولى اليسار الحكم بالطبع ، كما لاحظ جوليتي نفسه في مذكراته .

« ان في سلوك هذه الدول الثلاث في تلك المناسبة بالاضافة الى ودها نحونا ووفائها المخلص للالتزامات التي ارتبطت بها معنا ، فقد كان هناك بعض الاستياء ايضا من حكومة الاتحاد والترقي التي القت بنفسها في احضان المانيــا كذلك حساب الملاءمة السياسية بان تركيــا قد تــدرك ان الحماية الالمانية تبدو غير فعالة حتى ضد عضو في الحلف الثلاثي» (٤٩) .

ويجب اضافة افتراض اخر لا يستهان به الــى اعتبارات جــوليتي وهو الاقتناع بان ايطاليا اذا قامت حليفاتها بعرقــلة مخطــطاتها قد تضعف من علاقاتها الواهية اصلا في اطار الحلف الثلاثي الذي اضعفه ازدياد يقظة التحرير والسياسة التوسعية النمساوية في البلقان منذ ضــم البوسنيا والارزقوفينا فصاعدا .

والحديث عن النشاط الدبلوماسي تجاه الحليفات مختلف واكثر تعقيدا ولكي نستطيع ان نتحصل على صورة واسعة وواضحة للمشكل يجب ان نبدأ من اسطمبول لنرى بصورة خاصة وضع العلاقات ما بين ايطاليا وتركيا من جهة وما بين تركيا والامبروطوريات المركزية من جهة اخرى .

وقد قام بدور ملحوظ في الاعداد الدبلوماسي للحرب الايطالية — التركية جاكمودي مارتينو وهو دبلوماسي معروف وصل في السنوات اللاحقة الى

---

(٤٩) جوفانــي جوليتي ، المصدر المذكــور ص ٢٢٦ .

منصب امين عام وزارة الخارجية (من ١٩١٣ الى ١٩١٩) واميناً للوفد الايطالي لمؤتمر السلام في باريس . وفي عام ١٩٠٨ عينه وزير الخارجية اذ ذلك تيتوني في منصب وكيل دبلوماسي وقنصل عام بالقاهرة وفي صيف ١٩١١ استدعى دي سان جوليانو الى روما دي مارتينو واسند اليه منصب القائم بالاعمال في اسطمبول . وكان من المفروض ان يخلف دي مارتينو السفير بارون مايوردي بلانشس الذي استدعي بدون اي سبب حقيقي ظاهر ولكن من المحتمل انه استدعي من اجل اعطاء نشاط السفارة الايطالية بتركيا طابعاً اكثر قوة .

وكانت الطريقة التي تم بها تصفية وتغيير مايوردي بلانشس طريقة يتغلب عليها طابع الخشونة والسرعة لدرجة ان البرتو تيودولي الذي كان اذ ذاك بتركيا كممثل لصندوق الدين العام العثماني قد اكد : « ان اجراء كهذا يخلو من الاحترام نحو دبلوماسي محترم وذى نفوذ قد اساء كثيراً الى حكومة ذلك الوقت سواء في تركيا ام في البلاد الاخرى بالخارج » (٥٠) .

وقد عين في شهر يوليو ١٩١١ والي جنوا كاميلو قاروني كسفير جديد لايطاليا باسطمبول وعلاقته الوثيقة بجوليتي لم تكن مجهولة حتى ان الكثرين رأوا في هذا التعيين « تدخلا شخصيا لجوليتي » واستسلاما من قبل دي سان جوليانو (٥١) . ولكن في الواقع ان تدخل جوليتي كان قليل الفعالية

---

(٥٠) البرتوثيودولي Alberto Theodoli ما بين قرنين A Cavallo Di Due Secoli روما ١٩٥٠ ص ٥٧ . لقد املى مايور ببرقية بسيطة هذه لهجتها : « سيصلكم غدا الكومندتور جاكمو دي مارتينو الذي نرجو من سعادتكم ان تسلموه في الحال سفارة صاحب الجلالة » ولاحظ ثيودولي على ذلك « كنت اعرف ان جوليتي لم يغفر لمايور انه كان رئيسا لديوان كريسبي في وقت ازمة البنك الروماني ولكن لم اكن اتصور ان سفيرا لصاحب الجلالة يعفى من منصبه بهذه الصورة » (ص ٧ ــ ٥٦) .

(٥١) لاحظت صحيفة « كوريري ديلاسيرا » لدى انتقادها لهذا التعيين ان طرد مايور كان يتيح الفرصة « لاختيار الرجل المناسب (...) للمجيء بشاب معدا اعدادا متينا وذي افق ثابت ومتين في مكان التجربة » بينما كانت صحيفة

من الناحية العملية لان قاروني لم يسير السياسة الخارجية في تلك الفترة الدقيقة (وقد وصل الى مركز عمله الدبلوماسي بعد توقيع معاهدة الصلح فقط) أما الذي تولى المهمة فهو رجل ثقة وزير الخارجية : القائم بالاعمال جاكمودي مارتينو . وقد كان دي سان جوليانو فعلا الفائز حيث ان تعيين قاروني الذي لم يكن مستعدا للسفر كان شكليا تماما .

فقد كان وزير الخارجية يريد في مكان هام كسفارة اسطمبول رجلا تحركه مشاعر وطنية حية في استطاعته ان يسلك سياسة قوية تجاه الباب العالي . وقد استوحى دي سان جوليانو نفس الاعتبارات عندما ارسل كارلو قاللي كنائب قنصل بطرابلس في نفس الفترة ، انتظارا لوصول القنصل الجديد مركاتيللي . ومن الغريب وذي الدلالة ايضا ان يكون في تلك الفترة الدقيقة مقران دبلوماسيان هامان مثل طرابلس واسطمبول يتغيب عنهما الاصيلان ويرسل عوضا عنهما وكيلان .

« وكتب جاكمودي مارتينو في مذكراته — لقد كنت واثقا في الحركة القومية الايطالية خارج وفوق البرلمان ولكني كنت اخشى عمل اولئك الذين عن حسن نية كانوا يفكرون في الحل بالطرق السلمية طرق الاتفاقيات والامتيازات الاقتصادية » (٥٢) .

ان هذا التاكيد يردد الاراء العزيزة على قومية كوراديني (٥٣) : احتقار

« لاتريبونا » مؤيدة . لقد عمل قاروني عام ١٩١٠ على ايجاد مساعدات مالية واقتصادية للصحيفة الرومانية وقت ازمتها . انظر ص ٥٥ من هذا الكتاب ومارشيلا بنكيرلي المصدر السابق ص ٦٨ — ٤٦٦ .

(٥٢) جاكومودي مارتينو المصدر المذكور ص ٢٥٨ .

(٥٣) « ان المهم — كتب كورادينى عام ١٩٠٤ بعد انفجار الحرب الروسية اليابانية — هو ان مدافع القيصر لا تقتصر على اصابة البوارج اليابانية فقط وانما اصابة محكمة لاهاي ايضا وقلب الانسانيين الرؤوف وبما ان هذين الهدفين هما هدفنا فاننا نبتهج مع انفسنا ومع روسيا المقدسة » (تاكيد المدافع — صحيفة «الرينيو» في ١٤ فبراير ١٩٠٤ والان يوجد في الثقافة الايطالية للقرن التاسع عشر عبر المجلات (المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤٧٨) .

البرلمان باعتباره معرقلا للمطامــح القومية ومعارضة الحلــول الناتجة عن مفاوضات ديبلوماسية سليمة ، والرغبة في عمليات حربية . وحسب ما يقول ديمارتينو انه في تلك الفترة الخاصة من تاريــخ ايطاليا كانت قد دخلت النضال : « قوة لا قياس لها ولكنها كاسحة الا وهي الضمير البحري لامتنا . لقد كان الشعور بان حياة ايطاليا على البحار ومن اعــماق خفايا النفس الوطنية كانت اسماء امالفي وجنــوا والبندقية وبيــزا قد قامت بالمعجــزة وتسببت في الهزة . لقد تحطل كابوس عدوه . واستمعت روح الامة الى « نداء البحر » (٥٤) .

فلم يخرج اذن دي مارتينو من جو ١٩١١ القومي القائم بصورة خاصة على تشابك تاريخي يعود قرونا الــى الوراء . فاذا كانــت الحرب الليبية بالنسبة الى كوراديني او كاستيلاني هي تجديد الامبراطورية الرومانية ، وبالنسبة لقسم من الكاثوليك هي عبارة عن حرب صليبية جديدة ضد الكفار بينما كانت بالنسبة للقائم بالاعمال باسطمبول هي عبارة عــن نبش قبور الجمهوريات البحرية (الايطالية) .

وخلال المحادثة التي جرت ما بين دي سان جوليانو ودي مارتينو قبل سفر الاخير الى مقره الجديد طلب وزير الخارجية منه ان يطبع السفارة الايطالية في تركيا بطابع حازم مؤكدا له : « ان عــداء الحكومة العثمانية المنظم ضد المصالح الايطالية بطرابلس لم يعد محتملا » (٥٥) .

فكان يجب قبل كل شيء الحصول على تغيير والي طرابلس الذي كان عداؤه ضد المصالح الايطالية معروفا وقد اشار دي مارتينــو الى دي سان جوليانو عن اقتناعه بالحل الجذري للمشكلة الليبية ، غير ان وزير الخارجية لم يرغب في الخروج عن توازنه : فهو ــ كما كتب دي مارتينو فيما بعد ــ لم يتفوه بكلمات قد تخون شعوره غير اني قرأت في الاعيــن الذكية جدا

---

(٥٤) جاكومودي مارتينــو ــ المصدر المذكــور ص ٢٥٦ .

(٥٥) المصدر المذكــور ص ٢٠٧ .

للرجل الذي كان في صراع مع مرض مميت مؤلم قرات ضوء الموافقة الذي سرعان ما همد » (٥٦) .

وكانت مشكلة ميناء طرابلس احد الاسباب التي استندت اليها الحكومة الايطالية اكثر لدى عرضها الوضع الـذي طرا علـى العلاقات التركية ـ الايطالية بصورة مثيرة . فقد اتصل دي سان جوليانو ببرلين وفيانا في ١٨ يوليو ١٩١١ مشيرا الى الخطر بان الحكومة التركية « حسـب المعلومات التي وصلت الى السفارة الايطاليـة باسطمبول « قد بذلـت جهدها » كي لا يكون المتحصل على الامتياز ايطاليا او انكليزيا » . « فاذا كان صاحب امتياز ميناء طرابلس غير ايطالي ـ واصل دي سان جوليانو كلامه ـ فحتى في ايطاليا لن يعتقد احد في سلامة العطاء وان الراي العام في المملكة قد يجبر الحكومة على اتخاذ حلول قصوى » (٥٧) . واراد اهرنثال * في الحال ان يقلل من اهمية الحادث مبديا الى افارنا الاخطار المرتبطة بنفاذ صبر ايطاليا » وقال : « ان عمل ايطاليا في تلك المناطق لا بد وان يؤدي الى حرب مع تركيا ويتسبب ربما في مضاعفات خطيرة » فالنمسا « بصفتها صديقة وحليفة لايطاليا » كان يجب عليها لفت نظر الحكومة الايطاليـة الـى الاخذ بعين الاعتبار خطورة المسؤولية التي تتحملها » (٥٨) . وحاول اهرنثال ان يقوم بدور الوساطة لدى الباب العالي وذلك بنصـح تركيا بتاجيل موضوع بناء ميناء طرابلس وتجنب اي خلاف والتساهل مع ايطاليا لابعاد الصعوبات (٥٩).

---

(٥٦) المصدر المذكـور .

(٥٧) A.S., MAE, Gab. 1911, pa. 22 برقة دي سان جوليانو الى افارنـا وبولاتي بتاريـخ ١٨ يـوليـو ١٩١١ .

(*) وزيـر خارجية النمسا ـ المجـر وقت الغـزو الايطالي (المعـرب) .

(٥٨) المصدر المذكـور ، برقية افارنـا الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٢ يوليو سنة ١٩١١ .

(٥٩) O.U.A., 111, nº 2576 p. 289 برقيـة دي سان جوليانو الى افـارنا وبولاتي بتاريخ ١٩١١ ورقـم ٢٥٨٢ ص ٩٧ ـ ٢٩٦ من بللافيتشيني الى اهرنثـال بتاريخ ٥ اغسطس ١٩١١ .

وقد رات الحكومة التركية من جهتها عدم زيادة حدة الخلاف وذلك بابلاغ نيتها في عدم القيام في الوقت الحالي ببناء الميناء (٦٠) .

ولكن دي سان جوليانو لم يطمئن . فقد كانت نيته تتجه الى البقاء على التوتر لانتهاز الفرصة في الوقت المناسب . وجـاء موضوع والي طرابلس مضافا الى مشكلة الميناء وقد سبق ان اشرنا الى موقف الوالي العدائي نحو ايطاليا (٦١) . وبعث وزير الخارجية ببرقية الى دي مارتينو يبدو وكانها اكتسبت لهجة الانذار : « يجب ان ينقل والـي طرابلس وتتغيـر لهجة الصحافة التركية الشبه رسمية وتقع ترضيتنا عن اهانات الجيش ، مع وضع حد لسياسة العداء ضد كل نشاط سياسي لنا في طرابلس « على اساس هذه الشروط فقط قد تقبل الحكومة الايطالية بتعديل لهجـة الصحافة والظهور بمظهر « الصديق المخلص لتركيا » ولكن اذا ظلت تركيا والمانيا تعتقدان ان ايطاليا قد لا تفعل شيئا وانها قد تستمر في « تحمل هذا الوضع » فعندئذ — اضاف دي سان جوليانو — قد تتلقى تركيا « مفاجاة مؤلمة » وان ايطاليا قد تتصرف « بحزم مهما كانت العواقب » (٦٢) .

ومرة اخرى حاولت الحكومة التركية — تقريبا بقصد عدم تشجيع لهجات دي سان جوليانو التهديدية حاولت — تلبية لالحاح النمسا والمانيا — ان تزيل اية حجة للشكاوي الايطالية . وقد تمكن دي مارتينو في ١١ اغسطس ان يبرق الى روما من اسطمبول بان الوزير الاكبر ووزير الخارجية التركي قد « اعلنا استدعاء والي طرابلس » (٦٣) . وهـذا التساهل التركي امام الطلب الايطالي قد فوت الفرصة على الدبيلوماسية الايطالية لدرجة ان دي مارتينو من اسطمبول حاول ان « يقلل من اهمية » النجاح الذي تم بنقل

---

(٦٠) O.U.A., 111, nº 2586 p. 304 من بللافيتشيني الى امرنثـال بتاريخ ١٠ اغسطس ١٩١١ .

(٦١) راجـع ص ٢٠ (المشير ابراهيـم ادهـم باشـا) المعـرب .

(٦٢) A.S. MAE, المذكـور ، برقيـة دي سان جوليانو الى دي مـارتينـو في ٦ اغسطس ١٩١١ .

(٦٣) جاكومودي مارتينـو المصـدر المذكـور ص ٢٦٢ .

الوالي خوفا من ان ذلك قد يخفف من حدة العداء الذي خلق في ايطاليا بالنسبة لتركيا و « قد يتخذه حجة الكثير من المعارضين للاحتلال العسكري » (٦٤) .

ومنذ الايام الاولى من شهر اغسطس كان عمل دي مارتينو موجها الى عرض العداء التركي ضد المصالح الايطالية باسلوب مثير مستمر . وفي احدى برقياته الكثيرة الى دي سان جوليانو ، بعد ان لوح من جديد مرة اخرى بالخطر من ان اعمال بناء ميناء طرابلس من المحتمل ان تخسرها شركة ايطالية ختم برقيته قائلا : « اسمحوا لي ان اعبر عن رأي في انه اذا كانت الحكومة الملكية مصرة على عدم استغلال الظروف السياسية الحاضرة لحل مشكلة طرابلس ، فان التهديدات الموجهة الى الباب العالي لن تفلح الا في زيادة الشكوك والعداء المستتر تحت المظهر القانوني « فتهديداتنا غدت دون اثر » (٦٥) .

وكان دي مارتينو يؤكد ان تعيين الوالي الجديد قد يفيد « المعارضة التركية المنتظمة » وبتاريخ ٢١ اغسطس زاد اصراره في رسالة سرية الى دي سان جوليانو ردا فيها على اسئلة دقيقة طرحها عليه الوزير وقد لاحظ في رسالته هذه ان احتلال ايطاليا لطرابلس قد يضع تركيا « امام الامر

---

(٦٤) المصدر المذكور — في ١١ اغسطس ابرق دي مارتينو الى روما ، « لا يجب المبالغة في امر استدعاء الوالي لانها ترضية شكلية لتطميننا . وليست بدليل جدي على تغيير الاتجاه » (المذكور ص ٣٦٣) .

(٦٥) المصدر المذكور « بتاريخ ٨ اغسطس — يواصل دي مارتينو كلامه — كان الرد على توبيخا وفي حياتي الوظيفية الطويلة تلقيت من البيروقراطية الوزارية توبيخات مختلفة . ولكن هذا التوبيخ اعترف لكم قد غمرني بالسرور . كانت برقية المركيز دي سان جوليانو تقول : « انك مخطىء في اعتقادك ان الحكومة الملكية غير عازمة على استغلال الظروف السياسية الحالية لحل مشكلة طرابلس (...) وعلى كل حال فانه من الواضح انه قبل القيام باعمال حربية محتملة يجب علينا ان نبرهن لاوروبا اننا استنفذنا جميع وسائل التفاهم » . ومن الواضح على كل حال ان وزن كلمة « حل » كان غير اكيد لانه وفقا لرسالة من صديقي بروما في منتصف اغسطس فانهم كانوا لا زالوا يفكرون في امكانية ايجاد حل على اساس امتيازات اقتصادية » .

الواقع الذي لا رجوع فيه » وقد يكون « تاكيدا لتلك القوة التي من شانها ان تستعيد نفوذنا في الشرق » (٦٦) .

وفي برقية بتاريخ ٣١ اغسطس عاد دي مارتينو الى دعوة دي سان جوليانو الى التحرك في اقرب وقت . وقد اخذ استياء كبير يدب في تركيا تجاه حملة الصحافة الايطالية لصالح احتلال طرابلس ولم يكن اذن من

---

(٦٦) الرسالة مؤرخة من تيرابيا ٢١ اغسطس ١٩١١ وموجودة في A.C.S., C.G., b. 13, f. 13 وتوجد في نفس الملف رسالة دي سان جوليانو الى دي مارتينو بتاريخ ٩ اغسطس ١٩١١ وقد واصل دي مارتينو كلامه عارضا في الثمان نقط التالية الاسباب التي تدفعه الى المطالبة بحملة عسكرية :

(١) هذا هو الحل الوحيد المطابق لميول الراي العام الايطالي .

(٢) انها الوسيلة الوحيدة التي تسمح باعادة العلاقات الطبيعية مع تركيا بعد وقت قصير نسبيا لان هذا هو السبب الوحيد الذي لا يمكن علاجه للخلافات وسوء التفاهم بين البلدين .

(٣) انه الحل المطابق لمصالحنا السياسية في البحر الابيض المتوسط .

(٤) انها الوسيلة للحيلولة في حالة حدوث ازمة عامة او تفكك للامبراطورية العثمانية في ان تترك لنا طرابلس (...) كتعويض عن مقتنيات نمساوية في البلقان (...) .

(٥) من الضروري استغلال مختلف التفاهم مع الدول حول طرابلس ما دامت هذه الاتفاقيات حديثة وفي كامل فعاليتها (...) .

(٦) كل ما تاخر الوقت كلما ازداد الحل صعوبة سواء بالنسبة للتسلح التركي او المصالح الاجنبية (...) .

(٧) ان سياستنا الرامية الى منع الاخرين من النشاط الاقتصادي في طرابلس لا يمكنها ان تستمر ولن تنجح في اكثر من حدود معينة .

(٨) اعتراضات عسكرية جدية لا توجد (...) غير انه تحت المظهر العسكري اود ان يسمح لي ببعض الاعتبارات المعنوية : سمعة الجيش الايطالي كل من عاش في الشرق يعلم جيدا ان ظلال عدوه ـ الهزيمة المجيدة ـ بالنسبة للاعتبار الدولي تنعكس حتى اليوم على سمعة الجيش الايطالي وهذا الظل قد يتلاشى نتيجة لعمل عسكري بطرابلس . وما هو الاثر المعنوي في الجيش نفسه ؟ ومتى قد ترتفع معنويات الجيش نتيجة لحملة ـ حتى ولو انها خالية من الاخطار غير انها بالنسبة لشعبنا ولجيوشنا قد يطلق عليها فيما بعد احتلال طرابلس ؟ هل هذا العامل لا قيمة له اذا فكرنا في اليوم الذي يقوم فيه جيشنا بواجب الدفاع عن حدودنا ؟ » .

المستبعد ان يلجا الباب العالي الى برلين للحصول على تاييد الديبلوماسية الالمانية .

« ان أي موقف تراجعي — لاحظ دي مارتينو — قد تتخذه الحكومة الملكية قد يكون الفضل فيه لالمانيا والضرر لسمعتنا وذلك دون الحصول على تحسن في العلاقات الايطالية التركية (...) وقد يبقى دوما سوء التفاهم الطرابلسي عائقا لا يمكن التغلب عليه » (٦٧) .

واخذت الحكومة العثمانية مــن جهتهــا تشدد مــن مواقفها المسالمة والمتسامحة : لقد اكد وزير الخارجية التركيــة رفعــت باشا من جديد الى النمسا قلقه لسوء العلاقات الايطالية التركية لان ايطاليا « تبدي عصبية كبيرة في جميع المسائل المتعلقة بــطرابلس » . وكان يشكو ايضــا من الادعاء الايطالي للحصول على معاملة افضل ومن سلوك الصحافة الايطالية التي « كانت تطالب بان تكون طرابلس لايطاليا لا غير » فتجاه هذا الوضع لا يجب ان نستغرب — حسب قول رفعت — اذا كان بتركيا « توجد حقا بعض الشكوك نحو ايطاليا » (٦٨) والسلطان محمد الخامس ايضا اكد من جديد لدي مارتينو يوم ١٨ اغسطس رغبة تركيا فــي السلام « حتى مع ايطاليا » وكرر وقت توديعه له : كرر مرتين او ثلاثة : : نحن نريد السلام . نحن نريد السلام . وكانت نظراته كما لاحظ دي مارتينو الصادرة من عينيه المنتفختين تعبر عن استرحام تقريبا » (٦٩) .

---

(٦٧) المصــدر المذكــور .

(٦٨) O.U.A., 111, رقــم ٢٥٨٢ ص ٩٧ — ٢٩٦ بالافيتشيني الى اهــرنثال في ٥ اغسطس ١٩١١ .

(٦٩) جاكومودي مارتينو المصدر المذكــور ص ٢٦٤ . غريبــة الصورة التي تركها لنــا دي مارتينــو عــن السلطــان « محمــد الخــامس » في الحــال تمت بالمقــارنــة — يكتب دي مارتينــو — ما بيــن هذا الرجــل البــدين المترهــل ذي النظــرة الباهتة الذي هــو في الــواقع يتحلى بشعــور طيب طبيعــي وما بيــن سلفــه عبد الحميد (السلطــان الاحمــر) صاحب النظــرة الثاقبــة الــذكي جــدا والمــاكــر والحــازم وذي الجسم الجــاف الشديــد النشــاط (...) فمن المعــروف ان عبــد الحميــد

ولم يتاثر دي مارتينو بلهجة السلطان التوسلية . وقد كتب بعد ذلك بقليل الى دي سان جوليانو محاولا ان يفسر موقف السلطات التركية الهادىء والمسالم ، فقد لاحظ ان الاستسلام التركي قد يدوم « بقدر الخوف من حملتنا العسكرية » وكان خوف القائم بالاعمال الايطالي واضحا : كان يخشى ان الحكومة الايطالية قد لا تكون لديها الشجاعة للسير بالعملية التي شرعت فيها حتى النهاية وان كل شيء ينتهي « باعادة فتاة هربت من منزلها او منح امتياز بناء ميناء » وفي هذه الحالة — يرى دي مارتينو — « علينا ان نحسب باننا تنازلنا عن مركزنا كدولة كبرى في الشرق » (٧٠) .

اما الذي كان يبدو انه يسد الطريق امام ايطاليا « ولو بصورة ودية » كما كتب ذلك جوليتي (٧١) وكان يعرقل سياسة دي مارتينو الرامية الى تصعيد لهجات الحوار ، فكان البارون مارشال الذي سعى بطريقة جعلت الباب العالي يتنازل امام اي طلب ايطالي . والبارون ادولف مارشال دي بيبرشتاين Adolf Marshal Di Bieberstein كان دبيلوماسيا عظيما ربما كان من آخر واهم شخصيات الدبيلوماسية الاوروبية من المدرسة القديمة التي عاشت ما بين القرنين — وكان قاضيا ونائبا في الرايخستاج عام ١٨٧٨ ووزيرا ببرلين وممثلا في البندسرات * عام ١٨٨٣. ووزيرا للخارجية بعد سقوط بسمارك من ١٨٩٠ الى ١٨٩٦ ، وقد ارسل سفيرا الى اسطمبول عام ١٨٩٧ في اطار ولتبوليتيك Weltpolitik التي وضعها غليوم الثاني وهي سياسة التوسع الاقتصادي الاستعماري التي سلكتها المانيا والتي كانت ترمي تحت وطاة اندفاع التطور الصناعي المتزايد الى احتلال اسواق جديدة . وقد استطاع

احتفظ لسنوات طويلة بولي عهده المفترض اسيرا تحت الرقابة الشديدة واحاطه بحريم عجيب يتجدد بين الحين والاخر ويقوم الطواشيون بنساء على التعليمات بجعله يشرب جميع انواع الكحول — وبالفعل فان انطباعي عن السلطان انه رجل محطم ماديا ومعنويا » .

(٧٠) المصدر المذكور ص ٢٧٢ . الوثيقة توجد A.S. MAE, Segr. gen., nº 42, pos. 17a, f. 641

(٧١) جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٢٢٨ .

(*) المجلس الاتحادي (المعرب) .

مارشال ــ في سبيل تنفيذ برنامجه من أجل تامين مركز من الدرجة الاولى للتجارة الالمانية في جميع انحاء الامبراطورية العثمانية ــ استطاع بعد بضعة سنوات ان يخلف لنفسه في العاصمة التركية مركزا مضاهيا للمركز الذي احتله سير سترافورد راكتليف ابان حرب القرم . وقد استطاع السفير الالماني بمهارة فائقة ان يكتسب ثقة مختلف الحكومات التركية « وان يعرف كيف يستغل في الحال اخطاء الآخرين .. التي يستطيع احيانا هو نفسه القيام باثارتها » وفي الخلاصة كما لاحظ فيكو مانيتقاتسا ، « قد استطاع خلال سنوات قليلة ان يكون السيد الحقيقي لتركيا وللسلطان » . فبعد سنوات قليلة من وصوله الى اسطمبول اخذت المنتوجات الالمانية تجتاح الاسواق التركية ، واسست المدارس الالمانية وانتقل الجيش التركي الى أيدي الخبراء والمدربين الالمان بقيادة وادارة المرشال فون درقولتيز Von Der Goltz وقد حارب الجنود الاتراك في الحرب الايطالية التركية بمدافع كروب وبنادق ماوسر . وقد قدمت منح دراسية للشبان الاتراك الذين كانوا يرغبون الدراسة في المانيا واخذت اللغة الالمانية تتوطد في جميع اركان تركيا اكثر فاكثر (٧٢) . ولم يتاثر نفوذ مارشال بانتقال السلطة من نظام عبد الحميد الى نظام الاتحاد والترقي ولم يتاثر أيضا مركز المانيا على ضفاف البوسفور . وقد بلغ نفوذه درجة جعلته يستحق اسم « ساحر القرن الذهبي . » (٧٣)

وكان على دي مارتينو أن يعمل ضد مارشال وضد «وحش» الدبلوماسية الاوروبية هذا بعد ان تم نقله من القاهرة الى اسطمبول للقيام بمهمة بالغة الدقة . وكان تصرف مارشال في الخلاف الايطالي ــ التركي فعالا لدرجة

---

(٧٢) انظر فيكومانتيقاتسا V. Mantegazza البارون مارشال في « راسنياكونتمبورانيا » اكتوبر ١٩١٢ ص ٥٩ ــ ٤٤ ، اوقسطوتوري المصدر المذكور ــ الرابع : « اعداد الانذار » في راسنيادي بوليتكا انترناسيونالي يونيو ١٩٣٧ ص ٥ ــ ٥٠٣ ــ وقد توفي البارون مارشال في عام ١٩١٢ بعد قليل من وصوله الى مقر عمله الجديد في لندن .

(٧٣) اوقسطوتوري المصدر المذكور ــ الرابع ــ ص ٤٩١ .

اقناع الباب العالي بالتنازل الى ما وراء اي توقعات الامر الذي دفع بدي سان جوليانو — كما سنرى — الى الاستعجال مثيرا بذلك دهشة واستياء الدول الاوروبية وكان موقف مارشال قائما بالطبع على التخوف من ان قطع العلاقات ما بين ايطاليا — حليفة المانيا وتركيا — قد يعرض للخطر جميع العمل الذي تام بـه لاحتلال المانيا اقتصاديا لتركيا وخاصة لدى افتراض تفكك الامبراطورية العثمانية . وفي حديث له مع الوزير الاكبر يوم ٢٥ سبتمبر (٧٤) كان يبدو واضحا المركز الذي احتله مارشال في تركيا والنفوذ والسلطة التي كان يمارسها ازاء الوزير الاكبر نفسه . وقد بدأ حديثه مع الوزير الاكبر بطريقة خشنة اذ قال : « ان المسؤولية الكبرى عما يقع ناتجة عن السياسة المزيفة التي سلكتها تركيا تجاه ايطاليا بالنسبة لطرابلس « فكان مما لا مفر منه — حسب قول مارشال ان « نقطة اخيرة قد تطفح بالكاس » وقد بدا الوزير الاكبر متساهلا : لقد كان مستعدا ان « يقدم لايطاليا في طرابلس اي امتياز لا يتعارض وطابع البلاد بصفتها ولاية تركية » فاذا كانت ايطاليا تطمح في امتيازات اقتصادية « فكان « مستعدا الى كل شيء : سكك حديد « موانىء طرق ، معادن وغير ذلك » في الامكان ان يوضع جدول بذلك بحيث يترك فقط موضوع «اتمام الشكليات » (٧٥) .

وبعد هذا الحديث ، استدعى الوزير الاكبر في ٢٥ سبتمبر دي مارتينو واشار اليه بخطورة الحالة على اثر تهيج الراي العام والصحافة في ايطاليا بخصوص طرابلس « فهذا التهيج — حسب راي الوزير الاكبر — كان

---

(٧٤) عاد مارشال من اجازته الى اسطمبول في ٢٣ سبتمبر بمهمة تطويق الازمة الايطالية — التركية . انظر المصدر المذكور ص ٩١ — ٤٩٠ .

(٧٥) G.P., XXX, I رقم ١٠٨٣٣ ص ٥٥ — ٥٣ ، برقية كيدرلن وستوهبرغ — فرنيجروده (من روما) بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩١١ . وقد حاول الوزير الاكبر ايضا ان يؤثر في مارشال ملوحا اليه بخطر ردود فعل العمل الايطالي على مركز المانيا في تركيا . ولكن مارشال لم يتاثر لانه يرى « ان سياسة المانيا الشرقية واضحة ومدركة لغاياتها « ولم يكن » باي حال من الاحوال متاثرا بالتقلبات المحتملة التي قد اعتاد عليها » .

« مشروعا » فيما يتعلق بالمطامح الاقتصادية ، وغير مشروع بل غير مقبول « فيما يتعلق بالمطامح السياسية » ففيما يتعلق بالموضوع الاول فان الباب العالي قد وجد الوسيلة « للتفاهم اذا كانت الحكومة الايطالية تقدم فترة من الهدوء الذي يسمح بالكلام . لدينـــا دول صديقـــة للطرفين قد تستطيع ان تسهل المهمة » واضاف بعد ذلك « قولوا لـــي ماذا تريدون ؟ » (٧٦) وفي الخلاصة فان العمل الذي قام به مارشال يبدو انه اخذ يعطي ثماره غير ان اتجاه دي سان جوليانو كان موجها بصورة لا رجعة فيها الى الحل عن طريق القوة وان اي عرض ذى طابع اقتصادي قد لا يجد قبـــولا حسنا لدى وزارة الخارجية

ولم تخف الحكومة الالمانية الصعوبات القائمة لكي تســـوي مسالة كان يراها الديبلوماسيون الالمان متدهورة في جزئها الاكبر . ومنذ ٢٢ يوليو ابلغ سفير المانيا بروما جاقوه Jagow حكومتـــه بانه بالرغـــم من تغيير والي طرابلس فان المسالة لم تعد قابلة للحل بسهولة (٧٧) وفي اليوم التالي ٢٨ يوليو اعرب عن انطباعه بانه لا يستبعد « حدوث مضاعفات بطرابلس » (٧٨) ولم تدخر المانيا جهدا على كل حال في سبيل الخروج من الازمة . وبالاضافة الى اسطمبول فقد امتد نشاطها الى السفارة التركية ببرلين . فقد كان كيدرلن باردا مع السفير التركي الذي ذهب لمقابلته في نهاية اغسطس طالبا تاييد المانيا للحيلولة دون ايطاليا ومطامعها في طرابلس ولم يعطـــه الا قليلا من الامل . فقد كان من الطبيعي « بالنسبة لكيدرلن انه بعد التصرف الفرنسي في مراكش » ان لا تظل ايطاليا وهي من دول البحر الابيض الرئيسية — غير مبالية وان تبحث عن تعويض يوازي المركز الممتاز الذي اخذت تكتسبه دولة

---

(٧٦) A.S., MAE, المصدر المذكور برقية دي مارتينو الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩١١ .

(٧٧) G.P. XXX, I, رقم ١٠٨١٨ ص ٣٤ رسالة جاكوف الى بتمان هوللويق Bethman Hollweg بتاريـخ ٢٨ يـوليـو ١٩١١ .

(٧٨) G.P. XXX, I, رقـم ١٠٨١٩ ص ٣٤٠٦ رسالـة جاكوف الى بتمان هوللويق بتاريخ ٢٢ يـوليـو ١٩١١ .

اخرى من دول البحر الابيض المتوسط » . والخلاصة ان المانيا عملت على افهام تركيا ان عليها ان تحل مشكلتها بمفردها وان المانيا لا تستطيع عرقلة « المصالح الحيوية لحليفتها وخاصة مع وجود الخطـر في ان الحكـومة الايطالية قد تضطر الى الاخذ بعين الاعتبار اذ كان الامر لا يناسبها « البحث عن حماية مصالحها الخاصة خارج الحلف الثلاثي » (٧٩) .

فبينما نرى من الجانب الالماني انه كانت هناك محاولات مباشرة لتسوية الموضوع والسعي بصورة خاصة لاظهار التفهـم للمطالب الايطالية ودعوة الاتراك الى التساهل ، فاننا نرى بالعكس ان حكومة النمسا ـــ المجر قد حاولت صراحة عدم تشجيع الادعاءات الايطالية . وقد تفطن لذلك دي سان جوليانو نفسه منذ ٢٨ اغسطس في حديث له مع القائم باعمال النمسا في روما لوزيج امبروزي Ludwig Ambrozy فقد اكد له وزير الخارجية الايطالية ان « واحدا في ايطاليا لا يفكر في ضرورة الاحتـلال المباشر لطـرابلس اذ المزارعون والتجار والمهندسون الايطاليون قد يستطيعون ارضاء مصالحهم المشروعة في طرابلس » واجابه الديبلوماسي النمساوي بانه « من الكثير ان نطالب تركيا ان تشجع على صبغ الحياة الاقتصادية في طرابلس بالصبغة الايطالية في الوقت الذي تنازعها الصحافة الايطالية يوميا حـق حيازتها بدون منازع في تلك الولايات » .

« وقد اضاف امبروزي : عندما يجد الانسان نفسه تجاه شريك يبسط يده باستمرار لينتزع منه بعض شـيء فانه لا يمكنه ان يشـق ابدا فـي هذا الشريك (...) كل دولة لها الحق في الدفاع ضد هذا التصرف . وكانت هناك امثلة لبعض الدول التي بقرار ابعاد او بمنع الهجرة كانت تحتفظ بعيدا عنها بالرعايا غير المرغوب فيهم من الدول الاخرى حتى ولو كانت صديقة » .

---

(٧٩) A.S. MAE, برقيـة تيتوني الى دى سـان جوليانو بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩١١ التـي يذكر فيها فحوى تقـرير مـرسل في ٣٠ اغسطس من السفيـر التركي ببـرلين الى الوزير الاكبـر .

ويبدو ان دي سان جوليانو قد رأى من المناسب عند هذه النقطة ان يقطع الحديث . وابلغ امبروزي فحوى هذا الحديث الى فيانا وعرض نوايا وزير الخارجية تحت ضوء غير ملائم : فقد اعتبر القائم بالاعمال النمسوي ان مفهوم دي سان جوليانو ومفهوم الصحافة الايطالية كانا « شديدي الارتباط فيما بينهما » .

« تقول الصحف : طرابلس تخصنا نهائيا لان الدول وعدتنا بها . فمتى اذن سنطرد الاتراك من هناك ؟ ويفكر المركيز دي سان جوليانو : اذا لم نستطيع الاستيلاء على طرابلس اقتصاديا فسنضطر الى احتلالها » (٨٠) .

ولم يتخلف اهرنثال خاصة في الايام التي سبقت مباشرة توجيه الانذار عن جعل ايطاليا تعدل عن نواياها الحربية وعن اقناع تركيا في نفس الوقت بمنح تنازلات اكبر (٨١) . وكان اهم ما يشغل بال النمسا امكانية قيام حركة عامة في البلقان قد تستفيد منها روسيا من جهة وصربيا من الجهة الاخرى (٨٢) .

وقد ادرك دي سان جوليانو بسرعة — من جهته — من اي جهة قد تاتيه اكبر الصعوبات تجاه المبادرة الايطالية . ومنذ ٢٠ سبتمبر فصاعدا كان شاغله الوحيد المستمر هو تلقي ردود فعل الحلفاء النمساويين الالمان . وفي يوم العشرين من سبتمبر نفسه بعث فيوجي برسالة الى جوليتي وبها برقية من فيانا بعث بها افارنا (سفير ايطاليا في فيانا) حول استياء اهرنثال حول ما « كان يقع في ايطاليا بخصوص مشكلة طرابلس » فحسب رأي وزير الخارجية النمساوية لم يكن ذلك الوقت المناسب لاثارة المشكلة . وكان هذا

---

(٨٠) O.U.A., 111 رقم ٢٦٠٧ ص ٣٢١ — ٣١٧ . من امبروزي الى اهرنثال في ٣١ اغسطس ١٩١١ .

(٨١) A.S. MAE, المصدر المذكور « قال لي اهرنثال — جاء في برقية افارنا من فيانا يوم ٢٧ سبتمبر — انه من رايه ان يرد على (مذكرة تركية) ناصحا تركيا بالاتفاق مع ايطاليا وان تتساهل معها » .

(٨٢) انظر اوتوسطو توري المصدر المذكور . الرابع ص ٥٠١ .

بالنسبة لدي سان جوليانو عنصرا اخر يؤكد « ضرورة الاسراع دون اشعار الحلفاء مقدما » (٨٣) وبعد يومين اي في ٢٢ سبتمبر بعث دي سان جوليانو ببرقية جديدة الى جوليتي (الذي كان لا يزال في كافور) يشعره فيها برغبة النمسا والمانيا في تجديد الحلف دون ادخال اي تعديل عليه . وكتب جوليتي الى دي سان جوليانو يوم ٢٣ سبتمبر ، وبالرغم من ملاحظته ان الرد لا يمكن الا ان يكون ايجابيا بصورة مبدئية ، غير انه اكد : « لا افهم جيدا سبب تقديم الطلب الآن ولكن بكل تاكيد يجب ان لا تثار شكوك » (٨٤) . فالحكومة الايطالية في الواقع كانت تعلم جيدا ان فتح المفاوضات في ذلك الوقت لتجديد الحلف الثلاثي معناه التنازل مؤقتا عن حيازة ليبيا . فمن مصلحة ايطاليا أن تتقدم الى المفاوضات وهي قوية بحدوث الامر الواقع (احتلال ليبيا) دون ان تضطر من جديد ان تتنازل لحلفائها مقابل « لا مانع » بخصوص طرابلس (٨٥).

فكان من الواضح ايضا ان طلبا من هذا النوع في ذلك الوقت معناه قلق ومعارضة الحلفاء للعملية الطرابلسية الامر الذي جعل دي سان جوليانو وقد تكونت فيه ونضجت باستمرار فكرة عدم اشعار الحلفاء بالمبادرة الايطالية جعلته يقدم عليها مع علمه بمخالفة روح وحرفية المعاهدة ، وفي البرقية التي ابلغ بها الوزير سفيريه في فيانا وبرلين حول القرار الرامي الى

---

(٨٣) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10.

(٨٤) الثلاث برقيات المذكورة في A.C.S., C.G., b. 15 f. 25 bis برقية الملك الى جوليتي هي بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩١١ .

(٨٥) لقد لاحظ سالفيميني في هذا الصدد « ان مشكلة ليبيا قد اصبحت شبه عثرة في طريق السياسة الخارجية الايطالية . فما دامت هذه القضية تظل معلقة بصفتها مشكلة دولية فان ليبيا قد تستعملها دوما — مثل الدول الاخرى — كسبب او ذريعة لخلق الصعوبات في وجوهنا ولجعلنا ندفع ثمن موافقتهم على الرهنية التي تيدناها عليها من اجل مساومتنا . ان ليبيا كانت تهدد بالضغط بصورة ضارة جدا علينا في وقت الدخول في المفاوضات من اجل تجديد الحلف الثلاثي او احتمال انضمامنا الى الوفاق الثلاثي . فكان يجب اغلاق هذا الفصل من تاريخ سياستنا الخارجية ، اغلاقه بالاحتلال الذي كان يبدو مع هذا سهلا جدا (...) » (تايطانو سالفيميني — كيف ذهبنا الى ليبيا المصدر المذكور ص ٣٢٨) .

تامين الادارة الفعلية للحكومة والادارة في طرابلس وبرقة الى ايطاليا » كان يؤكد الافتراض بان النمسا والمنيا تتقبلان الامر :

« بان لا تشعر (بالاحتلال) مثلما قبلت المانيا عدم ابلاغ النمسا لها عن نيتها في القيام بضم البوسنة والارزقونيا . ان هذه التسوية الوقتية Modus Procedendi — يواصل دي سان جوليانو كلامه — تبدو لي في مثل هذا الافتراض الوسيلة التي تمكنهم من المحافظة على صداقتهم لايطاليا او صداقة تركيا نحوهم وان يستوحوا سياستهم دون ضرر على مصالحهم في الشرق — من روح الحلف الثلاثي الذي سيواجه — نتيجة لمشكلة طرابلس تجربة النار — التي يتوقف على حلفائنا ان يخرج الحلف منها وقد ازداد صلابة وقوة واما ان يخرج مهزوزا بصورة لا تتلافى (...) وان من مصلحتنا الان حسب رأي — ان لا نتحدث اطلاقا عن مشكلة طرابلس وان نتحاشى بقدر الامكان ان يتحدث عنها الاخرون » (٨٦) .

ونفس الافكار عبر عنها دي سان جوليانو في برقيتين لاحقتين موجهتين الى بانسا وافارنا وقد حويتا التعليمات بحيث اذا ما حلت اللحظة (الاحتلال) فكان يجب عليهما ان يفسرا « بوضوح الى الحلفاء » بان السبب الوحيد الذي جعلنا نتاخر في ابلاغهما هو رغبتنا الودية « في ان لا نضعهم في موقف صعب ولكي نعطيهم الوسيلة للتوفيق ما بين مصلحتهم في الاحتفاظ بصداقة تركيا وبين المشاعر والواجبات المتبادلة التي تربط ما بين الحلفاء » (٨٧) .

---

(٨٦) A.C.S., C.G., b. 25 fasc. 64 برقية دي سان جوليانو الى السفيرين بفيانا وبرلين بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩١١ .

(٨٧) A.C.S., C.G., b. 37, f. 36 برقية دي سان جوليانو الى السفيرين بفيانا وبرلين بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩١١ . وكان سفير ايطاليا بفيانا افارنا معارضا لطريقة العمل هذه التي سلكتها الحكومة الايطالية وقد بعث برقيتين متتاليتين في ٢٥ سبتمبر يطلب من وزير الخارجية ان يعلم مقدما « من ناحية اللياقة » الحكومتين النمساوية والالمانية . (A.C.S., C.G., b. f. 13) .

ولكن ماذا كان في الواقع يقلق الحلفاء اكثر بخصوص حملة عسكرية ايطاليا بليبيا ؟ فبالاضافة الى الرغبة في الحفاظ على علاقات طيبة مع تركيا التي ترتبط بها النمسا وخاصة المانيا بفضل مساعي البارون مارشال ، بمصالح اقتصادية وتجارية ضخمة فان الامبراطوريات المركزية كانت تخشى ان قيام ايطاليا بعمل عسكري ضد تركيا سيتسبب في « انفصال كريت وفي ثورات البانية وثورة في اليمن وربما في توسع لبلغاريا مع خطر تفكك الامبراطورية العثمانية وهو الامر الذي بالاضافة الى نتائج سياسية غير متوقعة كان في امكانه ان يحدث « على الاقل ارتباكا » للمصالح الاقتصادية لجميع الدول (٨٨) .

ومع هذا فقد حاول دي سان جوليانو ان يقلل من شان معارضة الحلفاء

---

(٨٨) هذه الاراء عبر عنها وزير الخارجية الالماني (كيدرلن ويشتر) الى السفير الايطالي بانسا يوم ٢٣ سبتمبر ١٩١١ — انظر برقية بانسا الى دي سان جوليانو في ٢٣ سبتمبر (A.C.S., C.G., b. 17, f. 36)، وقد لاحظ بانسا من بين ما لاحظ : « اجبت كيدرلن انني لا اعرف نوايا الحكومة الملكية الحالية في هذا الخصوص ولكن بصورة شخصية بينت له الصعوبات التي واجهناها في طرابلس من قبل السلطات التركية على حساب توسعنا الاقتصادي المشروع وكذلك الظروف الناتجة عن قرب تولي فرنسا لمراكش وقد اخذ يتكون في ايطاليا تيار حاد جدا لدى الراي العام يرى بعدم امكانية تاجيل حل نهائي للمشكلة الطرابلسية اكثر من ذلك . وفي هذا الوقت — لاحظت ان فرنسا التي تحتاج لموافقتنا للمسالة المراكشية لا تستطيع ان تثير في وجهنا صعوبات ولا تتخلى من التزاماتها نحونا . اما اذا اجل الحل الى وقت غير محدد فلا يستطيع احد ان يتنبا فيما اذا كانت علاقتنا بالجمهورية جارتنا قد لا تسوء من جديد لاي سبب وعندئذ وبالرغم من كل وعد معاكس فالخطر على طرابلس قد يعود من جديد بخطورة اشد نتيجة لاتساع الامبراطورية الفرنسية الافريقية . وفي نفس الوقت ان هذا القلق جعلنا دائما مضطرين الى مجاملة فرنسا مما كان يعرضنا احيانا الى توبيخ حلفائنا بسبب « دورات الفالس » هذا في حين انه اذا حلت مسالة طرابلس نهائيا وبصورة تؤمن التوازن بالبحر الابيض فان مركزنا في الحلف الثلاثي قد يكون اكثر حرية وصراحة لصالحنا وصالح حلفائنا (...) ولاحظت ايضا ان عملنا المحتمل في هذا الوقت قد لا يثير ألان صعوبات دولية بالنظر الى استعداد روسيا وانكلترا المتوقع كما انفا — اضفت — لا نشك في مواقف حلفائنا الذين الان بالذات اقترحوا علينا تجديد المعاهدة الثلاثية » .

المحتملة فان المانيا حسب وجهة نظره ستقتصر على اعطاء النصائح ولكنها قد لا تعرقل ابدا التصرف الايطالي وخاصة اذا كان هـذا التصرف سريعاً وفي وقته ثابتا . أما بالنسبة للنمسا فلم يكن في امكان دي سـان جوليانو أن يخفي ود حكومة فيانا المفقود بالرغم من أنه حتى في هذه الحالة كان تقديره متفائلا تماما : « انها ستمتعض ربما وقد تمتعض بكل تاكيد ولكنها لن تفعل شيئا » (٨٩) .

وقد نضج الاقتناع لدى جوليتي بان الوقت قد حان لتنفيذ المبادرة خلال النصف الاول من سبتمبر ، وقد ساهم في اتخاذ القرار سير الأحداث الدولية من جهة وبصورة خاصة المشكلة بالمراكشية ومن جهة اخرى ضغط دي سان جوليانو عليه المتواصل (٩٠) .

---

(٨٩) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 رسالة دي سان جوليانـو (من فيوجي) الى جـوليتي (تورينـو) تاريـخ ٢٠ سبتمبـر ١٩١١ · كتب فـرنشسكو سافريونيتي ان حكومـة فيانا لا تثـق في جـوليتي « بسبب وطنيتـه وحكومـة برلين لانها تعتبـره ميـالا لفـرنسا والطرفـان كما أعتقـد ـ كانا علـى حـق من وجهـة نظـرهما في عـدم الثقـة بـه » (فـرنشسكـو سافـريـونيتي F. Saverio Nitti ـ كتـابات سياسية مجلـد ٤ : ايحـاء وتامـل وذكريـات قـام بنشره جامبيروكاروتشي ـ بـاري ١٩٦٣ ص ٢٦١ ·

(٩٠) كتب لـويجـي لـودي : « عـرض دي سان جوليانو على رئيس المجلس باستمـرار ضرورة تدخـل فعلـي ·. والنائب جـوليتي وفقـا لطبيعته وسوابقه لم يكـن ميـالا لتقبـل نصائـح من هـذا النـوع · فالتوسع الاستعمـاري لا يدخـل في مخططاتـه : ديبريتيس Depretis (رئيس مجلس وزراء سابـق) قد سقط في الواقع بسبب ارتيريا وان عمليـة طرابلسية قد لا يوافـق عليها أولئك الاشتراكيـون والذيـن ظلوا العنصر الاساسي في مخططاتـه . وعلى كل حـال ففي النهايـة حمل على الاقتناع على الاقل بصميم الفكرة وهـو الذي نضج في درومـيـرو . وفي منتصف سبتمبـر فقط عند مـا كانت جميـع الصحف تطـالب بحـرارة اتخـاذ قـرار·، اضطر الى تـرك معتكفـه الهـادىء ليعـود الى رومـا · وكان بقيـة اعضاء المجلس يجهلون قراراتـه حتى ان النائب تيدسكو كـذب من حـن نيـة بمونتيكاتيني ، اي نيـة لـدى الحكومة في الاحـتلال واجـاب النائب نييتي من كان يوجـه اليـه السؤال ذاكـرا صورة مميـزة قديمـة للكابتـن فراكاسا نقش في اسفلها هذه الكتابـة « طرابلس ···. مصيـدة » لـويجبي لـودي Luigi Lodi ـ خمسة وعشرون عامـا من الحيـاة النيابيـة · من بيللو الى موسـوليني ـ فلورنسـا ١٩٢٨ ص ١٤٩) ·

وتلاقى جوليتي ووزير خارجيته يوم ١٤ سبتمبر ويبدو ان الاثنين اتفقا على مناسبة الشروع في العمليات العسكرية في شهر نوفمبر . بيد انه في اليوم التالي ١٥ سبتمبر كتب دي سان جوليانو الى جوليتي (بكافور) عارضا عليه ضرورة تقديم وقـت العمل لاسباب تتعلـق بالاحوال الجوية وبحالة البحـر :

« (...) اذا كان لا بد من عمل لنا في طرابلس ــ كتب دي سان جوليانو ــ يجب ان يتم في اقرب وقت ممكن او علـى الاقـل قد يكون مناسبا اصدار التعليمات منذ الان في المسائل التي تتطلب وقتا لتنفيذها فبدلا من نوفمبر قد يكون مفضلا العمل في اكتوبر واذا امكـن لا بعد الخـامس ولا قبل يوم ٢٠ وهو الوقت الذي يتبع مباشرة الاستواء الخريفي ويعطي امكانيات اكثر في ان يكون البحر هادئا (...) ــ فاذا كان كل شيء قد درس بدقـة اعتقد اننا سنواجه صعوبات دولية اقل وحكما اكثر وديا من الراي العام الاوروبي هذا اذا استطعنا ان نعمل في الوقت الذي لا تزال فيه اوروبا مشغولة بنتائـج المفاوضات الفرنسية الالمانية الممكنة (٩١) بدلا من ان تكون قد اطمأنت على هذه الناحية واذن ستكون اقل استعداد للحكـم بعطف على من يجلب لها متاعب جديـدة .

وبدأ دي سان جوليانو العمل بسرعة . فالوقت ــ بالنسبة له ــ مناسب حتى بسبب تغيب جميع السفراء الاجانب بـروما تقريبا وبسبب « غيابه المبرر » هو وجوليتي » .

« واضيف ــ كتب فـي نفس الرسالة ــ اننـي قد استخلصـت من محادثتي مع القائم بالاعمال الالماني بارتياح انه مقتنع باننا لن نفعل شيئا واعتقد انه سيبلغ حكومته بهذا الاتجاه . ولكن الى متى سيدوم هذا الحال ؟ بالتاكيد ليس لمدة طويلة . ان العمل الان قبل ان تعلم بـه حكومتنا النمسا والمانيا لامر ضروري جدا بالنسبة لنا وحسب راي مقبول بالنسبة لهم » (٩٢)

---

(٩١) تمت المفاوضات الالمانية ــ الفرنسية يوم ٤ نوفمبر ١٩١١ .

(٩٢) .A.S. MAE, Gab ــ ١٩١١ ص ٢٢ ٠ لا يزال دى سان جوليانـو يواصل مؤكدا « مـدم

وبعد يومين في ١٧ سبتمبر في خلال اجتماع (براكوينجي) * احيط بالسرية التامة احاط جوليتي الملك علما بالقرارات التي توصل اليها . وقد ابدى فيكتور عمانويل الثالث موافقته وعندما عاد جوليتي الى كافور يوم ١٨ سبتمبر اصدر التعليمات للتعجيل بالاعدادات في السرية التامة (٩٣) .

وان احد التساؤلات التي كانت اكثر ما شغف به كل من اهتم بالحرب الايطالية ــ التركية هو هل قرار جوليتي في اتمام العمل العسكري بطرابلس وبرقة قد تاثر بالجو الذي خلقته الصحافة والراي العام لصالح العملية . ومن بين اولئك الذين يميلون الى الرد الايجابي نجد لويجي البرتيني الذي اكد ان « تيار الراي العام الشاسع والكاسح هو الذي سير الحكومة (٩٤) .

اعطاء وقت للصحافة الانكليزية التي لها تاثير على الراي العام ومن طريقها على الحكومة أن تهتم عن علم Exprofesso بطرابلس وان تستغل الفرصة التي تركز فيها اهتمامها على مراكش وضد المانيا » .

(٩٣) جوفاني جوليتي ــ المصدر المذكور ص ٢٣٤ . كتبت صحيفة « مومنتو » وهي من الصحف الكاثوليكية الداخلة في شركة تروسولي ، في اليوم التالي ان جوليتي وهو في طريق عودته وقف يتحدث الى احد الفلاحين ويبدو انه قال له انه « ذهب الى الملك ليتحدث معه في موضوع طرابلس ... » وقد كتب جوليتي الى بروساتي مؤكدا « روح الابتكار الصحفية » واعتبر « مؤسفا » ان يصل الامر الى « اختراع احاديث صاحب الجلالة » والرسالة موجودة في A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. I. وقد ذكرت مارشيلا بنكيرلي هذا الحادث في المصدر المذكور ص ٤٧٩ .

(٩٤) لويجي البرتيني ــ المصدر المذكور القسم الاول المجلد الثاني ص ١٢٣ ــ كانت الحكومة ــ كتب قصر ملكي بولاية بيمونتي (المعرب) .
البرتيني ــ تلاحظ بدون شك ظاهرة نفاذ الصبر الذي تطورت في البلاد وكانت تشعر بان التيار اخذ يرتفع ولم تفكر الحكومة في البداية ان في امكان التيار ان يلحق بها ويجرها . ثم رات انها لم تكن حركة مصطنعة تغذيها بعض العناصر تليلو التامل بل كانت تعبر عن قلق شديد للاغلبية الساحقة من الامة . ولاحظ انه قد تولد تيار مؤيد حتى بين الاحزاب الشعبية رغم معارضة قوية (...) وادركت انها اذا استجابت فلن تواجه سوى معارضة هزيلة قليلة التاثير وسط الخلافات الشاسعة والجديدة التي ظهرت في الحزب الاشتراكي نفسه ، اما اذا قاومت فقد تعاكس وتتحدى حركة قومية حقيقية وانتهى قرارها بالقيام بالعملية (المصدر المذكور ص ١٢٤ .

غير ان البرتيني ليس بالوحيد الذي يتبنى هذا الراي . فقايطانو سالفيميني على سبيل المثال اكد بالاسلوب الجدلي الذي يميزه انه بعد يوم ١٧ سبتمبر فقط لا قبل ذلك « اتخذ جوليتي قراره ، والقرار تم بعد ان قامت صحيفة « كوريري ديلاسير » يوم ١٤ سبتمبر « باتهام الملك بمعارضته لارادة البلاد » وفي يوم ١٧ سبتمبر نفسه دفع كوراديني بتجربة الطبع لمقدمة كتابه « ساعة طرابلس » مؤكدا انه تجاه سكون الحكومة ، فالقومية كان يجب عليها « ان تشرع في عمل ثوروي متطرف حتى ضد الاشياء والاشخاص الذين لا يات ذكرهم الآن » (٩٥) « لماذا يتساءل سالفيميني — انتظر جوليتي حتى ١٧ سبتمبر لكي يتخذ قراره ؟ لانه شعر في هذا الوقت فقط ان الصحافة خدمته اكثر مما يرغب وان الراي العام قد امسك بيده »(٩٦) وقد ذكر الجنرال اوقو بروزاتي ياور الملك فيكتور عمانويل الثالث الى سبنقاردي (وزير الدفاع) ان انطباعه كان ان الحكومة قد انجرت وراء الراي العام » (٩٧) .

ان الاستدلال الذي قدمه البرتيني وسالفيميني وبروزاتي ثلاث شخصيات تختلف عن بعضها وبعيدة عقائديا فيما بينها ، هو بدون شك ايحائي ، غير

---

(٩٥) انريكو كوراديني « ساعة طرابلس » ميلانو ١٩١١ ص

(٩٦) قايطانو سالفيميني — المصدر المذكور ص ٣٠ — ٣٢٩ .

(٩٧) A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. 36 n° 302, رسالة سبنقاردي الى بروزاتي في ٢٥ سبتمبر ١٩١١ « فاذا كان الامر كذلك — لاحظ سبنقاردي رادا على بروزاتي — فليبارك الله في هذه الحالة الراي العام الذي جنبه ارتكاب خطا اخر ٠٫٠٠ في التوقيت . ومن الحظ الغريب ان جميع البلاد مؤيدة . ولا انكر ان تكون هناك مصالح قذرة قليلة ام كثيرة في اللعبة غير ان غالبية الجماهير مؤيدة بسبب شعورها الايطالي السامي . ولم يخف سبنقاردي الاخطار التي قد تسببها الحرب مع تركيا بالنسبة للامن الاوروبي : « ستطالب النمسا بتعويضات جديدة وربما يكون زحفها على سلانيك مقدرا كما اعتقد وقد يكون مقدرا ايضا دخولنا في حرب مع الحليفة ولكن ليس الان . فليعطوننا وقتا وسنسمعهم صوتنا ايضا الادرياتيك ».
ان المسالة هناك ليست ايطالية فقط . هناك اخرون اقوى منا يهتمون بالبلقان والاتحاد قوة .

ان المسببات المتبعة لتبريره لا تكفي وحدها لتعزيزه . وخاصة وانه قد يجب ان يستبعد الافتراض بان جوليتي كان سريع الانفعال وسهل التاثير عليه بدرجة ان يجر بسهولة :

ان معارضة البرتيني وسالفيميني لجوليتي يجب ان تدفعنا ايضا الى تقييم تاكيداتهما مع بعض التحفظات التي وان كانت من زاويتين مختلفين فانها تظهر تلك الروح الجدلية تجاه جوليتي التي دمغت نشاطهما ككاتبين ورجلي سياسة (٩٨) .

ويحضر التساؤل اذا لم يكن دي سان جوليانو نفسه قد تعاون ولو جزئيا مع الصحافة لتهيئة الراي العام للعملية ولمحاولة التاثير على جوليتي بزيادة ضجة الصحافة حول ليبيا ، وقد كان للسان جوليانو دور بارز على سبيل المثال في تحويل صحيفة مثل « كوريري ديلاسيرا » الى جانب مثيري العملية (٩٩) .

وفي الخلاصة فان وزير الخارجية لم يكن من بين اولئك الذين انجروا وراء الراي العام . وحتى الى ايام قليلة قبل اعلان الحرب كان مهتما بالقاء الحطب في النار . وبارادة سان جوليانو نفسه كانت برقيات وكالة ستيفاني

---

(٩٨) لاحظ رفائيل مولنيللي في هذا الصدد : هل كان ضغط الراي العام السبب الحاسم في دفع رجال الحكومة الى العملية انه لمن الصعب اثباته ومن جهة اخرى لا يمكن عدم الاخذ في الحساب ان اولئك الرجال وعلى الادق جوليتي عرفوا فيما بعد خلال حملة التدخل في الحرب العالمية ان يقفوا ضد التيار . ومن المشكوك فيه ان ذلك الضغط قد احس به بشدة رجال الحكومة واعطوه ما يستحق من الاعتبار . فيبدو لنا جائزا الافتراض ان جوليتي وقد اقتنع تدريجيا بالحالة الموضوعية للامور وان الصحافة قد ساهمت في ان توضح له حتمية العملية وقد قام بالعمل متجاوبا مع توقعات الراي العام المتزايد ضغطه والتي قد تكون دفعته الى تقصير الزمن » . (رفائيل مولينيللي المصدر المذكور ص ١٢٧) .

(٩٩) انظر ص ٦١ — ٦٠ — لقد كتب جاكومودي مارتينو انه « خلال شهر سبتمبر هدد الوزير دي سان جوليانو بالاستقالة اذا القرار تاجل مدة اطول » (جاكومودي مارتينو المصدر المذكور) .

تتخذ لهجة محتدة تثير الانفعال في البلاد . وفي يوم ٢٢ سبتمبر ابرق وكيل وزارة الداخلية الفريد وفالتشوني الى جوليتي الذي كان لا يزال في كافور قائلا :

« ان وكالة ستيفاني بامر محدد من وزارة الخارجية مخالفة بذلك الاعلان الصادر مني ومن فريدلاندر ومن بيانو قد اضطرت الى نشر هذه البرقية من بين ما نشرت : « اسطمبول » يتعلق الامر بارسال عمارة الى طرابلس » لقد تمكننا من الغاء بعض البرقيات المثيرة . وقد صرح دي سان جوليانو انه بينما كان يعتقد حتى اليوم انه من مصلحتنا التخفيف من حدة البرقيات للفوز بتغلغل سلمي فاليوم اصبح الامر بالعكس اذ انه من المناسب اتباع سياسة مختلفة هدفها هز الراي العام . هذا ما احاطني به علما فريد لندر بصورة سرية » (١٠٠) .

وبتفسير وقلب استدلال البرتيني راسا على عقب قد يمكننا ان نجازف حقا بالافتراض بان انطونينو دي سان جوليانو كان هو الذي « امسك الزمام » وقاد « تيار الراي العام الشاسع والعاصف » . وعلى كل فيبدو واضحا دون حاجة الى اللجوء الى افتراضات متطرفة ان دي سان جوليانو قد تصور حرب طرابلس كمسالة « مرتبطة » حقا « بحياته كوزير » وذلك حسب ايحاء وكيل الوزارة دي سكاليا . ان شدة الاصرار والمثابرة التي سير بها دي سان جوليانو عمله السياسي والدبلوماسي ، تمكننا بدون شك من اعتبار وزير الخارجية الايطالي العامل الرئيس في الحرب الايطالية — التركية (١٠١) وذلك طبعا لا يدفعنا الى التاكيد بان جوليتي لم يكن له اي

---

(١٠٠) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 . ايتوري فريدلاندر Ettore Friedlender كان مدير وكالة ستيفاني Stefani للانباء .

(١٠١) لقد لاحظ جاكوموبرتيكونه — ان الامر لا يتعلق في الواقع وفي مجموعه بسياسة قومية لانها كانت حكومة جوليتي ، غير انه في الكونسولتا (وزارة الخارجية) (...) لم يزدروا تصفيق القوميين الذين كانوا ينتظرون الحرب ، حرب واحدة وقد اعتقدوا لبعض الوقت ان هذه كانت حربهم » (جاكومو برتيكونه Giacomo Perticone المصدر المذكور ص ١٣٩) .

وزن في القرار وانه انقاد سلبيا وراء دي سان جوليانو . ان مثل هذا التاكيد قد يعرضنا الى الوقوع فيما يسميه مارك بلوخ Marc Bloch « بخرافة القضية الوحيدة » (١٠٢) ففيما يتعلق بموقف جوليتي يجب بالعكس ان ناخذ بعين الاعتبار عاملا اخر لا يمكن تجاهله : بالرغم من انه لم يكن مقتنعا جدا بفائدة استيلاء استعماري كان يمس مصالح تركيا ويجازف باشعال مستودع البارود بالبلقان ، غير انه تجاه ضغط دي سان جوليانو عليه من جهة وتجاه تيار الراي العام الصاخب من جهة اخرى ، خشي على استقرار حكومته وعلى مستقبله السياسي نفسه في حالة رفضه التقدم الى الامام . وقد قام بعملية حساب انتهازية سياسية وهو الذي ليس غريبا بالطبع عن مثل هذه الحسابات ، وفي الخلاصة كما لاحظ قوليلمو فيريرو « لقد ادرك جوليتي ان قوته كانت في خطر وقام بالحرب من اجل انقاذها . وقد اطفا لهيب النيران الشاسع بالقاء رمال مارماريكا (البطنان) عليه » (١٠٣) ونظرا لان المعارضة الاشتراكية نفسها كانت تظهر بمظهر العقم والانقسام وعدم الوصول الى نتيجة وبالنظر لانه لم يجد سوى قوات سياسية ضئيلة مجلبة للشبهة مستعدة لتاييده في حالة رفضه للعملية الاستعمارية — وبالنظر اخير الى انه داخل وزارته نفسها كانت توجد موافقة تقريبا اجماعية على الحل بالقوة ، فقد باشر العملية كاخف الضررين وكوسيلة وحيدة في تلك الفترة لتجنب اسقاط الجماهير له من على الجواد وحتى لا تخنقه موجة القومية التي كانت تغزو البلاد .

---

(١٠٢) كتب بلوخ : « (...) ان خرافة القضية الوحيدة في علم التاريخ هي في الغالب الصيغة الماكرة للبحث عن مسؤول ثم عن حكم قيم » . على من يقع الذنب ولمن الفضل ؟ « يقول القاضي — والباحث سيقتصر السؤال على : « لماذا » ويقبل ان لا يكون الرد بسيطا . هل هو حكم مسبق للحس المشترك . ام تسليم بالمنطق ام هوس قاضي التحقيق فوحدانية القضية هي للتفسير التاريخي مصدر للاحراج فقط . انها تبحث عن قطار ذي موجات سببية ولا تذمر لان الحياة تظهرها هكذا وتجدها متضاعفة » (مارك بلوك M. Bloch المصدر المذكور ص ١٦٣) .

(١٠٣) قوليلمو فيريرو المصدر المذكور ص ٢٣٨ .

وان الخطر من ان دولتي الحلف الثلاثي قد تتمكنان باي شكل من عرقلة القرارات التي توصلت اليها الحكومة الايطالية فقد خلــق الضرورة ـــ كما اعرب عن ذلك جوليتي نفسه ـــ « للحيلولة دون ان يكون مـــا بين النوايا الظاهرة في التصرف وبين العمل نفسه (الحرب) أي فاصل من الزمن قد يترك وقتا للتدخل بالنصائح من اية جهة كانت » (١٠٤) . وقد تم بالفعل في هذه الايام اتخاذ القرار بالشكل الذي يؤدي الى الحرب مع تركيا . وقد كتب دي سان جوليانو نفسه مسودة برقية يراد توجيهها الى الملك لاحاطته علما بقرارات الحكومة وحولها الى جوليتي الذي لم يفعل اكثر من كتابة تاريخها « ٢٤ سبتمبر ١٩١١ » والتوقيع عليها (١٠٥) وقد جاء في البرقية الموجهة الى الملك ما يلي :

« لاسباب خطيرة سياسية وعسكرية قد يكون ضـــروريا ارسال انذار الى تركيا باعتبارنا في حالة حرب معها اذا لم ترد علينا ضمن اربع وعشرين ساعة . الانذار قد يطلب من تركيا ان تصدر الاوامر لسلـــطاتها العسكرية والسياسية في طرابلس وبرقة بان لا تقاوم احتلالنا العسكري ، وبان تتولى ايطاليا ادارة تلك الولايتين ، لان ذلك غدا ضروريـــا وعاجلا بالنظر الى المعارضة المنتظمة لحرية توسيع نشاطاتنا الاقتصادية وكذلك الخطر الوشيك على مواطنينا نتيجة للاثارة المتواصلة لجماهير متعصبة وهي ايضا من عمل الضباط الاتراك . فاذا تركيا لم تجاوب ضمن اربعة وعشرين ساعة ستعلن الحـــرب .

نرجو جلالتكم الاذن للحكومة باتخاذ هذا الاجـــراء . ان اعلان الحرب قد يضعنا في حالة متمشية مع القانون الدولـــي وقد يجبر الضباط الاجانب العاملين مع تركيا على رفض عملهم وقد يعطينا حق التفتيش في البحار وقد

---

(١٠٤) جوفـــاني جوليتي ـــ المصدر المذكـــور ص ٢٩ ـــ ٢٢٨ .

(١٠٥) هكذا يبـــدو من خـــط مسودة الرســـالــــة المكتوبـــة علـــى ورق وزارة الخـــارجيـــة ومحفـــوظـــة فـــي A.C.S., C.G., b. 16, f. 28

يسمح لنا بتدمير وحصار الاسطول التركي حيثما كان مؤمنين بذلك سلامة القوافل وربما اجبار تركيا على التسليم حتى قبل الحملة » .

وجاء رد الملك الى جوليتي في نفس مساء ٢٤ سبتمبر ١٩١١ وهو رد جاف وبدون تعليقات : « اشارككم طريقة الرؤيا والعمل بالقدر الاحسن لمصلحة البلاد » (١٠٦) وفي اليوم التالي عقد اجتماع ما بين جوليتي ووزراء الخارجية والحربية والبحرية تقرر خلاله ان الانذار بحدوث اعلان الحرب يمكن ارساله فقط في عشية الحملة المباشرة . ولا يقع تقديم ذلك اللهم الا في حالة سفر سفن تركية الى طرابلس ، وقد تنشأ ضرورة العمل ضدها بقصد « الحيلولة المطلقة » دون ان تنقل هذه السفن امدادات من الرجال والسلاح الى طرابلس . وبابلاغه هذه القرارات الى الملك في ٢٥ سبتمبر حاول جوليتي أيضا أن يطمئن فيكتور عمانويل الثالث حول وزن المعارضات الداخلية للحرب : « الحركة الاشتراكية — لاحظ جوليتي — لا اعتقد انها ذات اهمية فكثير من الاشتراكيين مؤيدون للعملية وجاء بازلاي هذا الصباح ليقول لي ان الجمهوريين لا يوافقون على سلوك الاشتراكيين ولن يحدثوا احراجات » (١٠٧) . وان الاقتناع بان المعارضة الاشتراكية قد تكون هينة بل في بعض الاحوال قد تقع تأييدات ، وهو عامل لا يجب التقليل من اهميته في الحكم على قرار جوليتي في تحطيم التردد . وقد قام رئيس مجلس الوزراء نفسه في اليوم التالي بتطمين فيكتور عمانويل من جديد حول ردود فعل الداخل على اعلان الحرب : « ان بيسولاتي الذي رأيته اليوم لا يعتقد في جدية الاضرابات المعلنة » (١٠٨) .

---

(١٠٦) المصدر المذكور .

(١٠٧) من اوراق جوليتي المصدر المذكور المجلد الثالث ص ٦١ .

(١٠٨) A.C.S., C.G., b. 16, f. 28 برقية جوليتي للملك في ٢٦ سبتمبر ١٩١١ (مسودة) . ان الدور الذي لعبه بيسولاتي في كل الامر يبدو حاسما . لقد حاول ان يكون همزة الوصل ما بين جوليتي والحزب الاشتراكي الايطالي في محاولة للتخفيف من المعارضة الاشتراكية بدرجة انه كان حضر يوم ٢٥ سبتمبر اجتماعا للمجموعة البرلمانية الاشتراكية ببولونيا من مركز كان اكثر

وعند هذه النقطة كانت هناك محاولات المانيا وتركيا الاخيرة لدفع ايطاليا الى التراجع عن نواياها الواضحة . وصرح القائم باعمال تركيا يوم ٢٦ سبتمبر في روما خلال حديث له مع دي سان جوليانو ان حكومته كانت على استعداد لتقديم امتيازات اقتصادية على ان تقف المحاولة (١٠٩) . وفي تركيا في يوم ٢٧ سبتمبر اعرب البارون مارشال في حديث له مع دي مارتينو من جديد عن قلق المانيا من ان احتلال ايطاليا لطرابلس قد يحدث ثورة في تركيا وسقوط نظام الاتحاد والترقي واضطرابات ضد الجاليات الايطالية والاجنبية واعادة فتح مشكلة الشرق. وكان الدبلوماسي الالماني يرى ان تتجنب ايطاليا القيام بعمل عسكري ، وانه من المناسب جدا لها في ذلك الوقت الحصول على امتيازات اقتصادية هامة من تركيا خاصة وان طرابلس لن تفلت من ايدي الايطاليين بل لقد تقررت لها (١١٠) . وقام كيدرلن واشتر بنشاط مماثل في برلين تجاه بانسا (سفير ايطاليا) (١١١) .

ولكن القرار قد اتخذ في النهاية : ففي الليلة الواقعة ما بين ٢٦ و ٢٧ سبتمبر صدرت من وزارة الخارجية برقية تتضمن الانذار الايطالي الى

ملائمة من مواقفه قبل بضعة ايام ثانيا ان الحرب سيجري قتالها بطريقة سبق الحكم عليها كذلك ، واجتهد ان يبين الفوارق ما بين الحالة الحاضرة والحالة التي ادت الى عدوه . وصرح بمعارضته لاي نوع من الثورة او حتى الاضراب البسيط الدال على الاحتجاج كما اقترح ذلك قراتزيادي Graziadei وعاد للضرب على نغمة الخطر الذي قد يتعرض له الاقتراع العام من جراء معارضة جوليتي » (رفائيل كولابيترا R. Colapietra — ليونيدا بيسولاتي — ميلانو ١٩٥٨ ص ١٧٤) .

(١٠٩) انظر رسالة دي سان جوليانو الى جوليتي بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩١١ .

(١١٠) انظر برقية دي مارتينو الى دي سان جوليانو في ٢٧ سبتمبر ١٩١١ .

(١١١) انظر جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٢٢٨ . في ٢٧ سبتمبر اجاب دي سان جوليانو السفير بانسا بهذه البرقية : في امكان سعادتكم ابهام كيدرلن واشتر ان اي رقم او كمية من الامتيازات الاقتصادية قد تترك الاسباب الدائمة للصداعات المستمرة مع تركيا كما هي دون تغيير . لقد اصبح الحل الوحيد الممكن هو ان تكون طرابلس وبرقة ايطاليتين .

تركيا : « انذار غـريب ! » لاحظ فولبي (١١٢) تـعرض بواسطته شروط لا يمكن لاي بلد ان يقبلها ويطالب في الخلاصة من تركيا ان تسمح باحتلال عسكري من قبل ايطاليا لاراضي واقعة تحت سيادتها . والامر يتعلق — كما لاحظ فيليبوميدا F. Meda باعلان حرب حقيقي بمعنى الكلمة . حيث ان الانذار كان يتضمن « طلب شيء لا تستطيع تركيا ان تعطيه لنا حتى ولو ارادت ذلك » (١١٣) وفي الخلاصة ان الانذار كان ذريعة بغرض الحل بالقوة في ذلك الوقت .

وفي جميع تصرفات الحكومة في الايام التي سبقت مباشرة اعلان الحرب والتي قد نستطيع ان نحصرها فيما بين ٢٤ و ٢٧ سبتمبر يلاحظ شيء من اللهث والتشنج والسرعة المرتجلة . فالقرار لم يكن متوقعا على الاقل في هذا الوقت القصير . وهذا لا يبدو كثمرة مناورة دبيلوماسية وعسكرية بارعة من اجل وضع تركيا والدول امام الامر الواقع ، لانه اذا كان الحادث قد فاجا تقريبا الجميع في اوروبا فقد فاجا ايضا جيشنا الذي لم يكن مستعدا للعمل ,

وفي ٣ سبتمبر قبيل بداية الحرب ببضعة اسابيع سرح الجنود من مواليد سنة ١٨٨٩ ، وفي الوقت الذي ارسل فيه الانذار كان الجيش « في ادنى فعاليته الحربية » (١١٤) ولم يشرع في الاستعداد « ببعض البطء » الا في يوم ١٨ سبتمبر بعد عودة جوليتـي الى كافور عـلى اثر مقابلته للملك في راكونيجي . ولم يحاط علما مسبقا باحتمال قرب الحرب لا وزيـر الحربية سبنقاردي ولا رئيس اركان الحرب بولليو ولا القنصل بطرابلس قاللي . وقد تقرر ان يعد للحملة فيلق خاص غير ان هذا « لم يكن مستـعدا بعد عندما ارسل الانذار الى تركيا ولا حتى لدى اعلان الحرب في يوم ٢٩ .

---

(١١٢) جواكينوفولبي — المصدر المذكـور — ص ٤٥ — نص الانـذار في الملحـق رقـم ٢ .

(١١٣) « الامر الواقـع » في صحيفـة « لونيونة » L'Unione ٧ نوفمبر ١٩١١ .

(١١٤) لويجبي البرتيني المصدر المذكـور القسم الاول المجلـد الثـاني ص ١٢٣ . لقـد استدعـوا مـواليد ١٨٨٨ فقـط . فيما بعـد ٣ نوفمبـر استـدعـوا مـواليـد ١٨٨٩ الذين سرحـوا حـديثـا (انظـر فصل ٤) .

(...) ولم يكن الفيلق جاهزا حتى مساء ٣٠ سبتمبر « وان العمارة البحرية التي سافرت من تارانتو الى اوقوسطا انتظارا لجمع الجنود كان لديها « مؤن ليوم واحد فقط » (١١٥) .

ففي ١٩ سبتمبر ابلغ سبنقاردي (وزير الحربية) دي سان جوليانو ان « القافلة » قد تصل امام طرابلس ما بين ١٣ و ١٥ اكتوبر واضاف « اكثر من هذا لا يمكن » وكذلك رئيس اركان الحرب بولليو بدوره لم يكن يعتقد في ٢٧ سبتمبر اي في اليوم الذي ارسل فيه الانذار ان « الانزال ممكن قبل ١٠ اكتوبر » (١١٦) فضلا عن ذلك فان دي سان جوليانو قد ذكر في رسالته الى جوليتي المؤرخة في ١٥ سبتمبر ان حوالي يوم ١٥ اكتوبر ممكن الشروع في العمليات العسكرية . وفي الايام الاخيرة جدا ، في الخلاصة — تم كل شيء بعجلة كبيرة لا تصدق : « العجلة — صاح مولبي بعد التفكير الكثير في طرابلس وبعد عشر سنوات من التاجيلات » (١١٧) .

قد يكون ربما من السهل جدا ان يصفي الموضوع كما فعل البرتيني بالافتراض بان الراي العام قد دفع الحكومة الى « العجلة » والى اعلان الحرب دون الاعداد المناسب وخاصة وانه كانت تكفي بضعة اسابيع للقيام بالاستعداد العسكري بصورة احسن وكان في الامكان احتواء الراي العام لعدة اسابيع اخرى . ولذلك يجب البحث عن عوامل اخرى لتفسير تلك العجلة التي ثبت خلال العمليات الحربية المقبلة مبلغ ضررها .

والامر هو ان الحكومة ودي سان جوليانو اكثر من اي احد اخر خشيا من ان وساطة المانيا قد تنجح في ايقافنا . وبالفعل فان الخطوات الديبلوماسية الالمانية الاخيرة ببرلين وروما واسطمبول فيما بين ٢٤ و ٢٧ سبتمبر قد شغلت فكرة وزارة الخارجية وجعلتها تسرع بالعمل العسكري بصورة حاسمة . فعندما كتب دي سان جوليانو الى جوليتي في ٢٦ سبتمبر لاحاطته

(١١٥) جسو كينو فولبي — المصدر المذكور ص ٤٧ .

(١١٦) انظر A.C.S., A.B.S.C. 10, f. VI. 4. 36 n° 302

(١١٧) جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٤٧ .

علما بزيارة ومقترحات القائم بالاعمال التركي علق على ذلك بفصاحة قائلا : « كما ترى لم يعد هناك وقت للتبذير . يريدون وضعنا داخـل (الكيس) ولكنهم لم يفلحوا ارجو ذلك » (١١٨) هذا هـو وقت القرار النهائي ، وقد ارسل الانذار الى تركيا في نفس ليلة ٢٦ سبتمبر . وتبـرير هـذا القرار المفاجيء واضح جدا . الخوف من آن تفلح الديبلوماسية الالمانية في النهاية وتستطيع اجبار الباب العالي على منح امتيازات اقتصادية تجعـل رفضنا لا مبرر له بالنظر الى الطريقة التي عرضت بها ايطاليا على البساط الدولي موضوع الخلاف مع تركيا .

وان نفس لهجة الانذار تعبر عن نفسها : فهي تدل على ان ايطاليا لم تكن ترمي الى احترام حقوقها التجارية والاقتصادية في طرابلس وبرقة بقدر ما كانت تريد احتمالا استعماريا . وقد ابرق بالوثيقة الى ممثلينا الديبلوماسيين في تركيا التي استلمته في الساعة الثانية من يوم ٢٨ سبتمبر (١١٩) في نص

---

(١١٨) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 — فولبي يقـدم ايضا الافتراض بان الحكومـة قـد تاثـرت بالاشاعات القائلـة باحتـلال ليبيا من قبـل المانيـا (جـوكينو فـولبي المصدر المذكـور ص ٤٧ — ٤٦) . ان هـذا الافتراض على اسـاس الوثائـق التي اطلعنـا عليها يجب حـذفـه .

(١١٩) وبيرقيـة من تيرابيا بتاريخ ٢٨ سبتمبر (ذكـرت البرقيـة خطـا تاريخ ٢٨ سبتمبر) ارسلت الساعـة الخامسة صباحـا ووصلت رومـا في الساعـة الحاديـة عشـر كتب دي مارتينـو : استلمت الان في السـاعـة الثانيـة صباحـا برقية سعادتكـم رقم ٣٦٨٠ سابرق بساعـة تقديمها » (المـذكور ,A.S. MAE) . وقبـل ان تصـل هـذه البرقيـة اي في الساعـة ١٥ر٣ ابـرق دي سان جوليانو الى دي ماريتنـو : « لم تصلني بعـد برقيتكم المعلنـة باستلامكم برقيتي رقـم ٣٦٨٠ والـذي يتضـح في مكتب التلغراف هنا انها وصلـت الى بيـرا امس الاربعـاء السـاعـة ١٣ز٤٥ . صبـاح اليـوم الخميس السـاعـة الثـامنـة لقـد ابلغت الـى القائـم بالاعمـال التركي الانـذار (المذكـور) وحسب اقـوال دي مارتينو فان هذا التاخيـر ناجـم من تصرف الادارة التركيـة التي تعبث ببرقيـات الرمـوز الواصلة والمـرسلة الـى السفـارة الايطاليـة . ويذكـر دي مارتينـو ان البـرقيـة المتضمنـة للانـذار استغـرقت اثنتي عشر سـاعـة لتصل من اسطمبول (بيـرا) الى تيرابيـا حيـث توجـد السفـارة الايطاليـة . (انظـر جاكومودي مـارتينو المصـدر المـذكـور ص ٢٢٧ — ٧٥ — ٢٧٤) .

ــ كما ذكر البرتو ثيودولي ــ « كان من الصعب حله بسبب التمزق الذي احدثه به التلغراف التركي » (١٢٠) .

فذهب دي مارتينو الى الوزير الاكبر في الساعة ١٤ر٣٠ من نفس يوم ٢٨ سبتمبر لتسليم الانذار . والقصة التي يذكرها القائم بالاعمال الايطالي في مذكراته حول هذا الحادث شيقة ومثيرة للعواطف وهو يقدم لنا دوافع انسانية حتى من واقع الحادث البارد والمؤثر . لقد ذهب دي مارتينو قبل بضعة ايام اي يوم ٢٥ سبتمبر لزيارة الوزير الاكبــر حقي باشا . وقد عاد حقي باشا بالذكرى الى الايام التي قضاها في روما كسفير لبلاده فاراد ان يؤكد الى دي مارتينو « صداقته الخالصة واعــجابه بايطاليا » وقد اطلع الدبيلوماسي الايطالي على قاعتين في قصره علقت على جــدرانها جميعها لوحــات ورسوم ولوحات مائية لوريفتو وكابري والريفييرا ليقــوري مع الافضلية لبورتوفينو ورابللوا وسانتا مارغريتا » يذكــر دي مارتينــو أن الوزير الاكبر لدى استعادته بحماس لذكرى الجمال الطبيعي الايطالي « كانت رموشه مبللة من التاثر » وقد صاح « بمرارة » والان قولو لي انتم يا سيدي مارتينو قولوا أنتم لاننا نعرف بعضنا منذ أعوام ، هل من الممكن أن أرى بلادي في قتال مع ايطاليا ؟ (١٢١) وبعد ثلاثة ايام عاد دي مارتينو الى قصر حقي باشا باسطمبول ليسلم الى رئيس الحكومة التركية انذار ايطاليا . لقد حاول الوزير الاكبر ان يؤجل تلاوة الوثيقة التي ربما كان قد خمن فحواها . ثم بناء على اصــــرار دي ماتينو قرأ مذكرة الحكــومة الايطالية « لقد كان انطباعي ــ لاحظ دي مارتينو ــ انــــه كان يجتهد فــــي كبــــح شعور الالم والغضب معا . ثم صاح : « والان فهي الحرب » (١٢٢) .

---

(١٢٠) البرتــو ثيودولي ــ المصدر المذكــور ص ٥٨ .

(١٢١) « سحابــة من الحــزن ــ كتب دي مارتينــو ــ قد احاطت بهذه الزيارة ذات الصبغــة الشخصية ومند ما ودعنــا بعضنا على عتبــة الــدار ، فشدة الايــدى ونظــراتنــا كانت تعني : من الان فصاعــدا سيذهب كل منا في طريقه » (جاكومودي مارتينــو المصدر المذكــور ص ٢٧٤) .

(١٢٢) المصدر المذكور ــ ص ٢٧٨ . اما محضر المحــادثة الذي بعثــه دي مارتينو من بيرا

وقد حاولت الحكومة التركية مرة جديدة الحصول على المساعدة الالمانية فرجت الامبراطور غليوم الثاني ان يتدخل « للحيلولة دون الحرب بين دولتين صديقتين لالمانيا على قدم المساواة » . بيد ان المحاولة لم تفز بالنجاح المرجو . فضلا عن ذلك فان السفير بانسا كان قد ابلغ كيدرلن واشتر بان « الاحتلال تقرر بصورة حتمية » (١٢٣) .

ولم يقدم الرد التركي عناصر جديدة بالنسبة لما سبق واعلنه الباب العالي وقد لوحظ مع هذا ان اللهجة كانت معتدلة وان هناك رغبة في انقاذ ما يمكن انقاذه عن طريق امتيازات ذات صبغة اقتصادية وقد اكدت الوثيقة التركية : « عدم وجود اي سبب قد يبرر القلق على مصير الرعايا الايطاليين والاجانب الاخرين » المقيمين بليبيا . واذا حصر في الجوهر فان الخلاف ــ حسب الرد التركي يكمن فقط في « عدم وجود ضمانات من شانها ان تطمأن الحكومة الايطالية حيال التوسع الاقتصادي لمصالحها في طرابلس وبرقة » وعليه فان الحكومة الايطالية مدعوة الى توضيح تدابير هذه الضمانات « التي قد توافق عليها الحكومة التركية « عن طيب خاطر » ما دامت لا تمس « كيانها الاقليمي » (١٢٤) .

ولم تعتبر ايطاليا الرد التركي كاف بل رأت فيه تهربا ومماطلة . وفي

الى روما يوم ٢٨ سبتمبر كان بالطبع باردا ورسميا » : « ذهبت الان الى الوزير الاكبر بصحبة الترجمان الاول وسلمته المذكرة كما وردت حرفيا في البرقية ٣٦٨٠ . وذلك في الساعة ١٤ر٣٠ . واضفت انه في نفس الاربعة والعشرين ساعة المحددة ــ يجب ان يبلغ الرد ايضا بواسطة السفارة التركية بروما ــ لفتت نظره الى الجزء الخاص بالاتفاقيات اللاحقة . سال الوزير الاكبر هل كانت هذه الاتفقيات ستجري بشانها مفاوضات بعد الاحتلال . ولاحظ الوزير الاكبر ان فترة اربعة وعشرين ساعة قصيرة جدا من اجل الرد على روما الحديث دار في حدود اللياقة « دي مارتينو » (A.S. MAE, المصدر المذكور) .

(١٢٣) A.S. MAE, المصدر المذكور . برقية دي مارتينو الى دي سان جوليانو في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

(١٢٤) الرد التركي على الانذار منشور في الملحق رقم (٣) .

الساعة ١٤٫٣٠ من يوم ٢٩ سبتمبر ١٩١١ وصل الى دي مارتينو نص اعلان الحرب الذي قام القائم بالاعمال بتسليمه الى الوزير الاكبر بواسطة الترجمان الاول عند الساعة ١٩ (١٢٥) . وقد حاول دي سان جوليانو في الحال ان يوضح لحكومات الدول اسباب اعلان الحرب مؤكدا ان الرد التركي كان « عبارة عن حيلة ساذجة كانت تامل الحكومة العثمانية ان تكسب بها وقتا »كي تثير وتسلح العرب وتفوت الوقت المناسب على عملية الانزال الايطالية . « وقد تعود بعد ذلك الى عرقلة واهانة حقوقنا ومصالح وكرامة ايطاليا وتطيل بذلك فترة التوتر وتؤجل حل الصراع الذي لا بد منه الى وقت اكثر خطورة على السلام الاوروبي » (١٢٦) .

غير ان الصحافة والراي العام والحكومات الاوروبية حتى تلك التي أبدت عطفها على المطامح الايطالية فوجئت جميعها وغضبت اشد الغضب من ايطاليا غداة اعلان الحرب . وكانت صحيفة « فرنكفورتر زايتونق » Frankfurter Zeitung من أشد الصحف الاوروبية هجوما وقد اتخذت مواقف معادية بصورة خاصة لبلادنا . والامر الذي لا يخلو من مغزى ان مراسل الصحيفة الالمانية باسطمبول وايتيس Weltz كان على اتصال وثيق في

(١٢٥) انظر A.S. MAE, المذكور برقية دي مارتينو الى سان جوليانو بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩١١ .

(١٢٦) A.S. MAE, المذكور ، برقية دي سان جوليانو للسفارات الايطالية ببرلين ولندن وبطرسبرغ وفيانا ووشنطن وباريس بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩١١ . اننا لم نقع في هذا الشرك — يواصل دي سان جوليانو كلامه — ووفقا للانذار السابق الذي قدم للباب العالي فقد قمنا في الحال — كما تفرض ايضا اسباب انسانية سامية بالعمل على سلامة الايطاليين والاوروبيين من كل جنسية في طرابلس المهددة (...) ان الحكومة الايطالية بوضعها حد دون تاخيرات اخرى لوضع يضم بذور اخطر المضاعفات وبانتهازها — في سبيل هذه الغاية — الفترة التي تقل بها احتمالات هذه المضاعفات ، فهي بذلك تقدم الى تضحية السلام العام خدمة عظيمة — ولجميع هذه الاعتبارات كان من واجبنا التمسك بنتيجة انذارنا والشروع في العمليات الحربية في الوقت المحدد وهو على كل حال ما فعلناه مبالغة في الاستقامة » .

عمله بالسفير مارشال (١٢٧) . ففي يوم ٢٨ سبتمبر بعد ذيوع نبأ الانذار كتبت صحيفته فرانكفورتر بلهجة منفعلة :

« ليست المرة الاولى في ان سياسة قذرة كهذه قد دفعت دولة الى مثل هذه العمليات وان الكثيرين يعتقدون ان في الامكان اعتبار ذلك قاعدة عادية ، غير ان الدول الاخرى حتى لو انها تركت نفسها تنجر نحو العنف لضرورة سياسية ، فانه كان لديها الحياء لان تنقذ المظهر على الاقل ، وذلك لوضع المسروق امام الاختيار بين قبول بعض الشروط او الخضوع للقوة . وكما يتضح لنا ان يحدث في العصر الحديث لاول مرة ان تقوم دولة بالاعتداء على دولة اخرى دون ان تقدم لها حتى طريقا للخروج . انه بحق « هجوم على عربة البريد » ما الذي تستعد ايطاليا للقيام به ، انه اعتداء ضد مواطنين امنين ويجب على اوروبا المتمدنة ان تهب جميعها للقيام باحتجاج اجماعي دون النظر الى اي راي سياسي فردي او اي مصلحة فردية » (١٢٨) .

وعادت صحيفة « فرانكفورتر زايتونق » الى نفس الموضوع بعد يومين اي في ٣٠ سبتمبر مؤكدة ان اسباب الحرب الحقيقية كانت : من جانب ايطاليا « الرغبة في الاستيلاء على طرابلس وبرقة » ومن الجانب التركي « رفض قبول هذه المزاعم » .

« لم يسبق ان حربا كهذه كانت واضحة الاسباب واساسها الوحيد منطق القوة من قبل المعتدي (...) ان جميع المانيا تستنكر خطوة الطيفة ايطاليا وهي خطورة لا يمكن — من اي وجهة نظر — ان ينظر اليها بعطف او ان يوافق عليها الشعب الالماني . ان هذا التصرف قد يبعث على الاشمئزاز حتى وان كان الامر يتعلق بمصالح حيوية (١٢٩) .

وكتبت الصحافة النمساوية تعليقات مشابهة وايضا الصحافة الروسية

---

(١٢٧) انظر — فيكوما نتيغانسا — البارون مارشال — المصدر المذكور ص ٤٥ .

(١٢٨) « ايطاليا وتركيا » في فرنكفورتر زايتونق » ٢٨ سبتمبر ١٩١١ .

(١٢٩) « حرب طرابلس » في « فرانكفورتر زايتونق » ٣٠ سبتمبر ١٩١١ .

والفرنسية وان كانت لهجتها اكثر اعتدالا . واعربت جريدة « تايمس » ايضا عن خيبة املها لان الحكومة الايطالية انتقلت الى الحرب ولم ترض بطلب ترضيات عن الحوادث التي وقعت حول امنها في المستقبل » (١٣٠) واتهمت صحيفة « ديلي غرافيك » Daily Graphic — والحديث مستمر عن انكلترا — اتهمت سرادوارد غراي بعدم الحركة لانه لم ينجح في الحيلولة دون اشتداد الخلاف (١٣١) .

وقد دلت ردود الفعل الرسمية على ان خيبة الامل التي كانت تعبر عنها الصحافة الاوروبية كانت الدوائر الدبلوماسية تشاركها في جزء منها . وقد شبه غليوم الثاني اعلان الحرب الايطالية « بانفجار قنبلة » (١٣٢) ولاحظ اهرنتال في حديث له مع السفير امارنا ان لهجة صحف فيانا تتفق والانطباع المؤلم « لحكومة فيانا وانه قد يكون من الصعب جدا ان يقف ضد شعور الراي العام » (١٣٣) .

ولاحظ غراي للسفير امبريالي الذي ذهب اليه ليشكو موقف الصحافة الانكليزية المعادي انه لو ان ايطاليا « اكتفت بمظاهرة بحرية ضخمة للحصول على ترضية » لنالت « موافقة وتشجيع غير ان نبا انذاركم — واصل غراي كلامه — قد انفجر مثل الصاعقة في وسط راي عام هزت اعصابه مرحلة مشكلة مراكش المقلقة وقد هلع فعلا من توقع حرب غير منتظرة مع مالا يستبعد من مضاعفات خطيرة اوروبية » (١٣٤) وفيما يتعلق بالصحافة الانكليزية فان

---

(١٣٠) « التايمس » ٢٨ سبتمبر ١٩١١ .

(١٣١) « ديلي غرافيك » ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

(١٣٢) G.P. XXX, رقم ١٠٨٤٤ ص ٦٥ رسالة فون جنيش الى كيدرلن في ٢٨ سبتمبر ١٩١١ .

(١٣٣) A.C.S., C.G., b. 14, f. 17/1 برقية امارنا الى دي سان جوليانو في ٢ اكتوبر ١٩١١ .

(١٣٤) المصدر المذكور ، برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٣ اكتوبر ١٩١١ . فقبل يومين ابرق امبريالي بما يلي : بصورة غير مباشرة واعتقد انها اكيدة قد يبدو لي ان وزارة الخارجية لم توافق على المبادرة التي قمنا بها باعلان الحرب خشية امتداد ميدان القتال اضطراريا بحيث يجعل من الصعب حصر القتال ومما يؤخر حلا سلميا » (المصدر المذكور) .

مراسل « التايمس » من فيانا فيكهام ستيد W. Steed الذي تولى فيما بعد ادارة « ريفيو اوف ريفيوز » Review of Reviews (وكان صديقا لايطاليا وكان على صلة وثيقة بدون ستورسو Don Sturzo وقت منفاه في لندن) قد حاول في رسالة الى اندريا توري في ٦ اكتوبر ١٩١١ من فيانا ان يجد تفسيرا لهذا الموقف المعادي الذي اتخذته الصحافة الانكليزية تجاه ايطاليا . فبالنسبة لستيد المذكور ان الانكليز قد « فوجؤوا واستاؤوا من العمل الايطالي الذي لم يكن متوقعا » (١٣٥) ويرى ستيد ان اسباب عداء جزء من الصحافة الانكليزية يكمن في نواح اخرى وبصورة خاصة في « النفوذ اليهودي — الالماني » الذي اوجد هذا التشيع الغريب لتركيا » . وقد اخذ في دراسة الصحافة الانكليزية بالتفصيل ووصل الى هذه النتائج :

صحيفة « ديلي غرافيك » مديرها اسرائيل ديفيس وهو يهودي متشيع لتركيا ومساعده الرئيسي لوسيان وولف وهو ايضا يهودي صهيوني وعميل للسفارة الالمانية .

صحيفة « وستمنستر غازيت » ملكيتها لليهودي الالماني السابق الفرد موند عضو بمجلس النواب البريطاني . ميول الصحيفة تركية والمانية .

صحيفة دايلي نيوز : ملك راديكالي انكليزي ميال للالمان . مدير السياسة الخارجية شخص يدعى رودستين وهو يهودي من أصل الماني .

صحيفة « دايلى اكسبريس » : مديرها بلومانفلد وهو يهودي من اصل الماني .

---

(١٣٥) يواصل ستيد كلامه قائلا ان البعض من ذوي النزعة العاطفية الاخلاقية المتطورة جدا صاحوا ضد « عمل القرصنة » الذي ارتكبته ايطاليا ٠ انهم مع الحق الذي يؤمنون به لانهم انفسهم تقريبا الذين واجهوا بوحشية الحكومة البريطانية خلال حرب افريقيا الجنوبية . (كان مالاتودي — على سبيل المثال يراسل « تريبونا » من لندن وكان من رايهم » رسالة ستيد توجد في A.C.S., C.T., b. 1, f. IV.

وكانت هناك اثار لنفس النفوذ في صحيفة « ستاندرد » وحتى في « التايمس » . غير انه بالنسبة للتايمس حتى الان النفوذ اقل .

لم ار ابدا اغرب من ظاهرة هذا التضامن بين اليهود الالمان وهو ليس مقتصرا على اوروبا بل في العالم اجمع من حيث تاييدهم للجنة « الاتحاد والترقي » بسلانيك » .

ان ملاحظات ستيد تفيدنا في تفسير قسم من ظاهرة عداء الصحافة الاوروبية لايطاليا، بيد ان الظاهرة كانت متسعة جدا بحيث لا يمكن تفسيرها بنفوذ الراسمال اليهودي الالماني في الصحافة الانكليزية والاوروبية فقط فقد كانت اسباب سياسية بصورة خاصة تلك التي تررت رد الفعل هذا وخاصة الخوف من رؤية اوروبا تضطر الى التدخل من اجل خلاف كان في الامكان حله بسهولة وعن طريق المفاوضات السلمية . وقد لعبت المفاجاة دورها في خلق هذه الحالة النفسية : الا احدا وربما قليلون في اوروبا كانوا يعتقدون ان ايطاليا قد تحقق تلك التدابير التي تهدد بها منذ شهور (١٣٦) .

وكان توماسو تيتوني من بين الديبلوماسيين الايطاليين الذي انزعج وقلق اكثر من غيره تجاه هذه الحملة ضد ايطاليا . ولدى اداركه كيف ان الصحافة والراي العام الفرنسي والاوروبي وقفوا ضد ايطاليا كلية لاحظ وجود « اخطر

---

(١٣٦) كتب جواكينو فولبي : « لم يكن هناك احد في الواقع يعتقد اننا سننتقل الى الحرب ، وخاصة بهذه الصورة المفاجاة وبارادتنا دون انتظار تلك « الظروف » اي مبادرة الغير التي تدل بوضوح تام على عدم امكانية الاحتفاظ بحالة « الوضع القائم » فكانت هناك اذن مفاجاة وخيبة امل وغضب يزيد او ينقص حسب مختلف الحكومات والقادة : وفضلا من ذلك فان الكثير حكموا على هذا السلوك بانه غير ضروري وكان في الامكان تجنبه ومن السهل تجنبه من اجل خير اوروبا ودون الحاق ضرر بايطاليا التي قد تستطيع مع هذا من طريق ضمانات اقتصادية انتزاع طرابلس من الامبراطورية التركية وتقطف بذلك الفائدة وتترك لتركيا الالقاب القانونية (جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٨٦) .

واضح في اطالة حالة الحرب » وكان مقتنعا بفائدة قبول « اقتراحات تركية محتملة لا تعرض الحيازة الايطالية للخطر » (١٣٧) .

وكان من غير المحتمل — على الاقل في الوقت الحاضر — ان تتنازل تركيا وتتخلى عن طرابلس حتى مقابل تعويضات لان اوروبا كانت تؤيدها معنويا ومن جهة اخرى فان انفعال الجزء الاكبر من الراي العام في ايطاليا قد وصل درجة لا يمكن معها تقريبا الدخول في مفاوضات غداة اعلان الحرب بدلا من القيام بالاحتلال المسلح . وقد حدث انه في الايام الاولى هذه من الحرب وفي الاشهر اللاحقة مباشرة كان الراي العام والصحافة تقيد ايدي الحكومة بما لا يسمح باجراء مفاوضات جدية ومثمرة . ومما لا شك فيه انه اذا كانت الحكومة قد لبت توقعات قسم من البلاد بالدخول في الحرب من اجل طرابلس ولكنها الان كانت تجد نفسها متورطة وعليها ان تستمر مهما كان الثمن اذا كانت لا تريد ان يسحقها الانفعال الذي خلقته الحملة القومية . وان جوليتي نفسه اشتد

---

(١٣٧) A.C.S., C.G., b. 14, f. 17/1 برقية تيتوني الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢ اكتوبر ١٩١١ . وقد افصح بيتروكروتشي مراسل « كوريري ديلاسيرا » بباريس من حالة تيتوني النفسية حيث كتب الى البرتيني في ٣٠ سبتمبر — اول اكتوبر ١٩١١ ما يلي : لقد اضطرب تيتوني وقلق من جراء نغمة التوبيخ الاوروبية التي تذكرني بتلك المعادية لانكلترا وقت حرب الترانزفال . ويشتد انزعاجه لانه توقع ذلك وحذر الحكومة منه . ان الحكومة قد ارتكبت اخطاء جسيمة كان يجب باي ثمن — ما دامت الحرب تقررت — ان تبرر بحادث جديد كان يجب خلقه (...) في ايطاليا — ان تيتوني نفسه يقول ذلك — اننا نعيش الان في وسط محموم لا يسمح بالحكم على الوضع بوضوح : وهنا يفهم كيف ان جهل الحكومة قد بدد فرصة جميلة وجعل قضية كنا قد نفتخر بها قضية ثقيلة الظل . ولو كان على راس الحكومة صحافي ذو موهبة مثل فراساتي لما كان ارتكب حماقات اسوا من هذه (...) نرجو ان ينتهي كل شيء سريعا وانه باقامة سد لمواجهة فيضان البلاغة الذي لا بد منه وقد يوجد ايضا في ايطاليا البعض الذى يذكر ان الذي يظفر بدون خطر ينتصر بدون مجد (« لويجبي البرتيني » « رسائل » المصدر المذكور مجلد اول ص ١٦ — ١٥) وقد تبدل موقف الصحافة الفرنسية فيما بعد في القسم الثاني من الحرب وذلك بفضل مساعي تيتوني عن طريق السفير الروسي اسفولسكي Iswolsky الذي وضع تحت تصرفه ثمانون مليون ليرة . هكذا يذكر تيتوني (فرنشسكو مالريونيتي المصدر المذكور المجلد الرابع ص ٢٧١) .

به القلق في تلك الايام من جراء الحالة التـي وجدت ايطاليا فيها نفسهـا باعلان الحرب . وقد رد على الفريد وفراساتي الذي طلب منه معلومات عن الحالة الدولية : « انني في مستودع بارود وبين اصابعي عود ثقاب مشتعل . يجـب ان احـل المشكلة بحيث لا احـرق اصابعي ولا افجـر مستودع البارود » (١٣٨) .

وقد حاول جوليتي في خطابه الذي القاه بالمسرح الملكي بتورينو يوم ٧ اكتوبر ١٩١١ (خطاب « القدر التاريخي ») حاول ان يحصر الموضوع في جدوده المعقولة وفي حجمه والعودة به الى القنوات الدبيلوماسية الطبيعية . لقد حاول في الجوهر ان يفهم البلاد ان مشكلة طرابلس يجب أن تترك لتقدير الحكومة التي كانت وحدها بيدها جميع العناصر من اجل اتخاذ قرار . واكد ان السياسة الخارجية غالبا ما تخضـع « لاحـداث خارجية عن ارادتنا » واضاف انه يعتبر « السلام والاتفاق التام مع جميع الـدول كفائدة كبرى لايطاليا التي لديها الكثير من المشاكل الداخلية التي تتطلب الحل » مع عدم التضحية بـ : «المصالح الحيوية للبلاد» و «الكرامة الوطنية» . «ان الشعوب القوية ــ اضاف جوليتي ــ لا يجب ان تسمح لمشاغل السياسة الخارجية ان توقف او تعكر سيرها نحو درجة اكثر سموا في المدنية ودراسة المشاكل السياسية الداخلية بهدوء » (١٣٩) . لقد كان خطابا بارعا ومعتدلا ، خطابا يدخل بوضوح ضمن المخططات السياسية الجوليتية ويؤكد الروح التي وافق بها جوليتي على الحرب الليبية . كان الخطاب يرمي ربما الى الاعداد او جس النبض على الاقل حيال اتجاهات الراي العام تجاه احتمال ايجاد حل للحرب بطريق التفاهم . غير ان خطاب جوليتي لم يرق الا لقلة .

فلم يعجب مثلا سيدني سونينو الذي وصف الخطـاب في رسالة الى اندريا توري بتاريخ ٨ اكتوبر بانه « شيء مسكين » وكان سونينو يلوح

---

(١٣٨) الفريـدو فـراساتي المصدر المذكـور ص ٤ .

(١٣٩) جوفاني جوليتي ــ خطابات خارج البرلـان ، المذكـور ص ٦٢ ــ ٢٦٠ .

بصورة خاصة الى « الخطر بان الحكومة كي تنهي في اسرع وقت مشكلة طرابلس قد تقبل بعض الاقتراحات من الـــدول الرامية الى تـــرك السيادة السامية على طرابلس لتركيا تحت اي شكل كان » ومن اجل دفع هذا الخطر دعا توري الى بعث الحياة في حملة جديدة للصحافة ووضع الحكومة امام تصميم تلك القوى التي تصورت الحرب الايطالية ــ التركية كثورة لقواها الوطنية وكفترة حاسمة ارتبطت بها مصائر الحياة السياسية الايطالية نفسها وكتحطيم نهائي لمخططات جوليتي القديمة وكعملية من اجل وقايـــة النفوذ الاشتراكي التوراتي (نسبة لتوراتي) من القرارات الحكومية . ان محاولات ادخال العملية الليبية ــ كما كان يريد جوليتي ــ في اطار ادارة السياسية الخارجية الايطالية العادية والدعوة الى الواقـــع الملموس والى المشاكـــل الداخلية ، قد شوهدت امام اعينهم الطابع الخاص الذي ارادوا ان يعطوه لها وطالبوا به بالنسبة للعملية الليبية . ان دعـــوة سونينو الى توري تصطبغ بلهجة قلقة ومنفعلة : « يجب بسرعة تدارك كل هذا ، لانه يظهر لي أنهم في وزارة الخارجية يترددون كثيرا حول هذه النقطة (...) يجب اذن ان تبدو ارادتنا غير قابلة للالغاء .

الا يعتقد انه من الخير فتح حملة صحافة حول هذه المشكلة ؟ لا يوجد وقت للضياع وصحيفة « كوريري ديلاسيرا » قد تؤثر كثيرا .

وان دي سان جوليانو نفسه قد يخسر جميع السمعة التي اكتسبها : اني على حق في القول بانه متردد . فيجب التاثير على الراي العام للتاثير على الحكومة قبل المفاوضات التي ستقع قريبا » (١٤٠) .

والخلاصة هي انه كان يجب باي ثمن الحيلولة دون حدوث تسويات مع تركيا وخاصة بعدم احتفاظها باي نوع من السيادة حتى ولو كانت اسمية او دينية على ليبيا . هذه كانت لهجة المقال الذي كتبه اندريا توري بايحاء من

(١٤٠) A.C.S., C.T., b. 1, f. IV

سونينو ونشره على صفحات « كوريري ديلا سيـــرا » بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩١١ . (١٤١) .

ان الدخول في اتفاقيات وتسيير مفاوضات من اجـل عدم اطالة حرب لاتعرف متى تكون نهايتها ولا اية مفاجات قد يمكن ان يخبئها لاوروبا باجمعها قد غدت في وصف القوميين الحاد عبارة عن شيء من « الخيانـة » و «العار» لان ذلك معناه « عقد الصلح قبل قيام الحرب بذريعة توفير بضعـــة ملايين وبعض الارواح الثمينة ولكنها تضحية ضرورية على مذبح الوطن » (١٤٢) .

وقد باشرت الديبلوماسية الاوروبية حالا عملها لحل صراع كان يضايق الجميع وذلك في اقرب وقت ممكن . فبعد ما يزيد على اسبوع بقليل من اعلان الحرب لم يكن الصراع المسلح قد بدا فعلا ، وكانت الحكومة الايطالية تواجه حالة على قدر من التعقيد والاحراج والارتباك — وكان جوليتي ودي سان جوليانو يريان تناقص امكانياتهم في المناورة بصـــورة متزايدة بينما كان الوضع العسكري الآخذ في التحقق في ليبيا يعطي الحرب امكانيات نجاح ضئيلة ويبعد الحل السريع كما كان التخيل في شهر سبتمبر .

وفي الجو الذي اتخذت فيه القرارات لاعلان الحرب على تركيا ووسط المشاكل الخطيرة الديبلوماسية والعسكرية والسياسية التي تنتج عن الحرب

---

(١٤١) اندرياتـــوري — الحـــل المفروض على ايطاليـــا — في « كوريـــرى ديلاسيرا » بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩١١ . « ان حكـــومتنا — لاحظ تـــوري في هذا المقـــال — لا يمكنها ان تتردد (...) لانها لا تستطيع بعـــدم حلها حـــلا كامـــلا للمشكلة ، ان تعرض البلاد في المستقبـــل الى تضحيـــات جديـــدة للحصول في طـــرابلس على ما نستطيع ويجب ان نطـــالب به في الوقت الحالـــي » . وقـــد وصفـــت صحيفـــة « الكوريري ديـــلا سيرا » خطـــاب جوليتي بتوريـنـــو بانه خطـــا كانوســـا * وهـــو عنـــوان المقـــال الافتتاحـــي الذى صدر يـــوم ٨ اكتوبـــر ١٩١١ وقالت « اديانـاسونالـــي » بتاريـــخ ١٢ اكتوبـــر انه « اعظـــم وثيقـــة سوء نيـــة سجلها تـــاريخ ايطاليا الجـــديدة » (انظـــر ص ٢٥٨ هـــامش ١٤٧) .

* تعبير ايطالي يدل على الاذلال نسبة لحادث تاريخي وقع في قصر كانوســا بتوسكانا (المعـــرب) .

(١٤٢) ضد الاجـــانب بايطاليا — منشورة في « ايديناسيونالي » ٥ اكتوبر ١٩١١ .

كانت تبدو شخصية فيكتور عمانويل الثالث بعيدة في الغالب ومنفصلة . وقد ذكرنا كيف ان تدخلاته كانت موجزة دائما وباردة . لقد كان يقتصر في اغلب الاحيان على المشاركة في قرارات الحكومة دون ا ن يعبر عن راي او ايحاء او نصيحة . وقد ظل الملك حتى اوائل اكتوبر بعيدا عن روما في راكونيجي ليتنقل بعد ذلك الى ضيعته في سان روسوري بتوسكانا ــ وكان تغيب الملك عن العاصمة بالاضافة الى خلق صعوبات في وجه القرارات السياسية والعسكرية التي كان يجب اتخاذها ، قد لوحظ ذلك وانتقد خاصة من العسكريين لدرجة ان رئيس اركان الحرب بولليو لم ير بدا من الكتابة في ٢٣ اكتوبر الى ياور الملك الجنرال بروساتي اذ بعث اليه برسالة قصيرة صيغت بهذا الشكل :

« ستقول ان الامر لا يهمني واني اتعدى اختصصاتي وربما اشياء اخرى صحيحة ولكن لا يمكن السكوت على الامر » .

رموز باللون الاحمر ــ نحن في حالة حرب وقد يكون من الضروري ان يكون الملك هنا وخاصة وان هناك قرارات خطيرة يجب اتخاذها » (١٤٣) . وقد استعمل جوليتي كل نفوذه لاقناع الملك بان يحضر سفر الجنود من نابولي يوم ١٠ اكتوبر . وقد صرح الملك فعلا انه « ميال شخصيا للتحفظ » ولكنه كان يخشى ان يقال انه كان « غير مبال بالمرة بالحملة وانه كان يتمتع بالريف بينما كان جنوده ذاهبين لملاقاة الاخطار المحتملة » (١٤٤) .

وقد تمكن فيكتور عمانويل الثالث ايضا من خلق بعض المضايقة لجوليتي بسبب مسالة الدوقة دواستا التي اصرت ان « تذهب مع سيدات الصليب

(١٤٣) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 6. 35, nº 90

(١٤٤) من اوراق جوليتي ــ المذكور مجلد ٣ ص ٦٢ . رسالة اوتوبروساتي الى جوليتي في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ . وقد رد جوليتي في اول اكتوبر ذاكرا في رسالته : فيما يتعلق بمسالة حضور الملك سفر القوات الى افريقيا فقد رغبت ان اناقش راي زملائي للحربية والشؤون الخارجية والاثنان كانا من رائي في ان يكون من المفيد ان يحضر جلالة الملك سفر القوات من نابولي الذي يعتقد وزير الحربية انه سيكون يوم ١٠ اكتوبر .

الاحمر الى مسرح القتال » وقد طلب الملك بتاريخ ٥ اكتوبر ١٩١١ من جوليتي ان « يجد الوسيلة لمنع » سفر الدوقة والسيدات (١٤٥) . وبالرغم من تدخل الملك وجليتي ودوق اواستا ، فان الدوقة تمادت في اصرارها لدرجة خلق احراج جدي لرئيس المجلس (١٤٦) الذي اضطر في النهاية الى التوسط في امر كان في الامكان حله عائليا (١٤٧) .

وتبدو شخصية فيكتور عمانويل الثالث وكانها في الظل مختفية تقريبا ان لم تكن غريبة عن احداث حرب طرابلس . ويلاحظ فيه تحفظه المبالغ فيه

---

(١٤٥) من اوراق جوليتي ـ المذكور المجلد الثالث ص ٦٥ برقية الملك الى جوليتي في ٥اكتوبر ١٩١١ .

(١٤٦) اجاب جوليتي قائلا ان اقامة دوقة دواستا في طرابلس في الوقت الذي كان فيه كانيفا والضباط الاخرون « مشغولين في معارك صعبة » قد تكون سببا « في شغل الجنرال بصورة خطيرة » وقد « تعرف في البلاد وينظر الى وجودها بانه غير مناسب جدا » .

(١٤٧) ابرق الملك من جديد الى جوليتي في ١٣ اكتوبر من سان روسوري : (...) كنت اظن ان دوقة دواستا قد تخلت من مشروعها غير المناسب بعدم ارسال سيدات الصليب الاحمر . وقد ابرقت في الحال الى الدوق ليحول دون سفر الدوقة » (المصدر المذكور) . برقية جديدة في ٢٥ اكتوبر : وصل الان دوق دواستا وقال لي ان الدوقة تنوى السفر الى طرابلس مع سيدات الصليب الاحمر وسيغادرن نابولي يوم السبت . ويبدو ان دوقة داوستا لا تريد ان تستمع الى ما وضحه الدوق وانا (المذكور) وفي النهاية امكن التوصل الى اتفاق تتمكن سيدات الصليب الاحمر من النزول الى الارض ولكن يقدمن خدماتهن على سفينة الصليب الاحمر التي يبقين على ظهرها . (انظر برقية جوليتي الى الملك في ٢٥ اكتوبر ١٩١١ المذكور) . لقد اعتذر الملك في النهاية الى جوليتي لشغله بموضوع الدوقة دواستا وسط مشاغله الجديدة الكثيرة » (المصدر المذكور) غير ان دوقة دواستا عادت من جديد لتكون موضوع الحديث . فبعد سفرها الى مدينة المستشفى « منفي » Menfi اخذت في التشاجر مع المديرة الماركيزة تويتشولي Guiccioli الى درجة ان وزير البحرية ليوناردى كاتوليكا ابلغ بروساتي ببرقة يوم ٧ فبراير ١٩١٢ مؤكدا فيها ان حالة الدوقة رغم (تفانيها المدهش » لا تتحمل بعد بسبب « اساليبها الاستبدادية والتعسفية والظالمة دون مراعاة للمديرة الماركيزة توتشيولي وجميع السيدات . وينصح وزير البحرية بروساتي ان توجد الوسيلة لاقناع الدوقة دواستا بان لا تبحر من جديد على ظهر « منفي » ، حيث انه من الضروري « راحتها المعنوية » .

وربما خوفه من تحمل المسؤولية ورغبته الغير خافية في عدم الظهور كثيرا بين الجماهير وقد يعود ذلك الى اغتيال والده الملك في مونزا قبل احدى عشر سنة . ويكفي الاشارة الى الاهتمام الذي يتابع به الملك كل حركة من حركات الاشتراكيين وخوفه من الاضرابات والاضطرابات وتحركات الشارع (١٤٨) وذلك لكي نفهم نفسيته وبحثه عن حياة هادئة ما بين راكونيجي وسان روسوري (١٤٩) .

(١٤٨) البرقية التي رد بها الملك على جوليتي الذي كان احاطه علما عن النتائج الضئيلة التي قد تنتج من اضراب الاشتراكيين ضد الحرب معبرا عن سروره المستتر : « انني سعيد بالانباء التي بعثتم بها الى حول الاضراب وانه حتى الصحف قد أسادت باجهاضه » (من اوراق جوليتي المذكور مجلد ٣ ص ٦٢) .

(١٤٩) وقد لاحظت الدبلوماسية الاجنبية موقف الملك هذا الى درجة ان القائم بالاعمال الفرنسي باسطمبول بوب Boppe اخبر دي سلفس يوم ٢١ سبتمبر ١٩١١ ان اخبارا وصلته تفيد أن فيكتور عمانويل الثالث معارضا للحرب (D.D.F., 11, 14. p. 488). ولاروش نفسه القائم بالاعمال الفرنسي بروما لاحظ تردد الملك بسبب شعوره « بالمحافظة على الاسرة » والخوف من الاشتراكيين والاضراب العام . وافاد لاروش على كل حال ان موضوع طرابلس قد « دخل في دوره الحاسم » بعد زيارة جوليتي للملك في ١٧ سبتمبر (D.D.F., 11, 14, nº 348, p. 490) والبرقية مؤرخة في ٢٣ سبتمبر ١٩١١ .

المشاكل العسكرية والمقاومة العربية

مناورات اغسطس ١٩١١ الكبرى ــ التاخر في الاعدادات العسكرية ــ عيوب تجهيز قوات الحملة ــ انتقادات وتوقعات اوقو بروساتي ــ تاكتيك الجنرال كانيفا التسويفي ــ اختلافات ما بين السلطات العسكرية والسياسية ــ كارلو قاللي نائب القنصل بطرابلس وعدم اعداد العنصر العربي ــ المقاومة العربية التركية و « الجهاد » ــ اخطاء وعدم تفهم الايطاليين للعرب ــ رد الفعل الايطالي لحادث شارع الشط ــ الاحتجاجات في اوروبا ــ القوميون يدعون الى استعمال وسائل القمع .

□ ◆ □

لقد ذكرنا كيف انه بعد ارسال الانذار الى تركيا واعلان الحرب اللاحق به ولمدة ايام اخرى لم تكن الحملة مستعدة لمواجهة القتال . فان قرار دخول الحرب المرتجل قد فاجأ في النهاية الجيش الغير مستعد الى درجة ان الجهاز المعقد المرتبط بحملة عسكرية فيما وراء البحار ، قد اعد واتم في بحز ايام قليلة . وهناك امران هامان يفيدان في فهم عدم الاستعداد وهذه المفاجاة

---

* نقتصر في هذا الفصل على الاشارة الى المظاهر العسكرية الاساسية للحرب الايطالية ــ التركية اما فيما يتعلق بمختلف الاحداث ذات الصبغة العسكرية التي ميزت الصراع فنحيل القراء الى السرد التاريخي للحرب المنشور في الملحق (ص ١٦ — ٤٠٦) .

بصورة احسن : المناورات العسكرية التي جرت ما بين اخر اغسطس واوئل سبتمبر وتسريح المجندين من مواليد عام ١٨٨٩ .

فحتى اول سبتمبر دارت المناورات الحربية الكبـرى وجرت المناورات البحرية فيما بين ٥ و ١٥ سبتمبر . ومن المعلوم ان المناورات لا تساعد على اعداد عمل جدي قريب بل هي تمثل عنصر ازعاج جدي . ومع هذا لم يكن هناك ما يمنع تاجيل قيام هذه المناورات وخاصة انه كانت هناك اسباب صحيحة وكافية تبرر هذا التاجيل . ان وباء الكوليرا الذي تفشى في بيمونتي (ولاية الاسكندرية) وفي ليقوريا (بولاية جنوا) اي في نفس المناطق التي كان يجب ان تجري فيها المناورات البرية وقد اثار انتشار هذا الوباء مشكلة القيام بالمناورات ام الغائها . وفي يوم ١٨ اغسطس على اثر زيـادة حدة الوباء في بعض المراكز (لقد اصيب الفيالـق الثاني والـرابع والسادس والسابع والثامن والعاشر والثاني عشر) . وارسـل النائب بريسوليزي برقية الى جوليتي داعيا فيها الحكومة الى التخلـي عن القيام بالمناورات . وكان جوليتي بباردونكيا فاعلم وزير الحربية سبنقاردي « عن قلقه الكبير » غير ان سبنقاردي حاول ان يقلل من اهمية الحادث ونتيجة لبرقية جديدة من جوليتي في نفس اليوم ، ابرق بها الى بيانو Peano (١) اجاب وزير الحربية بصورة قاطعة : « المناورات ستجري كما اعدها رئيس اركان الحرب مع كل مراعاة ممكنة طبعا » (٢) وفي اليوم التالي ١٩ اغسطس تدخل في الموضوع النائب توارتي طالبا ايقاف المناورات ومهددا بتقديم استجواب الى

---

(١) « كتب جوليتي يقول في هذه الرسالة ـــ اذكر انني قد لاحظت الى وزيـر الحـربية ان اختيار المكان والفصل للمناورات الكبرى غير موفق . ولكنني الان تنقصني امكانية ابـداء الراي بسبب عدم معرفة سير المناورات ولا اي جنود ستشترك فيها ولانني ليست لي المقدرة على الحكم الى اي درجة ـــ ارتفاع درجة الحرارة بصورة استثنائية وسير الجنود المتعب وعيوب المياه ـــ تسهل انتشار الكوليرا بين الجنود » (صورة من الرسالة توجد في A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. 36 nº 289 كان صيف ١٩١١ حارا جدا فسجلت ٣٨ درجة في ميلانو ٣٨٫٥ في تريفيو وما فوق الاربعين في مقاطعة بوليا .

(٢) المصدر المذكور رقم ٢٩١ صورة من البرقيـة التـي بعثها سبنقـاردي الى جوليتي في ١٨ اغسطس ١٩١١ الساعة ١٩٫٤٥ .

البرلمان اذا جرت المناورات . وابلغ سبنقاردي جوليتي ملاحظا ان رئيس اركان الحرب كان معارضا لايقاف المناورات وان مدير عام الصحة العسكرية نفسه يشاركه هذا الراي . « وعليه — يواصل سبنقاردي كلامه — لا توجد اسباب كافية من الناحية العسكرية لايقاف المناورات . المسالة قد تتخذ شكلا سياسيا سواء من جهة امكانية اتساع الوباء الغير مستبعدة او لان حدوث اصابات قليلة قد تتسبب فيايجاد رقابة » (٣) . ولم يرد جوليتي ان يتدخل في قرارات العسكريين واقتصر على القول بانه اذا وقعت اصابات « كوليرا بين الجنود فستقع على عاتق رئيس اركان الحرب مسؤولية خطيرة جدا وسيكون حكم الراي العام قاسيا جدا » (٤) . ولا ندري فيما اذا كان جوليتي يخشى على صحة الجيش توقعا لامكانية قيام عمليات عسكرية في ليبيا او تغلبت عليه كما يبدو اعتبارات ذات صبغة سياسية . والواقع هو ان جوليتي خلال كل هذا الحادث — لم ينبس ببنت شفة حول امكانية استعمال الجيش في وقت قريب . ان رئيس اركان الحرب الجنرال بولليو « قد تاثر جدا » من برقية جوليتي كما يتضح من رسالة سبنقاردي الى بروساتي في نفس اليوم ١٩ اغسطس وكان مصمما على ايقاف المناورات ، غير انه في اجتماع عقد في مكتب سبنقاردي بحضور تيدسكي وسانتو ليكويد والجنرال فيريرو وبيانو وميرابيللي تغلب في النهاية راي « ترك الحشد الجاري يتم » (٥) .

فهذا الحادث يظهر نواح ذات مغزى كبير لادراك بعض مظاهر الاعداد العسكري للحرب الليبية . غير ان الامر الاكثر مغزى هو تسريح الجنود من مواليد سنة ١٨٨٩ في يوم ٣ سبتمبر . ويكفي القول ان نفس مواليد هذه

---

(٣) المصدر المذكور — صورة من البرقية التي بعثها سبنقاردي الى جوليتي في ١٩ اغسطس ١٩١١ الساعة ١٢ .

(٤) المصدر المذكور — صورة من البرقية المرسلة من سبنقاردي الى جوليتي يوم ١٩ اغسطس ١٩١١عند الساعة ١٤ . وقد اشر الجنرال بروساتي ياور الملك بالقلم على حاشية جملة جوليتي هذه : « لنزيل منذ الان مسئوليات وزارية » .

(٢) المصدر المذكور— « لقد مررت بساعات لا أستطيع أن أصفها لك » . انهى سبنقاردي كلامه .

السنة المسرحين قد استدعوا للسلاح بعد شهرين اي يوم ٣ نوفمبر اللاحق وقد اشار سبنقاردي نفسه الى عدم ملاءمة طريقة العمل هذه . وعندما ابلغ وزير الحربية يوم ٢٠ سبتمبر ياور الملك حول الاوامر التي تلقاها من جوليتي والتي تدعوه الى العمل « بسرعة » صاح ياور الملك : « وما القول في انه قبل خمسة عشر او عشرين عاما كان لدينا جنود معدون للتسريح (مواليد ١٨٨٩) وآخرون اعيد استدعاؤهم للسلاح : ثمانون الف رجل مستعدون للسفر في ٤٨ ساعة !! نحن مبذرون ومتهورون »

فاذا كانت الحوادث المذكورة تميل من جديد الى التدليل على ان رئيس مجلس الوزراء كان في شهر اغسطس واوائل سبتمبر لا يزال بعيدا عن فكرة الحرب رغم مناقشته للموضوع مع وزير الخارجية ، فانها تؤكد ايضا الافتراض القائل بان الاجهزة العسكرية لم تكن تعرف شيئا عن احتمال قيام حرب ولو كانت بعيدة الوقوع . فلو كان الامر غير ذلك فمن المفترض على الاقل ان يكون تصرف هذه الاجهزة بشكل مختلف سواء بمناسبة المناورات او سواء بمناسبة تسريح مواليد سنة ١٨٨٩ . والواقع هو ان مشكلة طرابلس كانت مشكلة خاصة بجوليتي ودي سان جوليانو فقط وهي موضوع سياسي واقتصادي وديبلوماسي لا يمثل فيه العنصر العسكري سوى عامل ثانوي ضئيل الوزن وذلك وفقا للاقتناع المنتشر بانه لم تكن هناك حرب حقيقية وان الاتراك قد يستسلمون بسهولة وان العرب قد ينضمون بسرعة الى الجانب القوي كما قرر دي سان جوليانو . (٧)

ويجب الاضافة ايضا ان السرية التامة التي احيطت بها العملية كلها كانت ايضا عائقا في وجه تجهيز الحملة . وهي سرية لا يمكن المحافظة عليها تقريبا وبصورة خاصة بالنسبة للبحرية التي كان عليها ان تقوم

---

(٧) في ٣ نوفمبر ١٩١١ هكذا كتب جوليتي الى فرديناندو مارتيني : « كان الاتفاق بيني وبين سان جوليانو تاما دائما وقد درسنا دوما معا (نحن الاثنين فقط) بصورة موضوعية كاملة مختلف اجزاء المشكلة بحالها وما عليها » (الرسالة موجودة في .(A.C.S., C.M., b. 13, f. 6

« باتفاقيات لتأجير بواخر وارسالها الى الاحواض بنابولي للاعداد اللازم » (٨) وفي يوم ٢٢ سبتمبر اي قبل اربعة ايام من ارسال الانذار اخبر سبنقاردي بروساتي بانه ابرق الى جوليتي « لاطلاعه كيف ان الحالة العسكرية تزداد خطورة باستمرار ويجب الخروج بسرعة من حالة الاعداد الخفي هذه التي في الوقت الذي تقيد ايدينا فانها لا تصل الى غايتها بسبب ابتكارات الصحافة الخبيثة وتزيد من الصعوبات لضررنا » — وقد طلب سبنقاردي فيما بعد من جوليتي والملك ان « ياذنوا له بالقيام بدون تردد بالقسم التنفيذي لتعبئة الحملة وبنشر اعلان استدعاء مواليد عام ١٨٨٨ الى السلاح في اقرب وقت » (٩) وبعد ثلاثة ايام اي في يوم ٢٥ سبتمبر نشر المرسوم وحدد يوم ٢٨ سبتمبر اول يوم للتعبئة .

وفي الخلاصة فان التاخر الذي حدث على الشروع في الاعداد ثم السرعة الناتجة عن ذلك والرغبة في المحافظة على السرية التامة حتى النهاية كانت العوامل الثلاثة الهامة التي اثرت على تجهيز الحملة وبالتالي على العمليات العسكرية اللاحقة . ويعزى في وزارة الخارجية الى جوليتي في ان تردده يتحمل اعظم مسؤوليات التأخر في اعداد الحملة الذي ارتبطت به اغلب صعوبات الحرب اللاحقة . (١٠)

وتالفت الحملة من قيادة جيش وفرقتين من المشاة وكوكبتين من الفرسان وآلاي مدفعية ميدان وسرية مدفعية ميدان وسرية مدفعية حصون وسرية

---

(٨) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 رسلة سبنقاردي الى جوليتي في ١٩ سبتمبر ١٩١١ . برقيتان لاحقتان من جوليتي الى سبنقاردي والى ليوناردي كاتوليكا بتاريخ ٢١ سبتمبر كانتا قاطعتين فكتب الى سبنقاردي : « ارجو ان تتخذ احتياطات صارمة حتى في ديوانك لان خبرة طويلة علمتني ان السر في وزارة الحربية لا يحفظ » والى ليوناردو كاتوليكا كتب : لا تزال تصلني اخبار من تسرب الاسرار من وزارة البحرية واخشى بصورة خاصة من ديوانك (...) اذكر الى كل من عليه الاحتفاظ بالسر بان المخالفة لا تعد طيشا آثما وانما هي خيانة تعاقب بموجب قانون العقوبات » (المذكور) .

(١٠) هكذا كتب انرديا توري الى البرتيني في ١٢ نوفمبر ١٩١٢ (انظر لويجبي البرتيني — المصدر المذكور مجلد ص ٣١) .

من رجال الاشغال . وكجنود اضافية : الآيان من البرسايري مع اقسام للرشاشات والآي مدفعية جبلية ومجموعة من سريتين مدفعية حصون وكتيبة مؤلفة من سريتين من رجال الاشغال وسرية سلاح الاشارة (تلغراف) وكان المجموع عبارة عن خمسة وثلاثين الف رجل وستة الآف دابة و ١٠٥٠ سيارة و٤٨ مدفع ميدان و٢٤ مدفع جبلي مع اربع محاطات راديو حديثة الاستعمال . وعين قائدا اعلى للحملة الجنرال كارلو كانيفا (١١) الذي اشترك في حملة افريقيا عام ٩٧ ــ ١٨٩٦ بدرجة عقيد . وعين قائدان للفرقتين كل من الجنرال قوليلمو بيكوري جيرالدي Guglielmo Pecori Giraldi واوتافيو بريكولا Ottavio Briccola.

وقد اشارت وزارة الحربية نفسها في كتاب ضخم يتالف من اربعة مجلدات حول حملة ليبيا صدر في سنوات ٢٤ ــ ١٩٢٢ ، اشارت الى العيوب التي صاحبت تجهيز الحملة . فمن ناحية تكوين الوحدات المجندة ــ قبل كل شيء ــ فلم تساهم الدفعات المختلفة بطريقة منسقة . بحيث ان بعض الوحدات تكونت باكملها من دفعة مواليد سنة ١٨٩٠ وفي وحدات اخرى تغلبت دفعة مواليد ١٨٨٨ . (١٢)وعندما حلت الضرورة بعد اشهر من الحرب وازاء

---

(١١) ولد الجنرال كانيفا Carlo Caneva في اوديني عام ١٨٤٥ فكان عمره اذن ٦٦ عاما. وقد بدا مهنته في الجيش النمساوي ــ الهنغاري بدرجة ملازم ثان مدفعية . وانتقل الى الجيش الايطالي عام ١٨٦٧ واشترك في حملة افريقيا ١٨٩٧ ــ ١٨٩٦ بدرجة عقيد . وكان في عام ١٩١١ قائدا لفيالق انكونا وميلانو . وكتب وزير الحربية سبنقاردي الى الجنرال بروساتي في ٢٥ سبتمبر ١٩١١ يبلغه نبا تعيين كانيفا قائدا للحملة الى ليبيا فقال : « ان القائد جيد اذا ساعدته الصحة . الاخرون يبدون لي جميعا مقبولين (A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. 36, nº 302)ويرى فولبي ان قيادة الحملة اسندت الى كانيفا « بعد انتصار حزبه ضد الحزب المقابل في المناورات الكبرى الصيفية التى جرت بوادي البو PO : ان الجنرال كانيفا لم تكن لديه اية فكرة محددة عن نوع الحرب الجديدة التي قد يذهب للقتال فيها (جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٦٩).

(١٢) الارقام مستقاة من : وزارة الخارجية « ايطاليا في افريقيا السلسلة التاريخية العسكرية المجلد الاول : عمل الجيش . الجزء الثالث : احداث عسكرية واستعمالها . افريقيا الشمالية (١٩٤٣ ــ ١٩١١) نص ما سيمو ادولفو فيتالي » ص ١٣ ــ ١٢ . وفي الاشهر التالية وصلت قوات اخرى الى ميدان العمليات حتى بلغ مجموعها ٥٥ الف رجل .

الاستياء الذي بدا ينتشر بين الجنود وسرحت احدى الدفع وجدت بعض الوحدات نفسها عارية او اعيد تجديدها بعناصر لم تتعود على مجهود الحرب . وبالاضافة الى ذلك فلم يؤخذ في التقدير حالا تشكيل رديف احتياطي لملا الفراغ الناتج عن الامراض والقتال في الحملة . كما لم يؤخذ في التقدير تكوين فصائل وخدمات جديدة وذلك بناء على الاعتقاد الخاطىء بان الرجال الذين تحت السلاح كانوا يكفون لمواجهة الاحتياجات .

وتاخر صدور قرار استدعاء الدفعات قد تسبب فيما بعد في اخطاء وتعطيل جديد خاصة فيما يتعلق بتجهيز وحدات خاصة مثل رجال الالب والاشارة والصحة والتموين وغير ذلك .

« فيما يتعلق برجال الالب اضطر الى اكمال الكتائب المسافرة بعناصر غريبة عن الالايات المجندة للكتائب نفسها .

وبالنسبة لرجال الاشارة بلغ التاخير ثلاثة اسابيع تقريبا (. . .) وبالنسبة للقطار والصحة والتموين لم يكن في الامكان تشكيل خدمات الفرقة الثالثة في نفس الوقت الذي تم فيه تعبئة الفرقة نفسها ، وبالنسبة لجميع الوحدات كان من الضروري القيام بالتعبئة في الوقت نفسه الذي وصل فيه المستدعون مما تسبب في تنظيم الوحدات بصورة مستعجلة وغير سليمة (. . .) (١٣)

وقامت عراقيل وعقبات غير قليلة بالنسبة للمواد المخصصة للجنود المسافرين . وتكفي الاشارة الى ان رقم الدواب الصالحة وقت الطلب كان ٢٠ ٪ من العدد الذي قدم . والعربات الصقلية التي تم شراؤها في الجزيرة اتضح « انها مستهلكة بصورة عامة لكثرة الاستعمال واضطر الى « تشجيع انشاء عربات جديدة وتطلبت لوازم العربات اصلاحات وتغيير اجزاء . وبخصوص ملابس وعتاد الجنود فان الاحذية الموجودة بالمخازن كانت خالية

---

(١٣) وزارة الحربية « حملة ليبيا » روما ١٩٢٢ المجلد الاول ص ١٧ — ١٥ .

من المسامير لانه لم يتم اختيار النوع . ففي بعض المراكز صحبت عمليات التجنيد « عملية وضع المسامير في مئات ومئات من الاحذية » . وقامت صعوبات اخرى بالنسبة لاستعمال « احذية الراحة » وذلك « لقلة المقاسات الصغيرة » . وبخصوص الاكياس (نوع من الحقيبة يحملها الجندي على اكتافه فان رداءة نوع جلد الاحزمة « جعل من المستحيل استعمالها » : في مخزن مستشفى انكونا غيروا ٥١٤ كيسا من اصل ٧٨ وزعت وذلك لانقطاع الاحزمة» وبالطبع فان بناء وشراء المواد الرديئة بصورة مستعجلة قد اجبر القيادات على دفع ثمن اكثر من الثمن العادي دون حساب « ضياع الوقت والعمل » والارقام الخاصة بالتسليح تثير دهشة اكبر : ادارات واقسام المدفعية كانت عاجزة عن تلبية طلبات مراكز التجنيد من البنادق والمسدسات اللازمة . ووجد هذا العيب حتى في ادارة مدفعية نابولي المكان الرئيسي لترحيل الجنود . وحتى « لدى مستودعات القوات الاستعمارية ثم ينشأ اي مستودع خاص لسد الحاجة » . فبعض الاحتياطيين وصلوا الى وحداتهم وسلاحهم الابيض بدون شحذ « ورشاشتهم » تنقصها القطع الاضافية » و « ببنادق رديئة اجبرت الوحدات المستعملة لها على تغيير الكثير منها » (١٤) وقامت

---

(١٤) المذكور ، ص ٢٢٫٠ ــ ١٨ اسندت مهمة الموارد للقوات الى بنك روما الذي ــ حسب الارقام التي نقلها قويدو بودريكا Guldo Podrecca قد استغلها : « فالاكياس الخاصة بالخنادق التي تبلغ قيمتها ٣٠ او ٤٠ سنتيما كانت تدفع لبنك روما المورد بمبلغ ليرتين ونصف وايجار الابل في المتوسط ٥ ليرات كانت تدفع الى البنك ١٣ ليرة ٠ واجرة طحن الدقيق ليرة ونصف للقنطار في حين ان طحنها في كاتانيا كان يكلف ٦٠ سنتيما والحطب من اجل الجنود كان يكلف تسع ليرات وثلاثين سنتيما للقنطار في حين ان القنصل البريطاني بالخمس المستر تايت قال لي عند ما سالته انه كان يورد الحطب بسعر ٢٫٤٠ ليرة للقنطار » اما فيما يتعلق بتوريد الدقيق للجنود فقد كتب النائب دي فليتشي De Felice على صفحات « مسيساجيرو » بتاريخ ٢ مارس ١٩١٢ « بالاضافة الى نوعية مورد المؤن المعروف في جميع الازمان ولدى جميع الجيوش يات هنا الان نوعية محددة اصبحت موضع الاحاديث الخاصة وهي نوعية مورد الدقيق . لا ادري من هو وكيف تمت عملية التوريد ولكني اعلم انه ورد نوعا من الدقيق الرديء الفاسد والغير صالح للغذاء ٠ وتنسب بعض الامراض المعدية فعلا الى استعمال هذا الدقيق وقد اهتم بالامر

صعوبات اخرى من جراء القرار القاضي بتزويد الملابس الخضراء ـ الرمادية لجميع المقاتلين في الوقت الذي لم يزود الجيش كله بهذا الزي (١٥)

ولو لم تكن هذه الارقام صادرة عن وزارة الحربية مباشرة لكان هناك محل

مرة مجلس الصحة العسكرية بصورة دقيقة ومفزعة وقد حكم الجنرال سفورزا وهو الذي يعود اليه الفضل في تنظيم الصحة العسكرية وتحقيق نتائج مرضية جدا (...) حكم على هذا الدقيق « بانه غير صالح لتغذية الرجال والحيوانات » . وقد امر المجلس الصحي بمصادرة الدقيق ، غير انه لا نعرف كيف ان امرا في مسالة حساسة كهذه لم ينفذ . فالوحش البشري المورد للدقيق كان لديه من النفوذ ما يبطل قرارا صريحا ودقيقا كهذا. ومن اجل الدقيق فقط اود ان اصرح ان مثل هذا الدقيق لم يستعمل فيما بعد في صنع خبز الجنود ولكن بعد التاكد من صحة الجنود التي هي الان بخير فالدقيق الفاسد وزع على العرب الذين يفدون الى البلاد هاربين من الاتراك » (قويدو بودريكا المصدر المذكور ص ٣٥ ـ ١٣٣) انظر تبريرات بنك روما ازاء هذه الاتهامات ص ٦٨ ـ ٣٦٧ .

(١٥) رئاسة اركان الحرب ـ عمل الجيش الايطالي في الحرب الايطالية ـ التركية ، روما ١٩١٣ ص ٩ . جوفاني ميرا G. Mira وقد اشترك في الحرب بدرجة عريف ثم رقي الى ملازم ثان وقد ذكر في مذكراته : « ان التعبئة تمت بقدر الامكان دون الاخذ في الاعتبار المشاريع المعدة منذ زمن . ففي تلك السنوات اخذ الزي الاخضر ـ الرمادي يقوم مقام الزي القديم ذي الالوان الزاهية تدريجيا غير ان التغيير كان يسير ببطء لان المديرين كانوا يريدون ان يستهلكوا كل ما تبقى من ازياء عهد الملك امبرتو . وكان الالاي الذي ينتمي اليه لا يزال يرتدي الزي القديم ـ وحيث انه تقرر ان يذهب غزاة ليبيا بالزي الجديد فاحضرت على عجل الملابس والاحذية وغيره ليحدث ـ التغيير في مشية السفر (...) وعندما سافروا كان مجموعة من الجنود والضباط قد شرعوا في التعارف وهو امر بالطبع لا يفيد متانة الالاي الذاهب الى النار . لقد كان من الواجب ان تسافر معهم فرقة الموسيقى وقسم الرشاشات . وفي الوقت الذي تم فيه الحصول على فرقة الموسيقى التي بعد ان كانت تطرب الاطفال والمربيات في الحدائق العامة جاءت لترعب البادية في ميادين ليبيا ، فان الرشاشات وهي اسلحة تجهلها كتيبتنا جهلا تاما كانت تنقصنا وقد تلافوا الامر بالحاق قسم رشاشات اخذ من وحدة اخرى . وكانت اشياء اخرى كثيرة ناقصة فيما يتعلق بالاعداد . ولكن الفضائل الوطنية في الارتجال والملائمة اسعفتنا وتم التجهيز بعد تاخير خطير وامكن السفر (جوفاني ميرا مذكرات ـ مقدمة لويجي سالفاتوريللي فيشنزا ١٩٦٨ ص ٥٣ ـ ٥٢) .

للشك في صحتها بقدر ما هي مدهشة . ولكنها تبرهن من جديد على ان قرار الحكومة قد فاجأ العسكريين وهم غير مستعدين للحرب وتنقصهم المواد والتنظيم وقد اضطروا الى الارتحال وسط صعوبات لا نهاية لها .

وان عدم استعداد الحملة وقت اعلان الحرب على تركيا في امكانه ان يفشل العملية منذ بدايتها . ويكفي القول ان ١٧٣٢ بحارا من السفن الراسية المدرسية (بعضهم شباب في سن الثامنة والتاسعة عشر يقول غالي) قد ظلوا سبعة ايام من يوم ٥ اكتوبر الى ١١ منه (يوم وصول اول قافلة غادرت نابولي يوم ٩) يقاومون بقيادة الاميرال اومبرتو كاني ليصدوا خمسة الاف تركي بصعوبات جمة (١٦)

وبعدما يقارب من شهر ونصف من انفجار الصراع اي في ١٩ نوفمبر ١٩١١ حرر الجنرال بروساتي مذكرة عنوانها « نقاط تتعلق بالحرب الايطالية — الليبية « لعرضها ربما على الملك وقد القى فيها الضوء على الحدود التي اصطبغت بها عملية الاعداد للحرب . وان قرار اتهامه مدهش لشدته ولخلوه

---

(١٦) في الليلة الواقعة ما بين ٩ و ١٠ اكتوبر هاجم ٣٠٠ تركي حرسا يتكون من مئتي رجل كانوا في الخنادق في بومليانة ٠ « قام كاني بعملية تنقلات وتحركات مصطنعة ليوهم الاتراك ان عددهم كبير (لويجبي البرتيني — عشرون سنة من الحياة السياسية — المذكور ، قسم اول ، مجلد ثاني ص ١٢٢) ٠ انظر ايضا يوميات كارلوتاللي تنصل ايطاليا في طرابلس » ان الخطر كان عظيما — ينهي تاللي يومية ١٠ اكتوبر — ولكن النتيجة تستحق اكثر من التقدير (...) لو ان كانى لديه بدلا من الفي رجلا عشرة الاف رجل فالان قد لا يكون هناك من يتحدث من قوات او عن منير باشا (كارلو تاللي يوميات ورسائل طرابلس ١٩١١ تريستا ١٩١٨ — فلورنسا ١٩٥٢ ص ١٠٠) . فيما يتعلق باحتلال طرابلس الذي قامت به البحرية عكسا لما قرره كانيفا اي انزال على ساحل تاجوراء واخر شرق طرابلس ٠ انظر روبرتو بنشيفينغا Roberto Bencivenga « مختصر انتقادي لحربنا » روما ١٩٣٠ المجلد الاول ص ٣٣٩ وكارلو دى بياسي Carlo De Biase « نسر الذهب قصة اركان الحرب الايطالية » (١٩٤٥ — ١٨٦١)؛ ميلانو ١٩٦٩ ص ٣٩ — ٢٣٧ — بالنسبة لكانى انظر جورجو بيني Giorgio Pini حياة اومبرتو كانى — ميلانو ١٩٣٧ ٠

من عبارات وسط في حكمه على الاخطاء التي وقعت قبل قيام الحرب. وحسب وجهة نظر بروساتي لم يكن هناك بالمرة ولم يكن كافيا على الاقل « الاعداد الديبلوماسي الذي طالما تغنوا به » ويصل الى درجة التاكيد ان « الوكلاء الملكيين (ديبلوماسيين) الظاهرين منهم والمستترين قد اساءوا خدمتنا » ولكن اتهام بروساتي اشد عنفا وذلك بالنسبة للاوجه العسكرية :

ان التعبئة العسكرية (...) اقتصرت على اعداد تعبئة فيلق واحد للافتراض المزدوج في ان — يكون ميدان العمليات سهلا او جبلا . وان احتمال تجنيد وحدات اخرى درست كمشروع وعندما اريد تحقيقه اضطروا الى ارباك اغلب الوحدات النظامية للجيش الموجودة بالقارة وخاصة فيما يتعلق بالمدفعية والهندسة العسكرية

(. . .) دخلنا المعركة — على ما اعلم — بدون خطة حرب مدروسة ومتزنة وخضنا بطيش (الكلمة قاسية ولكنها حقيقة) معركة لا نرى لها نهاية حتى بالنسبة للتحفظات الكثيرة التي فرضناها على انفسنا . والتي يبدو فيها واضحا عيب الاعداد الديبلوماسي .

العمل المنسق ما بين الجيش والبحرية كان طارئا اكثر منه متوقعا . ففي الفترة الاولى واجه البحارة بالفعل اخطارا جسيمة كما هو معروف . وكان رئيس اركان حرب الجيش يجهل كل شيء ، لقد اهمل تقريبا . (١٧) بالتمهيد ، بالعمل الديبلوماسي وتحديد الاهداف المرجوة كان من الواجب اسناد دراسة الوسائل والاساليب الى رئيس اركان حرب الجيش بالاتفاق مع رئيس اركان حرب البحرية فقط . ولكننا تحت ضغط نفاذ الصبر في عمل

---

(١٧) يقرا في احدى مفكرات بروساتي بتاريخ اول يونيو ١٩١٢ : « قام بالحرب في البداية جوليتي ودي سان جوليانو اللذان وزعا سفننا الحربية على الساحل الليبي وكانا يصدران الاوامر راسا الى القواد التابعين دون علم القائد الاعلى للاسطول الشرقي . والان يدفع الثمن لذلك الاثم الاساسي . ان جوليتي لا يفهم ذلك » .

اي شيء قد القينا بانفسنا في الخطر دون ترو ، متناسين ان الوصول بعملية حربية الى تنفيذ سريع يجب ان يسبقه تامل هادئ .

ومما يدل على عدم الاحتياط والدراسة للعمليات العسكرية المحتملة انه لم تحدد مسبقا — وهو امر سهل — المواقع التي لدى الحاجة قد تحتلها قواتنا على شواطئ طرابلس وبرقة . فلم يكن معروفا مثلا ان درنة لا تصلح للدفاع .

لقد نظمنا حملة بمثل ما ننظم الوحدات الكبيرة للمناورات اي باربـاك الجيش كله من اجل جمع العناصر اللازمة من هنا ومن هناك (. . . .) .

اما الاعداد الخاص باوامر التحرك والتجمع ووسائل النقل بالبحر والنزول الى البر ووسائل التموين (كانت هذه محدودة لا تسمح للقوات النازلة بالحركة) فانه اي هذا الاعداد كان دقيقا جدا ويستحق الثناء الكبير وهذا كله لا يكفي فما هي حالات الفعالية التي احتفظ بها الجيش في الوطن ؟

كان الاسطول في بداية القتال متدربا بعد فترة التمارين التي قام بها حديثا بيد ان المواد لم تكن على ما يرام . وهذا ما يدل من جديد على ان قرار العمل اتخذ بصورة مفاجاة ربما بدون ترو كاف مع حسب حساب الفصل وعدم وجود مرافئ آمنة تقريبا على الشاطئ الشمالي الافريقي باستثناء طبرق على ما يبدو (١٨)

ان مفكرات بروساتي تقدم ربما واحدة من ادق واصح التحليلات حول طريقة الاعدادالعسكري الايطالي للحرب الايطالية — التركية . ان الاخطاء التي يحللها بروساتي لا تشمل السلطات العسكرية فحسب وانما تتهم بصورة خاصة الحكومة لنفاذ صبرها ولعدم التروي بما فيه الكفاية .

وبعد ان درس بروساتي حدود الاستعداد العسكري حاول ان يستخلص بعض النتائج وابداء بعض التوقعات حول مستقبل الحرب وحالة الجيش

---

(١٨) اوقوبروساتي Ugo Brusati مفكرات تتعلق بالحرب الايطالية — التركية موجودة في (A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 7. 39)

الايطالي مضيفا بعض الاعتبارات السياسية . فبخصوص المسائل ذات الصبغة العسكرية فقد توقع ياور الملك مستقبلا صعبا للجيش الايطالي . فالحرب ضد تركيا ـ حسب بروساتي ـ وضعت الجيش « ربما لوقت غير قصير في حالة ضعف مؤقت تجاه ما قد يقع فجأة من احداث في اوروبا وتكمن خشية بروساتي بصورة خاصة في احتمال وقوع صراع مع النمسا الذي لمحه بثقة مدهشة ، وهو الصراع الذي قد يجد الجيش الايطالي في وضع في غير صالحه مع امكانية ان « الشعور القومي » الذي تطور بمناسبة الحرب الليبية قد يتمكن في « مثل هذه الحالة ان يجبرنا بالرغم عنا على دفع الاحداث في القارة باعتداد ودون تفكير كما تغلب جزئيا وفجاة الان » . ويحلل بروساتي حالة القتال العسكرية الجارية مع الاشارة بصورة خاصة الى انعكاساتها الدبلوماسية .

« والان استعد لان اقول ربما كلاما يعد كفرا كبيرا » . ان الحملة الافريقية الحالية قد حذرتنا بانه باستثناء حالات نادرة فان ايطاليا لا تحظى بعطف كبير حتى لدى اولئك الذين يبدون عطفهم فانهم يفعلون ذلك على مضض . هل هي غيرة أم حسد لا ادري ؟ قد يكون من العبث ومما لا طائل وراءه البحث الان عن اسباب هذه الظاهرة . ويكفي في الوقت الحاضر عمليا ان نتحقق من الامر الذي لا يسرنا بكل تاكيد .

ففي هذا العام بصورة خاصة بالغنا في الاشادة بفضائلنا وبمزايانا الماضية والحاضرة والمستقبلة ، ان ذلك لا يخلق حولنا جوا يعطف علينا . الشعوب مثل الافراد عليهم ان يعرفوا كيف ان يتسامحوا في فضائلهم ومزاياهم لا ان يتظاهروا بفرضها على الغير بقصد الترفع .

يقال ان العملية قد اضرت بالكثير من مصالحنا وقد اثرنا زوبعة . ان هذا تعليل سهل ولكنه لا يكفي لتفسير موقف الراي العام الخارجي نحونا .

ان الحكومات على ما هو معلوم ـ قد بدت بصورة عامة متعاطفة معنا ، بيد ان هذا العطف يبدو لي انه يخفي شيئا من الريبة .

ان حلفاءنا لم تكن لديهم ثقة كبيرة فينا وان كانوا بالكلام يؤكدون عكس ذلك ، ومع هذا لم يسؤهم ان يرونا مشغولين في صراع لمدة من الزمن يضعفنا ويجعلنا وقت الحاجة اعداء لا يخشى طرفهم . فان مجموعة ما تسمى بالوفاق الثلاثي هي ايضا مسرورة بان ترانا مشلولين مؤقتا بحيث ان قوات الحلف الثلاثي في البر والبحر يقل خطرها لفترة من الوقت (...)

ان نهاية الحرب لا تبدو قريبة . ستتبع تركيا في حكم المؤكد سلوكا في الميدان العسكري شبيها بالسلوك الذي اتبعته دائما في الميدان السياسي اي التسويف . فالقوات التركية ـ العربية في برقة وطرابلس ستستمر ما دام ذلك ممكنا في الاتصال بقواتنا ومحاصرتها في نفس المواقع التي تحتلها وبتقدم قواتنا ينسحبون الى الداخل وستظل تمونهم القوافل القادمة من تونس ومصر حيث انه من الصعب على السلطات المحلية ان تتمكن (اود ان اقول ان ترغب) في اغلاق حدودها في وجه هذه الحركة .

ان الايطاليين لا يملكون وسائل تموينية كافية للعمل في الداخل بقوات تستطيع ان تؤمن النجاح بينما من المحتمل ان يتحاشى العدو فيما يعد باستمرار الدخول في معركة حاسمة . ولنفرض ان وسائل التموين اللازمة قد تتجمع فقد يلزم وقت غير قصير لذلك واني لاخشى ان التاخير سيطفىء في الوطن جذوة الحماس الذي شاهدناه ذلك الحماس الذي ارتفع غالبا بشدة مما لا يمكن المحافظة عليه . فقواتنا ستبقى في طرابلس وبرقة في حالة حرب دائمة لزمن غير معلوم . وهذا خير ما قد ترغبه تركيا .

ويبدو لي مع الاسف ان ايطاليا تجد نفسها في موضع سيء ليس من السهل الخروج منه الا اذا وصلت الى مصالحة تتناقض وتصريحاتها القاطعة السابقة وتطعن كبرياءها . لقد اسرعنا جدا في اعلان حيازة ما لم نحزه بعد بالفعل وهو الاعلان الذي تم بشكل يقطع الطريق على كل تسوية . لقد اشعلنا النار في الجسور وراء ظهورنا وبحماس لا يكاد يخفى خوفنا من التراجع .

لا يمكن للحرب ان تنتهي ، وقد قال ذلك الاتراك انفسهم – الا اذا استطاعت ايطاليا ان تصيب نقطة حيوية للعدو . ولكن النقاط الحيوية للعدو مع الاسف تحميها التحصينات الدبلوماسية على ما يبدو اكثر من التحصينات الحربية . وهذا ما يبرهن اندفاعنا في العملية الافريقية بصورة طائشة . كان يجب قبل كل شيء اعداد خطة حرب كاملة ملموسة ومدروسة بحيث يمكن تنفيذها بصورة خاطفة (. . . .)

فتركيا تراانا في عزلة تقريبا وترانا محاطين بالشك وقلة العطف وتتظاهر بعدم المبالاة تقريبا بما يحدث فوق القارة الاوروبية . انها تنتظر . ونحن ايضا ربما علينا ان ننتظر وسلاحنا جاهز مادامت احداث لا بد منها وقد تكون اقرب مما نتصور قد تخلق حالة جديدة في الولايات البلقانية ، حالة قد تنقذنا من الاخراج ولكن سيستفيد منها الغير بينما سترتفع الصيحات عالية في ايطاليا . (١٩)

لقد تحقق الكثير من توقعات بروساتي بدقة . وخاصة الافتراض بان الحرب مع تركيا لن تكون نزهة عسكرية كما كان يعتقد الكثيرون بل قد تستمر لزمن طويل دون وجود امكانية للحل ما لم تصب تركيا في بعض نقاطها الحيوية . ولا يخفي بروساتي من جهة اخرى كيف ان الصعوبات التي قامت في طريق الحرب منذ المعارك الاولى ، لم تكن نتيجة للعجلة في الاستعدادات العسكرية وحدها بل وفي عدم التبصر في الاعداد الدبلوماسي الامر الذي ترك ايطاليا معزولة تماما وعاجزة عن الحركة خشية خطر الاصطدام بحساسية دول الحلف الثلاثي والوفاق التي كانت تراقب بارتياب واستياء العملية الايطالية .

وكانت اول صدمة اصيبت بها الحملة لم تنتج عن هزيمة عسكرية وانما لاسباب صحية فصلابة التجمع اختلت بسبب انتشار وباء الكوليرا الذي

---

(١٩) المصدر المذكور .

اصابها بعد الانزال . وكان الوباء قد انفجر في ايطاليا كما سبق وذكرنا ــ خلال الصيف . وقد حل الوباء بطرابلس قبل عام وانتهى في ٥ سبتمبر ١٩١٠ فقد وقعت ثلاث اصابات خلال هذا الشهر وارتفعت الى ١٣٢ في شهر اكتوبر التالي والى ١٨٦ في نوفمبر وديسمبر . وظهر المرض من جديد في سبتمبر ١٩١١ وفي ١٣ سبتمبر ظهرت اول اصابة بين الجنود الايطاليين في شخص احد البحارة . وحول الحالة الصحية يوجد تقرير للجنرال سالسا Salsa جاء فيه :

« اتخذ الوباء شكلا مفزعا (. . . .) فالاماكن المخصصة للحجر الصحي البحري كان بها اكثر من طاقتها من المصابين المتراكمين في كل مكان ونفس الشيء كان يقع في المستشفى المدني ، وكثيرا من المساجد والفنادق (أسواق الغلال وغيرها) كانت مليئة بالعرب الذين وفدوا من ضواحي طرابلس وقد حشدوا في المدينة بسبب الحرب . ففي هذه المراكز التي يتجمع فيها الناس البؤساء كان الوباء يحصد الكثير من الضحايا . كثيرون ماتوا بمرض مجهول وقد تركوا في الشوارع حتى يحين الليل فيلقى بهم في ساحة المستشفى المدني » (٢٠)

ولم يشر تقرير سالسا الى عدد الجنود الذين اصيبوا بالكوليرا بيد انه توجد رسالة من سبنقاردي الى بروساتي بتاريخ ٧ يناير ١٩١٢ حوت أرقام الخسائر التي تكبدها الايطاليون ويؤخذ من هذه الرسالة ان عدد الموتى بسبب المرض بلغ في الثلاثة اشهر الاولى من الحرب ٣٧٥ ــ رجلا (سبعة من الضباط و٣٦٩ جنديا) وذلك مقابل ٤٦٦ قتلوا في المعارك (٣٤ ضابطا

---

(٢٠) تقرير عن العمل الذي قامت به الادارة العامة للخدمة المدنية والمكاتب التابعة حتى نهاية مارس ١٩١٢ . الصحة العامة ، موجود في (A.C.S., Pres. Cons. Min. 1912, f. 10) ومن الجنرال سالسا ، انظر كانيفاري كوميسو E. Canevari-G. Comisso « الجنرال توماسو سالسا وحملاته الاستعمارية رسائل ووثائق » ميلانو ١٩٣٥ .

و ٤٣٢ جنديا) . والخلاصة انه من مجموع ٨٤١ ميتا قرابة ٤٠ ٪ منهم ماتوا بسبب المرض . وهي ارقام ذات مغزى . (٢١)

وقد بدت الحالة السياسية والعسكرية في الحال بانها جوهريا تختلف عن تلك التي كانوا يتخيلونها ، والامر الذي كان مفاجاة بصورة خاصة هو عداء السكان العرب الذين كانوا يعرقلون ويترصدون لكل عمل ايطالي وكانت مقاومة الاتراك القاطعة ايضا غير متوقعة . (٢٢) وتجاه الصعوبات التي بدت ملموسة في الحال فقد جرت محاولة الاستيلاء على نقاط حساسة وهامة على الساحل . فاحتلت طبرق يوم ٤ اكتوبر ودرنة يوم ١٨ وبنغازي يوم ٢٠ والخمس يوم ٢١ اكتوبر . وكان اكثر الجميع صعوبة هو احتلال بنغازي الذي قام به الجنرال بريكولا وعرقله البحر الهائج وقاومه بشدة العرب والاتراك (٢٣) وقد استلزم الامر ساعات من قذف القنابل لعدة مرات

---

(٢١) A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 5.'37 عند نهاية الحرب فاق عدد الموتى من المرض عدد القتلى في المعارك (انظر صفحة ٣٦٤) كتب بارزيني الى البرتيني في ٤ نوفمبر ١٩١١ : « الكوليرا تقسو وتسبب ضحايا كثيرة . نحن رجال الصحافة جميعا يجمعنا تفاهم وطني بذلت جهدي في سبيله ـ نحاول ان لا نسيء الى البلاد بالقاء الحقائق في الشارع ، غير ان مسؤوليتنا لا تسمح لنا ان لا نتاثر امام جريمة القيادة التي تخدرت . لا تريد ان تنتج حركة من اجل السلام . كفى من السلام المخزي » . (الويجبي البرتيني : رسائل ـ المصدر المذكور المجلد الاول ص ٢٨) .

(٢٢) لقد لاحظ مارشل في حديث مع قرباسو Garbasso, مراسل دي سان جوليانو من اسطمبول خلال الحرب وذلك في اكتوبر ١٩١١ ، لاحظ ان خمسين الف رجل قد يكونوا دوما ضروريين ومتجمدين في طرابلس « للمحافظة ولى احتلالها وسلطتها في بلد شاسع مثل طرابلس » . ان ايطاليا حسب راي السفير الالماني باسطمبول « لا يمكنها ان تطمع في ان الحكومة العثمانية قد تتنازل لها بدون شك من ممتلكاتها في افريقيا ـ وبمجهو داعظم اضطرت النمسا ان تجند ثلاثة ارباع جيشها من اجل احتلال البوسنة والهرزقوفينا»
(A.S. MAE, Seg. Gen. pa. 42, pos. 17 c f. 643
رسالة قارباسو الى دي سان جوليانو من يترابيا في ٢٠ اكتوبر ١٩١١) .

(٢٣) كان النزول الى شاطىء جليانه الذي تم في ١٩ اكتوبر تمهيدا لاحتلال بنغازي .

وذلك لاجبار القوات المعادية على الانسحاب . (٢٤) وباحتلال النقاط الهامة على الساحل كان في الامكان اعتبار المرحلة الاولى من العمليات العسكرية قد انتهت بحيازة بعض المراكز الرئيسية الساحلية التي يمكن منها مراقبة الحالة التي تبدو الان صعبة ولا يوجد الا توقع ضئيل في ايجاد حل سريع لها . وقد بعث الجنرال كانيفا بتقرير الى وزير الحربية بتاريخ ٦ نوفمبر

---

(٢٤) قص الكابتن لويجي مارينو قائد ناقلة الجنود كاتانيا هذا الحادث ذا المغزى :
كنا نتابع من على سطح الباخرة بالمنظار المكبر البعيد ادوار تقذف القنابل :
وقد راينا بدقة مؤذن كان يلوح من اعلى المئذنة الى الجماهير المتجمعة عند المسجد (٥٠٠) ولم يفت هذا المنظر على بارجة الاميرالية التي قذفت المؤذن بقنبلة فاصابته في الصميم وقد انهارت المئذنة بين سحابة من النيران والدخان غطت المصليين وعندما انجلى الدخان استطعنا ان نرى امواتا وجرحى كثيرين بين الانقاض (انظر باولو مالتيسي — الارض الموعودة — الحرب الايطالية — التركية واحتلال ليبيا ١٩١٢ — ١٩١١ ميلانو ١٩٦٨ ص ١٣٩٠) وفيما يتعلق بالاستيلاء على بنغازي كما روى من الداخل . فهناك رسائل تثير الاهتمام ارسلها مدير فرع البنك العثماني ببنغازي (ج . وانو) ومحاسب البنك (ج . رعد) الى المركز الرئيسي في طرابلس — فالمذكوران بعثا في ٣٠ سبتمبر ليعلما المركز الرئيسي في طرابلس بشيء من الدهشة « ان موظفي بنك روما قد غادروا مكاتبهم وسافروا ايضا » (النص الاصلي بالفرنسية) وفي يوم ٢٤ اكتوبر بعد اربعة ايام من الانزال كتبا ما يلي : « ان العرب قد قاوموا بحرارة وللتغلب عليهم اطلق الاسطول قنابل حتى في الليلة ما بين ١٩ و ٢٠ الجاري بدون اي تمييز في الاتجاه . وهكذا فمن بين المنازل التي اصيبت باضرار فادحة نجد منزل قنصل انكلترا وقنصل فرنسا والكنيسة الكاثوليكية ومقر بنك روما الجديد الذي لم ينتقل اليه بعد ومسكن السيد وانو الذي انهار كما كان من السهل توقعه . » وفي يوم ٣١ اكتوبر : « ان بنك روما في مدينتنا من المحتمل انه اراد ان يستفيد من الوضع فحجز لحسابه جميع المساكن الشاغرة التي كان يسكنها الموظفون الاتراك واخذ في المضاربة بتاجيرها باسعار مرتفعة جدا (الاصل باللغة الفرنسية) وكثيرا ما حوت هذه الرسائل اخبارا عن حالة الفزع السائدة ببنغازي للاخبار القائلة بوجود العرب على بعد بضعة كيلومترات من المدينة وعن الكساد التام لجميع النشاطات التجارية التي زادها حدة رفض بنك روما القيام باية عملية « محلية » او خارجية (رسالة بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩١١) توجد هذه الرسائل في (A. MAI, pos. 178/1, f. 10) وفيما يخص احتلال بنغازي انظر جوليانو بوناتشي — اخر ايام بنغازي التركية — روما ١٩١٢ .

١٩١١ وضح فيه الوضع وقد استهل قائد الحملة تقريره بالتاكيد بصورة واقعية على ان « الحالة السياسية » التي يجد الايطاليون فيها انفسهم بعد الانزال كانت تختلف جدا عن تلك التي كان من المؤمل ان توجد بعد الانزال على هذه الشواطىء » . واضاف كانيفا بعد ذلك قائلا :

« ان المراكز الساحلية والقريبة من المراكز الداخلية برهنت ولا تزال على انها معادية لنا بصورة عامة ، ومن المؤكد ـ وفقا لدلائل لا يلحقها الشك ان عداءهم لنا خاصة في طرابلس يستند ويتغذى من التعصب الديني . ولهذا فمن المعقول ومن الاصوب الافتراض ان شعور السكان الحالي تجاهنا قد يكون عميقا وشديدا ويكون واقعا لازما بالنسبة لسير عملياتنا العسكرية (٢٥) .

وبعد الاشارة الى تاثير الدعاية التركية في الجماهير العربية (٢٦) لاحظ كانيفا ان الوضع الذي توجد فيه الحملة كان يؤدي الى نتيجة واحدة « معقولة » وهي ان من المناسب « في الوقت الحالي اعطاء الاسبقية للعمل السياسي على العمل العسكري الصرف او ما هو اصلا عسكريا » ولم يكن هدف اعتبارات كانفيا هذه الوحيد الحالة المباشرة او الوقتية وانما كان يرمي الى رؤية ابعاد مستقبل الوجود الايطالي في ليبيا .

« ان كون التعصب الديني في هذه الشعوب واقعي وايجابي ، فلا يجب ان يشغلنا عن الفكرة الاساسية وهي انه يجب يوما ما ان نحكم هذه الشعوب بفن الاسلام المنتج والرخاء المشترك ومن المناسب لنا ان نعجل

---

(٢٥) الوثيقة نشرت في ـ وزارة الحربية ـ المصدر المذكور المجلد ٢ (روما ١٩٣٢) ص ٢٩ ـ ٢٢٥ .

(٢٦) ان هذه الدعاية التي كان قصدها ـ حسب قول كانيفا ـ « اقناع الناس ان احتلالنا غير نهائي ولا يرمي الى ابدال الحكومة العثمانية بالايطالية وانما غايته الحصول على بعض الامتيازات التجارية والاقتصادية او على الاكثر الحصول على حماية يعود معها الوطنيون الى الحكم التركي الذي سيتقدمون اليه الحساب من مواقفهم وتصرفاتهم الحالية .

بحلول ذلك اليوم وبكل وسيلة . - وبناء عليه وبصرف النظر عن اي اعتبار عسكري يبدو واضحا انه من الاصلح لنا ان لا نشرك العرب والاتراك في عمل عسكري متسرع ونعمق بذلك وبصورة محتومة فجوة الدماء التي مع الاسف اضطرتنا الضرورة القاسية الى حفرها ما بيننا وبين رعايانا المقبلين بحيث قد زدنا اكثر من تعصبهم الديني وارتباطهم بتركيا وهو ما يوده هؤلاء » . (٢٧)

ونتيجة لهذه الاعتبارات ولد التاكتيك الانتظاري وكسب الوقت الذي اتبعه الجنرال كانيفا الذي كان يستبعد « عمليات حربية هجومية مباشرة » وتاكتيك كانيفا الذي واجه كثيرا من العداء في ايطاليا كان قائما على تروٍ حكيم . ومن المؤكد انه كان وراء حذر كانيفا هذا شبح عدوه الذي منذ اول مارس ١٨٩٦ يقلق منام السلطات العسكرية الايطالية . (٢٨)

والاسباب التي كان كانيفا يبرر بها خط سير هذا كانت على ما يبدو مطبوعة بطابع الواقعية الواعية وشعور سام بالمسؤولية . وقد استطاع بسلوكه هذا ان يمنع ان تتحول الحرب في ليبيا ايضا الى كارثة ومذبحة . فقد ادرك ان هجوما كبيرا نحو الداخل ليس فقط مليئا بالخدع والعثرات بسبب طبيعة الارض وعدم وجود طرق مواصلات والاف الاخطار التي كانت تخفيها حرب العصابات الايطالية — التركية بل قد تثبت عدم فائدتها بسبب طوبوغرافية البلاد نفسها و « ان الصحراء المفتوحة من جميع الجهات » كانت لا تسمح باحتلال نقط رئيسية لانها قد تكون معرضة للتطويق من جميع الجهات .

«« ان عملا عسكريا من هذا النوع — كتب كانيفا في تقريره الى وزير

---

(٢٧) المصدر المذكور ص ٢٢٦ .

(٢٨) كتب جواكينو فولبي : « ان شبح عدوه لم يتلاش كله بعد : تذكير سليم بالحذر ولكنه حذر لا ادري كيف يتفق مع الحرب التي هي دائما لا تعرف الحذر تقريبا . (جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٦٩) .

الحربية — في المناطق مثل هذا النوع هو دائما من الاعمال التي تحتاج الى التأمل فيها واعدادها بتعمق وانها بصورة عامة لا يحسن القيام بها بدون مساعدة قوات وطنية معتدلة وخفيفة وخبيرة بالمواقع ولكن في وضعنا الحالي مثل هذه العمليات جديرة بالتروي الخاص ، وليس من المناسب التسويف في التحديد بالارقام الكميات الضخمة من وسائل التموين التي قد يستلزم اعدادها للقيام بهجوم نحو الداخل مهما كان حجمه وهو هجوم لايمكن تحقيقه في الظروف السياسية — العسكرية الراهنة الا بقوات كبيرة ، دون حساب العدد الكبير من القوات التي قد تبتلعها ضرورة حماية خطوط المواصلات وسط سكان يناصبوننا اليوم العداء ودون التفكير في الاحتمالات الصحية للحملة التي عليها ان تعمل في هذه المناطق ومواجهة فصل الامطار واتعابها وهي فيما يتعلق بطرابلس قد تكون لا تزال تطاردها الكوليرا التي تتفشى الان بين الجنود وتقسو على السكان وتحصد الارواح الكثيرة في ميدان الاعداد مع احتمال تلويث المياه والاماكن التي قدم تتقدم فيها قواتنا » (٢٩) .

وفي الخلاصة فان كانيفا كان لا يريد ان يحول حملته الى شبه « جيش لا يغلب » موزع ومضطرب على اعتاب الصحراء . فقد كان يرى انه من الضروري جعل القواعد الايطالية على البحر منيعة والقيام بمراقبة الشواطىء وابدال الحرب الحقيقية » بصراع مالي مع الحكومة العثمانية » المضطرة الى مواجهة نفقات باهظة لمواجهة التموين» عن طرق غير مباشرة ومرتفعة التكاليف » وعلى كل فان قائد القوات الايطالية بليبيا يرى « ان موقف السكان العرب الغير منتظر تجاهنا ، اذا ما استمر لوقت طويل فقد يخلق « حالة خطيرة بدون شك » مع وجود الخطر في أن يهتز عسكريا وماليا كيان وفاعلية الامة في حالة حدوث اي طارىء في اوروبا (٣٠)

---

(٢٩) وزارة الحربية ، المصدر المذكور المجلد الثاني ص ٢٢٧ .

(٣٠) المصدر المذكور — ص ٢٩ — ٢٢٨ — بالنسبة لكانيفا انظر حكم كارلودي بيازي المصدر المذكور ص ٥٠ — ٢٤٥ .

وقد شارك الجنرال بريكولا قائد العمليات الاعلى في برقة الجنرال كانيفا في توجيهاته ، وقد كتب كانيفا الى وزير الحربية في تقرير « سري جـدا وخاص » بتاريخ ٢٧ مايو ١٩١٢ يقول : « ان تصور الجنرال بريكولا للحالة في برقة يتفق تماما وتصوري للحالة المحلية في طرابلس والحالة في ليبيا بصورة عامة . (٣٢)

وكان اكثر الناس معارضة لسلوك الحرب هذا ـ بالاضافة طبعـا الى الصحافة التي ارادت الحرب والتي كانت ترى انه من الجبن عدم فك الحصار عن الوضع بالقيام بعمليات هجومية ، كـان جوليتي ودي سان جوليانـو اللذان كانت تقلقهما قبل كل شيء اعتبارات السياسة الخارجية ، وتبرهن على ذلك رسالة بعث بها سبنقاردي الى بروساتي في ٢٠ نوفمبر ١٩١١ . فقد استدعى رئيس مجلس الوزراء وزير الحربية الى قصر براسكي (رئاسة الوزارة) وقد وجده « متاثرا من جديد من عدم حركة كانيفا » وتحدث جوليتي الى سبنقاردي عن :

---

(٣١) المصدر المذكور ص ٢٤٧ ـ جوفاني ميرا في مذكراته يصف بريكـولا في برقة كما يلـي :
« الجنرال اوتافيـو بيكولا كان شيخـا جميلا من عود نبيـل وذا ابتسامـة ابويـة . اعتقد انه يترجم بدقـة التعليمات التي كانت تصلـه من رومـا فيمـا يتعلـق بسيـر الحـرب وحكومة المستعمـرة الجديدة . حـذر وصبر قبـل كل شيء : تامين الاستيلاء على المراكـز الساحلية وتحصينها جيـدا والاحتفاظ بقـوات كبيرة فيها وعـدم المغامرة خطـوة واحـدة نحـو الداخـل المخاتـل اذا لم تكن متاكـدا من التفـوق الساحـق . لا مغـامرة : البقـاء بـدون حركـة خيـر من التعرض للضربات . فقد كانت ذكرى عـدوه حاضرة كظـل قائم وقـد كان من الضروري جدا تجنب امكانيـة حـدوث نكسة تلحـق العـار بالثقـة والشجاعـة والحماس الذي بعث في البـلاد . وبالاضافة الى هـذه التوجيهـات فان القائـد الاعلـى للحملـة الجنرال كارلو كانيفا الذي كان يقيـم بطرابلس قـد اضاف حـذره الشخصي وطبـع به اتباعـه وقد كانت خاصية مشتركـة لكثير من قوادنـا في ذلك الوقت وفيمـا بعـد وهي الخـوف من المبـادرة والمسؤولية الناتجـة عنهـا .
وفي الخـلاصة فان اشجـع قوادنـا في الحـرب الليبيـة من المحتمل انه كان رئيس الحكومـة الذي اشرف على السبعين جوفاني جوليتي الذي تجاسر وامـر باحتـلال جـزر الـدوديكانيز ليضغط على تركيـا من قـرب ويضطرها الى التسليـم (جوفاني ميـرا G. Mira المصدر المذكـور ص ٦٣ ـ ٦٢) .

« برقيات واردة من طرابلس كانت تتحدث عن القنابل التي تنهال يوميا على المدينة وعن الاستياء العام وعن وضعنا كمطوقين الامر الذي جعلنا محط استخفاف امام العالم وعن الاربعين الف رجل الذين يهزمهم خمسة او ستة الاف عربي ، وعن وضعنا المتزايد في الصعوبة تجاه الحكومات الاجنبية وعن السلام الذي لا يزال دائما بعيدا وعن غير ذلك »

وتحدث جوليتي ايضا باسم دي سان جوليانو بحيث استطاع التاثير على وزير الحربية . وقد اهتز للامر ايضا بولليو رئيس الاركان . (٣٢)

وفي الواقع فان سبنقاردي وبولليو وان لم يبخلا على كانيفا بالنقد الا انهما كانا متضامنين مع قائد الحملة . (٣٣) ولكن الامر الذي كان يضايقهما بصورة خاصة هو تدخل السياسيين في الشؤون العسكرية واصدار احكام دون ان يكونوا على المام بواقع الحالة ومناقشة المسائل العسكرية بدون دراية بتاتا وذلك لوقوعهم تحت ضغط اسباب داخلية او دولية (٣٤) وقد بلغ

---

(٣٢) A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. 36, n° 319

(٣٣) كتب بولليو في ١٦ مايو ١٩١٢ الى بروساتي : « ليس هناك ما يعمل كما ترى . الجنرال كانيفا يجيب دوما مبديا اسبابا . يمكن الاعتراض بانه لم يتحدث الا نادرا من مزايا العمليات ولا يلقي الضوء الا على المساوي والصعوبات . ويفعل ذلك بشكل لا يترك مجالا للرد عليه يمكن النقاش واني اناقش ما يتعلق بالماضي خاصة ولكن من يستطيع ان يحكم على ما قد يقع لو كان الاتجاه غير ذلك ؟ وماذا قد يحدث اذا تغير اليوم الاتجاه ؟ »
وقد ارفقت بالرسالة برقية كانيفا التالية من طرابلس الى بولليو بدون تاريخ ولكن يحتمل ان تكون في النصف الاول من مايو » (...) انه من واجبي قبل كل شيء ان اؤكد من جديد انه ما دامت قائمة مقاومة العرب العنيفة الجماعية لكل السكان وما دام لديهم الفعالية الحربية لحرب عصابات عامة فيجب ان تسقط اطلاقا اية محاولة للتغلغل من اية قاعدة من قواعدنا باستثناء غروه وبالاقتصار على قطع طرق القوافل » . (A.C.S., A.B., sc. 9, b. VI. 3. 35, n° 193)

(٣٤) كتب من جديد بولليو الى بروساتي في ٢٤ مايو ١٩١٢ : « ان الفكرة بان كانيفا بمجرد نزوله الى البر كان عليه ان يتعقب الاتراك وانه ارتكب خطا رئيسيا لعدم قيامه بذلك فهذه الفكرة تاتي من الاعلى . ان القول بان من غريان تحكم جميع طرابلس هو قول احد وزراء الخارجية السابقين (ابداها امامي) وكذلك فكرة الصعود مع حدود برقة وطرابلس ؟ ثم الضغط بالسامدين » فهي ايضا فكرة

الخلاف بين السياسيين والعسكريين ذروات حادة من التوتر. ففي يناير ١٩١٢ قامت بين جوليتي ووزير الحربية سبنقاردي« مناقشة حادة » اخرى تقرر خلالها استدعاء كانيفا الى روما لبحث الحالة العسكرية ، وجاء في حديث لجوليتي ادلى به الى صديقه المحافظ اناراتوني Annaratone انه قد اشار الى عدم قدرة كانيفا على القيادة العليا التي اسندت اليه واحتفظ بها لانه محمى من الاعلى» ونفس الاستياء ابداه جوليتي بالنسبة لسبنقاردي الذي لم يعد يحظى » بكل عطفه (٣٥) ولم يفد مجيء كانيفا الى روما في يناير ١٩١٢ في اقناع جوليتي ودي سان جوليانو بضرورة الاستمرار في تاكتيك التاني (٣٦) .

وكان رئيس اركان الحرب بولليو يرى — من جهته استحالة ايجاد حل للحرب الليبية اذا لم تتم عمليات ضد تركيا في بحر ايجة والدردنيل . وقد كرر اراءه هذه في عدة مذكرات خلال شهري مايو ويونيو ١٩١٢ . وبالطبع فان بولليو لم ينتبه للجانب الديبلوماسي للمشكلة الذي كان

وزير خارجية سابق . فهؤلاء وغيرهم برهنوا على جهلهم بالمسائل العسكرية وهم يصدرون احكاما ويعطون نصائح ترتعد لها الفرائص (المذكور رقم ١٩٩) .

(٣٥) مذكرة بروساتي بدون تاريخ (يناير ١٩١٢) موجودة في
(A.C.S., A.B., sc. 10, b. VI. 5. 37, nº 356)

(٣٦) بخصوص زيارة كانيفا الى روما ، انظر رسالة تيتوني الى دي سان جوليانو في ١٤ فبراير ١٩١٢ موجودة في (A.S. MAE, Segr. gen. pa. 43, pos. 17/p., f. 646)
فقد اراد كانيفا ان تترجم توجيهاته الى اشعار سهلة توزع على الجنود .
وصدرت الوصايا العشر التالية : « لا تهمل البندقية — هي وحدها تستطيع انقاذك . اطلق قليلا وصوب جيدا — وستصيب العدو — وفر المياه ولا تبذرها — لانه من الصعب العثور عليها — كن حذرا وشجاعا — ولا تركن كثيرا الى الاعتداد لا تتعرض لنسائهم ولا لاهلهم — لا تهرب فلن يسخر منك فحسب — بل ستقتل ايضا .
في طريق الشرف — اتبع دوما رئيسك — شجاع واحد يهزم مجموعة كبيرة — العدو واقف ينتظر — استعمل السونكى — وليكن دليلك دوما : شرفك والوطن والملك » .
وكتب دي بيازي ان بولليو عندما استلم صورة من هذه الاشعار علق عليها ببيتي شعر من تاسو وامر بحفظها قائلا مجانين ام غير مجانين فان كانيفا يهوى هذه الاشياء » كارلو دي بازي Carlo De Biase المصدر المذكور ص ٥٠ — ٤٤٩ .

واضحا لدى بروساتي الذي كان مراقبا نبها وحادا لكل المسالة وفي تاشيرة على هامش مذكرة لبولليو في ٤ مايو ١٩١٢ كتب بروساتي :

ملاحظة : الجنرال بولليو يقول اشياء سليمة ولكنه نسى ان عدم وجود مفهوم واضح للحرب، وان احترامنا الكبير للدول الاوروبية ذاك الاحترام الذي جعلنا نغضب الجميع حتى لا نغضب احدا ، وان عدم القيام في اول الحملة باعمال حاسمة خاطفة تضطر الحلفاء والاصدقاء الى قبول الامر الواقع تكون مجموعة من الظروف لا تزال حتى الان تخيم علينا مثل الكابوس (٣٧)

وان ملاحظات بروساتي كانت تعكس الوضع الصعب الذي كانت الحكومة تجد فيه نفسها . وقد ترك اعتراض اهرنتال بعدم اتساع الصراع خارج ليبيا ترك ايطاليا في طريق مسدود بالفعل نظرا لانه اذا كان تقريبا من المستحيل ـ حسب راي كانيفا ـ حل المسالة الليبية بالقوة ما دامت المقاومة العربية قائمة فانه من المستحيل ايضا اخضاع تركيا بعمليات لها بعض الوزن خارج افريقيا الشمالية اذا اريد تجنب مواجهة مضاعفات دولية غير متوقعة بالمرة (٣٨) .

ولم يقتصر الحكم السلبي على عدم حركة كانيفا على جوليتي ودي سان جوليانو وحدهما فالقسم الاكبر من الراي العام الذي طالب بالحرب بصوت مرتفع كان يشعر ان هذا التسويف خيانة له . لقد نظر الى الحرب كمغامرة بطولية جميلة والان عندما عرف ان الجنود الايطاليين كانوا يحصنون مراكزهم الدفاعية وينتظرون في الخنادق بان تحل الحرب في مكان اخر فقد

---

(٣٧) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 3. 35 nº 193

(٣٨) كتب كوارد وزولي في هذا الخصوص الى بروساتي من طرابلس في ١٤ ديسمبر ١٩١١ :
« (...) اخمن ان الحرب التركية الايطالية يجب ان تكسب هنا بسبب تلك القيود التي اشرت اليها في رسالتك اخيرا ، قيود ظالمة وغير منطقية وقد يكون من العبث الامل في التخلص منها لان القتال في بحر ايجه لا يمكن الا ان يكون له وجهان : امّا سهلة وعندئذ سيضحك الاتراك كما يضحكون من مكاسبنا في طرابلس واما فعاله وحازمة وعندئذ ستمس مصالح الاخرين الذين بالطبع لن يوافقوننا على المساس بهم بصورة غير مباشرة » (A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 2. 34, nº 14)
بالنسبة للاعتراض النمساوي انظر ص ٣٠١ وما يتبعها .

خلق ذلك شيئا من الاحراج والاستياء وبدات الانتقادات تنهال على كانيفا (٣٩) .

وكان بعض الضباط بالجبهة بصورة خاصة لم يبخلوا على الجنرال كانيفا بلومهم القاسي . وكان قلق هؤلاء النقاد الاكبر هو الخطر في ان الجنود مع طول الوقت قد ينهارون نفسيا ويصابون بالجبن ويتعودون على الراحة حتى اذا ما جاء وقت القتال فقد يحتاجون الى الضرب لانتزاعهم من تحت السقوف (٤٠) . وقد قال بومبيو كاميلو انه كان « مؤلما » رؤية جنود مثل جنودنا مضطرين الى عدم الحركة المطلقة » . وان تتحول الخنادق الى اماكن نصف دائرة دائمة مرتفعة ومدعمة بالاغصان ومجهزة بوسائل الدفاع الملحقة : ان الرغبة التي يعبر عنها الجميع هي القيام باي شيء » (٤١) وكانت هذه الرغبة بالنسبة للضباط هي : « الخروج من حالة الحصار او على الاقل ان ينتقلوا الى حالة محاصرين يستطيعون الخروج » . اما الجنود فكانوا

---

(٣٩) كتب لويجبي بارزيني من طرابلس الى البرتيني في ٤ نوفمبر ١٩١١ : « لا ادري حقا باي مقياس اختير هذا الجنرال • انه يشعرني بانه رجل غبي ومنتهي ومهزوم • ليس لديه ذرة من القوة ، يتحدث بصوت كصوت المحتضر ، ليس لديه فكرة وياسف لان خطته الرامية الى اللامركزية ليعمل في طرابلس اولا ثم ليعمل في برقة لم يوافق عليها • انه لا يعرف اين يتجه كل شيء يفاجاه • لا يخرج ابدا ابدا ابدا من القلعة (السرايا) • يقضي لياليه مؤرقا يائسا • انه لمفجع اذ لا يستطيع ان يتخذ قرارا فهو متردد ولا يستقر ويؤجل • لم يذهب الى المراكز • اقسم بشرفي انه لو لم يقولوا انه يساوي بعض الشيء على المكتب لاعتبرته بطلا في العبط (٠٠٠) لقد راينا ثلاثين الف رجل ينتظرون نهارا وليلا امام المجهول — لا شيء . كانوا يقولون ان خنادقهم البائسة كانت مثالية . ثم غيروا فكرتهم واعطوني الحق بعد فوات الاوان • انه لن السخف الكبير ان اربعة مدافع تطلق علينا القنابل من تحت انوفنا . الاتراك يتسلون ، يضعون مدافعهم على بعد خطوتين منا ويعاملوننا كما كان الاوروبيون يعاملون الملاكمين الصينيين • سينتهي الامر بهم ان ياتوا ليتبولوا علينا • انهم يظهرون للعرب انهم الاقوياء — اننا محاصرون لا شك في ذلك » • (لويجبي البرتيني المصدر المذكور المجلد ١ ص ٢٧ — ٢٥) •

(٤٠) المصدر المذكور ص ٢٨ .

(٤١) A.C.S. المصدر المذكور رقم ٩ — رسالة بومبيو كاميللو الى بروساتي من طرابلس ١٩ نوفمبر ١٩١١ •

بالعكس في الخنادق « في مزاج طيب » ولا يطلبون اكثر من البقاء » (٤٢) وهذا كان يشكل — كما يرى كاميللو — « مدرسة سيئة للجندي تفقده الشجاعة » . (٤٣)

وكان لويجبي كابيللو الذي سيكون موضع الحديث الكثير بعد بضعة سنوات بمناسبة كابوريتو (٤٤) عام ١٩١٧ كان برتبة ماجور جنرال قائدا للمنطقة الغربية . وقد كتب الى الجنرال راني في ٢٠ أبريل ١٩١٢ منتقدا هو ايضا بحرارة تاكتيك كانيفا الانتظاري فقال : « هذه الحرب الدفاعية قد انتهت بضمور كل شعور المبادرة والهجوم » وقد يتطلب « وقت طويل بعد الصلح كي نزيل الكثير من الاراء الخاطئة ونعود الى التربية التي تتفق ونظام الحرب الوحيد المؤدي الى النصر » واضاف : « فكرة الدفاع قد خلقت عددا من انبياء » تاكتيك الملائمة « الذين يبشرون في كل ركن من الميادين وفي المخيمات باننا ما دمنا محصنين فمن الضروري انتظار مجيء العدو وليحطم راسه بنفسه وذلك بدون شك اكثر صحة من تاكتيك الهجوم حتى ولو كان قائما على فكرة هجوم استراتيجي » (٤٥) .

---

(٤٢) المصدر المذكور .

(٤٣) A.C.S. المصدر المذكور رقم ٥٣ رسالة بومبيو كاميللو الى بروساتي بتاريخ ٢٠ ابريل ١١٩٢ . كتب كاميللو يقول في نفس المسالة : « منذ بعض الوقت تلقت الايات الفرسان امرا قاطعا بعدم البحث عن العدو واذا ما قابلته لا لا تشترك معه مطلقا في معركة . لا انوي حقا ان اناقش اوامر لها بالطبع مبرراتها ، غير انه من الطبيعي ان التوصية اليومية « بان يكون الفرسان حذرين » تسيء الى السمع ويؤسف لها قليلا . الفرسان والحذر شيئان يجب ابعادهما عن بعضهما حيث ان فرساننا حذرين في الارض العارية يصبحون فرسانا خائفين » . وقد اشاد كابيللو بشجاعة العرب واقدامهم : « انه امر لا يصدق ويثير الاعجاب في نفس الوقت للشجاعة التي يدبيها عشرون او ثلاثون عربي عند ما يهجمون على الخنادق ويموتون وكثيرا ما يتركون احدهم بين الاسلاك الشائكة ومقصه بيده .

(٤٤) انظر لويجبي كابيللو ، « لماذا كابوريتو ؟ » وضعه رينسو دي فليتشي R. De Felice تورينو ١٩٦٧ .

(٤٥) A.C.S., C.P., b. 1, f. 1. يوجد محفوظ في نفس الملف « يوميات كابيللو عن الحملة الليبية » . وقد ذكرت فيها كافة العمليات العسكرية التي قام بها . لا تكتسب اهمية خاصة سوى من وجهة النظر العسكرية وتفتقر الى ملاحظاته الشخصية .

ويقرأ في مذكرة كتبها الجنرال كابيللو نفســـه يحتمل ان تكون في عام ١٩١٣ نقد جديد مفصل لتاكتيك كانيفا وبريكولا الدفاعي .

« ان الحرب قد سيرت في تلك المنطقة (درنة) بطريقة مضحكة !! لا اجد كلمة اخرى اكثر ملائمة . لم يواجهنا ابدا اكثر من ستة او ثمانية الاف رجل اغلبهم غير نظاميين (ربما هذه الارقام ايضا مبالغ فيها) . ولم يكن لدي العدو اكثر من اربعة او ستة مدافع قديمة عيار ٨٧ر٠ مع القليل من الذخيرة الرديئة جدا . وقد وصـــل عددنا نحن الى ٣٠ الفا رجـــل مزودين باكثر من خمسين او ستين مدفعا من جميع الاعيرة حتى عيار ١٤٩ من الصلب المطول لا اريد ان اعلق ! »(٤٦)

ولا شك انه كانت هناك اسس حقيقية لهذه الانتقادات التي وجهت الى كانيفا غـــير ان اكثر النقادين الضبـــاط كانوا يفكرون بعقلية دراسات الاستراتيجية التي تلقوها في الكليات العسكرية حيث تعلموا ان سير الحرب او المعركة يوضع حسب النظم التقليدية الخاصة بالحروب الاوروبية . اما في ليبيا فهذه الخطط لا يمكـــن القيام بها فالحـــرب قد تحـــولت الى حرب عصابات بجميع الخدع التي تستعمل في مثل هذا الصراع اضف الى ذلك الاخطار الناتجة عن سوء معرفة المناطق وخاصة تكوين الارض وشدة عداء وشجاعة العدو واخيرا الشك المستمر خلال العمل بان تحت كل عنصر من السكان المحليين قد يختفي عدو قوي .

□◆□

لقد ذكر ان السبب الاساسي الذي من اجله سلك كانيفا تاكتيك الانتظار واستحالة حل الحرب الليبية بالقـــوة كانت المقاومة الـــتي ابداها السكان المحليون . هذا هو الحدث الجديد المزعج في الحرب الايطالية ـــ التركية الذي فاجاء الراي العام الحكومة والعسكريين وكيف جميع سير الحملـــة الليبية . ويمكن القول ان مختلف المشاكل المتعلـــقة بسيـــر الحرب ووضع

(٤٦) المصدر المذكور ـــ مذكرة بعنوان : « دائما في موضوع التلميح » .

ايطاليا الصعب الذي وجدت فيه نفسها في الميدان الدبلوماسي والعداء في اغلبه الى الموقف العدائي الذي وقفه العرب ضد الجيش الايطالي . لقد الشديد الذي ابدته الصحافة الاجنبية ضد الايطاليين ، كل ذلك كان يعود كانت مقاومة حازمة لا يمكن فهمها على ضوء بعض مظاهرها الا بعقلية وقياس العالم العربي .

ان قرار الحكومة الايطالية المفاجا باختصار الوقت واتمام عملية احتلال ليبيا في اخر سبتمبر ١٩١١ لم يساعد بالتاكيد على الاعداد النفسي والسياسي المناسب لدى سكان الاقطار المراد احتلالها . فان قلق دي سان جوليانو في صد تحركات الدبلوماسية الالمانية والنمساوية جعل وزير الخارجية الايطالية يقلل من الاهمية والدور الذي قد يلعبه العنصر العربي المحلي خلال الحرب . وسبق في رسالة دي سان جوليانو الى جوليتي بتاريخ ٣٠ اغسطس المذكورة ان اظهر عدم تقديره الكامل لاحتمال مقاومة العرب : فقد اكتفى بالافتراض بان الوطنيين سيكونون مع الاقوى وفكرة عطف العرب على الايطاليين كانت منتشرة جدا في البلاد وكانت النغمة المتكررة في مراسلات بفيوني وكوراديني وبياتسا من طرابلس . فحسب اقوال بفيوني ان العرب يرون في ايطاليا الدولة « المقدر لها ان تفعل ببلادهم ما فعلته انكلترا وفرنسا في الشرق والغرب » (٤٧) وكتب قوالتيرو كاستيلليني في ذكرياته عن رحلته في طرابلس وتونس يقول : « العربي والاسرائيلي في

---

(٤٧) جوسيبي بفيوني • المصدر المذكور ص ٢٥ ـ ٢٤ • سال بفيوني في نهاية مايو ١٩١١ اعضاء بعثة سفورزا « اذا كان السكان لصالحنا ! » فاجابوه :
« انطباعنا هو انه اذا وقع تغيير في النظام فجميع السكان سيكونون في صفنا • سمعنا في مكان ما انهم يفضلون الخنازير على الاتراك ـ ولعلك تدرك معنى هذه العبارة عند ما تخرج من فم مسلم • فالعرب يرون ان هوية الايطاليين هي بنك روما ، فيتحدثون في كل مكان عن بنك روما وعن مديره بريشاني بعطف واحترام . وقد نال دقيق مطحن البنك الذي بدا يصل الدواخل نجاحا كبيرا وهو عامل دعاية لا يقدر لوان الكفالير بريشاني يقرر القيام برحلة للدواخل فسيستقبل استقبالا عظيما في كل مكان كما يستقبل الشريف المنحدر من سلالة محمد » . (المصدر المذكور ص ٩٦) .

هذه البلاد لا يحبون التركي . جميع الاسرائيليين تقريبا يعرفون اللغة الايطالية — والعرب لديهم كراهية متأصلة للاتراك الذين لا يفعلون — كما هو معلوم — اكثر من جبي الضرائب (...) أن العرب قد يرون بفرح حلول دولة تعرف كيف تجلب الازدهار الى بلادهم » (٤٨) ونفس الاعتبارات جاء بها فيكومانتقاتسا في ٢٧ اغسطس ١٩١١ وهو من ابرز المعلقين في السياسة الخارجية وكان يرد على حديث مع صحيفة « جورنالي ديتاليا » فقال : « السكان العرب (...) يكرهون التركي . فمثل ما هو واقع في جزيرة العرب وفي كل مكان يعتبرون التركي مغتصبا . اما العطف فاغلبه موجه نحونا .»(٤٩)

وبعد قليل من ذلك دلت التجربة المباشرة على عدم صحة هذه الاراء التي لم تكن سوى افتراضات بسيطة ووسائل دعائية . فالرصاصات الاولى التي اطلقت من مساكن طرابلس ضد رجال بحريتنا دلت في الحال على مبلغ الصعوبات التي قد يخلقها الوطنيون ضد احتلالنا العسكري . حتى بفيوني نفسه اضطر بعد عام الى تغيير رايه وذلك عندما كتب في صحيفة « لاستامبا » في ٢٧ سبتمبر ١٩١٢ : « كان الجميع يعتقدون منذ عام — باستثناء ربما النائب جوليتي — ان ليبيا قد تحتل دون مجهود عسكري كبير فالمقاومة العربية دمرت جميع التوقعات (...) » (٥٠) .

ومع هذا فلم تغب عن الحكومة معلومات دقيقة عن الحالة المحلية كانت تتطلب ضرورة اعداد يقظ صادق لتجنب المفاجآت . فانسابانو على سبيل المثال لفت نظر جوليتي اكثر من مرة — في تقاريره — عن هذا المظهر من

---

(٤٨) — قوالتيرو كاستيلاني — تونس وطرابلس المصدر المذكور ص ١٩٤ .

(٤٩) فيكو مانتيقاتسا ، « مسائل في السياسة الخارجية » — المصدر المذكور ص ١٢ . بالنسبة للسوابق التاريخية بطرابلس قبل الاحتلال الايطالي — انظر ايتورى روسي — تاريخ طرابلس والقطر الطرابلسي منذ الاحتلال العربي حتى عام ١٩١١ — اشرفت عليه ماريانالينو — روما ١٩٦٨ .

(٥٠) جوسبي بفيوني — ميزانية اثنى عشر شهرا من الحرب — في « لاستامبا » تاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩١٢ .

المشكل . فقد كان يرى من الضروري جدا ان تسبق العمل العسكري سياسة تقارب من العنصر المحلي .

« اود فقط ان الاحظ — كتب انسباتو الى جـوليتي من طرابلس يوم ٨ اغسطس ١٩١١ — ان اليوم بصورة خاصة تفرض الضرورة علينا ان نصادق السنوسيين ليس من اجل اسباب تجارية وغيرها وانما توقعا لاحتلال ممكن ففي هذه السنوات الاخيرة بالفعل قد تسلح جميع السكان ببرقة ولا يوجد ولد يبلغ الرابعة عشر من عمره الا وفي حوزته بندقية ماوزر او مارتيني (...) فاذا وقع احتلال عسكري قد نجد انفسنا تجاه شعب مسلح اذا ما عادانا قد يجعل الاحتلال اذا لم يكن مستحيلا فعلى الاقل صعبا ودا‌ميا » (٥١) .

وفي عشية الحرب لم يفعل الا القليل اولا شيء في سبيل استقطاب ود العرب نحونا . وقد جرت بعض المحاولة خلال الصراع ولكن قد فات الاوان ولم تكن دائما الطرق التي طرقت الافضل واركثر فعالية . وكان كارلو تالي نائب القنصل الايطالي بطرابلس الذي شغل مكان القنصل الجديد ميركاتيللي الذي عين مؤخرا بدلا من بستالوتسا ولكنه لم يكن قد استلـم مهام عمله الجديد . قد شغل تالي منصب القنصل بتريستا في عام ١٩٠٥ حتى نهاية يونيو ١٩١١ . وعندما استقبله دي سان جـوليانو في انتيكولي يوم ٢٢ يوليو قبل سفره الى محل عمله الجديد دعاه الـى ارسال « اكثر المعلومات الممكنة عن كل شيء » وان يتصرف « بحذر مع التشدد في رعاية مصالحنا » وان يتجنب « مواقف استفزازية » . وبين دي سان جوليانو الى تالي فكرته عن التنظيم الاداري لطرابلس مستقبلا .فقد كان يفكر في انشاء ايالة على غرار تونس يعين علـى رأسها حسونة باشـا قـرة منلي رئيس بلدية

---

(٥١) A. MAI, pos. 103/3 f. 23. كتب انسباتـو من طرابلس الى جـوليتي مـرة اخـرى في ١٢ اغسطس يقـول : « السنوسيون الذين يسيطرون على برقـة سيطـرة تامـة لهم نفـوذ كبيـر في ولايـة طـرابلس والاتـراك لا يفعلون شيئا الا اذا كان السنوسيون على الاقل غير مهتمين به ، ولهذا فبالنسبة لطرابلس ايضا تفرض علينا الضرورة اكتساب رؤساء الطريقة » (المصدر المذكور) .

طرابلس (٥٢) ووصل كارلو قالي الى طرابلس في ٢٩ يوليو ١٩١١ . وكان من اشد المؤيدين بحماس للحملة الليبية وقد غادر روما يداعبه الامل في ان يكون « آخر قنصل ايطالي لطرابلس » (٥٣) وكانت افكاره السياسية قريبة من القومية من نوع كوراديني وكـــان بالفعل صديقا لكوارديني وعلى صلة وثيقة به (٥٤) .

ولم يتخلف نائب القنصل الايطالي الامين على تعليمات وزير الخارجية ، عن تحذير وزارة الخارجية في الحال عن المقاومة الممكنة التي قد يواجهها الايطاليون من قبل العنصر العربي المحلي ــ وفـــي رسالة الى دي سان جوليانو بتاريخ ١٩ اغسطس لاحظ قالي ان « الود والثقة التامة المقتصرة علينا » من قبل العرب في الماضي وذلك بفضل العمل الذي قام به القنصل سكانيليا قبل عشر سنوات « ضـــاع اغلبه لعـــدم قيامنا بالعمـــل الذي كان العرب ينتظرونه بثقة ولترددنا الـــظاهر فـــي السنوات الماضية ولان السلطات التركية قد فعلت كل ممكن للتقليل من اعتبارنا من جـــهة ولكسب عطف العرب من جهة اخرى ولكنه اضاف بانـــه بالرغم من وجـــود موقف عربي غير ملائم كثيرا للاتراك فانه اذا كان هناك :

« القرار المتخذ للقيام بعمل عسكري (وان وقته المناسب قد يكون في شهر

---

(٥٢) كارلو قالي ــ المصدر المذكـــور ص ٥٤٦ وهكـــذا كتب قـــالي من دمشق في ٨ يـــونيو ١٩٢٢الى صديقـــه السفيـــر ماريـــو لاتـــو : « عند ما قـــرر الماركيز دي سان جوليانو احتـــلال ليبيـــا فكـــر في جعـــل عائلـــة تـــره مثلي اسرة حـــاكمة من طـــراز الاسرة الحاكمـــة في تـــونس (قـــال لي ذلك قبـــل ان اسافر الى طرابلس في يوليـــو ١٩١١ وايضا عند مـــا حـــدث في اكتوبـــر) · لقـــد كانت خطتـــه جيـــدة كانت توفر علينـــا بعض المليارات (المصدر المذكور ص ٤٠٣) .

(٥٣) المذكـــور ص ٦٩ ــ ٤٦ ــ ٥٧ ·

(٥٤) كتب قالي في مذكـــراته بتاريخ ٢٧ اكتوبـــر ١٩١١ : « تنـــاول كورادينى وفيدرزوني طعـــام الافطـــار معـــي وكانـــت نفـــوسنا مبتهجـــة ــ هل يبـــدأ حقـــا البعـــث الـــذي رجوناه في ١ مارس ١٩١٠ بتكـــوين الحـــزب القـــومي ؟ هـــل سيحل الغـــد مسالـــة الادرياتيك كما تسير الان مسالة البحر الابيض نحو ضمان اكبر ؟ (المصـــدر المذكـــور ص ١١٦) ·

اكتوبر حيث الجو المعتدل وحالات البحر لا تزال جيدة) فقد يلزم الشروع فورا في عمل ذكي مع المشائخ والجماهير ــ الذي عن طريق القوة المعنوية والاساليب الحسنة وبعض النصائح والكثير من الاعانات والمساعدات المالية قد يفلح في اقناع النفس العربية بانه عندما يريد الله فان الصحة سوف تاتيهم من ايطاليا وهذا يضمن لنا المساعدة غير المشروطة للجميع أو لاغلبية الزعماء المتنفذين (...) .

ويظل اذن ثابتا في نظري ان الصعوبة الوحيدة هــي اكتساب موافقة الزعماء العرب مقدما .

واقترح تالي كوسطاء محتملين لدى الزعماء العرب كل من (..) وبريشاني الذي قد يكون عمله دوما جيدا لان في الامكان دائما التنصل مما يعمل ولا يعرض الحكومة الملكية للمسؤولية « والاثنان على كل حال لا بد ان يعملا تحت ادارة القنصلية » (٥٥) . وبعد بضعة ايام في ٢٩ اغسطس عاد تالي الى الموضوع : « لا داع للحديــث عــن ود السنوسيــة لايطاليا (اعني السنوسيين بطرابلس) . لان العداء نحو التركــي تحدده بصورة رئيسية المبادىء الدينية (...) ولهذا السبب فالعداء قد يكون ضد حكومة مسيحية ممكنة قد تستولى على هذه المناطــق » (٥٦) وعلق القنصل الايطالــي في يومياته على هذه المذكرة المرسلة الى دي سان جوليانو فكتب يقول : « فيما يخص السنوسيين في برقة فان قنصلية بنغازي ستقول رايها ولكنني اعتقد انه من الصعب ان يكون هذا الراي اليوم مخالفا لرايي واني لاصر على الاعداد السياسي المحلي » (٥٧) وكان راي بنغازي بالفعل لا يختلف كثيرا عن راي

(٥٥) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17a, f. 641 انظر ايضا كارلو تاللي . المصدر المذكور ص ٦٠ ــ ٥٨ .

(٥٦) كارلــو تاللي ــ المصدر المذكــور ص ٦١ .

(٥٧) المصدر المذكور ص ٦٢٠ ــ بعد ما يقارب من الشهر اي في ٢١ سبتمبر قبل ايــام من انــدلاع الحــرب سأل دي سان جوليانــو عن مقــدار المبلغ الذي قــد يحتاجه تاللي ــ (انظــر برقيــة دي ســان جــوليانــو الــى تــاللي بتاريــخ ٢١ سبتمبــر ١٩١١

طرابلس ففي يوم ٦ سبتمبر ١٩١١ لاحظ القنصل الايطالي ببنغازي برنباي Bernabei في تقرير بعث به الى دي سان جوليانو قائلا : (٥٨)

« لا شـــك ان عناصر المقاومة الاساسية التـــي سنواجهـــها في حالة الاحتلال هي : القوة العسكرية التركيـــة والمساعدة التـــي قد يقدمها لها السكان الوطنيون والطريقة السنوسية التي تستنـــد في هذه المنطقة على الراي العام الاسلامي . (...) ومن المعـــروف ان السكان المسلمين ببنغازي ودرنة يعدون اكثر الناس تعصبا في الشمال الافريقي . وليس من المستبعد ان قسما منهم قد يلجا الى السلاح لمساعدة الاتراك في حالة الاحتلال» . (٩٥)

وفي يوم ٢٩ سبتمبر اي في اليوم نفسه الـــذي اعلنت فيه الحرب ابلغ تاللي عن وصول باخرة تركية « درنة » محمـــلة بالسلاح وشرح بوضوح وبتفاصيل دقيقة الوضع والموقف الذي شرع في اتخاذه العرب قائلا :

« (...) ان مخطط الاتراك هو الانسحاب الى الداخل لصد الحملة وتسليح السكان المستندين على المناطق الجبلية . وعلى ذلك فان شحنة درنة كانت تنقل بطريقة محمومة الى الداخل ، من المحتمل توزيع السلاح والمـــؤن في بنغازي اذا قرر سكان الجبال مساعدة الاتراك في البداية على الاقل » (٦٠) .

(A.C.S., C.G., b. 25, f. 64) واجاب تاللي يوم ٢٣ سبتمبر اي قبل اربعة ايام من ارسال الانذار معتقدا ان مبلغ خمسة الاف ليرة كافيا (انظـــر A.S. MAE ــ المصدر المذكور برقيـــة تاللي الى دي سان جوليانـــو في ٢٣ سبتمبر ١٩١١) وفي شهـــر سبتمبر تقرر مكافـــاة بريشاني مديـــر بنك رومـــا بطـــرابلس بمبلغ ١٥٠ الف ليـــرة بغرض تاميـــن « على الاقـــل حيـــاد العـــرب المقيمين هناك (طـــرابلس) في حالة قيامنا بحملـــة » (المذكـــور رسالة بولليو الى دي سان جوليانـــو في ٢٣ سبتمبر ١٩١١) .

(٥٨) وبخصوص نشاط القنصل برنباي في بنغـــازي كان حكـــم انريكو انساباتو عليه سلبيا اذ اتهمـــه بالارتباط بشخص ما يدعى انـــه سنوسي ويستغـــل صداقته بالقنصل الايطالي للقيـــام بعمليات مشبوهـــة مع بنـــك رومـــا .

ان سياسة الاحتيالات والخـــداع هذه تهـــدد بقطـــع علاقاتنا القديمة مـــع السنوسيـــة بصورة نهائيـــة اذا لم تجـــدوا لها علاجـــا » . (A. MAI, pos. 103/3, f. 23).

(٥٩) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 ــ برقيـــة بتاريخ ٦ سبتمبـــر ١٩١١ .

(٦٠) A.S. MAE المصدر المذكور برقية تاللي الى دي سان جوليانو ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

ولكن دي سان جوليانو لم يعط ابدا وزنا كبيرا لتوصيات قنصلي طرابلس وبنغازي وهما الوحيدان اللذان كان في استطاعتهما تزويده بمعلومات موثوق بها عن حقيقة الوضع في البلاد . لا شيء قد تم من اجل اعداد الجو الملائم لوصول الحملة الايطالية الى الاراضي المراد احتلالها ، ولم توسل اية توجيهات الى الممثلين الايطاليين بطرابلس وبنغازي للعمل على التخفيف من شدة مقاومة العنصر المحلي للانزال والتغلغل الايطالي . غير انه عندما بدت المقاومة العربية اكثر اصرارا واخذت تزعج وتجعل الاحتلال اكثر صعوبة ، ارادوا ان يجعلوا من القنصل تاللي كبش الفداء متهمين اياه على ما يبدو بانه لم يقدم معلومات صحيحة عن الوضع المحلي (٦١) . وبعد

---

(٦١) ابرق دي سان جوليانو الى تاللي يوم ٢٤ سبتمبر قبل ثلاثة ايام من ارسال الانذار طالبا منه اذا كان يعتقد انه من المفيد عودة القنصل السابق بستالوتسا . « بالنظر لعلاقاته الشخصية بالزعماء العرب . ومع العلم يواصل دي سان جوليانو كلامه الموجه الى تاللي : انك ستبقى خاصة وانك في هذه الايام قد فزت دائما بثقة الحكومة » . (المصدر المذكور A.S. MAE) حقا ان سلوك وزارة الخارجية في هذه المناسبة يثير الدهشة — فقد كانوا يفكرون في اعادة بستالوتسا الى طرابلس لانه على معرفة بالوسط واكثر فائدة بالنسبة للاعداد المحلي . فلماذا اذن ابدل بغيره قبل شهرين فقط ؟ وماذا كان في استطاعة بستالوتسا ان يفعل في الايام القليلة التي تفصله عن القتال ؟ وهل دي سان جوليانو لا زال يؤمن بقرب الحرب ؟ هذا ما دونه تاللي في يومياته بتاريخ ٢٥ سبتمبر : « من تظن وزارة الخارجية ان اكون ؟ هل يعتقدون انهم يتعاملون مع افراد عادية ؟ ليس لدي سوى فكرة وفرحة : وطني . الباقي مضحك ومسكين ولا يؤثر في . ومع هذا فقد جعلوني امر بفترة من الغضب . وصلت برقيتين سريتين احداهما من الوزير (...) والثانية من كونتاريني Contarini وبالرغم من شعوره الطيب ونواياه الحسنة نحوي ولكنه ضاعف من غضبي اني لا احتاج لتشجيع اي احد كي اعمل واتصرف حتى ضد نفسي ما دام ذلك تامر به روما . يقول لي ان الوزير ابرق لي وقد اعطاه « تاكيدا رسميا من صفاتي الممتازة ولذلك فان ردي يجب ان يستوحي من اعتبارات المصلحة الوطنية فقط دون النظر الى الطموحات الرسمية الصغيرة » وينهي كلامه مؤكدا ان الجميع يثقون بي وغير ذلك . اجيب في الحال . مع الافتراض ان بستالوتسا لديه صلات بالزعماء العرب فهو يتحدث بدون مترجم وغير ذلك ولكن قد يكون لديه القليل من الوقت للقيام بمهمته . اؤكد بقوة وفخر صميم ان « لدي الثقة في المستمرة » (...) وبعد التاكيد ان الوزير وحده لديه العناصر لاتخاذ قرار

ايام قليلة من الانزال في طرابلس ارسل تاللي من جديد كقنصل بتريستا (٦٢) وقد دفع عن نفسه هذه الاتهامات في رسالة الى الكونت بيرفوسكاري بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩١٢ . وعلى ضوء الوثائق المدروسة فان هذا الدفاع يبدو لا فائدة منه غير انه يقدم لنا على كل حال عناصر جديدة لتقييم بعض مظاهر الاستعداد للحرب الليبية . وقد وصل تاللي الى طرابلس يوم ٢٩ يوليو ١٩١١ وقد استلم المكتب من الترجمان (قواس) سمان الذي غادر طرابلس في ٢٠ اغسطس وعاد اليها يوم ٢٦ سبتمبر قبل الانزال بايام قليلة. واقام تاللي قرابة شهر في طرابلس بمفرده في ادق وقت من الاعداد للفترة التي كان يجب فيها ابلاغ الحكومة بكل دقائق الوضع المحلي وقد تغيب عن طرابلس في تلك الفترة ايضا ممثلا بنك روما بريشاني وبالداري وهما شخصيتان بالنسبة لنشاطهما على معرفة عميقة بالوضع المحلي ان من يعرفني — كتب تاللي في رسالته الى الكونت فوسكاري — قد يفترض بالعكس اني قد ارى الحالة في موقعها الصحيح : انه كانت تنقصنا الاستعدادات العامة والتفصيلية وانه كان يجب القيام بعملية جس نبض وكان يجب ازالة الاتراك من الطريق في اقرب وقت والتصرف بصورة مفاجاة وسريعة بحيث تحول دون الاتراك والتاثير على العرب ودون توزيع الاسلحة عليهم (...) فحتى ولو انني قدمت معلومات ملائمة عن العرب وربما اقترحت تدابير عسكرية غير مناسبة فهذا يبرر شهرا من التردد وعدم البت لا غير . فماذا كان نتيجة لاخطاء الغير

انهيت كلامي بهذا التاكيد : فيما يخصني ساكون دوما سعيدا لا تنازل لا عن الطموحات السخيفة التي لا افهمها وانما من حياتي ايضا من اجل مصلحة بلادي » (كارلو تاللي المصدر المذكور ص ٨٠) .

(٦٢) لدى وصول الحاكم بوريا ريتشي في ٥ اكتوبر عين تاللي رئيسا للشؤون المدنية . وعاد الى روما في نهاية اكتوبر واستقبله دي سان جوليانو وجوليتي يوم ٣ نوفمبر حيث اقترحا عليه العودة الى طرابلس « مرتبطا فقط بصورة مباشرة بوزارة الخارجية وان تكون اتصالاته بها « بالرموز » وقد رفض تاللي المنصب بحجة انه يجعل منه صحافيا ممتازا على ان رسائله لا تنشر وسيكون بالعكس معرضا لجميع انتقادات وهجومات القيادة التي لن يتمكن ابدا من الدفاع من نفسه ضدها » . (كارلو تاللي المصدر المذكور ص ١٢٩) .

المحملة يراد وضع اساس لعمل لاحق معيب فان قاعدة تبريره ضيقة جدا ويجب البحث عن غيرها . وهذه ليست مهمتي » (٦٣) .

فاذا كانت هناك اخطاء في سلوك تاللي فان جزءا منها فقط ينسب اليه وهو القليل الخبرة بالمشاكل الافريقية وقد اضطر الى قبول منصب ذي اهمية خاصة في تلك الفترة ولم يكن ينصت الى طلباته واقتراحاته . وقد اعطى لويجبي بارزيني مراسل « كوريري ديلاسيرا » من طرابلس صورة واضحة عن الوضع والاخطاء التي ارتكبت لا خلال فترة الاعداد بل خلال العلاقات اللاحقة بالعنصر العربي بعد انفجار الحرب وذلك في رسالة واضحة بعث بها في نهاية عام ١٩١١ الى لويجبي البرتيني جاء فيها :

« لقد جئنا هنا — دون ان نعد الوسط ودون ان نعد انفسنا . فعندما ارتسم الوضع الذي كان يجب ان يقودنا الى طرابلس كان يجب ارسال قنصل بارع جدا ومتعمق في معرفة الشرق مثل كارليتي (٦٤) . (...) ولكن بدلا من ذلك ارسل تاللي وقذف به من تريستا بحجة انه صارم ومغرور وعصبي وجاهل بشؤون البلاد (٦٥) . ان قنصلا يكلف بمثل هذه المهام يجب قبل كل شيء ان يزود بالذهب . يجب أن يصرف قليلا اولا بدلا من ان يضطر الى ان يصرف كثيرا فيما بعد . وقد وجدت تاللي قلقا جدا . سالته فقط كم مئات الالاف من الليرات الذهبية قد صرح له بصرفها لكي يشتري على الاقل

---

(٦٣) المصدر المذكور ص ٤٠٠ — ٣٩٧ وقد اعترف نفس جوليتي : « ان تقارير قناصلنا وانكر من ضمنهم تاللي وهو يحكم على الامور بعقل وخبير بمعرفة اولئك السكان فلم يخلقوا ابدا في هذا الصدد اوهاما » (جوفاني جوليتي — مذكرات حياتي . المصدر المذكور ص ٢٣٨) .

(٦٤) توماسوكارليتي T. Carletti كان حاكما للصومال منذ عام ١٩٠٨ .

(٦٥) وكان حكم انساباتو على تاللي ايجابيا . فكتب الى جوليتي من طرابلس يوم ١٢ اغسطس ١٩١١ فلاحظ : « ان الكفلير تاللي بالرغم من انه جديد على البلاد قد بدا لي شديد الذكاء وراغبا في تفهم الوضع ويبدو من كلامه شعوره الوطني الذي اكسبه عطف الجالية الايطالية » (A. MAI, pos. 103/3, f. 23)

الزعماء العرب القريبين . لقد اذن له بصرف كلمات جميلة . وبهذا الاعداد نزلنا الى الشاطىء (٦٦) .

والشخصية العربية التي كان يجب ان يوجه نحوها النشاط الفعال هي شخصية حسونة باشا رئيس بلدية طرابلس فمنذ اثني عشر سنة وهو محبوب ومحترم في جميع الولاية لدرجة انه لا يوجد زعيم عربي يحظى بهذا النفوذ الواسع بكل تاكيد المعترف به من الجميع » (٦٧) . كان في السابق مديرا للعزيزية لما يقارب الخمس سنوات ثم قائمقام بمسلاتة ومصراتة وغريان لمدة ثمان سنوات . كان يعتبر الاتراك مغتصبين لحقه ويتهلف الى يوم استعادة هذا الحق فلم يقدم اي تعهد رسمي او اية خطوة رسمية لحسونة باشا الذي كان في منتصف شهر سبتمبر يزداد انجذابا نحو فلك لجنة « الاتحاد والترقي » منتقلا ببطء نحو موقف التاييد للاتراك — وكتب كارلو تاللي في يومياته بتاريخ ٢٢ سبتمبر ما يلي :

« اعتقد انه (اي حسونة باشا) ينتظر كلمة من جهتنا (..) لا يجب الانتظار للشروع في ذلك العمل الذي طلبته من روما . فكل يوم يضيع يتطلب فيما بعد عملا اعظم واصعب . وقد نتساءل ايضا هل سنتحصل من حسونة باشا ان يعود الى الوراء في الطريق التي قطعها حتى الان واذا فرضنا انه قبل فهل سيكون في استطاعته ان يجذب اليه بقية الزعماء وهل ستخضع الجماهير لنفوذه ؟ » (٦٨) .

---

(٦٦) لويجي البرتيني — رسائل — المصدر المذكور مجلد ١ ص ٧٤ .

(٦٧) كارلو تاللي — المصدر المذكور ص ٦٤ . تاللي يقدم لنا هذه الصورة عن حسونة باشا : « مظهره شموخ ونبيل جدا ذو نظرة عميقة وذكية في اعماقها الطيبة الاكيدة » (المصدر المذكور) .

(٦٨) المصدر المذكور ص ٧٦ — ان هذه الفقرة من يوميات تاللي تعكس ما كان نائب القنصل قد ابلغه الى روما في ٢٣ سبتمبر ١٩١١ . « بخصوص مسلك العرب الاكثر اهمية اكرر انهم تدريجيا راضون ام مكرهون ستستقطبهم لجنة « الاتحاد والترقي » وقد سلك حسونة باشا في الايام الاولى للاجتماعات سلوكا غير واضح كثيرا وكان في الامكان تفسيره حتى بانه لصالحنا . وزاد فيما بعد تدريجيا من موقفه

وفي الخلاصة فان الاقتناع الخاطىء بان العربي قد يقف متفرجا ، بل قد يساعد الجيش الايطالي وعدم الاخذ بعين الاعتبار اقتراحات الممثلين الايطاليين في طرابلس وبنغازي هي في اغلبها اساس الصعوبات المقبلة التي واجهها سير الحرب وخاصة اذا ما فكرنا ان الصراع من اجل اخضاع سكان الدواخل العرب قد دام عشرين سنة حتى نهاية عام ١٩٣١ . لقد ارادوا ان يتركوا كل شيء للستراتيجية العسكرية كما لو كان الامر يتعلق بحرب من نوع أوروبي في حين انهم ساروا لمواجهة حرب من نوع مختلف حيث انه من الضروري كما لاحظ لويجبي بارزيني « العمل على ان تحل المعارك تلك الصعوبات التي لم يكن في الامكان حلها بغير هذه الطريقة . فالقتال هو الاسلوب الاكثر تكاليفا والابطء في النصر » (٦٩) .

ويكمن الخطأ الرئيسي في عدم تفهم العقلية العربية والحكم عليهم عن طريقة العقلية الاوروبية وعدم دراسة النظام الاجتماعي لتلك الشعوب وجهل اسماء وقوة وسلطة كل زعيم . وفي الذهاب اليهم بالابتسامة والصداقة دون معرفة طبعهم الساذج والمتشكك والمتهيب واعتبارهم كسكان فقط دون العلم « بان السكان في البلاد العربية هم عبارة عن مواد حرب » (٧٠) .

وقد كانت هناك دلائل على شعور العرب المعادي للايطاليين قبل الانزال وبعده . فتصرف الاتراك جاء في وقته المناسب ــ فالصحافة المحلية مثلا

المؤيد للاتراك : انا اعتقد انه كان ينتظر كلمة منا وحيث ان هذه الكلمة لم تصله فقد يعتقد رعاية لمصالحه ان الامر حتى في هذه المرة ليس الا حركة الصحافة وحدها دون ان تتبعها الحكومة · وبما ان سعادتكم تطلبون معرفة قيمة المبلغ الاول الذي قد احتاج اليه للشروع في العمل المذكور في تقاريري السابقة (انظر مذكرة رقم ٥٧) فاعتقد من المفيد عدم تاخير الشروع في هذا العمل لان كل يوم يمر يتطلب فيما بعد عملا اكبر واصعب . وقد نتساءل ايضا هل سنحصل من حصونة باشا على ان يعود الى الوراء في الطريق ألتي قطعها حتى الان · واذا فرضنا انه قبل فهل سيكون في استطاعته ان يجذب اليه بقية الزعماء وهل ستخضع الجماهير لنفوذه ؟ » (المصدر المذكور ,A.S. MAE).

(٦٩) لويجبي البرتيني ــ المصدر المذكور ص ٤١ ·

(٧٠) المصدر المذكور ص ٤٣ .

ازداد عنفها في شهر سبتمبر خاصة في طرابلس مستفزة العرب بعبارات تؤثر على مشاعرهم « ايها العرب ـ كتبت احدى الصحف الطرابلسية ـ انتم الذين حكمتم نصف الاراضي الايطالية فهل تسمحون لابناء عبيدكم ان يكونوا سادتكم » وايضا « دعوا ايطاليا تستولى على بلادكم وسترون كيف ستنتزع اموالكم وتجردكم من اراضيكم وتجند ابناءكم . كيف يمكنكم ان تعيشوا معا انتم المسلمون وهم الكلاب ؟ (٧١) وعندما وصلت الباخرة درنة قادمة من طرابلس بشحنة من الاسلحة فبالرغم من عدم حدوث مظاهرات صاخبة فقد لوحظ ان اشخاصا من جميع الطبقات كانوا يساعدون الجنود بدون مقابل في تفريغ الباخرة : وضرب الوجهاء المثل على ولائهم بنقل بعض الصناديق على اكتافهم (٧٢) . وفي ٣٠ سبتمبر شرع في تكوين « كتائب المتطوعين » في كل البلاد . ولعب الاتراك لعبة جيدة بوجودهم الارض الصالحة لاغراضهم . ففي الزنتان على سبيل المثال كان بعض المتعصبين يطوفون بطبل كبير في البلاد طالبين جميع الرجال القادرين على السلاح وكان نتيجة ذلك ان سافر خمسمائة او ستمائة مقاتل الى غريان والعزيزية » (٧٣) .

فالاحتلالات والانزالات الاولى الايطالية تمت في جو من البرود وعدم المبالاة اذا لم يقم الوطنيون بعداء واضح . فلدى نزول القوات الايطالية الى طبرق يوم ٤ اكتوبر كان هناك « فراغا » وقد اكد احد الضباط الذين وصلوا مع الطليعة الايطالية بعد النزول في طرابلس : « انه في يوم النزول من الباخرة فيرونا يوم ١١ اكتوبر كان موقف السكان وخاصة الاعيان مطبوعا بالبرود ، كان اغلبهم جالسين حول الموائد في المقاهي متظاهرين بعدم المبالاة اطلاقا بما يقع حولهم . ان المقابلة الودية المرحة التي ابرق بها الصحافيون كانت كذبة وطنية » وهذا ما لاحظته القيادة التي كانت تجتاز المدينة اربعة

---

(٧١) وزارة الحربية « حملة ليبيا » المصدر المذكور مجلد ١ ملحق : مذكرة ١ : انباء ووثائق من ميدان العدو ص ٢٢٢ .

(٧٢) المصدر المذكور ص ٢٣ ـ ٢٢٢ .

(٧٣) المصدر المذكور ص ٢٢٩ .

مرات في اليوم قادمة من الباخرة وعائدة اليها لتناول وجبات الطعام والاستراحة من يوم ١٢ الى ١٩ اكتوبر لاحظت تعمد العرب الذين تغص بهم المقاهي في عدم الاهتمام (٧٤) .

ولم تقتصر المقاومة العربية على طرابلس وبرقة وحدهما . فبفضل التضامن العنصري والديني الذي يربط بين الشعوب العربية ولبراعة الاتراك في اثارة هذه الحالة النفسية فان ردود الفعل كانت حادة في جميع ارجاء العالم الاسلامي . لقد استطاع الاتراك تجنيد عناصر حتى من البلاد الاخرى الخاضعة لسلطانهم مثل اليمن حيث تضامنت اغلب القبائل مع الباب العالي (٧٥) . وحدثت في المستعمرات الايطالية بعض حوادث عداء . ففي اسمرة مثلا انتقدت الصحيفة العربية المحلية « المؤيد » في عددها الصادر في ٢١فبراير ١٩١٢ انتقدت بعنف تشكيل الكتائب الوطنية التي قامت بها السلطات الايطالية من اجل ارسالها الى ليبيا :

« ان هذه الحكومة الايطالية الماكرة ورجالها قد داست على القوانين الدولية وفكرت في ارسال مسلمين لمقاتلة اخوانهم المسلمين لفك الرابطة الاسلامية. ولزرع الفتنة والحقد والعداء بينهم . كل ذلك لمصلحة ايطاليا ولتسهيل عمليتها . (...) يا اخوان ثقوا بالله ولا ترضخوا لاوامر العدو الموحش الماكر » . (٧٦)

وفي مصر ايضا — لاحظ الوكيل الديبلوماسي الايطالي بالقاهرة تريماني

---

(٧٤) المصدر المذكور ص ٢٢٠ .

(٧٥) ابرق الحاكم الايطالي في ارتيريا روبيولوا الى دي سان جوليانو في ٢١ نوفمبر ١٩١١ قائلا ان الاتراك استعملوا جميع الوسائل لاثارة تعصب السكان وايهامهم بان ايطاليا قد اعلنت الحرب ضد الاسلام . انيان يحيا ومشائخ قبائل كبار اخرين قد عرضوا خدماتهم ووضعوا تحت تصرف الحكومة الاف العرب بالاضافة الى الالاف الكثيرة التي ترسلها السلطات المحلية الى الساحل لتعزيز الكتيبة التركية » .(A. MAI, pos. 104/1, f. 8)

(٧٦) المصدر المذكور .f. 5

Grimani — كانت الصحف العربية المصرية « جميعها معادية » للعمليات الايطالية في طرابلس (٧٧) .

وعندما توجه الاميرال بوريا ريتشي يوم ٧ اكتوبر ١٩١١ في ندائه بكلمات ابوية الى « السكان الاعزاء ، والى السكان الكرام ، والى السكان النبلاء » والى السكان المحترمين داعيا لهم ان يهتفوا مع اخوانهم من ايطاليا : « يحيا الملك وتحيا ايطاليا » (٧٨) فلم يكن الاميرال يعرف ان كلامه سيضيع في الهواء لان فكرة السلطة السيادية كانت مجهولة في مجتمع قائم على اسس اقطاعية يحكم فيها شيخ القبيلة .

« كتب بارزيني ايضا : لقد استعملنا وسائل الاقناع التي قد نستعملها في اي مقاطعة ايطالية سهلة لخلق تيار راي عام . ولكن لا فائدة مع العرب في الحصول على اثر نتيجة للبلاغات الملصقة في الزوايا والاعتماد على الحسنات العامة وعلى ما يسمى ببلاغة الوقائع » (٧٩) .

وقد ارتكب خطأ اخر ضد الوطنيين غداة الانزال وذلك بنشر سلسلة من

---

٧٧) المصدر المذكور — برقية بتاريخ ١٤ ابيل ١٩١٢ . « في جميع مصر — كتب ج . منشه » سوري ذو احساس ايطالي « يعمل كرجل ثقة بالقنصلية الايطالية بالقاهرة — المبالغ التي اكتتب بها بلغت مليون وتسعمائة وخمسين الف فرنك فرنسي بما في ذلك الخمسة وخمسين الف فرنك التي ارسلها برقيا عزت باشا وكيل وزارة الحربية بمصر باسمه واسم عائلته (A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43 pos. 17, f. 644) وتقرير منشه ارسله الى روما نائب القنصل بالقاهرة دولفيني يوم ٢٨ اكتوبر ١٩١١) وكتبت صحيفة « اللواء » في شهر اكتوبر « ان ملك ايطاليا كان يقود جيشه وامته على طريق العار والقرصنة » وفيما يتعلق بسير الحرب كتبت الجريدة ان الشجاعة التي يبديها ملك ايطاليا تدل على انه ليس الا مهرجا (انظر « لا بورص اجبسيان » الصادرة بالاسكندرية في ١١ اكتوبر ١٩١١) .

(٧٨) انظر نص برنامج بوريا ريتشي في « مجموعة الوثائق للنظام المؤقت لطرابلس وبرقة » قيادة الحملة في طرابلس وبرقة ، طرابلس ١٩١٢ ص ٢٩ — ٢٨ وقد نشرناها في (الملحق رقم (٥) .

(٧٩) لويجبي البرتيني المصدر المذكور ص ٤٣

التدابير الغير مناسبة والغير صالحة التي ساهمت في القضاء على عطف ذلك الجزء من السكان المحليين الذين ربما كانوا ينتظرون بثقة وصول القوات الايطالية ـــ كانت اخطاء تعزى ايضا الى عدم المقدرة على تفهم النفسية والتقاليد والتكوين السياسي والاجتماعي لهذا الشعب العريق الاصيل (٨٠) .

وقد عين الجنرال كانيفا قائد الحملة في يوم ١٣ اكتوبر ١٩١١ حاكما عسكريا. «جنرال يعرف افريقيا ـــ كتببارزيني ـــ افريقيا هذه كما اعرف انا باتاقونيا » (٨١) . لقد كان من الخطا الاعتقاد انه من الضروري لطرابلس اقامة حكومة عسكرية في حين انه كان من اللازم ـــ كما لاحظ كارلو تاللي من جديد في رسالته الى ماريو لاتو بتاريخ ٢٢ أكتوبر ـــ « عمل عسكري وحكومة مدنية » (٨٢) ان ليبيا لم تكن في حاجة لتحتل وانما لتكتسب نحو ايطاليا . لقد حاولوا ان يغيروا النظام الاداري القائم منذ قرون الذي لم يجرأ الاتراك على مسه . فلم يعترف بسلطة المدير ومشائخ القبائل الذين كان لديهم سلطان مطلق على اناسهم (٨٣) . ففي الاسبوع الاول من الاحتلال وصل

---

(٨٠) « لقد دخلت في اللعبة ـ كما لاحظ فولبي ـــ جميع البواعث المعقدة لانسانية متاخرة جدا ولكن غير متوحشة متاثرة جدا بمطالب دينها وتستطيع ان تشعر بشعور امة كانت خامدة تحت الرماد ، والان بعثت فيها الحياة ايضا بفعل المعاملة الجديدة الذكية التي مارسها الضباط الاتراك نحو العرب والبربر وهذه الانسانية ظلت دوما بالنسبة لنا غامضة اللهم الا بعض المعلومات السطحية السريعة التي كوناها من بعض الاعيان الذين اكتسبوا تقريبا الصبغة الاوروبية . فمنذ عشر سنوات كانت ايطاليا والحكومة الايطالية تبعدان مسالة طرابلس ولا يبدو انهما اهتما بدراسة تلك البلاد وناسها وحياتها الدينية وجمعياتها السرية والطرق الاسلامية المتعصبة والسنوسية والمدنية والقادرية والسعيدية وغيرها التي بزواياها في طرابلس وفي مواقع اخرى من طرابلس وبرقة كانت تخلق روابط واسعة وغامضة وقوات مقاومة قوية (جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٦٧) .

(٨١) لويجبي البرتيني ـــ المصدر المذكور مجلد ١ ص ٧٥ .

(٨٢) كارلو تاللي ـــ المصدر المذكور ص ١١٥ .

(٨٣) « كتب بارزيني ايضا ان المديرين كانوا يرسلون من ضابط مترجم الى مترجم ضابط فثبت احدهم في منصبه بوعود طيبة وطلب من الاخرين ان يعودوا فيما بعد . يا عزيزي البرتيني كان في الامكان شراء جميع طرابلس بمليونين او ثلاثة ملايين

المشائخ العرب الى طرابلس منتظرين التعيينات والنقود والمكافاة المادية والمعنوية ولكنهم لم يتحصلوا على شيء وعادوا خائبين . والمفتي وهو اكبر سلطة دينية محمدية في طرابلس انتظر سدى خلال زيارته الى بوريا ريتشي وكانيفا الاعتراف المناسب لدرجته . « وقد ظل يتسكع هو ايضا منسيا في المدينة حتى اختفى ذات يوم دون ان يثير اختفاؤه اي اثر في السلطات» (٨٤) اذا كانت الحرب التي قادها العرب ضد الجيش الايطالي كانت حربا دينية ايضا فان اهمال المفتي كان من الاسباب الجديرة بالاهتمام .

فالزعماء العرب — في الخلاصة — ومن بينهم حتى اولئك الاحسن استعدادا (نحو ايطاليا) قد رأوا انفسهم مخلوعين ومجردين من سلطتهم واعتقدوا ان وجودهم الى جانب الاتراك اكثر امنا وحماية واحتراما واستغل الاتراك الفرصة فاعطوهم السلطة والشرف والمال (٨٥) . وقد كتب الفيلد مارشال الالماني فون درقولتس Von Der Goltz على مجلة نيوز فرايه بريسي Neue Freie Presse في شهر يوليو ١٩١٢ ما يلي مثيرا بذلك استنكار صحيفة « جورنالي ديتاليا » : لا يجب ان نتغاضي عن السمو الذي اكتسبه

ليرة · كان على اولئك المديرين ان يعودوا الى قبائلهم ومعهم فرمان التنصيب بالحروف العربية الهيروغلفية الضخمة وقد عينهم سلطان ايطاليا (حماه الله) موظفين وقد حملوا معهم الهدايا وراتب عام بالعملة الذهبية علاوة عن وعود بخيرات اخرى · كان يجب ان يصعقوا لقدومنا فكان يجب ان يحضر الزعماء الكبار وكان في الامكان في هذا الوقت ان يكون للحاكم موكب من عظماء فزان وغدامس مثل نائب الملك بالهند وهو في موكب الراجات والمهراجات .. وهل من الممكن انفاق المال الايطالي فيما هو خير من ذلك ؟ اي حكومة قد تسمح بهذا ؟ واي ديوان محاسبة قد يوافق عليه ؟ لم يفهم احد الوضع وحتى ولو فهمه فاي حاكم ايطالي يشعر بانه مصرح له بصرف ملايين هكذا ؟ واي بند بالميزانية قد يحتمل مصرفا غير دستوري كهذا ؟ اما صرف مئتين او ثلاث مئة مليون ليرة في حرب صعبة فهذا نعم · وصرف مليونين او ثلاثة لاتقاء الحرب والاستيلاء على ارض فهذا مستحيل وغير معقول (لويجبي البرتيني — المصدر المذكور مجلد ١ ص ٧٦ — ٧٥) ·

(٨٤) لويجبي البرتيني — عشرون عاما من الحياة السياسية — المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ١٢٨ ·

(٨٥) انظر لويجبي البرتيني — رسائل — المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤٧ .

الضمير العربي بفضل مقاومته الذاتية وحسب انباء مؤكدة جدا قد تمكن الضباط الاتراك من غرس النظام والطاعة والثقافة العسكرية الاوروبية الى حد ما بين الجماهير العربية » (٨٦) وكتب الجنرال ترومبي Trombi المكلف بقيادة منطقة درنة من جهته وبشيء من الدهشة الى الجنرال بروساتي في ٢٣ ديسمبر ١٩١١ ما يلي : « الاتراك يدفعون الى البادية بسخاء وقرروا مخصصات يومية ثابتة للبادية المجندين ويعدونهم دائما بوصول امدادات جديدة تضم اسلحة ومدافع » (٨٧) .

فهذا النجاح الذي حققه الاتراك لدي العرب الغير منتظر ربما قد انعش وشجع السلطات العسكرية والسياسية العثمانية ــ وكما لاحظ البارون

---

(٨٦) « تشييع الفيلد مارشال فون ديرقولتس لتركيا · بسلوك لا يحتمل لقائد حليف » نشر في صحيفة « جورنالي ديتاليا » في ٣ يوليو ١٩١٢ · انظر ايضا الدو براندينى مالفيتسي Aldobrandino Malvezzi « ايطاليا والاسلام في ليبيا ــ فلورنس ــ ميلانو ١٩١٣ ص ٢٢٧ ·

(٨٧) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 2. 34, nº 18 كان الاتراك يعطون المجاهدين العرب « مرتبا شهريا بما قيمته ١٠ر٨٠ ليرة ايطالية وجراية يومية قدرها كيلو من الدقيق و ١٥ جراما من الزيت ــ وكان اولئك الذين يقومون باعمال خاصة مثل نقل المياه والجرحى والموتى وغيره لهم علاوة ، ويبدو أن الجرحى كانوا يعطون مجيدي هبة (٤ر٢٥ ليرات) ومن يفقد جواده يدفع له ثمنه حسب تقدير لجنة خاصة (···) ولم تكن عائلات المقاتلين تتقاضى شيئا في اول الامر ولكن فيما بعد عند ما غدت حالة الاسواق حرجة والبؤس مطلق قدمت لهم مساعدات دورية من الدقيق في كل خمسة عشر يوما والبعض كان يتحصل على جوالا في الشهر والبعض يقول انه يعطي للجميع راتب شهري قدره عشر ليرات وليرة تركية لاقارب كل شخص مات في الحرب » (وزارة الحربية « حملة ليبيا » المصدر المذكور مجلد ١ ص ٢١٥) وحسب راي خديوي مصر فان : « وجود القوات العثمانية واعداد الضباط الاتراك البارع الذين لم يتركوا اية وسيلة او اكذوبة لاقناع القبائل ان ايطاليا ترمي فقط الى تحطيمهم وتحطيم دينهم وعائلاتهم هو الذي ساهم في المحافظة على موقفهم العربي · وان هذا الموقف سينتهي عند ما ستتحرر البلاد من الجيش العثماني وذلك دون امكانية حدوث تغيير في مشاعر العرب نحونا وخاصة البدو المتمسكون جدا باستقلالهم وهم ينفرون من اي سيطرة اجنبية سواء كانت عثمانية ام ايطالية بحيث لا يمكن قهرهم باية وسيلة اخرى سوى الخوف ومواجهة قوة تستميل مقاومتها » (A.S. MAE, Segr. gen., pa: 43, pos 17 d, f. 644) رسالة تريماني الى دي سان جوليانو) من القاهرة في ٢٩ اكتوبر ١٩١١ ·

مارشال في حديث له مع السفير بانسا في مايو ١٩١٢ بان « امال الاتراك في دفاع فعال قد انتعشت بمساعدة العنصر العربي . فان اولـئك الوطنيين الذين كانوا يكنون العداء للاتراك بصفتهم ممثلي السلطة والضرائب البغيضة قد ثاروا ضد المحتل نتيجة للتعصب الديني ولعمليات الاثارة البارعة . والنتيجة هي ان مسالة طرابلس اصبحت مسالة اسلامية لا تستطيع الحكومة حتى ولو ارادت ذلك ان تتساهل والا فانها تقوم بعملية انتحارية » (٨٨) .

والحكومة الايطالية بدورها وقد قررت ان طرابلس « ولاية » ايطالية حاولت ان تطبق في الحال نظام الضرائب والادارة السائد في ايطاليا على الاراضي المحتلة وادخال حياة البلاد المحلية كلها في النظام البيروقراطي ، مكررة بذلك ما حدث غداة الوحدة — مع الفوارق اللازمة طبعا — من اخطاء في طبع الجنوب بالطابع البيونتي . وعاد من جديد بارزيني — ببعض الحدة المعادية لجوليتي وبموقف جدلي مفرط يقدم صورة للحالة التي خلقت في طرابلس غداة وصول الايطاليين : « فبعد اتخاذ القرار الرسمي بانها ولاية وبعد طرد حسونة باشا امير القره منلى المسكين بركلة بعد ان وعدناه بتنصيبه بايا ، فقد تدخل جوليتي بصورة مباشرة لتطبيق البيروقراطية في طرابلس بشكل غريب. فكان غزوا من الموظفين . فهذا الاشبر من الارض المحتلة يحكمه النبوغ الاستعماري لرؤساء الاقسام ورؤساء الادارات — فقد تمركزت المكتبية في كل مكان حتى في القيادة وفي رئاسة الاركان بكل ما تحمل من غباء وغرور وهوس الاوراق المسطرة . ولا يوجد من بين هؤلاء الكومندتورية (لقب شرفي) (باستثناء ربما السيد موتا ،) من لديه فكرة عملية او يعرف العالم قليلا . ان مثلهم الاعلى هو في انشاء مكاتب — فقد اصبحت لدينا دوائر احتكار التبغ والملح (الوداع ايتها السجاير المعادية اللذيذة) ومكتب للتوثيق

---

(٨٨) A.S. MAE. Gab. 1912,pa. 25 « اعتراف بالسيادة الايطالية على طرابلس وبرقة » رسالة من بانسا الى دي سان جوليانو من برلين في ١٨ مايو ١٩١٢ .

والتسجيل وادارة مالية . فايطاليا الثالثة انتقلت الى هنا بجميع امجادها الهامشية — ووصل الامر الى ارسال موظف من وزارة الخارجية على عجل لينظم ... بلديات برقة . وقد الغى هذا الامر بالطبع لان لم يجد حتى الطريق » . (٨٩)

كل ذلك كان كثيرا ما يتسبب في احداث : « غريبة مضحكة ومؤسفة كانت تزيد من ريبة وشك العرب في قوات الاحتلال (٩٠) .

وحاولت السلطات العسكرية الايطالية ان تستند على اليهود الذين كانوا دوما — حسب شهادة بارزيني يستغلون الظروف لاعدام « جميع دائنيهم العرب » (٩١) .

وعندما تحول فيما بعد الشك والريبة الى حرب علنية تفجرت يوم ٢٣ اكتوبر المأسوي يوم قتال شارع الشاطىء حيث ادى هجوم عربي تركي الى مصرع ثمانية ضباط و ٣٧٠ جنديا وجرح ١٣ ضابطا و ١١٢ جنديا (٩٢) .

---

(٨٩) لويجي البرتيني المصدر المذكور مجلد ١ ص ٧٨ — ٧٧ .

(٩٠) وكتب بارزيني ايضا الى البرتيني : « (...) لقد اسست ادارة الشرطة وهي تحتاج لانفار . ورجل الشرطة من عادته ان لا يالف اللغة الايطالية ولا يفهم العربية ويشتبه عليه الامر فيظن أن مساومات السوق الصاخبة انها مشاجرات او اجتماعات معادية ولذا فيقبض على الناس بصرامة ويحل الاتفاقيات باشارة آمرة . وفي صمت ودهشة ينتظر الطرفان اللذان كانا يتعاقدان انصراف هذا الرجل ذي البزة السوداء لكي يعودا الى مفاوضاتهما ، ولكنه يدرك نواياهم في العودة الى التشاجر وبحركة اخرى بليغة يامرهم بالانتشار . وتظل الاتفاقيات المعلقة تسير في صف طويل . وقد اتت الشرطة بمجموعة من الاطفال العرب وهم بملابس العيد لانهم كانوا يقومون برقصة تقليدية وهي عبارة عن تمهيد لحفلات احد الاولياء والتهمة الموجهة للاطفال ان عددهم يتجاوز العدد الشرعي للاشخاص المسموح لهم بالاجتماع وفقا للاحكام العرفية — فالسكوت والطاعة اللتان نوبل بهما كل عمل من اعمالنا لا يجب ان تخدعنا » (المصدر المذكور ص ٥٨) .

(٩١) راجع رسالة بارزيني بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩١١ (المذكور ص ٢٦) .

(٩٢) هذه الارقام توجد في كتاب بومبيليو سكياريني Pompilio Schiarini « الجندي الايطالي في ليبيا (١٩١٢ — ١٩١١) » روما ١٩١٤ ص ٩٨ .

فقد عاد شبح دوقالي وعـــدوه الى الاطلال من جديد . فالـــجميع اذ ذاك في ايطاليا والجبهة تحدثوا عن « خيانة العرب » وهذا الموقف كان يعكس الدهشة التي وقعت لدى الراي العام الايطالي عندما علـــم ان الاصدقاء « العرب قد تجاسروا على مهاجمة الايطالي » . اما اولئك الذين كانوا يرون الحرب كعمل تمديني تقوم به ايطاليا ادركوا طابع العملية الاستعماري البحت . فارتورولا بريولا مثلا الذي بالرغم من معارضته لتعليمات حزبه نظر بعطف الى الحرب الليبية فبعد شارع الشاطىء غير الكثير من مواقفه :

« ان البلاد كانت تجهل ان الاسلـــحة الايطالية قد لا يهـــاجمها الاتراك وحدهم بل والعرب وغيرهم من الوطنيين » .

فان مسؤولية الحكومة تبـــدأ منذ ان بدأ واضحا بانها لم تهتم باكتساب ود العنصر الوطني وتجاوزت مشاعرهم (...) فثورة العرب نزعت عن الحرب طابعها المثالي وحولتها الى عملية قمع يرفضها ضميرنا . (...) فلن تكون اعمدة هذه الصحيفة بالطبع المكان الذي نطلق منه اسم « خونة » على العرب الذين يقومون بصد محتل غير مرغوب فيه ان هذه لبلاغة متعفنة لا نشترك فيها . ان العرب لهم كامل الحق في مقاومة اسلحتنا وانه لمـــن السخافة تحميلهم بذنوب لم يرتكبوها . (٩٣)

---

(٩٣) مع حـــرب طرابلس وضدها AA. VV. (مؤلفون مختلفون) « مناقشات في الميـــدان الثوري » ـــ المصدر المذكور ص ٦٣ . كتب الوطني الترنتيني (نسبة لترنتو) ارجيستوبيسي Ergisto Bezzi وهو من رجـــال غاريبالدي وجمهوري وقومي وقـــد حـــارب فـــي كامارو وبيتزكا ومنتانا حيث جـــرح (*) كتب الى صديقه وواضع ترجمة حيـــاته جوسبي لوكاتيللي ميلنيري في ٢٤ اكتوبـــر ١٩١١ ما يلي : « استطيع ان اتـــرك لكم الاتـــراك لا عـــرب بنغـــازي فهـــؤلاء لا يقومون الا بواجبهم : يدافعـــون من بـــلادهم دون ان يحسبوا اذا كان اللصوص الجـــدد لـــديهم مدافـــع كثيرة ومصفحـــات وطائرات ام اذا كانـــوا كثيرين او قليلين . فلهم الشرف لانهم لم يتمدنوا بعـــد » . وفي اليوم التالـــي ٢٥ اكتوبـــر كـــرر الى برونو كاستيليوني نفس الاراء : « (...) هؤلاء هم ابطـــالي . انهم (...) لا يحسون الا بـــواجب واحـــد وحاجـــة واحـــدة وهي الدفاع من ارضهم . الشعـــوب الحـــديثة تقول ان من واجبها نقـــل المدنيـــة الى جميع انحـــاء العـــالم . قد يكون الامـــر كذلك ولكنهم بالنسبة لي هم مستبدون انها القـــوة التي تفـــرض نفسها لا العقـــل ـــ وعلى هـــذا القيـــاس فسياتي اليـــوم الذي اذا خـــرجت فيه من منزلـــك

واثار حادث شارع الشاطىء فيما بعد بالجبهة رد فعل ايطالي عنيف ضد « الخونة » العرب ولدى قراءة ، الوقائع سواء في الصحافة الايطالية او بصورة خاصة قراءة ما كتبه المراسلون الاجانب امثال Magée ماجي مراسل « دايلي ميرور » وديفيز Davis مراسل « مورننج بوست » وبنيت بارلي Bennet Burleigh مراسل « دايلي تلغراف » فيبدو تقريبا ان نوعا من الجنون المشترك لقتل الانسان تسبب الخوف في غالبه ، قد استولى على الحملة من الضباط الى الجنود (٩٤) فهناك رسائل من بياتسا وبفيوني وصفت اكثر من غيرها هذه الحوادث المثيرة حقا :

وقابلك من هو اقوى منك فسيطلب حافظة نقودك ام يحطم لك وجهك » وكتب ايضا الى لوكاتيللي في ١٦ ديسمبر : الموهبون يقولون ان عقلية العرب اقل من عقليتنا ولكن عند ما يمدنونهم بعد هذه السنوات سيقولون هم ايضا ان لديهم شنوقيهم فاذا لم يكونوا شهداء بلفيوري سيكونون شهداء طرابلس » ارجيستوبيبي E. Bezzi « القومية والتدخل في رسائل الى الاصدقاء » ١٩٢٠ ــ ١٩٠٣ اشرف على وضعه ترنسيوقراندي وبيشي ريتسي ترنتو ١٩٦٣ ص ٦٥ ٦٣ ــ ٦٢) .

(*) اسماء مواقع شهيرة في حرب التحرير الايطالية (المعرب) .

(٩٤) بخصوص شارع الشاطىء فلينظر الكتيب الجدلي لباولوفاليرا Paolo Valera ايام شارع الشاطىء بالصور . ميلانو ١٩١٢ وقد نشر كملحق للعدد ١٤٠ للصحيفة الاسبوعية الاشتراكية « لافولا » La Folla الصادرة بميلانو . ويصف ايضا خلال الكثير من الصور اعنف الاحداث التي وقعت بمناسبة شارع الشاطىء ويصف كارلو كانيفا بانه جنكيز خان « الاحتلال الايطالي (ص ٢٠) وكتب فاليرا ايضا : « ان العرب اصبحت هدرا للدماء بالجملة وقتل عام للانسان ــ تنفيذ اعدام لا مثيل له . فلجرم اقترفه ثلاثة او اربعة من العرب اصبح جميع العرب مذنبين . ففي بلاد حيث يملك الجميع سكينا ارسل الى الموت اناس بسبب حوزهم لادوات يستعملها العرب في جميع الاغراض . فكانوا يقتلون من اجل موس حلاقة او ادوات تقطع منزلية او رصاصات فارغة وجدت في منازلهم . وان الامر بتسليم الاسلحة كان مبررا للفتك بالعرب . وكان القتل يقع سواء وجدوا الاسلحة ام لم يجدوها . كانوا يقتلونهم لانهم كانوا يخشون الموت ولا يطيعونهم ويصمتون ويعلنون براءتهم ويطلبون المعونة من الله . كان القتل مستمرا ــ فقد اعدموا جميعا رميا بالرصاص فكان كرنفالا من الدماء مملوء بالفظاعة والمذابح والجنون ــ ان ايام ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ اكتوبر قد نقشت في النحاس والرخام العربي (بمعنى لا تنسى) انها قصة ستتناقلها الاجيال قصة استشهاد اناسهم الذين اغتالهم الرومي العسكري » . (ص ١٨ ــ ١٧) .

« كان رد فعل رجالنا — كتب بفيوني — بعد ان تاكدوا من الخيانة ردا عنيفا . فقد اطلقوا الرصاص بدون رحمة على العرب فقتلوهم لمجرد الاشتباه فيهم لدى اقترابهم . رائد من رجال البرسليري مصوب ممتاز بالمسدس دخل البساتين التي كانت تاتي منها الطلقات وبكل يد سلاح واخذ يطلق النار على كل من يراه امامه — وكان عنف اجتياحه وطلقاته الصاعقة لم تدع للعرب وقتا للمقاومة بحيث ان كل طلقة اسقطت انسانا » (٩٥) .

وفي الايام التالية ليوم ٢٣ اكتوبر كانت هناك اعتقالات جماعية والقبض على العرب باستمرار وقد حشدوا في طرابلس انتظار لتنفيذ الاعدام — وتحدث كوراديني « عن استمرار وصول هذه القطعان مشدودة الايدي وتحت الحراسة من مختلف طرق الواحة » (٩٦) ويصفهم بياتسا انهم كانوا مشدودين كل واحد ظهره الى ظهر الاخر في كتلة مرصوصة ويسيرون يدفعهم الجنود وهم يترنحون ويتخبطون مرة الى اليسار واخرى الى اليمين » (٩٧) ولاحظ بفيوني من جديد كيف انه كان « ولا بد » من تنفيذ الاعدام الذي دام « ثلاثة ايام » وارسلوا الى الله « اكثر من الف مؤمن » لكي يدخل في « نفس العربي تاكيد قوتنا » (٩٨) وكتب الجنرال كانيفا حول هذه الاحداث تقريرا الى وزارة الحربية :

---

(٩٥) جوسبي بفيوني — « كيف ذهبنا الى ليبيا » — المصدر المذكور ص ٣٣٣ . كتب لويجبي لوكاتيللي : « ان عملية التمع نعلت بالواحة ما يفعل المنجل بالزرع والدماء دفعت ثمن الدماء » (لويجبي لوكاتيللي — « وجه الحرب » — روما بدون تاريخ ص ١٨) .

(٩٦) انريكو كوراديني : احتلال طرابلس ص ٦٨ .

(٩٧) جوسبي بياتسا — كيف احتللنا طرابلس — المصدر المذكور ص ١٣٠ — لا يزال بياتسا يصف الحادث الذي كان بطله صف ضابط الذي استفسر منه نقيبه عن احد الضبطية المحليين الذين كانوا يعملون في خدمة الجيش الايطالي : « يا حضرة النقيب لقد قتلت الضبطية لانه رفض ان يتبعني ويسلم لي البندقية مستقيلا · احسنت عملا اجابه النقيب » (ص ١٣٠) .

(٩٨) جوسبي بفيوني المصدر المذكور ص ٧٥ — ٣٧٤ — فبالاضافة الى الاعدام بالرصاص فقد اتبعتها عمليات الشنق — كتب انسو دارميسانو Enzo D'Armesano

« لقد اضطررت كليا الى اللجوء الى هذه الوسيلة الجذرية لاخلاء الواحة . وهي الوسيلة الوحيدة الصالحة لضمان وتأمين التجول في الواحة وراء خطوط جنودنا . فامام هذه الضرورة السامية اذا ما وقع افراط في حوادث منعزلة خلال قمع الثورة من قبل جنودنا الذين كانوا منشغلين في الهجوم الغادر المفاجىء في المؤخرة — يبدو لي (٩٩) اهمال التعليقات غير الطيبة من قبل بعض مراسلي الصحافة الاجنبية (...)

والصحافة الاجنبية كما ذكر لم تتردد في تلك الايام عن انتقاد ما كان يقع في طرابلس بعنف (١٠٠) مشددة الضغط في حديثها عن « وحشية الايطاليين » و « انتقام وحشي جنوني » . ولعل اكثر الذين شددوا على هذه الاحداث كانت الصحف الانكلو سكسونية من « دايلي ميرور » الى « دايلي تلغراف » ومن « التايمس » الى « نيويورك وورلد » الى « مورننج بوست » — اما

في يوم ٥ ديسمبر ذهبت الى الرائد روبولو المكلف بمكتب المطبوعات اساله عن اخبار (...) فقال لنا بابتسامته اللطيفة العادية : غدا منذ الفجر سيشنق الاربعة عشر عربيا الذين حكمت عليهم محكمة الحرب بالخيانة والثورة يوم ٢٣ اكتوبر (...) فلن يفوزوا بجنة محمد ولا بملذات الحوريات الجميلة لان المشنوقين لا يحظون بالامتيازات السماوية . وكان هذا السبب الذي جعل الشنق يحل محل الرمي بالرصاص في الايام الاولى : ان الغاية هي القمع والوسائل مهما كانت مثيرة للاشمئزاز كان لها ما يبررها . (انسو دواميانو « في ليبيا . قصة الاحتلال » — بونيس ايرس ١٩١٧ ص ١٠٤ — ١٠٣) وبخصوص القضية التي حكم فيها على اربعة عشر عربيا — انظر باولو ماليرا المصدر المذكور ص ٣١ ٢٨ .

(٩٩) وزارة الحرب ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ٣٠١ . حث جوليتي يوم ٢٩ اكتوبر كانيفا على ارسال معلومات بهذه البرقية الحازمة : « ان عدم معرفة عدد القتلى رسميا على الاقل في يومي ٢٣ ، ٢٦ اكتوبر يحدث تاثيرا خطيرا في ايطاليا — بالامس ايضا ابدى لي السفراء الاجانب ملاحظاتهم في ان عدم ورود المعلومات هذه يترك في الخارج اثرا خطيرا يبعث على الاعتقاد ان الخسائر خطيرة جدا او لعدم وجود تنظيم » . (من اوراق ج . جوليتي مجلد ٣ ص ٧١ — ٧٠) .

(١٠٠) راجع وليام ج. اسكيو William G. Askew « Europe qnd Italyis Acquisition of Libya » ١٩١٢ — ١٩١١ . درهام ١٩١٢ ص ٨٨ — ٦٤ .

الصحافة الفرنسية فلم تعط الحادث وزنا كثيرا لدرجة ان صحيفة «ايمانيتي» لسان حال الاشتراكيين الفرنسيين قد أدانت الامر في أن « فرنسا وحدها » قد امتنعت عن « ادانة اعمال الوحشية الايطالية » (١٠١) . وفي عدد يوم ٢ نوفمبر ١٩١١ من صحيفة « التايمس » حذر المؤرخ المعروف جورج مكولي تريفليان George Macaulay Trevelyan وهو صديق لايطاليا وباحث ومؤرخ لتاريخها ، .. حذر الايطاليين بان يفهموا الاسباب التي دفعت العرب الى المقاومة وهي نفس الاسباب ـ حسب وجهة نظره ـ التي دفعت الايطاليين الى « النهضة » ضد النمسا ـ « انا لا اناقش ـ كتب تريفليان ـ حقوق واخطاء الايطاليين التي لا يعرفها العربي (...) فكل ما يراه (العربي) جيشا من الرجال يختلفون عنه عنصريا ودينيا ينزلون من البحر الاستيلاء على أرضه واعطائه مدنية لا تمت اليه بصلة » (١٠٢) ورات صحيفة غلاسكو وهيرالد Glasgow Herald ان ايطاليا قد اعطت العالم الاسلامي اسوأ درس ممكن عن المسيحية التي يحاولون بعناء نشرها في طرابلس » (١٠٣) . اما الصحف الالمانية مثل « فرانكفورتر زايتونق » التي لم ترض عن العملية الايطالية ابدا ، فقد زادت من شدة لهجتها الجدلية بهذه المناسبة مؤكدة « ان « جميع اوروبا » كان لها الحق ان « تحتج ضد سلوك حرب مثل هذه اثبت جميع الشهود العيان ان قسوتها كانت في الواقع غير ذي فائدة » (١٠٤) .

وقد استغل الاتراك الوضع المستجد وبصورة خاصة اتهامات الصحافة الدولية لايطاليا لارسال احتجاج شديدة اللهجة الى جميع الحكومات الاوروبية وقد اشعرت تركيا بموجب هذه المذكرة ، جميع الدول الموقعة على معاهدة لاهاي لعام ١٩٠٧ بانتهاك ايطاليا لمبادىء حقوق الانسان :

(...) بحجة ان بعض الوطنيين العثمانيين من اهل المدينة قد ارادوا

---

(١٠١) صحيفة « Humanité » ٥ نوفمبر ١٩١١ .

(١٠٢) مستر تريفليان والبيان الايطالي ـ في صحيفة « تايمس » ٢ نوفمبر ١٩١١ .

(١٠٣) الجانب الاسود من الحرب ، في صحيفة « غلاسكو هيرالد » في ٧ نوفمبر ١٩١١ .

(١٠٤) « فرانكفورتر زايتونغ » اول نوفمبر ١٩١١ .

مساعدة جيش التحرير فان اركان الحرب الايطالية قررت بكل برود الارهاب والموت ضد شعب اعزل . لقد قاموا ولا زالوا يقومون يوميا باعدام جماعات من الرجال الاصحاء والشيوخ لاشتباه بسيط وبدون سبب ايضا . لقد قتلوا نساء واطفالا ودفنوهم في الزنزانات احيـاء كاملة تركت فـريسة للجنود ودمرت بالنيران . الاف التعساء خطفوا من عائلاتهم ومـرضى انتزعوا من مراقدهم وحشروا في بواخر لنقلهم بعيدا مصيرهم الحـرمان وهلاك اغلبهم مؤكد (١٠٥) . (الاصل باللغة الفرنسية) .

وسارعت الحكومة الايطالية الى تلافي الامر . فكذبت بقوة الاخبار المنشورة على الصحافة الاجنبية ووضعت رقابة شديدة على المـراسلين الايطاليين والاجانب بالجبهة . (١٠٦) واعدت مذكرة في مجلدين عن اعمال الوحشية التي ارتكبها العرب والاتراك ضد الجنود الايطاليين وحـول استعمالهم لرصاص (دم دم) وزودت المطبوعـة بصور عديدة تبـدو فيها جثث الجنود المقتولين وقد مثل بها بصورة مريعة (١٠٧) .

وتوجد في هذا الصدد شهادة صحافي ارجنتيني انسودا رميسانو مراسل

---

(١٠٥) A.S. MAE, Seg. gen., pa. 43, pos. 17, f. 644 ارسلت صورة من الاحتجاج التركي التي وصلت هولندا الى جوليتي من قبـل رئيس البعثـة الايطاليـة في لاهـاي بتاريـخ ١١ نوفمبـر ١٩١١ .

(١٠٦) وكان ريجينالد كارم مراسل « التايمس » و « الفيغارو » من ضمـن من ابعـدوا . بخصوص الرقابـة بطـرابلس انظـر ت. ماريو كاراتشولو ــ مكتب المطبوعـات والرقابـة خـلال الحرب بطـرابلس . نشر في « نوفا انتولوجيـا » اول مـارس ١٩١٤ ص ١٥٤ ــ ١٢١ .

(١٠٧) وزارة الخارجيـة : مذكـرة الحكومة الايطاليـة حـول اعمـال الـوحشية التي ارتكبها العـرب والاتـراك ضد الجنـود الايطاليين الذين قتلوا او جرحـوا وضـد سيارات الاسعـاف وحـول استعمالهم لرصاص (د م د م) مطبعـة وزارة الخارجية بـدون تاريـخ (. ١٩١٢) مجلـدان . (صورة من هـذه المذكـرة تـوجـد فـي A.C.S., Pres. Cons. Min., 1912 (طرابلس وبرقة ملف ١٠) وكان العمل الايطالي بعض الاثـر حتى ان صحيفـة « التايمس » في ٣ نوفمبر اعـادت النظـر فـي موقفها جزئيا وفي ٤ نوفمبر نشـرت « الدايلـي تلغراف » رسالـة من طرابلس تتضمـن تكـذيب كانيفـا للاخبـار التي نشرتهـا الصحافـة الاجنبيـة .

صحيفة « لابرنسا » الارجنتينية وقد وصف فيها بعد بواقعية مشهد الجنود الايطاليين ضحية العرب والاتراك :

« كانوا مصلوبين ومخوزقين ومقطوعة رؤوسهم وفاقدي البصر ومشوهين ومقطعي الاعضاء ويزداد الامر فظاعة عندما نفكر أن اغلب هؤلاء الضحايا ينتمون الى الصليب الاحمـــر .

وفي ركن بيت وضيع دون سقف معد كمركز علاج وجدنا جثة الملازم الطبيب دي مورتاس وقد شوه وظهرت على وجهه علامات احتضاره الفظيع .

وماذا نقول في ذلك العنقود البشري الذي وجد في بئر قريب وقد قيدت ارجلها وأيديهم احياء والقوا في البئر ـــ لقد وجدنا الجثث مقيـــدة الواحدة بالاخرى » (١٠٨) .

انه من الصعب الفصل بين الخطا والصواب في تلك الظروف ـــ انه لوجه الحرب الذي يظهر جانبه السيء . وهذه الاعمال كانت دليلا واضحـــا على على القسوة والصعوبة التى يواجهها الطرفان في الحـــرب بينما كانـــت تتلاشى في ايطاليا بصورة نهائية فكـــرة « المغامرة الجميلة التي كانـــوا يحلمون بها في صيف ١٩١١ » .

ان عملية القمـــع القاسي الذي تلى الهجـــوم العربي بشـــارع الشاطيء بالاضافة الى انه خلق حركة مضادة فيالراي العـــام الاوروبي فقد زاد من مقاومة العرب . وبتدبير متخذ بتاريخ ٢٣ اكتوبر اصدر الجنـــرال كانيفـــا مرسوما يقضي على جميع الوطنيين المقيمين في مناطـــق الاحتلال الايطالي بتسليم « أسلحة الحرب النارية والاسلحة البيضاء » التي بحوزتهم (١٠٩) واكد بومبيو كامبيللو الذى كان يرسل من الجبهة معلومات الى الجنـــرال

---

(١٠٨) انسودارميسانو ، المصدر المذكـــور ١٠٥ .

(١٠٩) نص المرسوم موجود في مجموعة وثائق النظـــام المـــؤقـــت لطـــرابلس وبـــرقـــة ، المصدر المذكور ص ٧ .

بروساتي بصورة دورية انه كان من الانسب « تـرك السلاح بيد العـرب الذين استسلموا واعطائهم ايضا بعض التنظيـم العسكـري للـدفاع عن انفسهم حيث انهم الآن مضطرون الى التسليم بمطالب الاتراك » (١١٠) وصدر بعد ذلك مرسوم جديد ــ اكثر تسامحا ــ كان يدعـو العرب الى التقـدم باسلحتهم واعدا بمنحهم نابليون ذهب (عشرين ليرة) وكيس شعير (١١١) وقد تسبب ذلك في احداث لا تصدق وفقا لشهادة بومبيوكامبيللو : « اعتقد ان المكلفين بالتعرف في الاماكن المتقدمة ليسوا في المستوى المطلـوب لان عربا مختلفين قد تم القبض عليهم ومعهم اسلحتهم واعدموا دون تردد بينما كان من الانسب لو استجوبوهم وتاكدوا تماما من انهم لم يجيئوا لتسليـم السلاح وخاصة وان اعدام اناس لم تحاول المقاومة وقـت القبض عليها لا

---

(١١٠) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 2. 34, nº 24 رسالة بومبيو كامبيللو الى الجنرال بروساتي من طـرابلس في ٤ ينـايـر ١٩١٢ ٠

(١١١) يقـرا في المنشور الذي القته الطائـرات الايطاليـة يـوم ٧ ينايـر ١٩١٢ علـى ميادين العـدو « باسم اللـه ٠ ايها الوطنيون والعـرب ٠ ان حكومـة ايطاليـا السامية جاءت الـى البلاد لحماية مصالحنـا المشتركـة ولطـرد الاتـراك اعـداؤنا واعداؤكـم الى الابـد ٠ هـؤلاء الاتـراك الذين يتظاهرون لكم بالصداقـة وقد اهانوكم دوما وقتلوا كباركم واعيانكم واعطوكم وعودا لم يحافظوا عليها (٠٠٠) نريـد ان نخلصكم من ايـدي ظالميكم ٠ معنـا ستكونون بخيـر ونرجـو ان تعترفوا بعملنا هذا ــ نريـد أن نعطيكـم كل الخيـر ونعمر بلادكـم التي اهملت كثيـرا ونحسن اراضيكم بحيث نجـد جميعـا مزايـا عظيمة » ٠ وكان هـذا المنشور بتوقيع مساعـد الحاكـم سالسا ٠ وجـاء في منشور اخـر بتوقيع كانيفا بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٢ ما يلي : ماذا تنتظرون في المجيء الينا ! الا تشعـرون بالحاجـة للصلاة في مساجدكـم وبالحياة في هـدوء مع عائلاتكم وبرعي حيواناتكم وباستعادة تجارتكـم بصورة امنـة ! نحن اصحاب كتاب نحن متدينون وشرفاء ــ ان ايطاليـا والدكـم لانها تـزوجت طـرابلس امكـم ٠ اقـول لكم تقدموا امنين الينا ولن يلحق بكم اي ضـرر والمـاضي سينسى ٠

اقول لكم ان كل واحـد منكم سياتيني ببندقيتـه وذخيـرته سوف ينال نابوليونـا (ليـرة ذهبيـة) وكيسـا من القمح او الشعيـر ٠ الزعماء السياسيون والدينيون سوف يعترف بهم وسيتقاضون اجورا . ان كلمتي واحدة : الله اكبـر فتوسلوا اليـه ان يفتح اعينكم على الحقيقـة » ٠ (وزارة الحربيـة المصدر المـذكـور مجلـد ٢ ص ٢١٨ ــ ٢١٧) ٠

يفيدنا كثيرا» (١١٢) وتسببت المقاومة العربية في خلق حالة نفسية في ايطاليا كانت تعكس الضيق والرغبة في رد فعل حازم وعنيف ضد الوطنيين . وقد اثرت هذه الروح في حركة قوية من الرأي العام كانت تحبذ استعمال وسائل القمع التقليدية الاستعمارية . ومن الطبيعي ان تكون الحركة القومية في طليعة هذا التيار . وقد يكفي تصفح الصحف القومية لتلك الفترة لادراك نوع حرب القمع التي كان كوراديني ورفاقه يقترحونها ويوحون بها . كان يجب اخراجهم (العرب) من جحورهم وعضهم بالسياط ولا يجب ابدا اعدامهم بالرصاص بل شنق الحيوان المتوحش الذي يسمى « عربي » لقد كانت حربا تدور ضد « شعب ادنى ومتخلف » ضد هؤلاء العرب القذرين الكسالى والخونة » وكان ضروريا استعمال « القوة البسيطة الغاشمة التي تسيطر وتعاقب دون وحشية ودون ضعف ولا تسمح للحكومة بالمساواة (مع الايطالي) » (١١٣) وتمنى بارزيني نفسه في مذكرته المذكورة في اخر ١٩١١ « قليلا من الحلوى وقليلا من السياط تعطى في الوقت المناسب » (١١٤) . وقد وجه مافيو بانتاليوني Maffeo Pantaleoni الاقتصادي المعروف والمتعاطف مع القوميين . (١١٥) وجه رسالة الى جوليتي طالبا مقابلته وارسل اليه تقريرا للكونت اليسيو لافيسون الخبير في الشؤون الشرقية الذي قضى سنوات طويلة في مصر . وهذا التقرير مؤرخ في ٢ اغسطس ١٩١٢ وعنوانه « ملاحظات حول بعض الخدمات الادارية في طرابلس » وهو يقدم صورة للحالة النفسية التي كانت منتشرة في

---

(١١٢) A.C.S. nº 29 المصدر المذكور ب . كامبيللو الى الجنرال بروساتي من طرابلس في ٢٢٠ يناير ١٩١٢ .

(١١٣) حول هذا الموضوع انظر رفائيلي مولينيللي المصدر المذكور ص ١٢٠ ــ ١١٨ .

(١١٤) لويجي البرتيني ــ المصدر المذكور مجلد ١ ص ٨١ .

(١١٥) كتب بانتاليوني يقول : « يجب على الايطاليين ان يفكروا في العرب بمثل ما كان يفكر فيه الجنرال شيرمان بالنسبة للهنود الحمر اي ان الاموات هم فقط الاشخاص الطيبون ويجب معاملة هذه الشرذمة ممن لا اصل لهم معاملة الشعوب الدنية » (راجع رفائيلي مولينيللي المصدر المذكور ص ١١٩ ــ ١١٨) .

الصحافة الايطالية ولدى قسم من الراي العام بعد اكتشاف مقاومة العـــرب للتوسع الاستعماري الايطالي . والتقرير يعكس ايضا الخشية من صعوبة امكانية التعايش ما بين العرب والايطاليين في ليبيا اذا اريد ان يجعل من الاراضي المحتلة مستعمرة اسكان وفقا للفكرة الرائجة .

« (.....) لقد اقتنعت ـــ كتب لافيسون ـــ ان العربي ليس الا متعصبـــا مليء بالحقد على الاوروبي وله عقلية خاصة وهو فوق كل شـــيء متشكك وغير وفي وهو لا يخضع الا للقوة . فلم تفده في شيء السنوات الطـــويلة التي عاشها محتكا بالمدنية الاوروبية . الشهران اللذان قضيتهما كانا كافيين لمعرفة طباع عربنا انهم اقل مدنية من عرب مصر وهم ذو طبع انوف ولكنهم اكثر تعصبا وكثيروا الريبة والتصنع انهم ابناء الصحراء الحقيقيون .

انه لمن الغريب وغير المقبول ان يراد حكم شعب شرقي باساليب تتفـــق والعقلية الاوروبية وانه لمضحك ان نرى عربيا اعتاد حتى ايـــام قليلة على تلقي ركلات وضربات التركي ان يلجـــا الى الشرطة الايطاليـــة شاكيا اذا ضربه ايطالي لتاديبه كما يقع الان في طرابلس . والاسوا من ذلك رؤيـــة السلطات توبخ الايطالي بحضور العربي ! كما انه من المخجل رؤية العرب في الطريق يدفعون بمـــرافقهم ضباطنا ليفسحـــوا لهم الطـــريق او رؤيتهم جالسين دون أن يقفوا امام ضابط او موظف كبيـــر (...) ان هـــذا ليس الا تساهلا وعدم احترام واحتقارا حقيقيا للاوروبي (...)

عقاب السجن لا يترك اثرا في العربي . ان الاعتقال يعتبر فتـــرة راحة بالنسبة له ولا يتصوره عقله كعقاب مشين (...) يجب ان تترك العواطف على حدة اذا اريد حكم شعب افـــريقي . (...) ان الضميـــر والندم غيـــر موجودين بالنسبة للبدائيين ـــ انهم لا يتاثرون الا بالالم الجسماني» . (١١٦)

---

(١١٦) اليسيـــو لافيســــون Alessio Lavison ملاحظـــات حـــول بعض الخدمـــات الادارية بطـــرابلس » (مطبوع على الالـــة الكاتبـــة) ص ٢٩ ـــ ٢٨ و ٣٤ و ٣٣ موجـــود في A.C.S., Pres. Cons. min. 1912

وهكذا فان اسطورة اخرى من الحملة القومية لصالح الحرب الليبية قد تلاشت تجاه الصعوبات التي واجهتها الحملة . وهي اسطورة الاحتلال كعمل تمدني تقوم به ايطاليا وقد حاولوا الاستعاضة عنه بوسائل القمع واللجوء الى «العقوبات الجسمانية» كوسيلة للمحافظة على النظام ومعاقبة الاهانات انه في الجوهر احد الامثلة الاخيرة لتلك « المدنية » الخاصة بالاستعمار والامبريالية التي لايخلو من آثارها تاريخ احتلال البلاد الاوروبية الاستعمارية والتي تاتي كشيء جديد بالنسبة لضمير الايطاليين الذين نادرا ما قدموا مشهدا لاسلوب بهذه القسوة لا نجد ما يربطه بالادب السياسي لايطاليا الثالثة . انها لجرثومة جديدة اخذت تترعرع في المجتمع الايطالي ، جرثومة قد وجدت الارض الصالحة والمساعدات ذات المقاصد في اطار ازمة النظام الجوليتي .

التحركات السياسية الايطالية والعملية الليبية

حادث اوغوسطو ماسيتي (Augusto Masetti) ــ الحركة الفوضوية تعيد تنظيمها ــ الفوضويون الايطاليون في الخارج ــ الاعتداء الفاشل على الملك في دالبا ــ الاشتراكية الايطالية في عشية العملية ــ الاضراب العام ــ موسوليني ولازاري واليسار الثوري ــ معارضة الشباب الاشتراكي للعسكرية ــ الحركة النقابية منقسمة على نفسها : دي أمبريس وكوريدوني ، لابريولا واوليفيتي ــ توارتي ووحدة الحزب ــ مؤتمر ريجيوايمليا والتحول الى اليسار ، الكاثوليكيون والحرب « عقيدة الوطنية » ــ الاساقفة « والمدنية الكاثوليكية » ، ميدا ومليولي ودوناتي وفيراري والشباب الكاثوليكي ــ الكاثوليكيون والدولة الليبرالية ــ ستورسو وليبيا ــ القوميون والحملة الليبية ــ تطور وتوقعات القوميين من خلال ازمة النظام الجوليتي ــ البرلمان الايطالي والحرب .

□◆□

بعد مرور شهر من انفجار الحرب أي في ٣٠ اكتوبر ١٩١١ عند الساعة ٦٫٣٥ صباحا وفي ساحة ثكنات تشاّديني ببولنيا ، اطلق جندي يدعى اوغوسطو مايسيي الرصاص على عقيده فجرحه في الوقت الذي كان فيه

العقيد يخطب في الجنود المسافرين لافريقيا . ويبدو ان ماسيتي قد صاح وقت اطلاق الرصاصة « لتعش الفوضى » وقد ذكر ارماندو بورغمي الفوضوي الايطالي المعروف في مذكراته ان ماسيتي كان عامل بناء في سان جوفاني ان برسيتشيتو S. Giovanni In Persiceto وكان يلقب « قوسطن » « ليس بطويل القامة . وجه مبتسم . يسير منحنيا وتعبا مثل البنائين ، نظيف في ملابس العمال ــ هادىء النطق ــ شديد النشاط ــ كان لا يريد ان يعترف باتحاد العمل ، كان ينتمي الى نقابة عمال برسيشيتو المستقلة والتي تتبع تعليماتنا ــ كان يحضر بالتاكيد في كل يوم سبت الى منزل الشعب في مورالامي في المدينة وكان يبحث عن منشورات وصحف وكتيبات وكان يدعو محاضرين . واحيانا كنا نسير على الدراجات الى زولا بريدوسا وسانتنا اغانا في باتسانو عند مرتفعات الابنين واحيانا كنا نذهب حتى حدود مودينا ..

لا استطيع القول اذا ما كان « قوستن » قد اعلن مرة انه فوضوي قبل ان يحاول اغتيال العقيد . كان يعمل معنا وكنا نعتبره كمتعاطف معنا من النوع الجيد . (١)

وان عمل اوغوسطو ماسيتي الذي قام به تلقائيا ــ كما يعتقد بورقي بدون شركاء كان بمثابة انبثاق ثورة الاوساط الفوضوية الايطالية . فاشادت صحف ومنشورات وخطب باسم ماسيتي وسيدوي اسمه من جديد عام

---

(١) ارماندو بورقي Armando Gorghi نصف قرن من الفوضى ــ ١٩٤٥ ــ ١٨٩٨) ما قدم من قايطانو سالفيميني ــ نابولي ١٩٥٤ ص ١٧ ــ ١١٦ ــ وقد احدث حادث ماسيتي ضجة في الصحافة وفي البلاد غير ان الحكومة عملت على عدم زيادة الحدة بعدم محاكمة ماسيتي امام محكمة عسكرية الامر الذي قد يعرضه الى الحكم عليه بالموت ــ واعتقد انه من الانسب سجن ماسيتي في مصحة الامراض العقلية الاجرامية في ريجوديمليا باعتباره « غير صالح بالمرة للتعايش الاجتماعي وخطر على نفسه وعلى الغير » رسالة ١٨ ابريل ١٩١٢ من المكتب السرى الى الادارة الرابعة لوزارة الداخلية (الادارة العامة للامن العام « جرائم عسكرية » : (A.C.S., Min. Int., D.G.P.S, Pol., Giud., b. 349) :

١٩١٤ باعتباره شهيدا في سبيل القضية ضد العسكرية (٢) . وان ادانة العسكرية والحرب التي كان الفوضيون يحسون بها دوما قد اشتعلت من جديد وبحدة عام ١٩١١ . (٣)

ففي ٢٤ اكتوبر ١٩١١ عقد في روما اجتماع فوضوي اشترك فيه ممثلون عن العديد من المقاطعات الايطالية . وكذلك زعماء الحركة في ذلك الوقت امثال ماريو ريجير Maria Rygier وباسكوالي بيناتسي Pasquale Binazzi

---

(٢) انظر — انسوسانتاريللي Enzo Santarelli — الاشتراكية الفوضوية بايطاليا ميلانو ١٩٥٩ ، صفحات ٤٦ — ٢٤٥ و ٥٩ — ٢٥٧ .

(٣) سنبحث فيما بعد كيف توسعت وتطورت هذه الحملة المضادة للعسكرية المحققة بالاشتراك مع الشباب الاشتراكي . وصحيفة « المشاغب » اسبوعية تصدر ببولونيا كانت تعد من اكبر واشد صحف الحركة الفوضوية وقد استمر صدورها من عام ١٩١٠ الى عام ١٩١١ وكانت تصف أهدافها بانها « صحيفة اسبوعية للعمل الثوري » وشملت من بين كبار محرريها علاوة عن ارماندو بورقي كل من ماريا ريجير وتشلسو موريسي Morisi . وبعد حادث ماسيتي صدرت « المشاغب » بعنوان كبير يحمل في طياته تحذيرا وبرنامجا : « في عنف الحرب تبرق الثورة الفوضوية » ويذكر بورقي ما يلي : « بعد ترتيب الصفحات الاولى واجهتنا صعوبة الطبع وتمنا بها في مطبعة مامولوزامبوني (مع مخاطرة شديدة دلت على شدة عوذ الرفيق القديم) وقام كل منا بتوزيع الصحيفة باليد دون استعمال البريد العادي « ارماندو بورقي المصدر المذكور ص ١١٨) .
وهناك صحيفة اخرى هامة ذات ميول فوضوية «رومبيتي لي فيلي» (Rompete Le File) لسان حال المعارضين للعسكرية تصدر مرة كل خمسة عشر يوما — وقد صدرت من عام ١٩٠٦ الى ١٩١٣ بميلانو اولا ثم في بولونيا وكانت ماريا ريجير من بين محرريها وشعارها كان : « وطننا العالم كله » وانتشرت ايضا صحيفة « جرمينال » التي عاشت من ١٨ يونيو الى ٥ نوفمبر ١٩١١) ومديرها هو جوليوماالتوني . وكذلك « صوت المظلومين » لصاحبها ترني الذي كان على صلة بناذي « فرانشسكوفيرير » بهوكارد — المانيا وكان من رجاله البارزين انتينوري لافارين A. Lavarin وانجلو ستيفانوتشي A. Stefanucci اللذان قبض عليهما البوليس الالماني في سبتمبر ١٩١١ (A.C.S., Min. Int. DGPS, Uff. Ris., b. 24, f. 55)

(٤) A.C.S., b. 23, f. 54 I, المصدر المذكور . تقرير من قنصل ايطاليا العام بجنيف في ٦ اكتوبر ١٩١١ . وتقرر في نفس الاجتماع جمع اموال من اجل ارسال اريكو مالاتيستا E. Malatesta الى ايطاليا للقيام بجولة دعائية وجاء في الرسالة الدورية الموجهة الى جميع المنظمات الفوضوية بايطاليا والخارج ما يلي : هذا هو وقت تعارفنا والاعتماد على بعضنا يربطنا اشتراك الافكار والاغراض بان نرفع رايتنا عالية في هذه الساعة المظلمة التي كما صارعت اضطهادات الحكومات الوحشية عليها بشجاعة اكثر

وفرجيليو ماتسوني Virgilio Mazzoni وغيرهم . واشير اذ ذاك الى امكانية « وقوع بعض الحوادث الفردية الفوضوية للتاثير على جماعات العمال واحداث فزع حكومي اذا امكن » من شانه ان يعدل من « مشكلة طرابلس » . والاشارات الواردة من مختلف المقاطعات ومن المخبرين بوزارة الداخلية تشير الى « نشاط دعائي واعداد ذي صبغة فوضوية ومضادة للعسكرية وذلك لاحداث اضطرابات في اول فرصة تسنح » (٥) وفي ٢٨ اكتوبر شرح مدير عام الامن العام الى جوليتي في تقرير حالة الوضع مؤكدا ان عناصر كثيرة ترى من المؤكد « قيام الفوضويين الايطاليين والعنصر الثوري فعلا في الاحزاب المتطرفة الاخرى بنشاط كبير » (٦) وبعد ثلاثة ايام أي في ٣١ اكتوبر طلب من جميع حكام المقاطعات بموجب رسالة دورية « تعزيز الرقابة على الاشخاص الخطرين وتنشيط البحث عن المفتودين والاهتمام بكل الوسائل المتوفرة — بالعناصر المهوسة وبمراعاة خاصة للقادمين من الخارج » (٧) وكانت ملاحظات مدير الامن العام هذه تعكس الاتجاه المنتشر جدا في البلاد بين القوى الثورية التي كانت ترى من الضروري تجاه عملية طرابلس ان تتجاوز اراءها السابقة القديمة وان تسير حملة مشتركة ضد الحرب . (٨) وكانت حملة ليبيا في الخلاصة الموضوع

ان تقاوم هدم الشعبية ومعاكسة وافتراءات الجماعات الجاهلة والعمياء الغير واضحة » الاكتتابات لصالح مالاتيستا يجب ان توجه الى امبرتوفانيا ص ٠ ب ٢٧٦ روما (انظر « ريزفليو » الصادرة بجنيف في ٤ نوفمبر ١٩١١) .

(٥) .A.C.S المذكور برقية من وزارة الداخلية الى محافظي ميلانو وبولونيا وليفرنو وفولي وجنوا . وكتب محافظ انكونا في ١٢ ديسمبر ١٩١٢ يقول : « ان طائفة الفوضويين في مونتمار شانو يزداد عددها باستمرار ,A.C.S., b. 26, f. 56) المصدر المذكور) .

(٦) ,A.C.S., b. 23, f. 54 I المصدر المذكور : « تقرير الى صاحب السعادة الوزير في ٢٨ اكتوبر

(٧) المصدر المذكور — رسالة الى المحافظين في ٣١ بكتوبر ١٩١١ .

(٨) « ان الحرب الليبية وما بعد الحرب — كتب انسوسانتاريللي Enzo Santarelli مع حلول الازمة الجوليتية كان من شانها ان تقرر الحالة الموضوعية والترابط المناسب لعودة الفوضوية القديمة على المسرح ٠ سيعود ايضا مالاتيستا الذي مع نيتي وموسوليني سيكونون ابطال « الاسبوع الاحمر (انسو سانتاريللي المصدر المذكور ص ١٣٢) ٠

المشترك الذي ربط ولو بصورة جزئية ما بين الفوضويين والاشتراكيين والثوريين وقوات حركة الشباب الاشتراكي وذلك في ميدان الدعاية والتخريب والحملة ضد الحرب . وكان يبدو ان الحركة الفوضوية قد وجدت من جديد ارضا للصراع المشترك مع قوات اخرى مشابهة وذلك بعد سنوات من العزلة التي فرضتها عليها سياسة جوليتي الاصلاحية تلك السياسة التي تخلت عن الاسلوب الاستبدادي الذي اتبعه كل من كريسبي وروديني وبيللو وعملت على تحقيق سياسة اقتصادية مفتوحة على احتياجات الطبقات العاملة فحدت من مطالبها وزالت اسباب الصراع وحصرت بالتالي القوات الاكثر تطرفا . بيد أن الازمة الاقتصادية والحرب الليبية أوجدت استياءات جديدة كانت هامدة في الجو السياسي الذي خلقه جوليتي .فاضطرابات بيومبينو واحداث فريكارو والحرب الايطالية التركية اعادت اشعال الارادة والصراع في نفوس الفوضيين الايطاليين . (٩)

وفي شهر نوفمبر عقدت اجتماعات في كثير من المقاطعات من بينها ميلانو وبولونيا وبادوا بغرض تنظيم وتعزيز حملة فعالة ضد الحرب . (١٠) وفي جميع الخطب كان موضوع عملية طرابلس حاضرا ويناقش . وكانت

---

(٩) وكتب سانتاريللي من جديد قائلا : « ان الحرب الليبية (٠٠٠) عجلت بازمة الاصلاح الجوليتية وبالاشتراكية واحدثت بالتالي عودة قصيرة لشعلة الفوضوية (...) عمال يعملون وعمال عاطلون يشتركون في معارك طويلة وقاسية (...) وان ما يبرز في الامر هو انفصال الطبقات العاملة من النظام البرجوازي وهو امر جديد في قدر منه ويميل الى الازدياد والامتداد الى مناطق جديدة من البلاد والى طبقات عديدة ٠ ان التناقض الذي نضج منذ زمن خلال سنوات حكم جوليتي العشر وازداد سرعة في سنوات الحرب وبعد الحرب . هذا التناقض يبدو مفتوحا وواضحا ويلقي المسؤولية على الطبقات الحاكمة وخاصة خلال اضطرابات رجال السكك الحديدية وعمال الحديد والبحر والتبغ ولكن الواقع الجديد البارز الان هو زحف جماهير الفلاحين : مشكلة الارض والجنوب وبطالة العطلة والهجرة كل ذلك يطفو بصورة لا مثيل لها ويكتسب بروزا اكبر وقوة ثورية اكثر لان قوات اكثر حيوية وقوات عمالية جديدة اخذت تتدفق علي المسرح غداة تلك الحملة الاستعمارية التي كان يجب ان تقوم بمعجزة لمواجهة جوع الارض والعمل في ايطاليا الفلاحة و « العاملة » (المصدر المذكور ص ٣٧ ــ ١٣٦) .

(١٠) AC.S., b. 24, f. 56 المصدر المذكور .

ماريا ريجير قبل القاء القبض عليها من انشط واشد القائمين بالدعاية : تحدثت في ليفرنو بمناسبة تابين فرانشسكو فيرير فذكرت « كيف ان الجبابرة قد استعملوا الدين دوما لاهانة الشعوب واخضاعها لسلطانهم » واشارت بهذا الصدد الى المنشور الذي اصدره كانيفا في طرابلس وانتقدت عمل ادارة الحزب الاشتراكي الذي من « اجل منع احتلال طرابلس » لم يستطع ان يفعل غير « الاضرابات العامة المجهضة » . (١١)

وكان حادث ماسيتي من الاسباب التي دفعت الحكومة الى تشديد رقابتها والقبض على العناصر الفوضوية المعروفة . وقد اصيبت الحركة في ايطاليا بضربة خطيرة . فمن افلت من القاء القبض عليه مثل بورقي فقد اضطر الى الهجرة . وفي سويسرا وفرنسا وانكلترا حيث كانت هناك من قبل اعداد ضخمة من ممثلي الفوضويين الايطاليين تضخمت اعداد هذه الجماعات وازداد نشاطها وقد ذهب بورقي الى باريس بفرنسا . (١٢)

وبخصوص نشاط الفوضويين الايطاليين اللاجئين في الخارج فقد اشار اليها فلياني Vigliani في التقرير المذكور المرسل الى جوليتي في ٢٨

---

(١١) المصدر المذكور b. 24, f. 55 تقرير محافظ ليفورنو الى وزارة الداخلية في ١٤ اكتوبر ١٩١١ .

(١٢) كتب بورقي يقول : « كنت القي محاضرة يوم الاحد في ماسالومباردا بصحبة جوسبي سارتيني G. Sartini ودومنيكوزافاتيرو D. Zavattero وفي يوم الاثنين استقليت القطار مبكرا عائدا الى بولونيا . واشتريت صحيفة « الريستوديل كارلينو » في احدى المحطات ولكن غفوت دون ان اقراها غير ان اختي البالغة اثنتي عشر سنة وكانت برفقتي قد ايقظتني منزعجة لان عناوين الصحيفة البولونية كانت واضحة : القبض بالجملة على الفوضويين — فقد اعتقلت ماريا ريجير . فنزلت في لوقو وتركت الصغيرة مع احد الرفاق وعدت الى ماسالومابردا لاحذر الاخرين من الخطر . فقد استطاع سارتيني الفرار والقي القبض على زافاتيرو وثم اطلق سراحه في الحال لانه « لا وجه لاقامة الدعوى » . واما حيث انه كانت على اكتافي قضية في بيومبينو بمناسبة اضطرابات عمال الحديد المذكورة فقد لجات الى باريس » (اومندو بورقي المصدر المذكور ص ١١٨) وفي ٢ نوفمبر ١٩١١ ابلغ محافظ بولونيا وزارة الداخلية ان بورقي افلت من القبض عليه لعدم مبادرة مندوب ماسالومباردا . (المصدر المذكور A.C.S., b. 46, f. 113).

اكتوبر وكان يبدو ان حركة الفوضويين الايطاليين بالخارج قد اخذت تتسم بنفس الصبغة الملاحظة داخل البلاد والرامية الى ايجاد عمل موحد للقوات الثورية مع التشديد على : الاتجاه للاشادة بالحوادث الفردية كشكل عملي للاحتجاج والمطالب « ولم يخف مدير عام الامن العام اخطار المؤامرات التي تعد في سويسرا » للقيام باعتداء في المملكة (١٣) ولكن لننظر عن كثب الى هؤلاء اللاجئين الفوضويين النشطين بصورة خاصة في سويسرا وفرنسا . كانت مدن جنيف وبرن ولوقانو وزوريخ وباريس ومرسيليا من اهم ماكز انتشار الحركة الفوضوية الايطالية في الخارج . وبرسالة مؤرخة في ٩ اكتوبر ١٩١١ قدم رئيس البعثة الايطالية في برن كوكى صورة للوضع فيما يلي :

« كما سبق واحطت الادارة العامة علما فانه منذ وقت قريب شرع الفوضويون والاشتراكيون والثوريون المقيمون بسويسرا في دعاية نشطة ضد اسرة سافويا (الاسرة المالكة) ومؤسساتنا وذلك سواء بمقالات عنيفة تنشرها صحيفة « افنيري ديل لا فوراتوري » الصادرة بلوقانو بادارة جاشينتو مينوتي سيراتي Giacinto Menotti Serrati و « ريسفليو » الصادرة بجنيف بادراة الفوضوي المعروف لويجبي برتوني او عن طريق محاضرات في جميع مراكز العمال يقوم بها بصورة متكررة لفيف من

---

(١٣) A.C.S., b. 24, f. 56, المصدر المذكور . عقد اجتماع يوم ٢٥ سبتمبر ١٩١١ للفوضويين الايطاليين قرب دار الشعب بجنيف ــ وكتب قنصل ايطاليا ببرن الى وزارة الداخلية يوم ٢٦ سبتمبر ١٩١١ يقول : « كان الجميع متفقين على القول بانهم لن يفوتوا الفرصة ومن المؤكد انه عن طريق الاضراب العام او بعض الحوادث الفردية سيحاولون اصابة الحكومة في الصميم » واراء مماثلة اثيرت يوم ٢٤ سبتمبر خلال اجتماع سري تم في الدور الاول من قهوة لابيز بديجون ما بين لانوف Lanoff ولويجبي برتوني L. Bertoni وشبرياني Cipriani وكارلو مالاتو Carlo Malato وذكر لاتوف محدثا الدهشة « ان هناك في الجو شيء مؤكد وهو انه قريبا ستجري محاولة ضد الملك او ضد رئيس مجلس الوزراء ، واضاف ان رفائيل نيروتشي R. Nerucci الموجود في مرسيليا يعرف بعض الشيء عن ذلك ، ان حملة طرابلس والاضرابات ستثير غضب الجماهير وتساعد على فرض الاعتداء » (المصدر المذكور A.C.S., b. 23, f. 54).

المشاغبين المحترفين . فبينما كانوا في السابق يستغلون اضراب بيومبينو والبا بطريقة ماهرة لاثارة جماهير العمال ضد الحكومة اما الان فيستغلون الحرب ضد الاتراك لاثارة اجتماعات متواصلة تلقى فيها اعنف الخطب وتنظم المظاهرات الاحتجاجية ضد المكاتب القنصلية . وعقدت اجتماعات الاحتجاج هذه في جنيف (١٤) ولوكارنو وزوريخ وبازيليا وغيرهم كما قامت مسيرات عديدة وصاخبة في جنيف وزوريخ ووصل الامر بهم في هذه المدينة الاخيرة الى كسر زجاج القنصلية وكادوا ان يستولوا على شعار الدولة . وفي جميع اعداد « افنيري ديل لافوراتوري » و « رزفليو » كانت منتشرة مقالات احتجاج ضد عملية طرابلس » . (١٥)

وكانت الصحيفة نصف شهرية « ريزفليو الاشتراكية الفوضوية » التي كانت تصدر بجنيف في طبعتين واحدة باللغة الفرنسية والاخرى بالايطالية كانت محور التنظيم وكانت تدور حولها جماعات مختلفة فوضوية ــ ليبرالية ثورية مثل « صالون كومنست » الذي كان يعمل في دكان حلاق (١٦) ونادي الشباب « فكرة ماتسيني » بزوريخ وهو يتالف في اغلبه من طلبة البوليتكنيك ويراسه المهندس اميليو جربي (١٧) «ولجنة مساعدة الفارين »

---

(١٤) وكتبت القنصلية الايطالية بجنيف يوم ٧ اكتوبر انه في يوم اول اكتوبر عقد اجتماع فوضوي « لصالح طرابلس تحدث فيه جوسبي كوجينو G. Cugnio فيراروني Ferraroni ، كومونـاردو Comunardo ، فريتسي Frizzi وبورتشيللي Porcelli » وفي نهاية الاجتماع صفروا وصرخوا ضد الحرب ومروا أمام القنصلية (المصدر المذكور) .

(١٥) المصدر المذكور .

(١٦) كان النظام المعمول به في « دكان الحلاق » هذا نظام تعاوني وصافي الكسب كان يوجه للدعاية الفوضوية « لدرجة ان الزبائن والعمال كانوا « فوضويين او متعاطفين معهم » والصالون الشيوعي « بلوزان نظم اكتتابا لصالح ماسيتي وصل يوم ٢٠ نوفمبر الى مبلغ ٢٠٠٠ ليرة (المصدر المذكور ــ تقرير المفوضية الايطالية ببرن الى وزارة الداخلية في ٤ ديسمبر ١٩١١) .

(١٧) ان جامعة زوريخ الشعبية « كتبت المفوضية الايطالية ببرن في ٧ مايو ١٩١٢ ــ هي مؤسسة ثورية بحتة بالرغم من جهودها في الظهور بمظهر اللاسياسية كي لا تفقد مساندة الملكيين الاحرار من ابناء الجالية . وقامت هذه الجامعة بمساعي الاشتراكيين والفوضويين الايطاليين الذين جاءوا الى زوريخ (المصدر المذكور) .

بزوريخ ولوقانو وقد تبدلت في يوئيو ١٩١٢ الى « لجنة الاثارة ضد الحرب » (١٨) وجماعة « راسيوناليستا » بجنيف (١٩) وجماعة « بدون وطن » بجنيف ايضا وقد اندمجت في شهر يوليو ١٩١٢ مع مجموعة « الدراسات الاجتماعية » برئاسة انريكو البرتيني واميليو فراساتي (٢٠) « الجمعية الاشتراكية — الثورية للمهاجرين الايطاليين » التي نشات في يوليو ١٩١٢ بناء على مبادرة من فرشي Vinci وماتيا Matea وهناك جماعات فوضوية ايطالية اخرى بسويسرا موجودة في بريجنيز (فورالبرغ) وبروق (كنتون ارقوفيا) وفي اراو .

فهذه النوادي والجمعيات كانت تهتم بصورة خاصة بجمع الاموال لمساعدة الفارين من الجندية والمضطهدين السياسيين ولتنظيم الحملة ضد الحرب الليبية (٢١) ، وكانت تقيم سهرات ثقافية راقصة وتمثيليات

---

(١٨) وابلغت مفوضية برن من جديد في اول مايو ١٩١٢ ان « لجنة مساعدة الفارين » « بلوقانو قد استلمت » مساعدات مالية كبيرة من المنظمات الايطالية المعادية بامريكا » (المصدر المذكور)

(١٩) « المجموعة النقابية الفوضوية » « راسيوناليستا » (٠٠٠) قد اكتسبت بعض التفوق في الوسط الشعبي بصفتها الفوضوية البحتة . ويؤيدهما نفس الاشتراكيين الايطاليين الثوريين بسويسرا في صراعها الذي شرعت فيه ضد جماعة الفوضويين المسماة « بدون وطن » التي كانت تريد ان تقاوم بالعنف العنصر العمالي بجنيف . وجماعة « راسيوناليستا » تبحث في جلساتها مختلف اهداف المدارس الفوضوية وتقرا خلال هذه الجلسات الكتب والكتيبات الجديدة وتعلق عليها وتدرس احسن الاساليب لنشر النظريات الثورية بين الجماهير » (المصدر المذكور b. 45, f. 112 رسالة المفوضية الايطالية ببرن الى وزارة الداخلية يوم ٨ ديسمبر ١٩١١) .

(٢٠) اكبر ممثلي جماعة « بدون وطن « كانو » جوفاني فيراروني واودوني تاللي واوتوبيرانتوني وجوسبي كوجينو وانيوقروسي وكانت الفكرة الاسلامية للجماعة « فوضى ثورية الى اقصى حد بقواعد فوضوينة شيوعية مستوحاة من الدولية » وهذه الجماعة اشد نشاطا من « رزفليو » في الصراع السياسي بينما كانت تهمل المظاهر النقابية (المصدر المذكور ، رسالة مفوضية ايطاليا ببرن الى وزارة الداخلية في ١٠ نوفمبر ١٩١١ .

(٢١) در اكتتاب نظم في لوقانو في مايو ١٩١٢ لصالح الفارين من الجندية واللاجئين مبلغ ١٢٤٤٫٨٥ ليرة ومن بين القائمين بالمبادرة جوليو بارني Barni وباتيستا مانتيقاتسي Mantegazzi المصدر المذكور تقرير المفوضية الايطالية ببرن الى وزارة الداخلية في ١٧ مايو ١٩١٢) .

مسرحية يخصص ريعها لصالح « الدعاية ضد عملية السرقة التي تقودها الملكية السباودية » (٢٢) وكانت تنظم اسبوعيا يوم ــ الاحد في الاغلب ــ محاضرات وكان الخطباء المدعون ياتون في الغالب من الخارج ومن ايطاليا ايضا . ونجد بينهم غالبا شبرياني وسبراتي . (٢٣) ودي فالكو وبرتوني مدير صحيفة « رزفيليو » وحيث ان لويجبي برتوني من منطقة تشينواي بصفته مواطنا سويسريا له الحق بموجب « حرية الكلمة التقليدية » التي يمنحها التشريع السويسري في امكانية « القيام بدعاية فوضوية نشطة وان يلقي خطابات دفاعية شبه عنيفة » وهي لا « تعاقب » كما كان يكتب كوكي رئيس المفوضية الايطالية ببرن :

« ان الحرب الحالية كما يواصل كوكي كلامه ــ وخاصة في اشهرها الثلاثة الاولى قد اعطت حجة لبرتوني ومساعديه الكثيرين للسير الى الامام بحملة شديدة ومقلقة للغاية ضد حكومتنا والبيت الملكي غايتها الواضحة اعداد جماهير العمال المهاجرين هنا لتاييد حركة ثورية محتملة في ايطاليا والعمل على « الانتقام لجنودنا القتلى في ليبيا » واستغل برتوني ورفاقه حادث الجندي ماستي ببولونيا واعتداء انطونيو داليا بصورة بارعة وواسعة لاثارة عنصر الشباب المتحمس في المهجر ضد الوطن . وفي الحملة التي بدأت ضد حكومتنا ومؤسساتها . سواء كان الفوضويون ام الاشتراكيون والجمهوريون الذين تباروا في العنف فقد ايدتهم بصدق الصحافة والراي

---

(٢٢) هذا ما جاء في منشور دعائي في حفلة رقص شعبية نظمها نادي الشباب « لمكرة ماتسيني » بزوريخ .

(٢٣) تحدث سيراتي يوم ١٢ ديسمبر ١٩١١ في جنيف ــ وعلق على خطابه القنصل العام باسو فكتب الى وزارة الداخلية في ١٦ ديسمبر : « كما يظهر من خطاب سيراتي فان الثورويين يتظاهرون بتحميل ملك ايطاليا مسؤولية الحرب وفظاعة العدو فمن السهل استنتاج امكانية اعتداء ومن وجهتي فقد اعطيت اوامر خاصة لرقابة مستمرة » (المصدر المذكور b. 23, f. 54 I).

العام السويسري اللذين كما هو معروف ابديا معارضتهما الشديدة لحملتنا ولم يجنبونا الشتائم والاهانات والتهم » . (٢٤)

ويؤكد ممثل ايطاليا في برن ان سويسرا تعج بالنقابيين والاشتراكيين والثوريين والجمهوريين والفوضويين الايطاليين واغلبهم جاء من هناك « لتجنب الاحكام الصادرة ضدهم لشغبهم ضد الحرب » . (٢٥)

ولم تقل نشاطا اعمال الفوضويين الايطاليين المهاجرين بفرنسا . وفي باريس كانت تعمل « مجموعة الفوضويين الشيوعين الناطقتين بالايطالية » التي يراسها انريكو البرتيني الذي نجده فيما بعد في سويسرا ومعه انريكو بتري وكازيميروتا فيلا وانجلوا مبروزولي وروممولونورما وسيرينو بياتسا وجوسبي فيريرو . (٢٦) وابلغت السفارة الايطالية في باريس في مايو ١٩١٢ ان الحركة الفوضوية الايطالية اخذت تستيقظ وتستمد اسبابها من الحرب الايطالية التركية « لمحاولة اثارة طبقة العمال الايطاليين ضد الحكومة وخاصة ضد الحرب الطرابلسية » (٢٧) وكانت هنا مجموعة اخرى

---

(٢٤) المصدر المذكور b. 45, f. 112 كان اسم دالبا في التقرير فرنشسكو وهو خطأ فمدلفاه وبعد الحاح من الوزير المفوض الايطالي ببرن كوكي قررت الشرطة السويسرية القاء القبض على بيرتوني في ٢٩ يوليو ١٩١٢ وكتب كوكي في ٥ اغسطس ١٩١٢ الى وزارة الخارجية يقول : « يجب انتهاز فرصة استعداد الوزارة الاتحادية لتلقين درس الى برتوني الذي (...) يقود الحركة الفوضوية في سويسرا ولا يترك فرصة لا يهاجم فيها الحكومة الايطالية والبيت المالك . (المصدر المذكور) .

(٢٥) المصدر المذكور .

(٢٦) من البارزين الاخرين كان : نيكولا سانتونشينو ولورنزوبيكو واندريا قورينا واوريستي دوناتي وستيفانو اسبوزيتو ولورنزو بارسوتي وروكوايما وباسكوالي كوريتي وجوفاني كالاندري ونيموبوتساني وج. ب. كولومبو وفيوريو كولومبو وفنشنزوموريللو وباولو ميرلي وانطونيو دالبيوند وفايتوري كاساني وفيلتشي فيتزاني وارماندو بورقي وقد ساعد فيتساني بورقي بعد وصوله الى باريس (انظر ارمندو بورقي المصدر المذكور ص ١٢٠ — ١١٩) .

(٢٧) المصدر المذكور — رسالة السفارة الايطالية في باريس الى وزارة الخارجية في ٣٠ مايو ١٩١٢ كان الفوضويون الايطاليون بباريس يجتمعون بشارع بريطاني رقم ٤٩ .

نشطة في فرنسا تدعى « جماعة بيترو قوري التحررية P. Gori بمرسيليا وكان من اكبر البارزين فيها كريزو كريزي واديلموسارديني واميليو كازيللي وروفوفالبنى والدو بيلوني وانكينري سبرانا وايتسيو سبرانا ورفائيلي نيروتشي . وكذلك مجموعة « بيترو وقوري » وكانت تنظم حفلات ومظاهرات واكتتابات وغير ذلك . ففي ٢٤ ديسمبر نظمت بالتعاون مع اللجنة الاسبانية « بروامنستيا » اجتماعا كبيرا في قاعة فيريير للاحتجاج على الاحكام السياسية والحرب الليبية . (٢٨)

وفي لندن كان يعمل انريكو مالاتيستا الذي غدى شبه رمز للخارجين الفوضويين الايطاليين حتى وان كانت المجموعة الفوضوية بانكلترا اقرب الى الهبوط على ما كان يبدو . (٢٩)

وهكذا يصف بورقي باريس ذلك الوقت كما كانت تبدو امام اعين الفوضويين الايطاليين « بالرغم من المعاكسات الاولى فقد وقعت انا ايضا تحت سحر المدينة . ان مناضليها وصحفها واجتماعاتها ونقاباتها وقاعات الدراسة والمقاصف والمكتبات العامة واسماء الطرق والميادين وحتى المقابر فان كل شيء فيها قد وجد لتنشيط الذكاء وتوسيع الافكار وللتذكير بعذاب العالم المعاصر في صعوده (...) وكانت تصدر صحيفة يومية باسم « المعركة النقابية » بايحاء فوضوي ومجلة « الازمنة الجديدة » التي كان يديرها جان تريف J. Grave كانت ملتقى خيرة مثقفينا في العالم وصحيفة « ليبرتير » بادارة بيير مارتين P. Martin كانت لسان حال الاضطراب الشعبي الجديد . وفي باريس لحسن الحظ كنت لا القي بل استمع للمحاضرات وكان في امكاني ان اختار دائما » . (ارماندو بورقي المصدر المذكور ص ١٢٠) .

(٢٨) « كتب في منشور الدعاية الذي وزع في الاجتماع ان ايطاليا تسفك دماء اسرى بلد مثالي في السلام والخير الانساني . وتسجن بدون هوادة اولئك الذين رفعوا اصوات الاحتجاج ضد الغزو ومخاطر حرب مغامرة ظالمة . وفي الوقت الذي ترسل فيه الالاف من ابنائها ليقتلوا في واحات طرابلس فان اراضيها الخصبة الغير مزروعة تئن وتتوجع . ويقاسي مواطنوها الجوع والبطالة ويهاجر اخوتنا جماعات الى الاراضي الاجنبية .

(٢٩) وابلغت القنصلية الايطالية بلندن وزارة الداخلية عن اجتماع وقع في ٢٨ اكتوبر ١٩١١ « بفودريفورم رستوران » للاحتفال بمرور ٢٥ سنة على تاسيس جماعة « فريدوم » ولوحظ بين الحاضين الفوضوي الايطالي مالاتيستا انيكو الذي تحدث عن احتلال طرابلس » . (المصدر المذكور A.C.S., b. 23, f. 54, I) وطلب مالاتيستا في جماعة

فما هو وزن هذه الفوضوية الايطالية النشطة بالخارج والدائبة الحركة والملتزمة والتي كانت تعمل وفي وسط متحرك عقائديا ودوليا كوسط باريس وسويسرا الذي كان من بين ضيوفه لينين الشاب ؟ ان وزنه السياسي في الواقع كان ضئيلا وقليل الاهمية ، خاصة لان موضوعات الدعوى الفوضوية بالرغم من انعاشها بالمسالة الليبية وبالصراع الجديد المشترك مع قوات اخرى متطرفة فانها كانت كما يبدو قاصرة عن الحصول على تاييد جماهير الطبقة العاملة التي تربت في الجو الاصلاحي لعهد جوليتي — واعمال الحركة لم تتعد في الغالب مهام جمعية تعاون متبادل ، فالبعد عن الوطن الام بالرغم من وجود اتصالات متعددة ومستمرة بالجماعات والزعماء الذين كانوا يعملون في ايطاليا وبالرغم ايضا من ان مواضيع الدعاية كانت في جوهرها واحدة فان هذا البعد عن الوطن كان يحول دون الفوضويين الخارجين في الغالب ودون رؤية الاحجام الحقيقية للمشاكل ، هذا دون الاشارة الى الصعوبات المرتبطة دوما بالعمل تحت سيف مسلط او السجن او هجوم الشرطة . ومع ذلك فقد ظل الايمان بالقضية كاملا . شحنة قوية وكثيفة من الانفعالات والعواطف والالتزام الصارم في الصراع والدعاية .

وان الاهتمام الذي كانت توليه الشرطة بدون توقف لحركات هؤلاء ألفوضويين سواء داخل الوطن ام في الخارج فقد املاه بصورة خاصة الخوف من وقوع اعتداءات على شخصيات سياسية ايطالية ومن مؤامرات تنظم في الخارج في تركيا مثلا لاحداث ازمة داخل الدولة عن طريق اعمال العنف الامر الذي قد تكون له تاثيرات على ميدان الحرب . (٣٠) فكان

« فريدوم » ان يكونوا نشطين بحيث « يحولون دون مغامرات قرصنة مثل التي تقوم بها الحكومة الايطالية في طرابلس » (انظر « فريدوم » — صحيفة الفوضويين الشيوعيين » نوفمبر ١٩١١ ص ٢) .

(٣٠) انظر A.C.S., b. 29, f. 68 المصدر المذكور حيث يتحدث عن مؤامرة بين الشباب التركي والاشتراكيين والامن تبدو فيها صورة لفوضوي واراديان واضحة . وبدأ الحديث

الحديث يدور عن مؤامرات بتفاصيل اكثر او اقل تــرد في تقاريــر قناصل ايطاليا في الخارج والمحافظين والمخبرين . فكانت محاولة لوضــع عالــم غامض وسري تحت الرقابة لتجنب اعمــال طائشة قد يخلــق في البــلاد اوضاعا لا يمكن السيطرة عليها . فكانت رسائل التهديد تصل يوميا تقريبا الى الملك والى جوليتي وسبنقاردي . ويبدو ان عملا كهذا كان باديا في الجو وينتظر وقوعه من لحظة واخرى بخوف وفزع .

وفي ١٤ مارس ١٩١٢ اطلق انطونيو ديالبا A. Dialba عامــل بناء في العشرين من عمره ثلاث رصاصات من مسدس على العربة الملكية في قلب شارع الكورسو بروما وكاد ان يصيب شخص الملك . (٣١) وكثيرون رأوا في هذا الحادث مؤامرة دبرها الفوضويون بالخارج . وفي مايــو ١٩١٢ اشارت صحيفة « دي فوسيشي زايتونغ » ان الاوساط الايطالية تعتقد ان ديالبا قد قام بعمله « بتفويض من الفوضويين الدوليين الاجانب » . (٣٢)

من احتمــال الاعتداء على جــوليتي بمناسبة مادبــة تورينو يــوم ٧ اكتوبــر ١٩١١ فقــد كتب محــافظ تورينو فيتوريللي الى المديــر العــام فيلياني يوم ٣٠ سبتمبر ١٩١١ ملاحظــا ان التهديــد الذي وجهته صحيفة « صيحــة الشعب » اليوم وهي لسان حال الحــزب الاشتراكي المحلي من ان الاشتراكيين والعمال سيقابلون رئيس الوزراء بالصفير عند وصوله الى المــادبة فهــذا التهديد يستحق اهتماما خــاصا بل ويشاع عن وقــوع مظاهرات اشتراكية محتملة وقت المادبــة » ومنظمو هــذا الشغب حسب تحقيقــات الامن العام قد يكونــا الفوضويين ايتوري بارتولاتس وليليــو لوتشــي .

(٣١) كان ديالبا مختبــا تحت اتــوأس سرايــا سالفياتــي بشــارع الكورســو وانتظر مرور السيــارة نحــو البانتيون حيث كانت ستقــام حفلــة دينيــة بمناسبة ذكــرى ميــلاد امبرتــو الاول . واقتحم ديالبــا النــاس القليلين الموجوديــن واطلق ثلاث رصاصات طــاشت الاولى والثالثــة منها اما الثانيــة فجرحت رائــد الحــرس جوفاني لانق الذي كان يحرس السيارة الملكيــة . وامسك احــد شرطــة الدراجــات بديالبــا وقــال انسالــدو « ان رجــال الحــرس احاطو بالسيــارة الملكيــة وارتفــع صوت ضابــط صائحــا الى الامــام ، وواصل المــوكب سيره مارجــا من شارع لاطــا . ان المــوت « نفس » مــوت امبرتو في مونــزا كادت ان تمس الملك » (جوفاني انسالــدو المصدر المذكــور ص ٤٢٥) وحكــم على انطونيو ديالبــا يــوم ٩ اكتوبر ١٩١٢ بثلاثين سنة سجــن امــام محكمة رومــا . ودافع عنه النائب الاشتراكي فيري الجنائي المشهور .

(٣٢) المقال كان معنونا : الفوضويــة الايطالية ـــ انظر المصدر المذكور A.C.S., b. 46, f. 113

وفي طرابلس كان الميل الى الاعتقاد بان الاعتداء قد نظمه الاتراك (٣٣) وانه لمن الصعب جدا البحث عن علاقة بين ديالبا والفوضوية الدولية وربما بورقي كان على حق عندما كتب يقول : « ان الفوضويين لا يحتاجون بصورة عامة الى اي شريك لتقرير العمل من أنفسهم » . فمن المحتمل جدا أن يكون العمل فرديا . وفي الواقع ان الجو الذي خلقته الحرب كان يساعد على قيام العناصر السهلة التاثر بنوع من الدعاية باعمال متطرفة مثل عمل انطونيو ديالبا . وكتب جوفاني انسالدو محللا بدقة هذه الفترة السياسية الخاصة :

« ان حرب طرابلس بما قدمته من دروس عملية في العنف باشعال المزاجات والخيالات قد حولت (..) الكثير من الشبان من ذوي الوطنية غير الواضحة الى قوميين ، والكثير من العمال واصحاب الحرف الى متطرفين من النوع الرومانيولي والموسولينياني — وفعلت اكثر من ذلك فقد اوقدت في كثير من الفوضويين المثاليين فكرة العودة الى النضال . (٣٤) ان كابوس

---

(٣٣) انظر رسالة بومبيو كامبيللو الى الجنرال بروساتي موجودة في
A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI.2.34 n/ 38

(٣٤) جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٢٥ — ٤٢٤ وكتب انسالدو ايضا : « الملك كان ينظر الى صور المعتدي التي ارسلتها الشرطة الى قصر الكورينال — انه نفس الشكل الشاحب المنفعل الذي يشبه من بعيد ذلك الاخر رجل مونزا (الذي قتل والده الملك امبرتو) فعلى هذا فان كل شيء قد فشل خلال عشر سنوات من ملكه · ماذا افادت اذن الحياة النيابية السليمة والتملق الكثير لاحزاب اليسار والكثير من التسامح نحو الشورويين من جميع الدرجات اذا ما كان هو ايضا (الملك) كاد ان يقع في الفخ مثل ما يقع العصفور في غابات سان روسوري ؟ (...) ولماذا فكر هذا الشقي في اطلاق الرصاص عليه الان بالذات ؟ فالصحف كانت تقول انه نصف مجنون وان تصرفه فردي ولا توجد اية مؤامرة يا للاكتشاف العظيم · لقد شعر الملك نفسه بذلك في الحال . ولكن ذلك لا يجيب على السؤال ، لماذا بعد سنوات من الطمانينة وزيارات منظمة حتى للمدن ذات السمعة السيئة يعود انصاف المجانين من جديد وقد استحوذت عليهم فكرة الاعتداء على ملك ايطاليا ؟ ان الرد قد اعطاه الملك انها الحرب حرب افريقيا التي اعادت غليان بذور الفوضوية القديمة والتي دفعت بهذا الشاب الى اطلاق الرصاص على الملك (...) ان افكارا جادة تدور في راس ابن مارغريتا · انه راس ذكي وبارد تنبثق منه الاستنباطات المنطقية دون مراعاة احد · ان جميع سياسة جوليتي ستكون محل دراسة قاسية (المصدر المذكور ص ٢٣ — ٤٢٦)

(بريشي) * ثاني كان يجثم منذ سنوات على قصر الكويرنيال وقد حاول جوليتي ابعاده الى الابد عن طريق محاولة التقريب بين الجماهير العاملة والدولة غير انه اطل من جديد واخذ حجما في جو الحرب الليبية . ويبدو أن طلقات ديالبا الثلاث قد حطمت عمل مثابر دام عشر سنوات ، فهذه الرصاصات التي لم تصب الملك كما كتب انسالدو بل « قد اصابت نظام جوليتي في رباطه الدقيق : تلك العلاقة ما بين الوزير والملك » (٣٥)

وقد اصيب النظام الجوليتي بتصدع اخر وهو نقطة ضعف في كيانه المترنح : ان اعتداء شارع الكورسو اضعف ثقة الملك في وزيره الذي عجز عن تجنب هذا الحادث الغير سار . فالتوازن الذي خلق خلال عشر سنوات من العلاقات ما بين الرجلين البيمونتيين (نسبة لبيمونتي) كان يبدو أن ماله التحطم . ولا يخلو من مغزى الامر في ان جوليتي لا يشير ابدا في مذكراته الى هذا الحادث الذي لا يمكن اهماله . ومنح اعتداء ديالبا الحركة الفوضوية سببا في مواصلة معركتها بدون هوادة واحدث بصورة خاصة في العصر الفوضوي الايطالي بسويسرا « حماسا عظيما » . (٣٦) ووجد عمل ديالبا مدافعين عنه في صحيفتي « ريزفليو » و « مستقبل العالم » وفي كثير من الخطب والمحاضرات . وقد ازدادت لهجة الدعاية وضرورة القيام باعمال عنف جديدة . (٣٧) وقد وجدت الفوضوية الايطالية هذه في الفترة التي تبدأ من الحرب الليبية الى الحرب العالمية الاولى ميدان صراع مشترك مع موجة الاشتراكية الثورية المتجددة قوتها بالرغم من وجود خلافات عقائدية لا تنكر .



تلقت الاشتراكية الايطالية عشية الحرب الليبية شبه حكم بالموت صادر

(*) اسم قاتل الملك امبرتو (المعرب) .

(٣٥) المصدر المذكور ص ٤٣٩ .

(٣٦) A.C.S., Min. Int. Uff. ris., b. 45, f. 112 رسالة المفوضية الايطالية ببرن الى وزارة الداخلية في ٢٠ مارس ١٩١٢ .

من بنديتو كروتشي Benedetto Croce في مقال له بعنوان « موت الاشتراكية » نشر في صحيفة « لافوتشي » باسم مستعار وهو فاليا دي كالشيدونيا . (٣٨) وفي الواقع فان الانطباع عن الاشتراكية الايطالية الاوروبية في تلك السنوات كان يؤكد راي كروتشي . وبقبول جوليتي لمبادىء البرنامج الادنى التوراتي (نسبة لتوراتي) كان يبدو وكانه قد نزع عن الحزب الاشتراكي تلك الشحنة وتلك الاندفاعات التي كان يتقد فيها اكثر الطموح الى حرب الطبقات . ولم يكن كل شيء سلبيا في الاشتراكية التوارتية خلال السنوات الاولى من القرن . فقد مثلت كما كتب دي روسا « اول خطوة متهيبة » في سياسة ترمي الى تطف وقيادة الضغوط والاندفاعات الديموقراطية داخل الاساس المادي للدولة الحديثة وذلك بصورة منظمة ومدركة . فكان اول مظهر وان كان ضعيفا وتجريبيا لسياسة قد انفصلت فعلا عن سياسة النهضة التقليدية . (٣٩) ووصل الامر في تلك السنوات الى اعتبار الاشتراكية « كحدث وامكانية متجانسة مع قدر البرجوازية الراسمالية نفسها » (٤٠) وهكذا يبدو ربما ان رأي كروتشي قد اصاب الهدف مؤكدا نهاية تلك الاشتراكية التي ظلت حتى نهاية القرن تعد رعب البرجوازية ومفزعها . ويبدو ايضا ان جوليتي اراد ان يعتنق

---

(٣٧) اكد المندوب الايطالي ماتيا خلال مؤتمر اتحاد الاتحادات العمالية الذي عقد في ايفردون Yverdon في ٢١ — ٢٠ يوليو ١٩١٢ ضرورة مواجهة « السلاح بالسلاح والرشاش بالرشاش والخنجر والقنبلة والعين بالعين والسن بالسن » . وكان جدول الاعمال الذي تم الاتفاق عليه يحوي عشر نقاط تعكس هذا الخط . وكان الموضوع الاساسي في النقاش هي المسالة الليبية . فاكد ان الشعب لايطالي لم يقاوم بما فيه الكفاية لانه « اقتنع باكاذيب الراسماليين والحكام » ولان العمال كانوا ينتظرون « الحصول على قطعة ارض في الارض المحتلة الجديدة وضع حد لالام عائلاتهم » (تقرير فنشي) . (المصدر المذكور ، رسالة قنصلية جنيف الى وزارة الداخلية في ٢٢ يوليو ١٩١٢) .

(٣٨) اعيد نشر هذا المقال في كتاب « الاشتراكية في تاريخ ايطاليا » باشراف غاسطوني ماناكوردا . باري ١٩٦٦ ص ٢٧٥ — ٢٦٧ .

(٣٩) غابريلي دي روزا — ازمة الدولة الليبرالية في ايطاليا — روما ١٩٦٤ ص ١٣٢ .

راي كروتشي وذلك عندما اكد امام مجلس النواب « ان الاشتراكية الايطالية قد وضعت كارل ماركس على الرف » . غير أن المنهج الاصلاحي والتدريجي الذي كما كان يبدو قد اعطى نتائج طيبة في ميدان التربية السياسية والديموقراطية والمدنية للعمال الايطاليين خلال العقد الاول من القرن فانه لم يكن يملك اي بديل سليم يواجه به حدوث ازمة في النظام الجوليتي . فعندما بدت هذه الازمة واضحة فان الاشتراكية التوراتية قد اضطرت الى فقدان قيادة الحزب لانها — ربما — عاشت طويلا بفكرة كونها الوريث الطبيعي للبرجوازية دون ان تدرك أنها اي البرجوازية قد اخذت تدير لها ظهرها للاتحاد مع قوات كان يبدو انها اكثر استعدادا للتجاوب مع مطامحها او مصالحها .

وجاءت الحرب الليبية لتكشف هذه الازمة الكامنة في الميدان الاشتراكي ولتحرك المياه بصورة مضطربة في الغالب ولتوضح ايضا وتحدد مواقف الجماعات والزعماء . وفي عشية الحرب نجد ثلاثة مواقف محددة جيدا تجاه العملية الاستعمارية : الموقف الرسمي لتوارتي وصحيفة « افانتي » تعارض الحرب كمبدأ وترتبط بمواضيع السلام التقليدية دون الاندفاع بالاحتجاج نحو اشكال عنيفة ، وموقف الاصلاحيين اليمينيين بزعامة بيسولاتي وبصورة خاصة بونومي الذين كانوا يهتفون للعملية بنفس اللهجة التي وضعها جوليتي وكانوا يطالبون « بالتضامن السلالي الذي لا يعارض بل يتكامل مع تضامن الطبقات » (٤١) وانضم جماعة من النقابيين الثوريين الى هؤلاء المجندين للحملة الطرابلسية ومن بينهم لابريولا واورانو واوليفتي الذين برروا تاييدهم للحملة بصورة مختلفة ترتكز على موضوع صراع الطبقات الذي انتقل الى الميدان الدولي ، واخيرا فان أولئك الذين كانوا معارضين

---

(٤٠) المصدر المذكور ص ١٣٣ .

(٤١) هكذا كان يؤكد بونومي — انظر جوسبي ماماريلا Giuseppe Mammarella المصدر المذكور ص ٣٠٣ .

(٤٢) الزيف الطرابلسي في صحيفة « افانتي » ١٣ سبتمبر ١٩١١ .

للحملة الليبية وعازمين على القيام بعمل احتجاج عنيف كانوا ممثلي اليسار والنقابية الثورية يراسهم لاتزاري وموسوليني ودي امبريس وكوريدوني بالاضافة الى اتحاد الشباب .

وفي ١٣ سبتمبر ١٩١١ اتخذت صحيفة « افانتي » موقفا حازما ضد الحرب الايطالية — التركية مكررة بتاكيدات اندريا كوستا Andrea Costa عام ١٨٩٦ الذي جاء فيها « لا رجل ولا قرش من اجل ارتيريا » وكتبت : « ان رفض كوستا الذي اتهم اذ ذاك بعدم الوطنية قد اكدته بصورة مفجعة الاحداث الدامية التي لا تزال جميع الامهات الايطاليات تذكرها . يجب أن يرتفع مرة اخرى صوت الحزب الاشتراكي صائحا في مستشاري السوء الذين يتزاحمون حول الحكومة لدفعها على الحملة . فقبل برقة هناك كلابريا وهناك سردينيا ثلثا ايطاليا ايها التعساء الذين يهذون بالعظمة والقوة الوطنية وفي عهد الخلاص الايجابي هذا ومن اجل اندفاع بلادنا الاكيد نحو التمدن فنحن نطالب بملايين الدولة وعناية القوانين . واننا نقاوم وسنقاوم بجميع الوسائل اية محاولة لجر ايطاليا نحو مغامرات جديدة » . (٤٢)

وبعد بضعة ايام حذر توارتي من على صفحات « كريتيكا سوشالي » الحكومة من جديد على أن لا تقوم بخطوات خاطئة ولم يخف امكانية قيام الاشتراكيين الايطاليين بمقاومة حازمة . (٤٣) ولكن زعيم الاشتراكيين الايطاليين كان في الواقع كما يبدو لا يزال يثق في جوليتي ويعتبره « فطنا وذكيا بحيث لا يجلب السرور الفائق لاعدائه الاعزاء برؤيته يسقط في الفخ

---

(٤٣) « اذا كان الذوق السليم لا يكفي لمنع المسؤولين من المغالاة التي بدت رياحها بضجة غير عادية . واذا كان عناد اتراك وطرابلسية ايطاليا ترفض التعقل وتستميت في دفع الامور الى الهاوية فنعتقد وفي هذا الوقت لا نستطيع ان نخفيه بان الحزب الاشتراكي والعمال المنظمين الايطاليين لديهم اليوم ما يكفي من الضمير والقوة لرفع رؤوسهم وانهم يستطيعون دون فخر ولا خيلاء مواجهة المدعين الثرثارين وان يقال لهم ببساطة : الى الامام يا سادتي — نحن مستعدون » (من بيننا الى مراكش وطرابلس مرورا بروما — منشور في « كريتيكا سوشالي » ١٨ سبتمبر ١٩١١) .

الذي يعدونه له « ولم يكن توارتي يعتقد ان جوليتي « وهو في اقصى حد حياته السياسية » قد تمزق » العلم المرفوع لاوسع تاييد من اجل شهوة الامجاد الدموية التي وصمت وطبعت شيخوخة كريسبي . (٤٤)

الامر اذن هو معارضة الحزب للحرب ، معارضة اكدها اجتماع بولونيا الذي اشترك فيه في ٢٥ سبتمبر الاتحاد العام للعمل وادارة الحزب ومجموعة البرلمان . (٤٥) وقد تقـــرر في اجتماع بولونيا ـــ مـــع بعض المعارضة ـــ القيام باضطراب عام لمدة ٢٤ ساعة مع اقتراح جاء فيه انه بالرغم من ادانته للعملية الليبية « باسم مصالح الوطن الحقيقية والعميقة وخاصة الطبقـــات العاملة » فقد دعي العمال الى قصر الاضراب « في حدود النظام الدقيـــق وفي الاوقات القصيرة التي حددها الاتحاد».وذلك من اجل تجنب خطر «تقوية التيارات العسكرية ورد الفعل الذي تقوم به بوارجنا في طرابلس » (٤٦) (٤٦) وكان كل من بيسولاتي ولوكود وفيكوكالدا ونوفري وزربوليو وبونومي معارضين للاضراب وكانت خشية بيسولاتي في ان يرى بصورة خاصـــة تعديل المواقف التي وصل اليها الحزب عن طريق اضطرابات عنيفة بالاضافة الى المخاطرة بتطبيق الاقتراع العام . (٤٧) وكان تـــواراتي مصممـــا بهذه

(٤٤) المصدر المذكور ـــ كتب فليبيو ميدا F. Meda ان عملية طرابلس « وجدت الاشتراكيين متشتتين اكثـــر من اي وقت مضى . فحتى الساعـــة الاخيرة من فترة الاعداد القصيـــرة لم يعتقـــدوا ان الغـــزو سيتـــم . وعند ما تـــم لم يخفوا امالهم في ان تقـــوم عقبـــات من شانها ان تفـــرض على الحكومة التراجـــع » . (فليبيو ميدا « الاشتراكية السياسية في ايطاليـــا » ميلانـــو ١٩٢٤ ص ٥٧٠) .

(٤٥) لقـــد كان المجلس الاداري لاتحـــاد عـــام العمـــل الذي طـــالب بجلسة عامـــة لمختلف اجهـــزة الحـــزب وعقـــد اجتماعات عامـــة مصرحا بانه « من اجـــل تجنـــب كـــوارث الحـــرب فهم مضطرون للاضـــراب الذي اسند امـــر اعلانـــه الى اللجنـــة التنفيذيـــة بالاتفـــاق مع الحـــزب الاشتراكي الايطالي والمجموعة البرلمـــانيـــة الاشتراكيـــة » . (انظـــر ـــ الاتحاد العام للعمـــل في الوثائق والمستندات والمـــؤتمرات ١٩٢٦ ـــ ٩٠٦ باشراف لوتشانـــا ماركيتي ـــ ميلانـــو ١٩٦٢ ص ٤٧ ـــ ١٤٦) .

(٤٦) انظـــر ـــ الحزب الاشتراكي الايطالي في مـــؤتمراته باشـــراف فـــرنكـــو بيـــدونـــه Franco Pedone ميلانـــو ١٩٦١ ص ١٦٠ ـــ ١٥٩ .

(٤٧) بخصوص مـــوقف بيسولاتي في هذا الاجتماع انظـــر ص ١٣٨ ـــ هامش ١٠٨ . ولينظر

المناسبة على اسماع احتجاج الحزب حتى ولو انه اضطر الى الاضراب العام كي لا يكذب منظمات محلية مثل تنظيم ميلانو بقيادة فاليرا وكوريدوني وقد اعلنا منذ ١٥ سبتمبر الاضراب . (٤٨)وتنظيم فورلي الذي حدد يوم ٢٦ للاضراب . (٤٩)

ففي فورلي دام الاضراب يومين اي يوم ٢٦ و ٢٧ وفي هذه المنطقة اتخذت المظاهرات شكلا حادا وعنيفا بعكس مقاطعات ايطالية اخرى حيث تم الاضراب » بصورة قوية ومعتدلة » كما كتبت صحيفة « افانتي » (٥٠) التي لم ترد ان تقول ان النجاح كان جزئيا . وفي منطقة فورلي تراس بنيتو موسوليني وسكرتير غرفة العمل اومبرتو بيانكي الاحتجاج ضد طرابلس وقد نظم بالاتفاق مع الفوضويين والجمهوريين مثل بيترو نيني Nenni وارماندو كازاليني Casalim واتخذت المظاهرات في الغالب اشكالا مؤثرة فقد حاولوا منع وصول المجندين الى دار المحافظة بجميع الوسائل (اقامة عراقيل في الطريق ووضع ادوات وسلالم وغيرها جمعت من اماكن قريبة كما ابرق بذلك محافظ فورلي) وقاموا بتخريب القطار

ايضا بخصوص بيسولاتي والحرب الليبية مقالاته في صحيفة « سيكولو » في ١٥ سبتمبر و ٧ أكتوبر ١٩١١ والمنشورة الان في كتاب : لونيد ابيسولاتي : « سياسة ايطاليا الخارجية من ١٨٩٧ الى ١٩٢٠ كتابات وخطب » — ميلانو ١٩٢٣ ص ٢٤٧ — ٢٢٩ .

(٤٨) جوزبي ماريلا — المصدر المذكور ص ٣٠٠ .

(٤٩) رنيودي فليتشي ، موسوليني الثائر — تورينو ١٩٦٥ ص ٦ — ١٠٥ .

(٥٠) كتبت صحيفة « افانتي » بتاريخ ٢٩ سبتمبر « تقف الان طبقة العمال مستعدة للتعبير بشكل كاف عن ادانتها للاحداث التي تقع خارج مدارها وارادتها ومسؤولياتها » وان فكرة « افانتي » في انه على الطبقة العاملة ان تنتظر الاحداث بعد تحديد المسؤوليات لم يوافق عليها بيسولاتي الذي كتب في صحيفة « سيكولو » في ٧ اكتوبر مقالا بعنوان (واجبنا الجديد) قال فيه : ان المعارضة قد تمت والاحتجاج تحقق والمسؤوليات تحددت وسنواصل النقد في وقته ولكن في هذه الاثناء وقع الامر وبدأ وضع جديد — فهل علينا ان نتوقف ونعاود الاحتجاج وننزوي في ركن دون ان نحاول التاثير على الاحداث الاقل أهمية ! » .

الكهربائي فورلي ـــ امتدولا كمـــا سببوا اضــــرارا للخطـــوط التلغــرافية والحديدية . (٥١) ويوم ٣٠ سبتمبر حيى موسوليني من على جريدة « صراع الطبقات » نجاح الاضراب العام بفورلي « كاجمل واصدق حدس وافظـــع مظاهرة للارادة العمالية »

« لقد اعطت فورلي العمالية اعظم مثل . الاضراب العام وقد نجح نجاحا كاملا فنغتبط من اعماق نفوسنا واغتباطنا ـــ لاسباب عـــدة ـــ مشـــروع (...) لقد كنا الاوائل في تعويد العمال على سلاح التخريب . وقـــد جـــرب التخريب . انها محاولات كما نعلم ولكنها محاولات ذات مغزى ـــ لقد برهن العمال بتوقفهم التام عن العمل وبتخريبهم هذا انهم يعنون كل الوزن الثوري للاضراب العام (...) العمال الاشتراكيين قد ملوا السلمية . فبعد بضعة سنـــوات من الدعايـــة ستستطيع هذه الجماهيـــر القيـــام باعمال بطولية وتضحيات مثمرة حتى الفلاحين قد استجابوا بصورة مدهشة للنداء ولـــم يتخلف احـــد .

ولمدة يومين وليلتين كان الشعب المجهول المستغل المحتقر الملك السيـــد لطرق وميادين المدينـــة .

ولم يقع اي حادث رغم الظلام فالطبقة العاملـــة لا تســـيء استعمـــال الحرية . فلم تسجل الاخبار حوادث اعتداء او مشاجرات او ســـرقات ـــ لقد القيت بعض الاحجار وبعض الصياح ومناقشات حادة لا غير

ستظل يوما ٢٦ و ٢٧ مدموغين باحرف من نار في تاريخ الطبقة العاملة بفولـــي » . (٥٢)

---

(٥١) رينودي نليتشي ـــ المصدر المذكـــور ص ٧ ـــ ١٠٦ ـــ انظـــر بهذا الخصوص ايضـــا دويليـــو سوسميـــل Duilio Susmel « نيتـــي وموسوليني ـــ نصف قـــرن فـــي الجبهـــة » ميلانـــو ١٩٦٩ ص ٢١ ـــ ١٢ .

(٥٢) بنيتـــو مـــوسوليني « اوبـــرا اومينـــا » « Opera Omnia » باشـــراف ادوارد ودويليـــو ســـوسميـــل فلـــورنس ٦٣ ـــ ١٩٥١ المجلـــد ٤ ص ٦١ وما يتبعهـــا .

لقد حققت الاشادة بالتخريب والاضراب العام وهي القاعدة « نعقلية ثورية جديدة » غرضها في « تحطيم السلمية الاصلاحية الحاسبة » وتحرير الحزب من « عساكر جوليتي » ومن « الدمى المحشوة بالقش » ومن هنا كانت ثقة موسوليني في احداث المستقبل الذي كان يبدو وكأنه يخفي تطورا ثوريا غير بعيد لحركة الفلاحين والعمال . (٥٣)

ربما فات على موسوليني تصور الواقع في مناطق أخرى من ايطاليا حيث كان الدفع الثوري على ما يبدو لا يزال خامدا وحيث انه كان ينقص الاتصال الحقيقي بالقاعدة ومما لا شك فيه انه ضمن بان شيئا ما كان يتحرك داخل الاشتراكية الايطالية وان الحرب الليبية والمعارضة التي تقوم بها تحت اشكال مختلفة القوى الثورية وقوى الشباب بالحركة العمالية كان من المقرر لها ان تأتي باثارها ، وان الخلاف أخذ يزداد تجاه ادارة الحزب التي تعلن اضرابا واحتجاجا « معتدلا محددا بالساعة » (٥٤) ولا شك في ان الوضع الجديد الذي نشا داخل الحزب بالاضافة الى الحرب الليبية اعطى لشخص موسوليني حجما جديدا . فقد اخذ يظهر امام يسار الحزب

---

(٥٣) القى القبض على موسوليني ونيتي واوريليو لوللي في ١٤ اكتوبر ١٩٤٤ ووجهت اليهم التهم التالية : « مقاومة القوة العامة واصابة ضباط عموميين (...) انتهاك حرية المستدعين للسلاح ومقاومة السلطة واصابات الموظفين العموميين (...) بالقرب من محطة السكة الحديدية (...) اغلاق المتاجر والمصانع بالعنف (...) ايقاف القطارات الكهربائية في رومانيا بالعنف وقلب عربات البضائع وتخريب الاعمدة الحاملة واخذ ما يقارب ٤٠٠ متر من الاسلاك (...) الحاق الضرر بالخط البرقي الحكومي بواسطة اسقاط الاعمدة الحاملة وكسر الاسلاك (...) ايقاف مناورة احدى القاطرات بالعنف (...) وضع عمود برق على الخط الحديدي فورلي ـ انكونا مع خطر احداث كارثة للقطار السريع رقم ٦٤ (...) » (انظر قويدو دورسو Guido Dorso « موسوليني في طريق الاستيلاء على الحكم » ٠ تورينو ١٩٤٩ ص ٦١ ـ ٦٠) وقد حوكم موسوليني يوم ٢٣ نوفمبر وحكم عليه بالسجن عاما . وحكم على نيتي بعام سجن وخمسة عشر يوما و ٥٠٠ ليرة غرامة وحكم على اوريليو لوللي بستة اشهر سجن و ٣٠٠ ليرة غرامة ٠ وفي الاستئناف يوم ١٩ فبراير ١٩١٢ ٠

(٥٤) بنيتو موسوليني ـ المصدر المذكور ٠

الاشتراكي الايطالي كالرجل الجديد الذي في الامكان الاعتماد عليه للسير حتى النهاية بالمعركة ضد الاصلاحية و « عسكر جوليتي » (٥٥) .

وكان فريق يسار الحزب قد جعل من كوستا نتينولازاري اكبر ممثليه وهو الوريث « للعمالية القديمة » وكان يتولى في روما مع جوفاني ليردا اصدار صحيفة «لا سوفيتا» الاسبوعية واختير الاسم للرد على تاكيدات اتباع جوليتي القائلة بان ماركس قد وضع في غرفة السقف اي وضع على الرف (٥٦) وكانت الصحيفة الاشتراكية الرومانية الجديدة هي المنسقة لمختلف الاتجاهات الثورية في الحزب ولجميع التظاهرات ضد الحرب الليبية التي كانت تنظمها مختلف الفروع . وقد افاد هذا لازاري والجزء الاكثر تطرفا في توسيع قاعدتهم السياسية واضعين مقدمات نجاحهم في المؤتمر الذي سيعقد في ريجوايمليا عام ١٩١٢ . (٥٧)

من بين التجمعات التي وقفت موقفا حازما ضد الحرب الليبية يجب ان يذكروا اشتراكيي نابولي الذين كانوا يلتفون حول صحيفة « بروباغندا » التي كانت ايضا لسان حال اتحادات الشباب الاشتراكي بنابولي وكازرتا . وكانت هذه الصحيفة في الفترة ما بين اكتوبر وديسمبر ١٩١١ موضعا لمظاهرات عنيفة وهجمات من قبل جماعات مؤيدة للقوميين . وقد قدم النائب شيكوتي استجوابا للمجلس ذكر فيه ان هذه المظاهرات تمت « بعدم مبالاة وباشتراك السلطات المخصصة للحماية العامة » ولاحظ

---

(٥٥) كتب رنزودي فيليتشي (المصدر المذكور ص ١١٠) : « استمرت اقامة موسوليني بفورلي لمدة اشهر حتى نهاية شهر نوفمبر . ولم يبدو ظاهريا على موقفه التغيير نسيظل رئيسا للحركة الاشتراكية المحلية ولكن في الواقع سينتهي سريعا من كونه ممثلا محليا للحركة الاشتراكية حيث انه منذ اطلاق سراحه اتخذ سير حياته الشخصية حجما جديدا تاكد في الصيف في مؤتمر ريجواميليا وبصفته ممثلا وطنيا للتيار الثوروي الحائز فعلا على الاغلبية » .

(٥٦) قايطانو ارفي Gaetano Arfé تاريخ الاشتراكية الايطالية (١٩٢٦ ـ ١٨٩٢) تورينو حزب العمال الايطالي والفوضويون ـ روما ١٩٦٩ .

(٥٧) جوسبي ماماريلا المصدر المذكور ص ٣٠٨ .

محافظ نابولي في تقريره الى وزير الداخلية بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١١ ان صحيفة « بروباغندا » بوقوفها ضد شعور المواطنين العام وردا على برنامجها المتجاوز للثورية والمعادي للنظام الحالي وللاوضاع القائمة قد شرعت في حملة عنيفة ضد عملية طرابلس « اتخذت منها ذريعة للقيام باعتداء جريء على المؤسسات » وقد كان من « الطبيعي » حسب قول المحافظ فيري « ان مسلكا كهذا يستحق اللوم » قد « اثار استنكار الراي العام » (٥٨) .

« ان المظاهرات الوطنية — يقول محافظ نابولي في تقريره — بدأت مساء ٦ اكتوبر وقد تجمهر قرابة الالفي شخص من المواطنين والطلبة واخذوا يصفرون لدى مرورهم بمكاتب الصحيفة — ورد اصحاب « بروباغندا » بشتائم فظيعة مما اضطر مفوض الامن العام ان يتدخل بكل ما لديه من قوات وينجح في ابعاد الجمهور دون وقوع حوادث . (٥٩)

---

(٥٨) طلبت اللجنة الادارية للاتحاد الاشتراكي بنابولي بموجب بيان مشترك نشرته « بروباغندا » عقد اجتماع يوم ٢٤ سبتمبر ١٩١١ » في الساعة العاشرة صباحا في الساحة السابقة لسان لورنزو بميدان سان قايطانو وذلك للتعبير الى الحكام بانه ليس بالحقد بل بالحب والسلام والاخوة وبصفتنا شعبا متمدنا يجب ان نكون مناصرين » مقال : ضد المغامرة الطرابلسية بجريدة « بروباغندا » ٢٣ — ٢٤ سبتمبر ١٩١١) ولم تخل الصحيفة من اتهامات ضد الاصلاحيين الذين لم يساهموا بحملة قوية لتنوير الراي العام (« بروباغندا » ١٤ — ١٥ اكتوبر ١٩١١) ونجد بين المتعاونين مع الصحيفة اميلكاري شبرياني وسيلفا فماني الاسم المستعار للكولونيل السابق جواكينو مارتيني ·

(٥٩) A.C.S., b. 29, f. 68. II. المصدر المذكور « لابروباغندا » بتاريخ ٨ — ٧ أكتوبر ردت هكذا على المظاهرات : « عصابة من اللصوص والمتسولين يعدون عدوا جنونيا في شوارع نابولي صائحين فلتحيا طرابلس ايطاليا — ولو اقتصرت ظاهرة الجنون على هذا لما تألمنا · غير ان السفلة كانوا يذهبون كل يوم بحماية الشرطة للاحتجاج على يافطة « بروباغندا » طالبين رفع العلم على الشرفة تحية لعملية قطاع الطرق العسكرية (···) واخيرا وحوالي الساعة ١٨ من يوم الجمعة انحدرت جماهير سكارى وجائعة الى شارع روما تحت مكاتب الادارة للاحتجاج على موقفنا المضاد لطرابلس · لا نستطيع ان نصف الوجوه الشاحبة التي يتألف منها الجمهور المدوي مثل الكلاب المسعورة ولا الشتائم المترفة التي يقذفها ضد المحررين والرد

ووقعت مظاهرات ضد مركز الصحيفة الاشتراكية النابولتيانية في ايام ٨ و ٢٩ اكتوبر و ١٢ و ٢٣ و ٢٥ نوفمبر و ٣ ديسمبر عندما هاجم قرابة الاربعة الاف شخص اغلبهم من الطلبة مقر « بروباغندا » الموجود بشارع روما بقلب نابولي .

« في اليوم الثالث من هذا الشهر خلال حفلة العلم التي نظمها الطلبة الجامعيون وقعت مظاهرتان تحت شرفة بروباغندا الاولى نحو الساعة ١٣٫٣٠ والاخرى عند الساعة ١٧٫٣٠ (...) وقد نتج عن المظاهرة شتائم متبادلة وسقطت على الجماهير محبرة وحبر وبعض قطع من الخشب القاها الخصوم وقذفت الجماهير بعض الطوب الذي اصاب شعار الصحيفة القماشي المعلق بحافة الشرفة وحطم زجاجان (....) وتكررت فيما بعد مظاهرة الاحتجاج بصورة اكثر ضجيجا لان عدد المتظاهرين كان لا يقل عن اربعة الاف كانوا يهددون باقتحام مكاتب الصحيفة ولم يقع اي حادث باستثناء بضعة حجرات قذفت على اليافطة . (٦٠)

وهذا العداء ضد « بروباغندا » جعل محرري الصحيفة يشعرون بانهم اصبحوا وحيدين وان الوسط الذي يحيط بهم معاد لهم حتى في الحركة الاشتراكية. (...) تحت نافذتنا تزار الجماهير المعادية والشرطة كعادتها تجند ضدنا المجرمين والحكومة تامر لقضاء باقامة قضايا تحقيق معنا في حين أن الديمقراطيين ينظرون الينا بغضب لانه قد يلحق بهم بعض من العداء المحيط

الوحيد الذي كان في الامكان اعطاءه لهؤلاء « السانفيديست » (جمعية كانت تساعد على بقاء الاحتلال الاجنبي) هو امطارهم من شرفة « بروباغندا » بسيل من البصاق والسخرية وقد تصاعدت روائح الجوع الكريهة من مسبخة هؤلاء البؤساء كاخر نفس للاحتجاج على عملنا البطولي حقا المشروع . الفان تشردوا عائدين الى ادارات تحرير الصحافة الماجورة في مواخير المدنية القذرة في مكاتب الكفالير مارينو وفي معابد المنحرفين الكاثوليكيين . ولكن منذ الان اذا ما عاد هؤلاء المجرمون الى التجربة سنقيم سدا مشروعا ـ حسب الظروف ـ بطلقات المسدسات او البطاطس » .

(٦٠) A.C.S. المذكور .

بنا بينما عباد صناديق الانتخابات يتهموننا باننا حطمنا مراكز جيدة كانوا مستعدين فيها ان يواجهوا الاجتماعات للانتخابات الادارية القريبة في حين انه كان يقوم من على بعد الرهبان وموردو الاسلحة والصحافيون المأجورون باثارة غضب وخوف الجميع . (٦١)

ولكن كل ذلك لم يثبط من عزائم الاشتراكيين الثوريين النابوليتانيين الذين كانوا راغبين في فصل مسؤوليتهم عن « زيغ طلاب الحرب » الذي كان يبدو ان عدواه قد سرت حتى الى اصدقاء الامس والمتعاطفين » وكانت هذه المجادلة التي تقوم بها صحف مثل « سوفيتا » وبروباغندا » ضد الاصلاح وضد زعماء الاشتراكية الذين اظهروا تاييدهم للحرب كانت في الغالب محاولة واضحة في نقل الحملة المضادة لليبيا الى النقاش الداخلي للحزب لنيل موافقة جماهير العمال والفلاحين الضرورية للسير بحملة حادة بقصد الوصول الى قيادة الحزب .

وقد قام الشباب داخل الحزب الاشتراكي الايطالي بانشط دعاية ضد الحرب الايطالية ــ التركية دون التقيد بالنظم التاكتيكية . وقد تكون اتحاد الشباب الاشتراكي في سبتمبر ١٩٠٧ ببولونيا وكان نشطا وحاضرا بنوادي ومبادرات بصورة خاصة في ايمليا ورومانيا ولومبارديا وبيمونتي وتوسكانا فمن ١٤٤٩ مشتركا عام ١٩٠٧ وصل العدد الى ٤٣٣٠ مكتتبا عام ١٩١٠ وارتفع العدد خلال مؤتمر بولونيا عام ١٩١٢ الى ٥٦٢٣ . (٦٢)

وكان ارتور فيلا مؤسس ومدير صحيفة « افانقوارديا » لسان حال الحركة الاسبوعية التي أخذت في الصدور بروما منذ عام ١٩٠٦ . (٦٣) وكانت حركة الشباب الاشتراكي تتخذ مواقف قريبة من تيارات الحزب

---

(٦١) Splendid Isolation في « بروباغندا » ٩ ــ ١٠ ديسمبر ١٩١١ .

(٦٢) انظر جوزيبي ماماريلا ــ المصدر المذكور ص ٢٨٨ .

(٦٣) في سبتمبر ١٩١٢ بعد مؤتمر ريجوايمليا انتقلت ادارة « افانقوارديا » الى اوتوبانلي حيث ان فيلا انتخب مستشارا وطنيا للحزب .

الثورية وجعلت منذ نشاتها من سياسة المعارضة للعسكرية أحد المواضيع الحادة في دعايتها . وباشتعال الحرب الليبية خرجت هذه الدعاية من المواضيع المجردة والعامة الى القيام بحملة رئيسية وشديدة في الثكنات وفي اماكن تجمعات وسفر الجنود وذلك عن طريق توزيع الكتيبات والمنشورات وبتنظيم المبادرات التي عانت منها سلطات الشرطة كثيرا .

وقد اجتاح احد هذه المنشورات التي طبعت بمطبعة الادارة ببارما كملحق للعدد ٤٢ للصحيفة نصف شهرية « الشباب الاشتراكي » جميع ايطاليا في الفترة ما بين اكتوبر ١٩١١ . وكان المنشور موجها للمجندين من مواليد عام ١٨٩١ » وكان مضمونه دعوة الى الفرار والثورة :

« لا تكونوا قطيعا يترك نفسه ليقاد سلبيا الى المجزرة . تعلموا ان تستفيدوا من اجل قضيتكم من السلاح الذي بايديكم . كونوا حازمين في عدم تقديم حياتكم لراحة مستغليكم بل قدموها من اجلكم واجل بعثكم . ان الاوقات الجديدة ستأتي اذا اردتم أيها الشباب العامل المطلوب دخوله الى الثكنات . » (٦٤)

وقد ابلغ المحافظون في تلك الايام عن وجود هذا وغيره من المنشورات المضادة للعسكرية وقد اشارت وزارة الداخلية في ٢٦ أكتوبر عن وجود المنشور المتهم « في عدة مقاطعات » وانه قد تمت المصادرة للمنشور على نطاق واسع و « اعتقل كثيرون في ميلانو وبارما وفي مناطق أخرى ممن كانوا يوزعون ويلصقون المنشورات بصورة سرية . » (٦٥)

---

(٦٤) توجد صورة من المنشور في A.C.S., b. 23, f. 52 المصدر المذكور . وقد قام أوبرتو بافاني امين سر اتحاد الشباب الاشتراكي ببارما بطبع ونسخ وارسال هذه المنشورات . (المصدر المذكور : رسالة محافظ بارما الى وزارة الداخلية بتايخ ٢١ ديسمبر ١٩١١) .

(٦٥) شرحه — بناء على معلومات جاء بها المخبر باسكاروتشي ارسلت وزارة الداخلية بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩١١ البرقية التالية الى جميع المحافظين : « شددت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي دعايتها المضادة للعسكرية بتوزيع الاف المنشورات

واتهمت السلطات القضائية ببارما المنشور « بالجرائم المنصوص عليها في البند ٢٤٧ من قانون العقوبات والمادة ١٧ من نظام الصحافة » وفي يوم ٢٥ اكتوبر القي القبض في ريجوايمليا على الطالب برونو ميسيفاري البالغ من العمر ١٩ سنة وكان يقوم بتوزيع مطبوعـــات ضــد العسكرية بشارع مارينا ، وفي يوم ٥ نوفمبر القي القبض في ساساري (سردينيا) على المحامي جوفاني انتيوكيومورا سكرتير غرفة العمل المحليـــة لوجود منشور شباب بارما الاشتراكي في حوزته الموزع ما بين الطلبة والعسكريين والمستدعين بحامية ساساري . وفي ريجوايميليا علقت مناشير ما بين ٧ و ٨ نوفمبر ١٩١١ تشيد بعمل ماسيتي ، وفي كريمونا القيت مناشير في ٢٩ اكتوبر خلال العرض من شرفات مسرح بوليتا ما فردي . ووزعت وعلقت مناشير في ميلانو وبولونيا ومودينا وليفورنو (٦٦) ، وباري وشيرنييولا وفوجا وكيتي وفلورنس وبالرمو وفيرارا ومنطقتها (فورمينانو وكوبارو وارجنتا) وماربنو قروتا فيراتا وروما (حيث الصقت المناشير حتى فـــي تراستيفييري) واورتي وفالدارنو وغيرها (٦٧) وحتى في طرابلس القيت

ضـــد الحـــرب على جميع الفـــروع الايطاليـــة لتوزيعها بيـــن الشبـــاب وخـــاصـــة المطلوبين للجنديـــة . وتاكيـــدا لتعليمات سابقـــة يرجى اصدار التعليمـــات السريعـــة للقضـــاء على توزيـــع هـــذه المنشورات السريـــة » (شرحـــه) .

(٦٦) وزع ليفورنـــو منشـــور موقع باسم « الاشتراكيـــون والفوضويـــون » جـــاء فيـــه : « ايها العمـــال نحـــن لا نفـــرق بين لغـــة او ارض ، اننا نـــرى في العمـــال الاتراك الذين يتتلهم العمـــال الايطاليون بصورة لا شعورية لتقويـــة البرجوازيـــة الوطنيـــة باستمرار .. اننا نرى فيهم اخوة يتالمون مثلنا ويؤملون في مستقبـــل افضل . اننـــا نشمئـــز من هذه المجـــزرة الفظيعـــة ونخجـــل لان الذين قامـــوا بها هم مـــن العمـــال الايطـــاليين الذين يرتـــدون لبـــاس البحريـــة . اننا نشعـــر بالفـــزع للمنظر المـــرعب لكثيـــر من التعساء الذين ربما لا زالـــوا يحتضرون وسط الميـــاه الداميـــة ويستنجدون بامهـــم البعيـــدة واننـــا نشـــارك في الام تلك الامهـــات اللواتي يلعن في هـــذه الساعة اللعينة مـــن يعـــذب « فلـــذات اكبادهن » وفي بولونيـــا وزع منشور مـــوجـــه الـــى « المجنديـــن » حـــرره ارماندو بـــورقي وجـــوزبي سارتيني واوتو داينييـــي (نفس المصـــدر) .

(٦٧) نفس المصـــدر .

من السفينة « بابا جوفاني » مناشير ضد الحرب وضد آل سافويا (٦٨) وفي فانو وزع منشور في شهر نوفمبر بعنوان « لو كنت اما » وقد طبع في مطبعة لوقانو الاجتماعية وكانت لهجته متأثرة بالدعاية الانسانية السلمية الفوضوية .

ويبدو ان كان لها تاثير اكيد على نفسية الشعب . ويقرأ في القسم الاخير من هذا المنشور ما يلي : « اذا كنت اما لقلت لولدي ذي العشرين عاما أحبب الناس جميعا . ان العالم لا حدود له مثل الهواء الذي يحيط بك والنور الذي يضيئك والعلم الذي يهذبك . احبب ، احبب احبب . ان جميع الرجال اخوتك لا يوجد ايطاليون ولا فرنسيون ولا يابانيون ولا روس كما لا يوجد مسيحيون او مسلمون او يهود او يونانيون — جميع الرجال اخوتك في الانسانية الحرة لان لهم نفس الحاجة والقناعات التي يريدون ارضائها لو كنت اما لقلت لولدي ذي العشرين عاما المطلوب لارساله للحرب : ارفض ! انك لا تستطيع ولا يجب ان تكون قاتلا !... ان الحرب الوحيدة الاكثر قدسية التي تستطيع أن تقاتل فيها هي حرب الحرية والخير ففي هذه الحرب كن جنديا شجاعا ومتطوعا وقدم الحياة التي اعطيتك اياها في سبيلها . (٦٩)

وكانت برما مركز هذه الحركة ضد الحرب الليبية ، فبمناسبة استدعاء مواليد عام ١٨٩١ الى الجندية في شهر اكتوبر بدأت « اضطرابات حقيقية معادية للعسكرية بواسطة محاضرات خاصة في النوادي النقابية ورابطات الفلاحين في جميع المقاطعة » ونجد من بين المحاضرين الاكثر نشاطا الشسته دى امبريس واميلكاري تشيبرياني وريناالدو ساليتيوأومبرتو باقاني وتوليو ماسوتي وغيرهم (٧٠)

---

(٦٨) نفس المصدر b. 45, f. III ، رسالة موجهة من ادارة شرطة طرابلس الى وزارة الداخلية بتاريخ ٣٠ مارس ١٩١٢ .

(٦٩) نفس المصدر b. 23, f. 52 — هذا المنشور ارسل من قائد حامية فانو الى قائد الفرقة في انكونا يوم ١٦ نوفمبر ١٩١١ .

(٧٠) نفس المصدر b. 45, f. III — رسالة محافظ بارما الى وزير الداخلية بتاريخ ٢٠ اكتوبر ١٩١١ .

وصدر في عام ١٩١٢ كتيب بقلم فيليبو كوريدوني بعنوان « خرائب الامبريالية الايطالية الجديدة ــ ليبيا والحركة المضادة للعسكرية » وقامت بطبعه مطبعة بارما الادارية كرقم ١ من « مكتبة الشباب الاشتراكي » سلسلة « الدعاية المضادة للعسكرية » وقد كلف المؤلف والمسؤول عن المطبعة شيزري روسي (نقابي معروف) اتهام المحافظ لهما . (٧١) فبعد ان انتقد كوريدوني في كتيبه بشدة سياسة الحكومة الاستعمارية ومن يسيرون وراء موكبها التنكري (كرنفال) . (٧٢) ودرس امكانية ايجاد طراز جديد من الصراع المضاد للعسكرية ، قال :

« لا يجب أن تقتنع لآخر مرة أن مقاومة العسكرية الحقيقية تقع في الثكنات وان ثورة العمال ستتم بالجيش لا ضد الجيش . ومن هنا تقفز الضرورة المطلقة لجعل الجيش في قبضتنا . ففي كتيبة تتألف من ٦٠٠ جندي يكفي أن يكون عشرون من أصدقائنا على اتصال مستمر بنا جميعا كي تصبح الكتيبة كلها معنا (.....) نحن نرغب في أن يقوم شبابنا بالثكنات بلغهم التكوين المعنوي للجيش بحيث ان البرجوازية ستجد نفسها محرجة لدى استعمالها للجيش سواء ضد العدو في الخارج أم ضد العدو في الداخل . (٧٣)

ونتج عن توجيه المعركه على هذا الشكل أعظم مبادرات اتحاد الشباب الاشتراكي : تكوين الصندوق الخاص المسمى « من أجل قرش الجندي »

---

(٧١) نفس المصدر b. 22, f. 47

(٧٢) فليبو كوريدوني ــ خوائب الامبريالية الجديدة الايطالية ــ ليبيا والحركة المضادة للعسكرية ــ بارما ١٩١٢ ص ٩ ·

(٧٣) نفس المصدر ص ٣٠ ــ هناك كتيب اخر كان له بعض الانتشار هو الذي طبعته ادارة الحزب الاشتراكي الايطالي بعنوان « ضد الحرب » (ميلانو ١٩١١) ــ وطلب مدير الامن العام فلياني لدى اشعاره المحافظين بالامر ان يرفضوا الترخيص « بالتوزيع في الاماكن العامة او المفتوحة للجماهير » · وان يسهروا على ان لا يوزع الكتيب في « الاماكن العامة التي يرتادها الجنود » (A.C.S., b., 45, f. III)

« ان هذا الصندوق كتب وزير الداخلية في رسالة سرية الى المحافظين بتاريخ ١١ يوليو ١٩١٢ — يرمي الى مساعدة الاعضاء المطلوبين للجندية بدفع مخصصات ثابتة تقدر على ضوء ما تسمح به المحاصيل القادمة مع الزامهم بالقيام بدعاية مضادة للعسكرية بين الجنود عن طريق كتيبات وكتب قد ترسل الى هؤلاء بطريق البريد أو بواسطة المعارف الذين يكونون في الحاميات ويجب التركيز بصورة خاصة على الجنود الذين لا تصلهم مساعدات من عائلاتهم لاستقطابهم في مدار الحزب عن طريق مساعدات بسيطة .

ان هذا الشكل الجديد للعمل الثوري الذي يراد محاولته لغاية جنونية لا يخلو من أخطار كبيرة تتطلب ضرورة مواجهتها في الوقت المناسب بعلاج سليم وحازم (٧٤) .

وقد استطاع فيلا رئيس اتحاد الشباب ان يشيد بسرور في مؤتمر الحزب الاشتراكي بريجوايميليا بالنشاط العظيم الذي قام به الشباب الاشتراكي في حملتهم ضد الحرب مع الاشارة الى ضآلة ضغط الخط الرسمي للحزب على المواضيع المضادة للعسكرية ومعارضة العملية الليبية . « (....) لقد رايتم — قال فيلا — كيف ان الحملة ضد الحرب الليبية قام في طليعتها شبابنا الاشتراكي بتوزيع الكتيبات وبالتعبير عن معارضة الشباب الاشتراكي للحرب . » واضاف بشكل جلي « لقد حصدنا محاكمات واعتقالات ولكن واصلنا العمل وأعطينا مظهرا عظيما من الجدية وحافظنا بايمان على هذا العمل الذي نساه الحزب لسنوات كثيرة . (٧٥)

---

(٧٤) نفس المصدر ، ان « قرش الجندي » تكون رسميا في مؤتمر اتحاد الشباب الاشتراكي الذي عقد في بولونيا في ٢٢ — ٢٠ سبتمبر باقتراح من فوريان ووضع بوناتشولي جدول الاعمال التالي : يقرر المؤتمر بعث الحياة حالا في مؤسسة قرش الجندي وتترك الحرية للاتحادات الاقليمية أو في المحافظات مع اجبارهم على اعداد تقرير للمؤتمر الوطني القادم حول سير هذه المؤسسة بحيث يمكن تقرير اي طريق افضل للعمل (انظر « افانقوارديا » ٢٩ سبتمبر ١٩١٢) .

(٧٥) محضر مختزل لمؤتمر الحزب الاشتراكي الوطني ، روما ١٩١٣ ص ٢٨٤ .

وكان الشيستي دي أمبريس وفليبو دوريدوني كما رأينا من انشط الناس في هذه الحملة . ومن الغريب أن هذين الزعيمين بالنقابية الثورية قد اتخذا فيمابعد عام ١٩١٥ موقفا مؤيدا لتدخل ايطاليا في الحرب العالمية الثانية (٧٦) لانهما كانا يريان في الحرب وسيلة ممكنة لان تكون مصبا للثورة العمالية . وفي الواقع وبالرغم من شحنة التشدد الاكيدة فان النقابية الثورية (نتاج عقائدي لمثقفين مضطربين) وذلك (بخلاف الفوضوية « تيـار ذو طبيعة عمالية بحتة تحتفظ اوضاعه الداخلية باستقامة خطة وتماسك لا يتغيران ابدا) . يلاحظ فيها « انقلابية عمومية واستعداد منظم للمغامرة » (٧٧) ولهذا فان الحرب الليبية اظهرت كـم كانت هذه الحركة مضطربة ومتناقضة في مواقفها فاذا كان دي أمبريس وكوريدوني القوة المتقدمـة في المعارضـة الاشتراكية للحزب فان أرتولا بريولا وانجولو اوليفيتي اللـذان كان يعملان في نفس الاتجاه قد وافقا على العملية الليبية . وقد وصل الامر باوليفيتي الى ايجاد مشابهة ما بين النقابية والقومية وكلاهما « عقيـدة قـوة وارادة تواجه عقائـد او بالاحرى ممارسات الملائمـة (.....) فالنقابية القـومية هما ضد الديمقراطية وضد السلام وضد البرجوازية » . القـومية والنقابية كانتا تشتركان ـــ كما يقول اوليفيتي في « الشعور البطـولي الذي يريدون

---

(٧٦) لقـد بـرر دي امبـريس معارضته للحـرب الليبية باعتبارها « عمـل غطـرسة مـن اعمـال قطـاع الطـرق » في حيـن انه كان يعتـرف بـان الحـرب ممكن ان تكون « في بعض الاحيـان » دراسـة جيـدة فـي التربيـة الثوريـة » انظـر رنـزودي فيليتشي « التدخـل الثـوروي » منشور في AA. VV. (مؤلفـون مختلفـون) ـــ صدمة التدخل ـــ المصدر المذكـور ص ٩١ ـــ ٣٧١ .

(٧٧) تايطانو ارفي ، المصدر المذكـور ص ٢١ ـــ ١٢٠ « اذا حكمنا بصورة تاريخية كاملـة على النقابية الثوريـة ـــ قـال تايطانـو ارفي ـــ فقد نجـد مكانا للتفسيـر الـذي نرى فيها نوعـا من الاحتجـاج المتطرف للطبقـات المضطربـة للبرجوازيـة الصغيـرة المثقفـة وهـم الذيـن يحاولون الاستفـادة من حركـة العمـال لاحتلال مركـز ممتاز في المجتمع اي ذلك المركـز المفقـود في منطق حـرب الطبقات الحديثة والذى لا يـرون لـه في الـوقت الحاضر مدخـلا اخـر .

احيانا « مجتمع مضاربين وبقالين » (٧٨) وكتب اوليفيتي نفسه بخصوص الحرب الليبية يقـول :

« ان ايطاليا تقول : تلك الارض تعجبني وتلائمني وهي لي ، القانون الوحيد مصلحة الدولة : والقوة الموضوع الوحيد والعنف الاسلوب الوحيد . وبذلك تشدر الى الطريق . ففي اليوم الذي تكـون فيه الجماهيـر العمالية ناضجة للنصر العظيم سيخاطبون البرجوازية بنفس اللغة التي خاطبت ايطاليا بها تركيا . وهي لغة القوة الخالدة التي تؤكدها الاعمال ، لغة روما الام والجرمانية والاسلام والرجل الابيض في أمريكا وافريقيا وآسيا لغة القوي والغازي في كل مكان وزمان .

(....) ان ايطاليا في هذا الوقت تتنكر لكل مـا نتنكر له وتؤكد كل مـا نؤكده وانها بعنفها العظيم تقدم لنا درسا دقيقا في الاعداد الثوروي » (٧٩)

وبالنسبة لارتورولا بريولا ايضا كان هناك توقع دقيق حول موضـوع الحرب كوسيلة لليقظة الثورية فالعمال الايطاليون لم يكونوا قادرين على عمل الثورة لانهم لم يكونوا يعرفون القيـام بالحـرب . فيجب تربيتهـم وتعويدهم على القتال : « دعوا البرجوازية تعودهم على القتـال الجدي وسترون انهـم سيتعلمون محاربـة البرجوازيـة نفسهـا » هكـذا كتب لابريـولا . (٨٠) وكان تنتقـد فيه اسطورة تحـويل صراع الطبقـات من المستوى الوطني الى المستوى الدولي وهو موضوع دفعته القومية الى الامام

---

(٧٨) انجلوا وليفيتي ــ النقابيـة والقوميـة ــ نشر في صفحات حـرة بتاريخ ١٥ فبرايـر ١٩١١ ثم « مؤلفون مختلفون » AA. VV. لصالح وضد حرب طرابلس . مناقشـات في الميدان الثـوري » المصدر المذكـور ص ١٧ ــ ١٥ .

(٧٩) انجلوا وليفريو اوليفيتي « الحملـة الاخـرى » في « صفحات حـرة » ١٥ نـوفمبـر ١٩١١ ثم في مؤلفـون مختلفون AA. VV. المصدر المذكـور ١٦ ــ ١١٥ .

(٨٠) ارتورو لابريولا ــ اول عملية مشتركة لايطاليا الجديدة نشر في AA. VV. المصدر المذكور ص ٤٩ « اسمحوا بان نحطم الكسل المتعفـن في عاداتنا ــ قـال لابريـولا ــ ربمـا لا توجـد اليـوم عمليـة اكثر ثورويـة من هذه التي تحاولها ايطاليـا » .

بلسان كوراديني واكدته في مؤتمر فلورنس لعام ١٩١٠ حيث قال : « مثلما علمت الاشتراكية للعمال قيمة الصراع الطبقي فيجب علينا ان نعلم ايطاليا قيمة الصراع الدولي » . (٨١) كان موضوع « العمالية الكبرى » الذي سحر جوفاني باسكولو والذي كان حاضرا في التبريرات الموسولينية خلال حرب اثيوبيا عام ١٩٣٥ . ويبدو ان هذا الموضوع كان لابريولا متاخرا به جدا بحيث انه بصفته معاد للفاشية ومهاجر قد عاد الى ايطاليا في تلك المناسبة للانضمام الى النظام (٨٢)

« وكتب لابريولا في أكتوبر ١٩١١ : وان ما يؤكده الآن لا الفقر الثقافي وحده بل ايضا محافظة الديمقراطية الاجتماعية اللاشعورية هي عدم مقدرتها على تفهم القيمة الثوروية للعملية الايطالية .

(....) ان القانون التاريخي وسياسة قطاع الطرق هي من فكاهات الفلاحين فوراء تركيا توجد اوروبا باموالها وسنيوفها والحق المقدس والانجيل وهي تعد الفريسة وتقف ضد من يريد سرقتها . أوروبيّة المرابين التي تقرض التركي بعمولة مائة في المائة وتخشى على ضماناتها اوروبية تيمورلنك التي تريد أن تضع تحت اقدام الامبراطور الالماني وفي خدمة انكلترا المأجورة البلاد التي لا تلعن باللغات الاجنبية وبتشاؤب الشماليين . فمذ هؤلاء اللصوص قد أصبحنا خارجين على الجماعة واذا تفشل جراتنا فذلك لاننا قاومنا انفسنا في عملية دونكيشوتية جديرة بشعب أراد دائما ان يدخل عنصر الشعر في نثر كيانه اليومي . واذا نحن لن نسحق فذلك لان اجناس البحر الابيض المتوسط بعد ان اتقلت فترة الانحطاط التي دامت قرونا — قد استطاعت ان تضمد جراحها وتعود الى الحياة » (٨٣)

---

(٨١) انظر فرانكو فايطا ، المصدر المذكور ص ٨٥ .

(٨٢) انظر فايطانو ارفي ، المصدر المذكور ص ١٢١ .

(٨٣) ارتورو لابريولا ، المصدر المذكور ص ٦٠ — ٥٩ . اعاد لابريولا النظر في موقفه بعد ثورة العرب (انظر الى الوراء ص ١٩٢) وقد رد دي امبريسي على تاكيدات اوليفتي ولابريولا بما يلي : « ان هؤلاء النقابيين لا يشعرون اذن بدورهم

وان انضمام رجال مثل بيسولاتي وبونومي وكابريني وبرينيتي ودي فليتشي (٨٤) وقراتسيادي ولابريولا وأوليفتي وأورانو ومونيتشيللي . ومارفاسي وقويد وبودريكا (٨٥) نفسه عدو الكنيسة الشديد الذي بالاشتراك مع فالانترا قام ولمدة سنوات من على صفحات « الحمار » بهجاء الرهبان والاغنياء والعسكريين فان هذا الانضمام كان ولا بد أن يحدث داخل الحزب نقاشا حادا انتهى في مؤتمر ريجو ايميليا لعام ١٩١٢ بطرد بيسولاتي وبونومي وكابريني وبودريكا من الحزب بناء على اقتراح موسوليني . وقد طرد الثلاثة الاولون لانهم بالاضافة الى تأييدهم للحرب فقد هنأوا الملك بعد نجاته من الاعتداء عليه في ١٤ مارس . وكان الحزب قد اخذ ينـزلق نحو اليسار بصورة لا مفر منها وقد حاول توراتي عبثا ان يحتفظ به في قبضته . وعبثا منذ المؤتمر الطارىء الذي عقد في مورينا ما بين ١٥ و ١٨ اكتوبر أعاد الزعيم الاشتراكي تأكيد معاضة « للصوصية الاستعمارية » (٧٦) وفي

انهم متفقون مع جوليتي والملك وبنك روما`وموردي الجيش ومغامري الثكنة والسياسة والصحافة المحتكرة والفاتيكان وبودريكا وبونو ميللي » (الشيستي دي امبريس ، ضد اللصوصية الاستعمارية ولصالح طبقة العمال في « صفحات حرة » ١٥ اكتوبر ١٩١١ ثم في AA. VV. المصدر المذكور ص ٨٧ — ٧٣) .

(٨٤) فيما يتعلق بموقف دي فليتشي انظر ص ٦٥ — ٦٤ والفيوكارا المصدر المذكور ص ٢٠٦ — ١٤١ . وقد غير دي فليتشي فيما بعد موقفه جزئيا بادانة الحرب الليبية « والصفقات والسرقات » التي تمت لضرر الجنود (انظر ص ١٥٩ حاشية ١٤) .

(٨٥) انظر تويدو بودريكا ، المصدر المذكور .

(٨٦) « اكد توراتي ان التاريخ الاستعماري لجميع الامم كان دائما تقريبا نوعا من اللصوصية غير ان اللصوصية الاستعمارية قابلة للتفاوت قد يكون به ان قل او زاد شيء من المدنية اما استعمارنا هذا فهو لصوصية بحتة . ومما يضاعف من جرمها انه لا فائدة فيها مطلقا وانها تتجه قبل كل شيء ضد مصالح بلدنا . وفي هذا الصدد فان المعارضة التي يواجهنا بها الجناحان المتطرفان تلتقي بشكل غريب . وبصوت واحد يزعم تشيكوتي وبرنيتي بوقوعنا في تناقضات مع المبادىء لاننا نؤكد أن احتلال ليبيا لهذا لسبب ممقوت لانه على كل حال قد لا يعطي ايطاليا سوى محيط واسع لا فائدة فيه من الرمال المميتة . « فلو ان المستعمرة الجديدة — يكادون ان يقولوا — كانت لقمة طيبة وارض غنية بالذهب

ريجو ايميليا كرر كيف انه بصورة خاصة يهمه عدم انقسام الحزب بل تعزيز فعاليته (٨٧) وانتقد بدون مواربة اليمين لاعلانه موافقته على الحرب بسفسطائية و«مكر» و «امتياز» كلها تصلح لمقال ينشر في «نوفا انتولوجيا» ولكن الطبقة العاملة لا تشعر بها ولا يجب ان تشعر بها اذا كان من شأنها لن تطفىء شعلة حماسها في ثورة مقدسة وسخطها الذي لا يلين والذي هو بمثابة الاشارة والعربون والبشير لنيل الطبقة وللمدنية الجديدة التي تريد أن تنقلها الى العالم وقد هاجم توراتي بحزم موقف الاصلاحيين بالنسبة للحرب واكد ببلاغته الحارة الدامغة .

« ما بين بساطة اشعار » لحن العمال الذي اعترف انه هزيل وما بين ... الوطنية المعقولة التي تنادون بها لا يوجد مكان كاف تتمدد فيه سياسة الطبقة العاملة الاشتراكية الدولية ومع ذلك دولية ؟

هذا الصراع ما بين الروحين الاشتراكية و ... الاخرى يتفجر بصورة لا رجعة فيها — انكم تتسلقون على الزجاج . مشانق طرابلس ! انها جرائم شخصية لحاكم . مذبحة العرب مستحيلة ! ان جنودنا العمال بالزي العسكري قد لا يقبلون ارتكاب ذلك (تصفيق) ولكن لا تنسوا انهم جنود فقط . واداة سرقة بالرغم منهم ويقادون للقتل ربما سكارى .. (تصفيق حاد طويل) .

شكرا للتصفيق — ليس من اجلي بل من اجلنا ومن اجلهم لان هذا هو العار قبل كل شيء في هذه الحرب الذي ثرنا ضدها . ان الاشد من اهانة حق الانسان واهانة الانسانية هو خلق الانحراف في الطبقات العاملة

لفترت معارضتكم للحكومة » • معارضتنا لن تفتر ولكن قد نجد ان اللصوصية كانت اقل بلاهة » (فليبو توراتي « الطرق الرئيسية للاشتراكية » باشراف رودولفو موند ولفو وفايطانو اربي ، نابولي ١٩٦٦ ص ٣٥ — ٢٣٤) وقد انتقدت الاشتراكية الدولية ايضا معارضة الحزب الاشتراكي للحرب الرسمية • انظر جوزيبي ماماريلا المصدر المذكور ص ٢٠ — ٣٠١ وجورج هوبت ، الاشتراكية الدولية واحتلال ليبيا في « حركة العمال الاشتراكية » ١٩٦٧ عدد ١ ص ٢٤ — ٣ .

(٨٧) فيليبو توراتي المصدر المذكور ص ٢٤٧ •

وتربيتها على الوحشية وعدم المدنيـــة هل هناك تسامح ممكـــن لجـــرائم الاشتراكيين هذه ؟ (٨٨)

غير ان محاولة توراتي في الحفاظ على وحده الحزب كانت فاشلة . ان لاتزاري بمعاونة موسوليني تولى زمـــام الاشتراكية الايطالية التي واصلت صراعها ضد « الدولة وضد الملكية » كما أكد ذلك لاتـــزاري نفسه (٨٩) فان حرب ليبيا قد وضعت نهاية للتجربة الاصلاحية والتعارنية التي اعطت مع ذلك ثمارها للطبقة العاملة الايطالية . ان العملية الليبية قد حطمت التوازن . ذلك التوازن الذي اوجده التعاون الصامت، ١٠ بين عالم العمال والبرجوازية قد تحتم بالفعل . فالبرجوازية الايطالية بحـــرب ليبيـــا قد أصيبت بمـــرض القومية الامبريالية ورفضت الحوار والملاقاة مع الاصلاح الاشتراكي ، وقـــد امل توارتي عبثا أن يعيد فتح الحوار الذي اوقف قهرا مع الرجل الذي قـــدم دلائل ملموسة عن حسن النية . وفي اكتوبر ١٩١١ ايضا حاول توارتي في موديننا أن يفهمه ويعذره دون أن يتخلى عن الانتقاد الذاتي والقاء جزء مـــن مسؤولية ما كان يقع على نفسه وعلى الحـــزب :

« فاذا كان جوليتي » اليوم يؤكد أن عملية طرابلس قد جر اليها رغما عنه واذا كان يعتذر « بالقدر التاريخي » وهي فكرة وجملة سامية ومتناقضة مع عاداته البيروقراطية في الفكر والاسلوب فاني ميال الى الاعتقاد في صدقه لان افريقيا لا أستطيع أن اتصورها في جغرافية البرجوازي الصغير من خلال برنامج حكومته .

والواقع انه خضع لغير القوات التي كانت تضغط عليه ومن بينها قوتنا التي كان من الواجب ان تعارضه بقوة ولكنها لـــم تفعل . وهذا لا يبرئه ولا يبرئنا نحن بصورة خاصة اذا لم نثر وهذا مـــا يفسر الامر ويعلمنـــا بعض الشيء » (٩٠)

---

(٨٨) نفس المصـــدر ٥٣ ـــ ٢٥٢ .
(٨٩) الحـــزب الاشتراكـــي في مؤتمراتـــه . ـــ المصدر المذكور مجلد ٢ ص ٢١٣ .
(٩٠) تلييو تـــوراتي ـــ المصدر المذكـــور ص ٢١٩ .

غير أن الحوار لم يعد بعد ممكنا . فمن جهة ـــ كما لاحظ فايطانوارفي ـــ ان الحرب الليبية قد شرخت حتى الكسر تلك العلاقة القائمة على التضامن الموضوعي ما بين البرجوازية وحركة العمال في اطار التقدم الاقتصادي العام للبلاد مما ادى الى اعادة فعلية للاستقلال الذاتي المتبادل للطرفين المتعارضين بوضعهما الواحد تجاه الآخر في صراع لم تعد غاياته اقتصادية بل سياسية (٩١) ومن جهة اخرى فان النمـــو العددي الذي وصل اليه الحزب والذي ستدل عليه انتخابات عام ١٩١٣ والتضخم الذي حدث بدخول اعضاء كثيرين لا من العمالية القديمة المـــرتبطة « بالتقاليد الاشتراكيـــة للسلالـــة القـــديمة الطيبة » (٩٢) بل بالفوضويين والموسولونيين قد حفر هوة تزداد عمقا مـــا بين الحركة العمالية والبرجوازية التي لم تفت لينين الاشارة اليها . (٩٣) فالاسبوع الاحمر لعام ١٩١٤ ثم التاسع عشر فيما بعد كانت المصب الذي لا مناص منه للجو الجديد ولتوازن القوى الذي تأكد داخل الحزب الاشتراكي في فترة الحرب الليبية (٩٤) محطما بذلك الخطط القـــديمة التي سار عليها

(٩١) فايطانـــو ارفي ،، المصدر المذكور ص ١٥٩ . فيما يتعلق بازمـــة العلاقـــات ما بيـــن البرجـــوازيـــة والطبقـــة العاملـــة الحـــادة بصورة خـــاصة في مدينة صناعية مثـــل تورينـــو ، انظـــر باولو سبريانو Paolo Spriano الاشتراكية والطبقة العاملـــة بتورينـــو من ١٨٩٢ الى ١٩١٣ ص ٨٣ ـــ ٢٥٩ .

(٩٢) فايطانيو ارفي المصـــدر المذكـــور ص ١٦٨ .

(٩٣) كتب لينين عـــام ١٩١٥ : ان البرجوازيـــة التي كانت الطبقة الاكثـــر تقدمـــا الطبقـــة الصـــاعـــدة قد غـــدت طبقـــة في طريـــق الغـــروب ، طبقـــة ميتـــة داخليا رجعيـــة » . (لينين ، حـــول الحركـــة العمالية الايطاليـــة رومـــا ١٩٦٢ ص ٥٦ ـــ ٥٥) وعلـــق لينيـــن نفسه عـــام ١٩١٢ على الحـــرب الايطالية التركيـــة فكتب : « ان ايطـــاليـــا بالتاكيد ليست باســـوا أو باحسن من البلاد الراسمالية الاخـــرى التي تحكمها جميعـــا البرجـــوازية التي لا تتراجـــع امـــام ايـــة مجـــزرة في سبيل مصدر جديـــد للكسب » (المصدر المذكـــور ص ٦٠) .

(٩٤) لاحظ غاسطونه مالاكوردا برجوعـــه الى فكـــرة كـــروتشي حـــول مـــوت الاشتراكيـــة فكتب : « ان عـــام ١٩١١ قد كان من الممكن ان يـــرى قبل نهايته ازمـــة الاشتراكية عند قيـــام الحـــرب الليبية تدخـــل فتـــرة تخلف في اشـــارتها من الغـــروب الهـــادى في احضـــان الطبقـــة المسيطرة التي سجلها كروتشي في صفحـــاتـــه الســـاخـــرة . بيـــد ان الظاهـــرة هـــي اكثـــر شمولا ولا تخص ايطاليا وحدهـــا : فالحـــرب العالمية والثورة

تريفس وتوراتي وبيسولاتي لقرابة عشر سنوات وسط مصادمات ومجادلات وخلافـــات .

وقد فاجات الحرب الليبية الحركة الكاثوليكية في وقت دقيق بصورة خاصة . فنحن في سنوات بيو العاشر البابا الذي كان يريد من العلمانية الكاثوليكية ان تكون « مطيعة وخاضعة لسلطة الاسقفية » (٩٥) والذي يبدو ان الحركة السياسية الكاثوليكية قد تلاشت خلال عهده بعد اشتعال جذوتها في أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وهي الفترة التـــي تطورت ورسخت فيها اقدام اول ديمقراطية مسيحية لروموولوموري . وبعد حل « أوبرا » المؤتمرات (منظمة كاثوليكية) وتصفية حركة الديمقراطية المسيحية التزم الكاثوليك بالرجعية المضادةللتقدم وتنوعت الطرق التـــي سلكها الرجال البارزون الذين خرجوا من المنظمة الكاثوليكية قبـــل وبعد النهضة . فقد حاول من جهة روموولوموري Romolo Mori واصدقاؤه ان يسيروا بالتعاون مع الرابطة الديمقراطية الـــوطنية وهي محاولـــة استقلالية كان مقضيا عليها بالغرق لانه كان ضائعا باستمرار في البحث ما بيـــن طريق موري نفسه المصلت عليها سيف داموكلس وذلك باتهامه بالتجديد وما بين طريق الديمقراطية الاجتماعية التي يمثلها دوناتي وكاتشا تويـــدا من جهة اخرى، وقد ظل الخط الرسمي مرتبطا بالاتحادات الثلاثة ((الشعبي والانتخابي والاقتصادي الاجتماعي) التي أرادها بيوس العاشـــر والتي اشتـــرط فيها رقابة السلطات اللاهوتية الصارمة التي حالت دون تنفسهـــا وتطورهـــا المستقل . وظل بعض المتشددين القدمـــاء منحصرين في جماعـــات تكـــاد أن تختفي وقد تجمعت حول صحيفة مجيدة مثل « اونيتـــا كاثوليكـــا » (الوحدة الكاثوليكية) التي كانت تصدر بفلورانس والذين كانوا يواصلون

الروسية اظهرت بـــوضوح ان الاشتراكية المـــاركسية السياسية المدركة لـــدور القـــوة في التاريخ اي الثـــوري لم تمت (غاسطونـــه مالاكوردا ــ بيندتـــو كروتشي ومـــرت الاشتراكيـــة ــ منشور في صحيفة « رنيـــا شيتـــا » ٦ اكتوبـــر ١٩٦٧ ص ٢٨) .

(٩٥) غابريلي دي روزا ــ تاريـــخ الحركـــة الكـــاثوليكيـــة بايطاليـــا ، المصدر المذكـــور مجلـــد ١ ص ٥٣٥ .

احتجاجهم ضد الدولة المتحررة العلمانية ، وغالبا ما ينتقلون الى مواقف تكامل بحتة ، أو مثل قوات الشباب التي تستلهم أساليب النقابية الحديثة لتنظيم نضال ومقاومة جماهير الفلاحين ونجد من بين هؤلاء قويد ومليوني وفرانشسكو لويجي وفيراري بكريمونا ومودينا حيث باشروا أول تجاربهم مي الصراع السياسي والنقابي وآخرون مثل ستورسو فضلوا الانزواء وتكريس جهودهم بصورة خاصة في نشاط الادارات المحلية انتظارا واعدادا للاوقات التي يدفعون فيها الى الامام فكرة الحزب السياسي التي بردت في السنوات الاولى من القرن الجديد والتي لم تجد الارض المناسبة للترعرع . وعلى كل فان الوحدة السياسية للكاثوليك بمفهومها كوجود عمل نشط داخل حركة منظمة قد عزقت مع انهيار « أوبرا » المؤتمرات عام ١٩٠٤ . وقد وجدت الكهنوتية المعتدلة في شبه هذا الفراغ الارض الصالحة لتوطيد اقدامها وقد قامت بتجاربها الاولى في الانتخابات السياسية لعامي ١٩٠٤ و ١٩٠٩ حيث استطاعت ان تخلق حولها موافقات كثيرة سواء بين رجال الكهنوت ام بين البرجوازية الكاثوليكية التي تغلغلت بالفعل في النظام الاقتصادي الجوليتي بالرغم من اقتناعاتها الدينية بعدم امكانية السير في معارضة غير ملائمة للدولة التحريرية التي كانت تستمد منها امتيازات وقوة كما انها كانت تشعر بضيق عميق بسبب الاتهام بمعارضة الوطنية الذي يوجهه الاحرار منذ عشرات السنين الى الكاثوليك .

وقد ولد في هذا الجو احتكار الصحف الكاثوليكية الذي ساند ترشيحات انتخابية وقام بسياسة تأييد للتحريرية المعتدلة . وهذه الصحف كما سبق ولاحظنا لم تكن اقل من غيرها من الصحف الغير كاثوليكية في تأييدها لحرب طرابلس واثرت تاثيرا عميقا في سنوات العهد الجوليتي في مواقف ومراكز الكاثوليك الايطاليين (٩٦) .

---

(٩٦) فيما يتعلق بموقف هذه الصحافة بمناسبة الحرب الليبية انظر ص ٥٩ ــ ٥٧ . وانظر ايضا لويجبي كانابيني المصدر المذكور ص ٩١ ــ ١٧١ وفيما يخص نشأة وتطور الكهنوتية المعتدلة وتاثيرها في تاريخ الحركة الكاثوليكية انظر

ـ وقد وجدت الحرب الليبية بصورة عامة الكاثوليك في حالة استعداد لان يسامحوا في خمسين سنة من الاحتجاجات وأن يشطبوا ذلك الاتهام الذي وصمهم بانهم اعداء الوطن والذي تحملوه طويلا ، وحتى هم كما لاحظ فلييو ميدا لم يجرؤ على :

« التخلص من رياح القومية التي كانت تهب من سواحل افريقيا (.....) بل انتهزوا بسرور فرصة العملية لاعطاء حرية الاعراب عن وطنيتهم التي اضطرت غالبا لاسباب كثيرة دينية وسياسية الى زهد وقور وحذر (٩٧)

ولدينا ما يكفي من الامثلة لهذا المتنفس الحر للنبض الكاثوليكي فلدينا حادث الاسبوع الاجتماعي في أسيزي حيث دوت يوم ٣٠ سبتمبر صيحات الحماس « تحيا طرابلس ايطالية » و « يحيا الجيش » وذلك خلال محاضرة القاها فنشنزو مانقانو وحيث قوبل خطاب الاب نوربرتود أنولا الذي اشار فيه الى أن المبشرين الفرنشسكانيين الذين ظلوا بين البربر « ينتظرون » الشرف السامي في ان يكونوا اول من يعانق جنودنا الابطال فوق تلك البلاد « قوبل هذا الخطاب بصيحات جديدة « تحيا ايطاليا وتحيا طرابلس » (٩٨)

وقد كان الجو القومي والبطولي واضحا بصورة خاصة بين الشباب الكاثوليكي المنتمي للوسط الجامعي وخاصة في روما حيث احتفل في النادي الجامعي الكاثوليكي في شهر نوفمبر « بساعات التاريخ العظمى

دينو سيكوسواردو Dino Secco Suardo الكاثوليك المتشددين : بريشا ١٩٦٢ ص ٦٠ ــ ١١٥ ٠

(٩٧) فلييوميدا F. Meda من الوطنية الى السلام نشر في « راسينيا ناسيونالي » ١٦ يونيو ١٩١٣ ص ٥٤٠ ــ ٥٢١ ونشرت الان في « كتابات مختارة » روما ١٩٥٩ ص ٢١١ ٠

(٩٨) ذكرت هذه الحوادث ومثيلاتها في كتاب جوفاني سبادوليني Giovanni Spadolini « جوليتي والكاثوليك » (١٩١٤ ــ ١٩٠١) فلورنس ١٩٦٠ ص ٢٣٢ وما يتبعها ٠

.. عندما يحتفل الوطن بالنصر ، فان النسور الرومانية تصبح من جديد في رياح افريقيا » (٩٩) وكان يترأس نادي روما الجامعي فرانشسكو اكويلانتي المعروف بميوله القومية . (١٠٠) وقد طغت حملة القوميين في عـام ١٩١١ على الكاثوليك والكهنوت الايطالي ، وقد بدت لكثيـر منهم امكانية الابتهاج بمكاسب الوطن بمثابة التحرير واندفعوا الى اثار هذا الابتهاج في عبارات غير

---

(٩٩) فيما يخص نـوادي الشبـاب الكاثوليكي الايطالي راجـع لوتشانواوزبات L. Osbat « مجتمع الشباب الكاثوليكي الايطـالي فيما بين الحملة الليبية والحرب العالميـة مـن خلال أوراق المجلس الاعلـى » نشر في « مجلة الدراسات السالرناتيـة » عدد رقـم ٥ ينايـر ــ يونيـو ١٩٧٠ ص ٢٣٦ ــ ١٩٥ يـلاحظ اوزبات كيـف ان رئاسة جمعيـة الشباب الكاثوليكي الايطالي التي كان اذ ذاك يتراسها بيريكولي هـدفت الى التقليـل من شان لهجات الحمـاس الوطنـي مـن أجل الحرب الليبية محاولـة التقليـل مـن التحـدث عنها ما امكن في مجلـة الجمعية « الشبـاب الايطالي » وان العمـل الـذي قـام به الشباب الكاثوليكي كان موجهـا بصورة خـاصة الى اعمـال ذات صبغة دينية وللبـر والمساعـدة المرتبطـة بالحـرب : « تسهيـل قيـام الجنود في الـوطن بالقيام بواجباتهم المعنوية والدينيـة . دعوة الذين على وشك السفر الى افريقيا الى صلـوات دينيـة قصيرة وتمكينهم من الاقتـراب من السر المقـدس واهدائهم اشياء وكتب دينيـة كذكرى عاطفية وان يكونوا على اتصال بالمراسلة بالاعضاء المحاربين وان يصلوا خـلال الاجتماعـات من أجـل الامـوات واقامـة صلـوات عامـة مـع سر القربـان المقدس العـام للاعضاء . واخيرا جمـع التبرعـات من أجل عائـلات الموتـى والجرحـى الفقـراء » (ص ٢٠١) .

(١٠٠) في حـديث في اواخـر عـام ١٩١١ امـام النـادي الجـامعـي بـرومـا اشـاد اكويلانتي « بيقظـة الضميـر الوطني وتحـدث عن الحـرب « كصحوة الحيـاة » الحـرب لا يجب ان تكون غايـة وانما وسيلة لاعـداد الانسانية المعـذبة والمتالمـة من الامراض القاسية المعنويـة والماديـة من اجـل زيادة ذلك السـلام العالمـي الداخلـي والخارجـي وتلك الرحمـة العميقة والتضامن الاجتماعي الذي هـو بمثابـة مؤخـرة معبـد الـرب وبدايـة ملكـه بين النـاس » (لوتشانو اوسبات المصدر المذكـور ص ١٩٩) فقـد وضع اكويلانتي اساس نظريـة العمـل الـروحي للحرب تلك النظرية التـي طورها فيما بعـد اجلبرتومارتيري المطالب بالتدخـل الكاثـوليكي في الحـرب وذلك بمناسبة الحـرب العالميـة الاولى . واكـد من جديـد اكويلانتي في ينايـر ١٩١٣ ان الكاثوليك كانوا متفقين مع كوراديني في اعتبار ان الفكر القومي يمثل تقدمـا بالنسبة للفكـر الديمقراطي ويتفقون ايضا مـع كوراديني في تعريفـه بالديمقراطيـة « كعامـل انحلال اجتماعـي » (فرانكـو قائيطـا) « القـوميـة الايطاليـة » نابـولي ص ١٩٦ ــ ١١٢ .

متزنة ومبالغ فيها . لقد كانت «عقدة الوطنية» كما لاحظ دي روزا « المرض الجديد الذي كانت تشكو منه الحركة الكاثوليكية » (١٠١) وقد ساهم بجزء كبير في تقرير هذا الاتجاه موقف وخطب قسم كبير من رجال الدين والاساقفة الذين ربما دفعتهم غيرتهم الرعوية تجاه الشباب الذي كان يسافر للحرب الى اطلاق تأكيدات انتقدتها فيما بعد صحيفة « أوسرفاتوري رومانو » . وكان من بين اوائل الذين اتخذوا موقفا اكيدا الاسقف كريمونا مونسيور جريميا بونوميلي الذي لم يكن غريبا على مثل هذه المبادرات اذ سبق له في عهد كريسبي ان هتف للحملات الافريقية . وبعث بونوميللي برسالة دورية مؤرخة في ١ أكتوبر ١٩١٠ يحيي الجنود الشجعان المشتركين في صراع بطولي ، ويضيف قائلا : « في اقصى حدود حياتي انا اسقف المسيح والمواطن الايطالي اوجه نظري الى شبابكم الابي القوي النظرة الذي يذكرنا بحماسات بعيدة وابتهج في صميمي لان على ايطاليا ان تفخر بمثل هؤلاء الابناء — اني أتبعكم بروح متأثرة في البحار وفي اراضي افريقيا اتبعكم لاباركك بكل روحي في كل عمل من اعمالكم ايها الرهبان وايها الشعب لنطلي وننتظر بثقة عيد العودة الظافرة . (١٠٢)

---

(١٠١) فبريلي دي روزا المصدر المذكور المجلد ١ ص ٥٤٥ . في هذا الصدد تجد هذه الفقرة من صحيفة « انفيري ديطاليا » الصادرة ببولونيا وهي ذات مغزى : « (...) اليوم نستطيع ان نفاخر باعتزاز مشروع باننا سبقنا كل الاخرين وعملنا لا بدون ثمرة من اجل امداد سامة ثورة الروح الايطالية هذه والفكرة الوطنية مدللين بذلك على ان الكاثوليك الايطاليين لا ياتون وراء احد في الاحساس والدفاع عن مصالح وعظمة الوطن » (بعث الروح الايطالية ، منشور في « انفيري ديطاليا » ١٢ سبتمبر ١٩١١ وكررت نفس الجريدة يوم ٦ اكتوبر : « (...) الكاثوليك يشتركون في الشعلة الجميلة ويلمسون حقيقة لا شك فيها وهي انه حيث تظهر المشكلة الوطنية بشكل لا يمس ضميرهم فان الكاثوليك تهتز قلوبهم ولا يتخلفون وراء احد في وطنيتهم النيرة » . (مالليوس ، « وطنيتنا » في « انفيري ديطاليا » ٦ اكتوبر ١٩١١ .

(١٠٢) رسالة اسقف كريمونا في « راسينيا ناسيونالي » اول اكتوبر ١٩١١ ص ٣٢ — ٤٣١ .

(١٠٣) وطنية رهباننا — رسالة ملحوظة لاسقف بريشا في « انفيري ديطاليا » ١٠ اكتوبر ١٩١١ .

وبعد بضعة ايام وجه مونسنيور كورنا بلليجريني اسقف بريشا رسالة رعوية الى الرهبان وشعب الابرشية داعيا اياهم الى الصلاة كي تتوج تضحيات الصراع الكبير بالنصر وكي تنضج تلك الفواكه التي ترغب فيها » . (١٠٣)

وتدخل فيما بعد في يوم ١٦ أكتوبر الكاردينال بيترو مافي الذي تحدث في تحيته الموجهة الى الجنود في كنيسة بيسا .... عن ايراتوستوني وبرنيشي وكالليماكو واريستيبو ودايمبرتو (١٠٤) الذي حول هناك امجاد الشرق الباطلة الى نخيل دائم ، وأشار الى البيارق والاعلام الاسلامية المحفوظة في الكنيسة كتذكار للنصر واكد :

« وترون من على جدران هذا المعبد التاريخي المائة علم وغنائم الاجناد المجيدة تنحني لكم وتهتف بالتحية والاماني الطيبة في أن تأتوا قريبا باعلام شقيقة لبعث امجاد جديدة لايطاليا أرضنا . اذهبوا : ان زئير الاسد يكاد يكون مجهولا هناك كما هو مجهول ايضا حلق وسن التمساح ولكن عصفورة السنونو قد سبقتكم وستقدم لكم لدى وصولكم تحية الوطن . سافروا أيها الجنود تصحبكم صلواتنا وحبنا . الله معكم ولتكن معكم انتصاراته » (١٠٥)

ان العودة بالذكرى الى الحرب الصليبية ضد الاتراك والبحث بأي ثمن عن رباط تاريخي يعطي الحملة معنى اسمى كان ما يجتهد من اجله الكاثوليك في تلك الايام . وبما أن يوم ٧ اكتوبر هو الذكرى الاربعين بعد الثلاثمائة على معركة ليبانتو فقد خلقت فرصة لذكريات تاريخية أخرى تبرر وتشيد بالحرب الجديدة ضد الاتراك . (١٠٦)

---

(١٠٤) مطران بيسا اشترك في الحرب الصليبية الاولى عام ١٠٨٨ .

(١٠٥) النص يوجد في طرابلس مدرسة القوة » . مختارات صفحات العمل — انجلو بيتشولي روما ١٩٣٢ ص ٧٧ .

(١٠٦) لقد استاءت صحيفة « الوحدة الكاثوليكية » من هذه الاشارات التاريخية التي اعتبرتها غير لائقة فهاجمت بدون مواربة « بعض الصحف الكاثوليكية الجديدة التي تعبر عن فكر بعض الجماعات من ذوي الميول التي لا تقل تجديدا عن غيرها » وواصلت الصحيفة الفلورنسية كلامها فقالت : « الم يحاول ربما

غير أن الحادث الذي أثار دهشة كان خطاب الكاردينال بمناسبة عقد قران الماركيز باتريتسي ودونا صوفيا أوديسكالكي الذي تم في روما يوم ١٨ اكتوبر بقصر أوديسكالكي . فقد قال الكاردينال في خطابه بعد أن ذكر حادث الدفاع عن فينا عام ١٦٨٣ الذي تولاه البابا بنيدتو أوديسكالكي (اينوتسنزوو الحادي عشر) والبطولات التي قام بها في تلك المناسبة جوفاني باتيستا مونتورو سلف العريس قال : « انها استعادة ذكريات مطمئنة لماضي مسيحي مجيد ولتكن هي ملهمة الوطن الايطالي في هذه المناسبة وبرضاء ابنائه في أن ينقل مدينة الصليب الى أراضي تخضع لنير الهلال البغيض » (١٠٧)

من قبل هؤلاء وغيرهم حتى في الميدان المادي ربط ومقارنة مستحيلة وبشعة ما بين ما يحدث اليوم في طرابلس ويوم ليبيانتو المجيد ، ان هؤلاء الهواة الغير حذرين في المقارنات التاريخية لا يشعرون او يتظاهرون بعدم الشعور بان المقارنة مرجاء من عدة جهات ولا تستطيع ان تقف على قدميها • فمن جهة ان الامر يتعلق بتامين مزايا عسكرية واقتصادية لدولة وليس للدفاع او لانقاذ المدنية المسيحية من التهديد الاسلامي كما حدث في ليبانتو ومن جهة اخرى فانه لا مسلمي الشرق او مسيحي الغرب ظلوا كما كانوا قبل اربعة قرون . فاتباع محمد يسمحون بفتح المدارس الكاثوليكية بينما يامر اليعقوبيون في الغرب باغلاقها . فالالوان اي المسلمون يحترمون ولا يزعجون معتقدات الغير بينما الاخرون قبل ان يحاربوا الهلال حاربوا ولا يزالو يحاربون عمليا كتاب تعليم المسيحية بدلا من القران • فلنكذب اذن اذا لا نريد ان نثير السخرية بعض المقارنات البشعة ولا ندنس ذكريات امجادنا المقدسة وخاصة لا نتحدث عن نشر المدنية المسيحية على ايدي اولئك الذين يثيرون في كل خطوة العادات والفساد واصنام الوثنية (...) ولم يتبق امامي سوى التعبير عن امنية بسيطة وهي ان يجد الكاثوليك الايطاليين من جميع الطبقات والمناطق والاوساط في هذه المناسبة ان يجدوا ويعرفوا ان يحافظوا وهو الامر الصعب على الاعتدال (...) لنحذر الحماس الصبياني المبالغ فيه وخاصة أن لا يغمى علينا بسهولة من أجل العلم المثلث الالوان الذي ارتكبت وترتكب في ظلاله الكثير من المظالم في بلادنا » (« وفي الوقت الذي تجري فيه عملية طرابلس » نشر في « الوحدة الكاثوليكية » ٥ اكتوبر ١٩١١) .

(١٠٧) تحية الكاردينال فانوتيللي الحارة الى جنودنا بطرابلس نشر في « افنيرى ديطاليا » ١٩ اكتوبر ١٩١١ انظر ايضا الموقف المؤيد للحملة الذي اتخذه مطران كابوا مونسنيور كابيشيلاترو منشور في « الفونسو كابشيلاترو » من

ان الكاس طفح وقد تدخلت صحيفة « أوسير فاتوري « رومانو » بما لها من نفوذ في الامر وهي لسان حال الفاتيكان . ولم تنظر هذه الصحيفة الى حرب طرابلس برضاء في عشية الحرب (١٠٨) وبعد اندلاع القتال اقتصرت على نشر اخبار العمليات دون تعليقات كثيرة بالرغم من اشارتها وتقديرها « لاستقامة المشاعر ونبل اللهجة التي تضمنها منشور الجنرال كانيفا » . غير انه تجاه الروح التي كانت بعض الصحف الكاثوليكية وبعض الاساقفة يفسرون بها الحرب ، فان صحيفة الفاتيكان رات من الواجب التدخل . ففي الواحد والعشرين من اكتوبر ١٩١١ ظهرت نبذة في الصفحة الاولى تضمنت ما يلي :

« صحف غير قليلة ترغب في العمل في الميدان الكاثوليكي . كثيرون من الخطباء اللاهوتيين والعلمانيين يتحدثون عن الصراع الايطالي التركي بصورة تبعث على الاعتقاد بانها حرب مقدسة قامت باسم وتأييد الدين والكنيسة وقد خول لنا التصريح بان الكرسي المقدس « لا يكتفي بعدم تحمل اي مسؤولية لهذه التفسيرات ، بل بما أنه يريد ان يظل خارج الصراع الحالي فانه لا يوافق عليها ويستهجنها » .

اجل الحملة الايطالية في طرابلس ٠ حب الوطن والكاثوليك بصورة خاصة في ايطاليا » ـ روما ١٩١١ ـ بالنسبة لاسقفية بيمونتي انظر ماسيموسالفادوري الحركة الكاثوليكية في تورينو المصدر المذكور ص ٥٧ ـ ٥٦ .

(١٠٨) « فيما يخصنا كتبت صحيفة الفاتيكان يوم ١٦ سبتمبر ـ يهمنا ان ننبه مثلا باننا غير مقتنعين بالمرة بملائمة احتلال طرابلس المسلح المباشر من قبل ايطاليا » (جدل وخلاف ومناقشات منشور في « اوسير فاتوري رومانو » ١٦سبتمبر ١٩١١) . واكدت نفس الصحيفة يوم ٢٣ سبتمبر ان « العملية المدبرة (...) ستكون نتيجتها بالتاكيد تبديد الحلم المغرور القائل بان احتلال طرابلس يوطد التوازن في البحر الابيض المتوسط ذلك التوازن الذي اختل لضررها » ٠ والخسارة الاكيدة كانت ايضا » مظهر الطيش الكبير الذى لا يغتفر والذي نقدمه نحن الايطاليون بهذه المناسبة أي الاكثرية بيننا الذين يندفعون في ثرثرة متغطرسة مفضوحة لا تعرف أو يبدو انها نسيت جميع واجبات الجدية والحذر » (ا ٠ « خسارة اكيدة في مسالة طرابلس » منشور في « اوسيفاتوري رومانو » ٢٣ سبتمبر ١٩١١) ٠

ولقد عمل تدخل « أوسير فاتوري رومانو » هذا على تعديل لهجة ولغة رجال الدين والصحافة الكاثوليكية الموالية لارشادات الكنيسة بصورة كبيرة حتى ولو أنه من الضروري الاشارة أن ليس جميع الاساقفة قد استعملوا لغة ما في وبونوميلي اوفانوتيللي . فاسقف ميلانو على سبيل المثال وهو من البارزين في الاسقفية الايطالية قال في رسالة رعوية بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩١١ ما يلي :

« ان الحرب حتى ولو كان لها ما يبررها او يطالب بها لا تكفي عن كونها دوامة للشعب المتورط فيها . ان هذه هي تعاليم الله لان الكتاب المقدس يعتبر الحرب كمصيبة ، ان هذه هي تعاليم الكنيسة » (١٠٩)

ولا شك أن هذا الوضع الحماسي للاساقفة كان يبرره جزئيا قرار الحكومة في ارسال مرشدين من رجال الدين صحبة الجنود ، فبعد أن ظل القسيس سنوات طويلة في اعتبار « الحيوان الاسود » فقد رأى الآن السلطات الحكومية تشعر بضرورة اللجوء اليه لمواساة روح الجنود (١١٠)

---

(١٠٩) « النغمة الصحيحة للحرب الحاضرة » منشور في « الوحدة الكاثوليكية » ١٧ اكتوبر ١٩١١ .

(١١٠) طلبات كثيرة من القساوسة للذهاب الى ليبيا . ففي اول اكتوبر على سبيل المثال ارسلت الجمعية الوطنية لحماية المبشرين الايطاليين بالخارج برقية الى وزير الخارجية جاء فيها : « اذا ما رغبت الحكومة الملكية أن تقوم هذه الجمعية بتزويد الحملة بالوعاظ والاخوات المرضات فان الجمعية تضع نفسها تحت تصرف سعادتكم للاجراءات العاجلة » وقد رفضت رئاسة اركان الحرب العرض برسالة بتاريخ ٤ اكتوبر بالنظر الى انها « واجهت بسخاء الحاجة الدينية نتيجة للطلبات الكثيرة التي وصلتها بالخصوص (A.S. MAE, Segr. Gen., pa. 42, pos. 17 b, f. 642) وكان الاب جوزبي بفيلاكوا — المرشد الاكبر للحملة . وقد كان مبشرا في مصر وطرابلس وبرقة وظل لعشرات السنوات رئيسا رسوليا وقد تقدم اسمه الى سينقاردي من قبل مدير الشؤون الاستعمارية انيزا بناء على توصية من ا . سيمونتي عضو جمعية مقاومة الرق الايطالية انظر (A. MAI., pos. 104/1, f. 1) وهناك دليل على وطنية قسم من رجال الدين جاء في كتاب المرشد العسكري ببرقة جوفاني جيروني G. Gerone « نبذ بنغازية » فلورنس ١٩١٣ . وصدر عام ١٩١١ كتاب صلوات مهدى الى الجنود للاب فولجنسيودل بيانو Fulgenzio Del Piano « صلواتي في طرابلس » روما ١٩١١ .

ومع مرور الاشهر على كل حال تغير موقف الاسقفية الايطاليـــة على الاقل جزئيا واخذت تنظر الى الحرب سلبيا مؤملة في سرعة نهايتهـــا . فاسقف نولا ، انيلورنزوللو بعد أن اشار الى وباء الحرب « لا يشير الى الانتهاء » اعرب عن امله في ان تخـــرج الامـــة من الصعوبات التي تحاصرها بسبب امتداد الحرب ، وعلى سبيل المثال أمر في اعلان بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩١٢ : بعنوان « مثل آخرون من اخوتنا الممتازين » : انه والى « اعلان جديد تتلى في الصلوات والطقوس صلاة Pro Pace (للسلام) بدلا من صلاة Temporebelli (للحرب) » (١١١)

وصحيفة « المدينة الكاثوليكية » ايضا اخذت تنظر الى الصراع الايطالي التركي منذ بدايته باهتمام ملاحظة بسرور وجود الوعاظ العسكرييـــن في الحملة وهو أمر يعود كل الفضل فيه الى وزير الحربية الحالي « ومنتقدة موقف الحزب الاشتراكي المعادي الذي هوت به الى اسفل « في اعتبار » « الراي العام بالبلاد » (١١٢) ومن هذا الموقف التاييدي اساسيـــا اخذت « الوحدة الكاثوليكية » مع مرور الاسابيع تتخذ مواقف اكثر انتقادية . فلم يعجب المجلة اللجوء الى اسم الله بكثرة في نداء الجنرال كانيفا معتبرة ذلك اتخاذ الدين اداة لغايات سياسية حكومية (١١٣) ، كما لم يعجبها موقف

---

(١١١) « اشعـــارات » منشور في النشرة الـــدينية لاسقفيـــة نـــولا » فبرايـــر ١٩١٢ .

(١١٢) « احـــداث معاصرة » منشور في « المدنية الكاثوليكية » ١٩١١ مجلـــد رابـــع ص ٤٥ — ٢٤٤ .

(١١٣) « لا نريـــد ان نهمـــل ملاحظة هامـــة ذا طابـــع سياسي — دينـــي . ففي وقت تولى الحكومة السلطـــة في طـــرابلس ارادت ان تعطي دليـــلا من مـــدى اعتمـــادها علـــى الديـــن كاداة لغايتها السياسية التي تستعمل في سبيلها كل وسيلة وتتحالف مع اي حـــزب . لقـــد كان يكفي لـــدى الذهـــاب الى طـــرابلس حتى بالنسبة لحكومة حديثة متحـــررة ومتمدنـــة ان تعلـــن ان العـــرب كانوا احـــرارا فيما يتعلق بامـــور دينهـــم في ان تستمر الاشارة بان بقاءهم مسلمون هـــو من ارادة القادمين . وقد ارتكب ما هـــو اسوا . تشويـــه وتحويـــل كنيسة كاثـــوليكية الى مسجـــد وليس هـــذا كـــل شيء لقـــد حاولت السلطات ايضا ان تسلـــم هي ايضا ونعتذر عن هذا اللفظ وذلك باستعمالهم لايـــات من القـــران وباعتنائهم لشاعـــر دينيـــة تبـــدو في افواههم مصطنعة وكمل

الكثيرين من الكاثوليك الذين تجاوزوا الامر « بالحديث عن العملية كما لو كانت ذات اغراض دينية وكما لو أنها حرب قد قررتها المسيحية ضد المسلمين بدلا من كونها حرب ايطاليا ضد تركيا » (١١٤) وانتقدت مجلة اليسوعيين اللهجة التي كانت تنطق بها بعض الصحف عن الحرب والاسلوب الذي تصف به الاتراك الذين كان جرمهم الوحيد هو مقاومة الاحتلال الايطالي بضراوة . وقد رأت الصحيفة النصف شهرية الرومانية أن تعود بالمسالة الى حدودها الصحيحة ملاحظة كيف ان الحديث « عن سلوك وعمل الاتراك » يتجاوز « ربما حدود الانصاف العادل . كثير من الاقوال المخجلة والاهانات الرخيصة توجه كما يبدو الى جميع اعمال الاعداء الذين لا يفعلون الا ما تفعله اية امة تحترم نفسها » (١١٥)

ان صحيفة « المدينة الكاثوليكية » حاولت على كل حال أن تحافظ في النداء « على مركز الكرسي المقدس العالمي والذي هو فوق الوطنية » (١١٦) حتى ولو انه مع مرور الزمن وفي وقت السلام بصورة خاصة اشارت الى أمر ايجابي ذي صفة داخلية : ازمة الحزب الاشتراكي الذي كان يبدو انه فقد فعلا أي تاثير داخل الحكومة في الوقت الذي تم فيه ايقاف « الزحف المجبر لجميع المعادين للكنيسة وللمبادىء الكاثوليكية والدينية كما القى « ظلالا مشؤومة على الماسونية » واشارت « المدينة الكاثوليكية » من جديد الى الامر الايجابي وهو انه خلال الاوقات الصعبة من الحرب فان البلاد شعرت بالحاجة الى العون الآلهي وبصورة خاصة مباشرة الجنود للدين كي

سياسي قبيح ومنحرف . اننا نشير الى منشور طرابلس ان استغلال اسم الله والعناية الالهية واضح فيه وذلك النداء يحمل اسم « كانيفا » الذي كان في الامكان ان يقرأ « جوليتي » (المصدر المذكور ص ٦٢) .

(١١٤) المصدر المذكور ص ٣٦٣ .

(١١٥) المصدر المذكور ص ٤٩٨ .

(١١٦) جوفاني سبادوليني ، المصدر المذكور ص ٢٢٤ .

يواجهوا بشجاعة التجربة الصعبة اذا أرادوا أن يتحصلوا على المواساة الدينية » (١١٧) .

ولم يشر حتى الآن تاريخ الاحداث الى التردد والعداء ايضا الذي قابلت به الهيئات والبارزون من الكاثوليك الحملة الليبية بل لقد حاولوا اظهار الحركة الكاثوليكية بانها مرتبطة كلية بالمبادرة الاستعمارية الجوليتية ومع هذا كانت هناك شكوك وتحفظات ويكفي تصفح « الوحدة الكاثوليكية » شهر سبتمبر ١٩١١ لادراك مدى حدة معارضة الصحيفة الفلورنسية ، وكيف كانت مجادلاتها مع الصحف الكاثوليكية المؤيدة للحملة شديدة . ان ضجيج « الوحدة الكاثوليكية » هذه كانت ترمي قبل كل شيء الى اظهار عدم جدوى مخاطر ونفقات الحملة في الوقت الذي لا تزال هناك مشاكل داخلية تتطلب الحل ، (١٨٨) وللتدليل على الخطر بان البلاد على وشك القيام بخطوة اكبر من قدرتها « وانها تستعد لابتلاع » وجبة ليست لديها القوى الهضمية المناسبة لهضمها « (١١٩) والامر الذي كان يغضب « الوحدة الكاثوليكية » هو محاولة اظهار جميع الكاثوليك الايطاليين كمؤيدين لطرابلس كما تؤكد

---

(١١٧) « المدينة الكاثوليكية » ، ١٩١٣ مجلد ١ ص ٢٣٧ . وقد كتب دي روزا ان «المدينة الكاثوليكية » قد سرت الان لنتيجة العملية لانها قد تسمح بانزواء وعزل الاشتراكيين في نظر الراي العام وقد توقف « المسيرة المجبرة لجميع المعادين للكنيسة » ضد المبادىء الكاثوليكية والدينية » ولكنها لم تكن ترى اطلاقا الثمن الذي دفع لايقاف تلك المسيرة التي.توقفت حقا لتترك المكان لعداء جديد اخر ضد الكنيسة يختلف من العداء العنيف الاشتراكي المفتوح والعلن وهو عداء القومية الكورادينية التلميحي والمؤثر وذلك فيما بعد العملية الليبية » قابريلي دي روزا ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ٥٤٧) .

(١١٨) لورنزو بوتيني L. Butini « هل من المفيد احتلال طرابلس » نشرته « الوحدة الكاثوليكية ١٤ سبتمبر ١٩١١ . وهناك صحيفة اخرى « ايطاليا الحقيقية » كانت معادية للحرب ومتطرفة وكانت تصدر في تورينو . (انظر ماسيموسالفادوري المصدر المذكور ص ٥٠ ــ ٤٨) .

(١١٩) ايلاريو رانيري Ilario Rinieri « طرابلس والمسالة الشرقية » منشور في « الوحدة الكاثوليكية » في ٣٠ سبتمبر ١٩١١ .

ذلك صحيفة « كوريري ديطاليا » وكان يثيرها ذلك الحماس المنطلق الذي كان يبدو كما لو انه اكراهي ويرمي الى اظهار الولاء والوطنية باي ثمن كان :

« ولكن الآن يكفي ــ كتبت « الوحدة الكاثوليكية » تقول : ان الحماس الزائد عن اللزوم يضر ويغير طبيعة ذلك السلوك الهادىء النقي الذي يجب ان يسلكه الكاثوليك تجاه دولة وحكومة اظهرت دوما عداءها لهم ومستعدة دائما لاهمال المصالح والمطامح والحقوق .

ربما يجب ان يفهم ذلك جميع من هم في اعلى واسفل العالم الكاثوليكي. ان بعض المبالغات تضر بملاءمتنا ، لانه حتى وسط الصياح الصاخب وصراخ الفرح ونشر الاعلام ولو كانت من اجل طرابلس فاننا نبدو مثل الذين يقرعون ابواب الوطنية ليسمح لهم بالدخول في آخر ساعة . ان وطنيتنا لا يجب ان تختلط في الشارع مع وطنية الاحرار والماسونية » (١٢٠)

ويبدو ان الجدل الاحتجاجي القديم الذي تلى النهضة اخذ يظهر على اعمدة الصحيفة الفلورنسية بنفس اللهجة التي استهجنت بها العناصر الكاثوليكية المتطرفة الحملات الافريقية في عهد كريسبي (١٢١) ولم ينج منها ولو بصورة اخف أولئك البارزون من رجال الدين الذين انطلقوا في حماس متطرف .

---

(١٢٠) مينيموس Minimus « ماء في النبيذ » منشور في « الوحدة الكاثوليكية » في ١٤ اكتوبر ١٩١١ · « كتبت الصحيفة الفلورنسية تقول : يبدو ان صحيفة « كوريري ديطاليا » بدون داع هام تستطيع ان تقول ان الكاثوليك الايطاليين يشاطرونها حماساتها الطرابلسية وفي استطاعتهم ان يروا لادراكهم منذ البداية حقيقة مطامع واهمية المسالة · ان صحيفة « الكوريري » تتحدث عن نفسها لانه لم يتحرك احد في الواقع » · (الى طرابلس مهما كان الثمن) منشور في « الوحدة الكاثوليكية » في ١٣ سبتمبر ١٩١١ · فيما يتعلق بموقف صحيفة « الوحدة الكاثوليكية » انظر ايضا بيير لويجني باللليني Pier Luigi Ballini « الحركة الكاثوليكية في فلورنس » (١٩١٩ ــ ١٩٠٠) روما ١٩٦٩ ص ٢٥٤ ــ ٢٣٥ ·

(١٢١) كتبت صحيفة « روما الحقيقية » لسان حال الشرعيين الرومانيين » ان ايطاليا بعد هزيمة مدوها يجب أن تعود على اعقابها بعد هذه المحنة ويجب ان تعرف

وحتى صحيفة « الوحـدة » التي يديرها فليبو ميدا من ميلانو الذي لايمكن اتهامه بالتطرف وهي من النوع القديم (١٢٢) لم يخف تردده امام العملية الليبية وكان تردده ناتجا بصورة خاصة عن ضآلة الاقتناع بلائمة الحرب وفي ٢٥ سبتمبر ١٩١١ أراد ميدا نفسه أن يحدد موقفه وموقف صحيفته فكتب :

« (...) نحن معارضون : ليكن معلوما : نحن معارضون على انه يبدو لنا أن الضمان الدبيلوماسي كاف وهو لا يكلفنا شيئا فلا نرى اذن ضرورة اللجوء الى خطر الاحتلال العسكري المؤكد : اي بعبارة اخرى نحن لسنا ضد الاحتلال من باب أولى انما نحن ضده لاننا غير مقتنعين بانه امر ضروري يبرر انفاق المال وربما الدماء التي قد تنتج عن تعقيداته » . (١٢٣)

من ادى بها الى هـذا الحـد ويجب ان تبتعد منهم كاتسى اعداء رخـائها وعظمتهـا ومجـدهـا .

ان ايطاليا لا يجب ان تحـرر من غـرور كـريسبي الجنوني فحسب وانما يجب ان تتحـرر أيضا من الطائفة الملحـدة والمفسدة التي استعملت كريسبي لاغتيالهـا » . (« عـار او بكـاء » ؟ منشور في « روما الحقيقـة » تاريخ ٢ فبرايـر ١٨٩٦ .)

وعند ما جـرى الحـديث عـام ١٩٠٢ عن احتمـال قيـام عمـل ايطالي في طرابلس كتبت نفس الصحيفة تقـول : « ما حاجتنا لبضعة كيلومتـرات زيـادة من سـاحـل ملـيء بالرمـال والاوحـال وقاعه حجـري ومنخفض جدا بالنسبة لتـوازن البحـر الابيض المتوسط (...) واذا ذهبت ايطاليا ـ كما يقـال ـ الى طـرابلس فان تلـك القبائـل التي تعـودت على الخمسين درجـة من الحـرارة سترتاح بالنسبة للضرائب كما سنرتاح نحـن ايضا لان ايطاليا تريـد ان تقوم بـدور تشيـرنيـا Cirenea بالنسبة لفـرنسا وانكلتـرا وتغامـر في صحـاري توريننـه الجافـة وسنفوز بالشوك والالام بـدلا من الفـوز بطرابلس » (« طرابلس والالام » ؟ نشرت فـي « رومـا الحقيقيـة » ٦ ابريـل ١٩٠٢) .

(١٢٢) بالنسبة لمولـد ومـوقـف « الاتحـاد » والـذي جـاء نتيجـة لـدمـج صحيفـة « ليقالومباردا » مع « اوسيرفاتوري كاثوليكو » في عـام ١٩٠٧ انظـر تبـريلي دي روزا « فليبوميدا والعهـد الليبرالي » فلـورنس ١٩٥٩ ص ٨٧ وما يتبعهـا .

(١٢٣) فيليبو ميدا « لنحـدد » منشور في صحيفة « الوحـدة » ٢٥ سبتمبر ١٩١١ لاحظـت فيه الصحيفـة في ردها على صحيفـة « كوريري ديطاليا » التي اكـدت ان الكاثوليك يؤيدون الحـرب دون تحفظ فقـالت : « نحـن لا نناقش ان « الكوريري ديطاليا » يعبر حقـا عن فكـر الكثيـر من الكاثوليك ولكن فيما يخصنا نـود ان ننبـه اننا مثـلا لسنا مقتنعيـن بالمـرة بملائمـة احتـلال ايطاليا المسلـح المبـاشـر لطـرابلس » (« ايضاح » في « الاتحـاد » ١٤ سبتمبر ١٩١١) وبعـد بضعة ايام ردت صحيفـة

ومثلما حدث فيما بعد بمناسبة انفجار الحرب العمانية الاولى واشتراك ايطاليا فيها فقد أعاد ميدا النظر وعدل من موقفه مع مرور الاشهر وقد برر التغيير في حديث له في روما أمام المنتخبين في اول فبراير ١٩١٢ بان اقتناعا تولد فيه بان لا مفر من احتلال ليبيا من اجل مصير سياسة البلاد الخارجية . وهو لا يوافق على الـــروح القومية التي رأى خطـــرها بوضوح ولكن يبذي اعتبارات دولية واستراتيجية وهي « مبررات غير مقنعة » (١٢٤) بالنظـــر الى السوابق السلمية والمعادية للاستعمار التي كان ميدا يلوح بها من على صفحات « الوحدة » في سبتمبر ١٩١١ . وقد اتخذ النقابيون البيض من أمثال مليولي موقفا أكثر اصرارا حيث انه لم يخف مخاوفه من « رائحـــة العسكرية الرجعية » التي تـــرآت له من خلال شعـــور « النبـــل الايطالي المنتشر » و « حماس الوطنية الصادق » . ولكن خشيته الكبرى كانت ترتبط كما حدث في معركته ضد التدخل عام ١٩١٥ بمصائر جماهير الفلاحين التي كان يعبر عنها وينطق باسمها . وعندما اندلعت الحرب لاحظ كيف ان « افق الغد ليس هادئا بالنسبة للعمل الهـــادئ للجماهيـــر الشعبية الكثيـــرة في مناطق عديدة » . وباحتكاكه بفلاحي منطقة كريمونا كان مليولـــي يحس بحاجاتهم ويمثل امزجتهم مدركا أن « التمزق » الذي يحـــدث في الميزانية العامة بسبب « تكاليف طرابلس » قد يعطل اكثر « مطامح الطبقات الفقيرة » وتحقيق « اصلاحيات ديمقراطية » لا بد منها » (١٢٥) وكان يجب ايضا

«التشيتادينو » الصادرة في بريشا و « المومينتو » الصادرة بتورينـــو وهمـــا يدعـــوان الحكومـــة في عـــدم التـــردد وتدعـــوان الكاثوليك بان يحولوا بسبب « جهـــل الحكومة وخيـــانـــة الطـــوائف المـــاكـــرة ان تظـــل ايطاليا ادنى من تاريخها وقـــدرها » وقـــد وصلت صحيفة « الوحـــدة » ان هذه المـــواقف غير حكيمة واكـــدت الضـــرورة بـــان يتحمـــل كـــل واحـــد في الميـــدان الكاثوليكي « مسؤولياتـــه الخاصة » (« طرابلس والكاثوليك » منشور في « الوحـــدة » ١٨ سبتمبر ١٩١١) .

(١٢٤) قابريلـــي دي روزا « تاريخ الحركـــة الكاثوليكيـــة بايطاليـــا ـــ المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤٩ ـــ ٨٤٥ .

(١٢٥) « ما بيـــن جنونين » منشور في « اتسيوني » ٣٠ سبتمبـــر ١٩١١ الان منشورة في « لاتسيوني مختـــارات كتابـــات » ١٩٠٥ ـــ ١٩٢٢ جمعها كارلو بيللو ـــ روما ١٩٦٧ ص ١٠٤ . وفيما يتعلـــق بمليولي انظـــر ايضا انطونيو فاباني Antonio Fappani

التفكيـــر في الضحايـــا الاذلاء الـــذين سيظلـــون على قيـــد الحيـــاة من اطفال صغار وشيوخ في اواخر مراحل الحياة وأمهات مسكينات وزوجات ارامل . انه لجيش آخر كبير من الضعفاء جيش غير صالح للحرب وأول من يتضرر بسبب الحرب لان الحرب تحرمه من المرشد والسند والغذاء والخبز والقلب » . وفي الخلاصة « لن نهتف للحرب ابدا » فلم يكن ممكنـــا بالنسبة لميولي ورفاقه بصحيفة « التسيوني » بكريمونا أن يشترك فـــي حملة البيان القومية أو ينجر « وراء الوطنية المعتلة وان يهتف للحرب » وكانوا من جهة اخرى لا يريدون ان يختلطوا بالمعارضة الاشتراكية الرامية الى « استغلال دنيء لالام البشر » (١٢٦)

ولم توافق على الحرب في سبتمبر ١٩١١ حتى تلك الرابطة الديمقراطية

توبدو مليولـــي وحركة الفلاحين رومـــا ١٩٦٤ ص ٩٣ ــ ١٩٠ وفرانكـــو ليونـــوري Franco Leonori لا حـــرب بـــل ارض . تـــويـــدو مليولي حيـــاة مـــن اجـــل الفلاحيـــن » ميلانـــو ١٩٦٩ ص ٤١ ــ ٣٩ .

(١٢٦) « واجبنا خـــلال الحرب » منشور في « اتسيوني » ١١ نوفمبـــر ١٩١١ والان فـــي اتسيوني ــ المصدر المذكور ص ٧٠ ــ ١٠٥ . لقد عاود مليوني موضوع الحرب الليبية في نقاش مجلس النواب في ٢١ فبرايـــر ١٩١٤ فانتقد موقف أرتورولا بريولا الاستعماري مؤكـــدا ان نتائـــج الحملـــة الليبية لا يمكنها الا « ان تـــزيـــد مـــن حـــدة الصـــراع الاقتصادي ما بين راس المـــال والعمـــل « وان تـــؤخـــر » بعـــث الطبقـــات الفقيـــرة واعطـــاء « اوكسيجين جديـــد للبرجـــوازية المحـــافظة » بحيث تجتمع تحت علم القومية مختلف عناصر الليبراليـــة الايطاليـــة .

خطاب مليوني منشور في كتاب فرانكو ليونوري . المصدر المذكور ص ٦٩ ــ ١٥٧) وكان جـــان باتيستـــا فالينتي G.B. Valente الذي اصبح فيما بعـــد مـــؤسس وسكرتير اتحـــاد العمـــال الايطـــالي كان من بين النقـــابيين الكاثـــوليك المـــؤيـــدين لعمليـــة الغـــزو ــ وقد كتب ما يلي في ترجمة حياته : « بالاضافة الـــى مختلف المؤتمـــرات النقابيـــة التي كانت تعقـــد في المـــانيا (كان فالينتي يقوم بعمله ما بين المهاجـــرين الايطاليين في المانيا) فقـــد اشتركت ايضا في مؤتمـــر الايطالييـــن بالخارج الـــذي عقـــد برومـــا عـــام ١٩١١ (...) وقـــد اثيـــرت فيه ولو بصورة هـــامشية مشكلـــة طـــرابلس التي كانت لا تـــزال حـــامية وخـــرجت من هـــذا المؤتمـــر بالاقتنـــاع بـــان مشكلة الهجـــرة مرتبطـــة ارتباطا وثيقـــا بمشكلة التوسع الايطالي في افريقيا ولهـــذا منذ ما عـــدت الى المـــانيا كتبت على مختلف الصحف الالمـــانيـــة وخـــاصة صحيفـــة Kölnische Wolkszeitung الصـــادرة بكولونيا بعض المقالات المؤيدة للدواعـــي

الوطنية (١٢٧) التي بالرغم من عدم اخفائها لبعض العطف على القومية ، ففي المؤتمر الذي انعقد في فلورنس من ٨ الى ٩ سبتمبر ١٩١١ تمت الموافقة بالاجماع على امر يومي اقترحه دوناتي و « قد حذر من الصعوبات والاخطاء وعدم مناسبة توسعات استعمارية ومغامرات عسكرية » ولفت الامر اليومي :

« انتباه البلاد الى المشاكل الداخلية التي على الدولة أن تجد لها حلا وفي طليعتها مشكلة الجنوب ، واوصى فيما يتعلق بسياستنا الخارجية برعاية المدارس الايطالية في الخارج ورعاية وتعليم مهاجرينا والمحافظة على روحنا وثقافتنا في البلاد التي تنطق باللغة الايطالية . » (١٢٨)

ان نص هذا الامر اليومي يردد في بعض فقراته انشائية سالفيميني خاصة فيما يتعلق بالاشارة الى المسألة الجنوبية . ومن المعروف أن دوناتي مدير صحيفة « البوبولو » مستقبلا كان محررا نشيطا في صحيفة « لافوتشي » وصديقا لسالفيميني الذي انتقل معه فيما بعد الى صحيفة « لونيتا » (١٢٩) .

التي دفعت بايطاليا الى حملة ليبيا وهو عمل جرىء لان اغلب المانيا كانت تتحيز لتركيا ضدنا » (جان باتيستا فالينتي « مظاهر واوقات العمل الاجتماعي للكاثوليك في ايطاليا » ١٩٦٢ — ١٨٩٢) صدرت باشراف فرانشسكو مالجيري روما ١٩٦٨ ص ١٦ — ١١٥) .

(١٢٧) انظر كلاوديو جوفانتي Claudio Giovannini « السياسة والدين في فكر الرابطة الديمقراطية الوطنية » (١٩١٥ — ١٩٠٥) روما ١٩٦٨ ص ٣٣٨ وما يليها . وكان يبدو ان رومولو موري كان مسحورا من « استمرار الرومانية المسيطرة » وشعر بالسرور « لاظهار القوة والصحة الوطنية التي من اجلها نقف اليوم بين الشعوب التي تريدان تسير دفة التاريخ ولا تتخلى عن مكانها بمذلة الى اخر القادمين (رومولو موري « وئام شعب ! » منشور في كتاب اميليو سكاليوني المصدر المذكور ص ١١ — ٤١٠) .

(١٢٨) نص هذا الامر اليومي موجود في كتاب لورنزوبيديسكي Lorenzo Bedeschi « الكاثوليكيون المتمردون » روما ١٩٥٩ ص ١٩٨ حاشية .

(١٢٩) ان معارضة دوناتي لعملية طرابلس قد اكدتها ايضا رسالة من انطونيو انزيللوتي الى سالفيميني بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩١١ من فلورنس جاء فيها « فيما يتعلق

وقد جذب الجو الوطني على ما يبدو في الفترة الاولى من الحرب الشاب فرانشيسكو لويجي فيراري F.L. Ferrari الذي سيغدو مستقبلا ممثلا لليسار الشعبي ومعاد للفاشستية ومؤمن بالديمقراطية وقد ارتبط في نواح كثيرة بجوزبي دوناتي ومات مثله مبعدا في فرنسا . وكان فيراري في ذلك الوقت في الثانية والعشرين من عمره يتولى امانة النادي الجامعي الكاثوليكي « لودوفيكو موراتوري » بمودينا وكان يعمل ايضا في الميدان النقابي وقد راى عند بداية الحرب الليبية امكانية توسع التبشير الكاثوليكي في تلك البلاد . وقد اعتقد ان الاحتلال الايطالي لليبيا من شأنه ان يساعد على تغلغل الانجيل في تلك البلاد « ويسهل » ابدال المدنية الاسلامية بالمدينة المسيحية على ايدي المبشرين لا بفعل الحكومة الايطالية » (١٣٠) وهذه المواضيع كانت حساسة جدا في محيط المنظمات الجامعية والشبابية الكاثوليكية في تلك الفترة . ولم يكن فيراري من مؤيدي الحرب التوسعية واللهجات الشوفنية وانما اتجاهاته كانت تمليها عليه تقريبا اعتبارات ذات صبغة دينية حالت دونه ربما ودون ادراك مظاهر المشكلة الليبية السياسية في الحال . ولكن سريعا ما شعر بأن وراء الحرب يختفي خطر « دفع البلاد

بطرابلس اناشدك ان تعد المواد للكتاب الذي سيواجه كتب الترهات القومية ٠ والله لا يزال لدينا الوقت وان كتابا هو في الواقع نفس السلاح الذي استعمله الخصوم ٠ فاذا ما جئت هنا في اول نوفمبر ومعك المواد الزائدة عن تلك التي لدى بريتسوليني على ما اعتقد وبذلك نستطيع اطلاق حملة اعلامية يوم ١٩ نوفمبر (وقد تنضم اليها صحيفة « لاتسيوني » التي يملكها دوناتي) لمواجهة افتاج الفكر الاستعماري القومي المتبخر » . (قايطانو سالفيميني » أوراق » . المصدر المذكور مجلد ١ ص ٥٤١) ٠ فيما يتعلق بتفسير دوناتي للعملية الليبية انظر ص ٧٦ ــ ٣٧٥ ومقاله « الدولة والمسالة الجنوبية » منشور في « الريسوجيمنتو » يوليو ١٩١٢ ونشر الان في كتاب « جوزبي دوناتي ــ كتابات سياسية » مقدمة وتعليق وحواشي جوزبي روسيني G. Rossini روما ١٩٥٦ مجلد ١ ص ١٣٠ ــ ٩٩ ٠ وقد اعيد نشر المقال في كتاب قابريلي دي روزا ــ انطونيو تشستارو A. Cestaro « المسالة الجنوبية ــ مختارات كتابات ووثائق « نابولي ١٩٧٠ ص ٢٣٤ ــ ١٢١٣ ٠

(١٣٠) انظر ماريوج ٠ روسي M.G. Rossi « فرانشسكولويجبي فيراري من الزوابط البيض الى الحزب الشعبي » روما ١٩٦٥ ص ٢٣٩ ٠

على طريق التسلح الجنوني والمغامرات التي لا تتناسب وواقــع القوى البشرية والاقتصادية للامة الايطالية » . وانه من الضروري التحقيق في الاخطاء التي ارتكبت خلال سير الحرب دون امكانية تغطيتها « باي من اثواب الشعبية » . وسواء في مليولي أو فيراري كان الخوف حادا من ان تكون الطبقات العاملة هي التي تدفع الثمن ويتاخر تطور البلاد الديمقراطي والاجتماعي .

« نحن ــ كتب فيراري في صحيفة « جورنالي دي مودينا » في السادس من اكتوبر ١٩١٢ ــ نريد بان نفقات الحرب التي تنتج عــن الحرب مباشرة لا تثقل باي شكل كاهل الطبقات الشعبية (...) وفي النهاية نحن سنراقب بان لا تكون النفقات الجديدة سببا باي صورة كانت في تاخيــر القوانين الاجتماعية التي يطالب بها الديمقراطيــون من جميع الميادين والمنظمات العمالية بالحاح مشروع (...) ، فاولئك الذين صفقوا للعمال الايطاليين غداة الانتصارات الليبية يجب ان يذكروا هؤلاء العمال ويمنحوهم مــا تطلبه العدالة والانصاف واوضاع المجتمع الحديث » . (١٣١)

وعلى كل فان المعارضات والخلافات حول الحملة الطرابلسية لم تنعدم بين مختلف التجمعات الكاثوليكية بالرغم من ان الواجب يقضــي بالملاحظة بان معظم الكاثوليك الايطاليين بدون شك قد غمرهم جو الوطنية الطرابلسية وانقادوا لاجنحة الحماس دون التروي كثيرا في عواقب ذلك على مستقبلهم السياسي والذي كان ينقص الكاثوليك تنظيم سياسي موحد في استطاعته ان يتحمل مسؤولية التوجيه . اما التاكيد بان العالم الكاثوليكي باجمعــه قد غرق في بحر الوطنية الليبية الكبير فهو امر غير صحيح ومبالغ فيه . ومن المؤكد ان الاصوات التي حاولت أن تعبر عن معارضتها قد طغت عليها ضجة صحافة الاعلام الكاثوليكي الضخمة التي كان في امكانها ان تصل حيث لا تصل الصحف الصغيرة وخاصة في المدن الكبرى ولكن هذا لا ينفــي أن الشك بان ليس كل شيء يستحق الهتاف والاشادة . ظل في ضمائر كاثوليكيين

---

(١٣١) نفس المصــدر ص ٤١ ــ ٢٤٠ .

كثيرين . وليس بالقيلين الذين ادركوا أن الاندفاع كليـة نحـو الانضمام الكامل الى الدولة الليبرالية يجب أن يوقف على الاقل جزئيا . وجاء حادث القبض على دون سالا (١٣٢) في مايو ١٩١٢ لكي يوقظ الكاثوليك مـن حماسهم الطرابلسي — ولم يسع الاتحاد الشعبي اذ ذاك الا اصدار بيان يوم ١٢ مايو بعنوان « نريد حرية » اتهمت فيه حكومة جوفاني جوليتي » بانها تخدم « اغراض الراديكاليين الحزبية السيئة » واضافت :

« المحاكمات تتكرر والقساوسة يضطهدون خلال قيامهم بواجباتهم الدينية اذا لم يخضعوا للمنافقين من أعداء دينهم ، وتنتهك الحريات الدستورية في صمت بعيدا عن ضجة الحيـاة الوطنية (...) وليكن احتجاجكـم من أجل حرية الانسان ومن أجل حقه المقدس : تجمعوا بسرعة بكثرة لتظهروا للبلاد انكم قوة ليس فقط عندما تجعلوا من ارادتكم سدا في وجه اعمـال اتراك ايطاليا المشؤومة، بل بالتعاون في سبيل كرامة الوطن دون أن تهتموا بالازدراء الذي ينظر به اليكم رئيس الحكومة وحتى وان كنتم مواطنين حقيقييـن ومستنرين فلا تنسوا من اجل الحق المشاكل — حتى وان كانت كبيرة — الداخلية ، والحيوية التي يرتبط بها غدا الشعب الايطالي » . (١٣٣)

ان حماس الكهنوت والعلمانيين من الكاثوليك لاعمال الحكومة قد قابلته

---

(١٣٢) في اليوم الثاني عشر من مايو ١٩١٢ ببلـدة كبورو بفالتللينـا خـلال احتفال لمباركة علـم النـادي الشعبـي الكاثـوليكي المحلي بحضور النائب ماوري قام جماعات من المعادين للكنيسـة بمشاغبـة الاحتفـال فوجـه دون انريكو سالا كلامه الى ضابـط البوليس (كربنيري) شيترني مؤكـدا « انكم لا تساوون شيئا » واعتبر سلاح الكربنير هـذه الكلمـات اهانـة له فالقى القبض على دون سالا ، وحكمت محكمة سونـدريـو في ٢٠ مايـو على دون سالا الذي دافـع عنه المحـامي مريتسي — بغرامـة قدرها مائـة ليـرة ، وقد كانت النيابـة تطـالب بسجنه شهـرا (فيما يتعلق بهذا الحادث انظـر « الاضطهـاد ضـد الكاثـوليك في فالتيللينا « نشر في صحيفة » تـورد نيني » الصادرة في كومـو في ١٣ مايو ١٩١٢ و « وحشية وعنف ضد كاثوليك فالتللينـا » نشر في « اوسرفاتـوري رومانـو » ١٨ مايـو ١٩١٢ و — اضطهاد الكاثوليك » نفس المصدر في ٢١ مايـو ١٩١٢) .

(١٣٣) يوجـد منشور في A.C.S., Min. Int. DGPS, Uff. ris., b. 46, f. 114

هذه بحادث أهان مشاعركم ومثاليتكم . (١٣٤) فقد ظهر من جديد وجه الدولة القديم الذي كان يضطهد الكنيسة ويحد من حريتها وقد انهالت على وزارة الداخلية برقيات ووسائل الاحتجاج من النوادي والابرشيات والجمعيات من جميع أنحاء ايطاليا . (١٣٥) ولا شك أن الازمنة تغيرت وان الكاثوليك كانوا يستعدون لمواصلة العمل باتفاق جنتيلوني فيما يسمى « بالهروب الى الامام » . (١٣٦) وهو العمل الذي شرعوا فيه مع الحملة

(١٣٤) هذه الحالة النفسية تبدو واضحة من برقية رئيس اتحاد الانتخابات الكاثوليكية ببولونيا فليبو ساسولي دي بيانكي الذي طالب باحترام الحريات الدستورية كاساس للتعاون الصادق من اجل خير الوطن » (نفس المصدر) وبصورة خاصة من رسالة وجهها باولو بريكولي رئيس جمعية الشباب الكاثوليكي الى وزارة الداخلية في ١٠ اكتوبر ١٩١٢ الرسالة موجهة الى (بارون غير محدد اسمه) يطلب بموجبها حماية المؤتمر الاقليمي للشباب الكاثوليكي بمقاطعة اومبريا المتوقع عقده بربيتي في ١٢ ـ ١٤ اكتوبر وقد اضاف : قد يكون من المؤلم انه في الوقت الذي تشغل فيه البلاد احداث ذات خطورة استثنائية (كانت تجري بلوزان مفاوضات الصلح مع تركيا) فان الكاثوليك الذين برهنوا بالعمل على ادراكهم لواجبهم والذين تتكون منهم خيرة عناصر الجيش بليبيا قد يجازون لمنعهم من ممارسة حقوقهم التي ضمنها لهم الدستور لتمكين اولئك الذين يصيحون في المظاهرات العامة « ليسقط الوطن » وينشرون حقدهم الطائفي » (نفس المصدر) . وقد كرر الكونت جوزبي ديلا توري رئيس الاتحاد الشعبي الجديد في خطاب له بالبندقية يوم ٢٦ يناير ١٩١٣ كرر نفس الانكار : (...) وقد اجبنا على هذا الاضطهاد وهذه الاهانات اليومية باحتجاجات الوطنية وبتقديم ولائنا وصدق نوايانا ، ولكن باسلوب من يعترف بتلك التبريرات ولا يحاول في الاستقامة ونبل اعماله أن يتخذ من البلاغة الوسيلة الكافية لاقناع البلاد فلدى غيرنا قد يعتبر هذا السلوك تقريبا نوعا من الخنوع الصابر . فيجب علينا ان نشعر بكل الفخر الذي نستمده من القضية التي من اجلها نقاتل ومن شرف نوايانا (...) علينا ان نذكر ان شعور النظام متقد فينا ليس كغاية في حد ذاته بل كوسيلة وضمان لاتدس مبادىء عظمة الوطن الدينية والمدنية تلك المبادىء التي اذا اهينت او ديست بالاقدام قد تسمح لنا بالثورة ضد كل من باسم النظام يستمر في الاستخفاف بها » (جوزبي ديلاتوري « الكاثوليك والحياة العامة الايطالية » مقالات وخطابات ـ بعناية غبريلي دي روزا ، روما ١٩٦٢ ص ٧ ـ ٢٠٦) .

(١٣٥) انظر A.C.S. المصدر المذكور بطاقة « مالتلينا ـ القاء القبض على دون سالا . احتجاج الكاثوليك » .

(١٣٦) انظر غبريلي دي روزا ، الكاثوليك في AA. VV. « صدمة التدخل » المصدر المذكور ص ١٢٩ .

الليبية غير أن بعض الغضب والتحفظ ظل في نفوس الكثيرين وكذلك البحث عن طريق خاص وعن برنامج ذاتي للحياة المدنية والسياسية . وظلت في الكثيرين الخشية من ضياع الشخصية واكتساح القومية الطاغية والمحبذة للحرب التي اصابتهم جرثومتها والتي تغازلهم بمناسبة قرب الانتخابات . (١٣٧)

وانه لمن الصعب البحث عن هذه الاصوات المتناقضة التي لا يتحدث عنها المحافظون الا لماما لانهم سعداء لان ينقلوا الى الحكومة ان الكاثوليك هتفوا للوطن ولطرابلس في الكنائس والاجتماعات ، وكذلك تتحدث عنها قليلا الصحف المحلية المتمشية في الغالب مع موقف الاسقف غير انه بدات تظهر ازمة عند اصحاب الضمائر الحساسة وخاصة بين اولئك الاقرب من مطالب طبقة الفلاحين . وعلى كل فاذا كان حقا ان جزءاً من البرجوازية الكاثوليكية من سكان المدن بصورة خاصة قد شعرت بالازمة كما لاحظ دي روزا « بمناسبة تقدم عملية التقارب ودمج الحركة الكاثوليكية مع المصالح السياسية للطبقة الحاكمة الليبرالية » ، فانه من الحق أيضا أن جزءا كبيرا من تلك القوى التي كان عليها ان تكون التيار المتقدم في الحزب الشعبي الايطالي (نشير الى مليولي ودوناتي وفيراري) راوا ان الحرب الليبية لا غنى عنها في تلك الفترة من أجل مقتضيات البلاد وغالبا ما وافقوا عليها كباعثة لنوع من اليقظة الدينية بيد انهم لم يشعروا ابدا بارتباطهم بمصائر اولئك الذين ارادوا وتسببوا في الحرب . (١٣٨)

---

(١٣٧) انظر فيما يخص الموضوع فبريلي دي روزا « التاريخ السياسي للعمل الكاثوليكي ، باري ١٩٥٨ مجلد ٢ ص ١٩ ــ ٣٠٤ ورفائيلي مولينللي المصدر المذكور ص ٧٢ ــ ١٢٩ .

(١٣٨) ان موقف لويجبي ستورسو يستحق مقالا على حدة . فقد كتب مؤسس الحزب الشعبي في كتاب بعنوان Politics and Morality في لندن عام ١٩٣٨ ما يلي : « ان العمال الكاثوليك كانوا معارضين للحرب الليبية لانها ببساطة حرب بصرف النظر عن اخلاقيتها او عدم اخلاقيتها.ان بنك روما الذي كان بيد رجال الدين الرومان قد قام بعملية تغلغل اقتصادية في ليبيا وساعد على امداد

وفيما يتعلق بالقوميين فقد سبق ان درسنا كيف انهم تصوروا الحرب وكيف حاولوا أن يؤثروا في قرارات الحكومة بمواقفهم المتطرفة وكيف رأوا مشكلة الاستعمار الافريقي . وكانت حملتهم المضطربة لصالح الحرب ــ كما لاحظ فولبي ــ تجربة حقيقية عامة للهياج التدخلي في عام ١٩١٥ (١٣٩)

الاحتلال . وساندت الصحف الكاثوليكية « كوريري ديطاليا » و « كوريري دي سيشليا » الحملة الليبية بحماس . ففي هذا الوضع وبالنظر الى مركزي كعميد بلدية كالتاجيروني ولاني اتولى مناصب عامة اخرى فقد ارتأيت اتخاذ موقف حذر متحفظ « لويجبي ستورسو Politics and Morality Luigi Sturzo ترجمة بربرا باركلي كارتر ــ لندن ١٩٣٨ ص ١٠٩ ــ ١٠٨) . وبالرغم من تصريحات ستورسو هذه المتاخرة فيمكن اعتبار ان الكاهن الصقلي كان ينظر الى العملية الليبية ببعض الامل . ومما لا شك فيه انه ليس من دعاة الحرب الصليبية ضد الكافر أو من المتاثرين ببعض خرافات من النوع القومي ــ ان المسالة الليبية تبدو في رؤية ستورسو من خلال مشكلة الجنوب ومن المحتمل انه ايضا قد سحره جو الامال الذي احدثه في صقلية الاحتلال الاستعماري والدليل انه في اهم خطاباته عن الجنوب الذي القاه في نابولي يوم ١٨ يناير ١٩٢٣ فقد تحدث عن اقتناء برقة وطرابلس « كعمل سياسي حكيم » وأضاف ان مجهود ايطاليا كان يجب أن يكون « خلق منفذ دائم لتيار الهجرة بصورة خاصة في برقة وللتجارة مع افريقيا الوسطى عبر مستعمرتنا » فالمستعمرة الجديدة يجب ان تكون نوعا من مركز توزيع لتدفق التجارة التي يجب ان تنتشر من الجنوب الى حوض البحر الابيض المتوسط وافريقيا والشرق . وعلى كل فان « فتح التجارة وتداول المداولات وتشغيل اليد العاملة والاستعمار تحت الرقابة المباشرة للوطن الام » قد تعطي « الاندفاع في خلق زراعة وطنية في الجنوب وتطوير التجارة بما يتناسب واهميتها الانتاجية » (لويجبي ستورسو « الجنوب والسياسة الايطالية » في « خطب سياسية » روما ١٩٥١ ص ٢٨٣ . انظر في الموضوع غابريلي دي روزا « لويجبي ستورسو والمسالة الجنوبية » في AA. VV. « الحزب الشعبي وصحة تجربته » ميلانو ١٩٦٩ ص ٣٧ ــ ٣٢١) . وان ايمان ستورسو هذا في دور المستعمرة الجديد اخذ يتضاءل الى درجة انه عام ١٩٢٦ اعترف « بان المستعمرات الافريقية لم تلب بالمرة احتياجات ايطاليا » السكانية والاقتصادية » مع التاكيد تقريبا على طريقة جوليتي « انه كان يجب احتلال ليبيا للمحافظة على التوازن بالبحر الابيض المتوسط » (لويجبي ستورسو « ايطاليا والفاشستية » بولونيا ١٩٦٥ ص ٢٨ ــ ٢٧) .

(١٣٩) جواكينو فولبي « ايطاليا سائرة » ميلانو ١٩٢٧ ص ١٦١ . كتب فيدروني : « حاولت القومية بعد الحرب الليبية ان تمد روح الايطاليين الى تجربة

(التدخل في الحرب العالمية الاولى) . غير أن هناك بعض الاعتبارات الاخرى يجب ابداءها حول تطور هذه الحركة ابتداء من الحرب الليبية وما بعدها .

لقد كتب ان جوليتي — عن طريق عملية طرابلس — قد انتزع الخبز من فم القوميين واستطاع بارضائهم ان يتجنب امكانية زيادة جدالهم حول ركود وضعف الحكومة تجاه الاشتراكية وتجاه مشاكل السياسة الخارجية . وفي الجوهر قد طبق اسلوب سياسة جوليتي المعتاد تجاه المعارضين : تلطيف الشحنة بتلبية الطلبات . هكذا فعل جوليتي مع اشتراكية توراتي وتريفس الاصلاحية وهكذا قد فعل عام ١٩١١ مع قومية كوراديني وفيدرزوني . أنها فكرة قابلة لكثير من الاعتراض . لقد كان هدف جوليتي دائما امتصاص وتفريغ القوى التي تزعجه وتعرقل مخططاته السياسية وجعلها في وضع لا تؤذى منه ، ان اشتراكية توراتي التي خرجت قوية ومناضلة من الرجعية المستبدة في نهاية القرن وقد وجدت نفسها بعد بضعة سنوات بفضل سياسة جوليتي عبارة عن حزب منقسم على نفسه تمزقه ازمة داخلية واشد المجادلات . واعتقد ان نفس الشيء أفلح فيه جوليتي ايضا في عامي ١٩١٢ — ١٩١١ اذا خرجت منها القومية منهوكة وقد عمرتها موجة الحماس الوطني . ولقد قررت صحيفة « لافوتشي » في ٩ مايو ١٩١٢ نهاية القومية الايطالية كحركة سياسية مؤكدة انه بالرغم من أن « الروح الوطنية » قد « انتشرت خارج الحزب بصورة غير متوقعة ومدهشة » فانه في نفس الوقت « اخذ القوميون الحقيقيون من منظرين وقادة ووطنيين

اوسع وابشع » (لويجبي فدروزني — « ايطاليا الامس من أجل تاريخ الغد » . ميلانو ١٩٦٧ ص ١٤) . وحول العمل القومي للوصول الى الحرب الليبية كتب توالتيرو كاستيلليني : « حتى ولو ان النائب جوليتي قد حركته عناصر اقناع اخرى وخاصة عوامل دولية ولم يؤثر الهيجان القومي كثيرا في دفعه الى العمل غير ان القومية كانت تعلم انها اتمت الاعداد النفسي والاعلامي الفني للراي العام الايطالي من أجل العملية (جوالتيرو كاستيللي Gualtiero Castellini « ادوار ومعائد القومية » ميلانو ١٩١٥ ص ٢٢) .

متشددين » أخذوا في التناقص . فالوطن قد استطاع « من جديد » ان « يبتلع مدى الوطنية » (١٤٠) وكروتشي ايضا قال انه بدا في ذلك الوقت « انه لا ضرورة بعد لحزب قومي » (١٤١) واكـد كاستيللني ان الاجمـاع الكبيـر والموافقات على الحرب الليبية أفقدت الحركة سيماءها الذاتيـة واضعفتها كحـزب » . (١٤٢)

ما هي القومية الايطالية في عشية الحرب الليبية ؟ لم تكن بالتاكيد حزبا يشغل ويخيف جوليتي الى درجة اجباره على الحرب . لقد كانت حركة نخبـة لا حركة جماهير حركة لا تجد الكثير من المنضمين اليها سوى عطف البرجوازية المتوسطة في البلاد التي كان يسهل استقطابها عن طريق البلاغة الوطنية والمثل الداعية للعظمة وهي تعبة من الحياة على وتيرة واحدة ومن حياة الإدارة العادية الرتيبة التي يبدو ان نظام جوليتي كان يجبرها عليها ، وكانت هذه البرجوازية تنظر الى القومية كقوة شابة قادرة على ايقاظ قوى النهضة الروحية التي لم تعشها أجيال القرن العشرين ولكن تمثلتها عن طريق أساليب تفسيرات المدرسة الليبرالية البليغة . وفي الخلاصة فان هذا الشعـور الـذي أنعـش البرجوازية المتوسطة تجاه القومية الايطالية كان اكثر منه انضماما . لقد كانوا بكل تاكيد قليلين أولئك الذين قد يوافقون على البرنامج المتناقض والمضطرب الذي تمخض عنه مؤتمر فلورنسا في ديسمبر ١٩١٠ ، وهو الذي يشير الـى مولد الجمعية القومية الايطالية . (١٤٣) غير ان القومية الايطالية احستبان

---

(١٤٠) نهايـة القوميـة » في صحيفة « لافوتشي » في ٩ مايـو ١٩١٢ .

(١٤١) بنيدتوكروتشي « تاريخ ايطاليـا من ١٨٧١ الى ١٩١٥ . المصدر المذكور ص ٢٨٩ . وقد اضاف كروتشي : « غيـر ان القوميـة بعـد ان تحـررت من الاوهـام والارتباكـات التي كانت تغطي طبيعتها الحقيقيـة بـدات منذئـذ في سلوك طريقها الـذاتية » .

(١٤٢) قوالتيرو كاستيلليني ، المصدر المذكور ص ٢٣ ـــ حـول هـذا الموضـوع انظـر فرنكوقائطيا المصدر المذكور ص ١٠٠ وقد لاحظ ان القومييـن قد استمدوا من العمليـة الليبية « سببا لتفسير لاحـق لايديولوجيتهم ولكي يحشروا انفسهم بشيء من الهيبة في المنـافسة السياسيـة الملوثة » . انظـر رفائيلي مـولينيللي المصدر المذكـور ص ٦٢ ـــ ١٢٤ .

(١٤٣) انظـر فرانكو قائيطـا ـــ المصدر المذكـور ص ٩١ ـــ ٨٤ .

حرب ليبيا قد تجد لها الاتباع الذين ينقصونها وقد تخرجها نهائيا من المخططات الرومانتيكية ــ الادبية ، لقد شعرت أنها لا تملك القوة ولا الصلابة لتسلك نفس الطريق التي سلكها شارل موراس Charles Maurras وصحيفة « لاكسيون فرنسيس» فيما وراء جبال الالب وعليه فقد لعبت بجميع اوراقها على طرابلس فمن طريق طرابلس وليبيا لم تعد تشعر القومية الايطالية بعد بانها معزولة وغريبة في مخططات السياسة الايطالية الداخلية . لقد شعرت بان بيديهـا أوراقا هامة تستطيع لعبها وشعرت أنه كانت تكفى بعض الاشياء مثل حملة صحافية حسنة التوجيه كاللجوء الى مواضيع العظمة وتوسع الوطن الاقليمي او الى مثل النهضة كي تجد نفسها وسط حركة ضخمة توجهها نحو اهدافها السياسيـة .

« ان الحرب اليوم ـ كتب كوبولا على صحيفة « ايديـا ناسيونالـي » في اكتوبر ١٩١١ ــ تعيد الى ايطاليا الاخلاقية الوطنية . ان التضامن الوطني يبعث فوق حساسيات الاقاليم القديمة وفوق جشع الطبقات الجديدة . وتتاكد المصلحة الوطنية كقوة مثالية حية وعاملة فوق مصلحة الفرد والمجموعة المهنية او الاقتصادية أي انها مصلحة مثالية وبالتالي اخلاقية ــ ان ذلك الضميــر الوطني الذي فقدته ايطاليا حتى اليوم يتولد عن احساس المعركة . ان الرؤيا المباشرة للعالم الخارجي المتناقض بالضرورة تنعش وتجدد نشاط عالمنا الداخلي Hinc Incipit nova Italia ان خلاصنا يبــدأ » . (١٤٤)

وقد ادرك فليبو ميدا بحدسه السياسي الدقيق الذي امتاز به ان « تصرف وعمل القومية في الحياة السياسية الايطالية ، كان « بدون شك احدى النتائج الداخلية الملحوظة لحربنا ضد تركيا » وانه « بدون الحرب لما خرجت القومية من دائرة النظريات ولاقتصرت عمليا على بعض المظاهرات بين الحين والآخر » وواصل ميدا قولــه :

---

(١٤٤) فرانشسكو كوبولا « الخــلاص » نشر في « ايديا ناسيونالي » ١٩ اكتوبــر ١٩١١ .

« ربما قد كان مستقبلها يقتصر على ارضاء بعض المثقفين الذين لا يحتملون العامية وهم وفقا لطبيعتهم وتربيتهم اعداء للديمقراطية ولكنهم غير مستعدين ان يظلوا في احضان اليمين وهم في حاجة الى اقتناء ميدان نشاط يختلف قليلا عن النشاط العادي على الاقل في السنوات التي لا يبحث فيها عن النشاط السياسي كواسطة مفيدة للوصول الى غاية ملموسة بل كتمارين أو رياضة مسلية ومقوية . ان الحرب الايطالية ـ التركية التي يفاخر القوميون بانها نصر لهم كما يعتقد في ذلك الكثيرون ممن كانوا يجهلون الظروف الحقيقية التي اجبرت الحكومة على احتلال ليبيا .. اعطت هذه الحرب فجاة للقومية القوة والقيمة التي لم تكن تأمل فيها مهما كانت الظروف حتى بعد سنوات طويلة من الجدل والتبشير (...) (١٤٥)

ان القول في النهاية ـ كما يؤكد ذلك الكثيرون ـ بان جوليتي حاول عن طريق الحرب الليبية أن يرضي القوميين كما ارضى من قبل الاشتراكيين (١٤٦) من اجل خلق قاعدة سياسية مضطردة الاتساع ، هي فكرة تدخل في المخططات التقليدية للسياسة الجوليتية ولكنها تبلغ من البساطة والسطحية

---

(١٤٥) فليبوميدا « من القومية الى الفاشستية » المصدر المذكور ، منشور في «كتابات مختارة» ص ٦ ـ ٤٠٤ .

(١٤٦) « (...) كتب فرانكو قائيطا ـ ان الحرب الليبية والتعديل الانتخابي واحتكار التامينات كانت بالنسبة لجوليتي ثلاثة عوامل ضرورية للحفاظ على بقاء نظامه وذلك باعطاء بعض الشيء لتيارات اليمين وتيارات اليسار » (فرانكو قائيطا المصدر المذكور ص ٩٩) . ولاحظ برونيللو فيجيتزي بدوره : « الحرب الليبية اذا اعطى وزن مسيطر » لتدبيرات « السلطة فان الحل سهل ايضا . فجوليتي كي يعيذ تنظيم نفسه كان عليه ان يعطي قليلا للقوميين وقد يحدث ان يفلت هؤلاء من يده فيما بعد . وقد تاكد ذلك . اما فيما يتعلق بجوليتي فيبدو لي ان الافتراض ضعيف الاساس . حتى الاوراق لا تسمح باستنتاجات كهذه . لقد كان جوليتي مقتنعا تقريبا لاسباب سياسية دولية أن ايطاليا في هذه المرة لا يمكنها الا أن تهتم بليبيا . فهو يتماشى بصعوبة مع حل الحرب ويحاول ان يحافظ في نفس الوقت على اسس النظام » (برونيللو فيتجيتزي المصدر المذكور ص ٧٠ ـ ٦٩) .

حدا يتعذر معه قبولها . ومع هذا فالقيوميون لم يتقبلوا ابدا الحرب بالطريقة التي وضعها وسيرها جوليتي . (١٤٧)

وبدلا من أن تقوي الحرب الطرابلسية النظام الجوليتي اضعفته ، ووجد بالفعل في تلك السنوات بداية الازمة التي كانت ستؤدي به نحو نهايته المقدرة البطيئة . وقد دخل النظام الجوليتي في الازمة لان جوليتي نفسه لم يعد يستطيع السيطرة على وضع سياسي واقتصادي يزداد ارتباكا واضطرابا وقد كانت الحرب الليبية السبب في جزء كبير منه . فقد افلت الاشتراكيون من يديه تماما والكاثوليك رغم انضمامهم المتأخر للنظام كانوا بالنسبة له « مستودع أصوات » وليسوا بقوة يمكن الدخول معها في حوار . وأما القوميون فقد ولدوا في حجر النظام الجوليتي نفسه غير انهم كانوا ابناء فاسدين تعلموا في عام ١٩١١ بالذات ان يسمعوا اصواتهم ويفرضوا أنفسهم ، وكان من الصعب ان لم يكن مستحيلا اعادتهم الى الحظيرة وتلقينهم درس الديمقراطية النيابية السليمة بعد ان بدا لهم ان يرفعوا اصواتهم اكثر من الآخرين لينالوا ما يريدون . ومما كان يزيد الامر صعوبة انه لم يكن وراءهم رجال مثل بريتسوليني وبابيني الذين عرفوا كيف يربطون ما بين نوع من الرومانتيكية الادبية المطبوعة ببوهيمية الشباب والرغبة في تجديد سياسي وثقافي للبلاد . فلم يعد الامر بعد كما يسميه كروتشي « انحرافات ادبية » و « اعوجاج اخلاقي لا يبعث على الثقة » .

---

(١٤٧) كتبت صحيفة « ايديا ناسيونالي » بعد خطاب جوليتي في تورينو : « لقد عمل جوليتي على تقليل اهمية الاحداث السياسية والعسكرية التي تثير فخرنا وايماننا بمستقبل مصير الوطن الى حدود متواضعة ويبدو ان جوليتي قد وضع عناية خاصة لابراز الطابع العرضي والاضطراري للاحداث نفسها وتبديد كل وهم قد يتولد بالنسبة للعواقب الدولية لهذه الحوادث بالاضافة الى التبعات الناتجة مباشرة من احتلال طرابلس ان (...) خطاب تورينو يكون اعظم وثيقة سوء نية سجلها التاريخ لايطاليا الجديدة » (خطاب تورينو ووطنية النائب جوليتي في « ايديا ناسيونالي » ١٢ اكتوبر ١٩١١) .

وكان وراء القومية بالعكس قوات سياسية واقتصادية كانت ترمي الى وضع العلاقات داخل الحياة السياسية الايطالية على أسس جديدة لتخليصها من شروطات امثال توراتي وتريفس وبيسولاتي الملة ووضعها على قاعدة اكثر سلطة ومحافظة .

□◆□

كان مجلس النواب خلال الحرب الليبية عمليا بعيدا عن النقاش الدائر في البلاد ولم يستطع البرلمان التعبير عن رأيه في الحرب والاحتلال الا بعد خمسة أشهر فقط على اتخاذ القرارات . وقد التزم جوليتي بمضمون المادة الخامسة من الدستور الالبرتي المبهمة التي تعفي التاج من اشعار المجلس عن اعلان الحرب وعقد معاهدات السلام والتحالف اذا كانت مصلحة وامن الدولة « لا تسمح بذلك » . (١٤٨)

وهذه الصيغة الغامضة والمحددة لصلاحيات البرلمان كانت المفتاح الذي مكن الحكومات الايطالية والملكية منذ عام ١٨٤٨ وفيما بعد من القيام بسياسة خارجية خاصة بعيدا عن اية رقابة برلمانية وكان في امكانها عقد الاتفاقيات والمحالفات واعلان الحرب قاصرة القرار على حلقة ضيقة من الاشخاص كانت تقتصر في احيان كثيرة على الملك ورئيس الوزراء ووزير الخارجية. وفي عالم كان فيه الوجود الجماهيري في الحياة العامة يبدو دوما اكثر نشاطا وعلى ابواب تطبيق حق التصويت للجميع ، فان سياسة ايطاليا الخارجية كانت لا تزال مرتبطة بالاساليب القديمة الدبلوماسية القرن التاسع عشر السرية .

وقد واجه مجلس النواب المسألة الليبية في ٢٣ فبراير ١٩١٢ المناقشة

---

(١٤٨) انظر بهذا الخصوص تابريلي دي روزا « التدخل الايطالي في الحرب العالمية الاولى . نصوص ووثائق ومذكرات « نابولي ١٩٦٧ ص ١٠ — ٧ ليوماليان Leo Valiani » الحزب الاشتراكي في فترة حياده ١٩١٥ — ١٩١٤ » ميلانو ١٩٦٣ ص ٦٠ — ٥٩ . برونيللو ميجتزي المصدر المذكور ص ٦٠ — ٥٩ . وليقرا ايضا راي جوزبي مارانيني Giuseppe Maranini تاريخ السلطة ١٩٦٧ — ١٩٤٨ » فلورنس ١٩٦٧ ص ٢٤٠ وهو يؤكد أن الدكتاتورية البرلمانية اتخذت خلال الحرب الليبية « شكل دكتاتورية بدون صفات » .

والموافقة على المرسوم الملكي الصادر في ٥ نوفمبر ١٩١٢ والخاصة باعلان السيادة . (على ليبيا) ـ وكانت فرصة سانحة للبرلمان الايطالي كي يقدم للبلاد مناقشة رفيعة المستوى وينهمك في تقدير انتقادي للحرب وفي دراسة عميقة للسياسة الخارجية الايطالية حول دور المستعمرة الجديدة وسلوك الجيش والدبلوماسية والسلطة الاقتصادية للبلاد. لكن شيئا من هذا لم يحدث لقد ترددت نفس نبرات الصحافة في قاعة مونتي شيتوريو (البرلمان) بلهجات تعبة في الغالب وفاقدة لاية فكرة . لقد كتبت الصحف باسهاب عن مظاهر الحماس الوطني التي قامت في مونتي شيتوريو سواء من قبل النواب أم من قبل الجمهور وتعكس محاضر النقاش باستثناءات نادرة في هذا الجو .

وكان التقرير التقديمي لفريد نياندو ومارتيني قد شدد على الفكرة بان ايطاليا قد دفعت الى العملية « لا بسبب شهوة مفاجأة في الاحتلال وانما بسبب ضرورة طالت تجربتها للدفاع عن المصالح السياسية والاقتصادية ولحماية وضعها كدولة على البحر الابيض المتوسط » . وهي في الخلاصة فكرة جوليتي التي ابداها في صيغته المختصرة « القدر التاريخي » .

غير ان مارتيني اراد ان يضيف الى التقرير المواضيع العزيزة على الادب « الليبي » والمرتبطة بذكرى مستعمرة روما القديمة فقال :

« كانت ليبيا لنا : ان معول الفلاح يقوم مقام مداعبة الشمس لاطلال المدنية اللاتينية والعمل العظيم الذي قام به اجدادنا البعيدون . وشجاعة الجيش تعيدها لنا اليوم » . (١٤٩)

---

(١٤٩) وثائق البرلمان الايطالي ، مجلس النواب دورة ١٩١٢ ــ ١٩٠٩ (الاول للهيئة التشريعية الثالثة والعشرين) ومناقشات ــ جلسة ٢٥ فبراير ١٩١٢ صـ ٤٤ ــ ١٧١ . تشيزراي سبيلانزون وصف تقرير فريدنياندو مارتيني بانه « موضوع جميل في البلاغة الادبية » مؤكدا انه لا يحتوي على اية اشارة سياسية جديرة بالاعتبار او التامل » (تشيزاري سبيلانزون ، المصدر المذكور ص ٧) وكتب كوزين باسلوبه الجدلي أن مجلس النواب قد كشف عن عاطفيته معبرا عن الغريزة السرية لتلك البرجوازية الصاعدة الان من العدم وكانت تتحمس

وسونينو من جهته ــ وهو لم يتوقع ان التاريخ سيجازيه بنفس العمله ــ احتج على الحكومة لقلة الدقة وقلة الاحترام للدستور حيث انتزع من البرلمان قرار من اختصاصاته . ومع ذلك فقد وافق على العملية طالبا « تاجيل الدراسة » والحكم على الاساليب ووثائق الوزارة أو من يقوم مقامها فيما يتعلق بالسلوك الديبلوماسي أو العسكري للحملة وذلك الى وقت وفرصة أحسن » (١٥٠) وكان اغلب الخطباء امثال قاللي وفاللي والراديكالي جوليواليسي يكررون نفس المواضيع مشحونة بالحماس والمديح لعمل الحكومة وقد انضم اليهم بيسولاتي أيضا الذي مع بعض التحفظات اعتقد أن من واجبه ان يصوت لصالح المرسوم مستندا الى « مصالح ايطاليا العليا » (١٥١) .

ولكن للحصول على فكـرة كيف ان اسطورة ايطاليا دولـة عظمى قـد رسخت في عقول ممثلي الامة الايطاليين أيضا وكيف ان الدعاية القومية قد فتحت لها ثغرة حتى في مونتي شيتوريو يكفي ان نذكر ماذا حدث عندما قال لويجي توراتي « ايطاليا دولة لا تزال نسبيا فقيرة ... » فمحاضر البرلمان تتحدث عن اصوات كانت تصيح « كلا ... كلا ! احتجاجات حـادة . ضجة متواصلة ، صياح : « لتحيا ايطاليـا » .

« لا أستطيع أن افسر ــ اكد توراتي عندما استطاع ان يستأنف كلمته ــ غضب الجمعية والضجة المفاجاة : يبدو ا نهناك اعتقادا بانني اهنت ايطاليا وذلك بتكراري لكل ما نعرفه جميعا وما برهن عليه مائة كتاب بان ايطاليا لا تقدر اليوم أن تنافس الدول الاكثر قوة والاكثر ثروة . واستطيع ان أضيف

لاحاديث أعمـال البسالـة . كانت تصفق « لملحمة ما وراء البحر » متخيلـة انهـا حققت بعض الشيء الجـدي وخلقت تضامنا وطنيـا قويـا جديـدا كان يستنـد بالعكس على رمـال العاطفيـة مثل تلك الارض البشعـة التي احتلت بنفقات كثيرة لا فائـدة منها » (فابيوكوزين Fabio Cusin ضد تاريخ ايطاليا ــ ميلانـو ١٩٧٠ ص ١٥٠) .

(١٥٠) وثائق البرلـان المذكـور ص ١٧١٤٦ .

(١٥١) نفس المصـدر ص ١٧١٥٦ .

ما يعرفه أيضا الجميع : انها بالمقارنة مع تركيا فهي مائة مرة أفقر . ولكن الواقع انها ليست فقيرة في العبارات والهتافات والاحتجاجات » . (١٥٢)

وتحدث ايضا شيكوتي ضد مرسوم الانضمام في حين ان الجمهوري كيبيا لم يضيع الفرصة في انتقاد سياسة الاحلاف التي تسير عليها الحكومة والتي حالت حتى ذلك الوقت دون القيام بحرب حاسمة خارج طرابلس وقد اراد كيبيا ان لا يشارك الحكومة موقفها تاركا لمن أعلن الحرب مسؤولية اتخاذ القرار :

« ان موجة الحماس لا يمكنها ان تكون مغسلا للمسؤوليات الحكومية التي تختلف الاراء بشأنها واننا نعارضها بصورة مطلقة (.....)

انكم لم تدعوا البرلمان منذ البداية : ولذلك لا نستطيع اليوم أن نضمن عملياتكم ليتحمل كل واحد مسؤولية اعماله : ونحن لا نعرقل اعمالكم ولذلك سيكون صوتي الى جانب الامتناع .» (١٥٣)

وانتقد بارزلاي بدوره التحالف مع الامبراطوريات المركزية ولكن اعترف ببلاغة الامر الواقع الملزمة والاسباب العميقة التي رأيناه يندفع منها» (١٥٤) وكانت هذه المواقف تعكس حالة التردد التي واجه بها الجمهوريون نقاش الحرب وقد وجدوا انفسهم ما بين تيارين الاول المتطرف الذي عارض العملية مرتبطا بانتقادات الجمهورية ضد كل السياسة الخارجية الملكية التي ادت الى الاحتجاجات بالشوارع بالاشتراك مع الاشتراكيين (١٥٥) كما حدث في فورلي مع نيتي وكان اذ ذاك جمهوريا — وبين التيار المعتدل

---

(١٥٢) نفس المصدر ص ١٧١٦٧ .

(١٥٣) نفس المصدر ص ٧٤ — ١٧١ انظر ايضا اويجنيو كيبيا Eugenio Chiesa خطابات برلمانية (١٩٠٦ — ١٩٢٤) ميلانو ١٩٦٠ ص ١٩٢ — ١٧٦ . وفيما يتعلق بكيبيا راجع « حياة اوجينيو كيبيا في ذكرى مرور مائة عام على مولده » باشراف ابنتيه ماري ولوتشانا ، ميلانو بدون تاريخ (١٩٦٣) .

(١٥٤) وثائق البرلمان المذكورة ص ١٧١٧٥ .

(١٥٥) وكتبت صحيفة « لاراجوني » تقول : نتنبأ منذ الان من النتائج المشؤومة

الذي كان يترأسه بارزيلاي وقد كان هذا الاخير على وشك ترك الحزب بعد أن رأى أن احتلال طرابلس « يختلف في الجوهر » عن جميع المحاولات الاستعمارية الايطالية السابقة (١٥٦) ومما لا شك فيه على كل حال أن النقد الجمهوري لسياسة الحكومة الخارجية كان يتغذى بصورة رئيسية من معارضة المعاهدة الثلاثية ومن حركة تحرير الاراضي التي لا تزال خاضعة للاجنبي (Irredentismo) وهي الحركة التي تركت عليها طابعها .

وقد رد جوليتي على الانتقادات بنظريته المعروفة . لم يذهب الى الحرب « بدافع الحماس وانما عن طريق العقل » وأكد فكرة « الضرورة المطلقة للنظام الدولي لتفادي مخاطر كبيرة قريبة الاجل » وأن هذه الاعتبارات

للمغامرات الحربية كما استخلصنا دائما من الالاعيب الجنونية التي تنبع من سياستنا الخارجية » (ج. طرابلس — المغامرة والحلفاء والاصدقاء في « لاراجوني » ١٠ سبتمبر ١٩١١) .

(١٥٦) سالفاتوري بارزلاي . « من أجل ايطاليا الذاهبة الى طرابلس في « لاراجوني » ٢٩ سبتمبر ١٩١١ برر بارزيلاى في نفس المقال وفي ثمان نقاط موافقته على الحرب : (١) لان طرابلس بصفتها ارض استغلال لا تقل عن غيرها التي احتجزتها بجشع دول اوروبية كبيرة (...) (٢) لان التغلغل السلمي ليس الا جملة وضعت ذات يوم في جلسة بقصر مداما استلقى عليها الجميع تقريبا للتوفيق ما بين اشياء كثيرة ومتناقضة في نفس الوقت (...) (٣) الاحتلال لا بد منه لتجنب طرد ايطاليا من البحر الابيض المتوسط (...) (٤) لا يجب ان تظل طرابلس ابدا مثل المراة التي تلمع امام انظارنا اذا لم تكن اللقمة التي تلقى في حلقنا لدى اي اضطرابات اوروبية محتملة في المستقبل (...) (٥) لدى انتهاء المعاهدات يجب ان نكون في احسن قوة (...) (٦) لدينا مصلحة في اقامة علاقات طيبة مع تركيا من أجل الحركة التجارية ومن أجل جالياتنا في الشرق وبدون عمل حازم لا تتحقق هذه العلاقات ابدا (...) (٧) (...) ان من لا يضع قدمه خارج بيته بسبب شعوره بالبؤس فانه لن يجد ابدا الفرصة الذي تتيح له اقامة علاقات تنشله من بؤسه (...) (٨) ان احترام بعض المبادىء لا تمانع في الاحتلال . وان بارزلاي نفسه المعروف باتجاهه الفاشستي خاصة خلال حرب الحبشة قد طالب بضرورة احتلال ليبيا منذ ٩ مايو ١٩١٠ وذلك على صحيفة « ايطاليا دلبوبولو » راجع ترجمة حياته — سالفاتوري بارزلاي Salvatore Barzilai » اضواء وظلال الماضي . مذكرات حيلة سياسية ميلانو ١٩٣٧ .

وحدها دفعته الى العمل « بحزم » (١٥٧) وتمت الموافقة على القرار الذي اقترحه كاركانو بموافقة ٤٣١ صوتا ومعارضة ٣٨ مع امتناع صوت واحد . (١٥٨)

وبالرغم من جهود توراتي وشيكوتي وكيبيسا فان المعارضة لم تعرف ان تات بأية كلمة جديدة . لقد تكررت بصورة مملة نفس المواضيع القديمة ، وكانت الغاية ترمي بصورة خاصة الى الفصل بين المسؤوليات ولكنهم اخفقوا في رسم خط معارضة يشير الى النضوج ويستطيع أن يفتح نقاشا اعمق واوسع حول أوضاع البلاد الحقيقية . وتجاه فكرة الاغلبية (بدون جوليتي) التي احتوتها اسطورة ايطاليا دولة عظمى لم يكن هناك من استطاع أن يواجهها بواقع البلاد وبالاخطار التي قد تسببها الحرب على المستوى الدولي . فقد التزموا بالاسلوب القديم حول الحلف الثلاثي وضده مع تلوينه بتحرير الاراضي المحتلة .

فنتجت عن ذلك ازمة سياسية حقيقية ، ازمة الطبقة الحاكمة التي اتبعت تيار الراي العام الذي خلقته الصحافة دون أن تستطيع أو تحاول تكييفها وهو يتبع ويهدف لقرارات الحكومة دون تحليلها او نقدها ، وكانت تلك نتيجة عشرات السنين من سياسة التطوير (Trasformismo) التي أنامت الحياة البرلمانية وسمحت للسلطات التنفيذية أن تفعل ما يحلو لها .

وبعد أيام من النقاش البرلماني حول الضم ، كرر قايطانو سالفيميني على صفحات « لونيتا » نقاشه الشديد حول هذه الديمقراطية الايطالية التي كان يبدو انها فقدت كلية مقدرتها على التحليل والنقد والمعارضة . وقد كتب سالفيميني :

---

(١٥٧) وثائق البرلمان الايطالي المذكورة .

(١٥٨) « ان المجلس واثق من التعبير عن شعور البلاد العام ينتقل الى مناقشة بند مشروع القانون » . ولا يخلو من مغزى الامر بان التصويت السري على القانون قد اعطى ٩ اصوات معارضة ووافق مجلس الشيوخ على قانون السيادة يوم ٢٤ فبراير ــ وسواء في مجلس الشيوخ او في مجلس النواب احيل مشروع القانون الى لجنة خاصة .

« غير أن أغلب نواب وصحافي الديمقراطية الايطالية سواء كانوا راديكاليين أو جمهوريين او اشتراكيين ، لم يعودوا بعد سوى نفاية مجنونة وحيوانية من الصارخين التائهين وفاقدي الارادة المعتوهين ومن المجانين الذين يبيعون انفسهم بالمزاد العلني . ان الصارخين لا يحسنون الشكوى من المفاجاة كما تفعل الفتيات اللاتي يفقدن بكارتهن وراء السياج — ان العاجزين لا يحسنون سوى قبول المناصب الوزارية والرد على كل شيء بكلمة نعم ان الخبثاء يعترفون تدريجيا بالامر الواقع ويضعون في جيوبهم ثمن الشراب ويشيدون بالكرامة الوطنية . هذه هي الديمقراطية الايطالية باستثناء حالات فردية نادرة . ولا تنتظر بلادنا منها اي شيء مفيد . » (١٥٩)

وقد ركز تشيزاري سبيلانزون — بعد ذلك بقليل — في مقدمة كتابه « افريقيا العدوة » على عجز رجال السياسة الايطاليين الانتقادي وكتب هذا المؤرخ الفنيسي (نسبة لفنيسيا) وكان لا يزال في الثامنة والعشرين من عمره قائلا :

« ان عدم الاهتمام بالنقد في المجلس بروما لدليل على ان ايطاليا تنقصها تربية سياسية مناسبة ، وان عيب الوسط البرلماني هو عدم ادراك مصالح البلاد الحقيقية والواقعية . »

ان الرجال تبرز والشعوب تعرف في أوقات الصدمات الكبرى : فاذا البلاد لم تستطع ان توجد تيارا عاملا من الافكار ، وان لا توجد من بين الرجال القريبين من سلطة الدولة من لديه الشجاعة لمواجهة عنف الوهم الجماعي واكراه الحماس الطائش ، فهو امر يدل على ان قوات البلاد المعنوية والفكرية لا تزال غير قادرة على أن تستعجل في الزمن الطرق المثالية لتطور جريء وتقل العقول القادرة على اعداد الامة لمصائر قريبة محظوظة . ولكن لا يكفي تاكيد الاعتقاد بمصالح الوطن السامية كي يبرر صمتا يساهم في جزء كبير

---

(١٥٩) « مميينس جوفاباط » بصحيفة « لونيتا » ١٢ مارس ١٩١٢ منشور في كتاب تايطانو سالفيميني « كيف ذهبنا الى ليبيا » ، المصدر المذكور ص ١٧٩ .

من استدامة الاخطاء ولا ان يصبغ الشرعية على موافقة اذا تمت بدون اقتناع فانها دليل على ضمير مضطرب لا يجسر على مقاومة العواطف الجماعية المكتسحة . (....) .

ان اكثر ما ينقص ايطاليا هو الشعور بحالة العزلة التي اخذنا في تدبيرها في حياتنا الخارجية المباشرة او الغير مباشرة ، وذلك عن طريق تنازلاتنا وعدم اعتدالنا . لا توجد بيننا رؤيا واضحة لنسبية قواتنا ونغتبط كالعادة باخفاء الواقع عن انظارنا بوميض الاوهام وبعظمة الذكريات بصورة مضطربة وهي من خاصيات الشعوب المريضة . (....)

اننا هنا سررنا لاثارة عواطف الشعب واغلقنا امام البلاد اي نشاط انتقادي . (١٦٠) انه راى يعكس على ما يبدو بوضوح ولو بصورة جدلية

---

(١٦٠) تشيزاري سبيلانزون المصدر المذكور ص ١١ — ١٠ وفي مقال بعنوان « الديموقراطية اليوم وغدا » نشر بصحيفة « بونتولو Pungolo » بباريس بتاريخ ١٥ يوليو ١٢٩ . اعاد فرنشسكو لويجبي فيراري التامل على ضوء ظاهرة الفاشستية في الاحداث السياسية الايطالية بعد الوحدة مع برلمان مجرد من مهامه خاضع للسلطة التنفيذية يسيطر عليه الخوف من « مرسوم الحل » الذي كان الطاغية يتحصل عليه في كل مرة يشعر ان هناك بوادر ثورة في مقاعد الاغلبية المختلفة الاشكال » . يكفينا ان نذكر كيف كان واقع البرلمان الايطالي في عشية الحرب العالمية بخضوعه المعتاد لارادة دكتاتور طيب وسلمي فلم يكن يطلب اكثر من ان « يخدم » وكان يخدم القلة من القوميين المتطرفين للملكية والجالسين على مقاعد اليمين وذلك باقامة وطنيتهم الكلامية في وجه دولية اقصى اليسار الفاشلة . وكانت المجموعة المتعددة الالوان في الوسط واليسار تؤدي خدمة بخنق كل محاولة تجديد للعرف السياسي — وكانت تخدم الاحزاب المتطرفة المتظاهرة بوجود معارضة ثورية غايتها دعم اغلبية المؤمنين . لقد كان الاشتراكيون والقوميون والكاثوليك ومعارضو الكنيسة والملكيون والجمهوريون جميعا يعملون من اجل سياسة التوازن والوفاق الدقيقة والمعارضة بطبيعتها بمبدا التنافس الكبير وهو الوسيلة التي تولد تقدم الامة السياسي . كانوا يعتقدون في وجود الاحزاب بينما لم يكن لديهم سوى « مجموعات » تتجدد باستمرار وفقا لدافع المصالح المحتملة والمطامع الشخصية . واذا قام بين مجموعات « المؤمنين » احد ليزمجر ويهز ويحفز فان محاولته النبيلة سرعان ما تخنق وتتلاشى احلام المثاليين الباهرة وسط انقسامات الاستهزاء . مقال فيراري موجود في مقال سالفو ماستيللوني Salvio Mastellone

حادة، واقع البرلمان والحياة السياسية الايطالية في تلك السنوات في الوقت الذي كانت تستمر فيه نظرية التطوير بصيغ وتوجيهات جديدة بالنسبة للاساليب التي كان يتبعها يسار دبريتيس عام ١٨٧٦ — ولكن الاتفاق الآن اصبح له وزن مختلف لانه لم يعد يشمل بعد صفوف اليمين التقليدية واليسار الليبرالي ، ان قوات سياسية جديدة وهم الاشتراكيون الكاثوليك والجمهوريون والراديكاليون .. هذه القوات بدلا ان تعمل كقوة تجديد سياسي وبدلا من ان تعمل كعناصر مهذبة ومجددة للحياة العامة يبدو ان اغلبها قد انضم الى التنظيم القديم الذي اعاد تشكيله جوليتي على اسس جديدة اكثر حساسية بالنسبة للميدان الاجتماعي ولكنه أيضا فاسد في الميدان السياسي والنيابي .

وعلى كل فان ضآلة العمل الانتقادي وعدم وجود نقاش نيابي اكثر دقة بمناسبة الحرب الليبية يدخل ضمن اساليب الحياة السياسية في تلك السنوات . فالامر لم يكن مفاجأة ولم يثر اي تعجب اذ كان صورة للواقع السياسي المتدهور بوضوح الذي قدم المناخ المناسب فيما بعد الحرب — رغم الحالات السياسية العامة الجديدة المختلفة — الى تلك القوى القادرة على استغلال الضعف الاصيل في تكوين الديمقراطية بالبلاد .

بعنوان « كتابة مجهولة تقريبا لفرانشسكوليويجبي فيراري بمجلة « الفكر السياسي » ١٩٦٩ رقم ٢ ص ٦٠ — ٢٥٩ . واكد ستورسو من جهته ان « مجلس النواب في وقت جوليتي اصبح اكثر من مرة مجلس تعويضات لقد طور جوليتي طريقة الاتفاقيات في سبيل تحاشي الصراعات النيابية متغلبا على اقوى المقاومات محاولا اغراء الاحزاب باحلاف .سلطة والمساعدات والتناقضات الاجتماعية (لويجبي ستورسو المصدر المذكور ص ٦٠) » .

الحرب «المستقبلية» أساطيرها وواقعها

مارنيني والحرب الليبيــة ــ ادا نيقري ــ دانونيسيو واغاني بطولات ما وراء البحار ــ باسكولي و « العمالية الكبــرى » المقاتلــون في ليبيــا في التفسير القومي ــ الجندي الايطالي والحرب ــ ضائقة اســر المجندين مظاهرة الاحتجاج ما بين الجنود ــ راي ترومبي وكابيللو وكــوراد وزولي وجــوليتي .

عندما اندلعت الحرب من أجل طرابلس كان قد انقضى شهران فقط منذ ظهور اعلان فيليبو توما سومارينتي Filippo T. Marinetti : « ذلك الاعلان ذو العنف الجارف والناري » الذي كان يرمي الى تحرير البلاد من الغنغرينة المتعفنــة » ، ويتغنى « بالشجاعة والجراة والثورة (.....) وبالحركــة المتنمرة وحمى الارق وخطوة العدو والقفزة المميتة والصفع واللكمة » كان يرمي الى تمجيد الحرب « كالوسيلة الوحيدة لصحة العالم .. » فالحركــة المستقبلية ايضا كانت مثل القوميين تبحث عن دربها . مارنيتي لم يتــردد في السفر الى طرابلس وقد وصف الانذار النهائي الى تركيا انه « مستقبلي » و « مستقبلي » ايضا نفس الحكومة التي يترأسها جوفاني جوليتي الذي لم يكن يعرف في الواقع ربما هذه الكلمة فقــط . (١)

---

(١) نستثني من اغــراضنا التحليــل الانتقــادي لبعض الاتجاهــات الفنية والادبية التي طبعت الفتــرة التي نقوم بدراستها ــ ونــود فقط ان نشير الى تاثيرها في خلق الجــو الخاص بايطاليــا في تلك السنوات وتكييف الحــرب الايطالية ــ التركيــة لهذه الاتجاهــات .

« ان ايطاليا تتخذ اليوم امام اعيننا شكل وقوة سفينة مدرعة جميلة تحيط بها جزر من النسافات ونعتز بشعورنا في تساوي حماسنا للحرب الذي يلهب كل البلاد ونحرض الحكومة الايطالية التي اصبحت اخيرا « مستقبلية » على تضخيم طموحاتها الوطنية وازدراء الاتهامات السخيفة بالقرصنة ونعلن ولادة الجامعة الايطالية . شعراء ورسامون ونحاتون وموسيقيون من مستقبلية ايطاليا : فما دامت الحرب قائمة لنترك جانبا الابيات وفرشيات الرسم وازامير النحاتين وفرق الموسيقى .

لقد بدات اجازات العبقرية الحمراء ! لا شيء نستطيع اليوم الاعجاب به اكثر من سيمفونية اسلحة « شرانبلس » Shrapnels والنحت الجنوني الذي تقوم به مدفعيتنا الملهمة في صفوف الاعداء (...) نريد أن تنتهي ايطاليا الى الشباب الايطالي لان الشباب بقتالهم حاليا في طرابلس قد كشفوا في النهاية عن الضمير الوطني . نحن نطالب بتربية مناسبة لهذا المثل الاعلى ، تربية مستقبلية قائمة على البطولة وحب السبق والغرام بالمخاطر وشجاعة المتهور والسرعة والقوة وشد العضلات . نطالب بجميع الالعاب الرياضية العنيفة في الهواء الطلق ، العدو والملاكمة والعاب الحرب » . (٢)

وأرسل مارنيتي من طرابلس برسالاته الى الصحيفة الفرنسية « لينترانسيجان » L'Intransigeant من ٢٥ الى ٣١ ديسمبر ١٩١١ . وقد كرر فيها نفس لحن الحرب بتصورات غاضبة دفعت الشاعر الى التغني

---

(٢) فليبو توماسومارنيتي F.T. Marinetti « الحرب الوسيلة الوحيدة لحفظ صحة العالم ميلانسو ١٩١٥ ص ١٥٤ ــ ١٥٣ وباولوبوتسي Paolo Bozzi وهو من المستقبليين ايضا كتب بدوره يقول : « الان اتغنى بك ايتها الحرب والتي بنفسي لاموت ٠ اريد ان اقاتل صاعدا اريد ان اقاتل تحت سد من الرصاص القاتل (٠٠٠) اعطوني رشاشة المستقبل الكاملة والعشرة الاف سيف التي سلتها السواعد الرومانية » (فيما يتعلق بالمواضيع المذكورة هنا من المهم مراجعة كتابات فيتوريو قوريسيو Vittorio Gorresio تاريخ الوطنية الايطالية (١١١) ايطاليا الطائرة » منشور في « الموندو » ٢ سبتمبر ١٩٥٠ (١٧) حفظ صحة العالم » المصدر المذكور في ٩ سبتمبر ١٩٥٠) ٠

لا بالرشاشة فقط واصفا اياها بالمراة الجميلة (٣) وانما اتغني حتى بالجياد المخصصة لجر المدافع : « ذات المظهر التمثالي والصدر الواسع والظهر المربع والعيون الجميلة الصقلية « التي » كان صهيلها الابي السردانيولي (نسبة لسردينيا) يحاول أن يطلق الكلمة العظمى : ايطاليا ـ ايطاليا ! » (٤)

والحركة المستقبلية خرجت هي أيضا مثل القومية من الكنائس والمنتديات الادبية والفنية وجاءت لتؤثر في نفسية الجماهير وبصورة خاصة الشباب الذين كانت تستهويهم أسطورة التقدم التقني في اشكالها الظاهرة والساحرة مثل السيارة والدراجة النارية والطائرة ويشيدون بالقوة والسرعة والخطر

---

(٣) « تنحني الرشاشة الى الامام مثل المراة ذات الجسد النحيف والصدر اللدن المطرز بالمخمل الاسود والمزين بحزام متماوج مليء بالرصاص وتتلتح من بين شعرها الاسود بل من بين اسنانها المتوحشة بصورة افقية واندفاع متواصل جنوني مثل اجمل زهرة موجودة الاوركيديا البيضاء من اللهب الحاد (فليبوتوماسومارنيتي « معركة طرابلس » بادوا ١٩١٢ ص ١٢) وقد لاحظ ايزننغي Isnenghi مثل مارنيتي ان وجود الموضوع الشبقي متواصل (...) وان شبقية مارنيتي الحربية ستظهر بانها لا نهاية لها وتبدو منذ الان كاحد مظاهر الذوق الجميل (ماريو ايزننغي M. Isnenghi المصدر المذكور ص ٢٧) ٠

(٤) فليبوتوماسومارنيتي المصدر المذكور ص ١٦ ٠ لقد كتب جوفاني انسالدو حول مارنيتي ما يلي : « ان هذا البرجوازي الصغير الايطالي ـ المصري المتخرج من الاداب بباريس طيب وكريم النفس وبه شيء من السذاجة وهو مقتنع بنبوغه ولديه ارادة قوية في نيل شهرة عالمية بوجهه الصارم وصوته القاطع وبصرامته المسيطرة : غير ان السلام يقصم رجليه ويحد من خطبه الجيدة ، لانه لم يسمع في حياته غير دوي البنادق فلوبرت Flobert التي تستعملها اكشاك اصابة الهدف ٠ فهو عندما يتحدث عن الحرب يتحدث عن سمع وفي الوقت المناسب لا يجد الاصوات المقلدة لنغمة الحرب ٠ انِ حملة طرابلس قد اثارت حماسه ودوي المدافع المقامة في بومليانة والرشاشات جعلته ينتفخ اغتباطا وان الرحلات الجوية الحربية الاولى التي قام بها مويسو Moizo على بعض العرب والقى فيها بعض القنابل التي لم تصب حتى نعجة قد بدت له كرؤيا لحقيقة معنوية وسياسية وفنية سامية هو النبي المقدر لها » ٠ (جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٤١٦) ٠

واسلحة الحرب والرياضة بصفتها تطور وتأكيد للعنصر و « كحركة عدوانية » (٥)

وقد اعطى كوراديني لحملته الليبية صفة اكثر دقة في اتجاهها السياسي وهي الصفة التي اذا ما جردناها من القشرة الخارجية والزخرفة الكلاسيكية الجديدة تكتسب فكرة من النوع العسكري الامبريالي . اما فيما يتعلق بمارنيتي فالتكوين السياسي غير مؤكد وقد غمره ضجيج المحركات والرشاشات وقد بدا مضطربا ومرتكبا حيث تغريه دفعات تتخذ في بعض الاحايين طعم الفوضوية التي تغذيها التقنية وتربية الاجسام ومع هذا فالحرب الليبية رات ان اشتراك القومية والمستقبلية في نفس الميدان تربطهما نفس الامنيات العابرة والتطوعية ونفس اللهجات الحادة قد خلقتا اتباعا في أوساط الطلبة واثرتا في شباب البرجوازية المتوسطة والصغيرة بالمدن (٦) متسغلين قلق الاجيال الجديدة التي سئمت جو العهد الجوليتي القاتم (٧) وان معركة ليبيا حسب مارنيتي ــ بالنسبة للمستقبلين قد افادت

---

(٥) كان حكم سانقونيتي Sanguinetti قاسيا على هذا المظهر من الدعوى المستقبلية : « ان عبادة الشيء الحديث لمارنيتي كان لديها مركزها النفسي ومنطقة نكرتها المتسلطة الفنية (عن طريق طرابلس ــ ادريانوبولي مارة بجبال الكارسو ومتواصلة حتى الفرقة العاشرة « ماس » الفاشستية) وذلك في عجائب الحرب الصناعية : ان الكلمات في الحرية وانفجار اساليب القياس وتوقيت الخطابة جميعها كانت تولد وتتطور باتصال متين مع المظهر الجميل للمعركة في عهد تطور الراسمالية الصناعية العنيفة والامبريالية ، وذلك باساليب تستحق الاعجاب لملائمتها وتنسيقها وغالبا لجراتها على سبق الزمن (ادوارد وسانقوينيتي « الحرب المستقبلية » منشور في « كوينديشي » ديسمبر ١٩٦٩ ص ٢٨) .

(٦) « (...) تختلط في اذهان الشباب افكار القومية والمستقبلية . فكانوا يريدون اغلاق المتاحف واعادة قيام اعمدة الكنائس المردومة في ليبيا . وكانوا يريدون امبراطورية كوراديني بنسورها الرومانية ويريدون ايضا امبراطورية مارينيتي بمحركاتها الالية . وقد كانت هناك نقطة اكيدة . « لم يوجد بعد حرب ليبيا في مدارس المملكة الثانوية طلبة متعاطفون مع الاشتراكية سوى ابناء النواب الاشتراكيين » (جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٤١٨) .

(٧) كتب كارلو ساليفاري يقول : « اذا كانت الجوليتية قد عززت قوة ايطاليا الرسمية

في اعداد « جو حربي عظيم » . لقد تحصل اطلبة الايطاليون « في النهاية على مثل اعلى للبطولة اليومية وشغف حار بجميع اشكال البطولة » حتى وان لم تزل بعد بعض العادات السيئة من مجتمعنا : العاطفيـــة والشفقـــة العليلة وفـــزع المقعدين و « حنـــان القلـــب » و « الحساسية المقـــاربة للنسائية » . (٨)

وقد حددت الحرب الليبية هوية مراكز القومية والمستقبلية بل الاكثـــر من ذلك جعلت فنانين وادبـــاء يلتقون في نفس الضفة وقـــد رفضوا حتى ذلك الوقت الدعوى القومية والمستقبليـــة (٩) . وهكذا لم يقف الى جانب مارينيتي وكوراديني الشاعر دانونزيو فحسب بل جوفاني باسكولي وادا نيقري وجمع لا يصدق من دعاة الادب . فالصحف والمجلات ومئات مـــن

المحـــافظة والمتحررة واذا كان تطور الحركـــة العمالية قـــد وسع نفـــوذ الاشتراكية فـــان تقدم الاقتصاد والاسس الحقيقية للبـــلاد والشعـــور بانتشار الرخـــاء والقـــوة (٠٠٠) كانت جميعها تغـــذي القسم الكبيـــر من قلـــق الاجيـــال الجديدة ونفـــاذ صبرها من أجل العمـــل والمجـــد والـــرغبـــة في العظمة والقـــوة . فالقلق ونفـــاذ الصبـــر والرغبـــات التي كان يرفضها اكثر المثلين الـــرسميين في الشكل وفي العمـــل السياسي ، في حيـــن انها على النقيض من ذلك كان يشاد ويطالب بهـــا » (كارلو ســـاليناري Carlo Salinari « اساطيـــر وضميـــر الانحـــلال الايطالي » ميلانـــو ١٩٦٢ ص ٥٤ ـــ ٥٢) .

(٨) فيليبو توماسو مارينيتي « الحـــرب الوسيلة الوحيدة لحفظ صحـــة العـــالـــم » المصـــدر المذكـــور ص ٨٠ .

(٩) وكتب اوجينيو تارين Eugenio Garin قائـــلا : « الحـــرب الليبيـــة املحت فـــي التقاء كوراديني ودانونـــسيو ومارينيتي وحتى باسكولي . الخـــلافات لا اهمية كثيـــرة لها . فامام « الحـــرب المستقبليـــة » جـــاء الدليـــل علـــى عـــرض كـــان مقـــدرا لـــه أن يتكـــرر اكثـــر من مـــرة . وليس صحيحـــا ان هـــؤلاء كانوا عبـــارة عن اصحاب ضجـــة لا غيـــر كما كتب بريتسوليني فقـــد ساهمـــوا ربما دون شعـــور في فتح الابواب للقوات التي كانت تريـــد قلب العالـــم او كما سيقول موسوليني فيما بعـــد لقد عملوا على خلق « الـــروح الايطالية » . ولـــم يتخلـــف اساتـــذة الفلسفـــة امـــام ضجـــة المستقبليـــن وماســـاة الحـــرب عن الانضمـــام الى الجـــوق ببلاغتهم المعتـــادة : « ان ايطاليا التي اعطت العلم حضارتيـــن تحـــوي في ماليـــة نبوغهـــا الضمانات المباشرة والخالـــدة للشعوب والعشائر بان قـــدر سيـــر الحضارة يـــدفعها اليوم الى الاشتراك في مصائر التاريخ العظيم المضيئـــة » هكذا حـــل ايجينو بتروني Igino Petrone المشاكـــل الـــدينية التي اقتـــرحها استعمـــار العالـــم الاسلامي » (اوجينيو تارين) اخبـــار الفلسفة الايطاليـــة » ٩٤٣ ـــ ١٩١١ ، بـــاري ١٩٦٦ المجلـــد الثـــانـــي ص ٩٨ ـــ ٢٩٧) .

جرائد الاقاليم قد غزتها الاشعار الطرابلسية (١٠) التي اجتاحت البلاد على اجنحة انشودة « طرابلس ، يا أرض الحب الجميلة » وهي الانشودة الشعبية التي نظمتها « جياديلا تاريزندة » . فقد وضعت المشاكل والصعوبات جانبا وتوجب الغناء من اجل طرابلس ومن أجل الحرب . والبلاد يبدو انها كانت تقبل وترغب وتسكر بهذه الموسيقى وقد تحقق في المستوى الثقافي نفس الظاهرة التي طبعت الحياة السياسية . الروح القومية والحرية والامبريالية تتسرب بدرجات متفاوتة في أنسجة المجتمع المدني ، وهكذا اكتسبت اتجاهات المستقبليين والطلائعيين اتباعا في الوسط الفني والثقافي ونتج عن ذلك انتاج اصابته البلاغة الخاوية بالعدوى تلك البلاغة القائمة على التلاحق والتواثب والتكرار .

ولعل اكثر هذه المواضيع انتشارا وشيوعا هو موضوع الجندي الايطالي الذي يموت ببطولة في الصحراء الليبية والذي اوجد اسطورة الام التي لا تبكي ابنها الصريع ولكن تفاخر بموته . وقد أصابت هذه العدوى الشاعرة ادا نيقري Ada Negri التي عرفت باثارتها لمآسي ومشاكل عالم العمال ومواضيع التضامن الانساني فانشدت :

لا ابكي كلا . هذا هو المجد ! يا ابني
لا ابكي كلا . هذا هو المجد
امهات كثيرة تملك الآن قلبي

---

(١٠) هكذا حيت صحيفة من كلابريا الجنود المسافرين الى ليبيا : وتسافر المراكب المجيبة الى بحر الكوبلت الشاسع غنية بارواح قوية مثل الفولاذ والرصاص بينما نساء ايطاليا من امهات وزوجات او أخوات يتبعونها بدعائهن انتظارا لعودتهم المظفرة . ويسيرون .. ويسيرون والبحر يبتسم والامواج تلاطفهم — انتم يا ابناء ايطاليا الشجعان — يا ابطال في كثبان الرمال وفي الصحراء دوما تحيا ولتنتصر ايطاليا (اميديو دي باسكوالي Emdio De Pasquale لتحيا وتنتصر ايطاليا » منشور « في كروناكي كالابريزي » ٥ نوفمبر ١٩١١) . وفيما يختص باعطاء فكرة عامة عن انتاج الصحافي والادبي المتعلق بموضوع الحرب الليبية Antologia راجع « المختارات » باشراف اميلو سكاليوني Emilio Scaclione المصدر المذكور .

المتحجر ووجهي المحتضر
يسكتن . هكذا اراد الوطن وهكذا يكون
حب يفوق كل حب آخر
(...) الانتحاب بصوت يائس
على الابن الميت لن يكون هناك من يسمعه :
لانه أمام المجد مسمر الى حب الامومة
كما لو كان على صليب (١١)

ففي كل مكان يحتفل الشعر بالموت الجميل الذي يثير الحسد في الاحياء لانه يخلق حول القتيل هالة من المجد للتضحية السامية في سبيل الوطن .

وهكذا يشيد جوزبي ليباريني بأول بحار سقط في طرابلس :
انا الاول الذي قدم دمعه للعمل البطولي ، ان اسمي
لن يذكر : لقد نزلت لغزو البحر .
يرقد معي في الرمال القاحلة الرفقاء
القادمون من رؤوس الجبال ومن السهول الضاحكة
يرقدون وعيونهم في اتجاه ايطاليا : انهم الف ربما !
غير أن الكل يحسدني هذا المصير : لانني أنا كنت الضحية
الاول وأول بطل (١٢)

وقد اصابت عدوى هذا الشعر الوطني كل شيء حتى عالم الاطفال وقع تحت مطارق هذا الشعر المتكرر . وقد خلقت « كوريري دي بيكولي » أكثر صحف الاولاد انتشارا شخصية جان سانئيتا الذي يرمز الى الجندي الايطالي الشجاع والماهر والماكر الذي يستغل سذاجة العرب ليحقق عمليات باهرة

---

(١١) ادانيقري « الام » شعر . ميلانو ١٩٤٨ ص ٥٣٩ ــ ٥٣٧ . انظر في صفحة ٢٨٦ رد فعل ام على هذا النوع من الادب .

(١٢) جوسبي ليباريني « من اجل اول بحار سقط بطرابلس » في مجموعة انجليو بيشولي « طرابلس مدرسة المزيبة ــ مختارات صحف العمل » المصدر المذكور ص ١٠٣ .

مسلية . وقد اخترعت لعب أطفال جديدة لم تقتصر على اسلحة الغبار التقليدية ، بل على دمى تمثل الجنود الاتراك الصرعى والبحارة الايطاليين بيدهم العلم الايطالي . وقد رأت مجلة « اللستراسيوني ايتاليانا » في ذلك عاملا يظهر « الاهتمام الذي تثيره في الصغار الحرب الدائرة في اراضي افريقيا » . (١٣)

وكان الشاعر جبريلي دانونسيو اكثر من اي احد حاول أن يتقمص شخصية الشاعر الملهم نبي الصعود و « رسالة الهيمنة الوطنية » (١٤) وكان الشاعر موجودا عند انفجار الحرب الليبية في اركنشون بلدة فرنسية في مقاطعة جيروند في منفى تطوعي أجبرته عليه المشاكل المالية ومطالبة الدائنين . وكان الشاعر يتعاون منذ زمن مع صحيفة « كوريري ديلا سيرا » وفي ٢٩ سبتمبر طلب منه البرتيني « قصيدة غير طرابلسية ولكن بمناسبة طرابلس ونزولنا على تلك السواحل التاريخية وثورة شعورنا الوطني العظيمة » (١٥) وتحمس دانونسيو لذلك ، وبعث بعد بضعة ايام الى البرتيني بالانشودة الاولى ورد عليه قائلا :

« قضيت الليالي محموما . .ان الصفحات لا تزال ساخنة ولا أدري كم من الحماس استطعت أن أجبره لتضمنه قياسات الابيات الرهيبة . وعلى كل فالانشودة صوت من صميم القلب . (١٦)

وفي ١٨ أكتوبر نشرت صحيفة « كوريري ديلا سيرا » باحرف بارزة في الصفحة الثالثة « انشودة وراء البحار » (١٧) :

---

(١٣) راجع فيتوريو توريسيو « حفظ صحة العالم » المذكور . حسب قول كوراديني « حتى الاطفال البالغين ثلاث سنوات من عمرهم يعرفون أن اليوم حربا تدور ضد الاتراك وحتى هم يدور الحرب في قلوبهم ».

(١٤) ايتوري باسيريني دانتريفس Ettore Passerin D'Entreves الدانوسنسية والفاشستية في AA. VV. « من القومية الى الفاشيستية » تورينو ١٩٦٧ ص ٢٨ .

(١٥) لويجبي البرتيني « رسائل » المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٤ .

(١٦) المصدر المذكور ص ١٦ .

(١٧) الاناشيد الاخرى المنشورة هي : انشودة الدم وانشودة السر المقدس وانشودة

« ايطاليا ايطاليا ! لم يكن أبدا ربيعك

في مدينة الزهرة والاسد

وعندما كان كل نفس رسولا للحب

جديدا مثل فصلك هذا

العجيب حيث من اجلك تنشد

أفواه المدافع المستديرة

انه من أجلك الربيع المقدس

الذي يقول فيه الله من كل بذرة مليئة

وحوت الثمرة التي من هناك لا تتهشم »

وكتب توم انتونجيني Tom Antongini مؤرخ حياة قابريلي دانونسيو وأمين سره يقول : « ان كل حب الشاعر لوطنه » وكل محبته العزيزية لكل خطر ومغامرة تفجرا من خلال اناشيده المشيدة ببطولة اخوانه الايطاليين . (١٨) وان دانونسيو في الواقع لم تلهب حماسه وطنيته فقط وانما اسباب ذات صبغة طارئة كما يشهد بذلك انتونجيني . لقد كان الشاعر مثقلا بالديون وان الالف ليرة (١٩) التي يعطيه اياها البرتيني عن كل انشودة كانت مفيدة

المغانم وانشودة ديانا وانشودة هيلانة الفرنسية وانشودة أمبرتو كاني وانشودة ماريو بيانكو والانشودة الاخيرة . جميع هذه الاناشيد منشورة في كتاب « قابريلي دانونسيو ــ اناشيد السماء والبحر والارض والابطال الكتاب الرابع : ميروبي Merope · اناشيد بطولة ما وراء البحار (١٩١٢ ــ ١٩١١) ، ميلانو ١٩٢٩ وقد كتب بروورس Bruers عام ١٩٢٤ يقول : « ان حرب ليبيا التي فتحت عهدا مريعا من شانه ان يقلب ويجدد ايطاليا قد وجدت في الشاعر الكلمة العظيمة والنبوءة . انه يمجد في الحرب الليبية أول اشارة لارادة ايطاليا في العالم (« انطونيو بروورس » ، قابريلي دانونسيو » ، روما ١٩٢٤) ·

(١٨) توم انتونجيني « أربعون عاما مع دانونسيو » ميلانو ١٩٥٧ ص ٢٢٠ » ان عناصر اناشيده كان يستمدها من انكبابه بصورة ملحة على قراءة الصحف الايطالية والاجنبية وايضا من بعض رسائل التي كانت تصله من المقاتلين بطرابلس » (المصدر المذكور) ·

(١٩) المصدر المذكور ص ٢٢٥ .

له بصورة خاصة لعلاج مشاكله المالية كما يبدو ذلك واضحا من « رسائل » البرتيني ومن ترجمة حياته التي وضعها انتونجيني . (٢٠)

وقد نالت قصائد دانونسيو نجاحا كبيرا وارسلت للشاعر شهادات بذلك من جميع انحاء ايطاليا ومن الجبهة الليبية . وقد ابلغه الجنرال موكاتاتا انه يحتفظ في صندوق واحد بقصائد دانونسيو وبالعلم الايطالي الامر الذي جعل دانونسيو يشعر « بشعور المجد » (٢١)

وان مطالبة دانونسيو بالتدخل في الحرب العالمية الاولى وبتحرير الاراضي الايطالية التي لا تزال محتلة التي وصلت اقصى حدتها في مايو ١٩١٥ وقد ولد في ايام ١٩١٢ — ١٩١١ في منفاه باركانشون فلم يكن الاراضي الايطالية التي لا تزال محتلة التي وصلت اقصى حدتها في مايو

---

(٢٠) وحسب ما يقول البرتو البرتيني ان دانونسيو « عندما انعزل في اركانشون وحتى في تلك العزلة) التي كان يواجه فيها الرمال والمحيط استطاع ان يثقل نفسه بالديون وانشاء كابونشينا اخرى (اسم مقره في ايطاليا) حيث اقتنى الكلاب والاسطبلات واستورد الاكوام من الكتب بغية استعادة مكتبته القديمة · وفي بحر بضعة اسابيع طالبه مجلد الكتب بمبلغ ٣٢٠٠ ليرة وطالبته الطباخة بـ ٤٦٩٩ ثمن زيت وحطب وشموع في ثلاثة اشهر . انها مبالغ مذهلة في ذلك الزمن ·. كان يقرع باب اخي للحصول على مبالغ مسبقة لاعمال مستقبلة وكان اخي ساذجا اذ ظن ان في امكانه تخليصه من هذه العبودية (···) · لقد كان دانونسيو يعمل نهار كالمحكوم عليهم كان يكتب اشعارا ونثرا وقطع مسرحية واغاني وقصصا ·. فكان يكسب بكثرة وكانت صحيفة « كوريري ديلاسيرا » تضاعف له الاجر ولكن كل ذلك لم يكن يكفه — كان يبدو انه كي يعمل يجب ان يكون في حاجة للهث وراء المال · فلم يكن لديه ما يدفع به اجور الخدم ولا النقود من اجل شراء طوابع البريد (البرتو البرتيني A. Albertini « حياة لويجبي البرتيني » روما ، ١٩٤٥ ص ١٣٦) · وقد برر لويجبي البرتيني فيما بعد المبادرة في نشر اناشيد دانونسيو قائلا : « لقد فعلنا نحن ايضا مثل بقية الصحف الكبرى في سلوك البلاغة ·. فمن جهة اخرى كانت ضرورة قد يسخر منها المتشككون ومن يحكمون على الامور من بعيد . ان الصحيفة ليست من الاعمال التاريخية التي تظل بعد موت مؤلفها وانما هي انعكاس للحياة ودفع للعمل » (لويجبي البرتيني « عشرون عاما من الحياة السياسية » المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ١٢٧) ·

* : احد القواد الايطاليين بالجبهة — المعرب .

دانونسيو الشاعر الذي يتغنى ببطولات الوطن في افـريقيا فحسب اذ ان افريقيا كانت الخطوة الاولى في خطوات اخرى أهم واكثر حسبما ادت بـه الى « الاحتلال السامي » .

« افريقيا ليست الا المـن
حيث شحذنا حديدنا لاقتناء
سامي ضد المكاسب المجهولة (٢٢)

وازدادت لهجة دانونسيو حدة مع مرور الاسابيع الى درجة السفاهة بالنسبة للنمسا :

« رفرف النسر ذو الرئيسين
الذي مثل العقاب يلفظ
لحوم الجيف التي لا يهضمها » (٢٣)

ووصف فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا بانه « ملاك المشنقة الدائمة » (٢٤) ولم ير البرتيني من المناسب نشر هذه الاشعار في ذلك الظرف الخاص والصعب الذي كانت تجتازه الدبلوماسية الايطالية (ديسمبر ١٩١١) وهذه الاشعار كانت جزءا من انشودة الدردنيل وقد أغضب ذلك دانونسيو واثار اشمئزازه . فكتب الى البرتيني في ١٦ ديسمبر ١٩١١ قائلا :

« لم أكن افكر في أن انشودتي قد تهين اعتدال « الكوريري » . ولم اكن اظن أن اسمي لم يكن بالاتساع الكافي لتغطية المسؤولية الكاملة لكل ما اذيله باسمي (...) ان ارتباطا رائعا وغير عادي ما بين الشعب الايطالي وكاتب وطني قد انقطع (...) والسحر قد تحطم . انني حزين وفاقد الرغبة . منذ

---

(٢١) لويجي البرتيني « رسائل » المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤٠ .

(٢٢) قابريلي دانونسيو — المصدر المذكور ص ١١٨ (انشودة ماريو بيانكو) .

(٢٣) السالف الذكر ص ٨٤ .

(٢٤) المصدر المذكور — لقد لاحظ البرتو البرتيني « الى متى يخضع دانونسيو تدريجيا الى اسلوب الاهانة السيء والكلمة السفيهة وهو تقليد قديم من الادب السياسي الايطالي نتاج حالات نفسية عليلة تبدأ من عقدة الشعور بالدونية الى هوس الاضطهاد » (البرتو البرتيني المصدر المذكور ص ١٤٠) .

يومين لم استطع كتابة بيت واحد . لا اشعر الا باعياء المجهود والضيق من بؤسي الذي نسيته لبضعة اسابيع من النشوة ولكن الاشياء الجميلة لا تدوم كما يقال » . (٢٥)

ودانونسيو هذا الوطني والداعي الى الحرب وعدو النمسا والمطالب بتحرير الاراضي قد انعكس على جزء من البلاد وخاصة على الشباب البرجوازي الذين وجدوا ذاتيتهم في الرجل الاسمى الدانونسي وهاجموا سياسة التمنيات سواء في الميدان الثقافي أم في السياسي التي لا تستطيع ان تحقق تطلعات ملموسة سياسية ومدنية لانه تنقصها الاسس لتحقيق تلك الطموحات . (٢٦)

والكل كان لا يزال قابعا في حلم مبهم اقليمي للمجد والقوة فقد رؤى واقع البلاد واحتياجاتها ومشاكلها الاقتصادية والاجتماعية وهي مشاكل يبدو ان باسكولي بالعكس قد احس بها . فهو يرى ان اسطورة التوسع الايطالي تتخذ طعما اجتماعية . فالاحتلال الايطالي يغدو كما قال في بارقة يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١١ ــ دفاعا عن حق ، أي حق العمال « في الكساء والغذاء بمنتوجات الارض التي عملوا فيها « فايطاليا » العاملة الكبيرة » و « ضحية الامم الكبرى » تطالب بحق العمل لابنائها . ان الايطالي « المهان والمحتقر والفقير والذليل » يتاثر ضد من اراد ان « يستغله للابد » (٢٧) ومع ذلك حتى باسكولي لم يستطع أن يخرج عن طابع الادب الذي خلق حول العملية

---

(٢٥) لويجبي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ٦٧ ٠

(٢٦) فيما يتعلق بنزوات دانونسيو راجع كارلو سالينـاري Carlo Salinari أصل قومية وايديولوجية باسكولي ودانسيو . منشور في « Societa » مايو ١٩٥٨ ص ٤٧٤ ٠

(٢٧) خطاب باسكولي في « أصل ايطاليا الحديثة » . المصدر المذكور ص ١٠٩ ــ ١٠٤ . وقال ساليناري ان باسكولي « يود ان يفلح في استرجاع الدعوى الاشتراكية في الفكرة العامة للامة وان وان يصهر الاشتراكية والوطنية معا وان يدعو للارتفاع بالطبقات الشعبية مع رفض حرب الطبقات وتحقيق تعاون ما بين مختلف طبقات المجتمع لصالح الامة والوطن المشترك » ٠ (كارلو ساليناري المصدر المذكور ص ٤٧٤) ٠

الليبية ولهجته لم تختلف عن الطابع القومي الا في التلوين . فالتوسع كحل لشكلة الهجرة كان احد المواضيع المفضلة لدى قومية كوراديني مثل اسطورة روما التي تعود في النهاية لتسير في شوارع امبراطوريتها وهو الامر الذي استهوى باسكولـــي .

وعلى كل فاننا نواجه سواء في دانونسيو ام في باسكولي مصدر الايحاء القومي الذي يتخذ بالنسبة لباسكولي لونا انسانيا مبهما لا يبعد في الواقع عن دانونسيو وينتهي بالعكس الى تقديم المواضيع للدعوى القومية . وقد كتب قرامشي صفحة ذات معنى حول هذا الموضــوع :

« كان باسكولي يطمح في أن زعيم الشعب الايطالي غير (...) ان طابع الاجيال الجديدة « البطولي » كان يتجه نحو الاشتراكيـــة وقد فعل مثـــل الاجيال السابقة بالاتجاه الى المسالة الوطنية التي كانت تبدو له في مستوى الاحداث . فهو اذن خالق فكرة الامة العاملة وافكار اخرى استعملها كواردينى والقوميون المنحدرون من النقابة : فهذه الفكرة كانت قديمة لديه . وقد توهم أن عقيدته هذه تنال خطوة لدى المسؤولين (...) وهذا الخلاف فـــي نفس باسكولي جدير بالاهتمام: فهو يريد ان يكون شاعرا حماسيا وشعبيا في حين أن طبيعته كانت أقرب الى العاطفيـــة » .

ومن هنا ينشأ خلاف فني يظهر في المجهود والتهالك والبلاغة وقباحـــة الكثير من الموضوعات في سذاجة مزورة اصبحت صبيانية حقيقيـــة . (٢٨)

الجندي الايطالي أو الجندي الصغير كما كان يحلو لباسكولي ان يناديه

---

(٢٨) انطونيو ترامشي Antonio Gramsci النهضة » تورينو ١٩٥٥ ص ٢٠٨ . وفيمـــا يتعلق بتاثير دانونسيو وباسكولي على تكوين عقيدة قوميـــة فقد كتب ساليناري ايضا ما يلي : « يبـــدو واضحا في الخلاصة ان باسكولي ودانونسيو قد اعطيـــا في اواخـــر القـــرن المـــاضي واوائـــل ١٩٠٠ صوتـــا ادبيا لجميع الاساطير التي نفـــذت منها قوميتنا . فوقعها اذن كبيـــر في تاريخ الروح العامـــة في عشـــرات السنيـــن هـــذه « وتاثيـــر باسكـــولي ربمـــا حتى وان أقـــل ضجـــة فهو أكثر ظهورا من الاخر بسبب طابـــع عقيدتـــه الاقـــل شمـــولا والاكثر انسادا » (كارلو ساليناري ـــ المصدر المذكور ص ٤٨٦) .

كان في قلب هذا الوضع الذي خلقته الصحافة والادب وحتى السينما وهي لا تزال في اول تجاربها (٢٩) حول عملية جوليتي الاستعمارية . كان الجندي موضوع الاف القصص والحوادث من البطولي الى المؤثر من الدرامي الى الرومانتيكي وفي وسط هذا النهر من الكلمات والاشعار غرقت حقيقية الحرب الدائرة التي كان يعيشها الجنود وفقدت ابعادها وصورتها الواقعية واخذت تغذي عقدة تفوق واجهت فيما بعد بمناسبة الحرب العالمية الاولى تجربتها القاسية في القتال . وفي الخلاصة ان البلاد قد وجدت نفسها وقت انفجار الحرب العالمية تملك جهازا مجربا تجربة واسعة ومستعدا لتكرار تلك النغمات والمواضيع العزيزة على قلبه التي ساهمت كثيرا في تعبئة الراي العام . وقد استطاع كورادو الفارو في احدى مؤلفاته الخفيفة الـدم المثيرة التي قام بنشرها نورميجيني وقد خصصها لالبرتيني فقد وصف في عام ١٩٢٥ العلاقة ما بين راي الصحافة وواقع الحرب الملموس مع اشارة خاصة الى صحيفة « كوريري ديلاسيرا » والحرب العالمية الاولى وهذا ما جاء في وصفه :

ان صحيفة « كوريري ديلاسيرا » قد دعت للحرب الليبية والحرب مع النمسا والحملة ضد البلشفية بشكل عبادة مبالغ فيها للذوق السيء والبلاغة وهما عنصران مظهريان ينتهيان بالتضليل . وليس الامر بتضليل مبيت وانما طريقة ترجمة الاحداث بصورة مضللة ومزورة بكل تاكيد . وفي الخلاصة فان قوة مواجهة الواقع وقول الحقيقة هي من الصفات التي فقدتها صحف كثيرة ايطالية تحت ضغط منافسة « كوريري ديلاسيرا » ومدرستها الصحفية .

---

(٢٩) راجع باولوا مالتيسي المصدر المذكور ص ٢٣٠ . نقل مالتيسي رسالة احد قراء صحيفة « لاستامبا » نشرته في عددها الصادر في ١٩ فبراير ١٩١٢ جاء فيها : « تقوم دور السينما في تورينو وطبعا حتى في مدن اخرى بعرض احداث حربية وهجمات بالسلاح الابيض وحوادث بطولة جميعها مزورة . اننا نرى جنودنا يمرون امامنا في الف شكل متغطرس ويزيلون من المنظر احيانا ما هو قريب من الواقع . وهذا لا يكفي فالضباط انفسهم يظهرون جماعات في وضع الضوء كانهم ياخذون الصور بعد نهاية المناورات الكبرى ويتبادلون التحيات بشد الايادي ويقدمون ابتسامات عذبة للجمهور وهكذا تصبح الحرب سخرية » .

ان فلول هواة الانفعالات التي استطاعت « الكوريري » ان تكونها بنجاح في سنوات الخمول قد قدمت رغم جميع نواياها الطيبة خدمات سيئة للبلاد بعد أن قدمت تلك الخدمة الممتازة وهي مساعدة البلاد على واقع الحـــرب .

ان ايطاليا كانت تدخل مرحلة ماسوية وجدية في حياتها والصحف تجد في تلك الحجة للتلوين فالجيش الذي ارسل لحملة قصيرة جدا كمـــا كان متوقعا مع قليل من المدافع والرشاشات القليلة اصبحوا يشيدون به كعظيم لا يقهر . وكادورنا وهو منظم كبير اصبح قائدا مكتسحا . وفي الوقت الذي كنا فيه نقاوم أكثر الحروب مشقة وقد تسمرنا في الارض التي كان علينا أن نكسبها مقابل تضحيات لا نهاية لها ، فان الصحافة و « الكوريري » وصفت جيشا قد يصل تريستا في بضعة اسابيع وعدوا تعبا وفاقدا لاية مبـــادرة والقيادة العليا لم تكتف بتهليل الصحف لبلاغاتها « المتسترة » بل تاثرت أيضا بنفاذ صبر هذه الصحف وأمرت بتقدم دموي للقوات في عمليات مفككة وضارة بروح الجنود وبمقاومة القوات نفسها . (...) وبالرغم من تجربـــة الحـــرب الدموية فالصحافة و « الكوريري » اعطت للحرب التي كانت جدية بصورة رهيبة ، مظهرا تمثيليا من سحـــر الخيال . لا تـــوجد صفحـــة من صفحات بارزيني او فراكارولي يستطيع أن يعرف احدنا فيها نفسه رغم ارتباكنـــا هناك ــ وفي الشهر السادس من الحرب كان كل واحد منـــا عندما يلقـــي بنفسه خارج المواقع كان لا يعرف هل هو يؤدي واجبا رهيبا أم هو ممثل أمام جمهور شاسع غافـــل . (٣٠)

---

(٣٠) كورادو الفـــارو Corrado Alvaro لويجبي البرتيني » روما ١٩٢٥ ص ٤٥ ــ ٤٣ وفيما يتعلق بالحـــرب الليبيـــة فان نفس البرتينـــي اكـــد في رسالة الى أندريا تـــوري بتاريخ ١٧ مايـــو ١٩١٢ : « لقد احتفظنا هناك لاشهر واشهر بنخبة من المراسلين الذين كانت لديهم بعض التجـــارب في الحـــرب وقد عاشوا طويلا في احتكاك بضباط مـــن جميـــع الاسلحة يستمعون الى أرائهم فيستوعبـــون ويغربلون اراء مختلفة : ولكننـــا لم نسمـــح لهم باصدار احكـــام فقـــد احتفظنا بمقالاتهم الانتقاديـــة حـــرصا على المصلحـــة الوطنية الساميـــة » (لـــويجبي البرتيني المصدر المذكـــور مجلـــد ١ ص ١١١) .

« شبان جميلون أعزاء النفوس يملؤهم المرح يذهبون الى الحرب كما لو انهم ذاهبون الى حفلة لانهم يدركون انها كانت حفلة الوطن » . (٣١)
فيمثل هذه العبارات وهذا التصور وصف سرجيو سيقيلي — وهو قومي من ترنتو — وتخيل الجنود الايطاليين الذين كانوا يذهبون لمواجهة الاتراك في الصحراء الصليبية . وكانت هناك الى جانبه كتابات ادبية شاسعة حول الموضوع وصفت جيشا وشعبا يجمع بينهما رباط روحي ووفاق كامل دون تحفظ بالنسبة للحرب من أجل احتلال ليبيا . وقد لاحظ النائب فيتوريو كوتافافي وهو من الاحرار (٣٢) وقد شغل منصب وكيل وزارة المالية مع جوليتي من ابريل ١٩٠٧ الى ديسمبر ١٩٠٨ ... في كتاب اصدره عام ١٩١٢ حول انطباعاته وذكرياته عن الحرب الليبية ، انه بالتحدث مع الجنود « حتى عندما يكون الحديث بصورة ودية يشجع على اطلاق العنان للنفس والتعبير عن الرغبات المكتوبة » فلم يسمع ابدا « واحدا من الجنود يبكي حريته كمدني اذا استدعى للجندية او يأسف على حياة الثكنات اذ كان مطلوبا للجندية » (٣٣) ومن جهة اخرى فان جواكنيو فولبي اكد وضغط على هذه التاكيدات اذ كتب يقول :

« في خضم العراك والخطر وتحت ضغط الضرورة فقد تلاشى ذلك القدر القليل من الروح المعادية للعسكرية التي قد تكون رتابة وبرودة هواء الحاميات قد اعطتها بعض التغذية . وقد اعقبتها روح الموافقة على الحروب والاهتمام بتلك الحدود حتى ولو انها لم تكن مطابقة الا قليلا للصورة التي قد يكونوا تخيلوها عنها . وبابتعادهم عن الواحات الساحلية اخذوا يفهمون

---

(١٣) شيبيوسيغيلي Scipio Sighele اخر صفحات القومية » ميلانو ١٩١٢ ص ٣٢ .

(٣٢) تولى كوتافافي Cottafavi فيما بعد وكالة وزارة المالية في حكومة سالاندرا من مارس ١٩١٤ الى يونيو ١٩١٦ ، في عام ١٩١٧ كان من مؤسسي الفاشستية البرلمانية .

(٣٣) فيتوريو كوتافافي المصدر المذكور ص ١٢٣ .

واقع طرابلس المختلف عما كتبه الصحفيون المتسرعون ولكن بالعمل الايطالي ستعود الى الازهار هكذا كانوا يفكرون » . (٣٤)

واذا عدنا بالذكرى الى ما كان يردده الكثيرون باستمرار في الاشهر الاخيرة عن ذكرى روما القديمة وغزواتها الافريقية فقد واصل فولبي كلامه في هذا الصدد : « لقد أعاد الجنرال كانيفا في أول منشور الى الجنود ذكرى الرومان . وشعر الجنود اذ ذاك بان تالك النسور الرومانية » وتلك « المدنية الباعثة » لم تكن عبارات جوفاء » (٣٥) ليس من الصعب الادراك بان فولبي كان يزيد الكيل قليلا . وعلى كل فان فكرة الاتفاق الاجماعي على الحرب الليبية يبدو انها كانت مقبولة باقتناع متفاوت من اغلبية مؤرخي الحرب الايطالية التركية .

ومما لا شك فيه أن رياح القومية والوطنية قد أصابت بعدواها كثيرا أم قليلا اغلبية الراي العام في البلاد . ولا يعني ذلك انه لم يكن هناك مقاومة حتى وان كانت محدودة ومنعزلة وغير ضارة بالعملية الجوليتية . لقد وقع حادثان مدويان في سنوات الحرب الليبية استعجل الكثيرون بالحكم عليهما بعدم الاهمية : حوادث انفجار فردي لا يمكن تبريرها الا جزئيا كاعمال فوضوية أو نتيجة جنون . انا نشير الى الرصاصة التي اطلقها الجندي اوقوسطو ماسيتي على مقدمه يوم ٣٠ اكتوبر ١٩١١ عندما كان الجندي يستعد للسفر الى ليبيا للاعتداء على حياة الملك وعندما كان ذاهبا الى البانتيون الذي قام به انطونيو دالبا . انهما حادثان مدويان ، لابد انه كانت لهما قاعدة وخلفية لا يمكن انكارها حتى يتفجر بهذا الشكل العنيف .

---

(٣٤) جواكينو فولبي « عملية ليبيا » المصدر المذكور ص ٧١ ــ ٧٠ وقد أكد فولبي نفسه ان غزو ليبيا كان « اول عملية لايطاليا على طريق تجديد شبابها . فكانت تحتوي على كل الحماس والسذاجة والطراوة التي تمتاز بها اعمال من تجاوزوا عشرين عاما » . . (جواكينو فولبي « ايطاليا التي كانت » ميلانو ١٩٦١ ص ١٠٣) .

(٣٥) جواكينو فولبي « عملية ليبيا » المصدر المذكور ص ٧٢ .

لا يمكن اهمال بوادر المقاومة والاستياء والمعارضة للحملة رغم كونها كانت متهيبة وذلك لاعطاء صورة حقيقية وواقعية عن الحياة الايطالية في فترة عامي ١٩١٢ ــ ١٩١١ . هذه الاحداث رغم انه لم يكن لها أي وزن سياسي او قوة في الراي العام فهي تصور الروح التي واجه بها جزء من البلاد تلك الحرب . واهمال هذه الاحداث معناه التوقف للنظر الى الواجهة الجميلة للمشكلة كلها وتجاهل بصورة خاصة لاولئك الذين كانوا جزءا فعالا في الحرب والذين مستهم شخصيا . فماذا كان موقف من اضطر للاشتراك في الحرب او من كان لديه ابن أو زوج في الغالب هو عائل العائلة الوحيد ؟ فهل اشترك حتى هؤلاء في جو بطولة العملية الاستعمارية الجوليتية ؟ وهل شعروا هم ايضا بتجديد ارتفاع النسور الامبراطورية الرومانية ؟ ان تحريات من هذا النوع قد تمت على نطاق واسع وبوثائق قوية وذلك بالنسبة للحرب العالمية الاولى » (٣٦) التي بالنظر الى اتساعها وتأثيراتها اتخذت طبعا ابعادا وتطلعات يختلف وزنها عن وزن الحرب الليبية . ومع ذلك فقد يكون من المناسب الاسترار في هذا الموضوع ومحاولة اجراء تحريات مماثلة بالنسبة للحرب الايطالية ــ التركية . (٣٧)

فمنذ عام ١٩١٤ في غداة الحرب أصدر الماجور بومبليو سيكاريني كتابا لا يختلف عن الكتب المماثلة المتحمسة التي صدرت في تلك الفترة ، غير انه وضع مشكلة سلوك الجيش تحت امتحان دقيق وجاء في كلامه :

---

(٣٦) نذكر على سبيل المثال كتاب « فرقة الاعدام » الذي نشر باشراف انسوفورشيلا والبرتو مونتيكوني Enzo Forcella & Alberto Monticone باري ١٩٦٨ وبحث تابريلي دي روزا حول موقف الكاثوليك خلال الحرب العالمية الاولى موجود في AA. VV. « صدمة التدخل » المصدر المذكور ص ٢٠١ ــ ١٦٥ .

(٣٧) اقترح البرتو مونتيكوني بمناسبة البحث « من سلوك الجنود ومن مثلهم العليا » خلال الحرب الليبية و « الى أي مدى اشتركوا في التهييج الوطني وفي امال الاراضي الجديدة التي ستستعمر وفي المثل العليا « بالحرب الجميلة » (البرتو مونتيكوني » التاريخ العسكري الايطالي ومشاكله » المصدر المذكور ص ٢٣) .

« (...) ان الحكم على تماسك وصلابة القوات (وهو نتيجة لميزاتهم العنصرية وصفاتهم البدنية والمعنوية وتربيتهم المدنية واستعدادهم العسكري) كان دائما مستوحى من علم الحدود ومن القياس الذي يكون ذروة المعرفة الانسانية ؟ او لم يتنقل من تشكك قلق الى عدم مبالاة صلفة ؟ ان الادلة الممتازة التي قدمتها سرايا شكلت بالارتجال من جنود مستدعين ومجندين قادها في بعض الاحيان ضباط مساعدون شبان لا خبرة لهم . فهل يمكن اعتبار ذلك كافيا لاعادة التجربة في ميادين اخرى وضد اعداء آخرين ؟ (٣٨)

وفي الخلاصة ان بحثا من هذا النوع ينفع على الاقل لادراك مظاهر كثيرة في سلوك الجيش الايطالي خلال الحرب العالمية الاولى والازمات العميقة التي هزت الضباط والجنود والبلاد في الاوقات الاشد حزنا خلال الحرب الكبرى .

ويقول سكياريني ايضا في هذا الصدد : « يجب اعادة النظر على ضوء الواقع في مسائل كثيرة تقررت على اساس معيار نظري » فيجب اعادة النظر « بمواضيع ايجابية اكثر من حكم ومزاعم بديهية عن الاشياء والرجال » (٣٩) ومع هذا فان سكياريني يصل الى خلاصة لا نستطيع الموافقة عليها على ضوء الوثائق الموجودة اليوم . فهو يرى ان الحرب الليبية قد ظهرت الى الضوء ، واوضحت « الروح المحاربة » التي تلهب الايطاليين .

« ان غريزة الصراع — كتب سكياريني — لا تزال حية في شعبنا رغم العبودية السياسية الطويلة والابتعاد عن السلاح لقرون واسباب اخرى

---

(٣٨) بومبيليو سكياريني « الجندي الايطالي بليبيا » (١٩١٢ — ١٩١١) روما ١٩١٤ ص ٩٠ .

(٣٩) المصدر المذكور ص ٩٢

حديثة ، مما يجعلنا نؤكد أن روح الايطاليين الحربية لا تقل اليوم عن أي شعب آخر متمدن ان لم تزد على أكثر من واحد » (٤٠)

جمع باتشو باتشي Baccio Bacci في كتيب أصدره الناشر بمبوراد عـام ١٩١٢ عددا من رسائل الجنود والضباط بالجبهة الليبية استطاع أن يستنتج منها خلاصة لا تتفق على ما يبدو مع ما ذهب اليه سكياريني — ويكتسب عمل باتشي هذا اهمية لانه يعتبر بصورة خاصة من اولى المحاولات من هذا النوع التي تتم في ايطاليا مع انه يضع حدودا دقيقة تفقد عملية التحري قيمة الجدية وكونها وثيقة لا تقبل الشك . ويبدو أن اختيار باتشي لرسائل الضباط والجنود قد كان منذ الاساس يقصد به اثبات موافقة الضباط والجنود التامة على الحرب كما أن ما أجراه من الحذف على العديد من الرسائل يدعو الى التردد ، خاصة وان جميع الرسائل تقريبا واردة من جنـود وضبـاط ينتمون الى مدينة فلورنس وضواحيها وهو الامر الذي لا يسمح بالتحري مثلا من رد فعل ومواقف الجنود القادمين من مناطق حرمت طويلا من منافع ومزايا السياسة الاقتصادية الجوليتية ويصل باتشي مع هذا الى نتيجة بان الجنود الايطاليين هم شعراء أكثر من كونهم محاربين . « ان شعرهم لـم يتأملوا فيه وانما عاشوه ساعة بساعة وسط اصوات الحرب والتضحيات القاسية والاخطار وقد زادته حدة ذكرى الاسرة البعيدة التي استبد بها قلق الانتظار » (٤١) وفي الخلاصة فان الجندي الايطالـي حسب وجهة نظـر باتشي لم يكن سـوى :

« المحارب الشديد والمتوحش الذي يبدو لنا كالجلاد المخيف المعتز بقوة سلاحه والذي لا يرى في مذابح اعدائه سوى نتيجة تفوقه . لقد كان الجندي الايطالي دوما وظل بطلا وشاعرا : ليس متوحشا بطبيعته وليس قاسيا ولا

---

(٤٠) المصدر المذكـور .

(٤١) باتشو باتشي Baccio Bacci المصدر المذكور ص ٦ . عيب اخر في هذه المجموعـة وهو ان تحريـات باتشي اقتصرت على الاشهـر الاولـى من الحـرب واهمـل الفترة اللاحقة التي وقعت خلالها حـوادث استياء وتعب بين الجنود في الجبهة .

ثرثارا (...) فاذا ما خرج من المعركة وعاد الهدوء يعود مقاتلنا الى نفسه : تتلاشى من امامه المناظر الدموية ويصبح في حاجة الى العطف والحب والود العائلي » .

ومن هنا كان الحنين المضني للوطن وللام بصورة خاصة . (٤٢) وتبدو هذه الحالة النفسية واضحة في رسائل باتشي المنشورة وخاصة في مناسبات الاعياد مثل عيد الميلاد حيث يتجه الفكر طبعا الى المودة العائلية .

« ففي مثل هذه الساعة لا تزالون في السهرة ـ كتب الملازم ثاني روبرتو بيندي من بارقا التابعة لمحافظة لوكا ـ الى صديق له ـ وتاكلون الكستنة مع النبيذ الجيد . اني لا اتصور عائلاتكم واتصور بارقا في هذه الليلة . اننا تحت الخيام ولا نرى خارجها سوى خط الخنادق الاسود وخيال الحراس الساهرين . لا اطلب منكم ان تفكروا في وانما توجهوا بفكرتكم الى امواتنا » . (٤٣)

وهكذا كتب الجندي اميليو فيريتي الى امه بعبارات أبسط : « قضيت يوم عيد الميلاد في حالة سيئة بسبب بعدي عن عائلتي العزيزة ولا اجد خجلا في الاعتراف انني بكيت من صميم قلبي مثل الاطفال » (٤٤)

---

(٤٦) المصدر المذكور ص ١١٧ . لقد كتب باتشي في هذا الخصوص بلهجة الكاتب دي اميتشيس « ان جنودنا وقد انهكهم التعب واقلقهم صدى المعركة واذهلهم فقدان الكثير من رفقائهم سواء كانوا تحت الخيمة او متكئين على صخرة او مضطجعين على حافة الخندق او قابعين في قلب الخندق فهم يكتبون الى ذويهم ويفكرون في امهاتهم . هذه الام العزيزة وهذه الصورة المقدسة نشعر بها في قلوبنا مثل ملاطفة ملاك وكم من المرات ذكرت في الرسائل التي ستقرأونها والتي ستبكيكم (المصدر المذكور ص ٧١) وبتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١١ كتب من طرف البحار جوسيبي ليونيتي من بارليتا الى امه قائلا : « (...) الحياة هنا مؤلمة جدا بسبب الطعام والنوم والعمل الكثير . ولكن الله سيرعانا نحن أولاده ويمنحنا القوة على هذه الحرب واذا مريم العذراء نظرت الينا باعينها فسنجتمع بجميع العائلة » (من طرابلس « رسالة من بحار من بارليتا » منشور في « بون سنسو » تاريخ ١٩ نوفمبر ١٩١١) .

(٤٣) باتشو باتشي ، المصدر المذكور ص ٧٧ ـ ٧٦ .

(٤٤) المصدر المذكور ص ٧٧ ، كتبت صحيفة « لوسرفاتوري رومانو » بمناسبة عيد الميلاد لعام

وبقراءة هذه الرسالة وغيرها من رسائل المحاربين وخاصة الجنود من الفلاحين والفعلة والعمال يدرك المرء أن هؤلاء في الواقع لا يهتمون بسياسة دي سان جوليانو الخارجية الذين كانوا ربما يجهلون وجوده ولا بمقالات « لاستامبا » و « تريبونا » و « كوريري ديلاسيرا » ولا بخطب كوراديني و « انشودة فيما وراء البحار » لدانونسيو او لنداءات روما التي يذكرها الجنرال كانيفا . واذا تعمقنا في البحث نجد امامنا حقيقة جديدة وهي انه بعض الملفات بين اوراق المكتب السري للامن العام لمحفوظات الدولة المركزية حيث يحتفظ بالكثير من الرسائل اغلبها مجهول مرسلها وقد وجهت في الدرجة الاولى الى جوليتي ثم بصورة اقل الى وزير الحربية سبنقاردي والى الملك ومن خلالها يمكن اكتشاف بعض مظاهر الحرب الليبية التي ظلت غامضة حتى الآن وان كان اطارها مكفهرا وباهتا . فهي رسائل غير لائقة وركيكة تبرهن على الاستياء والضيق المنتشر خاصة بين الطبقات السفلى من السكان . وهي أصوات مجهولة ولكن من السهل التعرف عليها لانها اصوات من لا يجد حلا آخر غير اللجوء الى الصلاة والتهديد والاهانة والسباب وهي أصوات يبدو انها كانت صادرة من صميم نفوس قلقة لا تعرف طريقا للخروج من وضعها .

لقد بدأ الاستياء ينتشر سواء في الجّبهة أم في ايطاليا بعد الاشهر الاولى من الحرب خاصة عندما ادرك الناس أن الغزو لم يكن بالسهولة التي صوروها لهم وان المقاومة التركية كانت أعظم مما كان منتظرا وان تضامن العرب المزعوم (مع ايطاليا) قد تحول الى عداء . ففي يوم ٢٧ أكتوبر ١٩١١ اي بعد ثلاثة أيام من حادث شارع الشاطئ المأسوي ارسلت الى جوليتي

١٩١١ معبرة من الحالة النفسية المنتشرة في البلاد فقالت : عيد ميلاد تعس يحل على جميع شبه الجزيرة سواء في قصور العظماء والاغنياء ام في بيوت البرجوازيين والاكواخ وفي المدن والارياف وان المثل العليا في السياسة والتوسع الاقليمي المشروع والبطولة في المعارك لا تفلح في تخفيف الم الفراق (« عيد ميلاد تعس » منشور في « لوسرفاتوري رومانو » ٢٥ ديسمبر ١٩١١) .

رسالة من كاستيلا ماري أدرياتيكو (بولونيا) بتوقيع « اب عائلة طيب » وصفت رئيس مجلس الوزراء بانه « رئيس القتلة الايطاليين » (٤٥) وانهالت على جوليتي رسائل بنفس اللهجة من جميع انحاء ايطاليا وذلك عند نهاية عام ١٩١١ . (٤٦)

وقد اشعر النائب ادواردو جوفانيللي الرئيس جوليتي بهذا الاستياء السائد منذ الاشهر الاولى للحرب وذلك برسالة قال فيها : « انه بمناطق بولونيا وفيرارا وماركي « توزع صحيفة « لاشنتيلا » الصادرة بفيرارا على نطاق واسع وهي الصحيفة التي اشادت « بجنود الالاي الذين رفضوا طلب الذهاب الى طرابلس باستثناء خمسة منهم » (٤٧) واكد النائب في رسالته أن في مدينته أستي « يسقط بعض الشباب بسهولة في الفخ بسبب الخوف » (٤٨)

ولكن الاستياء ازداد كما يبدو بصورة أعظم في الاشهر الاولى من عام ١٩١٢ بصورة خاصة . فعندما استدعي مواليد عامي ١٨٨٨ و ١٨٨٩ الى الجندية قام هؤلاء خاصة ومعهم عائلاتهم بالاحتجاج لان مواليد هذين العامين

---

(٤٥) A.C.S., Min. Int., DGPS rls., b. 29, f. 68 (II) التاريخ ومكان الارسال مستقاة من البريد .

(٤٦) وجاء في احدى هذه الرسائل المرسلة من كومو (برقامو) بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩١١ ما يلي : « لقد حان الاوان لوضع حد ونهاية تذكروا كم ابكيتم من الاسر » . واعزت محافظة برقامو في رسالة الى وزارة الداخلية بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١١ الى المدعو فابيوسانتا بانه هو المجهول صاحب الرسالة ووصفته بانه : « شخص سيء مختل ومن أصحاب السوابق (...) وانه يدعي انه اشتراكي ومعارض للمؤسسات التي تحكمنا وخاصة الجيش . ولاحظت المحافظة انها قارنت بين خط سانتا والخط الذي كتبت به الرسالة المجهولة فلم يكن في الامكان التاكد أن صاحبها واحد » وفي رسالة اخرى بدون تاريخ وبدون مظروف جاء فيها : « لتسقط ليبيا . الموت للرجل الغير جدير الذي يتسبب في حزن العائلات الكثيرة وان يعاقبه الله اشد عقاب . ايها المغتصب الظالم لقد افلحت في دفع الصحف الى الوقوف الى جانبك ولكن الاكثرية ضد عمليتك (المصدر المذكور) .

(٤٧) انظر مقال « دوما في طرابلس من اجل الملك والبابا » منشور في « لاشنتيلا » بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩١١ .

(٤٨) A.C.S. المصدر المذكور — الرسالة واردة من أستي وتاريخها أول نوفمبر ١٩١١ .

كانوا بالجبهة منذ بداية الحرب وتحت السلاح منذ أشهر كثيرة . وكتب مجهول الى جوليتي من تورينو يقول له ان في مدينته « الكثير من الاباء والامهات يذهبون الى غرفة الاشتراكيين للشكوى والبكاء ويتحدثون عن الاسى والمرض والالم الذي يلم بجنود عام ١٨٨٩ الذين جاءوا الى بيوتهم والذين يكتبون انهم منهكون وقد بلغ بهم التعب اشده وملاتهم الحشرات وغدوا مثل قطعة القماش البالي ، ولم يعدوا يحتملون اكثر من ذلك » (٤٩)

وجاء في رسالة اخرى بتاريخ ١٨ ابريل ١٩١٢ من كيوجيا ما يلي :

« لدي ابن من مواليد عام ١٨٨٩ قد استدعي (...) وآخر من مواليد ١٨٨٨ قد مات والآن تريدون اخذ الآخر (...) ساصل روما قريبا اذا المسيح منحني الصحة (يتتبع شتائم) وذلك كي اقبض على رقبتك واعلم انني قد غدوت مجرما و سفاكا واني لارتعش لدى كتابتي هذه الكلمات . » (٥٠)

وكانت هناك نداءات مؤثرة اقل قسوة من الرسالة السابقة ، فقد وصلت الى النائب جوليتي من اقليم كونيو رسالة من أم تطلب تسريح الجنود من مواليد سنة ١٨٨٩ مبررة طلبها بالكلمات الآتية :

« اسمحوا لي كأم مسكينة وباسم الكثير من الامهات المسكينات اللآتي يرفعن لكم هذه الشكوى : كيف نعمل للاحتفاظ بالنقود في كل شهر لقد وضعنا النقود في جيوبهم عندما سافروا ثم في كل شهر نرسل لهم

---

(٤٩) المصدر المذكور فيما يتعلق بهذا وبالفقرات التابعة تحاشينا كتابة طبق الاصل للكلمات النابية نظرا لكثرتها .

(٥٠) المصدر المذكور – بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩١٢ كتب المدعو فرنشسكول . من روما رسالة الى جوليتي باسم خمسة وعشرين من المشتكين اكد فيها : « ان اولئك الذين بيدهم مصير الامة (...) يجب ان يكون لديهم ضمير يحس بالام وفزع اباء وامهات العائلات مثلنا الذين يتلهفون الى لحظة رؤية ابنائهم الموجودين بطرابلس للدفاع عن الوطن منذ ١٢ اكتوبر اي منذ اول الحملة » .
وطلب كاتب الرسالة من جوليتي منح الجنود الذين سافروا في اول فوج للحملة ثلاثة اشهر اجازة وفي « حالة عدم الموافقة فسنقوم بتنظيم احسن وبعدد اكبر بحيث نحدث تمردا بين الجنود في ليبيا » (المصدر المذكور) .

باستمرار والآن تعبنا واثقلت كاهلنا الديون والآن تبدأ اعمال الزراعة وكيف نستطيع ان نعمل اذا لم يعودوا الينا لاكتساب قوت الشتاء وازواجنا متقدمون في السن ولا يستطيعون تلافي هذا كله » . (٥١)

ومن بيومونتي أي من تورينو هناك رسالة أخرى لأم تعبر فيها بصورة اكثر نظافة وكياسة عن الاستياء والحالة النفسية المنتشرة بين عائلات المستدعين للجندية وقد جاء في رسالة هذه الأم التورنينية المجهولة :

« انتم لا تفكرون في مبلغ الضرر الذي لحق بعائلات المحاربين،انكم تفكرون فقط في توسع الوطن » . ونفس الرسالة تصور مزاج الجنود بالجبهة حتى وان كانت بعض التاكيدات مبالغ فيها :

« هناك جنود يقتلون أنفسهم أو يغرقون فهم يجدون على كل حال طريقة الموت . ولماذا يقع هذا ؟ لانهم في حالة تعب واعياء وملوا الصراع ضد الاتراك والحرارة . ولكن هذا لا تنشرونه في الصحف (...) وعندما تفقد أم ابنها وتكتب الصحف « مات ابني كبطل واعطى دمه للوطن » فهل تعتقدون ان النساء من الغباء لدرجة ان يصدقن هذا الكلام او انكم تستطيعون أن تخدعوهن ؟ » (٥٢)

ونجد رسالة من أم جندي من بارتينيكو (بالرمو) اكثر عداء وحدة :

« انك قمت بهذه النزوات لان لا أولاد لك يشتركون في هذه الحرب ولذا تدفع بابناء امهات كي يموتوا وتزيد بذلك ثروتك . دع رجال الحملة الاولى

---

(٥١) المصدر المذكور بتاريخ ختم بريد الارسال يوم ١٦ مايو ١٩١٢ ومكان الارسال غير واضح .

(٥٢) المصدر المذكور يقرا ايضا في نفس الرسالة : «الجنود هناك تملؤهم الحشرات وتهدمهم الحرارة وقد بلغت مرة الحرارة ٤٣ درجة وكانت المياه تغلى واصبحت جلودهم سوداء من الحرارة . واعلم جيدا ان ذلك ليس كذبا ولكن هكذا كتبوا يقولون من لا يزالون في طرابلس . هم محرومون من كل خيرات الله . المياه والجو الحار والخلاصة لا يطلبون غير الرحمة (...) وبعد ذلك يجب الاستماع الى ما يقوله الشعب » وتاريخ ختم ارسال هذه الرسالة هو ٢ مايو ١٩١٢ .

يعودون والا ستطير راسك مثلما تجعل امهات كثيرة تبكي بسبب نزواتك فعائلتك يجب ان تبكي اذا لم تعمل على عودة رجال الحملة الاولى » (٥٣)

ووصلت جوليتي ايضا رسائل من الجنود المحاربين بالجبهة . احدى هذه الرسائل وصلت من طرابلس في ٤ مارس ١٩١٢ والتوقيع باسم « العديد من المستدعين » ولهجة هذه الرسالة يشوبها شيء بين الاشتراكية والفوضوية التي تبدو في مواضيعها الدعائية وحتى وان كانت صيغة الرسالة ركيكة . وجاء في الرسالة :

« ان هذه الرسالة ليست من احدى الرسائل الكثيرة الغامرة بالحماس وحب الوطن التي لا يكتبها الجنود وانما تصيغها ادارات تحرير الصحف البرجوازية فهي احتجاج ، وهي صوت يعبر عن الآف الجنود وآلاف الامهات والآف الزوجات الذين بلغ لديهم السيل الزبي (...) هل تعتقدون أنه في امكانكم البقاء على هذا الوضع لمدة اطول وان تشهروا بعائلاتنا وترعبوا زوجاتنا وتواصلون المذبحة في الصحراء ، وذلك ارضاء لشهيتك أنت يا سيد تفليسة البنك الروماني وطغمتك ؟ (...) لقد تحققت بوادر الثورة الاولى وهي الخطوات الاولى نحو مستقبل جديد . ان العداء للعسكرية ينتشر انتشارا شاسعا حتى بين الجنود المحاربين وأن فجر عهد جديد غدا كقاب قوس او ادنى . » (٥٤)

وهناك رسالة اخرى دون تلوينات سياسية وارادة من جبهة بنغازي بتاريخ ٢٠ مارس ١٩١٢ وموجهة الى جوليتي . وهي عبارة عن بطاقة بريدية مرسلة من احد جنود سنة ١٨٨٨ كان على وشك العودة الى الوطن فقد كتب هذا الجندي المجهول ما يلي : « اننا نشعر بالاهانة لتركنا أصدقاء اعزاء

---

(٥٣) المصدر المذكور — لم تفد تحريكات سلطة بارتينيكو في معرفة صاحبة الرسالة . وقد وصلت الى جوليتي رسالة اخرى من فيتوريا (سيراكوزا) نسبت الى المدعو ايمانويلي ستريتو من مجندي مواليد سنة ١٨٨٩ .

(٥٤) المصدر المذكور .

علينا ماتــوا بايدي البادية والعرب . في دورنـــا يوجـــد ابناؤنا يبكون من الجـــــوع . » (٥٥)

وفي ٢٥ مارس ١٩١٢ ارسل ستة وعشرون جنديـــا من كالتانيستـــا رسالة الى الملك فيكتور عمانويل الثالث يطالبون بتسريح مواليـــد ١٨٨٩ . وحاولت شرطة كالتانيستا بـــدون جدوى ان تكتشف اصحـــاب الرسالة المجهولة ـــ وقد اجاب المحافظ على وزارة الداخلية بهذا الصدد يوم ٢٤ مايو بما يلي : نعتقد ان الرسالة الصادرة من احد المستدعين من مواليـــد ١٨٨٩ حيث قد اتضح ان الاستياء يتسرب بين المذكورين الذين يعبرون عنه بخطب واراء غير مناسبة حتى خارج المقـــر » (٥٦)

وقد بدا في شهر مايو ١٩١٢ ان الاستياء قد ازداد ما بين الجنود وبعض طبقات من الناس المهتمة مباشرة بالحرب وذلك رغم تسريح مواليد عام ١٨٨٨ وتدل على ذلك احداث عديدة : اجاب محافظ ميلانو فقال انه لا توجد اية عناصر « تؤكد الشك في ان المجهولين المشار اليهم ينتمـــون الى الاحزاب المعارضة » وحسب وجهة نظر المحافظ ان الامر بالعكـــس ويجب اعتباره صحيحـــا انه مـــن :

« عمل اشخاص تربطهم روابط الدم والصداقة بالمستدعين الذين ينتشـــر الاستياء بين عائلاتهم وتغذية الصحافة المتحررة (...) وقد خفف تسريح دفعة ١٨٨٨ من هذا الاستياء بصورة اكثر غير انه لم يتلاشى لان دفعة ١٨٨٩ لم يسرحوا في نهاية الستة اشهر كما اعتقد الناس خطا » (٥٧)

---

(٥٥) المصدر المذكور . عندما اشيع ان دفعة ١٨٨٧ سوف تستدعي الى السلاح ارسلت الـــى جـــوليتي رســائـــل من هـــذا النوع : « اذا قدرت على استدعاء دفعـــة ١٨٨٧ ســـوف احضر الى روما لقتلـــك . الا تـــرى ايها الحيـــوان القبيح ان لي زوجـــة وولديـــن ! » (المصدر المذكـــور) .

(٥٦) المصدر المذكـــور .

(٥٧) المصدر المذكـــور .

وقبل ايام من هذه الرسالة اي في ٢٠ ابريل ١٩١٢ أرسل نفس محافظ ميلانو تقريرا الى وزارة الداخلية يحذرها فيه من خطر ما قد يحدث يوم أول مايو او يوم ٨ و ٩ مايو وهو اليوم الذي تنتهي فيه مدة الستة اشهر للمستدعين للجندية من مظاهرات احتجاج من قبل الجنود وان هذه المظاهرات قد ينظمها المجندون من دفعة ١٨٨٩ المنتمون الى الالاي السابع والعشرين للمدفعية والاي البرساليري الثاني عشر ويضيف المحافظ انه بالرغم من تأكيدات قيادة الفرقة العسكرية من انه مع وجود بعض الاستياء «فلا توجد نوايا حقيقية في التظاهر » واشار محافظ ميلانو انه يوجد بين الجنود « البعض في حالة اضطراب حقيقي لاسباب عائلية وبايعاز من محركات سياسية قد أوجدت فيهم استيـــاء حـــادا من جراء اطالـــة بقائهم تحت الســـلاح » . (٥٨)

ولكن المظاهرات التي كان يخشى محافظ ميلانو وقوعها لم تقع (٥٩) بينما حدثت في مناطق اخرى من ايطاليا . وفي يوم ١٤ ابريل ١٩١٢ قام بعض الجنود المسافرين الى الجبهة في محطة سكة حديد بترا سنتا (لوكا) بمظاهرة حادة (٦٠) وفي فيرشيللي حدث يوم ٨ مايو ١٩١٢ أن قام قرابة خمسين جنديا من دفعة ١٨٨٩ (الثالث والخمسون مشاة والخامس والعشـــرون مدفعية) وقد تجمعوا ساعة خروجهم في الشارع الرئيسي بمظاهرة غير

---

(٥٨) A.C.S. المصدر المذكـور b. 45, f. III-II, : عـــداء العسكريـــة .

(٥٩) المصدر المذكور ، انظر رسالة محافظ ميلانو الى وزارة الداخلية بتاريخ ١١ مايو ١٩١٢ .

(٦٠) المصدر المذكور ، رسالة محافظ لوكـا الى وزارة الداخلية بتاريخ ٤ مايو ١٩١٢ (...) كان ثلاثة وخمسون جنديـا تابعيـن لالاي المشـاة الثـاني والعشريـن مسافـرين في عربة من عربـات الدرجة الثالثـة بالقطـار رقـم ١٦١١ القـادم من سبيسيا مـارا بمحطة بيتراسانتـا في الساعـة ١٩ من يوم ٤ ابريل المذكور متجهيـن الـى بيـزا بقيـادة المـلازم ثاني البـرتي ليواصلوا بعـد ذلك السفـر الى درنـة وخـلال توقف القطـار في هـذه المحطـة اخـذوا يصيحون بهتافات مختلفـة ربما بتاثيـر النبيـذ الـذي شربـوه واعتقـد احـد موظفـي المحطـة انهم كانـوا يهتفـون : « لتسقط الحكومـة » ، « انهم يرسلوننا الى المجـزرة » « لتحيا الفـوضى » وذلك دون التمكن من معرفـة مصدر هـذه الصيحـات من بين الجنـود » .

صاخبة منادين فيها « نطالب بالتسريح » وانضم الى المظاهرة « بعض المدنيين اكثرهم من الاولاد « (٦١) وعاد محافظ نوفارا بعد بضعة أيام الى الموضوع فافاد بان التحقيق الذي قامت به السلطات العسكرية « دل بوضوح ما لم تكن هناك براهين مخالفة ان الاحزاب المحلية المتطرفة لم يكن لها ضلع في تنظيم المظاهرة التي لم تكن متوقعة وقد قررها سرية وبحذر المستدعون انفسهم » (٦٢)

هذا ولم تكن الحوادث التالية منفردة : في يوم ٢ ابريل ١٩١٢ في موتالتشياتي (نوفارا) رفض عشرة من الجنود خلال عمليات القرعة العسكرية وهم من دفعة ١٨٩٢ ان يخلعوا ملابسهم للفحص الطبي . (٦٣) اعتبر سبعة وثلاثون من مجندي دفعة ١٨٩٢ في بلدية ايستي (بادوا) متمردين لانهم لم يتقدموا الى مجلس القرعة في بادوا . (٦٤) وفي يوم ١٢ ابريل ١٩١٢ برافينا قامت سرية تتالف من قرابة ثمانين جنديا من دفعة ١٨٨٩ وجميعهم من اقليم رومانيا قاموا بمظاهرة احتجاج ضد الحرب خلال انتقالهم من ثكنة الى اخرى بالمدينة حيث يجري الاقتراع على المسافرين الى طرابلس . (٦٥) وقبل ذلك بيومين رفض ثلاثة عشر جنديا من دفعة ١٨٩٢ في جنزانو (روما) السفر . (٦٦) وفي الليلة الواقعة ما بين ٣٠ ابريل

---

(٦١) المصدر المذكور ، برقية محافظ نوفارا « زوكوليتي » الى وزارة الداخلية بتاريخ ٩ مايو ١٩١٢ .

(٦٢) المصدر المذكور ، رسالة محافظ نوفارا الى وزارة الداخلية بتاريخ ٢١ مايو ١٩١٢

(٦٣) انظر رسائل محافظ نوفارا الى وزارة الداخلية بتاريخ ١٠ ابريل و ٨ يونيو ١٩١٢ (المصدر المذكور) .

(٦٤) انظر برقية محافظ بادوا الى وزارة الداخلية بتاريخ ١٩ ابريل ١٩١٢ ورسائل بتاريخ ٢٨ ابريل و ٣ مايو (المصدر المذكور) .

(٦٥) المصدر المذكور ، برقية محافظ رافينا « موكاشيتي » الى وزارة الداخلية بتاريخ ١٢ ابريل ١٩١٢ ورسالة بتاريخ ١٣ ابريل .

(٦٦) المصدر المذكور ، رسالة محافظ روما الى وزارة الداخلية بتاريخ ٨ مايو ١٩١٢ . وكان نادي الشباب الاشتراكي في جنزانو الذي اسسه اوتومانشيني وانجلو شبيوني ونشننزو تامبوري كان هذا النادي يقوم بنشاط واسع في هذا الخصوص .

واول مايو ١٩١٢ اشعلت النار في مخازن العلف الخاصة بالالاي الثامن مشاة بفيرونا . (٦٧) ويبدو ان هذا العمل قد ارتكبه المستدعون القادمون من الخارج . واخيرا وفي يوم ١٢ سبتمبر ببلدية زيانو (بياشنزا) :

« وفي الطريق العام قام بعض المجندين من دفعة ١٨٩٢ وكانوا هناك في اجازة ويستعدون للعودة الى المركز العسكري ببياشنزا ... بمظاهرات وكان يساندهم ويؤيدهم الشباب المعادي للجندية المحلي ونادى المتظاهرون بسقوط الحرب والحكومة والعسكرية » (٦٨)

وحدث في سالرنو في ثكنة سان دومنيكو في الليلة الواقعة ما بين ٤ و ٥ يوليو ١٩١٢ ان اطلق الجندي انسلموانجوليتي التابع لالاي المشاة الثالث والستين المرابط في ديرونا (بيروجا) طلقة من بندقيته تحت ذقنه فخر صريعا في الحال « وذلك لانه ربما استبدت به فجاة حالة انهيار بسبب سفره في اليوم التالي الى ليبيا » . (٦٩)

ولم تنعدم في الجبهة ايضا الاحتجاجات والحوادث . ففي رسالة لصحيفة « افانتي » من طرابلس بتاريخ ٨ ابريل جاء فيها ان ستة عشر جنديا قد قدموا الى المحكمة العسكرية لاعرابهم عن حقهم « في العودة الى منازلهم »

---

(٦٧) المصدر المذكور،برقية محافظ فيرونا الى وزارة الداخلية بتاريخ اول مايو ١٩١٢ . وتحدثت صحيفة « مومنتو » بتاريخ ٩ اغسطس عن مؤامرة حقيقية ترمي الى تفجير مستودع البارود (انظر المقال « محاولة اجرامية ضد العسكرية بين المستدعين القادمين من الخارج) ولكن هذا الافتراض قد كذبته صحيفة « لاتريبونا » بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩١٢ (تكذيب محاولة ضد العسكرية مزعومة) .

(٦٨) المصدر المذكور ، رسالة محافظ بياشنزا الى وزارة الداخلية في ١٨ سبتمبر ١٩١٢ .

(٦٩) A.C.S., Min. Int., DGPS, Pol. Giud., b. 349 « بملف الجرائم العسكرية » رسالة المدعي العام في نابولي الى وزارة الخارجية (بتاريخ ٨ يوليو ١٩١٢) . الامر لا يتعلق بحادث منفرد . لقد وقعت حوادث مؤلمة مثل حادث الجندي نوبيلي الذي القى نفسه في نهر التيبر بروما من شدة ياسه بسبب زوجته واولاده المرضى وبدون مورد ولكن تم انتشاله . والجندي فيتوريو موسكاتو الذي لم يستطع تلبية حاجيات اسرته فشرب زجاجة حبر . (فيما يتعلق بهذه الحوادث انظر باولو ماليتسي المصدر المذكور ص ٥٤ ــ ٢٥٣) .

بعد ستة اشهر قضوها في الحرب والخنادق . وقد عبرت رسالة مجهولة بعث بها بعض الجنود المرابطين بدرنة الى الجنرال كابيلو عن شكواهم من جراء الاشاعات القائلة بان دفعة ١٨٨٩ التي ينتمون اليها قد تظل في الجبهة حتى نهاية الحرب . والرسالة في جوهرها لا تختلف عن غيرها من الرسائل المجهولة التي درسناها حتى الآن والتي تقدم لنا صورة اخرى عن التعب الذي كان يتغلغل بين الجنود . فقد كانوا يشكون بصورة خاصة من التعب والتضحيات « مؤكدين انهم شبعوا وملوا وسئموا من هذه الحياة الشائنة » والسبب في ذلك حتى هنا هو بعد العائلة (....) : « تاكدوا ان قلوبنا مغمورة بالالم فالحكومة لم تاخذنا من الطريق لان لدينا عائلات تركناها منذ زمن وهم يكتبون لنا غالبا قائلين انهم يعيشون في اشد انواع البؤس ولا يجدون ما يمكنهم من الحياة » فالمشقة والتفكير في العائلة والامراض (« كل يوم يموت احد رفقائنا من جراء العمل الخطير الذي نقوم به ») كلها كانت تغذي التهديد « بالثورة » وتقلق بال الضباط الكبار . (٧٠)

وتصل الينا شهادات من هذا النوع من المصدر التركي ايضا . فقد كتب انور بك قائد الجيش التركي في ليبيا ثم وزير الحرب ورئيس اركان حرب الجيش في عام ١٩١٤ كتب في مذكراته عن الحرب الليبية بتاريخ ٣٠ مايو ١٩١٢ : « يصل في بعض الاحيان بعض الفارين الذين يتولون اشياء هامة عن الايطاليين . يفقد الايطاليون في كل يوم عشرين رجلا تقريبا بسبب « الدوسنطاريا » والمستشفيات مملوءة ومعنويات الجنود منهارة والجميع يريد السلام » . (٧١)

ان هذه الحوادث تدل بوضوح على ان الحرب لم تكن مقبولة بالمرة لدى جزء من الجنود كما لو ان دعاية القوميين وموافقة الجزء الاكبر من الرأي

---

(٧٠) A.C.S., C.P., b. 1, f. I

(٧١) « انور باشا اوم تريبوليس » بقلم هوجو براكمان Enver Pacha um Tripolis Hugo Bruckman « فيرلاج مونش » Verlag-Munchen ، ١٩١٨ — روجعت الترجمة الايطالية المحفوظة في A. MAI, pos. 104/1, f. 12

العام على العملية لم تؤثر فيهم . وعندما اعلن فيما بعد في خريف ١٩١٢ المرسوم بدعوة مواليد عامي ١٨٨٧ و ١٨٩٠ الى السلاح فقد حاول البعض الفرار الى الخارج للتخلص من التجنيد . ففي الاول من اكتوبر ١٩١٢ أبرق محافظ بورتوما وريسيوبيشي الى وزارة الداخلية يعلمها ان مأمور شرطة فنتيميليا قد أبلغه ان « عساكر كثيرون » يتدفقون على الحدود من مواليـد ١٨٨٧ و ١٨٩٠ « مزودين بجوازات سفر للخارج وذلك كما هو واضح بقصد التخلص من التجنيد . لقد أوقف ثلاثة وعشرون منهم واودعـوا السجـن المحلي . ويبدو أن آخرين كثيرين سيصلون كما صرح بذلك المقبوض عليهم وجميعهم تقريبا من بيسا وفلورنسا » (٧٢) . وبعد يومين من ذلك ابـرق نفس المحافظ قائلا : « اعلم سعادتكم انه يتواصل وصول وايقاف المجندين من دفعتي ١٨٨٧ و ١٨٩٠ الذين يحاولون الهجرة » (٧٣)

وبالرغم من الراي المعاكس الذي عبرت عنه اكثر من مـرة القيـادات العسكرية فان الحكومة رأت من المناسب بعد مرور ستة اشهر من الحرب ان تعديد جزءا من القوات وترسل بدلهم . (٧٤) وقد شرع في أول أبريل في تسريح جنود دفعة عام ١٨٨٩ الموجودين في ليبيا وانتهى ذلك في يوم ١٨ مايو وفي ٢٠ يونيو استدعيت الفئة الثانية من دفعة عام ١٨٩١ وفي يوم

---

(٧٢) A.C.S., Min. Int. DGPS, Uff. ris., b. 29 f. 68- II

(٧٣) المصـدر المذكـور .

(٧٤) « كتب الجنرال فيتوريوتـرومبي من درنـة الى يـاور الملـك الجنـرال بروساتـي بتاريخ ٢٥ ابريـل ١٩١٢ يقـول : ان الامـر السيء في هـذا الـوقت هي الازمـة التي نجتازهـا بسبب تسريـح جنـود دفعـة عـام ١٨٨٨ ، واعتقد انه اول حـادث في التاريـخ العسكري ان يسرح جنـود في حالـة حـرب وعـدوهم على بعد ثلاثة عشر كيلومتـرا منهم بعـد ان تعـودوا علـى التعـب والارض ليحـل محلهـم بعض الشبـان (...) وهـذا عمـل كان في الامكان تجنبه . ماذا وضعنا جانبا ازالة التاثر من المستجدين وتعويدهم على الوسط والجو والعمل وحيـاة الميـدان فانه يجب اعادة تكويـن الوحـدات واعـادة تكوين الحـرفيين ودراسـة ومعرفة القادمين حـديثـا » واشر بروساتي على ذلك بعلـم ازرق : « ان كـل الطريقـة التي بـدات وتـدور بها الحـرب لغـريبة » (A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI.2.34, n° 55).

٢٠ يوليو سرحت دفعة عام ١٨٨٩ . وقد اتخذت هذه القرارات أمام ضرورة بدت غير قابلة للتأجيل بالرغم من قيام خطر ارباك العمليات الحربية . وبلغ الامر حتى بصحيفة « جورنالي ديطاليا » انها نشرت رسائل ومقالات لمواطنين يطالبون فيها بتسريح دفعة ١٨٩٠ (الفئة الاولى) . (٧٥)

وكثيرون أرادوا نسب الاستياء والضيق الذي كان يسود جزءا من الجنود بالجبهة الى عدم الحركة التي اجبروا عليها بسبب سياسة الجنرال كانيفا الانتظارية والتسويفية . « ان الكسل لا بد أن يحدث اثاره الضارة . كتب بارزيني الى البرتيني في نوفمبر — ديسمبر ١٩١١ — (....) أن بعض اشاعات الصلح التي غالبا ما تطلقها الصحف تجد بسهولة وسطا مستعدا لمناقشتها بسبب عدم الحركة الاجبارية » (٧٦) وفي يوم ٤ أبريل ١٩١٢ كتب الملازم بومبيو كامبيللو الى بروساتي ملاحظا بدوره أن الراحة اخذت تضغط بثقلها وان فترة الكسل الطويلة كانت تساعد على « ارتخاء في النظام » (٧٧) الذي كان محسوسا بين مجندي دفعة ١٨٨٨ بصورة خاصة . وقد وقعت حوادث في هذه الفترة بالذات خاصة بين جنود الاى المشاة الاربعين والاى البرساليري الحادي عشر . وبعد تسريح دفعة عام

---

(٧٥) هكذا كتب رئيس اركان الحرب الى الجنرال بروساتي في ٣١ اغسطس محاورا اولئك الذين كانوا يطالبون بتسريح الجنود الذين بالجبهة : « ان صحيفة جورنالي ديطاليا » تدعو الى هجومات وتقدم على طول الخط وتلوم القواد الذين لا « يتوغلون » ... ومع ذلك فهي ترحب بشكوى بل بشكاوي كثيرة من اشخاص يصرون على الاستدعاء (العودة) وحتى تسريح دفعة عام ١٨٩٠ . والنتيجة هي الاحتفاظ بالجيش في الوطن « والقيام بالحرب بدفعة واحدة » (المصدر المذكور رقم ٢٢٧) . وكانت صحيفة « جورنالي ديطاليا » قد كتبت بتاريخ ٢٥ اغسطس ١٩١٢ مقالا بعنوان « تبديل الوحدات المقاتلة في ليبيا » جاء فيه : « ان قلة الماء والشمس الحارقة التي لا يمكن اتقاؤها والف والف من الحرمان الذي تقاسيه قوات الجنرال غاريوني فهي بقدر ما تمثل مفخرة عادلة فيجب ان تدفع قيادة الحملة الى مناسبة احلال غيرها محلها » .

(٧٦) لويجي البرتيني « رسائل » المصدر المذكور مجلد ١ ص ٥٥ .

(٧٧) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI.2.34, n° 44

١٨٨٨ لاح في الجو اضطراب جديد بين مجندي دفعة عام ١٨٨٩ الذين كانوا يأملون هم ايضا في التسريـــح .

« بعد اشهر من السكون ــ كتب لويجي البرتيني الى اندريا توري في ٣ مايو ١٩١٢ ــ لا تزال الكثير من الوحدات تعيش تحت الخيام مثل الاوقات الاولى عندما كان الحماس للعملية يعطي تلك الحياة غير المنتظمة والغريبة شيئا من الرومانتيكية المشوبة بشيء من المغامرة . غير ان تحويـــل وضع عابـــر بطبيعتـــه الى شيء دائـــم يستنـــزف المقاومـــة (...) وان نفس الحرمان الجسدي يحدث خللا في توازن النظام العصبي وهو من الاسباب الرئيسية التي تدفع بعدد ضخم من الناس الى الرغبة الملحة في العودة الى ايطاليا . وقد وقعت بالاضافة الى ذلك حوادث مؤسفة بسبب هذا الحرمان القصري اي ظهور حالات انحراف ما بين الجنود » . (٧٨)

وكتب البرتيني ايضا في ٧ مايو ١٩١٢ الى بارزيني ملاحظا ان « معنويات الجنود تنهار والانهيار يصل حتى الضباط » . (٧٩)

وهناك ظاهرة اخرى تدل على ضعف حالة الجنود النفسية بالجبهة وهي الاستعمال الخارق للعادة للاسلحة النارية حتى وان كانت لا ضرورة لذلك . فهذا الدليل الواضح على حالة عدم الامان والبرهان على ان حرب العصابات العربية التركية قد تركت اثرها غير القليل على معنويات المحاربين وعلى متانة نفسيتهم . وقد ذهبت عبثا التعليمات بخصوص اتبـــاع خير وسيلة لمواجهة العدو ومن ضمن هذه التعليمات عدم التبذير في الذخيرة والعتاد

---

(٧٨) لـــويجبي البـــرتيني ، المصدر المذكـــور مجلـــد ١ ص ١٠٨ ــ ١٠٧ . كتب الجنـــرال بريكـــولا في تقـــريـــر بتاريـــخ اول يونيـــو : « من اجـــل ايقـــاف انتشار الامـــراض النسائية الفظيـــع ومن اجـــل حمايـــة الجنود والافـــراد (...) قـــد شيدت خصيصا اربعـــة منـــازل للبغـــاء . اثنان للجنود وواحـــد للضباط وواحـــد للوطنيين » (انظـــر باولومالتيسني المصدر المـــذكـــور ص ٢٥١) .

(٧٩) لـــويجبي البـــرتيني ، المصدر المذكـــور مجلـــد ١ ص ١١٠ .

الحربي دون فائدة . وكتب الجنرال كابيللو بهذا الخصوص من درنة بتاريخ ٣٠ ابريل ١٩١٢ الى الجنرال راني ملاحظـــا :

(.....) يوجد هنا اسراف فوق العادة في اطلاق المدفعية ضد اي مجموعة من العرب ولو كانوا اثنين او ثلاثة سواء كانوا تحت المرمى او خارج المرمى تطلق عشرات الطلقات في الهواء أو عدة بطاريات تطلق قذفاتها على اي ضوء يعتقد انه لاح في الليل مهما كان البعـــد (...)

وبصرف النظر عن هذا المشكل الكبير الناتج عن اسراف الذخيرة الذي يعتبر في الحرب الهجومية خطرا جدا فان هذا السلوك في اطلاق النـــار والغريب والمضاد لكل قاعدة حسنة يتسبب في اضرار اخرى مادية ومعنوية. فان العدو الذي كان يرهب المدفع ينتهي به الامر لكل قاعدة الى الضحك عليه لان نتائج القذف ضد تشكيلاتهم الصغيرة أو القليلة الظهور لن تكون الا محدودة هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المشاة بل الدوريات من المشاة لن تتجرأ بعد على التحرك اذا لم تحميها نيران بطاريات كاملة » . (٨٠)

والجنرال ترومبي قائد منطقة درنة نفسه كان قاسيا في حكمه على ضباطه وقد افضى بشيء من ذلك الى الجنرال بروساتي برسالة مؤرخة في أول فبراير ١٩١٢ اذ قـــال :

« انهم (أي الضباط) بدون روح وبدون عزيمة وبدون معنويات عسكرية . انهم كهنة يجب ارسالهم لينشدوا الترتيلات الدينية مع الجوقة . لا يهمم الا القلق من الاخطار التي قد يواجهونها وقلة وسائل الراحة اللازمة (.....) وقد أحلت الى المحكمة العسكرية التي تكونت هنا منذ يومين فقط ضابطين لمخالفتهما للبند ٩٢ من القانون الجنائي العسكري . وحتى في هذه الحالة تقوم العقبة المعتادة بحيث أن العقاب (الاعدام أو السجن لمدة عامين) يؤثر

---

(٨٠) A.C.S., C.P., b. 1, f. 1

في القضاة وتتدخل الشفقة لتحل محل العدالة . لو كان هناك على الاقل الحكم بالتجريد من الرتبة » . (٨١)

وفي شهر سبتمبر عممت وزارة الحربية اجراء يقضي بالسماح بالعودة الى ايطاليا بالنسبة للضباط الذين لديهم اسباب خاصـــة . وحيـــا اغلب الضباط بالجبهة هذا الاجراء واستغلوه للعودة الى الوطن متسببين في خلق ازمة للوضع العسكري في ليبيـــا .

« ان ذلك كان عملا سيئا حقا ـــ كتب الكولونيل ارتورو شيتاديني الـــى الجنرال بروساتي في ١٩ سبتمبر ـــ فرحمة بالوطن يجب أن لا نتحدث في ذلك . ولكن مما لا شك فيه أن الضباط الذين لم تكن لديهم اسباب صحية او عائلية خطيرة قد قابلوا اجراء الوزارة بحمـــاس زائد ، واعطـــوا مظهرا غير بناء لمشاعرهم العسكرية . وقد خشينا لايام ان يكون لذلك صدى خطير بين الجنود وخاصة جنود دفعة ١٨٩٠ والذين يكونون ثلثي قوة الآلايات الاولى التي نزلت على الساحل الليبيـــي » . (٨٢)

وهناك حكم آخر قاس عبر عنه الجنرال كابيلو في بعض مذكراته عـــن الحرب الليبية . لقد لاحظ ان هذه الحرب وجدت الجيش غير مستعد بسبب « فترة السلام الطويلة » و « الاهمال » الذي ترك فيه » ، ولاحظ ايضا أنه كانت هناك « بطولات مشتركة وفردية » غير انـه « كان هناك أيضا اغبياء »

« تراجع الاي لا اريد أن اذكره من قتال يوم ٢٧ (٨٧) ديسمبر وكان واقعا تحت تاثير قوي لرجة انه في الليلة التالية وقعت في المعسكر القريب مـــن الفنار انذارات مزورة ومظاهر رعب مضحكة ودرامية ولقد اضطررت أن

---

(٨١) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI.2.34, n° 85

(٨٢) المصدر المذكـور .

(٨٣) هـــذا القتـــال وقـــع في منطقة درنـــة قتل خـــلاله من بين الايطاليين ٤٢ وجرح ٧٦ .

اتدخل بالطبع وبصورة صارمة . (...) وهناك حوادث اخرى غريبة استطيع ان اذكرها ولكني امتنع لتحفظ طبيعي » . (٨٤)

وفي الخلاصة ومع مرور الاشهر اخذ الجميع ولو بقدر قليل يتراجعون في حكمهم الذي اصدروه في أيام الحرب الاولى من خلال الجو البطولي والوطني الذي خلق حول عملية طرابلس . فقد حيا الجميع سلوك الجنود الايطاليين بعبارات الاطراء والاعجاب العظيم . ومن بينهم كورادو زولي مراسل صحيفة « سيكولو » الذي اشار في الاشهر الاولى من الحرب بتصرف الجنود الايطاليين . وقد اعاد زولي فيما بعد النظر فيما قاله وذلك في عام ١٩١٣ عندما اعاد دراسة الحالة العسكرية بموضوعية اكثر . فقد كتب يوم ١٥ يوليو ١٩١٣ الى الجنرال بروساتي مقدما له اتهاما حقيقيا حول تصرف الجنود الايطاليين :

« (....) لقد ساهمنا جميعا كل بقدر — ربما كان ذلك عملا من أعمال الرحمة بالوطن — وذلك بخلق اسطورة خطيرة : وهي بطولة جنودنا . ولكن المسؤولين عن العمل العسكري في المستعمرة يجب اليوم أن لا يتركوننا ننخدع بالاساطير : بطولة جنود المشاة لا اعتقد أن هناك حاجة للحديث عنها . الاسلحة الخاصة مثل الالبين (جنود جبال الالب) والمدفعية الجبلية مثلا قد قدموا انتاجا جيدا . اما المشاة والويل لي . أما المشاة فلم يظهروا الا بمظهر لا بأس به عندما كان يقودهم ضباط ممتازون فقط . وعندما يكون عنصر الضباط أيضا عاجزا (....) فسلوك المشاة يكون السبب الرئيسي في هزائمنا » .

ولا ينكر زولي وجود عوامل بيئية ومعنوية مزعجة كانت تؤثر في سلوك الجنود وذلك مثل « قسوة الجوء ووحشية العدو ومهارته الفائقة في استغلال طبيعة الارض واختفاؤهم فيها خلال القتال وكذلك طريقتهم القتالية المخيفة

---

(٨٤) A.C.S., C.P., b. 1, f. 1

وقيمة الحياة العظمى بالنسبة للمتمدنين مثلنا » كل هذا لم يفلح في تبرير بعض التصرفات ولا شيء كان يستطيع ازالة الانطباع « بان بعض قواتنا في هذه الحرب لا يمكن الثقة فيها كثيرا » (٨٥)

ولعل جوفاني جوليتي قد ادرك اكثر من اي احد اخيرا واقع حالة الجيش الايطالي خلال الحرب الايطالية التركية . وكان رئيس الوزراء يتابع يوميا سير الحملة في ليبيا وكثيرا ما يحل محل القيادة العسكرية وذلك ربما بسبب قلقه من امكانية ردود فعل داخلية نتيجة لسير العمليات الحربية . فقد كان يعلم اذن تفاصيل سلوك الضباط والجنود . والفكرة التي كونها في ذلك العالم عن الحرب لم تكن ايجابية بالقدر الكافي اذ ان احد اسباب تمسكه بالحياد عام ١٩١٥ كان فعلا خشيته من ان الضباط والجنود الايطاليين لا يستطيعون مواجهة حرب صعبة مثل ما بدت عليه الحرب العالمية الاولى وذلك بناء على تجربته الليبية . وخلال احاديثه في تلك الايام المتشنجة من شهر مايو ١٩١٥ كانت ذكرى سلوك الجيش الايطالي خلال الحرب الليبية تظهر دائما في كلامه . وكان تردده يكمن قبل كل شيء في الجنود والضباط الكبار فقد تحدث مع مالاتودي يوم ٩ مايو (٨٦) كما تحدث في اليوم التالي

---

(٨٥) A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI.5.37, n° 362

(٨٦) « يظن جوليتي ان جيشنا قليل الاستعداد المعنوي على القتال . وشعبنا من سكان الارياف الذين من المفروض ان يكونوا العصب يفتقدون الى الباعث البسيط والغريزي للحرب كما يمكن ان يشعر به البدائيون مثل الفلاحين الروس ، الذين لم يكتسبوا بعد فكر وضمير المواطن مثل الالماني والفرنسي والانكليزي . ان تربية المواطن المدرك امر بطيء ، فهو يحتاج الى اجيال فالضباط النظاميون لا يقلون عن غيرهم شجاعة وهم ايضا مثقفون ومستعدون تقنيا وخاصة الشبان منهم بيد ان القواد لا يساوون شيئا ، لقد تخرجوا من الصفوف عندما كان ينخرط في الجيش ابناء العائلات الاغنياء الذين كانوا لا يعرف ماذا يفعل بهم . لقد سلموا قيادة جيش الى روبرتو بروساتي الذي بالكاد يستطيع ان يقود الاما . وقد استدعينا فروجوني من ليبيا لكثرة ما ارتكبه من حماقات . وزوكاري لم يكن سوى رجلا ائيتا . والوحيد الذي ممكن الثقة به هو ناتا » (اولنيدو مالاتوري ، المصدر المذكور ص ٩٥ ـ ٥٨) .

مع سلاندرا . وقد صرح جوليتي لهذا الاخير انه لا يريد الحرب لانه بالاضافة الى الاسباب الاقتصادية فان « الجنود يفرون كما فروا في ليبيا وقد اضطروه هو جوليتي على اختلاق أعمال بطولية وتزوير البرقيات » (٨٧)

ان ملاحظات ترومبي وكابيللو وزولي وجوليتي المدهشة في صرامة حكمها قد تكون متأثرة ببعض الغضب المحتمل بسبب خيبة الامل والمرارة من جراء سير العمليات الحربية بعد آمال الايام الاولى من الحرب ولا شك أن الصعوبات الاولى أثرت كثيرا في تصرف المقاتلين وهي دلالة لا يمكن التغاضي عنها وقد يكون من الممكن الافتراض أن الكثيرين كانوا يظنون وقت الانزال في الايام الاولى من اكتوبر ١٩١١ انهم ذاهبون لملاقاة مغامرة جميلة . وقد انتشر هذا الشعور خاصة بين الاطارات العالية اذ أن ضباطا كثيرين تقدموا حقا بطلباتهم للانضمام الى الحملة (٨٨) . وعندما تبدلت تلك التي كانت تبدو مغامرة سارة الى حرب حقيقية وقاسية تغيرت بالتالي حالتهم النفسية . فتجاه التضحيات والصعوبات والاخطار بالاضافة الى خطر الكوليرا الذي أصاب الحملة بعد قليل من انزالها الى ليبيا وداء الدوسنطاريا وغيرها من الامراض التي تسببت في عدد كبير من الضحايا ، فان الحماس الاول تلاشى وحلت محله الرغبة في وضع حد للحرب في أقرب وقت والعودة الى الاهل . وقد تضاءل حتى تلاشى بين أولئك الذين يفهمون ويدركون لغة معينة ذكرى نسور روما التمدنية التي بعثتها الدعاية القومية وقد فهم أن استعمار اراضي أغلبها صحراوية سيكون أمرا صعبا

---

(٨٧) فرديناندو مارتيني Ferdinando Martini ـ مذكرات ١٩١٨ ـ ١٩١٤ . صدر باشراف تابريلي دي روزا ، ميلانو ١٩٦٦ ص ٤١٣ .

(٨٨) انظر أوتوبروساني ـ « مذكرات تتعلق بالحرب الايطالية ـ التركية » المذكور كتب الجنرال لويجبي كادورنا من باريس يوم ٤ اكتوبر ١٩١١ الى ابنه روفائيل قائلا : اعتقد انها ستكون حملة مضحكة وستتلخص في عملية الاستيلاء أو اكثر من ذلك بقليل » (لويجبي كادورنا L. Cadorna « رسائل عائلية » ميلانو ١٩٦٧ ص ٨٢) .

وبطيئا . (٨٩) وبالنسبة للآخرين وكلهم من الجنود واغلبهم أميون فبان المشقة واخطار الحرب والاكراه على الاقامة في أرض غير مضيافة والتفكير في الاسرة البعيدة التعبة لقلة السواعد كل هذا كان يغذي الاستياء والاحساس بالاسى والتعب .

ويمكن الاضافة انه على كل حال وبخلاف ما حدث في الحرب العالمية (خاصة في الفترة الاولى من قيادة كادورنا) فان السلطات العسكرية ادركت في اغلب الحالات مصدر استياء الجنود وحاولت داخل حدود ضيقة أن تلبي طلباتهم المشروعة . لقد نظر — على كل حال — الى الجندي كانسان له مطالبه وله حدوده . ويكفي أن نذكر التبديل الذي حدث في منتصف عام ١٩١٢ ما بين مختلف دفعات المجندين والتساهل في الاحكام في بعض الجرائم وان ضرورة عدم اثارة النفوس اكثر من اللازم كانت بالطبع اساس هذا الموقف .

وان احالة اوقسطو ماسيتي الى المحكمة المدنية بدلا من المحكمة العسكرية لتجنب الحكم عليه بالاعدام بكل تأكيد لهو الادلة الواضحة على هذا الاتجاه ويجب ان نضيف هنا أن في كل ذلك لعبت الحساسية وحكمة جوليتي دورا كبيرا وهو المتنبه دوما لاقتطاف مزاج واتجاهات الجماهير . (٩٠)

---

(٨٩) هكذا وصف الجنرال ترومبي منطقة درنة في رسالة الى بروساتي بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩١١ : « انني في بلد بدون موارد فيه سكان قليلون (...) والجو هنا سيء لا من حيث صحيته بل بسبب الرياح والمطر والبرد »
.(A.C.S., A.B., f. VI.2.34, sc. 9, n° 18)

(٩٠) انظر ص ٣٠٤ حاشية رقم ١ .

اوروبا تجاه الحرب الليبية

النمسا وهجوم بريفيا ـــ رد الفعل التركي للحرب ـــ مهمة تيودولي ـــ مرسوم السيادة ورد الفعل الاوروبي ـــ تصلب النمسا ومذكرات كونراد ـــ سياسة مرشال الموالية لتركيا ـــ بريطانيا وفرنسا وعدم محاولة ايجـــاد تفاهم في البحر الابيض المتوسط ـــ روسيا ووساطة سازونوف ـــ حادث قرطاج ومنوبة وسياسة فرنسا الجديدة ـــ ضآلة فائدة وساطـــة الـــدول الكبيـــرة .

□◆□

بينما كان دوق الابروتسي مساعد اميرال مفتش للنسافـــات المخصصة للعمل في اسفل بحر الادرياتيك وبحر يونيو يجوب بوحداته في نفس يوم اعلان الحرب المياه التي تطل عليها ميناء بزنفيا على الساحل الادرياتيكي التركـــي اذ القـــت مرساهـــا نسفتـــان عثمانيتـــان فهـــاجمت السفـــن الايطالية السفينتين التركيتين واصابتهما واغرقتهما . هذا من جهة ومن جهة اخرى بينما كان القبطان بيسكاريتي يمر امام الشاطىء رأى بعض السفن النمساوية المشتبه فيها ورد على النيران الموجهة ضد سفنه باطلاق مدافعه على سان جواني مدوا . (١) هذا الحادث وهو طبيعي في وقت الحرب دل

---

(١) انظر لويجبي البرتيني « عشرون عاما من الحيـــاة السياسية » المذكورة مجلد ١ قسم ١١ ص ١٣٤ . باولـــو مالتيســي المصدر المذكور ص ٦ ـــ ١٠٣ وخاصة جونانـــي رونكالـــي Giovanni Roncagli « الحرب الايطالية التركية (١٩١٢ ـــ ١٩١١ » تاريخ وقائع العمليات البحرية » مجلد ١ روما ١٩١٨ ، ص ١٣٠ ـــ ٨١ .

في الحال على مدى الصعوبات والمضايقـــات التي قد تتعرض لها ايطاليـــا وبصورة خاصة من قبل النمسا .

وكانت نية جوليتي ودي سان جوليانـــو كما ابلغاهـــا للملك يوم ٢٤ سبتمبر (٢) هي تدمير الاسطول التركي حيثما كان بحيث تضطر تركيا الى التسليم قبل الحملة . غير ان موقف النمسا الصلب قد جعل من المستحيل تنفيذ هذا التكتيك . وقد غضب اهرنتال كثيرا لمبادرة البحريـــة الايطاليـــة المذكورة خشية أن تكرار مثل هذه العمليات بالقرب من البحر الادرياتيكي قد يتسبب في « عواقب خطيـــرة » (٣)

وقد اهتزت الحكومة الايطالية وقلقت . وعندما اعلم جوليتي الملك أبلغه انه من اجل ازالة اية صعوبة فقد اصدر وزير البحرية امرا « بتجنب اية عمليات ضد بريفيا والموانى التركية الاخرى الواقعة على الادرياتيك وبحر يونيو وذلك بصورة مطلقة » (٤) وقد دلت فيما بعد لهجة البرقيات التي بعث بها جوليتي الى دي سان جوليانو والى ليوناردي كاثوليكا بخصوص عملية بسكاريتي ، على أن رئيس مجلس الوزراء كان يخشى من موقف النمسا الثابت . وبلغ الامر بهذا الخصوص الى صدام حقيقي ما بين جوليتي ووزير بحريتـــه (٥)

---

(٢) انظر ص ١٣٧ .

(٣) O.U.A., III, n° 2706 p. 392 من اهرنتال الى امبروزى بتاريخ ٤ اكتوبر ١٩١١ فقد كتب جوليتي في مذكراته : « اهرنتال قال لسفيرنا دامارنا يوم اول اكتوبر ان هذه العمليات تتعارض بصورة صارخة مع تعهداتنا في حصر القتال في البحـــر الابيض المتوسط وانه لا يمكن السماح باستمرار العمليات في بحر الادرياتيك وبحر يونيو ويجب وضع حد لذلك والا فقد تقع احداث وعواقب خطيرة وقد يكون مضطرا ان يخاطبنـــا بلهجة مختلفـــة » . (جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٤٠) .

(٤) « من أوراق جوليتي » المذكور مجلد ١١١ ص ٦٤ .

(٥) ابرق دى سان جوليانو يوم ٦ اكتوبـــر الى جوليتـــي الذي كان موجودا بتورينو قائلا : « بسكاريتي واصل عملياته في الادرياتيك التي قد تتسبب في خطر كبير . أبرقت الـــى امانا وبانسا مفترضا انه لم تصله اوامر جديدة . تحصلت من ليوناردي على وعد انه في

واجتهد دي سان جوليانو في أن يبرر للدول الكبيرة الاسباب التي دفعت البحرية الايطالية الى الهجوم على بريفيا . فبموجب برقية له بتاريخ ٢١ أكتوبر ١٩١١ دعا سفراء ايطاليا في لندن وباريس وبرليـن وبطرسبورغ وفيانا الى افهام الحكومـات الاوروبية أن بريفيا كانت قاعـدة عمليـات خطيرة ضد ايطاليا حيث أن تركيا تحتفظ فيها بعدد من النسافات الممتازة والسريعة جدا « وان تدمير هذه القاعدة كان يعتبر بالنسبة لايطاليا « احدى العمليات التمهيدية لحملة طرابلس » بل و « شرطا اساسيا » (٦) وفي نفس اليوم دعا وزير الخارجية السفير بانسا الى الضغط على الحكومة الالمانية لتبذل مساعيها الطيبة لدى اهرنتال لاقناعه بوجاهة الاسباب الايطالية الواضحة (٧) .

ولكن اهرنتال كما كان يبدو لم يرد أن يستمع الى أي سبب . ففي يوم ٩ أكتوبر كرر وزير الخارجية النمساوي الى السفير افارنا الذي عاود الكرة لتوضيح وتبرير العمليات الايطالية بانه لا يمكنه أن يقبل فكرة الضرورة بالنسبة لايطاليا في « الاحتفاظ بكامل الحرية عسكريا لتحطيم المقاومـة التركية وانهاء الحرب في أقرب وقت » (٨) ، بالنظر الى أن ايطاليا نفسها صرحت بارادتها في تجنب عمليات عسكرية في الادرياتيك وبحر يونيو .

هذه الليلة ذاتها سيبعث اليه باوامر قاطعة . « وبعث جوليتي من تورينـو الى ليوناردى كاثوليكا بما لي : يجب ان يصدر أمر رسمي الى بسكاريتي بالامتناع عن اية عملية . واذا لم يطع الاوامر بصورة مطلقـة يجب استدعاؤه في الحال الى رومـا انه من المؤسف ان الغرور الشخصي يضر بمصالح الدولة الحيوية » . وفي ٦ اكتوبر بعث جوليتي ايضا الى ليوناردى كاثوليكا ما يلي : استلمت معلومات لاحقة بخصوص عمليات بسكاريتي . انـه لعمل مشين ضد الاوامر الرسمية يجب في الحال تجريده من اية قيادة . انتظر تاكيـدا بتنفيذ هذا . وبنفس التاريخ بعث جـوليتي الى دى سان جوليانـو : « اذا كان وزيـر البحرية عاجزا من ايقاف العمليات ضد الموانى الاوروبية فساقترح على الملك أن يتصرف »

(٦) AS. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 b, f. 642

(٧) المصدر المذكـور .

(٨) O.U.A., III, n° 2738 p. 420 برقية اهرنتال الى سفارتي روما وبرلين بتاريخ ١٠ اكتوبـر ١٩١١ .

وفي موقف ايطاليا هذا الرامي الى اطفاء جدة العداء النمساوي وارضاء الطيفة كان يتضمن ايضا الرغبة في عدم مواجهة موقف صلب للنمسا قد يضر بمستقبل الحرب والخشية ــ كما لاحظ جوليتي نفسه من ان ايطاليا قد تقع في لعبة النمسا وتدفعها الى احتمال احتلال دوراتو الامر الذي قد يفتح فجاة ازمة بلقانية (٩) .

غير ان هناك امرا اكيدا : ان موقف النمسا كان يشجع المقاومة التركية ويشعر الحكومة العثمانية بأن الى جانبها حليفا قويا مما يجعلها تتشدد في موقفها . وفي تلك الايام بالذات قرر النواب الاتراك اعضاء لجنة « الاتحاد والترقي » خلال اجتماع خاص « بمنح الثقة الى سعيد باشا (وزير الحربية) بشرط ان يسير الحرب ضد ايطاليا بدون هوادة » (١٠)

---

(٩) جوفاني جوليتي ، المصدر المذكور ص ٢٥٠ .

(١٠) هكذا قال احد المخبرين من اسطمبول الى المفوضية الايطالية بصوفيا :
A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 c. f. 643 رسالة بوسداري الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩١١ . بخصوص الحالة في تركيا يجب التذكير بان رعاية المصالح والمواطنين الايطاليين بتركيا اسندت الى السفير الالماني باسطمبول البارون مارشال بينما ظل قارباسو بتركيا كمراسل لوزير الخارجية الايطالية وهو احد موظفي السفارة يتمتع بالحصانة الديبلوماسية ولكنه لا يستطيع ان يظهر بين الجماهير (انظر البرتو تيودولي المصدر المذكور ص ٥٩) .
لم تقع اعمال عدائية ضد الايطاليين في تركيا سوى حوادث قليلة الوزن . فسواء الحكومة التركية التي بعد اعلان الحرب لم تطلب طرد الايطاليين وسواء الشعب قد حافظ على تصرف سليم بصورة عامة . فقد كانت قليلة الحوادث المعادية لايطاليا ووقع اكبرها يوم ٣٠ سبتمبر في سالونيك حيث صادر رجلان من الشرطة بريد الاطاليين . ودخلت في نفس اليوم مجموعة من الاتراك الى بعض السفن الايطالية واحرقوا اعلامها وذهبوا الى المدرسة الايطالية فحطموا الشعار الايطالي ومزقوا العلم . وكان على راس الجمهور متصرف الشرطة اديب بك وبعض رجال الشرطة بملابسهم الرسمية وفي الساعة التاسعة من مساء نفس اليوم اقتحم مسكن ومكتب القنصل الايطالي . وأعيدت الامور الى نصابها بفضل تدخل القنصل الالماني . (انظر A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 b, f. 642) رسالة الى دي سان جوليانو بتاريخ ٦ اكتوبر ١٩١١ ، انظر ايضا برقية تيتوني الى دى سان جوليانو في ٦ اكتوبر الذي ينقل اليه فيها ما بلغه من موسى ناوهروا ايطالي قادم من سالونيك وذيل دى سان جوليانو هذه البرقية بما يلي : (الى مكتب المطبوعات يجب ان يعرف هذا في الخارج) . ووقع حادث آخر قليل الاهمية وذلك يوم ٢ اكتوبر باسطمبول حيث

لقد غدا موقف ايطاليا الآن اكثر صعوبة . لم يعد الامر يتعلق بالاستيلاء على الاراضي الافريقية بالموافقة الضمنية للدول الكبيرة كما كان مؤملا . فالامر يتعلق بالقيام بحرب صعبة شائكة كثيرة المحدودية من جهة ويبذل نشاط دبيلوماسي غير سهل من جهة اخرى .

وغداة انفجار الحرب بذلت الدول الكبرى الخمس جميعها مساعيها الطيبة لحل المشكلة الليبية . وبالاضافة الى الطرق الديبلوماسية العادية كانت هناك شبه محاولة من تركيا مباشرة عن طريق البرتو تيودولي الذي يبدو غريبا أن جوليتي لا يذكره في مذكراته (١١) . وتيودولي هذا من نبلاء روما وهو مندوب ايطاليا لدى صندوق الدين العام العثماني منذ عام ١٩٠٥ وهو مرتبط ببنك روما وبالنشاطات الايطالية في الامبراطورية العثمانية ولذلك فهو يعرف جيدا الرجال والاوساط التركية . ففي يوم ٣ اكتوبر زار تيودولي في مكتبه نائب تركي عن اسطنبول وهو اسرائيلي من سالونيك يدعى كاراسوا ، وكان بصحبة المهندس الايطالي ديناري القائم ببناء الكنيسة

جرت محاولة لاغلاق بنك روما وقد تلافى مرشال الامر (المصدر المذكوز رسالة فارباسو الى سان جوليانو في ٤ اكتوبر ١٩١١) .وقد تمكن البنك من مواصلة اعماله بعد أن غطى يافطته حتى ٢ يناير ١٩١٢ عندما تقرر اغلاقه . وعند اندلاع القتال لوحظت بوادر قلق في مختلف انحاء الامبراطورية العثمانية وخاصة في البلقان . وقد كتب القنصل مانشينيللي سكوتي من شكودرة بتاريخ ٣٠ سبتمبر الى دى سان جوليانو يعلمه ان السكان الالبان وهم مسلحون تسلحا كاملا مستعدون للثورة للتخلص من الحكم التركي
(A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 a f. 641)

وفي كريت احدث نبا الحرب « في البلاد هزة كبيرة واشعلت من جديد وبصورة مجائية الامال في حل قريب مناسب للمشكلة الكريتية » (المصدر المذكور وحاولت الحكومةالايطالية بالوسائل التي تحت تصرفها ان تهدىء المياه وان تحول دون وقوع حركات قد تخلق اوضاعا تؤثر سلبيا في عملها الاستعماري بالاضافة الى خطر تدخل دول اخرى مما قد يتسبب في حدوث ظواهر لا يمكن السيطرة عليها بسهولة . وبسبب هذا القلق رفضت المساعدات للالبان من اجل القيام باضطرابات او ثروة كما دعى ملك الجبل الاسود « بان يمتنع من اي عمل يعكر الحالة في البلقان » وفقا لما ذكر جوليتي الذي اضاف : « رأيت بصورة خاصة من المناسب تجنب وقوع أحداث في الادرياتيك علما بان في فيانا حزب قد يحاول الاستفادة من ذلك » (جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٢٣٩) .

(١١) — البرتو تيودولي — المصدر المذكور ص ٥٩ .

الكاثوليكية في بيرا . وقد قام الاثنان باسم وزير الداخلية بدعوة تيودولي « الى السفر حالا الى روما بقصد تجنب وقوع عمليات حربيـــة بين تركيا وايطاليا » وبعد مقابلة مع الوزير الاكبر ومع وزير الحربية التركي سافــر تيودولي الى روما يحمل معه مقترحات السلم التاليـــة :

« اقتراح بالاحتفاظ بسيادة السلطان الذي يمنح بدوره الى ملك ايطاليا تفويضا باحتلال وادارة ليبيـــا .

تدفع ايطاليا عشرة ملايين ليرة تركية بصفة تعويض الى الدين العام العثماني واحتكار التبغ .

معاهدة صداقة بين ايطاليا وتركيا (١٢) .

فابحر تيودولي في سرية كاملة على باخرة رومانية وتوقف اولا في فيانا حيث اعتبر السفير افارنا مهمته « مهمة جدا » . ثم وصل روما بعد ثلاثة أيام من سفره فوجد الوسط « متهيجا بالحماس » وادرك تيودولي في الحال أن المقترحات التركية قد لا تجد قبولا حسنا . وبالفعل فان جوليتي ابلغ تيودولي عن طريق مركاتيللي ان الحكومة ترفض ان تأخذ بعين الاعتبار المقترحات التركية لاسباب ثلاثـــة :

١) لا تقبل ايطاليا ان تترك ليبيا تحت سيادة السلطـــان .

٢) يجب اعلان الضم الايطالي دون تهرب .

٣) لا شك في ان ايطاليا بفعل سفنها القوية و ٢٠ الف جندي بقيادة كانيفا تستطيع أن تتغلب بسهولة في وقت قصير على بضعة كتائب تركية مسلحة بمدافع قديمـــة (١٣) .

كان تيودولي متفهما لعقلية الاتراك وعالما بان تركيا لن تتخلى بسهولة لايطاليا كي تبسط سيادتها على تلك الاراضي والسكان بما « يتناقض والتقاليد

---

(١٢) المصدر المذكـــور ص ٦٠ .

(١٣) المصدر المذكور ص ٦٢ .

الاسلامية » وان ما وجده في ايطاليا من مواقف متغطرسة في أوساط كثيرة ترك فيه انطباعا بالطيش في تلك الفترة الصعبة بالذات (١٤) .

« كنت ميالا ايضا — كتب تيودولي — الى الاعتراف بان خيبة الامل التي قاستها ايطاليا ووجود العقلية النيابية المسيطرة وقد ابعدتها عن اية فكرة احتلالية سنوات كثيرة قد تشعر بالعكس وبصورة غريزية بالطموح الملتهف لتواجه بالسلاح تجربة هامة تعطيها الفرصة لتقيس قواتها الناهضة وان تضطر الحكومة الى تأييد حركة الامة الغريزية هذه بادراك . فهي اذن الحرب حقا وكان يجب تقييم حجمها كله وجميع عواقبها . وبعد أن تقرر رفض الاقتراحات التركية كنت انتظر ان تزن (الحكومة) خطورة عمل مثل ضم ليبيا وهو يعرض شرفنا العسكري وسمعتنا كاملة في العالم . ولكني بالعكس سمعت الكلام يدور باستخفاف عن حرب قصيرة الاجل وبدون صعوبة حسب حساب جميع العوامل التي قد تؤثر كما اثرت فعلا على سير العمليات . » (١٥)

وكانت عودة تيودولي الى تركيا عاصفة تقريبا . فقد انهال عليه اجاز باشا بهذه الكلمات : (لغة فرنسية) « لم اكن اعرف انك انت ايضا ضمن عصابة قطاع الطرق العقلية هذه التي استولت على الكونسولتا (اسم مقر وزارة الخارجية) . (١٦) ومرشال بدوره وقد غضب لعدم احاطته علما بهذه

---

(١٤) — « وجدت بروما فوضى واهمالا في تصريف الامور المتعلقة بالحرب — كتب تيودولي — وكذلك وجدت استخفافا في استعمال اشخاص في ليبيا افقدونا عطف المشائخ اصدقائنا، هذا اذا لم يبلغ بهم الطيش درجة توريطهم . واعتقدت انه كان من الضروري ان تكون الحملة اقوى من التي ارسلت ، خاصة ان مائة مليون ليرة التي يتحدثون عنها كنفقات محتملة سوف يتجاوزونها بكثير حيث انهم سيواجهون حملة طويلة في اراضي معدومة من اية موارد للرجال والحيوانات ولاحظت أيضا بالم دلائل عدم الرؤيا التي اذا ضمت الى حوادث اخرى ذات اهمية اقل علمت بها خلال الفترة القصيرة للاعداد فقد اعطتني الانطباع بانهم يلقون بانفسهم في هذه التجربة دون تـرو ودون اعداد الوسائل المناسبة . ولاحظت ايضا عدم وجود تنسيق وتهاون بين مختلف الوزارات وهو أمر مزري » (المصدر المذكور ص ٦٤) .

(١٥) المصدر المذكور ص ٦٣ .

(١٦) المصدر المذكور ص ٦٧ .

المبادرة وتجاوزه قد صرح بان « وجود تيودولي » « غير مرغوب » فيه بتركيا وأرغمه على السفر تــوا .

أما الكونسولتا فلم تعطي اي وزن على ما يبـــدو لمقترحات تيودولـــي .

غير انه فيما بعد اقتنعت حكومة روما انه لا بد من التفاوض المباشر مـــع الاتراك من أجل ايجاد حل للحرب . وكان دي سان جوليانو في تلك الايام مشغولا بدراســـة اقتراحات أخرى ، وهي الاقتراحات الصادرة عن حكومات أوروبية من فيانا وبرليـــن .

وقد صرحت المانيا منذ أول اكتوبر بانها مستعدة للعمل من أجل الوصول الى حلول سلمية وان « تقوم في الوقت المناسب بدور الوسيطة » (١٧) . وفي اليوم الثالث من اكتوبر افاد اهرنتال بان الحكومة التركيـــة مستعـــدة للتفاوض (١٨) . وفي نفس اليوم اقترح جاكوف ايجاد حلول سلمية . وكان رد جوليتي ودي سان جولينو هو انه بالنسبة لايطاليـــا من الضروري « القيام بالاحتلال أولا ثم التفاوض فيما بعد » (١٩) . وقام جاكوف في خطوة لاحقة بعرض بعض المقترحات التركية على الكونسولتا . ووفقا لتصريحات السفير الالماني فان الباب العالي « تلبية منه للرغبـــة الصادقة في المحافظة على السلام » كان : « مستعدا لتقديم قاعدة جديدة تسمح بفتح المفاوضات اقتناعا بانه قد حان وقت القيام بوساطة فعالة « وهذه القاعدة هي دراسة مشتركة لمصالح ايطاليا والالتزام بالاعتراف بها بموجب اتفاق مادامت الطلبات الايطالية تعتبر مطابقة للوضع مع التحفظ المعلن بالبقاء على حقوق السيادة التركية » (٢٠) .

---

(١٧) — راجع A.S. MAE, Segr. gen. pa. 42, pos. 17 b, f. 642

(١٨) — راجع جوفاني جوليتي المصدر المذكـــور ص ٢٤٠ .

(١٩) — A.C.S., C.G., b. 16, f. 28

(٢٠) — A.S. MAE المصدر المذكور برقية دي سان جوليانو الى سفارات برلين ولندن وباريس وبطرسبورغ وفيانا بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩١١ .

ورفض دي سان جوليانو الاقتراح باعتباره « حيلة تركية » لا « يمكن اخذها مأخذ الجد » (٢١) .

ولم تكن الحكومة الايطالية تنوي الآن التنازل أمام الاتراك . فبالنسبة لسان جوليانو فان الحل الوحيد كان هو « بسط السيادة الايطالية الواضحة والكاملة على طرابلس وبرقة » انه ليس لمصلحة ايطاليا فحسب بل ومن مصلحة أوروبا وتركيا نفسها ايجاد حل نهائي لمشكلة طرابلس بحيث لا تظل في المستقبل سببا في صراعات « ايطاليا ـــ تركيا تؤدي الى تعقيدات دولية» (٢٢) . وفي الخلاصة كان لا يجب أن تترك أسباب لصراعات مستقبلة وانه من الواجب تجنيب الديبلوماسية الاوروبية مشاغل جديدة . وكان دي سان جوليانو يضيف الى كل هذه الاعتبارات ذات الصبغة الدولية اعتبارا آخر « ذا صبغة داخلية خطيرة » . لقد كان وزير الخارجية مقتنعا بان « الاغلبية الساحقة في الامة الايطالية » لم تكن « مستعدة للسماح ببقاء السيادة الاسمية للسلطان » (٢٣) . وكان يبدو اقتناعه هذا واضحا في البرقيات المرسلة الى المثلين الايطاليين في الخارج وكان ذلك أحد الاسباب

---

(٢١) المصدر المذكور . كانت هناك مبادرات وساطة قامت بها لندن وباريس . ففي يوم ٧ اكتوبر ابرق امبريالي الى دي سان جوليانو : « من المحتمل حدوث عملية وساطة بريطانية لصالح السلام . ويجب ان نعد خطة سلوكنا ازاء هذا الاحتمال كي لا تاخذنا الاحداث على غرة . لا شك أن احتلالنا لطرابلس يكون القاعدة لاية محاولة (A.C.S., C.G., b. 14, f. 17/4). وقد ابرق تيتوني يوم ٨ اكتوبر بما يلي : « دي سلفس وبارير متمسكان بانه في حالة وجود وساطة يجب ان لا تبقى فرنسا غريبة منها . (...) وقد ضغطت الهيئات المالية الكبرى على فرنسا في هذا الصدد . قلت لبارير انه كان من العبث التحدث عن وساطة ما دامت تركيا لم تصرح بنيتها بانها تريد الاعتراف باحتلال ايطاليا لطرابلس » (المصدر المذكور) .

(٢٢) ـــ المصدر المذكور A.S. MAE برقية دي سان جوليانو الى برلين ولندن ومدريد وباريس بطرسبرغ وفيانا ووشنطون بتاريخ ١٠ اكتوبر ١٩١١ . وقد طلب دي سان جوليانو من السفراء في نفس البرقية أن « يفهموا » مختلف الحكومات « والصحافة والراي العام بدعاية مستمرة مستترة توضح الاخطار والاضرار الناجمة من حل يختلف عن بسط السيادة الايطالية الكاملة والواضحة على طرابلس و برقة » .

(٢٣) ـــ المصدر المذكور .

الاكثر تكرارا في رفض مقترحات التسوية المخالفة للفكرة الايطالية . وقد برزت ايضا في أيام اكتوبر تلك امكانية الوصول الى حل عن طريق الاعتراف بحرية العلاقات الدينية والروحية ما بين السلطان بوصفه خليفة المسلمين والمؤمنين المقيمين في طرابلس وبرقة . وقد تحدث دي سان جوليانو الى حاكوف في هذا الصدد يوم ١٣ اكتوبر (٢٤) وارسلت لهذا الغرض مذكرة الى برلين . (٢٥) ولكن المبادرة التي نبشت بعد عام وذلك خلال مفاوضات السلام قد سقطت بسبب رفضها في اسطمبول لعدم قبولهم التنازل عن السيادة من جهة وبسبب عدم وجود قناعة كبيرة لدى الايطاليين خشية أن التنازل عن اقل سيادة للسلطان قد يؤثر في النفوذ الايطالي أمام العرب وخوفا من ان تعود للتغلب من جديد :

« أسطورة ضعفنا وان العرب سيشعرون اذا ما ساعدونا بانهم ثائرون على ملكهم الذي يعتبر في نظرهم السلطان لا ملك ايطاليا . وقد يعتبرون ايطاليا ليست بصاحبة الارض وقد يخشون أن تحل بهم نقمة الاتراك اذا ما تركتهم ايطاليا بين لحظة واخرى » (٢٦) .

وقد كانت النمسا والمانيا بصورة خاصة وفي الايام الاولى من الحرب تضغطان من اجل وضع حد للصراع في اسرع وقت .

« اذا ايطاليا الحت في الاحتلال المجرد ــ لاحظ مارشال في حديث له

---

(٢٤) ــ المصدر المذكور A.S. MAE برقية دي سان جوليانو الى بانسا بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٩١١ . جاكوف « أصر بشدة على ضرورة اقتباس حل بالنظر الى الحالة الداخلية في تركيا والى العداء المتزايد في الراي العام الاوروبي »

(٢٥) ــ كانت أهم الشروط للتفاوض من اجل السلام بالنسبة لايطاليا ما يلي : « أ) التنازل لايطاليا عن كامل السيادة على طرابلس و برقة . (...) ب) الاعتراف بسلطة السلطان الدينية بمثل ما تتضمنه نصوص البند الرابع من البروتوكول التركي ــ النمساوي » المؤرخ في ٢٦ فبراير ١٩٠٩ بخصوص ضم البوسنة والهرزوتوفينا الى النمسا . وقد اشير ايضا الى امتيازات اقتصادية من قبل ايطاليا A.C.S.,C.G., b. 17, f. 3 برقية بانسا الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩١١ . راجع ايضا جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٤١)

(٢٦) ــ A.S. MAE المصدر المذكور برقية من دي سان جوليانو الى السفارات الايطالية في باريس وبرلين ولندن وبطرسبورغ بتاريخ ١٩ اكتوبر ١٩١١ .

مع تاربابسو في تيرابيا ـ فلن توجد حكومة عثمانية تقبل بهذا وسيؤدي ذلك الى عواقب خطيرة جدا (...) واذا ما استمرت الحرب حتى الربيع فقد تشتعل النار في البلقان وان (...) النمسا تبدو فعلا غير مرتاحة لذلك » (٢٧)

وبتاريخ ٢٥ اكتوبر الحت برلين على السفارة الايطالية عن طريق وكيل الخارجية زميرمان ناصحة « بالتساهل » مع تركيا ومؤكدة أن المانيا لو الحت على الباب العالي لارغامه على التنازل فان الحكومة البريطانية « سرعان ما تستغل الوضع لتظهر للاتراك أن الالمان أصدقاء ومستشارون خبثاء » (٢٨) .

وبناء على طلب محدد من امبريالي كذب غراي تلميحات زيمرمان مؤكدا انه اجاب دوما بان اية محاولة وساطة لا يكون أساسها سيادتنا الكاملة ستكون عبثا » (٢٩) .

وكل هذا يدل بوضوح على أن المبادرة الايطالية كانت تدور وسط تضارب مصالح مختلف الدول السياسية والاقتصادية ، بحيث أنه كان من الصعب العثور على راس الخيط . وان نفس زيمرمان اضاف فيما بعد بقليل أن شكوك الالمان كانت تتجه ايضا نحو روسيا التي كان في امكانها أن تنتهز الفرصة « لحل مشكلة المضائق لصالحها » (٣٠) .

وقد شبه جوليتي في مذكراته باحدى تصوراته الملونة التي تاتي بين الحين والآخر لتنعش اسلوبه الجاف ، فقد شبه الحالة التي أوجدتها الحرب الايطالية التركية في الميدان الدولي « برقصة البيض » للتدليل على الصعوبات

(٢٧) ـ A.S. MAE, Segr. gen. pa. 42, pos. 17 c, f. 643 رسالة من تاربابسو الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٠ اكتوبر ١٩١١ .

(٢٨) ـ A.C.S., C.G., b. 17, f. 35 برقية من مارتين الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٥ اكتوبر ١٩١١ .

(٢٩) ـ جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٤٢

(٣٠) ـ المصدر المذكور ص ٢٤٣ .

والتوازنات التي اضطرت الحكومة الايطالية الى مواجهتها للوصول بالعملية الى مرساهـا .

« ان أراضي امبراطورية العدو ــ كتب جوليتي ــ كانت محاطة من جميع جهاتها بشبكة كثيفة من المصالح والرهنيات والتربص والجشع التي كان العدو يستفيد منها لحمايته . لقد كانت هناك مصالح الدول الاوروبية العامة المتضاربة فيما بينها ومصالح الروس ضد النمساويين ومصالح الانكليز ضد الالمان وكانت هناك مطالب وطموحات مختلف الدول البلقانية وشره واحتجاجات وحقوق اقتصادية وسياسية من كل نوع » (٣١) .

ومن اجل تحطيم هذا الوضع وجعل تركيا والدول الكبرى أمام الامر الواقع والحيلولة دون استمرار لعبة الحكومات المعقدة لاجبار ايطاليا على التنازل عن كامل سيادتها على طرابلس وبرقة ، فقد اضطر جوليتي الى اصدار مرسوم السيادة . فان الخطوات والمباحثات التي كانت تتشابك وسط الديبلوماسية الاوروبية قد اقلقت كثيرا الحكومة الايطالية الواقعة تحت ضغط الصحافة المطالبة بأعلى صوت بكامل السيادة على طرابلس وبرقة وبوقوف الديبلوماسية الايطالية موقفا ثابتا وشجاعا وابعاد الحلول الجزئية والتسوية (٣٢) وكان هناك سبب آخر يدعو الى الخوف هو ازدياد عداء الدولتين الحليفتين وصحافتهما . « وكان السفير افارنا منذ ١٩ اكتوبر صريحا وواضحا . فبعد أن القى الضوء على الانتقادات العنيفة الموجهة الى ايطاليا من الصحف النمساوية (تبرز من بينها صحف « راشيس بوست » Reichs Post والجمايين زايتونق Allegemeine Zeitung »وبستر للويد Pester Llyod أضاف قائلا :

« من العبث العيش في الاوهام . فمنذ رفضنا الاعتراف بأي رابطة ولو اسمية بين تركيا وطرابلس بصورة خاصة فان عملنا تنظر اليه حليفتانا

(٣١) ــ المصدر المذكور ص ٣٩ ــ ٢٣٨

(٣٢) ــ انظر ص ٥٠ ــ ١٤٩

بشيء من المضض بسبب مصالحهما الخاصة في تركيا . وعليـــه فان اقـــل تصرف خاطىء نرتكبه قد يتسبب في بعض التطورات التي ستبرز بالرغبة في المحافظة على الوضع القائم في البلقان سواء كانت هذه الرغبة حقيقية أم مــزورة » (٣٣) .

وجاء في برقية اخرى للسفير افارنا ان فيانا قامت بخطوة لــدى حكــومات برلين ولندن وبطرسبرغ تسألها عن مدى الاستعداد « لتبادل وجهات النظر » حول طريقة سبرغور اسطمبول للوصول الى حل للصراع (٣٤) ، وقد اقلقت هذه البرقية جوليتي ووزارة الخارجية لما تتضمنه هذه الخطوة من اخـطـار اذ قد ينتج عنها فرض حلول لا ترغبها ايطاليا . وفي هذه الايـــام بالذات تكونت ونضجت فكرة مرسوم السيادة على ليبيـــا الذي اعلن كما اعترف جوليتي « خوفا من تدخل الدول الحليفة أو الصديقة » (٣٥) .

ومع هذا فالمرسوم رقم ١٢٤٧ الصادر يوم ٥ نوفمبر ١٩١١ الذي نص على وضع طرابلس وبرقة « تحت السيادة الايطالية التامة والمطلقة » لم يجنب ايطاليا جزئيا من ضغوطات الدول الكبرى الثقيلة . واعتبر الكثيرون بالعكس هذه الخطوة غير مناسبة وعقيمة وهكذا علق البـرتيني على مـوسم السيـــادة :

---

(٣٣) A.S. MAE المصدر المذكور ، برقية افارنا الى دي سان جوليانو بتاريخ ١٩ اكتوبر ١٩١١ وقد اكد افارنا في نفس البرقية أن اهرنتال غير راض عن عمل ايطاليا في الجزر .

(٣٤) المصدر المذكور ، برقية افارنا الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩١٢ .

(٣٥) ـــ جوفاني جوليتي ، المصدر المذكور ، ص ٢٤٤ . هكذا برر جوليتي المبادرة الايطالية : « ان شهرا من القتال قد اظهر مدى اتساع شبكة مصالح الدول الاخرى التي قد يمتــد فيها عملنا . وبالرغم من ثقتنا في أن فرنسا وبريطانيا وروسيا سوف تحافظ على تعهداتها نحونا وان المانيا والنمســا سوف لن تخــلا بواجبات التحالف ، غير انه كانت هناك الخشية من قيام تعقيدات بين مختلف الدول المهتمة بالامبراطورية العثمانية مما يدفعها الى بذل الضغوط بحيث تنتهي الحرب وتدفعنا الى قبول سيادة اسمية للسلطان في اطار صلح عام وهو الشرط الذي بدونه ـــ كما انذر مارشال حكومته ـــ سوف تتجرجر الحرب لمدة طويلة جدا » (المصدر المذكور ص ٢٤٣) .

« لقد جعل من المستحيل على تركيا أن تتنازل وزاد من تصلبها في مقاومة لا تكلفها كثيرا ولا تعرضها لاخطار كبيرة ، حيث انه قد حذر علينا ان نصيبها في الموقع المميت . ووضعنا في حالة لا تحتمل ولم نستطيع التخلص منها الا عندما هددت الدول البلقانية بتسديد الضربات التي منعنا من القيام بها » (٣٦) .

وعلى كل فان ايطاليا قابلت المرسوم بحماس كبير فالصحافة ابتداء من كوريري ديلا سيرا الى « تريبونا » و « ايديانسيونالي » عبرت جميعها عن الرضاء والامل في المستقبل . وكتب فليبوميدا نفسه على صحيفة «لونيوني» ان مرسوم الضم كان :

« من الممكن ان يكون بالنسبة لتركيا نقطة انطلاق معقولة في طريق الاتفاقيات المؤدية الى ايقاف القتال (...) وهذا هو السبب الذي يجعلنا راضين عن مرسوم الضم الذي يضع عملنا فوق قاعدة قانونية تمكنه من التطور وتحميه اكثر من الانتقادات وشكوك السياسة الدولية » (٣٧) .

غير انه مثلما لاحظ من جديد البريتيني فان الصحافة الايطالية كانت تنقصها العناصر للحكم على مغزى المبادرة الايطالية من جانب واحد في مجموعها . لقد كانت الصحافة تجهل تعهدات الحكومة بعدم نقل الحرب خارج الاراضي الافريقية وكانت تجهل مضمون البند السابع من الحلف الثلاثي ، (٣٨) الذي سوف تدور حوله مناقشة شديدة ما بين روما وفيانا .

\

---

(٣٦) ــ لويجبي البريتيني ، المصدر المذكور القسم الاول المجلد ٢ ص ١٣٧ .

(٣٧) ــ « الامر الواقع » بصحيفة « لونيوني » ٧ نوفمبر ١٩١١ .

(٣٨) ــ انظر لويجبي البرتيني ، المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ١٤١ . ادركت صحيفة « الماتينو » بعد بضعة اشهر خطا التقدير اذ كتبت تقول أن ايطاليا بتاكيدها للسيادة بمفردها و « تحديا واستفزازا » لتركيا وهي السيادة التي كان في الامكان بقليل من الصبر الوصول اليها بالاتفاق مع تركيا فانها أي ايطاليا قد خلقت عائقا في وجه السلام لان الاتراك لا يمكنهم أن يقبلوا « انتزاع ولايتهم بعنف » دون حرب « بصورة حاسمة وتامة » (« الماتينو » ٩ ــ ١٠ فبراير ١٩١٢)

ان مرسوم ٥ نوفمبر كان في الواقع عبارة عن اتخاذ موقف قليل المضمون القانوني والمعنوي . لا مضمون قانوني له لان ايطاليا وتركيا كانتا في حالة حرب معلنة رسميا ، ولذا لا يحق لايطاليا ضم اراضي واقعة تحت السيادة التركية دون موافقة الجهة الاخرى ويضاف الى كل هذا ان المرسوم كان مجرد صورية قانونية حيث أن الاراضي التي أعلنت ايطاليا انها تريد أن تبسط عليها سيادتها كانت اغلب هذه الاراضي لا تزال تحت الاشراف السياسي والعسكري التركي .

واعتبرت الدول الكبرى القرار الايطالي مستعجلا وغير مناسب (٣٩) . « واغتاظ جدا مارشال وتوقع أن ايطاليا سوف تندم على ذلك » تحت وطأة ضربات خيبة الامل التي سوف لا يطول انتظارها » (٤٠) ورأي نيراتوف ان ايطاليا « قد اغلقت امامها كل امكانية في العودة الى الوراء » (٤١) أما جاكوف فقد اشعر برلين بطريقة اكثر جدلية حيث اتهم جوليتي بانه اراد رفض اي محاولة تسوية وتبع اساليب حكومة مستبدة .

« ان افكار رجل الدولة هذا الاستبدادية (أوتوقراطية) قد ازدادت مع السن واخذت تظهر عن طريق شبه الدكتاتورية التي يمارسها . حتى الكونسولتا (وزارة الخارجية) لا تستطيع أن تفعل شيئا ضد عناده . ان

(٣٩) — بالنسبة لرد فعل الدول لقرار الضم انظر . وما يتبعها
D.D.F., III, 1, nn. 44, b. 1, 63 ecc. pp. 48
وحسب وجهة نظر غراي فان الانضمام كان يبدو « مستعجلا » وجعل مهمة وساطة الدول اكثر صعوبة « (ص ٤٨) . — ووصف سفير فرنسا في تركيا بومبارد المرسوم بانه « اسلوب نابليوني » (ص ٦٠) امام تركيا فان سفيرها بباريس رفعت باشا احتج في رسالة الى دي سلفس وزير الخارجية) رقم ٥٦ ص ٥٨ — ٥٧) بتاريخ ٨ نوفمبر على اعلان السيادة الايطالية واعتبرها « لاغية قانونيا وعمليا » ضد أبسط مبادىء قانون الشعوب »

(٤٠) — المصدر المذكور رقم ٢٥ ص ٣٥ — ٣٦ برقية من بومبارد الى دي سلفس من ترابيا بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩١١ .

(٤١) — المصدر المذكور رقم ٤٦ ص ٤٩ — من دي بانفيو القائم بالاعمال الفرنسي ببطرسبرغ الى دي سلفس بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١١ .

الماركيز دي سان جوليانو كان مستعدا منذ الاساس الى قبول سيادة اسمية للسلطان كشرط للسلام . بيد انه بعد عودة جوليتي من تورينو غير رأيه واصر على الانضمام المجرد قائلا ان ذلك مطلب الرأي العام . ولكن الراي العام قد اثارته في آخر لحظة اجهزة رئيس الوزراء الذي اعتقد مناسبا لاسباب سياسية داخلية ان يتظاهر بالتصلب لدرء هجمات المعارضة القومية . ولا اعتقد انني اخطىء اذ اقول ان دي سان جوليانو الذي يتمتع اكثر بادراك رجل الدولة قد اعترف حالا بالخطأ الذي ارتكب (٤٢) .

ليس من السهل التأكد من صحة كلام جاكوف من ان جوليتي اراد مرسوم الانضمام بأي ثمن لاسباب سياسية داخلية على نقيض وزير خارجية الاكثر رغبة في التفاهم . فالامر ناتج ربما عن انطباع او تخمين السفير الالماني . بيد ان الامر الواضح جدا بالعكس هي المقاومة البادية بين ما اتبع من اجراءات للوصول الى انذار ٢٧ سبتمبر واعلان الحرب وما اتبع للوصول الى مرسوم ٥ نوفمبر (السيادة) ففي كلتا الحالتين تظهر عناصر ثابتة وهي العجلة ونفاذ الصبر وكسب الزمن والرغبة تقريبا كما لو كانوا يريدون قطع خط الرجعة وراء ظهورهم . ففي الحالتين تم الرهان على المفاجأة والامر الواقع خشية تدخلات خارجية قد تفسد العملية القائمة بها ايطاليا . وفي الخلاصة فان اهم مبادرات هذه الحرب اتخذتها ايطاليا تحت عامل الحاجة الى السرعة وتجنب تدخل الدول الصديقة والحليفة .

ويكمن في هذه العجلة اتخاذ قرارات لم تدرس الا قليلا وقد زادت من الصعوبات على المستوى الديبلوماسي والعسكري . وقد اخذت تظهر الآن على السطح الحدود الواضحة للاعداد الديبلوماسي . لقد كان من المعتقد احتواء رد فعل الدول الحليفة بسهولة ولم تقدر مدى تمسكها بمصالحها

---

(٤٢) G.P., XXX, I, n. 10917, pp. 147-149 برقية جاكوف الى بيثمان هولويغ بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩١١ . هذه الفقرة كررها ايضا البرتيني (المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ٤٠ — ١٣٩) .

الاقتصادية بالامبراطورية العثمانية وبالمسرح البلقاني حق قدرها . فبالنسبة للنمسا ـ المجر والمانيا بالذات يلاحظ على ايطاليا سلوك اسلوب عمل قائم على التحيل والخداع والمناورات الصغيرة التي زادت من حدة شكوك الحليفتين وعدم استعدادهما للمساعدة وجعلتهما يتجهان اكثر فاكثر ـ رغم مظهرهما الديبلوماسي السليم ـ نحو موقف مؤيد لتركيا ومتصلب بالنسبة لايطاليا (٤٣) .

وقد ذهبت توصيات بانسا اوفارنا ـ المطالبة بولاء اكثر لالمانيا والنمسا علما بالاخطار التي تتعرض لها ايطاليا اذ قامت الحليفتان بعمل سلبي ـ ادراج الرياح . اذ ان وزارة الخارجية لم تعرها الا اهتماما ضئيلا وتصرفت آخذة في الاعتبار ردود الفعل الداخلية لا الدولية . فلم تشعر الحليفتان مسبقا باعلان الحرب ولا بصدور مرسوم السيادة وذلك خوفا من ان تتوقف وتتبدد اهدافهما . ولذلك فقد نشأ بين الطرفين اي ايطاليا وحليفتيها جو من الشك

---

(٤٣) ـ كتب اهرنتال الى السفير النمساوي بروما فون ميري بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩١١ متذمرا من سلوك ايطاليا : « لقد تعودت ايطاليا بصورة كبيرة على تسامح الحلفاء منذ عهد « دورات الفالس » لقد حاولت بكثرة أن تغطي نفسها من كل جانب بروابط من كل نوع . فهي تستند على الحلف الثلاثي وتشعر بانها ضمنت ظهرها . وهي تود ايضا أن تستغل الحلف لاخراجها من ورطتها الحالية بفضل ضغط النمسا والمانيا على تركيا وتحاول في سبيل الدفع الى هذا العمل أن تلوح عن نيتها في آخر الامر في القيام بعمليات بحرية . ومن جهة اخرى فانها تخشى فرنسا وانكلترا وتشك في ان هجوما على الدردنيل قد يؤدي الى القضاء على تفاهم راكونيجي مع روسيا .
وتبرز من هذه الاعتبارات المختلفة حالة نفسية تحول دون اتخاذ سياسة واضحة صادقة وهي توحي بعدم الثقة حتى لدى الحلفاء . وعليه فانه من اللازم اذا ارادت ايطاليا الاستمرار في التمتع بالمزايا التي تاتيها من الحلف الثلاثي فعليها ان تبرهن علنا عن نواياها هذه ليس بالكلام فقط انما من خلال سلوك الحكومة الملكية السياسي . وطالما هذا الاتجاه يعبر عنه بصورة واضحة ومستمرة بقدر ما تتخذ العلاقات فيما بيننا الطابع الودي بين حلفاء طبيين . وبقول واحد يجب وضع حد لهذه السياسة الايطالية التي تتودد للجميع ومع ذلك تتردد بشكل يثير الشكوك فينا وقد أحيا في ايطاليا امل تحقيق المطامح القومية . هل تستطيع حكومة ايطاليا ان تجد وضوح الرؤيا اللازمة والشجاعة لمثل هذا القرار ؟ »
(هذه الوثيقة موجودة في « جواكينو فولبي » ايطاليا في الحلف الثلاثي المذكور ص ٤٦ ـ ٢٤٥) .

المتبادل وعدم الصراحة مما كان يهدد الحلف من أساسه . وكان الكثيرون في وزارة الخارجية وخارجها يتوقعون بوضوح أن النمسا بعد المغامرة الافريقية سوف تكون العدو الطبيعي لايطاليا . وقد جاء ذلك في تقارير ومذكرات لدبيلوماسيين وعسكريين لمح اليه بصورة تكاد تكون صريحة . فان الحلف الثلاثي المتزعزع من قبل قد اصابته الحرب الليبية بضربة قاسية وان تجديد الحلف الاكثر شكليا من كونه جوهريا الذي تم عام ١٩١٢ لم يكن في امكانه ربأ الصدع (٤٤) . فان الحالة التي قامت بعد مرسوم الانضمام وبصورة خاصة التردد والحيرة التي صاحبت قرار ايطاليا من جانب واحد في كل أوروبا قد وضحها اسفولسكي في برقيته من باريس الى حكومته :

« لا يبدو اي شعاع من نور في المسألة الطرابلسية ، وزير خارجية فرنسا لا يعرف شيئا عن نوايا ايطاليا المقبلة ولا يعرف ما هي الضربة التي تنوي توجيهها الى تركيا لاجبارها على السلام » (٤٥) .

وقد كان اسفولسكي يدرك جيدا انه بالنسبة لايطاليا لم يعد امامها سوى طريق خروج واحدة : بما انها لم تستطع ان تتغلب على المقاومة التركية — العربية في ليبيا وحيث أن حلا على اساس الوساطة الدولية يبدو في الوقت الحاضر صعبا ، فانه لم يتبق لايطاليا من أجل التغلب على المقاومة

---

(٤٤) — نشرت صحيفة « روما » بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩١١ مقالا قالت فيه : « ربما بعد نهاية الحرب ستعدل الصحافة الالمانية والنمساوية لهجتهاوتعود الى الحديث عن رساخة الحلف الثلاثي ولكن اذا وقع هذا فان لا أحد في ايطاليا سيصدقه . يجب أن لا ننسى زوبعة الصحف الالمانية والنمساوية المعادية لايطاليا في الوقت الحاضر . من العبث الحديث عن تجديد الحلف الثلاثي لان الحلف قدم تجربته ولا داعي لتجارب لاحقة . في امكان ايطاليا ان تظل صديقة الجميع حتى النمسا والمانيا ولكن الاحلاف الصورية يجب أن تزول . (...) لقد غدت ايطاليا بعد احتلالها الاراضي الافريقية الجديدة دولة كبيرة مطلة على البحر الابيض أكثر من اي وقت مضى وهي لذلك من مصلحتها ان تعيش في كامل التفاهم والاتفاق خاصة مع دول البحر الابيض الكبرى اي فرنسا وانكلترا » .

(٤٥) — « كتاب اسود : دبيلوماسية ما قبل الحرب وفقا لوثائق المحفوظات الروسية نوفمبر ١٩١٠ — يوليو ١٩١٤ » مقدمة دينية مارشاند باريس (١٩٢٢) دون تاريخ مجلد ١ ص ١٦١ .

العثمانية سوى عمل عسكري حاسم في نقطه حيوية من الامبراطورية التركية . بيد ان اسفولسكي لم يكن يعلم او ربما قلل من أهمية الامر بوجود خطر نمساوي ضد أية مبادرة من هذا النوع .

ومنذ ٢٧ اكتوبر قام دي سان جوليانو بواسطة اشارنا بجس نبض فيانا مؤكدا احتمال « وقوع عمليات في بحرايجة وفي غيره » و « احتلال مؤقت لجزر » قد تقوم به ايطاليا « في حالة ظهور ان ذلك ضروريا للاستفادة منه في السلام ، وان اخطار التعقيدات الناتجة عن هذه الاحتلالات تكون اقل من تلك التي تنتج عن اطالة القتال » . وبين دي سان جوليانو بعد ذلك ان موضوع تطبيق المادة ٧ من الحلف (٤٦) قابل للمناقشة في هذا الظرف .

« بالنسبة للبند السابع من المحالفة الثلاثية ـ لاحظ دي سان جوليانو ـ يبدو لي ان تطبيقه على الحالة موضع الدراسة هو امر قابل للمناقشة وان الاحتلال المؤقت كعمل حربي لا علاقة لاهدافه بالجزر التي ستحتل وانه يتطلب اتفاق مسبق ويؤدي الى حدوث تعويضات ، وهو الامر الذي يبدو لي انه يطبق ليس على الاحتلال المؤقت في حد ذاته بل على المزايا التي في المسائل المرتبطة بالمناطق المحتلة مؤقتا قد يحققها احد الطرفين من الاحتلال . ومع هذا ممكن الاعتراف بضرورة الاتفاق فقط . وقد يمكن عندئذ

---

(٤٦) ــ البند السابع من المحالفة هكذا وضع :

« النمسا ــ المجر وايطاليا ترغبان في المحافظة على الوضع الاقليمي القائم في الشرق بقدر الامكان وتتعهدان ببذل نفوذهما لتجنب اي تعديل اقليمي من شانه ان يضر بطرف أو بالاخر من الدولتين الموقعتين على هذا الاتفاق . ومن أجل هذا الغرض تتبادل الدولتان جميع المعلومات الرامية الى تنويرهما حول استعداداتهما واستعدادات الدول الاخرى .

ومع هذا وفي حالة ان المحافظة على الوضع القائم في البلقان او على الشواطىء والجزر العثمانية على بحر الادرياتيك وبحرايجه يصبح نتيجة للاحداث مستحيلا وسواء نتج من عمل دولة ثالثة او ان النمسا ــ المجر تريان ضرورة تعديله وذلك بقيامهما باحتلال وقتي او دائم فان هذا الاحتلال لن يتم الا بعد الوصول الى اتفاق مسبق بين الدولتين يقوم على مبدا التعويضات المتبادلة من كل المزايا الاقليمية كانت أو من أي نوع آخر قد تتحصل عليها كل واحدة بالنسبة للوضع القائم الحالي مع ارضاء مصالح ومطالب الجهتين القائمة على اساس ثابت » . (انظر جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ١٣٩ ــ ١٣١)

التأكيد بان هذا الاتفاق المسبق قد تم حيث وافقنا على ابعاد شواطىء بحر يونيو وبحر الادرياتيك من عملياتنا واحتفظنا بحرية العمل في الباقي الذي وافقت عليه النمسا من جهتها » (٤٧) .

اما بالنسبة لفيانا فان البند السابع من الحلف الثلاثي بالعكس يعتبر بالنسبة لموضوع الدراسة تقييدي بصورة خاصة . وقد جس افارنا النبض كما طلب منه دي سان جوليانو لمعرفة راي أهرنتال الذي اخذ بدوره يتضايق . ففي يوم ٤ نوفمبر ابدى وزير الخارجية النمساوي في رسالة الى سفيره ببرلين استياءه بوضوح من جراء النوايا الايطالية التي قد تحدث « ارتباكا محسوسا على الحالة في البلقان » .

« نحن — لاحظ اهرنتال — وقفنا حتى الآن موقفا وديا تماما ازاء جهود ايطاليا من اجل توسيع دائرة قوتها والتفكير في مواصلة ذلك ، وان كان من السهل التدليل على أن قيام ايطاليا بالعملية الطرابلسية يتعارض مع روح ونص معاهدة الحلف لان هذا العمل يجب أن يعتبر كهزة الحقت بالامبراطورية العثمانية ، وهي مناقضة لسياسة الوضع القائم وذلك دون اشعارنا مسبقا بهذا المخطط .

غير أنه الآن اذا ارسل الاسطول الايطالي حقا الى بحر ايجه فاني مصمم على اعتبار اي عمل في تلك المياه يتعدى حدود مجرد الاستعراض أي انه يشمل مثلا احتلال بعض الجزر ولو بصورة مؤقتة وانه مناقض للبند السابع من معاهدة الحلف (٤٨) .

وقد قم افارد بدوره بابلاغ دي سان جوليانو بموقف فيانا المتصلب :

« ان اهرنتال يعارض كل عمل عسكري لنا خارج طرابلس وبرقة لانه يعتقد أنه قد لا يأتي بنتيجة اكراه تركيا ماديا على الصلح بل بالعكس قد يزيد

---

(٤٧) — A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 c, f. 643 — برقية دي سان جوليانو الى افارنا في ٢٧ اكتوبر ١٩١١ .

(٤٨) — الوثيقة في كتاب جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٤١ — ٢٣٩) .

من سخطها ويدفعها ربما الى طرد الرعايا الايطاليين وقد يزيد في طول مقاومتها مما يعرض حلفائنا لخطر كبير ويزيد من خطر تعقيدات دولية ويتضح لي ان وجهة نظر المانيا تطابق ولا تختلف عن ذلك (...) ويبدو أن ذلك ايضا هو رأي روسيا » (٤٩) .

واشارة افارنا الى روسيا تعكس قلق بطرسبرغ بالنسبة لاحتمال اغلاق تركيا للمضايق نتيجة لعمليات ايطالية بالدردنيل . وبتاريخ ٨ نوفمبر كلف تيراثوف سفيره باسطنبول بان يطمئن الحكومة التركية بخصوص جهود حكومة بطرسبرغ لايقاف ايطاليا بخصوص نواياها الهجومية ضد « مناطق مركزية اكثر حساسية بالامبراطورية العثمانية » (٥٠) . وهكذا فان روسيا ايضا التي لم تتخلف عن ابداء الدلائل الواضحة على عطفها وصداقتها لايطاليا قد اخذت في تغيير موقفها جزئيا عندما رات خطر المساس بمصالحها . وعندما هددت تركيا في ١٨ نوفمبر بصورة واضحة بغلق المضايق اذ صرحت انه في حالة قيام ايطاليا بعمليات عسكرية في البحر الاحمر وبحر ايجه فانها قد تتخذ « تدابير وقاية من شأنها أن تضر بالتجارة الدولية » (٥١) وقد تدخلت بطرسبرغ من جديد لدى اسطمبول وروما مطالبة باحترام مصالح الدول المحايدة (٥٢) .

وفي غداة مرسوم الانضمام وجدت ايطاليا في الواقع نفسها مكتوفة الايدي وفي زقاق اعمى . وتركيا بدلا من أن تتنازل كما كان من المؤمل فقد

---

(٤٩) — A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 d, f. 644 برقية من افارنا الى دي سان جوليانو بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩١١ .

(٥٠) — D.D.F., III, I, n. 54, pp. 56-57 بومبارد من ترابيا الى دي سلفس تاريخ ٨ نوفمبر ١٩٩١ .

(٥١) — المصدر المذكور ارقام ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٨ وصفحات ١٣٠ وما يتبعها .

(٥٢) — المصدر المذكور رقم ١٩٥ ص ١٨٠ — ١٧٨ . « مذكرة » السفير الروسي بباريس الى وزير الخارجية الفرنسي تاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩١١ . ان ايطاليا — كتبت صحيفة (روما) بتاريخ ١٥ فبراير ١٩١٢ لم تكن تنتظر من الدول ان تجد لها السلام بل ان تدعها تقوم بالحرب .

زادت من تصلبها في حين ان الحكومة الايطالية لم تعد بعد في امكانها قبول حلول تبيح للباب العالي بسيادة ولو اسمية (٥٣) . فالمخرج الوحيد الذي هو كسب الحرب غير ان المقاومة غير المتوقعة التي واجهتها ايطاليا في ليبيا ووقوف الدول الكبرى ضد أي هجوم عسكري مفاجيء خارج افريقيا من شأنه ان يضعف تركيا قد جعلت من المستحيل حل الصراع بصورة اساسية . فقد كان مما لا بد منه ان يدخل الآن العمل الديبلوماسي والحرب نفسها في جو متعب خال من اية توقعات ملموسة في حين أن احداثا جديدة جاءت لتزيد الحالة الدولية الغير واضحة التي كانت ايطاليا تجد فيها نفسها لتزيدها تعقيدا .

ففي ٣٠ نوفمبر ١٩١١ اعفي من منصبه الجنرال النمساوي الهنغاري فرانس كونراد فون هوتزندورف رئيس أركان حرب الجيش . وقد احدث هذا الامر سرورا بايطاليا لان الجنرال كونراد كان مشهورا بعدائه لايطاليا واعتقد انه في هذا الحادث نصر شخصي لاهرنتال وتعزيزا للصداقة الايطالية النمساوية .

غير أن أسباب اعفاء كونراد الحقيقية لم تعرف في ايطاليا الا فيما بعد فقط عندما نشرت الوثائق الديبلوماسية النمساوية ، وفي الواقع ان الحادث لم يكن يعني تعزيز الصداقة بين روما وفيانا الا في جزء منه وانه بالفعل قد ازاح الستار عن حالة نفسية كانت منتشرة جدا في النمسا وكانت ترمي الى المطالبة بامكانية استغلال الحرب الليبية لمهاجمة ايطاليا .

وقد كرس كونراد للموضوع مذكرتين اكد في الاولى (٢٤ سبتمبر ١٩١١) بعد أن لوح بنوايا ايطاليا في احتلال الاراضي النمساوية الناطقة بالايطالية بضرورة استغلال الازمة الطرابلسية لتصفية الحساب مع ايطاليا نفسها

---

(٥٣) ـــ لاحظ امارنا في برقية بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩١١ الى دي سان جوليانو :
« لا شك ان ضم طرابلس مناسب جدا من الناحية المعنوية لوضع حد لحملة التخويف القائمة في الخارج ضدنا وللتدليل بصورة رسمية على قرارنا الذي لا يتزعزع بعدم قبول حلول اخرى بيد انه يبدو حتى الآن ان الحالة الواقعية لاحتلالنا لطرابلس وبرقة لا تبرر ذلك » A.S. MAE المذكور)

وللقضاء لمدة طويلة على المصالح الايطالية حول الاراضي الايطاليـة بالمملكـة (النمساوية المجريــة) والسيطــرة على بحــر الادرياتيــك والنفــوذ بالبلقــان » (٥٤) .

واكد كونراد بعبارات أكثر دقة في مذكرتــه الثانية بتاريــخ ١٥ نوفمبر مستندا على تأييد الارشيدوق فرنسوا فرديناند فكرته في انتهــاز ضعف ايطاليا المؤقت مؤكدا بوضوح « ان حربا ضد ايطاليا تفرضها الظروف » وان ذلك « هو الوقت الاكثر مناسبة » (٥٥) وكان كونراد في الواقع كما ظهر قليل الاقدام على العمل في أوانه . فلم تكن أراؤه في تلك الفترة تحظى بامكانيات كثيرة للنجاح لدى الامبراطور الذي أشتد قلقه فأقاله يوم ٣٠ نوفمبر من منصبه كرئيس لاركان الحرب . وقد ساعد تأثير اهرنتال المعتدل كثيرا في

---

(٥٤) ــ O.U.A., III, n° 2644 pp. 346-348 نشر ايضا في كتاب جواكينو فولبي المذكــور ص ٢٤٢ . بخصــوص كونــراد راجــع ايضـــا فرانــس كــونراد فــون هــوتزنــدورف Aus Meiner Dienstzeit (١٩١٨ ــ ١٩٠٦) فيانا ١٩٢٢ ــ ١٩٢١ المجلد الثالث

(٥٥) ــ فرانس كونراد ــ المصدر المذكور مجلد ٢ ص ٤٤ ــ ٢٤٢ . ان محاولة النمسا لايطاليا ــ حسب وجهة نظر كونراد قد تاتي بالفوائد التاليــة :

(١) ابادة عدو يهاجم المملكة من وراء ظهرها في اية مضاعفات اخرى .
(٢) حرية العمل التي تعود علينا نتيجة لذلك وبصورة خاصة تجاه روسيا في البلقان .
(٣) تقليم اظافر عدو يتبع غايات عدائية ايجابية تجاه المملكة (...) .
(٤) اعادة الاستيلاء على مقاطعة فنيتو ذات الاهمية الرئيسية للسيطرة على الادرياتيك وتامين سلامة اراضي المملكــة .
(٥) أو على الاقل التنازل عن اراضي حتى نهر تاليامنتو وايضا اراضي كارنيا وكادورك (...) بالاضافة الى تعديل واسع لصالح المملكة في الحدود الاخرى السيء وضعها الآن .
(٦) ابادة الاسطول أو احتمال التنازل عنــه .
(٧) تقاضي تعويضات كبيرة أو مساهمات حــرب .
(٨) زيادة نفوذ وبالتالي اهمية المملكة السياسيــة .
(٩) وفي النهاية رفع روح الجيش المعنوية المستاء بكل تاكيد من سياســة المساومــات المستمرة والتردد والتنــازلات .

فانا اعتبر اذن ان حربا ضد ايطاليا تفرضها الظروف والوقت الحالي هو الاكثــر مناسبة فيما يخص هذا الحادث انظر ايضا لويجي البرتيني ، المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ٤٨ ــ ١٤٣ .

اتخاذ الامبراطور لقراره وقد قلل في تقرير له بتاريخ ٢٢ اكتوبر بصورة ملحوظة من احتمال خطر الايطاليين مؤكدا أن الحرب الليبية « ستشغل ايطاليا لمدة طويلة » عن محاولات قد تتخذ « صبغة التهديد » بالنسبة للنمسا » (٥٦) . بيد أن اعفاء كونراد كان نجاحا ايطاليا جزئيا . فقد شرع اهرنتال يطالب ايطاليا بالفعل بسياسة اكثر تماسك بالحلف الثلاثي وترك سياسة « دورات الفالس » وسياسة « ارضاء الجميع » (٥٧) .

وقد وقفت الصحافة والراي العام النمساوي بصورة علنية مع كونراد ضد اهرنتال وغذت بذلك جدلا شديدا ضد ايطاليا . وقد القى الملحق العسكري في فيانا البريتشي الضوء على هذا الاتجاه المعادي لا للصحافة وحدها ، وانما لحكومة النمسا نفسها التي كانت الصحافة تحت أوجه كثيرة عبارة عن فيض منها وذلك في رسالة له موجهة الى بروساتني بتاريخ ١٩ مايو ١٩١٢ (٥٨) .

« قليل من الصحف المعتدلة تتخذ سلوكا متزنا وفي بعض الاحيان وديا ايضا . اما البقية فهي معادية على طول الخط . والجمهور كله تقريبا اسوأ من كونه معاديا . وهو يتحفظ قليلا حياء بسبب المحالفة وبسبب الدين ولانه يدرك في النهاية أن لا يجوز في القرن العشرين الوقوف صراحة الى جانب الهمجية . لا اود ان أتحدث عن العسكريين ويكفي الاطلاع على صحف « دانزرس » Dunzeris » وميلتار زايتونغ » Militär Zeitung وامثالها (...) .

يجب علينا ان لا نغتر بهؤلاء الناس . انهم لن يهاجموننا عن قصد بكل

---

(٥٦) ــ O.U.A., III, n° 2809, pp. 446-70 نقله جواكينو نولبي في المصدر المذكور ص ٤٥ ــ ٢٤٤ .

(٥٧) ــ هكذا جاء في برقية بعث بها اهرنتال الى فون ميري في ١٩ ديسمبر ١٩١١ ، O.U.A., III, n° 3139, pp. 701-703 وقد نقله جواكينو نولبي في كتابه المذكور ص ٤٦ ــ ٢٤٥ .

(٥٨) ــ كتب البرتيشي قائلا : « (...) لا يوجد هنا راي عام ويفكرون بمثل ما تفكر به صحيفة الحزب والمجموعة والطبقة المنتمي اليها الفرد ، (...) الحكومة تتصرف في الصحافة كما تريد والى حيث تريد » (A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI.2.34, n° 63)

تأكيد ففي عهد الجنرال كونراد كانت هناك مبالغات وتأويلات كثيرة غير صحيحة . فأنا لست من أولئك الذين فكروا أن كونراد كان يريد محاربتنا فهنا يفكرون أننا نحن الذين سنحاربهم . غير انه لا يوجد بالنسبة لنا ولطامحنا اي عطف ولو من بعيد ، ففي كل مرة يستطيعون ايذاءنا بشرف دون ارباك هدوئهم فانهم سيفعلون » (٥٩) .

ولكن يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار عامل آخر في سياسة النمسا الخارجية. فالزحف على سلانيك لا يزال برنامجا قائما بل يبدو ان الحرب الايطالية ـ التركية قد فتحت أمام النمسا امكانية تعجيل الزمن بالنسبة لعمل حاسم في البلقان . وبالرغم من التوصيات التي كانت تبديها النمسا الى ايطاليا كي لا تتسبب في احداث من شأنها أن تعرض للخطر الوضع القائم بشبه الجزيرة الا انها كانت تعمل لتمهد الطريق لهجوم مفاجىء . فمنذ نهاية عام ١٩١١ لوحظت بوضوح نشاطات العملاء النمساويين في البلقان والاتصالات ما بين المفوضية النمساوية في صوفيا واللجنة الثورية المقدونية . (٦٠) وعلى كل مثلما لاحظ رئيس المفوضية الايطالية بصوفيا بوزداري فانه بالرغم من الهدوء الظاهر في بلاد البلقان وسيطرة العثمانيين عليها الا ان الخطر الحقيقي كان يأتي من فينا .

« فيما وراء الدانوب ـ كتب بوزداري ـ يوجد كلب اكثر ضخامة يحدث صوته احيانا صدى مخيفا . ان الشك في النمسا بكل تاكيد لم يكن حسب ظني أبدا بخطورة الوقت الحاضر » .

ويتصور بوزداري أن الحالة دقيقة بالنسبة لايطاليا بصورة خاصة لانها بانشغالها في طرابلس قد تجد نفسها غير قادرة على فرض ثقلها في حالة

---

(٥٩) ـ المصدر المذكور .

(٦٠) ـ هكذا كتب بوزداري في رسالة الى دي سان جوليانو من صوفيا بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩١١ موجود في (A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 f f. 646)

انفتاح الازمة البلقانية . ومن هنا تاتي ضرورة انهاء المشكلة الليبية في أسرع وقت حتى ولو قدمت في سبيـــل ذلك بعض التضحيـــات والتنـــازلات . والاعتبارات النهائية لبوزداري واضحة كل الوضوح :

« ان الحرب الايطالية التركية لم تعدل مطلقا قوة وضعف تركيا السياسي والعسكري من جهة ومقدونيا والبانيا والدول البلقانية من جهة اخرى بيد انها قد بعثت في النمسا الرغبة والنية في سلوك سياسة اكثر اقدامـــا وايجابية . وانه من المستحيل توقع حدودها ووزنها هنـــا غير أنه على ايطاليا أن تحسب حسابها . ربما حتى اذا لم نقدر قد يكون من المناسب لنا ان نحاول مقاومة تطور الامور الطبيعية . اما اذا تحركت الامور نحو تنظيـم نهائي لهذه المناطق المضطربة فمن الواضح ان على ايطاليا أن تشترك في ذلك . ومن الواضح ايضا أن اشتراكها سيكون احسن في تلك الحدود أيـــا كانت والتي ستبدو مفيدة وممكنة اذا كانت قد انهت الحرب مع تركيا . كل هذا يزيد من رغبتي في السلام حتى مقابل تنازل هام واني لاخشى أن الراي العام الايطالي وقد سحرته الحرب لا يعرف ولا يشعر بأخطار استمرارها بصورة لا نهاية لها تلك الاخطار التي قد تتحقق بسهولـــة في الاتجاهـــات الحالية ومخططات العمل » (٦١) .

فاعتبارات بوزداري هذه ترمي الى التدليل بخطورة الحالة التي توجد فيها ايطاليا باستمرار الحرب الايطالية التركية وهو وضع يتركها مؤقتا خارج اللعبة الضخمة الهامة التي تدور حول البلقان . عزلة ايطاليا ثم ازدياد هذه العزلة بسبب عداء الدول الكبرى الواضح والذي يكاد يكون علنـــا بسبب مختلف الاسباب المتناقضة،وقد أخذت هذه الدول تتودد الى اسطنبول وتستعمل لهجة « من شانها أن تخلق في تركيا الوهم بان امتداد المقاومة « قد ينهك ايطاليا ويجعلها تتساهل في مسالة السيادة التامة والكاملة على طرابلس

---

(٦١) ـــ المصدر المذكـــور .

وبرقـــة (٦٢) وكانت نفس محاولات الحلول السلمية التي قامت بها الدول قد وضعت بشروط لا تخدش الحساسية العثمانية (٦٣) .

وقد كان البارون مارشال سفير المانيا باسطنبول أبرز القائميـــن بهذه السياسة ذات الجبهتين الذي بذل نفوذه على وزارة الخارجية العثمانية ليبرهن « صراحة وبلهجة حادة » عن عدائه لاية وساطة تقوم بها الدول (٦٤)

---

(٦٢) ـ هكذا كتب دي سان جوليانو في برقية بتاريخ اول ديسمبر ١٩١١ الى السفـــارات الايطالية في برلين ولندن وباريس وبطرسبورغ وفيانا (المصدر المذكور A.S. MAE) ـ لقد غضب دي سان جوليانو كثيرا من قلة ولاء الدول : « انها على خطا عظيم ـ اضاف في برقيته المذكورة ـ فالامة الايطالية مجمعة علىهذه النقطة التيتفوق اهميتها مسالة طرابلس في حد ذاتها لان الامة الايطالية تدرك أن كل مستقبلها ومركزها الدولي يتوقفان على تجربة الصلابة المطلوب منها تقديمها وعلى النجاح الكامل في هذه النقطة الحيويـــة : فمـــن الضروري ان تركيا واوروبا باجمعها تقتنع باننا لن نتساهل ابدا وباي ثمن في هذه النقطة مهما كانت العواقب » . واضاف فيما بعد بالنسبة للسفير تيتوني فقط : « اضيف طالبا التاكيد ان باريير Barrere * قد قال لحكومته وحكومته ابلغت بومبارد Bompard *بان ايطاليا مثلما فعلت عام ١٨٩٦ سينتهي بها الامر الى الكلل والتنازل ولو جزئيا عن موضوع السيادة . فاذا باريير قال ذلك فانه انخدع بدون شك عن حسن نية واترك الامر لسعادتكم في اختيار وسيلة ازالة هذا الانطباع الخاطىء والخطيـــر . »

(٦٣) ـ كتب اتوسطوتوري في هذا الخصوص : « والاكثر من هذا أن تركيا كانت تعلم جيدا ان اية محاولةمن جانب ايطاليا لتوجيه ضربة قاتلة اليها سوف تواجه مقاومة ومعارضة اوروبا التي اختلفت في جميع المسائل دوما وقد وجدت من جديد الآن الاجماع في ادانة العمل الايطالي . والاسباب كانت مختلفة فمنهم من كان قلقا بسبب التاثيرات على الشعوب الاسلامية في المستعمرات ومن كان مشغولا بمصالحه التجارية والدينية وايضا السياسية في تركيا ومن كان لا يريد اتجاه العطف التركي لصالح مجموعة أو دول معادية ومن ربما كان يحرص على مركزه الشخصي المكتسب في اسطمبول كسفير فكل واحـــد اذن يكيف سلوكه مع هذه الاسباب المختلفة ويهتم بها اكثر من اهتمامه بتوطيد السلام » (أوتوسطو توري ـ « راسينيا » اسباب الحرب العالمية « منشور في « المجلة التاريخية الجديدة » نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٣٠ ص ٥٧٦) .

(٦٤) ـ هكذا كتب دي سان جوليانو الى بانسا في ٢٤ فبراير ١٩١٢
(A.S. MAE, Segr. gen. n° 47 pos. 17 g. f. 647)
وقد كتب اريقوسولمي Arrigo Solmi : لا احد من الفريقين المتعارضين انكلتـرا .

وان الامر كان بديهيا حيث ان المانيا كانت تشير الى ان التشدد التركي كـاد يكون اكبر عقبة في سبيل حل سلمي في حين أن السفير الالماني لـدى الباب العالي نفسه كان يغذي هذا التشدد . فكان الامر عبارة عن « حلقة مفرغـة » كما لاحظ دي سان جوليانو وهي احدى الحلقات المفرغة الكثيرة التي كانت تحول دون ايجاد مخرج من هذه الحرب الغريبـة .

وفيما يتعلق بفرنسا وانكلترا يجب الاشارة الى انه بذلت محاولـة في فترة الحرب الليبية ذاتها من أجل الوصول الى اتفاق ثلاثي مع ايطاليا حول تفاهم بخصوص البحر الابيض المتوسط . وكان اكبر المحرضين على امكانية هذا الوفاق سفيري فرنسا وانكلترا بروما ، بأرير ورود اللذين انتهزا ربـما فرص القلق الايطالي تجاه حلفاء الثلاثية (٦٥) وهذا الوفـاق كـان هـدفـه المحافظة على الوضع القائم بالبحر الابيض المتوسط جميعه وكان يجب أن يعدل قبل كل شيء قواعد السياسة الخارجية الايطالية واجبـار ايطاليا على « الخيار بين دول الوفاق وحلفائها » (٦٦) مع الاخذ بعين الاعتبـار الخطر بان الحلف الثلاثي باحتلال ايطاليا لليبيا قد يمكنه بسط نفوذه على البحر الابيض المتوسط بصورة خطيرة . ولكن غراي وزير الخارجية خنق هذه المباحثات في مهدها باعتبارها مستحيلة بالنظر الى موقف الراي العام

وفرنسا من جهة والمانيا والنمسا من الجهة الاخرى كان ينوي القيام بضغط فعال على الحكومة التركية لان كل منهما كان يخشى ان عمله الذي قد يسبب بالضرورة مضايقة قد تعود الى صالح الخصم « (اريتوسولي ، الحرب الليبيـة والدوديكانيز في وثائـق الديبلوماسية السرية الروسية » موجودة في « بوليتيكا » بتاريـخ ٣١ مارس ١٩٢٤ المجلد الثامن عشر ص ١٩٩) .

* سفير فرنسا بروما في تلك الفترة (المعـرب) .

* سفير فرنسا بتركيا في تلك الفترة (المعـرب) .

(٦٥) — راجع فيما يتعلق بهذه المحاولات كتاب جانلوكا اندريا Gianluca André ايطاليا والبحر الابيض المتوسط عشية الحرب العالمية الاولى . محاولات الوفاق التوسطـي (١٩١٤ — ١٩١١) ميلانو ١٩٦٧ ص ١٠٩٤ .

(٦٦) — هكذا كتب بارير الى دي سيلفي في يوم ٢٥ اكتوبر ١٩١١ — راجع جانلوكا اندريا (المصدر المذكـور ص ٢٠) .

البريطاني المعادي لايطاليا (٦٧) وان المحاولات التي بذلها باريير وخاصة رود تاكد ان الود الذي كانت تبديه فرنسا وانكلترا عشية الحرب كـان يغـذيـه بصورة رئيسية غرض تخليص ايطاليا اكثر فاكثر من الحلف الثلاثي . بيـد انه كانت هناك في تلك الفترة ثلاثة عوامل حالت دون تحقيق المشروع ولو بصورة جزئية . فكان هناك قبل كل شيء عداء الصحافة البريطانيـة الـذي كان يحول دون الحكومة البريطانية واتخاذ خطوات ودية مع روما ثم عـداء الحكومة الفرنسية بعد تولي بوانكريه للحكم واخيرا اقتناع دولتي الـوفاق بعدم وجود خلافات كبيرة بين ايطاليا والنمسا . فلـو أن لنـدن وبـاريس كانتا على علم بالعقبات التي كانت تضعها النمسا امام كل حركة ايطـاليـة لاتخذتا بدون شك خطوات اكثر حزما لدى وزارة الخارجية الايطالية .

ففي تلك الفترة لم تكن هناك سوى روسيا وحدها قادرة على تاييد المطالب الايطالية وتقديم العون الديبلوماسي لروما ، غير ان فعالية هذا العون كـانت لا تستطيع تغيير الوضع مع الاخذ بعين الاعتبار العلاقات غير الطيبة القائمة بين بطرسبرغ واسطنبول . فمصالح الروس غير الخافية في المضايق لا يمكنها الا ان تثير اخطر شكوك الباب العالي . ومع ذلك فان المبادرة الاكثر موضوعية لحل المشكلة الليبية جاءت من بطرسبـرغ . ففي الخامـس والعشرين من ديسمبر قام سازونوف وزير خارجية روسيا بخطوة لدى مختلف الحكومات الاوروبية لبذل عمل موحد من أجل حمل تركيا على قبول الهدنة . وحسب ما جاء في اقتراح سازونوف الذي ابلغه الى ايطاليا يوم ٢ يناير ١٩١٢ فان الدول بادراكها ان من مصلحة أوروبا عقد الصلح بين تركيا وايطاليا قد تقوم « بخطوة لدى اسطمبول لاقناع تركيا « بـان خسارة ولايتها التي احتلتها ايطاليا ، كانت ، امرا لا مناص منه لحملها على قبـول هدنة توازي ايقاف القتال الفعلي » . وان هذه الهدنة قد تمتد حتى يظهر

---

(٦٧) — حسبما يقول غراي انه في نهاية الحرب الايطاليـة — التركيـة فقط كـان فـي الامكان الوصول الى اتفاق مع ايطاليا (المصدر المذكور ص ٣١)

« احتمال عقد صلح نهائي » واذا ما اتفقت الدول على هذه المقترحات فان فرنسا قد تتكلم باسم « جميع الآخريــات » (٦٨) وان فرنسا قد تشترط فيما بعد منح قرض لتركيا عند ابرام الصلح مع ايطاليا (٦٩) .

ولكن الاقتراح لم يجد قبولا كبيرا لدى الحكومات الاوروبية وقد عارضه بصورة خاصة السفير الفرنسي لدى اسطمبول بومبارد مـــؤكدا ان الـــدور المطلوب من فرنسا القيام به دور بغيض بصورة خاصة وقد يثير العداء العثماني ضد المبادرات الاقتصادية الفرنسية في الامبراطورية العثمانية وذلك لصالح المانيـــا (٧٠) . وذكر جوليتي أن موقف غراي كان « مترددا وحائرا » (٧١) . اما النمسا والمانيا بالرغم من معارضة سفيريهما باسطمبول الشديدة فقد اعلنتا عن استعدادهما للتباحث وفيما يتعلق بايطاليا فقد وضع دي سان جوليانو شرطا مسبقا بسحب القوات التركية من طرابلس وبرقة » وان توقفنا عن العمليات العسكرية ــ كتب وزير الخارجية الى السفيــر الايطالي ببطرسبرغ ــ دون سحب الجنود والضباط الاتراك قد يكون كلـــه ضارا بنا » وان الوسيلة المقترحة من سازونوف بربط اخلاء القوات التركية بتعويض نقدي غير مقبول من ايطاليا « لاسباب كرامة واضحة ومصالح سياسية وعسكرية » (٧٢) .

---

(٦٨) A.S. MAE, Segr. gen. pa. 43, pos. 17 FF. 646 برقية دي سان جوليانو الى السفارات الايطالية ببرلين ولندن وباريس وبطرسبرغ وفيانا . فيما يخص اقتراح سازونوف راجع اريتوسولي المصدر المذكور ص ٢٠٤ ــ ٢٠٣ .

(٦٩) ــ راجــع D.D.F., 111, I, nn. 399, 407, pp. 405-507, 418- 418

(٧٠) المصدر المذكور رقم ٤٣٦ ص ٤٨ ــ ٤٤٤ . كتب بومبارد الى باريس يوم ٥ يناير ١٩١٢ :
« انه من الواضح انه بقيامنا بعملية الضغط البغيضة على تركيا لسلبها ولاياتها الافريقية فاننا سنجلب على مواطنينا ومؤسساتنا في الامبراطورية العثمانية غضب السلطات من كل درجة ونظام وان الضرر الذي سيلحق بمصالح فرنسا سيكون بدرجة تتطلب زمنا طويلا لتلافيه . بل بالعكس ستخلص المانيا من حرج خطير جدا لانها بوضع نفسها في موقف من اشد المواقف احراجا ما بين الحليفة والصديقة لم تفلــح حتى الآن سوى في اغضـــاب الطرفيـــن .

(٧١) ــ جوفاني جوليتي ــ المصدر المذكور ص ٢٤٥ .

(٧٢) ــ A.S. MAE, البرقية المذكورة المؤرخة في ٤ يناير ١٩١٢ .

واتخذ دي سان جوليانو موقفا اكثر حزما في برقيته الموجهة الى بانسا يوم ١١ يناير . وقد ظلت دائما النقطة الثابتة بالنسبة لايطاليا السيادة الكاملة والمطلقة على الاراضي الافريقية :

« من العبث التكرار باننا لن نقبل ابدا المفاوضات والصلح على اساس يختلف عما جاء في مرسوم ٥ نوفمبر مهما كانت العواقب وهذا لا يحول دون عقد اتفاقيات ذات صبغة دينية ومزايا اخرى لتركيا لان من مصلحتنا المحافظة على نفوذ وقوة تركيا في اوروبا . ان الهدنة دون الجلاء مستحيلة ولا يمكننا قبولها » (٧٣) .

وقد قضى على وساطة سازونوف في مهدها لان الدول بصورة خاصة التي كان من المفروض ان تقوم بالوساطة قد خلقت لدى الباب العالي بسبب التنافس والغيرة والمصالح الاعتقاد أن ايطاليا سوف تتساهل عاجلا أم آجلا (٧٤) . فمن مارشال الى بومبارد ونفس السفير الروسي باسطمبول تشاريكوف قد قاطعوا علنا الوساطة (٧٥) .

وقد ساهم ايضا في فشل المبادرة الروسية بعض « عدم اهتمام الدول » (٧٦) وخوف النمسا من « أن يعود فضل النجاح المحتمل للمفاوضات الى روسيا بدلا من حليفات ايطاليا » (٧٧) .

---

(٧٣)ـ المصدر المذكور .

(٧٤) ـ في ١٣ يناير عاد دي سان جوليانو الى الشكوى الى بانسا من سلوك مارشال :
« يبدو لنا بصورة مطلقة ان احدى العقبات الاكثر خطرا ضد السلام هي اقتناع مارشال ان ايطاليا سينتهي بها الامر الى التساهل في موضوع الضم . فان كل نشاط شخصي في اسطنبول مستوحى من هذا الاعتقاد الخاطىء وربما ينقل ذلك ويؤكده للاتراك دون ارادته . واني اترك لوطنية سعادتكم بذل المساعي باستغلال فرصة مجيئه بطرفكم لتبديد اوهامه وجعل حكومته تصدر اليه أوامر قاطعة » (المصدر المذكور) .

(٧٥) ـ ابرق دي سان جوليانو الى السفارات الايطالية بباريس وبطرسبرغ يوم ٨ فبراير ١٩١٢ « قد أكدوا لنا ان السفير الروسي باسطمبول الذي قام هناك دوما بسياسة موالية لتركيا يعارض اقتراح حكومته ويعتبره صراحة غير مناسب وانه أمام تركيا يعبر بطريقة اكثر صراحة (n° 43, pos. 17 g., f. 647 A.S., MAE, Segr. gen,).

(٧٦) ـ A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 f, f. 646 برقية دي سان جوليانو الى امبريالي بتاريخ ١٧ يناير ١٩١٢ .

ومما زاد الحالة المرتبكة اصلا تعقيدا انفجار الخلاف الفرنسي الايطالي في يناير ١٩١٢ بخصوص موضوع الباخرتين « قرطاج » و « منوبة » (٧٨) وبصرف النظر عن الحادث في حد ذاته الذي وصفه جوليتي لعدم أهميته بان « قضية محكمة أولية » (٧٩) فانه دل على ان استعداد فرنسا الطيب نحو ايطاليا اخذ يتدهور بسرعة منذ ان تشكلت الحكومة الجديدة برئاسة رايموند بوانكاريه ذات الطابع الوطني الواضح .

وكان اوضح دليل على اتجاه السياسة الخارجية الفرنسية الجديد هذا الخطاب الذي القاه بوانكاريه امام مجلس النواب يوم ٢٢ يناير والذي رفض فيه رفضا باتا اقتراح جوليتي باحالة الخلاف الى محكمة لاهاي (٨٠) ، واكد بالعكس ان العلاقات بين البلدين لن تعود كعلاقات طيبة الا بعد « تسليم

---

(٧٧) — المصدر المذكور ، برقية دي سان جوليانو الى امارنا بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٢ .

(٧٨) — اوقفت البارجة الايطالية « اتوردات » في ١٦ يناير ١٩١٢ في جنوب سردينيا الباخرة الفرنسية قرطاج وقد عثر على ظهرها على طائرة صودرت وارسلت الى كالياري . وقد اعتبر الموضوع منتهيا بعد تاكيدات رسمية بانه لا الطائرة ولا الطيار قد يعملان في خدمة الاتراك . بيد انه بعد يومين اي في ١٨ يناير اوقفت نفس البارجة اتوردات باخرة فرنسية اخرى « منوبة » وقد كان على ظهرها ٢٩ ضابطا وجنديا تركيا ابحروا من مرسيليا في طريقهم الى تونس . ومما زاد في خطورة الحادث ان بوانكاريه على اثر قيام تيتوني بابلاغه بوجود الاتراك على ظهر الباخرة مختفين في ثياب رجال الصحة ، قد اكد بالقيام بتحقيق دقيق لمعرفة هوية الركاب بمجرد وصول الباخرة الى تونس في حين ان البحرية الايطالية وكانت بدون تعليمات مناسبة ولا تعلم شيئا عن تاكيدات الحكومة الفرنسية قد باشرت بايقاف « منوبة » (راجع فيما يتعلق بهذا الحادث لويجي البرتيني المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ٥٩ — ١٥٨) .

(٧٩) — جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٤٧ .

(٨٠) — بوانكاريه — كتب اوتوسطو توري — الذي اعتلى رئاسة الحكومة منذ ايام قليلة قد جاء على اثر بعث الشعور الوطني الذي تحقق في فرنسا بعد ازمة اغادير : ومن اجل هذا الوضع وبسبب مشاعره الخاصة كان ميالا الى المبالغة في اي حادث يشتم منه ولو على اقصى بعد المساس بالشرف الفرنسي وتجنب اي اتهام بالضعف مهما كان بعيدا . ولذلك فقد تصلب في الحال في موقف مقاومة متطرفة وترك المسالة تنتقل الى مجلس الامة بالرغم من ان الحكومة الايطالية ابدت استعدادها لحل ودي ومشرف للطرفين » (اوتوسطو توري المصدر المذكور ص ٥٨٠) . فيما يختص باهداف سياسة بوانكاريه

الركاب » الاتراك الذين كانوا على ظهور « منوبة » وقد اوقفتهم السلطات الايطالية . وقد اعتلى رئيس الوزراء الفرنسي في تلك المناسبة كما كتب فولبي « صهوة أكثر جياد المعركة هياجا واقتحم الميدان مسلحا وقذف بعيدا كل اعتبار دولي من اجل ارضاء مزاج امته » (٨١) . وكتب نيتي ذاكرا الحادث وموقف بوانكاريه الصارم فقال بدوره :

« لم يجرأ بوانكاريه من خلال وطنيته المثيرة ان يهاجم المانيا مباشرة لان الامر لا يخلو من مخاطر ولكنه سعيا وراء عمل ذى اثر بالغ يوطد مركزه فقد ظن انه من الاسهل مهاجمة ايطاليا مستغلا الفرصة التي كانت تبدو له ملائمة وليست على قدر كبير من الخطورة ... اذلال ايطاليا دون اخطار ربما بدت أمام بوانكاريه كفرصة ملائمة يجب انتهازها » (٨٢) .

وقد وجد خطاب وموقف بوانكاريه الحازم تاييدا لدى الصحافة والرأي العام الفرنسي الى درجة جعلت تيتوني يصيح قائلا بان الصحافة الفرنسية

الخارجية واقتناعه بحتمية الحرب مع المانيا وضرورة تحسين الاستعدادات العسكرية الفرنسية وعدم جدوى القيام بسياسة وفاق مع ايطاليا التي قد تبدو علامة ضعف وذلك على نقيض باربر الذي كان يرى في ذلك فساد كل عمله ، انظر جانلوكا اندريه المصدر المذكور ص ٢٤ — ٢١ .

(٨١) — جواكينو فولبي « عملية طرابلس » المصدر المذكور ص ١١١ .

(٨٢) — فرانشسكو سافريو نيتي المصدر المذكور مجلد ٤ ص ٦١ — ٢٦٠ — وقد كتب جورج سوريل عن حادث الباخرتين « قرطاج » و « منوبة » بعد بضعة سنوات : يجب ان نذكر المزاج السيء الذي اظهره سياسة فرنسا وبريطانيا عندما استعدت ايطاليا لاحتلال ليبيا — فان الاستيلاء على الشواطىء الواقعة ما بين مصر وتونس يساهم بقوة في تحرير البحر الابيض من الهيمنة الفرنسية البريطانية . بل ان الحكومة الفرنسية ابت اكثر من الغضب عندما قامت طرادات ايطالية بالتصدي وايقاف بواخر فرنسية تنقل اشياء كثيرة الشبه بمهربات الحرب . وان اولئك الذين يزعمون عندنا بانهم اعز أصدقاء ايطاليا لم يكونوا اقل حماسا في المطالبة لفرنسا بحق على ما يسمونه : « البحيرة الفرنسية » للبحر الابيض المتوسط . قد يكونوا اصدقاء لايطاليا على شرط ان يكون ذلك قريبا من الوضع الذي وجدت فيه اسبانيا نفسها بعد « اتفاق العائلة » (جورج سوريس (Georges Sores) « اوروبا تحت العاصفة » ميلانو ١٩٤١ — ص ١٧ — ١٦)

« قد استنفذت قاموس الاستهانة » (٨٣) وبدأ في بعض الاوقات ان الموضوع اخذ اتجاها سيئا : فقد وصل الامر بايطاليا الى الخوف من هجوم فرنسي وكتبت صحيفة « فيقارو » انهم كانوا على قيد خطوة من الحرب (٨٤) . واخيرا أمكن الوصول الى اتفاق ترك بموجبه للسلطات الفرنسية مهمة تدقيق هوية ركاب « منوبة » واعترف بانتمائهم لفريق الصحة وانتهى الحادث . ولم ترغب الحكومة الايطالية في الشد كثيرا على الوتر في وقت دقيق بيد ان الموقف الفرنسي ترك في البلاد شعورا بالدهشة والمرارة (٨٥) .

وقد امكن خلق جو اقل توترا بين البلدين بفضل مسعى بارير المعتدل بصورة خاصة الذي وان كان يتعارض مع تعليمات حكومته فقد طرح بصراحة مشكلة احترام اتفاقيات ١٩٠٢ من قبل فرنسا (٨٦) غير ان مما ساعد على تحسين العلاقات الفرنسية الايطالية حدوث تغيير في موقف الصحافة الفرنسية التي بعد حملتها في الايام الاولى التالية لحادث « قرطاج » و « منوبة » قد غيرت اتجاهها على ما يبدو نتيجة لتدخل اسفولسكي سفير روسيا بباريس وصديق كبير للسفير الايطالي تيتوني . وحسب شهادة نيتي

---

(٨٣) — جواكينو فولبي ، المصدر المذكور ص ١١٢ ، رسالة من باريس بتاريخ ٢٦ يناير ١٩١٢ .

(٨٤) — هكذا ذكر نيتي تلك الايام : « كنت وزيرا للتجارة في حكومة جوليتي وكان وزيرا الخارجية دي سان جوليانو والبحرية ليوناردي كاثوليكا من اصدقائي الحميمين . وقد نبهاني الاثنان بان كل شيء قد أعد لرد اية امكانية هجومية لفرنسا وظلت السفن الحربية في لاسبيسيا ليلتين نيرانها متقدة . وقد اتخذ زميلي وزير الحربية سبينقاردي ايضا جميع التدابير المناسبة على حدود الالب (فرنشسكو سافير يونيتي . المصدر المذكور ص ٢٦٠ .

(٨٥) — كتب فولبي : « لقد تكدر أصدقاء فرنسا في ايطاليا وتكدر من بين الفرنسيين بارير الذي ذكر حكومته بان ايطاليا أوفت ـ نـجهتها بتعهدات ١٩٠٢ وعبر عن خوفه من أن يذهب عمل عشر سنوات ادراج الرياح . واستيقظ فينا الشك القديم — وكانت خيبة امل للكثيرين الذين غذتهم الآمال — وظهرت صورة فرنسا القديمة دوما للوقوف في وجه اي تقدم ايطالي والشك المتاصل في انها لن تقدم لنا صداقة ملموسة ولن تسر كثيرا في ان تكون جيرانها في تلك المنطقة الافريقية التي كان يوجد بها اكثر من مائة الف ايطالي (جواكيتو فولبي المصدر المذكور ص ١١٣) .

(٨٦) — راجع أوتوسطو توري ، المصدر المذكور ص ٨٢ — ٥٨١ .

فان تيتوني قد وضع تحت تصرف اسفولسكي مبلغ خمسين مليون . « فيما بعد دفع ثلاثين مليون اخرى لنفس السبب » . ونتيجة لهذا المبلغ المتواضع (...) حدث انفراج محمود » (٨٧) ومن الطبيعي ان وساطة اسفولسكي كانت له فيها مصلحة : فكل النشاط الذي كانت تبذله الحكومة الروسية لصالح ايطاليا كان من الممكن أن يسبب خلافات داخل الوفاق بسبب العداء الذي كان يبدو أن فرنسا قد أظهرته نحو ايطاليا . وكان اسفولسكي مرتبطا جدا بسازونوف ويشاطره مشاطرة كاملة سياسة الوساطة في الصراع الايطالي — التركي ، وقد أدرك تيترني ذلك في أكثر من مناسبة .

وادرك دي سان جوليانو ان الخطوات الصديقة لا يمكن الا ان تاتي من روسيا وحدها ولعب بكثير من اوراقه على بطرسبرغ . وكانت نيته كما يبدو بوضوح من الوثائق الديبلوماسية الايطالية هي اقناع روسيا لتكون الاولى في الاعتراف بالسيادة الايطالية . وهي خطوة — حسب ما كان يرى وزير الخارجية الايطالي — قد تقتدي بها دولِ أخرى لاسباب ملائمة واضحة .

---

(٨٧) — فرانشسكو سافيريونتي ، المصدر المذكور ص ٢٧١ . كانت الصحافة الفرنسية في تلك الفترة قابلة للرشوة بصورة خاصة . وكتب اسفولسكي الى بطرسبرغ : « موضوع طرابلس يظهر مثلا المزايا التي قد تاتي من صرف المال على الصحافة . اعلم ان تيتوني استطاع أن يهيا اهم الصحف الفرنسية (يشتريها) بطريقة عميقة وكريمة . والنتائج واضحة » (كتاب أسود ، المذكور مجلد ١ ص ١٤٨) . وأكد اسفولسكي بوضوح من جديد في ديسمبر ١٩١٢ خلال حرب البلقان عمله الرامي الى تكييف مواقف الصحافة الفرنسية فكتب يقول : « كما تعلمون انا لا اتدخل شخصيا في توزيع الاعانات . غير ان هذا التوزيع الذي يشترك فيه وزراء (وزير الخارجية ووزير المالية) على ما يبدو فعال ويصل الى الهدف . ومن جهتي فاني أحاول ان اوثر في صحف باريس الاكثر اهمية مثل « تامب » Temps و « جورنال دي دیبات » Journal des Débats و « ايكو دي باري » Echo de Paris وغيرها والخلاصة أن الصحافة الباريزية اليوم لا يمكن مقارنتها بصحافة عامي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ « (المصدر المذكور مجلد ١ ص ٣٧١) . وكتب نيتي أن ما بين اسفولسكي وتيتوني » قامت روابط متينة . فالسفيران كانا يقضيان ساعات كاملة معا . فحديقة السفارة الروسية بشارع دي فرينيل بباريس كانت مجاورة للسفارة الايطالية بباريس شارع فرين وقد فتح ممر بين السفارتين بحيث أن السفيرين يكون في استطاعتهما الملاقاة والبقاء معا كما يحلو لهما بعيدا عن الصحافة وفضول وزارة الخارجية الفرنسية (فرنشسكو سافيريونيتي المصدر المذكور مجلد ٤ ص ٢٧١) .

« في موضوع الاعتراف ـــ كتب دي سان جوليانو الى توريتا في ٢٢ مارس ١٩١٢ ـــ « والامتيازات ومفاوضات السلام وتطبيق الحياد وعملياتنا البحرية المحتملة في بحر ايجه أو في غيره فان روسيا تستطيع أن تؤثر في سلوك فرنسا غير انه قد فات الاوان (...)

فاذا قام سازونوف باستشارة دول اخرى قبل أن يقوم بأي عمل للاعتراف بسيادتنا على ليبيا فانه سيواجه شكوكا وصعوبات أما اذا قام باي عمـــل في هذا الصدد دون استشارتهـــا فمن الصعب أن لا تقتدي به على الاقـــل حليفتانا ولو على مضض وفرنسا ايضا سواء لاحترامها لروسيا أم بسبب اتفاقيات عام ١٩٠٢ (٨٨) .

وبذل سازونوف مسعى وساطة جديدة في ٩ مارس ١٩١٢ وكان الفشل نصيبه . فقد ذهب سفراء الدول الخمس المحايـــدة الى دي سان جوليانو وسألـــوه :

« ما هي أدنى الشروط » التي تقبلها ايطاليا من اجل وساطة « بقصد وضع حد للصراع » (٨٩) .

فالشروط الايطالية كانت على كل حال معروفة منذ زمن ولم يكن دي سان جوليانو عن ترديدها تقريبا يوميا في برقياته للسفارات الايطالية : الاعتراف بالسيدة الايطالية وايقاف القتال وسحب الجنود الاتراك . والامر الذي كـــان ضايق دي سان جوليانو هو لجوء الدول باستمرار الى ايطاليا دون الاستماع أبدا الى شروط الباب العالـــي .

« بالفعل ـــ لاحظ دي سان جوليانو ـــ اذا كانت تركيا توافق بصورة مبدئية على التفاوض فمن العبث مناقشة الشروط معنا قبل معرفـــة النـــقـــط التي تتمسك بها تركيا اكثر من غيرها ـ واذا كانت تركيا بالعكس لا تقبـــل

---

(٨٨) ـــ A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 h, f. 648

(٨٩) ـــ المصدر المذكـــور .

التفاوض فهذا يساعدنا بالطبع لانه يوضح بان فشل المفاوضات عـائـد الى تركيا وليس بسببنا » .

وكان هناك خطر في أن هذه الخطوات المبذولة فقط لدى ايطاليا قـد :

« تلقي علينا كل او بعض المسؤولية في عدم نجاح المفاوضات في حين انه يهمنا كثيرا أن تقع كما هو الواقع ــ هذه المسؤولية في اقرب وقت على تركيــا » (٩٠) لقد كان الوصول الى اتفاق بعيد الاحتمال بمثل هذا التردد والتهرب خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان الدول كانت تظهر دائما بصورة واضحة قلة رغبتها في التحدث بصراحة الى السلطات التركية ــ وكانت النمسا والمانيا تعطيان دوما انطباعا بعدم تاييد المطالب الايطالية ولو بقدر ضئيل بل كانت تقاطعها ــ وقد دفع القلق بجوليتي الى التدخل برسالة الى السفير الايطالي ببرلين ، لوح فيها بالخطر من أن الراي العام الايطالي بعد تجاوز صدمة حادث « قرطاج » و « منوبة » قد يطالب الحكومة باتجاه جديد لسياستها الخارجية معارض للامبراطوريات المركزيــة .

« اعتقد أن من واجبي أن اقول لك ــ كتب جوليتي الى بانسا ــ أن هنا في ايطاليا بعد ما عرف عن طريق أخبار كثيرة وصلت من اسطمبول بان مارشال سفير المانيا يشجع الاتراك على المقاومة ، فقد أخذ يتولد في الرأي العام تيار معاد لالمانيا أصبح يقلقني جـدا .

انك لتعلم ان الاحزاب المتطرفة هنا تعمل من اجل الاتفاق مع فرنسا . فعليه من الضروري أن لا يبدو عمل المانيا اقل صداقة من فرنسا في امر مثل مسألة طرابلس التي أثارت جميع الطبقات الاجتماعية بشدة وتعتبر الآن في ايطاليا اهم بكثير من جميع المسائل الدولية الاخرى . فاوصيك ببـذل اكبر جهد للحيلولة دون انحراف الراي العام مما قد يؤدي لعواقب وخيمة » (٩١)

---

(٩٠) ــ المصدر المذكور ، برقية دي سان جوليانو الى السفارات الايطالية ببرلين ولندن وباريس وبطرسبورغ وفيانا بتاريخ ١٧ مارس ١٩١٢ . وبخصوص محاولات وساطة اخرى عقيمة (راجــع اريقوسولي ، المصدر المذكــور) .

كان من الواضح اذن أن الصراع لن يجد عن طريق محـــاولات وساطة الدول الحل السهل والسريع . ان تضارب مصالح مختلف الحكومات كان يقف دوما في وجه احسن النوايا للوصول الى حل سلمي . ولم تعر تركيا ــ كـما يبدو أية أهمية لخطوات الدول المشتركة مدركة ـــ كما لاحظ مارشال الـــى الروسي سوتشين « انها ، اي هذه الخطوات تنتهي على اكثر تقدير بنصيحة بسيطة وان الاتفاق ما بين الدول لا يصل ابدا الى فرض قرار مشترك بوسائل اكراهية » فان مختلف المبادرات الروسية حسب وجهة نظر مارشال ـــ كانت عديمة الجدوى لان شروط ايطاليا كانت معروفة منذ ٥ نوفمبر ١٩١١ وقد صرح الباب العالي بتكرار انها غير مقبولة .

فاذا ارادت ايطاليا ان تقفل لصالحها العملية التي استعدت لمواجهتها في آخر سبتمبر ١٩١١ فكان عليها ان تفرض السلام على تركيا بفضل مجهود عسكـــري كبير . او تفتح مفاوضات مباشرة مع البـــاب العـــالي مـــتجنـبـــة الوساطات المنتفعة التي لا تفعل شيئا سوى اضاعة الوقت الثمين بالنسبة لايطاليا مع خطر وجودها وسط الحريق في المنطقة البلقانيـــة ومشكلـــة طرابلس لا تزال مفتوحة . فكان يجب في الجوهر التعديل سواء في طريقة سير الحرب التي لا تجد مخرجا من حرب العصابات المستنزفة والعقيمة في الصحراء الليبية وسواء في العمل الديبلوماسي الذي استمر اكثر من خمسة اشهر عبارة عن تبادل كثيف من البرقيات والمقترحات والمحاولات المقدر لها

---

(٩١) ــ A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 g, f. 647 رسالة جوليتي الى بانسا بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩١٢.ابرق دي سان جوليانو الى بانسا يوم ٢٩ فبراير مكررا نفس افكار جوليتي ومضيفا : « من الضروري ان لا يكون في سلوك الحكومتين الحليفتين لا في الجوهر وانما في المظهر ايضا ما يجنب الراي العام الايطالي اي انطباع غير مناسب وان تكون لهجة تلك الصحافة او ذلك الجزء منها الذي تستطيع هذه الحكومة ان تؤثر عليه ان تكون اكثر ودا » . المذكـــور) .

الفشل منذ قيامها (٩٢) وان الشعور في الوقت المناسب بمبلغ خطورة اتباع هذا الخط وتغير دفة السير بصورة خاصة في الميدان الديبلوماسي كان بدون شك من المظاهر الايجابية لسلوك الحكومة وجوليتي خاصة الذي اضطر الى دفع ثمن الطيش وقلة التروي الذي اندفع به في العملية الطرابلسية .

(٩٢) — كتب تيتوني الى دي سان جوليانو في ١٤ فبراير ١٩١٢ : « ان الحاحنا الشديد على الدول كي تدفع تركيا الى السلام قد يجعل ما يهمس به البعض فعلا يقال في الخارج بصورة علنية وهو ان ايطاليا بعد أن عجزت عن الاستيلاء على طرابلس بقواتها فهي تريد أن تقوم الدول باجبار تركيا على اعطائها اياها »
(A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 f, f. 646)

العمليات فى بحر ايجة والسلام

اللقاء ما بين غليوم الثاني وفيتوريو عمنويل الثالث بالبندقية — احتلال الدوديكانيز والغارة على ميلو ـ موقف فيانا ـ اقتراح بولليو بمهاجمة ازمير ـ جوسبي فولبي وجوليتي يبحثان عن حل ـ الوفاق العثماني ـ مهمة فولبي في اسطمبول ـ مباحثات لوزان ـ انـدلاع حرب البلقان ـ صلح اوشي ـ رد الفعل في ايطاليا ـ ميزانية الحرب ـ بنك روما والحكومة ـ نتائج وتبعات الحرب الليبية .

وصل العمل العسكري والمحاولات الدبيلوماسية من أجل الوصول الى حل للصراع حوالي شهر مارس الى نقطة ميتة . لقد كان من الواضح كما لاحظ تيتوني أن العمل العسكري لا يستطيع « باي شكل أن يقرر نهاية الحرب التي قد تستمر الى ما لا نهاية اذا ظللنا نحن والاتراك ننظر الى بعضنا من بعيد » (١) وان هذا التصرف ما كان يؤدي الا الى البطلان المطلق لاي اثر والى « دوام الحرب الى ما لا نهاية » (٢) فعند هذه النقطة كان يجب تجاوز عقبتين : التغلب على معارضة الدول لاعمال عسكرية خارج الارض

---

(١) ـ A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 f, f. 640 رسالة تيتوني الى دي سان جوليانو في ١٤ فبراير ١٩١٢ .

(٢) ـ المصدر المذكور .

الافريقية وايجاد الوسيلة للاتصال المباشر بالسلطات التركية لفتح حـوار صريح حول موضوع السلام دون النظر إلى وساطة الدول العقيمة (٣) .

وكان العسكريون منذ زمن والصحافة نفسها يضغطان لتحويل مـركـز العمل الايطالي نحو جزر بحر ايجه والدردنيل غير ان النمسا لم تتساهل في تفسيرها للبند السابع من الحلف الثلاثـي التقييدي . وكان يكفـي ان تقوم عمارة بحرية ايطالية بفتح نيرانها على سفينتين حربيتين تركيتين في ميناء بيروت يوم ٢٤ فبراير كي تبعث فيانا من جديد باحتجاجاتها الحارة الغاضبة مع الاتهام « بضرب مدينـة مفتوحـة بالقنابـل » (٤) وتجددت الاحتجاجات عندما اقتحمت وحدات ايطالية — دون تعليمـات محـددة — الدردنيل وضربت القلاع التركية بالمدافع وانسحبت تحت نيران العـدو .

وحدث تحول هام بزيارة امبراطور المانيا لايطاليا وملاقاته في البـندقيـة بفيتوريو عمنويل الثالث . وقد دعا ملك ايطاليا الامبراطور ان يضغـط على فيانا كي تزيل معارضة برشتولد الذي غدا وزيرا للخارجية بعد موت اهرنتال يوم ١٧ فبراير ١٩١٢ — وقد اكد غليوم الثاني لملك ايطاليا بصورة رسميـة اهتمامه بالامر . (٥) فكان من الواضح ان نية الامبراطور عدم شد الحبال اكثر من اللازم خشية تعريض كيان الحلف الثلاثي نفسه للخطر . وعلـى اسـاس موقف غليوم الثاني المساعد تكمن الرغبة فعلا في المساهمة في تعزيز الحلف . وكتب الامبراطور في تقريره حول اللقاء مع فيتوريو عمنويل يقول :

---

(٣) — منذ ٢٦ — ٢٧ اكتوبر كتبت صحيفة « الماتينو » : « اذا اريد تحطيم الامتداد التركي يجب على الحرب ان تخرج من خليج سرت وان تصيب في العمق حيث يجب ان تلمس الاعضاء الحيويـة . »

(٤) — جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٥١ .

(٥) — راجع ,G.P., XXX, 2, n° 11085, pp. 364-365 رسالـة فون جنيش الى بيثمان هولويغ من كورفو بتاريخ ٢٨ مارس ١٩١٢ كتب بحماس دي سان جوليانو الى جوليتـي يوم ٢٥ مارس ١٩١٢ : صديقي الكريم لدى وصولي الآن الى الكونسولتا وجدت برقية موجهة الي من الملك : « كل شيء سار على ما يرام في حديث طويل . الامبراطور امر السفير جاكوف ليتفاهم معكم بخصوص ما نرغب فيه » . (A.C.S., C.G., b. 14, f 17/1).

« ان جلالته كان ممتنا لو عدنا بالتدخل لدى فيانا. والاحظ بانه اذا تنازلت النمسا عن معارضتها فان ذلك لن يسهل تجديد الحلف الثلاثي فحسب بل يجعله شعبيا . ان صاحب الجلالة يرغب في أن لا يعتبر شعبه هذه المعاهدة كضرورة سياسية بل أن تفهم روحها وتكون لها جذور . التوقيع يجب ان تقوم به كل الامة بقلبها وهذا ما سيحدث اذا اتبع الطريق السالف الذكر . » (٦)

وجاءت على مضض موافقة فيانا المترقبة بلهف مع التحفظ « بحرية العمل الكاملة في حالة أن العملية الايطالية قد تغير من الوضع القائم بالبلقان » وقد اتخذت موقفا سلبيا تجاه احتلال « مؤقت » لجزر رودس وسكاربنتو وستامباليا (٧)

وكانت ستامباليا اولى الجزر التي احتلت يوم ٢٦ ابريل في الوقت الذي كان فيه الجنرال اميليو يحشد في طبرق حملة (٨) امكنها يوم ٤ مايو النزول في خليج كاليتيا واحتلال رودس . وقد استسلمت الحامية التركية نهائيا يوم ١٧ مايو وباختصار فقد تم احتلال جميع جزر سبورادي الجنوبية (سكاربانتو بيسكوبي ، نيسيري ، ليرو ، كاليمنو ، باتمو ، كو ، سيمي ، وكالكي) (٩)

---

(٦) ـــ G.P., XXX, 2 n° 11085, pp. 365-367 التقرير المؤرخ في كورفو يوم ٢٧ مارس ١٩١٢ كان مرفقا برسالة جنيش المذكورة .

(٧) ـــ لقد كان في تلك الايام تبادل برقيات كثيف بين روما وفيانا وبرلين راجع الوثائق الديبلوماسية الالمانية وبصورة خاصة (وما يليها (G.P., XXX, 2, nn. 11083, 11086, 11091, pp. 361 ولوثائق النمساوية : وما يليها (O.U.A., IV, nn. 3417, 3420, 3436, 3440, 3447, pp. 79 ، انظر ايضا لويجبي لبرتيني المصدر المذكور مجلد ١ قسم ٢ ص ٧٧ ـــ ١٦٧ وجوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٥٣ ـــ ٢٥٢ .

(٨) ـــ تتالف من الايين مشاة وكتيبة البيني ومجموعة مدفعية وسرية فرسان . في المجموع عشر كتائب و ٥ بطاريات .

(٩) ـــ بخصوص عمليات الدوريكانيز راجع كاميلو مانفروني Camillo Manfroni الحرب الايطالية التركية تاريخ احداث العمليات البحرية مجلد ٢ ميلانو ١٩٢٦ وأيضا رنزو سيرتولي ساليس Renzo Sertoli Salis جزر ايجه الايطالية من الاحتلال الى السيادة روما ١٩٣٩ .

وذلك بموجب عمليات انزال جديدة . وقد انشأت في ستامباليا قاعدة بحرية قوية ودعم احتلال الجزر . وقامت فيما بعد خمس نسافات ايطالية بقيادة القبطان ميللو في ليلة ١٨ يوليو بالتغلغل في الدردنيل بقصد نسف الاسطول التركي الراسي هناك ولكن امرها اكتشفت واضطرت الى الانسحاب تحت نيران المدافع التركية . وقد قامت البحرية بهذه العملية دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون ثورة الدول الاوروبية . وقد قلق جدا دي سان جوليانو للحادث (١٠) . لقد كان يؤمل ان تتجنب البحرية فيما بعد سياسة الغارات هذه الخطيرة بصورة خاصة وقليلة الفائدة على المستوى العسكري والضارة على المستوى الدبلوماسي . ومع هذا فان بارير نفسه قد نصح دي سان جوليانو بهذا المعنى . » (١١)

---

(١٠) — في يوم ١٩ يوليو هكذا كتب دي سان جوليانو من فيوجبي الى جوليتي : « في موضوع الدردنيل الجديد ان أهم شيء في الوقت الحاضر هو التاثير الاول في اوروبا بان اغلاق المضيق ليس له مبررات ، ولهذا من الصالح وجود الشك حول وجود نسافاتنا أم لا في تلك المياه ومن الضروري أن تفهم أوروبا أن النسافات لم تكن تقصد مهاجمة الدردنيل ومحاولة المرور وانما لمراقبة ومهاجمة النسافات التركية التي كان من المعلوم انها كانت تريد أن تخرج لنسف سفننا . اذا نجحنا في احداث هذا الانطباع في اوروبا فمن المحتمل أن تركيا لن تغلق الدردنيل أو ان غضب أوروبا يتحول ضد تركيا لا ضدنا (...) من المؤكد ان البحرية لم تمتثل كالعادة للتعليمات بان لا تظهر اذا كان النجاح يبدو محتملا جدا .

ويبدو لي واضحا انه بعد رؤية الانوار الكاشفة تعمل من على بعد لم يكن هناك داع للاقتراب وكان في الامكان العودة الى الوراء ، والان يجب ان نحول دون تسرب الاخبار من البحرية مما يضعف من حجتنا وان تتوقف البحرية على الاقل لفترة من الزمن عن القيام بالعاب خطرة قد تسيء من جديد الى اوضاعنا الدولية المتحسنة دون الحصول على مزايا مقابلة . ولهذا يبدو لي أن تصدر لها الاوامر بعدم تكرار المحاولة حتى اعلان جديد » (من اوراق جوليتي المذكور مجلد ٣ ص ٧٣) .

(١١) انظر D.D.F., III, 3, n° 224, pp. 279-299 من بارير الى بوانكريه بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩١٢ ان عموم الايطاليين — كتب فولبي — وقد فوجئوا بما قام به حفنة من الرجال في تلك الرحلة الليلية ضد الخطر والموت وما حواه من مغامرة تقارب الخيال وقد اضافوا هذا الحادث الى السجل الذهبي للحرب الليبية وفي الفصل الجديد للسياسة الايطالية (جواكينو فولبي « عملية طرابلس » المذكورة ص ٤٠ — ١٣٩) .

وفي رسالة كتبها جوليتي بعد بضعة اشهر الى فرديناند ومارتيني لاحظ ان احتلال الجزر كان بالنسبة لايطاليا يرمي الى « اهداف كثيرة واحدا اخطر من الآخر .

« وكان من الضروري بالنسبة لنا — لاحظ جوليتي — ذلك الاحتلال لمنع تهريب السلاح الى ليبيا الذي يمر من هناك او يرسل راسا . وكانت تلزمنا ايضا قاعدة ستامباليا لمراقبة السواحل التركية ومن اجل اي عمل مقبل محتمل . وكان من اللازم الحصول على رهن في اليد من اجل مفاوضات السلام المقبلة (...) » (١٢) .

وردت الحكومة التركية على احتلال الجزر بطرد الايطاليين المقيمين بتركيا (١٣) بيد انه على المستوى العسكري لم تترك العملية الاثر الذي كان يتوقعه الكثيرون والمقاومة العثمانية لم تتأثر على الاقل ظاهريا وخشي الكثيرون ان الحادث الجديد لن يدخل اي تعديل على الحالة . وقد كتب افارنا — على سبيل المثال — الى دي سان جوليانو يوم ٢٥ مايو ١٩١٢ ما يلي :

« لقد اعتقدت منذ ان طرحت المسألة على بساط البحث ان احتلال جزر بحرايجه ولو انه قد يكون بالنسبة لنا شبه رهن يفيدنا في مفاوضات السلم المقبلة ولكن ليس بالوسيلة الفعالة لاخضاع تركيا . وهذا ما لا أزال أعتقده حتى الآن هذا الاحتلال ولو امتد حتى على جميع جزر بحرايجه قد يخلق بعض الارتباكات لتركيا مثل بعض الضيق الاقتصادي والشعور بالاذلال ولكن من المشكوك فيه ان ذلك قد يكرهها على التفاوض معنا (...) وعليه فيبدو لي

(١٢) — A.C.S., C.M., b. 12, f. 6 رسالة جوليتي الى مارتيني بتاريخ ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ .

(١٣) — المرسوم الصادر في ٢٠ مايو اصبح نافذا في ١٢ يونيو . وعاد الكثير من الايطاليين الى الوطن وفي ٢٣ مايو شكل جوليتي « لجنة اسعاف لصالح اللاجئين » من تركيا بقصد ايجاد العمل لهم وجمع التبرعات وتالفت اللجنة من الاتي ذكرهم : جوفياني تاللينا — اكيللي دي جورجو — انجلو باوني — بارتلومي روبني — فنشنزو جوفريدا — وفليتشي فيوري .

انه أصلح لنا ، ان نعزز عملياتنا في طرابلس وبرقة وان ندفع بالعمليات العسكرية بكل سرعة ممكنة لنؤكد اكثر فاكثر استيلاءنا على تلك المناطق باحتلال نقاط على الساحل لم يجر احتلالها حتى الآن » (١٤) .

ولاحظ سفير النمسا — المجر باسطمبول بالانفيتشيني بدوره في ٣٠ مايو خلال حديث له مع أمارنا لاحظ انه لا يرى اية وسيلة ممكنة لانهاء الصراع . فالحرب — حسب وجهة نظره — لا تزعج تركيا التي يبدو انها لا تزال قوية كي تقاوم مدة أطول . وان الوسيلة الوحيدة للخروج من الموقف هو « التنازلات المتبادلة » من الجهتين وذلك بالنسبة لموقفهما المتصلب المتخذ . (١٥) وقد اغتاظ دي سان جوليانو كثيرا لهذه التصريحات واكد :

« اذا كانت الحرب حتما — كما يقول بالانفيتشيني — لا تخلق لتركيا متاعب فمن الواضح انها ستستمر الى مالا نهاية بالنظر الى أننا لن نتساهل ابدا في موضوع السيادة . فعلى الدول التي ترى بحق في استمرار الحرب خطرا وضررا على الجميع ان تعترف بان لا حق لها في منعنا من جعل تركيا تحس باخطار واضرار الحرب . وحيث أننا لم نعلم تركيا ابدا باننا لن نتنازل عن مسالة السيادة ، فان بالانفيتشيني يساهم في تمسك تركيا بالاوهام ويؤدي خدمة سيئة لتركيا وايطاليا على السواء . ان الامر لا يتعلق بتقديم نصائح ولا القيام بضغوط وانما من اجل الحقيقة فقد اعلمكم بذلك » (١٦) .

وكان بالانفيتشيني في الواقع يعكس استياء فيانا لتحول الحرب الى بحرايجه ذلك التحول الذي اضطر برشتولد (وزير الخارجية) الى الموافقة عليه بتدخل من برلين . وازداد هذا الاستياء لان ايطاليا لم تقصر احتلالها

---

(١٤) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 k, f. 650

(١٥) المصدر المذكور .

(١٦) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 f. f. 651 برقية دي سان جوليانو لامارنا بتاريخ ١ يونيو ١٩١٢ .

على الثلاث جزر الموافق عليها من فيانا ـ ويؤكد جوليتي أن وزير خارجية النمسا « كان شخصا بدون افكار ذاتية ومسخر كليا لخدمة الطغمة العسكرية الامبراطورية التي لا تكاد تصدق أن تنتهز الفرصة لتحقيق مشاريعها في الباليا وفي السنجق » (١٧) وهذا حكم قاس يبدو ان الملحق العسكري في فيانا البريتشي يشترك فيه معه ايضا :

« كتب البريتشي في رسالته المذكورة الى بروساتي قائلا : اعلم ان هذا السيد (برشتولد) لا يساوي شيئا . فهو لا يتكلم ابدا معبرا عن نفسه . فيقول دائما أن الدوائر ستدرس وسترى وانها لا تريد .. الخ ، فكل مسالة يجب أن تدرس لاضاعة الوقت على الاقل . ان الدبلوماسية النمساوية القديمة قد وجدت فيه ممثلا رائعا . واني لمتاكد أن سفيرنا الحذر والمتحفظ يفكر مثلي تماما . وقد قال لي سفير انكلترا بصراحة انه لا يحظى باحترام الا في الصالونات (١٨) .

واكد البرتيشي نفسه فيما بعد : « أن الخوف والشوكة الخطيرة » كانت تكمن في الاحتمال بان النمسا تعتبر نفسها بعد العملية الايطالية في بحرايجه قد أصبحت « حرة » في أن تذهب الى دوراس والى فالونا » .

ان عدم تحقق ما كان يؤمل من انهيار تركيا بعد احتلال الدوديكانيز دفع بعض الاوساط العسكرية الى الاقتناع بانه من الضروري مواصلة العمليات خارج الاراضي الليبية واصابة تركيا في مصالح أخرى اكثر حيوية . وكان

---

(١٧) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٥٦ . واصل جوليتي كلامه : « وان سلوكه الدبلوماسي الدائم الشكوى والتهديدات ضدنا دون أن يصل ابدا الى نتيجة ، وكذلك الرتابة التي كان يصر عليها في تفسيرات اعتباطية ولا اساس لها لالتزاماتنا دون ان يواجه جدال سان جوليانو المعاكس كل ذلك كان يعطي انطباعا عن رجل لا يملك حرية أو مقدرة العمل وانه بدلا من أن يفكر بعقله لادراك واقع الامور فهو ينفذ ببساطة الدور المسند اليه » (المصدر المذكور) .

(١٨) AC.S., A.B. sc. 9, f. VI.2.34, n° 63 رسالة البريتشي الى بروساتي من فيانا بتاريخ ١٩ مايو ١٩١٢

الجنرال بولليو رئيس اركان الحرب الناطق باسم هذا الاتجاه ، قد ارسل في ٢٩ يونيو ١٩١٢ مذكرة عن الحالة السياسية العسكرية الى سبنقاردي وزير الحربية واجه فيها بحرية الراي المواضيع المتعلقة بالحرب الليبية مقدما حلولا قاسية ونهائية كانت تتعارض بوضوح مع كل السياسة الحذرة والمسايرة للظروف سواء في الميدان العسكري ام في الميدان الديبلوماسي التي كانت تتبعها الحكومة . فبعد أن مهد بعدم معرفته جيدا للوضع « بالنسبة للدول الصديقة والحليفة » لعدم اعلامه بذلك ولجهله « بالاسباب التي كانت تشل العمل الايطالي في شرق البحر الابيض المتوسط » اكد بولليو ان وضع تركيا قد وصل الى درجة تجعل انحلال الامبراطورية العثمانية امرا لا بد منه في وقت قصير فمن مصلحة ايطاليا اذن ان تعجل بهذا الانهيار لتتجنب استمرار حرب طويلة وباهظة الثمن .

« يقال بحق — كتب بولليو — ان مبادرتنا الجديدة الجريئة قد ضايقت وكونت خطرا على كل اوروبا . هذا صحيح جدا غير ان المقدر وقع وانا لا ارى للضيق والخطر نهاية بينما نواصل الحرب في ليبيا ونحتل جزر اسفل بحرايجه ونحتفظ بسفننا في ستامباليا واواسط بحرايجه . ففي الخلاصة اننا مثل المعلقين في انتظار وقوع اي حادث مساعد يمكن أن يعدل الوضع من اساسه لصالحنا . والآن لا ارى من الاحداث المساعدة الا اثنين : الانتصارات في ليبيا وانهيار تركيا . فالانتصارات في ليبيا لا تحدث أي أثر لا في تركيا ولا خارجها . يتبقى الانهيار وهذا الانهيار اذا كان قادما فلماذا لا ننتهز الفرصة ؟ واذا اضطررنا نحن الى تقريبه واظهاره فلماذا ننتظر في ان نصيب ؟ من المؤكد لو ان جميع الدول الكبرى كانت متفقة وتفرض علينا التوقف امام قوة كبيرة حقا . غير انني اسمح لنفسي ان اشك في أن الدول اذ خرجت من دائرة العداء الاصم الذي وضعت نفسها فيه قد تستطيع أن تتفق فيما بينها . وبالاضافة الى ذلك فقد اعلنت هذه الدول حيادها في حين تعهدنا نحن باحترام شبه جزيرة البلقان مثلما هو واقع . بيد انه بقيامنا بالحرب ضد تركيا هل يمكن منعنا من القيام بالعملية التي تساعدنا اكثر

والتي من الوجهة العسكرية والسياسية تبدو لي بالطبع افضل الا وهي احتلال ازميـــر ؟

انني كما قلت اجهل الوضع الدولي ولا استطيع الاجابة على ذلك . ولكن من جهة اخرى ففي وقت الحـــرب يتداخل العمـــل العسكـــري في العمل السياسي لدرجة عدم امكان فصلهما عن بعضهما ، وفي ذلك اعتقد انني مؤهل للنصح بان تؤخذ ازمير انها عملية جدية وصعبة ولكنها ليست اكبر مـــن وسائلنا وقدرتنا الحربية . انها حرب غريبة التي نخوضها ولا يمكن الا الاعتراف بالصعوبة التي تواجهها ديبلوماسيتنا في حربها وهي تقاتل فـــي حرب اخرى مملوءة بالمكائد وهل يخشى حقا بعد أن وصلنا هذه النقطة ان تقوم الدول الغربية بارسال اساطيلها واحتلال ايطاليا اذا قمنا بحرب جدية ضد تركيا ؟ واذا كان هذا الخطر غير قائم فيوجد فقط تهديد الدول بالبحث عن التعويضات على حساب تركيا وقبل ان تذهب الى اخذ نصيبها فلنذهب نحن أولا ! ان النمسا ــ المجر قد تطمع في سنجق نوفي بازار وماذا يهمنا اذا عادوا اليهـــا ؟

قد تطمع في البانيا وهذا هو الاسواء . ولكن هل يترك الالبان بهدوء ان تقدم بلادهم تعريضا ؟ هذا ما اعتقده . هل ممكن التفكير في تدخل المانيا في البحر الابيض المتوسط اذا كانت قد تضطر الى ترك الاسطول البريطاني وراء ظهرنا ؟ وهل سنجد في انكلترا عدوة ما دمنا قدمنا لها الكثير من الاحترام بما في ذلك ايقاف العمليات البحرية الايطالية لادخال الاطمئنان على اليخت الملكي وهو في طريقه الى الهند ؟

وهناك اعتبار آخر أعتقد انه يساهم في تامين حرية العمل لنا . هـــو موقف دول البلقان الصغيرة التي لا تنتظر بكل تاكيد سوى كلمة لتنضم الينا عاجلا أم آجـــلا » (١٩) .

---

(١٩) مذكرة بولليو موجودة في AC.S., A.B., sc. 10, f. VI.8.40

وقد رفض جوليتي بصورة قاطعة اقتراح بولليو (٢٠) المشوب بالمخاطرة الواضحة سواء في الميدان الدبلوماسي أم في الميدان العسكري — فقد حشدت تركيا في ازمير قوة كبيرة من جيشها وقد يتطلب الامر — حسب راي جوليتي مائة الف رجل على الاقل لانهاء العملية . غير ان الحالة الدولية كانت اكثر ما يقلق رئيس الوزراء في هذا الخصوص فمن المحتمل ان بولليو كان يجهل — كما يؤكد ذلك هو نفسه — مبلغ خطورة وصعوبة العقبات التي كانت الدول تقيمها في وجه اي توسع للصراع . ان فتح جبهة جديدة في آسيا الصغرى قد تؤدي — في تلك الفترة — الى عواقب دولية خطيرة من الصعب التحكم فيها . وانه لغريب تعليق جوليتي على اقتراح بولليو : « لمن سوء الطالع أن قليلين أولئك الذين لديهم المناعة ضد الاثارة الخاصة التي تصحب اي حرب » (٢١) .

ولكن نوايا بولليو يبررها تاثير الظروف بصورة جزئية . فاذا ما درس اقتراحه بدقة فان الوثيقة تظهر النية المستقرة في التعجيل وتسهل ازمة البلقان للحصول فيما بعد على « مزايا كبيرة ايضـــا » (٢٢) .

هذا في حين أن جوليتي كان يهمه انهاء العملية التي سببت له الكثير من

---

(٢٠) هكذا كتب سبقاردى الى بروساتي يوم ٣ يوليو ١٩١٢ : طلب مني بولليو ان ابلغ جوليتي بمذكرته حول ازمير وبحر ايجه التي ولا بد قد وصلتك صورة منها وكان حكمه عليها غير موافق (المصدر المذكـــور) .

(٢١) جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٢٩٤ .

(٢٢) وكتب ايضا بولليو في مذكراته : « لا يوجد ما هو اهم واعظم وزنـــا في السياسة من العمل العسكري الحازم . واضيف في النهاية انه ولو لسوء الحظ اضطررنا الى التخلي عن عملية ازمير التي يجب بالضرورة ان يسبقها احتلال كيـــوس فمن الضروري اطلاقا — مهما كانت نتيجة المفاوضات الدبلوماسية ومهما كان المصير الذي ينتظر تركيا — ان تنسب لنا على الاقل النية في اخذ ازمير . لقد حشد الاتراك فيها جيشا . فقد يكون من المؤلم حقا اذا ما اقتنعوا بعدم تحركنا ووجهوا تلك القوة مثلا الى البانيا حيث قد يـــكون في امكانهم المساهمة في اصلاح الوضع الذي لم نخلقه والذي على ما اعتقد يفيدنا فوائد كبيـــرة خاصة اذا ما اشتعلت النـــار في مقدونيـــا واذا ما بدات الـــدول الصغيـــرة البلقانية تتحرك » .

المضايقات أكثر مما كان يتوقع (٢٣) وان الضربة التي تلقتها تركيا في بحر ايجة لا يمكن أن تكون امتصتها كلية ولم تلطف من مقاومتها العنيفة . وكذلك الحرب في ليبيا نفسها كانت الآن اكثر ايجابية وسجلت بعض النجاح . (٢٤) فكان ولا بد اذن من محاولة الحوار وتحسس نوايا الباب العالي مع تجنب التدخلات ذات المصلحة . وكان يجب في الخلاصة ــ حسب وجهة نظر رئيس الوزراء ــ الوصول الى الوقت الذي نجلس فيه مع الاتراك ونعثر معا على مخرج مع التمسك بنقطة السيادة الايطالية على طرابلس وبرقة وهذا ما كان يرمي اليه جوليتي منذ زمن .

وفي نفس الفترة تقريبا التي تحول فيها العمل العسكري الى بحر ايجة ، حدث ايضا تطور جديد في طريق البحث عن السلام بقصد ابعاد وساطة الدول بالذات والارتباط بتركيا عن طريق اتصالات مباشرة . وفي هذا الظرف برزت شخصية جوسبي فولبي وزير مالية موسوليني المقبل (من ١٩٢٥ الى ١٩٢٨) وفيما بعد حاكم طرابلس وكونت مصراتة ، وفولبي هذا كان من رجال المال والصناعة بالبندقية ، وقد انشا الشركة التجارية للشرق الكثيرة النشاط في البلقان والتي لم تكن خافية علاقاتها الوثيقة المصلحية بالبنك التجاري لدرجة جعلت جواكينو فولبي يصيح قائلا ان الحرب الليبية « بدأت تحت رعاية بنك روما اي انها عمدت في غرفة المقدسات بالكنيسة » وانتهت « تحت الرعاية الالمانية او الايطالية الالمانية او اليهودية للبنك التجاري أي

---

(٢٣) نحن ــ كاب جوليتي ــ قصدنا ببساطة احتلال ليبيا واعددنا لهذا الغرض وسائل دبيلوماسية كثيرة توازي العسكرية ، وان نجاحنا دون الحاجة الى اللجوء الى ضربات مفاجئة جزئية تنطوي على مخاطر مقابلة ودون التسبب في فتح مسائل وصراعات اخرى مع احراز غاياتنا التي قصدناها منذ اول يوم بدقة فهذا في نظري كان اعظم ميزة للحكومة » (جوفاني جوليتي ، المصدر المذكور ص ٢٩٤) وفي هذه الحدود نضع حكم سبادوليني الايجابي عندما كتب أن الحرب الليبية « قد تولي جوليتي ادارتها بحكمة » (جوفاني سبادوليني Giovanni Spadolini « عالم جوليتي » فرنسا ١٩٧٠ ص ١٠٥) .

(٢٤) بخصوص العمليات العسكرية لهذه الفترة راجع جدول الاحداث الزمني الملحق .

انها تثبت عمادها في الكنيست اليهودية » (٢٥) ويشير جوليتي في مذكراته بصورة متخفظة الى اتصالاته بفولبي (٢٦) غير أنه في الواقع أن جوليتي منذ شهر يناير ١٩١٢ جعل من فولبي مخبره الخاص في المسائل العثمانية وكان يرسل الى جوليتي تقارير تقريبا اسبوعية ينقل اليه فيها الاخبار التي يرسلها اليه المهندس نوقارا مدير الشركة التجارية للشرق باسطمبول والذي كان يعتبره فولبي « رجلا يركن اليه وذا اخلاق سامية » (٢٧) وحسب ما يقول فولبي فان « لعبة الدول » لم يكن في امكانها ابدا ان تفلح في زحزحة المقاومة التركية ، وان حادثا بلقانيا جديدا « قد يستطيع ان يقرر اتجاهات جديدة والا فيجب » انتظار الانتخابات (التركية) مع العمل وعدم ترك اسطمبول ولو للحظة واحدة (٢٨) .

وحوالي شهر ابريل بدأ عمل نوقارا المكثف واتصالاته بالاوساط الرسمية التركية يفتح آفاقا جديدة . وقد بعث نوقارا الى قارباسو بمحتوى محادثة هامة جرت بينه وبين ب.افندي هالاجيان وزير سابق للعدل ونائب رئيس المجلس الاكبر للجنة الاتحاد والترقي ، وكان على اتصال يومي بمسيري السياسة العثمانية » . وحسب ما كان يراه الوزير السابق فقد كانت تلك «الفترة الملائمة لايطاليا للسير في مفاوضات وان ابرز رجال السياسة العثمانية»

---

(٢٥) جواكينو فولبي ـ « عملية طرابلس » المصدر المذكور ص ١٥٠ ـ لقد اوضحت دراسات فيجتنري دور مشاركة الشركة التجارية في التوسع الايطالي وفي العمل الذي قام به رئيسها جويل خلال الحرب الليبية والذي كان يرمي لا لجعل مصرفه منافسا لبنك روما وانما من اجل توحيد « جميع قوى البلاد للحصول على مبادرة سليمة وحيوية » وتفكير جويل ـ كما اشار الى ذلك فيجيتسي ـ قريب جدا من سياسة التوسع الاقتصادي والتجاري في الشرق التي كان يؤملها دي سان جوليانو والتي تظهر واضحة بالوثائق في المذكرة الاتي ذكرها (ص ٦٩ ـ ٣٦٨) راجع برونيللو فيجيتسي المصدر المذكور ص ١٩ ـ ١٨ و ١٨ ـ ٢١٤ .

(٢٦) جوفاني جوليتي ـ المصدر المذكور ص ٦٥ ـ ٢٦٤ .

(٢٧) A.C.S., C.G., b. 18, f. 43/1 رسالة فولبي الى جوليتي بتاريخ ٢٦ يناير ١٩١٢ .

(٢٨) المصدر المذكور .

يرغبون أن تكرههم الاحداث على الصلح « ولكن حلجان كان يضيف بان « الاحداث الدبيلوماسية » كانت « غير كافية » . ومن خلاصة لقائه مع الوزير التركي السابق فقد لاحظ نوقارا ما يلي :

(١) ان تركيا تعلق على مسألة الخلافة اهمية اساسية ولذلك فان قيامنا بدعاية لصالح خليفة آخر أو اكثر قد يكون من العوامل التي تكرهها على السلام .

(٢) ان تركيا في حاجة الى حدث عسكري حربي هام يمسها عن كثب ويبرر دخولها في مفاوضات السلم امام الراي العام .

(٣) ان الظرف السياسي الحالي قد يكن ملائما لاجبار تركيا على السلام ولذلك يجب الاستفادة منه (٢٩) .

وقد فتحت الانباء التي بعث بها انوقارا بصيصا جديدا من الامل حول امكانية الوصول الى نهاية متفق عليها للحرب . غير ان المرحلة الحاسمة في الموضوع جاءت في أوائل يونيو . فبعد ما علم فولبي من نوقارا ان امكانية لقاء مسؤولين في السياسة العثمانية قد نضجت ، قرر أن يجس النبض مباشرة بغرض فتح المفاوضات الرسمية فيما بعد وقد نضجت هذه الامكانية دون شك نتيجة للعمل الايطالي في بحر ايجه الذي اخذ « يقلق الحكومة التركية » (٣٠) وفي الخلاصة قد تحقق احد العوامل التي كان يعتبرها حلجان ضرورية لاكراه تركيا على السلام .

---

(٢٩) رسالة نوقارا الى فاربامسو موجودة في A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17/I, f. 649 وفيما يخص لقاء نوقارا وحلجان ، راجع ايضا جوفاني جوليتي المصدر ص ٦٥ — ٢٦٤ فقد كتب نوقارا في اليوم السابق ٣ ابريل الى فولبي ناقلا اليه بانه علم من مصدر موثوق به ان تركيا كانت « تريد شراء بعض الصحف الايطالية » لاسقاط حكومة جوليتي» وان ما اعرفه يقينا — يضيف نوقارا — انهم بذلك يضرون بحكومة جوليتي . وقد لا ابتعد من التفكير في ان سكارفولو المعروف قد يدخل في اللعبة — على كل حال فان التفكير يتجه اليه لانه قد يكون له بعض العلاقة بالشبان الاتراك » (الرسالة موجودة في (A.C.S., C.G.b. 18, f. 43/2)

(٣٠) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٦٥ .

ولا يجب أن ينسى أن في تلك الايام بالذات تفجرت ثورات في المانيـــا . وهناك عامل آخر دل على رغبة تركيا في السلام وهو النبأ الذي بعث به قاريباسو يوم ٣يونيو يذكر فيه أن الاتراك يقترحون الاعتراف « باعـــلان استقلال الولايات الافريقية » كشرط مسبق لتخلي الاتراك عن ليبيا وترك الامر فيما بعد لايطاليا لحل المسالة بوسائلها الخاصة مع الوطنيين ! (٣١) ومن ذلك يبدو ان الانفراج العثماني كان واضحا .

وأذن جوليتي لفولبي بالذهاب الى اسطمبول . وقد سافر يوم ٦ يونيو وبما أنه كان قنصلا عاما لصربيا بالبندقية فقد كان من السهل دخوله تركيا وكان ذهابه الى اسطمبول من الناحية الرسمية من اجل « شؤون تتعلق بشركة الشرق التجارية » غير أن الحكومة التركية كانت على علم بمغزى الزيارة لدرجة ان المهندس ديناري الذي لعب دورا رئيسيا بمناسبة مهمـــة تيودولي (٣٢) ذهب الى جوليتي باسم طلعت بك ليستفسر اذا كان في امكان الوزراء الاتراك أن يتحدثوا جديا مع الكومندتور فولبي » . وأجاب جوليتي ان في امكانهم « الشروع معه في مباحثات مفيدة » (٣٣) وطبع بذلك مهمة فولبي بطابع شبه رسمـــي .

وصل جوسبي فولبي الى اسطمبول في ١٠ يونيو ١٩١٢ اي قبل يومين من دخول قانون ابعاد الايطاليين في حيز التنفيذ . وفي نفس يوم وصوله

---

(٣١) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 I., f. 651 برقية بوسداري الى دي سان جوليانو بتاريخ ٣ يونيو ١٩١٢ ورد وزير الخارجية بنفس التاريخ . وفي نفس يوم ٣ يونيو بعث بوسداري من صوفيا بنبا وصله من قاريباسو مفاده ان مجلس الوزراء التركي كان يبحث منذ زمن مناقشات حول السلام وسط اتجاهين ، واحد سلمي (يترامسه رئيس الوزراء سعيد باشا) « وهو قلق بسبب الصعوبات الداخلية والمالية » ومقتنع بان « ايطاليـــا لن تسحب ابدا مرسوم الانضمام » . اما الاتجاه المتطرف فكان يقوده طلعت وجاهد بك « الاول من اجل البقاء في الحكم والثاني وهو بطبيعته ميال للسلام ولكنه يظهر المقاومة ليبيع عند شبهة شراء ايطاليا لـــه » (المصدر المذكـــور) .

(٣٢) راجع ص ٣٠٦ ــ ٣٠٥ .

(٣٣) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٦٥ .

كان لقائه الاول مع وزير الحربية محمود شوكت باشا الذي صرح « انه مستعد لتأييد حل مشرف لتركيا » ، مدركا ان ايطاليا بصفتها دولة كبيرة لا تستطيع بعد العودة الى الوراء . وفي اليوم التالي تقابل مع حاسم بك وزير الخارجية الذي قال انه مقتنع بضرورة « تفاهم سريع ومباشر مع ابعاد امكانية « عقد مؤتمر قد يثير تعقيدات جديدة وقد ظهرت مع هذا استحالته منذ الاوقات الاولى » (٣٤) .

وفي يوم ١٢ يونيو قام فولبي بانهم لقاء مع الوزير الاكبر سعيد باشا الذي بدا « مؤيدا بصورة قاطعة لتفاهم مباشر وللبحث عن صيغة مشرفة من اجل السلام كما لم يبدو ابدا منذ بداية الحرب » وجس فولبي خلال مهمته نبض أعظم البارزين في الحياة العامة العثمانية وذلك بصورة عملية باستثناء حسين جاهد النائب ومدير صحيفة طنين الذي اتخذ موقفا متطرفا قاطعا .

وقد صرحت الشخصيات التي استمع اليها فولبي ولو بصيغ مختلفة انها تؤيد السلام . ونجد بين هؤلاء المسيو بيسارد مدير عام الدين العام العثماني ونسيب بك رئيس تشريفات الامير ولي العهد وطجان افندي نائب رئيس المجلس (النواب) واخيرا رئيسا الوزارة السابقين حسين حلمي باشا وكامل باشا .

وعاد فولبي الى ايطاليا يوم ١٦ يونيو وارسل تقريره النهائي عن المهمة الى جوليتي يوم ٢٠ يونيو من البندقية . وكان تقرير فولبي بصورة خاصة عبارة عن صورة لواقع تركيا عشية انهيار امبراطوريتها وهو واقع يعطي ايطاليا امكانيات كثيرة لاغلاق الحساب مع اسطمبول في النهاية . وقد كتب فولبي في تقريره الى جوليتي :

(٣٤) في حديث لاحق بتاريخ ١٥ يونيو خفف حاسم بك من نظرته المتساهلة للامر واكد على استحالة خسارة تركيا لطرابلس بالاشكال المطلوبة من ايطاليا . جميع تقارير فولبي الخاصة بهذه المباحثات موجودة في A.C.S., C.G., b. 17, f. 43/8 وانظر ايضا بخصوص هذه المباحثات جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٦٧ — ٢٦٥ .

« بعد انفجار الحرب وفي الاشهر الاخيرة من العام الماضي وجدت تركيا نفسها غير مستعدة لمقاومة سريعة جدية وبما انها تجهل خط السلوك الذي تنوي ايطاليا اتخاذه لتسيير الحرب فقد حلت بالحكام الاتراك فترة اولية من التردد والفوضى كان من الممكن ان تؤدي ــ حسب راي البعض الى حل سريع للصراع مع بعض المصالحة لصالحنا . فكانت هناك مشاريع مختلفة واقتراحات من كل نوع صادرة من كل تيار لكل سلطة (...) ولكن لا يوجد بينها واحد شبه رسمي ، والكثيرون مقتنعون بانه لو لم يات مرسوم ٥ نوفمبر ليضع نقطة ثابتة في الامر فقد لا يصلون الى اي شيء ملموس .

وبعد ذلك تغير الوضع تغييرا جذريا :

التنظيم العسكري وما اتبعه من استدعاء للجنود تم بما يقارب الخمسمائة الف جندي تحت السلاح من بينهم خمسون الفا في ولاية ازمير و ٢٠٠ الف رجل او ما يزيد ما بين مقدونيا والبانيا .

المقاومة في طرابلس وبرقة وقد نظمت بالتعاون مع العرب وعلى اساس دفع رواتب منتظمة للجنود الوطنيين .

الثورة في جزيرة العرب لا تزال في وضع غير خطير .

المقاومة في طرابلس وبرقة نظمت بالتعاون مع العرب وعلى اساس فيها ايطاليا نفسها . والجبل الاسود يكاد يكون عديم الحركة وعلى حدوده قرابة اربعين الف جندي تركي .

ان مثل هذه الحالة القائمة التي اكتملت في الاشهر الاولى من هذا العام جعلت تركيا تتطرف وقد خدعتها ايضا مواقف جميع الدول الودية جدا نحوها في اسطمبول وهو الموقف الذي لم يتغير بصورة عامة حتى الآن . وكذلك الطريقة الكيسة التي تولت بها المانيا رعاية المصالح الايطالية .

وفي المدة الاخيرة فان الانتصارات الايطالية الجديدة المتواصلة في ليبيا رغم اخفائها وعدم الاعتقاد في جزء منها وابعاد البارون مارشال الذي يعتقد

انه ضحى به في سبيل ايطاليا وموقف روسيا من مشكلة الدردنيل .. كل ذلك ازعج امن الحكام في اسطمبول .

غير ان هذه الاسباب لم تكن تؤدي الى اية نتيجة فعلية اذا لم يطرأ سببان كبيران للقلق : احتلال جزر ايجه من قبل ايطاليا والحالة الاقتصادية الداخلية التي تزداد تفاقما . (...)

انه بلد يواصل طريقه نحو نهايته المقدرة ، يتولاه رجال قليلو الذمة جميعهم أو ما يقارب ذلك هم ادنى من المهمة المسندة اليهم ، وهم مع الاسف الذين بيدهم مصير البلاد حتى الآن ، وهم بكل تاكيد لدى اختيار مختلف الطرق المفتوحة امامهم والواجبات الملقاة على عاتقهم لا يملكون حرية الاختيار بسبب سوء سمعتهم المقدرة ودرجة اخلاقياتهم المشكوك فيها لدى القليلين والسلبية لدى الاغلبية المطلقة (٣٥) .

ولا يقل اهمية التقرير الذي بعث به قارباسو الى دي سان جوليانو حول مهمة فولبي بتاريخ ١٦ يونيو ، ، وقد وضع قارباسو بصورة خاصة النقاط على الحروف حول عدم جدوى جميع وساطات الدول لعدم صدقها تجاه تركيا ولسياستها المليئة بالتحفظات الذهنية مما كان يجعل التقارب بين الطرفين الاكثر مصلحة مستحيلا بصورة عملية . وقد القى قارباسو الضوء على الجو الاقل تطرفا السائد حاليا في تركيا . فهو يشعر كيف أصبحت الاوساط الرسمية في اسطمبول الآن اكثر مرونة ورغبة في ايجاد مخرج :

« للمرة الاولى خلال تسعة اشهر من الحرب ــ كتب قارباسو في تقريره ــ كان في الامكان التعرف بدقة وعن طريق مباشر كيف يحكم رجال مخولون هنا على الحالة ويبدون قلقهم من اجل وضع حد للحرب ولاول مرة عرضت ــ ولو بصورة خاصة ــ وجهة نظرنا ومطالبنا المشروعة ــ وكما سبق لي أن وضحت لهذه الوزارة فان الحكام العثمانيين لم تبلغهم ابدا كلمة صادقة عن

---

(٣٥) A.C.S., C.G.b. 18, f. 43/9

حالة الراي العام في المملكة ، وعن قصد الحكومة الايطاليــة الاكيــد في المحافظة على البرنامج الموضوع (...)

ففي هذه اللحظة اخذ يظهر هنا بعض الانفراج وانه بالرغــم من اقوال الصحف التركية فان خصوما عنيفين مثل حسين جاهد بك محرر صحيفة « طنين » لا يريدون الاعتراف حتى الآن بتنــازل تركيــا ، الا انهم يقرون بان برقة وطرابلس قد خسرتهما الامبراطورية .

يوجد اذن فارق كبير ما بين راي الباب العالــي الذي طالب منذ بضعة اسابيع في وثيقة رسمية بالاعتراف بسيادة السلطان الفعلية وسحب القوات الايطالية وبين ما جمع من افواه بعض اعضاء الحكومة الذين لا يعترفون بخسارة الولايتين فحسب بل يبحثون عن وسيلة لحل الصراع ويقبلون ليس المباحثة فقط بل والمناقشة ايضا مع من يعتبر ــ رغم تصريحه بانه غير مخول ــ بانه اذا لم يكن الناطق باسم نوايا حكومتنا ، فهو على الاقــل الشخص الذي سينقل بامان كل عوارض هذا الاتجاه السلمي الذي اخــذ يتعمــم (...)

هناك شيء اخذ ينضج وهو دليل على ان رجال الحكومة واللجنة لم يعد يخشون الاساءة الى سمعتهم بظهورهم في الاجتماعات الخاصة ، وبدوا اقل تطرفا مما يصرحون به علنا (٣٦) .

ان ايطاليا من الآن فصاعدا في امكانها الوصول الى السلام بمفردها وان تتبع الطريق الوحيد وهو الاتصال المباشر باسطمبــول ــ وقد كان لتدخل جوليتي الشخصي وزنه بدون شك كان هو في الواقع الذي شد حبال هذه الاستطلاعات المتهيبة وكان منذ شهر يناير على اتصــال شخصي بفولبي ليعرف بالتفصيل اتجاهات الباب العالي ، وهو الذي كان يؤمن اكثر بالحوار المباشر مع اسطمبول بدون وساطة الدول . ومن خلال تاملاته في مهمة فولبي

---

(٣٦) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 I., f. 651

اكد جوليتي انه كان يعتبر « هاما بصورة خاصة الامر في أن الحكومة التركية قد اعترفت بمناسبة المفاوضات من أجل اتفاق مباشر مع ابعاد اي تدخل أو وساطة قد يكون من نتائجها تعقيد المشكلة التى كانت صعبة بطبيعتها » (٣٧) .

وقد تغلب الاحساس العملي في جوليتي في هذه المناسبة فهو لا يحب سفسطة الدبلوماسية الاوروبية ، ويشعر بان المشكلة يجب ان تواجه بصراحة.وكان دي سان جوليانو ضائعا تقريبا في المتاهات التي خلقتها الحكومات الاوروبية . وتائها وسط تبادل البرقيات الكثيف العديم الفائدة . ولم يستطع غير تكرير الفكرة المعتادة وهي استحالة تنازل ايطاليا عن السيادة الكاملة منتظرا دون فائدة أن تصدر من برلين او فيانا أو بطرسبرغ كلمة حاسمة وقوية الى اسطمبول دون ان يرى بارقة امل في ذلك . ولا يخلو من مغزى بصورة خاصة الامر بان نوقارا رجل ثقة فولبي هو الذي نظم الاتصالات للوصول الى لقاء بين الوفدين الايطالي والتركي وكان هو الوسيط وقد اعترض جوليتي بشدة على اختيار فيانا كمركز للمباحثات ، خشية أنه في العاصمة الدانوبية « سوف لا تعجز حكومة النمسا عن ايجاد الوسيلة لمعرفة كل ما كان يحدث » (٣٨) ويكفي دراسة تشكيل الوفد الايطالي الذي بعد قليل اي في ١٢ يوليو التقى في فندق جيبون بلوسان بالوفد التركي لفتح مفاوضات سلام حقيقية حتى وان كانت بصورة شبه رسمية . (٣٩) كان الوفد الايطالي يتالف بالاضافة الى فولبي من شخصين مخلصين جدا لجوليتي : بيترو برتوليني نائب بالبرلمان ووزير أشغال عام سابق ومرشح لتولي وزارة المستعمرات وقد كان قريبا من سونينو في أعوام كريسبي ثم انفصل عنه واصبح من ابرز شخصيات الاغلبية الجوليتية لدرجة انه مثل

---

(٣٧) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٦٧ .

(٣٨) المصدر المذكور .

(٣٩) تحقق هذا الاجتماع بعد اقل من شهر من سفر فولبي من اسطمبول وذلك بفضل العمل الذي قام به نوقارا لدى الاتراك .

ما ذكر سلاندرا أن برتوليني « بدا للحظة كمرشح لخلافة جوليتي وكانوا يمزحون منه اذ يلقبونه بالامير ولـــي العهد » (٤٠) اما العضو الثالث في الوفد فهو النائب تويدو فوزنياتو وزير المعارف السابق مع جوليتي في عام ١٩٠٦ واستاذ في القانون الدولي وهو من المخلصين لجوليتي . (٤١) وفي الخلاصة فهم ثلاثة من رجال رئيس مجلس الوزراء ينقلـــون اليه نتائـــج المباحثات . (٤٢) وقد يكون من المبالغة القول ان دي سان جوليانو قد سلبت مهامه غير انه مما لا شك فيه ان شخصية رئيس مجلس الوزراء كانت تبرز في قلب هذا العمل ، وفي هذه المقابلات التي ستؤدي الى السـلام .

وعين لرئاسة الوفد التركي سعيد حليم باشا وهو من أصل عربي ورئيس مجلس الدولة ورئيس سابق للجنة الاتحاد والترقي . (٤٣) وكانت المفاوضات طويلة وشاقة تميزها الاقتراحات والاقتراحات المضادة والمتباينة جدا وذلك

---

(٤٠) انطونيو سالاندرا « الجهـاد الايطالي » (١٩١٤) ميـلانو ١٩٣٥ ص ١٤٠ وبخصوص برتوليني يراجع « يومياته » المنشورة في « نوفا انتولوجيا » اول فبراير ١٩٢٣ .

(٤١) في يوم ٢٢ سبتمبر ١٩١٤ مات فوسيناتو منتحرا بصورة ماسوية بعد ان استبدت بـه فكرة ان ايطاليا بعدم انضمامها الى الامبراطوريات المركـزية خلال الحـرب العظمى قد تلحق بها نتائج خطيرة لا حصر لها (راجع انطونيو سلاندرا المصدر المذكـور ص ٤٤ ــ ١٤١ وفرديناندو مارتيني المصدر المذكور ص ١١٧) .

(٤٢) جميع تقارير الوفد الايطالي حول محادثاته مع الاتراك موجودة A.C.S., C.G., b. 21, f. 48 وفيما يخص مفاوضات السلام راجع انجلو بيتشولي « سلم اوشي » روما ١٩٣٥ .

(٤٣) هكذا يصفه فوسيناتو في رسالة الى جوليتي : « انه رجل صغير الحجـم في الخامسة والخمسين تقريبا شعره قصير تغلب عليه البياض وشاربه اكثر سوادا . الامر الذي يدل على انه عمل اكثر براسـه من فمه .. وفي المجموع شكله خفيف الظل يذكـرنا بفيتوريو ايمانويلي أورلندو مختصر . ملامحه وتصرفاته غاية في الكياسة والاتقان مما يدل على انه سيد من سلالة . ويعبـر بفرنسية جيدة جدا ويدخـن سجاير ممتـازة صنعتها له خصيصا ادارة الاحتكارات العثمانية . وكما نعلم جيدا انه شخصية كبيرة يحمـل لقب صاحب السمو لعلاقته بخديوي مصر وهو عضو في مجلس الشيوخ ورئيس مجلس الدولة وهذا المنصب يعطيه حق عضوية مجلس الوزراء . وقد كان من النظام السابق غير انـــه انتقل تلقائيا وفي الحال الى النظام الجديد واصبح حائزا على ثقة الشبان الاتـراك » (جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٦٩) وسعيد حليم باشا سينتخب رئيسا للوزارة في عـام ١٩١٣ .

في جو من السرية التامة . (٤٤) وفي يوم ٢٨ يوليو غادر الوفد التركي لوزان على اثر أزمة الحكومة التركية وتشكيل وزارة جديدة . ثم استؤنف المباحثات في ١٣ اغسطس في كاو Caux بوفد تركي جديد متكون من نابي بك وزير مفوض سابق بصوفيا وفخر الدين بك القنصل العام ببودابست وفي يوم ٤ سبتمبر نقل مركز المفاوضات مرة اخرى الى اوشي احد ضواحي وميناء لوزان على الضفة الشمالية لبحيرة جنيف . وبوصول وزير الزراعة والصناعة والتجارة التركي رشيد بك الى أوشي يوم ٢٩ سبتمبر اتجهت المفاوضات نحو مرحلتها النهائية بحيث أنه في يوم ١٦ اكتوبر استسلم المندوبون الاتراك والايطاليون كل من عاصمته توكيلا رسميا بصفته مفوضا .

اللمسات الاخيرة في محادثات اوشي كيفها حادث البلقان الجديد . ففي ٣٠ سبتمبر عبأت بلغاريا واليونان وصربيا والجبل الاسود جيوشها . وحاولت الدول في اللحظة الاخيرة الوساطة ولكن دون جدوى . وقد وصلت مذكرة نمساوية روسية غايتها اشعار الدول البلقانية بارادة الدولتين في مقاومة اي تغيير في الوضع القائم الاقليمي للامبراطورية العثمانية ... وصلت هذه المذكرة بعد ان كانت دولة الجبل الاسود قد أعلنت يوم ٨ أكتوبر الحرب على تركيا واتبعتها بعد قليل من ذلك بقية دول الرابطة البلقانية.(٤٥)

وان الامر المخيف الذي كيف ، كل سلوك ايطاليا العسكري والديبلوماسي والذي غذى تطرف النمسا ضد كل مبادرة ايطالية جاء الآن — تحت مظاهر كثيرة — ليسهل من مهمة المفوضين الايطاليين باوشي .

فتحالف الدول البلقانية في تلك الفترة ضد الباب العالي قدم ، بدون قصد

(٤٤) احتجت بعض الصحف الايطالية لان البلاد كانت لا تعلم شيئا . فلاحظت صحيفة « روما » في عددها بتاريخ ٥ اكتوبر ١٩١٢ ان الشعب قدم امواله ودماءه من اجل الحرب وله الحق ان يعرف كل تطور المفاوضات .

(٤٥) بالنسبة للحرب البلقانية الاولى راجع فلاديمير ديديجير V. Dedijer « المعقدة البلقانية وسراييفو » ميلانو ١٩٦٩ ص ٣٢٧ وما يتبعها .

خدمة جيدة لجوليتي غير ان الامر اغضب القوميين الايطاليين وصحفا مثل « الماتينو » التي لم تتقبل التوقيع على السلم في ذلك الظرف « بفضل الدول البلقانية » والتنازل هكذا « عن لقب وكرامة الدولة الكبيرة . (..) فاقل ما يمكن ان ننتظره اليوم — لاحظت الصحيفة النابوليطانية — من أجل شرف بلادنا ومستقبلنا هو أن ترفض تركيا آخر شروطنا » (٤٦)

ولكن بالرغم من الضربة التي تلقتها من الدول البلقانية فان تركيا قامت ببعض التسويف خلال المفاوضات الامر الذي دفع بالوفد الايطالي يوم ٢ اكتوبر بناء على توجيهات من جوليتي الى تقديم انذار مدته ثمانية أيام تدعو فيه المفاوضين الاتراك الى التوقيع على الاتفاق السري الذي تم التوصل اليه والا فستتوقف المباحثات وتستأنف ايطاليا كامل حريتها في العمل (٤٧) وجاء الرد التركي يوم ١١ اكتوبر مغيرا المشروع الموضوع من اساسه (٤٨) وقد رفض وكان يبدو فعلا أن المفاوضات أصبحت على ابواب القطع بصورة لا أمل فيها وقد وجد في ايطاليا من سر لهذا الامر (٤٩) ولكن جوليتي والوفد

---

(٤٦) « الماتينو » ٢ — ٣ سبتمبر ١٩١٢ . بعد شهر منذ ذلك وصف سكاربوليو مفاوضات اوشي بانها مضحكة واضاف : « لا نبالغ اذن اذا قلنا ان اتمام الصلح في هذا الظرف قد يكون جريمة وخيانة عليا ضد البلاد التي أعطت ثقة ومالا ودماء بما يكفي للفوز بهدفها السامي والتي سترى خيبة جميع امالها » (تارتاريين Tartarin « السلام عبارة عن خيانة » في صحيفة الماتينو ٤ — ٥ اكتوبر ١٩١٢ ، راجع ايضا « الخيانة تمت » ٦ — ٧ اكتوبر ١٩١٢) .

(٤٧) جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٩٥ — ٣٦٨ بخصوص الجو الذي ساد المفاوضات للسلام راجع الرسائل التي بعث بها بارزيني من سويسرا الى البرتيني منشورة في لويجبي البرتيني « رسائل » المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٢٨ وما يتبعها .

(٤٨) راجع جوفاني المصدر المذكور ص ٢٨٨ .

(٤٩) « الماتينو » بتاريخ ١٢ — ١٣ اكتوبر ١٩١٢ اغتبطت لهذا التوقف في المفاوضات « ان ايطاليا من جديد في حالة حرب ! مصائرنا ليست بعد محفوظة في رفوف الاجراءات المنتهية ، بل قد أسندت من جديد الى سيوف قوادنا — — تحيا ايطاليا — وهناك اعتبار آخر . ان ملايين البنادق البلقانية والاف المدافع الايطالية تضيق الخناق على تركيا التي تقرر مصيرها — ان العنصر التركماني في استطاعته ان يرفع الخيام ويعود الى التوتار من حيث اتى » واكدت الصحيفة في اليوم التالي : « لقد اسند الينا فعلا ان نمثل القسم

الايطالي اظهروا من جديد جدا وثباتا واخذوا يلعبون على الصعوبات التي كانت تواجهها تركيا في منطقة البلقان ثم منحوا تركيا خمسة ايام اخرى مهددين بهجوم الاسطول الايطالي على ازمير وقطع ملتقى الخطوط الحديدية في ديديافياتش Dedeaaflatch في تركيا الاوروبية وهو ملتقى حيوي بالنسبة لتركيا لانهاء التعبئة اللازمة لمواجهة اليونان وبلغاريا . ومرت ايام اخـرى من التردد والتسويف والشكليات غير انه في هذه الايام بالذات اخذت الدول الكبرى تكتسب اكثر نشاطا وقوة من اجل تعجيل انهـاء المفاوضـات بين ايطاليا وتركيـا .

« كانت الحكومات ــ كتب فولبي ــ تعمل من اجل امكانية ايقاف الاعصار قبل ان يتفجر وكانت تتفق في رغبة السلام لا في اسلوب العمل من اجل المحافظة عليه وقد تجددت الحالة نفسها لعام مضـى في غمـرة الحرب الايطالية ــ الليبية ، وقد عاد نفس العرض للاتفاق الاوروبي الهزيل وبنفس القلق الكامن في كل احد بان لا يتورط ولا يفسد الصداقة مع هذا او ذاك من الطرفين المتخاصمين وعدم ترك الآخرين يتحصلون من الاحـداث الجديدة على مزايا اعظم مما لديهم . وكان شبح المانيا ايضا يقض المضاجع ولكن النمسا كانت اكثر ازعاجا ، حيث كان يخشى من ردود فعلها . واخيرا ماذا كان في امكان روسيا ان تفعـل ؟ » (٥٠) .

ولكن هذه الازمة الدولية الجديدة ــ كما لاحظ فولبي نفسه ــ قد مكنت من تحقيق ما لم يكن في الامكان حتى ذلك الوقت ابدا الحصول عليه من الدول : اي تدخلها لدى اسطمبول كي تخضع للامر وتلقى السلاح » (٥١)

الاول من حديث تاريخي ذى اتساع عالمي : ليس سقوط الامبراطورية العثمانية وانما سقوط الحكم المطلق والحكم الديني التركي في الامبراطورية العثمانيـة » وقالت الصحيفة ان تعاون ايطاليا في « الحملة الصليبية البلقانية » يكتسب « نفس المغـزى وستكون له نفس النتائج السعيدة التي فزنا بها من اشتراكنا في حرب القوم » (تارتارين : لتحيا ايطاليا » منشور في « الماتينو » تاريخ ١٣ ــ ١٤ اكتوبر ١٩١٢) .

(٥٠) جواكينو فولبي ــ المصدر المذكور ص ١٤٢ .

(٥١) المصدر المذكـور ص ١٤٣ .

وبما أن المصالح المتنافس عليها كانت اشد وطأة على الدول الآن فمن الانسب اذن وضع حد للحرب في ليبيا التي كانت تنهك تركيا وتولــد في الميدان البلقاني عناصر الاضطــراب . ولذلك تحركت برلين وفيانــا وبطرسبرغ وباريس ، حتى ولو ان بوانكاريه كان قلقا بخصوص جزر الدوديكانير خشية أن لا تتعهد ايطاليا باعادتها . (٥٢) ولكن كان من مصلحة ايطاليا ايضا قفل الموضوع في اقرب وقت ، لدرجة انه كانت هناك تدخلات من قبل تيتوني وامبريالــي من اجــل دعــوة فرنســا وانكلتــرا للتدخــل لدى حكومــة اسطمبــول (٥٣) .

واخيرا تم التوقيع على الاتفاق التمهيدي عند الساعة السادسة مسـاء من ١٥ اكتوبر . وهذا الاتفاق كان ينص على انه يجب ان يسبق التوقيع على معاهدة السلم الحقيقية صدور الوثائق التالية من الطرفيــن من قبل تركيا : صدور فرمان بمنح الاستقلال الذاتي لليبيا مع الاحتفاظ للسلطــان بحق تعيين الرئيس الديني وان يرعى المصالح العثمانية في تلك المناطق بواسطة ممثل له ، واصدار ثان تمنح بموجبه اصلاحات وعفو عن سكان الجزر التي احتلتها ايطاليا وكذلك العفو عن السيد ادريس — اقطاعي عربي كبير كان قد انضم الى الايطاليين — ومن قبل ايطاليا : كان يجب ان يصدر مرسوم ملكي بمنح العفو عن الوطنيين ويعترف بالقاضي المعين من السلطان كرئيس ديني لطرابلس وبرقــة .

---

(٥٢) طالب بوانكاريه ان تقدم ايطاليا « بلاغا احتياطيا بجميــع الاتفاقيــات » المعقــودة مع تركيا » حول اعادة جزر ايجه وحول النظام السياسي والاداري للباب العالي » (انظــر D.D.F., III, 4, n° 91, p. 84 بوانكاريه الى السفراء الفرنسيين في لنــدن وبرلين بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩١٢ و B.D., IX, 1, n° 443, p. 423 برقية غراي الى ف . برتــي بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩١٢) . ولم يكن غراي موافقا على هذه الصيغة خشيــة ان تتعثر المفاوضات (المصدر المذكــور ص ٤٢٤ وما يتبعهــا) .

(٥٣) جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٤٤ — ١٣٤ — راجع ايضا B.D. المذكــور رقــم ٤٤٢ ص ٢٣ — ٤٢٢ برقية ديرنق مستشــار السفارة البريطانية بروما الى غراي في ٣ اكتوبــر ١٩١٢ يؤكد فيها ان دي سان جوليانو كان يرحب بتدخل بريطاني لدى الباب العالي .

وفي ١٦ أكتوبر نشر الفرمان الذي اعلن بموجبه محمد الخامس عجزه عن تقديم المساعدات الفعالة والضرورية لسكان ليبيا للذود عن بلادهم ورغبته في تجنب « مواصلة حرب مدمرة » فقد منحهم « استقــلالا ذاتيا كــاملا وشاملا » مستندا على ما تخوله « حقوقه الملكية » .

« ان بلادنا ـــ واصل السلطان كلامه ـــ ستسيرها قوانين جديدة ونظــم خاصة ستساهمون بنصائحكم في سبيل اعدادها بحيث تاتي مطابقة لرغباتكم وتقاليدكم .

اني اعين لديكم كممثل لي خادمي الامين شمس الديــن بك بلقب نائب السلطان واكلفه برعاية المصالح العثمانية في بلادكم ـــ وان مدة التفويض الذي امنحه له خمس سنوات وساحتفظ بعد مرور هذه الفترة بحق تجديد مهمته او تعيين خلف لـــه .

وحيث اننا ننوي أن تظل قوانين الشريعة السمحاء سارية المفعول فاننا نحتفظ بهذا القصد بحق تعيين القاضي الذي يقوم بدوره بتعيين النواب من بين العلماء المحليين وفقا لتعليمات الشرع الشريف . و سنقوم نحن بدفع مخصصات القاضي في حين ان مخصصات نائب السلطان وموظفي الشرع الشريف الآخرين ستدفع من الواردات المحلية » (٥٤) .

وقد تحدث السلطان في الخلاصة كما لو انه لا يزال هــو القــادر علــى التصرف بحرية في الولايتين الليبيتين اذ لا يوجد اي اثر في كل الوثيقة للوجود الايطالي . لا يقتصر الامر على عدم الاعتراف او الحد من السيادة الايطالية فقط : (٥٥) لقد تجاهل ايطاليا عن عمد كما أن ما وقع في الاثني عشر شهرا السابقة يعتبر تقريبا بالنسبة للسلطات العثمانية أمرا لا اهمية له . فالسيادة على طرابلس وبرقة بالنسبة للسلطان لا تزال بوضوح بين

---

(٥٤) الفصل الكامل للفرمان بالملحق رقم ٩ .

(٥٥) راجع باولو مالتيسي المصدر المذكور ص ٤٥ ـــ ٣٤٤ .

يديه (٥٦) الوثيقة واضح : ان تركيا لا تريد ان تبدو امام العالم الاسلامي كمنهزمة بل بالعكس تبرز مرة اخرى كحامية لمصالح وحقوق السكان الليبيين . فاذا اخذنا بعين الاعتبار الرابطة الوثيقة القائمة لدى اولئك السكان بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية فان تعيين نائب السلطان كان يخفي بنية واضحة عدم الاعلان عن نقل السلطات وانما استمرارية النظام القديم .

وفي اليوم التالي ١٧ اكتوبر نشرت الجريدة الرسمية للمملكة الايطالية المرسوم الملكي المتوقع (٥٧) . وقد تحدث فيه فيتوريو عمناويل الثالث بالطبع كالسيد الشرعي لطرابلس وبرقة بحيث نتج ظرف غريب بظهور دولتين تبدو أن في نفس الوقت — وعلى اساس وثائق كل منهما — صاحبتا السيادة على ارض وسكان ليبيا وبالاضافة الى ذلك ففي الوقت الذي لا تشير الوثيقة التركية ابدا الى ذكر ايطاليا فان المرسوم الملكي الايطالي يشير بصراحة الى مضمون الفرمان الامبراطوري مؤكدا هكذا ضمنيا الانطباع بان مرسوم السيادة الايطالية الساري المفعول منذ شهر نوفمبر ١٩١١ ليس الا امرا شكليا لا غير . (٥٨)

وكانت ردود فعل البلاد على توقيع المعاهدة مختلفة . فقد نظر اليها

---

(٥٦) كتب جيرارد لاوثر الى غراي في ١٧ اكتوبر ١٩١٢ من اسطمبول : « شمس الدين بك اطلق عليه لقب « نائب السلطان » اي ممثل السلطان (لا الخليفة) وهو مكلف برعاية المصالح العثمانية (لا الاسلامية » واضاف ان « ايطاليا لم يكن بكل تاكيد في امكانها الحصول على السلام بنفس الشروط بدون عمل وتضحيات الدول البلقانية وان لدى بعض ممثليهم هنا هذا الانطباع بان ايطاليا قد سببت لهم صعوبات». (B.D., IX, 1, n° 459, p. 431)

(٥٧) راجع نص المرسوم المنشور بالملحق رقم ١٠ .

(٥٨) راجع نص معاهدة الصلح في الملحق رقم ١١ . هكذا ابرق الملك الى جوليتي في ١٨ اكتوبر : « استلمت بسرور البرقية التي تشعروني فيها بان معاهدة الصلح قد وقعت اود ان اشكركم من صميم قلبي على العمل الوطني السامي الذي قمتم به بنشاط وذكاء في هذا العام الذي دخل التاريخ . اوافق على اقتراحكم بتكوين وزارة المستعمرات وتعيين النائب برتوليني . سانتظر فيما بعد اشارتكم فيما يتعلق بدعوة البرلمان التي يستحسن عدم تاخيرها اذا كنتم من نفس الراي . (...) »

بصورة عامة كامر ايجابي وكنهاية لمغامرة كان في امكانها ان تصبح خطيرة وكنهاية لفاصل في حياة البلاد كان لا يمكن ان يطول كثيرا ويعرض التطور الاقتصادي والاجتماعي للخطر وكعودة الى الحياة العادية وهي العودة التي يرغبها من كان اكثر من غيره قد مسته الحرب شخصيا . وفي مقال منشور بمجلة « راسينا كونتمبورانيا » هكذا عالج نونزيانتي مغزى السلام خارج الاعتبارات السياسية :

« ان السلام كان مرغوبا فيه ، وهو مرغوب فيه اليوم ، كما كان مرغوبا فيه في العام الماضي عندما نزل كاني مع حفنة من البحارة الابطال الى ساحل طرابلس . ان الراي العام لا يتالف من الشبان الجريئين والمتحمسين الذين يصيحون في الشوارع : « لتحيا الحرب وليسقط السلام » .

ان الامهات والزوجات والعرائس والفلاحين المتقدمين في السن الذين تركهم اولادهم وظلوا وحدهم يعملون في ارض الاسرة ورجال الصناعة والتجارة والذين كسدت اعمالهم كلهم كانو يؤملون في العام الماضي أن لا يتحطم السلام ، وهم اليوم يجب أن يكونوا مسرورين ومرتاحين لان السلام قد تم .

قد يكون مخالفا للمنطق وللطبيعة اذا لم تكن هكذا » (٥٩)

وانقسمت الصحافة في حكمها وفقا لاتجاهها السياسي الخاص . هناك صحف قابلت السلام بارتياح واشادت بحكمة الحكومة ، وهناك من انتقدت التنازلات التي اعتبرت واسعة كثيرا والتي قدمت كذلك للباب العالي

وقد صادق مجلس النواب على معاهدة الصلح يوم ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ بعد مناقشة قصيرة وذلك بموافقة ٣٩٥ صوتا ومعارضة ٢٥ . ووافق عليها مجلس الشيوخ باغلبية ١٥٧ صوتا ضد ٢ وذلك يوم ١٤ ديسمبر ١٩١٢ .

(٥٩) فرديناندو نونزيانتي Ferdinando Nunziante « صلح لوزان والحرب البلقانية » منشور في راسينيا كونتيمبورانيا Rassegna Contemporanea نوفمبر ١٩١٢ ص ٨٦ — ٤٨٥ .

الرغبة تقريبا في التراجع امام الحرب البلقانية دون محاولة الاستفادة منها أو الانانية في ترك الشعوب البلقانية وحدها تواجه تركيـــا . (٦٠)

ولعل أكثر الصحف اليومية جدالا في هذا الصدد كانت صحيفة « ماتينو » لادوارد سكارفوليو الذي لم يضن على الحكومة بهجماته بلهجـــة حـــادة قاطعة ومؤلمة بعد نهاية المفاوضات . وقد وصف معاهدة أوشي « باقبح معاهدة سلام » تنهي حربا شبيهـــة « باحدى التمثيليات الايمائية البطولية العزيزة على روح الايطاليين المزخرفـــة » .

« وواصل سكارفوليو كلامه : كان يبدو كاننا سافرنا لاحتلال الاوقاماقونا (عبارة عن معنى مناطق بعيدة جدا) انه لجنون حربي منتفخ ومزبد مثـــل الفيضان تدفق من علياء الحكومة الى أدنى الطبقات الاجتماعية . ولم يكن في الامكان تدخين لفافة تبغ في مقهى موسيقى دون أن يضطر الانســـان الى أن يقف كل خمس دقائق ليستمع واقفا الى النشيد الملكي ولا يستطيع أن يسير خطوة دون ان تصدعه الاناشيد الوطنية . »

ان معاهدة الصلح كانت في الخلاصة « العقاب العادل » عن « الغرور والطيش » للشعب الايطالي الذي هاجمه تارتارين باحد مقالاته اللاذعـــة السامـــة :

« لستم أنتم من طينة الجوارح ومن رعاة الشعوب ، انتم الذين لا تعرفون ولا تجرؤون حتى على التخلص من وزارة تجعلكم موضع الشفقة والسخرية . أنتم رجال النشويات والشيكوريا . واصلوا مصيركم وحاولوا أن يكون اكلكم أفضل وأن تشربوا نبيذا اقل ثقلا وأن تسكبوا في نسائكم قليلا مـــن النعومة وفي شعرائكم الهزليين بعض النبوغ واستعيضوا على اللوتو (لعبة

(٦٠) وكتب ايضا نونزيانتي في المقال المذكور : أهلا وسهلا بالســـلام ، بيد ان الكثيرون قد كانوا يرغبون نهاية مشرفة اكثر من عمليتنا فيما ورا البحار ، ان الصحافة وفي طليعتها الصحافة شبه رسمية قد أسكرتنا لمدة عام كامل ببطولات وذكريات روما القديمة الكلاسيكية وهل هذا ذنبنا اذا تعودنا على الشمبانيا فنجد الان نبيذ دارنا بدون رغوة ؟ هكذا بلـــغ الامر بالبعض الى التساؤل: هل هو سلام مظفر ام سلام مذل؟» (المصدر المذكور ص ٤٨٧) .

يانصيب حكومية) بالروليت — واذا كان ولا بد من ارضاء الاحفاد بحاجات البطولة التي لا تزال عالقة في نفوسكم فلا يكفي قراءة كتاب الفرسان الثلاثة فاننا نعطيكم يوميات حرب الجبل الاسود التي جمعها شهود عيان » (٦١)

ولم يكن سكارفوليو رحيما حتى مع الحكومة التي حسب قوله لم تعرف كيف تحمي السيـــادة الايطاليـــة :

« بتفويض من الحكومة خان المفاوضون الايطاليون بلوزان بصورة رسمية الكلمة التي قطعتها الحكومة على نفسها باسم الامة . وفي هذا الصدد بذلت كنوز من العبقرية والمرونة ، تلك المرونة والعبقرية التي يستعملها مـوثق العقود اللبق بدقة في تحويل حرفية احدى الوصايا . ايها العنصر اللاتيني انت لا تكذب نفسك ابدا في تكذيبك الخالد لنفسك . ان أولئك الذين يقولون ان صيغة الحكم الذاتي كما وضعهـا الذين رسمـوا وثيقة أو شيئـا في استطاعتها أن تنقذ) مرسوم السيادة هم يكذبون من جديد . ويكذبون جيـدا مع علمهم بانهم يكذبون بصفتهم متهربين ومزورين . (...)

توجد اذن منذ ٥ نوفمبر ١٩١١ بالنسبة للحكومة الايطالية ولايتـان لا سيادة عليهما لغير ملك ايطاليا ، غير ان ملكا آخر هو رئيس الامبراطورية العثمانية يصرح بموجب ارادة بان الولايتين المذكورتين عثمانيتان وذلك في ١٧ اكتوبر ١٩١٢ ويصرح بانهما مستقلتان ذاتيا بموجب ما تخوله له « حقوقه السيادية » هذه هي كلمات الارادة (....) وهكذا ينفذ مرسوم الانضمام حسب الصيغة الشبه رسمية وهكذا سنواصل التكذيب والكذب لاننا شعب تلق ومرتعب ، جرىء اللسان ومتهيب القلب بليغ بالشارع وغير جديـر بالمنبر فيالنا من أناس » (٦٢)

وجاءت الانتقادات ايضا وبالطبع من صحيفة « أيديا ناسيونالي » . فلم

---

(٦١) تارتارين « ملحمة بولشينلا » في صحيفة « ماتينو » ١٨ — ١٩ اكتوبـر ١٩١٢ . راجع ايضا مقال « تضحية اوريدبين تمت » في ١٦ — ١٧ اكتوبر ١٩١٢ .

(٦٢) كيم Kim « السهم المر » منشور في « ماتينو » ١٨ — ١٩ اكتوبر ١٩١٢ .

يعجب ميرافيليا ذلك السلام الذي « لم يفرض بالقوة » وانما جاء نتيجة تفاوض مع العدو . (٦٣) ولم يقتصر احتجاج القوميين على مقالات الصحف . ففي روما نزل الى الشارع في أوائل اكتوبر مجموعات من الشبان كانوا يوزعون منشورات تدين مفاوضات السلام لانها قد تنكرت لتضحيات الجنود الذين سقطوا في المعركة . (٦٤) « والسلام — حسب ما قالته صحيفة « جورنالي ديطاليا » — قد سمح بقبوله من أجل الوطنية » وان كان في الامكان الوصول اليه قبل عشرة اشهر بنفس الشروط . (٦٥)

واختلفت انتقادات رجال اليسار الديموقراطي من امثال بيسولاتي وقد وبخوا الحكومة لتخليها عن الشعوب البلقانية ، واضاعة فرصة البقاء الى جانبها واتمام « عمل متمدن » بتعاونها في سبيل مطالب هذه الشعوب الوطنية التي اتخذت طابع حدث عظيم « الاهمية الثورية » . (٦٦) وهي نفس فكرة قايطانو سالفيميني وهو الامر الذي كان يبدو تقريبا كمقدمة منذ عام ١٩١٢ لذلك التيار الديموقراطي الذي طالب بالتدخل في الحرب العالمية وهو أمر حساس بصورة خاصة لموضوع القوميات وقد كان كل من سالفيميني وبيسيولاتي من اكبر المؤهلين للتعبير عنه في عام ١٩١٥ .

وكان سالفيميني ايضا يرى « انه من التمشي تماما مع التقاليد الوطنية — لا القومية — الايطالية ان نمد يد المساعدة الى القوميات البلقانية في الصراع الذي يبدو اننا سنقوم به بكثير من التضامن غير المنتظر والمجزي

---

(٦٣) ماوريسيو مارافيليا Maurizio Maraviglia « الحرب وحنين السلام » منشور في « ايديناسيونالي » ٢٤ اكتوبر ١٩١٢ .

(٦٤) راجع رافائيلي مولينيلي المصدر المذكور ص ٢٣ — ١٢٢ » وهكذا فان الحرب — قال مولينيلي — التي طالما رغبوها بقوة وايدوها فقد تركتهم — بعد هذا السلام الجدير بها — بعضهم أصيب بخيبة امل في حين أن كل البلاد استقبلت النهاية بفرحة » .

(٦٥) راجع « جورنالي ديطاليا » ١٩ ، ٢٠ اكتوبر ١٩١٢ .

(٦٦) راجع « كويري ديلا سيرا » ١٧ اكتوبر ١٩١٢ — بارزيلاي كان يرى انه بالرغم من انه كان في الامكان التجرؤ اكثر وفرض سلام مختلف من « على ظهر البارجة الامبرالية امام ماذن اياصوفيا » غير ان السلام مرض بالنسبة لنتائج مجهودنا » (لقاء مع النائب بارزيلادي ، نشر في صحيفة « جورنال ديطاليا » بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩١٢) .

فالسلام كان بالنسبة لسالفيميني « عمل أناني قذر » يشوه ايطاليا ويهدم سمعتها في الشرق (٦٧) . وانتقد سالفيميني ايضا مضمون معاهدة الصلح الذي وصفه بانه امر مبهم حقيقي ، حيث كان من غير الممكن باي صورة كانت ان يفهم شيء « من كل هذا التشابك من الفرمانات والمراسيم الملكية والارادات والاتفاقيات العامة دون ابداء راي مسبق للاتفاقيات السرية المحتملة » .

« ان معاهدة لوزان — كتب سالفيميني بشيء من السخرية المرحة — تذكرنا بتلك اللوحات المنسوخة الموجودة في بعض فنادق الارياف والتي تمثل امرأة وقحة تبتسم بعينها وتغمز وتلاحق بنظراتها كل من نظر اليها من اي مكان في الغرفة وتبدو له انها تبتسم وتنظر اليه وحده . واذا كنتم ثلاثة تنظرون اليها من اماكن مختلفة فهي تبتسم لكم وترضيكم انتم الثلاثة . فلمن تبتسم اذن معاهدة لوزان ؟ : للاتراك أم لايطاليا ؟ الى مسلمي ليبيا ؟ الى الجميع ؟ لا لاحد ؟ لدينا انطباع عام تقريبا غريزي بان معاهدة لوزان مقدر لها أن تبقى في التاريخ كاحدى الخدع الديبلوماسية الاكثر لباقة . وهي خدعة لذيذة وكاملة بحيث سيكون دوما من الصعب جدا التقرير بدقة من هو المخدوع . عمل رائع من نوعه » (٦٨)

---

(٦٧) تايطانو سالفيميني « الصلح الايطالي — التركي والمسالة البلقانية » في صحيفة « اونيتا » ١٢ اكتوبر ١٩١٢ والان موجودة في كتاب سالفيمني « كيف ذهبنا الى طرابلس » المذكور ص ٤٤ — ٣٤١ . « لقد انتقلت مسالة ليبيا من الناحية الدولية واصبحت الحرب في طرابلس مسالة سياسية داخلية ايطالية ، واننا نستطيع الان بهدوء أن نقوم مع روسيا بدور حارس البلقان ضد النمسا . وهو على وجه الدقة ما يحتاجه الحلف الرباعي البلقاني الذي يؤمن ظهره من جهة الدانوب ويحصر جهوده بحرية ضد تركيا (...) فهذه هي اهمية وفائدة الصلح الايطالي — التركي في هذا الظرف . وفي الوقت الذي نرى طبيعيا ان يثور سكارفوليو وامثاله من رجال السياسة الالمانية — النمساوية والامبريالية الاستعمارية فيحق لنا ان نغبط نحن الذين نعتبر منع النمسا من اي توسع آخر في البلقان هدفا رئيسيا لسياسة ايطاليا الخارجية في هذه الفترة من التاريخ الدولي ومن تطورنا الداخلي » (المصدر المذكور ص ٤٤ — ٢٤٣) .

(٦٨) تايطانو سالفيميني « مرسوم السيادة وصلح لوزان » منشور في صحيفة « اونيتا » ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ منشور الان في كتاب سالفيميني « كيف ذهبنا الى ليبيا » المصدر المذكور ص ٢٥١ .

وبالرغم من الاشارة الى أن ايطاليا قد تراجعت رسميـــا بمرســـوم ٥ نوفمبر عن (الانضمام) فان سالفيميني لم يسعه سوى ابداء اغتباطه للوصول الى السلام وللعمل الذي قام به المفاوضون الايطاليون ، حتى ولو أنه « بعد عام من الحرب وصرف مليارين وفقدان الاف الارواح الايطالية التي ضحى بها في المعارك والمستشفيات « فان الاحتلال الايطالي لم يتغلغل في الداخل اكثر من بضعة عشرات الكيلومترات » .

ويلاحظ في سالفيميني من خلال حكمه على سير الحرب ومفاوضات السلام بصورة عامة انه قد خفف من جداله المستمر ضد جوليتي . بل والغريب في الامر هذا ، وهو لا يخلو من مغزى أن يحكم على جوليتي حكما يعد من الاحكام ايجابية حول صفاته كمعتدل وحول حكمته وترويه ، وان يصدر هذا الحكم من اعنف معارضيه ، وهذا ما يدل اذا كانت هناك حاجة الى دليل على شرف قايطانو سالفيميني السياسي والفكري العظيم . لقد سر لان جوليتي بالذات كان يتولى مقاليد الامور في البلاد في تلك الفترة مدركـــا بوضـــوح المخاطر التي قد تنتج عن فقدان الاتزان والانقياد للحماس الشديد بصورة خاصة في الصحافة ، والطيش والاندفاع التي سرت عدواها في قسم من الطبقة الحاكمة وفي العسكريين وفي وزارة الخارجية وفي الكثير من الاوساط التي يسهل بصورة عامة « تقبلهم للاماكن المشتركة والعبارات المعدة دون أن يرتابوا أبدا في امكانية احتوائها على خطا أو خديعة » ولكن جوليتي ظل غريبا عن هذا الحماس ولم تصبه العدوى . وقد سير الحرب ببرودة تامة الى درجة انه جعل أعنف خصومه الذين دمغوه بلقب مشين وهو « وزير عـــام الجريمـــة » يقـــول : لقد كان حظا عظيمـــا للبلاد ــ في النهاية ــ في ان يكون لديها رئيس وزراء مثل جوليتي .

« من يريد أن يحكم بصدق على عمل جوليتي في هذا العام الماضي ــ كتب سالفيميني ــ اذا عثر على اخطاء كثيرة تدعو الى الشكوى واتعسها ما نقوم فعلا بالاهتمام به ــ فعليه ان يحكم ضميره ويعترف أيضا ان اي شخص آخر في مكان النائب جوليتي كان يرتكب اخطاء اكثر عددا واكثر

شؤوما ، لانه قد يكون غير مستعد لمواجهة صعوبات الحملة لا اقل ولا اكثر من النائب جوليتي ، ولكن قد تنقصه برودة جوليتي الذي لا يتاثر بشيء وتساهله ، تلك البرودة التي اذا بدات ضارة ومثيرة في الغالب للاشمئزاز في السياسة الداخلية فانها تكون ضرورية ومناسبة في السياسة الخارجية. لنفرض ان بدلا من جوليتي كان هناك رجل آخر مندفع ومتغطرس ومغرور ومعتد ولا يقل جهلا من نوع فرنشسكو كريسبي . لنحمد جميع الالهة التي جعلتنا نقضي هذا العام الماضي في نظام جوليتي » . (٦٩)

وقد حيت الصحف الوزارية امثال « لاستامبا » و « لاتريبونا » السلام بارتياح . واتخذت صحيفة « كوريري ديلا سيرا » موقفا متسامحا محاولة تبرير مغزى الوثيقة التي وقعت في لوزان . (٧٠) فالفرمان الامبراطوري — حسب وجهة نظر صحيفة البرتيني كان يجب أن يفسر كحيلة « لاعطاء الخصم الوسيلة كي يودع نهائيا دون اذلال كبير رعاياه الذين تعرف كل المعاهدة تحولهم النهائي والرسمي الى رعايا ايطاليين » وتعارض صحيفة « كوريري » اتهامات اليسار الديموقراطي : كنا في أشد

---

(٦٩) المصدر المذكور ص ٢٥٤ . حتى جيريتي اكد وسط المجلس يوم ٢٤ فبراير ١٩١٤ : « أريد ان اعترف انه وقد انتهت الحرب بان كان من حظ ايطاليا نسبيا أن يكون في الحكم جوليتي بدلا من وزير اخر لديه الاستعداد للتنازل امام مطالب وضغوطات القوميين » (وثائق البرلمان الايطالي الدورة ٢٤ القسم الاول، مناقشات، جلسة ٢٤ فبراير ١٩١٤ ص ١٦٧٨).

(٧٠) هكذا لويجبي البرتيني يوضح الموقف الذي اتخذته صحيفة « كوريري ديلاسيرا » : يجب في الوقت المناسب ان نعرف كيف نضحي في الحرب ويجب أن نعرف أيضا كيف نريد السلام العادل الذي يكيف حقوقنا مع حقوق اعدائنا ولا يغذي صراعات جديدة وان كان ثمن ذلك عدم الشعبية . ففي عام ١٩١٢ لم يكن من الصعب علي القيام بهذا الواجب : وأن اتمام هذا الواجب وعلى راس الحكومة خصم سياسي لدليل على ما يبدو لي على اخلاص ونزاهة القناعات التي كنا نحارب بها سياسته الداخلية » . (لويجبي البرتيني » ، « عشرون عاما من الحياة السياسية » المذكور قسم ١ (مجلد ٢ ص ٢٠١) .

(٧١) « قيمة السلام » في « كوريري ديلاسيرا » ١٨ اكتوبر ١٩١٢ : من الغريب ان جوليتي كي يبرر عمله يبدو انه استعمل نص « كوريرى ديلاسيرا » : « ان انفجار حرب البلقان بالنسبة لي بالعكس كانت سببا جديدا وقويا كي نقوم بتصفية مسالتنا باي حال على حدة وقبل نهاية حرب البلقان التي ستجدنا بين القضاة لا بين اولئك الذين يجب محاكمتهم

الحاجة لحريتنا في وقت ستجتمع فيه اوروبا لتقرير المسالة البلقانية وان نتقدم الى المحكمة الاوروبية لنحكم لا لنحاكم » (٧١)

وعاد لويجبي ايناودي الى حديثه عن ليبيا على صفحات « كوريري ديلا سيرا » بعد المجادلات العاصفة التي واجهها قبل بضعة أشهر . (٧٢) فقد واجه من جديد ابعاد المشاكل المرتبطة بالمستعمرة الجديدة مشيـــرا الـــى الطريق التي يجب اتباعها ـــ حسب وجهة نظره لاقامة العلاقات ما بين السكان المحليين والوطن الام على اسس طيبة . ومن هذه الزاوية ـــ حسب رأيه ـــ فان معاهدة لوزان تقترب « بقدر الامكان من العمل الحكومي الفني الرائع » حيث أن المبادىء التي تضمنتها المعاهدة كانت تضع ايطاليا علـــى الطريق القويم في ممارسة السيـــادة » .

« ان التجربة التاريخية ـــ كتب ايناودي ـــ قد دلت على ان تلك البلاد التي افلحت في الاحتفاظ بمستعمراتها مدة طويلـــة هي التي عرفت ارضاء سكان هذه المستعمرات باحترام تقاليدهم الدينية والسياسيـــة والاعتراف لهم باكبر قسط من الحرية المتمشية مع سيادة الوطن الام والاعتماد الى اكبر حد على تعاونهم الاداري والسياسي ايضا . ان كل ذلك معلوم ولا يحتاج الى برهان . ان البلاد التي تريد أن تفقد المستعمرات تعتبر سكانها رعايا في حين أن تلك التي تحتفظ بها تدعو تقريبا السكان للتعاون معها في ممارسة السيادة المحلية » .

وفي الخلاصة فان من أجل الاحتفاظ وازدهار المستعمرات « كان يجب احترام مؤسسات الوطنيين والتعاون معهم وتجنب أي اقتصار للتمثيل على المستعمرين الايطاليـــن أو من اندمج معهم وتجنب « انشـــاء دساتيـــر سياسية بعدد اقسام الشعب (وطنيون ويهود ومعمرون ايطاليون) بحيث لا تظهر الواحدة مختلفة عن الاخـــرى » . (٧٣)

(جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٩٤) . فيما يتعلق براي « كوريري ديلا سيرا » في الصلح راجع ايضا الافتتاحية بعنوان « السلام » بعدد ١٦ اكتوبر ١٩١٢ .

(٧٢) راجع ص ٨٣ ـــ ٨٢ .

(٧٣) لويجبي ايناودي ، « القيمة الايطالية لمعاهدة لوزان » في « كوريري ديلاسيرا » تاريخ

واعتبارات ايناودي هذه المتأثرة دوما بمبدأ التحريرية (الليبرالية) ضد اي نوع من الاحتكار كانت يجب ان تعرض على كل حال في المستقبل حيث انه — كما كتب « ان الامال في ان المهاجرين الايطاليين سيتجهون الى المستعمرتين الليبيتين في جموع غفيرة لا يعرف الآن متى يمكن ان تتحقق » (٧٤) ان احتلال ليبيا الكامل الحقيقي لم يتم بعد وان البلاد (ايطاليا) قد تنتظر اعواما كثيرة قبل ان تستطيع توجيه تيار من المهاجرين نحو المستعمرة الجديدة التي في الواقع لم تصل ابدا الى الذروات التي من شانها ان تؤثر في الاقتصاد الايطالي تاثيرا مفيدا .

ان حربين عالميتين والتغييرات العميقة في الحياة السياسية الايطالية وقضية الاستقلال والتحرر السياسي للبلاد الافريقية التي قامت غداة الحرب العالمية الثانية تزيل اليوم عن اعتبارات ايناودي اي طابع يتصف ببعد النظر . بيد أن الاراء التي عبر عنها قامت على افتراضات دقيقة على كل حال ولم يكن في امكانه ان يتوقع ما سوف يحدث خلال الخمسين عاما التالية التي كان يؤمل ان ايطاليا تستطيع في نهايتها جني ثمار الاحتلال الذي تم حديثا .

ان الخسائر البشرية التي تكبدتها البلاد بسبب الحرب لم تكن جسيمة ، حتى وان كانت بسبب حرب كانت تعتبر سريعة و « نزهة عسكرية » تقريبا فان الخسائر لا يمكن ان يستهان بها : ٣٤٣١ فقيدا من بينهم ١٤٨٣ قتلوا في المعارك (١٣٩١ جنديا و ٩٢ ضابطا) و ١٩٤٨ ماتوا بسبب المرض .

اول نوفمبر ١٩١٢ والان منشور في كتاب لويجبي ايناودي « الاحداث الاقتصادية والسياسية في ثلاثين عاما » (١٩٢٥ — ١٨٩٣) تورينو ١٩٦٣ المجلد الثالث ص ٤٨ — ٤٤٧) .

(٧٤) المصدر المذكور ، « ان التجربة التاريخية — اضاف ايناودي — تدل على ان عمليات الاستعمار دوما بطيئة جدا في المبتدا وبعد الوصول الى ارقام الملايين فقط تصبح الحركة اكثر سرعة والان فالانشاءات في المستعمرات لا تقدر بسنوات ولا ببضعة عشرات السنين . وحتى اذا ما تركنا المسالة كما هي وهي التي تختلف حولها الاراء بخصوص قابليته المستعمرة الجديدة الزراعية الانتاجية بل واذا ما فرضنا حلها بصورة اكثر ملائمة فان الانشاءات

وكان عدد الجرحى الاجمالي ٤٢٢٠ . (٧٥) والاقليم الذي دفع أعلى مساهمة في عدد الرجال الذين سقطوا في الحرب هو كامبانيا بـ ١٦٩ قتيلا ثم لومبارديا (١٦٨) وبيمونتي (١١٨) وسيشليا (١٠٢) ولاتسيو (١٠١) (٧٦) . أما القتال الذي دفع فيه أكبر ثمن من الارواح فهو قتال شارع الشاطىء يوم ٢٣ أكتوبر ١٩١١ حيث سقط ٣٧٨ قتيلا و ١٢٥ جريحا وتليه معركة سيدي بلال يوم ٢١ سبتمبر ١٩١٢ وقد سقط فيها ١٢٠ قتيلا و ٤٢٩ جريحا .

أما نفقات الحرب فقد كانت أكثر بكثير مما كان متوقعا . ان احصاء نفقات حرب يعد دائما من الامور الصعبة وغالبا ما يشوبها الخطأ أما بسبب النقص او المبالغة حسب الفكرة التي يريدون مساندتها . وخلال النقاش البرلماني الذي دار بمجلس النواب من ١٠ فبراير الى ٧ مارس ١٩١٤ ، (٧٧) قال جوليتي أن النفقات بلغت ٥١٢ مليونا فقط في حين أن سونينو اتهم الحكومة بالتلاعب بالارقام وبمدفوعات مقدمة على حساب ميزانيات مستقبلة وأكد أن النفقات الفعلية قد تكون الضعف . وهناك آخرون تحدثوا عن ١٣٠٠ مليون وأكد الوزير ليوني فوللمبورغ أن النفقات الفعلية قد تدور حول ١٧٠٠ مليون . وعلى كل فهناك رقم أكيد : ان الحرب كلفت كثيرا اذا

الاستعمارية التي سيكون المعمرون الايطاليون فيها اقلية بسيطة في مجموع السكان فهي تتطلب ما لا يقل عن نصف قرن » بخصوص التنظيم الاداري المقبل للمستعمرة راجع ادالجيزو رافيتسا Adalgiso Ravizza « ليبيا في نظامها القضائي » بادوا ١٩٣١ .

(٧٥) راجع بومبيليو سكياريني المصدر المذكور ص ٩٧ . الارقام المذكورة ماخوذة من البلاغات الرسمية حسب نشرة قيادة رئاسة الاركان « عمل الجيش الايطالي في الحرب الايطالية التركية » المذكور ص ٧٠ ، يختلف عدد الموتى اذ يشار اليه بـ ٣٣٨٠ (١٤٣٢ سقطوا في المعارك و ١٩٤٨ ماتوا بسبب المرض) ولم يتغير عدد الجرحى . اما خسائر الاتراك والعرب فقد تصل الى ١٤٨٠٠ . *

(٧٦) هذه الارقام ماخوذة من بومبيليو سكياريني ، المصدر المذكور ص ٧ ـــ ١٠٦ .

* هذه الارقام يجب أن تؤخذ بتحفظ لان القيادة الايطالية كانت تهون من خسائر الايطاليين وتهول من خسائر الوطنيين . فقد قتلوا مدنيين عزلا واعتبروهم في عداد الجنود وقبضوا على الناس في الاسواق وارسلوهم الى ايطاليا باعتبارهم اسرى حرب . (المعرب) .

(٧٧) دار النقاش حول مشروع القانون : « نفقات ناتجة من احتلال طرابلس وبرقة ومن الاحتلال المؤقت لجزر ايجه ومن الاحداث الدولية : تحويل المراسيم الملكية الصادرة من

ما علم أن الدخل القومي الايطالي عام ١٩١٢ كان يبلغ ١٩٠٥٨ مليونا في حين أن مجموع الاستثمارات الاجمالية قد بلغت ٣٧١٥ مليونا . (٧٨)

ولكن الذي خرج من الحرب الليبية محطم العظام هو بنك روما . فقد تعرضت وكالاته ومؤسساته الزراعية والصناعية في برقة وطرابلس الى النهب من قبل القوات التركية — العربية ، وكذلك فان اغلاق مركز البنك في اسطمبول الذي فرضته الحكومة التركية يوم ٢ يناير ١٩١٢ والمحاولات الانتقامية ضد وكالات البنك في مصر قد الحقت اضرارا ملموسة بالمؤسسة المالية الرومانية التي اعتقدت أن من حقها مطالبة الحكومة بتعويض مناسب . (٧٩) فقد تخلى البنك بنهاية الحرب والاحتلال الايطالي عن جميع مشاريعه التجارية والصناعية التي شرع فيها منذ عام ١٩٠٧ في ليبيا وخرج بذلك عن الدور الذي كان يمثله في احداث طرابلس ليؤكد تقريبا الافتراض بان دوره في ليبيا كان ولا بد أن يكون دور « حصان طروادة »

يوم ٢٩ يونيو الى ٣٠ ديسمبر ١٩١٣ الى القوانين والاذن بالنفقات اللازمة حتى ٣٠ يونيو ١٩١٤ .

(٧٨) راجع روزاريو روميو المصدر المذكور ص ٢٠٥ — ٢١١ .

(٧٩) — يقرا في تقرير مجلس ادارة بنك روما المقدم الى الجمعية العامة في ٣٠ مارس ١٩١٢ :

« لا يجب علينا الآن ان نخفي عليكم ان الاوقات الاولى من الاحتلال تسببت لنا في بعض الاضرار بسبب السرقات والنهب التي لحقت بوكالتنا حيث استولت جماعات غاضبة من الاعداء على البضائع والحيوانات بصورة خاصة التي كانت موجودة بالمخازن وبممتلكات معهدكم وقد وصل الامر الى أعمال متوحشة ضد وكلائنا العرب الذين دفعهم اخلاصهم الشجاع لكم الى محاولة مقاومة الاعتداءات الوحشية لانقاذ ما كان بعهدتهم .

وتاكدوا بان أضرارنا ستجد الاعتراف الواجب بها . فقد شرعنا في العمليات اللازمة لدى الحكومة الملكية (...) وهناك أسباب اخرى للاضرار الناتجة من الحرب الايطالية — التركية هي اغلاق مركزنا في اسطمبول اغلاقا فرضته علينا السلطات العثمانية وأنذرتنا به رسميا يوم ٣ يناير من هذا العام (...) وكان لاعلان الحرب بعض الوقع على مراكزنا في مصر حيث التعصب المطلق الخارج عن محله حاول القيام بانتقامات مؤسفة نحونا (...) .

(بنك روما الجمعية العامة العادية للمساهمين بتاريخ ٣٠ مارس ١٩١٢ . تقرير مجلس الادارة والمراجعة روما ١٩١٢ ص ١١ وما يليها) .

فقط الذي استعانت به الحكومة الايطالية في ليبيا . (٨٠) وكان هم البنك الوحيد غداة الحرب هو البحث عن اعتراف الحكومة بالاضرار التي لحقته والمصاريف التي قدمها لتموين الجيش — وظل البنك ينتظر بثقة لمدة عامين الاعتراف بذلك :

« اقوياء بحقنا — جاء في تقرير مجلس ادارة البنك بتاريخ ٣١ مارس ١٩١٤ — ولازلنا واثقين من عدالة الحكومة فلدينا من الاسباب ما يدفعنا الى الاعتقاد أن التعويضات المشروعة التي نطالب بها ستمنح لنا . فتاكدوا على كل حال ان مصالحكم سنرعاها بقوة . (٨١) غير أن المفاوضات طالت :

---

(٨٠) — في تقرير مجلس الادارة الذي تلى على الجمعية في ٣١ مارس ١٩١٣ صرح بما يلي : ان بنككم الذي قام وحده بشجاعة دون الحاجة الى تهليل برسم الطريق في ظروف غاية في الصعوبة يترك للاخرين اليوم ميدان الصناعة بكل تاكيد ، وليس معنى ذلك انه سيقتصر في مهمته على مساعدة المشاريع الصحيحة مع الضغط على اي عمل مباشــر له في ان يكون عملا مصرفيا فقط مع اتباع الطرق الصالحة للاستفادة من املاكه الشاسعة « (بنك روما — الجمعية العامة للمساهمين في ٣١ مارس ١٩١٣ ، تقرير مجلس الادارة والمراجعة روما ١٩١٣ ص ٩) . ويقرأ في تقرير ٣١ مارس ١٩١٤ : « لقد واصلنا في ليبيا مثلما سبق واخبرناكم في تصفية المؤسسات ذات الطابع الصناعي لا المصرفي التي انشأناهــا قبل الاحتلال فقط من أجل تغلغل اسم بنككم والراسمــال الايطالــي بين اولئك السكان المهملين . وهكذا في العام الماضي تنازلنا الى شركة « سيشليــا » عن خطنا الملاحــي الساحلي الذي يربط بين مالطا ومصر . وكذلك قدمنا الى الشركة الاستعمارية الايطالية للكهرباء بميلانو آلات منشاتنــا الكهربائية — الحرارية والامتياز المتعلق بها . وايضااسندنا تجارة الاسفنج الى شركة تتكون في أغلبها من راسمال ايطالي ولدينا فيها مصالح كبيرة ومع ترك الحديث عن العمليات الصغيرة فاننا نتفاوض بخصوص التنازل عن مطحنتنــا ومعصرة الزيت في طرابلس « (بنك روما الجمعية العادية للمساهمين تاريخ ٣١ مارس ١٩١٤ تقرير مجلس الادارة والمراجعة رومــا ١٩١٤ ص ٩) .

(٨١) — المصدر المذكور ص ١٦ — كتب كوردو زولي قبل ذلك بايام على صحيفة « سيكولو » : (...) سيكفينا ان نلاحظ أن بنك روما ذهب الى ليبيا وانشا بها فروعا وعقد العديد من العمليات الجيدة والسيئة والاكثر سيئة كلفتنا خسارة ستة او سبعة ملايين — وقد كنا بالطبع نخسر اكثر لو لم يقفز « القدر التاريخي » على السواحل الافريقية يوم ٥ اكتوبر ١٩١١ . ان أحدا حتى الان لم يعوض بنك روما عن هذه الخدمات الحقيقية التي لا تقبــل النقاش والتي لا نجسر أن نقول أنها قدمت للبلاد لان الامر يقبل النقاش بوضـوح . ولكنها قدمت على الاقل الى امبريالية الماركيز دي ســان جوليانو وعليه فان المتسببين في عملية الاحتلال الافريقية مدينون ماديا ومعنويا بنجاح عمليتهم الى المعهد الرهباني . (كورادو زولي « بخصـوص المناقشة الليبية » المصدر المذكــور)

ولم يستطع الطرفان ايجاد اتفاق حتى نهاية عام ١٩١٤ راى البنك أنه في حالة اضطرار يخفض رأسماله بنسبة ٢٥٪ بحيث انتقل من ٢٠٠ مليون الى ١٥٠ مليون ، وكان هذا التخفيض ناتجا في اغلبه عن المصاريف التي واجهها البنك في ليبيا . (٨٢) وواجه تقرير مجلس الادارة الى الجمعية العامة للمساهمين في ٣١ مارس ١٩١٥ بالتفاصيل موضوع العمل الذي قام به البنك والاضرار التي لحقت به في أشهر الحرب مجيبا بذلك على الاتهامات الكثيرة التي وجهت الى البنك بانه قد استفاد من الحرب :

« خلال الحرب وقع علينا الخيار في تموين جيش الاحتلال وهناك شهادات مؤهلة جدا . لقد كان في امكاننا ان نقدم ونسهل كل شيء من تحويل الاموال والناقلات للجرحى والمرضى الى توفير الاماكن للتخزين وللجنود والى تموين هؤلاء الجنود . وبسرعة وتحت الضرورة القصوى وبدون شكليات رسمية تقرر برسالة بسيطة تموين القوات بحطب الوقود والشوفان والتبن والقش . وبعجلة ودون النظر الى النفقات تم تنظيم كل ما يلزم لنتمكن من الوفاء بالتعاقد فاعدت المخازن واشتريت المواد اللازمة للتفريغ من جنوا ومالطا والاسكندرية : القطارات والمعدات والمواعين

(٨٢) ـ ان التخفيض كان يعزى الى انواع النشاطات الاتية :

راس مـــال	٣٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠	ليرة
سندات ملكيـــة	١٠ر٨٢٠ر١٤٨ر٩٠	ليرة
مكـــــررة	٣ر٩٢٥ر٩٠٤ر٣٤	ليرة
دفعات مقدمة على حساب سندات وبضائع	٨ر٣٤٥ر٣٨٣ر٩٢	ليرة
ائتمانـات معلقـــة	٥ر٠٩٣ر٤٤٨ر١٠	ليرة
مراسلون ودائنون مختلفون (بما في ذلك اضرار الحـرب الليبيـــة)	١٨ر٩٠٦ر٨٨٠ر٩٠	ليرة
مؤسسات صناعية وتجارية في ليبيـــا	٣ر١١٩ر١٣٤ر٤٣	ليرة
المجمـــوع	٥٣ر٢١٠ر٩٠٠ر٥٩	ليرة

ولكي يدخل التخفيض في حدود الخمسين مليون فان الفائض ٣ر٢١٠ر٩٠٠ر٥٩ ليرة قد اخذ من الاحتياطي العادي (راجع بنك روما) الجمعية العامة العادية وغير العادية للمساهمين بتاريخ ٣١ مارس ١٩١٥ . تقرير مجلس الادارة والمراجعة روما ١٩١٥ ص ٨) .

والزوارق وانشاء جسر عائم بطرابلس وآخر ببنغازي وابرم عقد للنقل بالابل والعربات ، واجرت بواخر ومراكب شراعية واحتكرت في نفس الوقت البضائع المطلوب تقديمها .

ولكن سرعان — لضروريات الحرب التي لا نريد مناقشتها — احتل الجنود الكثير من مخازننا وتم الاستيلاء على القوارب والقطارات والمواعين من اجل انزال الجنود والمدفعية الى البر . واخذوا منا الجسر العائم واستولوا على وقود السيارات . وفي الخلاصة قد افسدوا كل التنظيم الخاص بخدمات الانزال والنقل . ونظرا لان اسبقية التفريغ كانت لخدمات الدولة فلم يسمح لسفننا ان تنقل الى الارض اكثر من مائة طن في اليوم . ولهذا السبب ظلت وارداتنا على ظهر السفن الشراعية والبواخر زمنا اكثر مما يجب وكلفنا ذلك زيادات ضخمة في الاجور . ومن السخرية ان ادارة المهامات العسكرية كانت تحرر ضدنا المخالفات عندما لا تجد في مخازنها جميع كميات البضائع التي كانت ترغب فيها والتي لم نتمكن من نقلها لاستيلائهم على وسائل تفريغنا .

وعلى كل فمن الضروري ان نذكر انه بسبب الحرب قد اغلق المطحن والمعصرة ونهبت حيواناتنا وضاعت البذور واشتعلت النيران في مستودعات الحلفاء وتوقفت كل اعمالنا الصناعية والتجارية .

الا نستحق لجميع هذه الاضرار تعويضا عادلا ؟

اننا نؤكده ، والحكومة الملكية لا تنكره . غير انه مع الاسف فان مثل هذه الاجراءات تأخذ وقتا طويلا لتصل الى النهاية .

وتجاه ذلك قد راينا من الواجب ضغط الحسابات والشروع في عملية تخفيض واسعة لنشاطنا في ليبيا ولائتماناتنا لدى الحكومة » . (٨٣)

وهب انطونيو دي سان جوليانو لتلبية مطالب البنك وبذل الوساطة وهو

---

(٨٣) — المصدر المذكور ص ١٠ وما يليها .

الذي كان ملما جيدا بالدور الذي اسندته الحكومة للبنك . فقد كان وزير الخارجية يعتقد أن بعض المؤسسات المالية وخاصة بنك روما والبنك التجاري كانت أداة مفيدة للحكومة لا بقصد التغلغل الايطالي الاقتصادي فحسب وانما التغلغل السياسي أيضا في الخارج وخاصة في البلاد الضئيلة التطور الصناعي مثل البلاد البلقانية والافريقية والشرقين الادنى والاقصى . (٨٤)

وبسبب الازمة في العلاقات ما بين بنك روما والحكومة على اثر الحرب الليبية فقد اصبح المصرف التجاري الذي يترأسه أوتوجويل O. Joel (٨٥) المساعد المباشر للحكومة في القيام بنشاطات في الخارج . وقد قام المصرف التجاري بعمليات في الجبل الاسود وتدخل في البانيا واشتراك في سكك حديد صربيا وساعد في المشاريع الاقتصادية في آسيا الصغرى « لدرجة انه من المكن القول — لاحظ دي سان جوليانو في مذكرته الى سالاندارا — انه بدونه لما كان في مقدورنا ممارسة سياستنا الخارجية لانها اليوم هي سياسة اعمال قبل كل شيء » (٨٦)

وحسب وجهة نظر وزير الخرجية لم يكن مناسبا سياسيا بالنسبة

---

(٨٤) — كتب دي سان جوليانو في مذكرة الى سالاندارا في ١١ يونيو ١٩١٤ : « بالنظر الى طابع مصرف ايطاليا وهو غير مصرح له بالتدخل المباشر في عمليات مالية وسياسية خارج المملكة ونظرا للقيود التي تحول دون أي عمل مماثل من قبل مصر في نابولي وسيشليا ونظرا لضاءلة مقدرة المؤسسات الاخرى ، فان الحكومة الملكية لم يكن تحت تصرفها غير ممهدين حقا في وقت قصير نسبيا تطورا عظيما وهما بنك روما والمصرف التجاري A.C.S., b. 8, f. 639 اوراق سالاندرا ، والوثيقة اشار اليها ايضا برونيللو فيجيتسي المصدر المذكور ص ١٥ حاشية ١٠) . وان المذكرة المعنونة « الحكومة الملكية وبنك روما » قد جاءت نتيجة برقية من قاروني من اسطمبول بتاريخ ٢٩ مايو ١٩١٤ جاء فيها ان مجلس ادارة بنك روما كان ينوي انهاء مركز اسطمبول والاحتفاظ ببقائه على قيد الحياة ببرامج سلبية فقط » .

(٨٥) — فيما يتعلق بوضع المصرف التجاري ورئيسه جويل في هذه الفترة راجع برونيللو فيجيتسي المصدر المذكور ص ٦٢ — ٢٠١ .

(٨٦) — A.C.S. المذكور .

للحكومة ان ترتبط بالمصرف التجاري فقط وانه كان من المناسب جدا « ازالة العقبات » التي تحول دون استئناف العلاقات الطيبة بين الحكومة وبنك روما . وقد يستطيع المعهد الروماني من جديد ان يمارس بنجاح عمله في سوريا ومصر وفي الشرق الاقصى وذلك لصالح السياسة الخارجية الايطالية .

« بيد انه — واصل دي سان جوليانو كلامه دون ان يشير الى الحالات التي قد يكون فيها تدخل بنك روما ثمينا — من المناسب ايضا الاشارة الى الضرر الذي قد ينتج عن موقف معاد للبنك نفسه نتيجة للتوتر الحالي في العلاقات مع الحكومة الملكية .

ان العداء في حالات كثيرة ، او حتى استقلال البنك فقط من اي رباط مادي او معنوي معا قد يكون ضارا وخطيرا علينا .

وبما ان اسبابا ايجابية واسبابا سلبية تتفق في ترغيبنا في ان يسوى الخلاف القائم في اقرب وقت ممكن ، فان عملنا الدبيلوماسي قد يستفيد من جديد من هذه الادارة التي لا تزال ضرورية اكثر من كونها مفيدة » . (٨٧)

وبالرغم من وساطة دي سان جوليانو الذي كان على ابواب الموت ما بين البنك والحكومة فان النزاع كان على اشده . وقد بلغ الامر على ما يبدو من شهادة خديوي مصر التي نقلها فردينانـدو مارتيني في « يومياته » دون التدليل بوثائق مؤكدة ان بنك روما قد حاد عن طريق ضغطه على السنوسي دون الوصول الى سلام مع القبائل الثائرة الا بعد ان تقوم الحكومة بالتزامات نحو البنك . (٨٨)

---

(٨٧) — نفس المصدر .

(٨٨) — كتب فرديناندو مارتيني بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩١٥ . « صاحب السمو الذي كان دوما وفيا لايطاليا اعلم وزير المستعمرات بان عدم التوصل الى صلح مع السنوسي الامر الذي عمل من اجله وحاول في سبيله عن طريق ارسال وفود على حسابه — يعود السبب فيه الى بنك روما ورئيسه باتشيللي الذي حذر السنوسي من عدم اتمام اي شيء

وقبل ان يكتب دي مارتينو هذه المعلومات في يومياته بعشرة ايام اقام البنك عن طريق محاميه دعوى أمام محكمة روما ضد وزيــر المستعمرات (مارتيني) ووزير الخارجية (سونينو) ووزير الخزينة (كاركانو) اجــل دفع « جميع نفقات التغلغل التجاري والاقتصادي في ليبيا » والتعويض « عن جميع الاضرار التي نتجت عن الحرب الايطالية ــ التركية » (٨٩) وكان الطلب يستند على أن العمل الذي قام به البنك في ليبيا كان بنـــاء على دعوة وتفاهم مع الحكومة التي « استخدمت المعمل المصرفي والصناعي للبنك للتوصل الى اهدافها السامية السياسية مما يبرر تعويضا مشروعا وشريفا كافيا للبنك نفسه » . وبوثيقة مماثلة طلب من وزير الحربية دفع قيمة تموينات الجيش بالحطب والاعلاف والبالغة قيمتها ٣١٣ر٩٢٣ر٧ ليرة . وطال الخصام وكانت عروض الحكومة غير متناسبة مع طلبات البنك وقد رفضت . غير ان الحكومة خشية خطر تصفية قضائية تفرض على الدولة دفع « مبلغ اعلى من ذلك الذي قد يمكن الوصول اليه عن طريق المصالحة » فقد قرر وزير الخزانة بالتشاور مع الوزراء المختصيــن في أن يضع حــدا للنزاع وان يعرض على البنك مبلغ اجمالي قدره ٠٠٠ر٧٦٠ر٤ ليرة . (٩٠)

وقبل بنك روما المبلغ المقترح رغم انه اقل بكثير من مطالبه « رغبة منه ان يظهر مرة اخرى واجب الاحترام نحو الحكومة ولتجنب ــ خاصة فـــي الوقت الحاضر ــ (كنا في غمرة الحرب العالمية) ، القلق والمصاريف التي لا ترتبط بالحرب الحالية » (٩١)

مع الحكومة الايطالية ما لم تدفع هذه الى بنك روما الاربعين مليون المدينة له بها نتيجة النفقات التي قام بها البنك في ليبيا وبامر الحكومة نفسها . وان الوثائق التي تثبت ذلك ستوضع تحت تصرف الشخص الذي سوف ترسله الحكومة الايطالية (أو وزير المستعمرات) لاستلامها في لوزان (فرديناندو ومارتيني المصدر المذكور ص ٥٣٩) .

(٨٩) ــ الوثيقة توجد فـــي A. MAI, pos. 178/1, f. 7

(٩٠) ــ المصدر المذكور ــ التعويض المطلوب من بنك روما كان يبلغ ٤٥ر٨٨١ر١٨٨ر١٠ ليرة .

(٩١) ــ السابق الذكر ــ تصريح بنك روما في ١٤ ابريل ١٩١٧ .

وهكذا تنتهي بعد خمس سنوات من نهاية الحرب الليبية مغامرة بنـك روما في طرابلس التي ـ كما ذكر سابقا ـ لم تكن عملية مفيدة للمعهد المالي الروماني . وقد كتب فيشنتيني انه كان في الامكان التغلب على ازمة البنك « بصورة رئيسية بسبب تدخل واهتمام بنك ايطاليا الذي دفع مقدما في هذا الصدد خمسة عشر مليون خصما على خارج الدفتر الاستاذ لمجموعة من البنوك الكاثوليكية التابعة لاتحاد البنوك الايطالية » (٩٢)

انتهت الحرب الليبية وحل صراع جديد اخذ يقلق الحياة الاوروبية . فحرب البلقان التي خشى منها كثيرا طيلة مدة الحرب بين ايطاليا وتركيا قد جاءت لتسهل الوصول الى الصلح غير ان الحربين كانتـا في الواقع الواحدة نتيجة للاخرى مثل ان طرابلس كانت نتيجة لاغادير . (٩٣) وكانت هناك سلسلة خطيرة من الصراعات لا تزال محصورة بصورة واضحة وان كانت السيطرة عليها أخذت في التضاءل وقد أخذت هذه الصراعات تميز السياسة الدولية وتشعل خلافات جديدة واسبابا اخرى تبعث على القلق من اجل السلام . وقد أظهرت الحرب الليبية ـ رغم عودة شعلـة الثلاثية (الحلف الثلاثي) وتجديدهـا قبـل الاوان في ٥ ديسمبر ١٩١٢ ـ ... كم أصبح مركز ايطاليا مزعزعا داخل الحلف الذي انقضت عليـه ثلاثون عاما . فالحرب الايطالية التركية قد عرت هذه الحقيقة وان جهود دي سان جوليانو للاحتفاظ بالحلف حيا عامل لم يعثر دائما على امكانية النجاح . لقد وجدت ايطاليا في حلفائها دوما محاورين صعابا وطبي المراس تتفق مصالحهم بصعوبة مع مصالح ايطاليا . وان النتيجة التي وصل اليها الحلف الثلاثي في مايو ١٩١٥ لم تقررها عوامل طارئة ترتبط بالحرب الكبرى . فمنذ وقت وخاصة خلال أيام عملية طرابلس بدت لدى الاوساط السياسية وصحافة العاصمتين

---

(٩٢) ـ راجع غابريلي دي روزا « تاريخ الحركة الكاثوليكية » المذكور مجلد ١ ص ٥٤٤ .

(٩٣) ـ راجع برنارد فون بولوف ، مذكرات مجلد ٣ : « الحرب العالمية والكارثة » (١٩٢٠ ـ ١٩٠٩) ميلانو ١٩٣١ ص ٢١٣ ـ ١١٣ .

امكانية تصادم مباشر ما بين روما وفيانا كحدث لا يمكن تلافيه طال الزمن ام قصـــر .

وفي ٢١ سبتمبر ١٩١٤ استخلص فرديناندو مارتيني ما كان يسمى بالحلف النمساوي ــ الايطالي في السنوات السابقة ولاحظ كيف انه منذ الحرب الليبية ذاتها ــ وفيما بعد ــ اخذ الحلف يتردى حتى وصل الى نهاية التي لا مفر منهـا :

« (....) كنا في الحلف نتسلح ضد الحليفة التي قد تكون أقل منا ذمة في يوم او آخر . ان النمسا كادت ان تهاجمنا خلال الحرب الليبية : ولكن لحسن الحظ لم تلق بالا الى ايعازات رئيس أركان الحرب كونراد الذي يقترح ذلك وهو يعبر عن فكر الارشيدوق فرديناند الذي كان يطالب بحق قيادة الجيش عند قيام الحرب ضد ايطاليا . ان الحلف الثلاثي ــ باعتراف جوليتي نفسه قد جدد قبل وقته خشية ان يموت الامبراطور في الفترة مـا بين نهايـة الحلف وتجديده نظرا لكبر سنه ومرضه وقد علم أن الامير ولي العهد قد كان لا يوقعه رغبة منه في ضربنا فقط . ان تقاليد ومشاعر وتضارب مصالح سياسية واقتصادية تجعلنا وستجعلنا معادين للنمسا وستجعل من النمسا عدوة لنا وراغبة في سحقنا . هل من اجل معاهدة قامت على هذه الاسس واستمرت لنفس الاسباب والتي كانوا يريدون ابطالها لمحاربتنا .. هل من اجلها نضحي بمستقبل بلادنا السياسي والاقتصادي ؟ قد نكون خائنين لمن وضعوا ثقتهم فينـا » . (٩٤)

ان المهمة التي اختصت بها الحرب الليبية هي تعرية حدود الحلف الثلاثي وخاصة العلاقات الايطالية النمساوية واضعة فيما بعد ايطاليا فـي حالة ادنى بالنسبة لحليفاتها . ان المجهود العسكري الذي تم كان له فعله واثره على الاستعداد للحرب العالمية نفسها . فكل مخطط التجديد الذي وضعه سبنقاردي وبولليو عن الفترة من ١٩٠٩ ــ ١٩١٣ قد طار باكمله بسبب

---

(٩٤) ــ فرديناندو مارتيني ــ المصدر المذكور ص ١١٤ ــ ١١٣ .

الحملة الليبية لدرجة ان بولليو لاحظ في فبراير ١٩١٣ أن حالة الجيش « كانت من أسوء ما يمكن تصـــوره من حيث تدريب الجنـــود والاعـــداد للحرب » (٩٥) ومما كان يزيد الامر خطورة أن الحرب الليبية لم تنته بصلح لوزان ولكنها قد تشغل الجيش لسنوات قادمة خالقة بذلك الصعوبات ذات الصبغة الاستراتيجية والعسكرية خلال الحرب العالمية الاولـــى . (٩٦)

---

(٩٥) ــ راجع جورجيو روشات ــ المصدر المذكور ، ص ٣١٣ . كان أعلى حد وصـــل اليه عدد القوات الايطالية في ليبيا في ٣١ مايو ١٩١٢ عندما بلغ ٩٨ر٥٥١ جنديا ، ونزل هذا العدد في ١٥ نوفمبر ١٩١٢ الى ٩٦ر٤١١ ووصل في فبراير ١٩١٣ الى ٨٧ر١٢٧ ليعود فيرتفع في ١٥ اغسطس ١٩١٣ أي بعد عام تقريبا من صلح لوزان الى ٩٤ر٤٧٢ (راجع خطاب جيريتي امام مجلس النواب ، مدرج في « وثائق البرلمان الايطالي » الدورة الرابعة والعشرين دورة الانعقـــاد الاولى ، مناقشـــات ، جلســـة ١٤ فبراير ١٩١٤ ص ١٦٨٢) .

(٦٩) ــ بعد ابرام الصلح مباشرة ظل في طرابلس وبرقة اثنان من أهم رؤساء الجيش التركي أنور بك وعزيز بك حتى يونيو ١٩١٣ ومعهم ٨٠٠ جندي تركي مواصلين القتال وتنظيم المقاومة العربية وقد ترك السلاح للوطنين لتمكينهـــم من مواصلة مواجهـــة الجيش الايطالي ويبدو ان العرب انفسهم حالوا دون القواد الاتراك ومغادرة ليبيا . ان « رئيس السنوسيين يبدو أنه قد عارض بصورة رسمية سفرهم » (انظر برقية تيتوني الى دي سان جوليانو من باريس بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩١٢ موجودة في (A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 I., f. 651) وقد فرض انفجار الحرب الكبرى تخفيضا كبيرا في الالتزامات العسكرية بليبيا . وقد اضطر الايطاليون في نهاية ١٩١٤ الى ترك فزان وفي اغسطس ١٩١٥ لاعلان الحرب على تركيا ــ انفجرت ثورة عربية جديدة كان يغذيها السنوسي وقد أعلن الجهاد وفي نهاية ١٩١٥ كانت ايطاليا تسيطر على طرابلس (مدينة) وخمس وبعض القلاع الصغيرة في برقة . وفي نهاية عام ١٩٣١ فقط وبفضل التزام الحكومـــة الفاشستية القوي استطاع الجنرال غراسياني بعمليات حاسمة تامين السيطرة على داخل الاراضي الليبيـــة . بخصوص تطورات الحرب في ليبيا من صلح لوزان الى اتمام الاحتلال نحيل القارىء الى ف.لوبيللو F. Lobello « الاحداث السياسية العسكرية في الاثنى عشر سنة الاولى من الاحتلال الايطالي ببرقة » ــ بنغازي ١٩٢٥ ، جوزبي فولبي دي مصراتة « بعث طرابلس ــ مذكرات ودراسات حول أربع سنوات من الحكم » ميلانو ١٩٢٦ ، ورودو لفوغرازياني « نحو فزان » طرابلس ١٩٢٩ ، المذكور « استعادة فزان » ميلانو ١٩٣٤ ، المذكور ! السلام الروماني في ليبيا « ميلانو ١٩٣٧ ، رئاسة اركان حرب الجيش » حملة ليبيا « روما ١٩٣٨ ، رفائيلي تشاسكا ، المصدر المذكور ص ٣٩٤ وما يليها ، كورادو زولي » التوسع الاستعماري الأيطالي (١٩٣٧ ــ ١٩٢٢) روما ١٩٤٩ وزارة الشؤون الخارجية « ايطاليا في افريقيـــا » سلسلة تاريخيـــة ــ عسكرية مجلد ١ جزء ٣ المذكور ص ٢٣٧ ــ ٢٢٩ .

والحرب الليبية في الواقع يمكن اعتبارهـا كحلقة ضمن المخططـات الكلاسيكية للسياسة الدولية السابقـة للحرب الكبـرى . وكانت بالنسبة لايطاليا فرصة لجني ثمار سياسة خارجية رامية الى عدم ابعادهـا عن الميدان الاستعماري وميدان البحر الابيض المتوسط . وتحت هذا المظهر يبدو « القدر التاريخي » الذي نادى به جوليتي كأدق تفسير لهذا الحدث حيث ان الامر كان يتعلق بعملية مرتبطة ببعض نظم السياسة الدولية التي قبلتها ضمنيا الدول الاوروبية بتذمر وعدم رضا . غير ان العملية تمت بعد وقتهـا اي بعد ان غدت المخططات القديمة غير متمشية الا جزئيا مع الواقع الدولي وقد تحققت خلال الاف الحيل التوازنات التي صدمت مصالح وحساسيات ايطاليا ووضعتها وحكومتها ودبيلوماسيتها في لعبة معقدة وصعبة لم تستطع الخروج منها الا بفضل الازمة البلقانية المخيفة التي فتحت بدورها مصالح جديدة اكثر اتساعا لطفت من جو العناد المتطرف القائم .

ولكن السياسة هي قبل كل شيء مسالة اختيار ومن المناسب التحقق اذا كانت بعض الاختيارات مفيدة أم لا في ظرف معين وهل افادت تقدم البلاد السياسي والثقافي والاقتصادي ؟ الامر اذن يتعلـق بتقيم عمـل طبقـة سياسية معنية ، فهل رات بوضوح مهامها ، وعرفت كيف توجه عملها نحو الاهداف الاكثر مناسبة ؟ الحرب الايطالية ــ التركية ــ كتب شيـزراي سبلانزون فـي عـام ١٩١٢ مثلت « أصعب وأعقـد شيء في الحيـاة الايطاليـة » (٩٧) بالنظر الى كثرة العوامل التي دخلت اللعبة والتي غالبا ما تحول دون القيام بدراسة وحكم تاريخي دقيق وهادىء . ولكن لنعد الى الكلام عن الاختيارات السياسية التي عهد بها الى تقدير الطبقة الحاكمة يمكن حصر المسالة في حدودها الجوهرية : هل كان قرار ادخال البـلاد في حرب مفيدا ، في تلك الفترة الخاصة لاغراض التقدم المدنـي والتطور الاقتصادي للمجتمع الايطالي ؟ ليس هذا التساؤل غريبا وجديدا . وقـد

(٩٧) ــ شيزراي سبلانزون ــ « افريقيا المعادية » المذكور ص ١١ .

طرحت « نوفا انتولوجيا » منذ يناير ١٩١٢ هذا السؤال :

« (...) كانت ايطاليا تتطور نحو فترة اعادة بناء عضوي وهي فترة كانت ويجب أن تكون سبب قوتنا حتى في الخارج ومن المحتمل انها تثير الآن حسد الآخرين . فقد بعثت المالية والائتمان ، واخذ الاقتصاد الايطالي يتدرب على تجارب جديدة وعلى مكتسبات أوسع ، فبفضل التضحيات التي قدمت بسخاء من البلاد والبرلمان وبفضل الوزراء الفنيين المختصين وخاصة النائب سبنقاردي فان قواتنا العسكرية قد شرعت في فترة اعادة تنظيم صلبة . واخيرا قد كان من المباح تبين الملامح الاولى لضمير ايطاليا الشابة التي كانت تتقدم والتي قريبا ما توطد مركزها بسياسة عمل ومدرسة قوية وحديثة وباتجاه اصلاحات ضرائبية واجتماعية واسعة قد استهلتها الملكية الليبرالية . وفاجأتنا بها طرابلس في منتصف الطريق » (٩٨)

ــ فالحرب ــ حسب مجلة « نوفا انتولوجيا » جاءت لتعطل فترة توسع هامة في حياة البلاد ، جاءت لتربك شيئا من التوازن السياسي ــ الاجتماعي الذي كان قريبا الوصول اليه ، وان تلك الوقفة الى الامام وذلك التوازن هل من الممكن استئنافه غداة الحرب فان الامر كان يبدو دوما اكثر صعوبة وتعقيدا في نظر المعاصرين انفسهم . ان البلاد التي خرجت من الحرب ضد تركيا في اكتوبر ١٩١٢ كانت تختلف عن تلك التي تأهبت قبل عام واحد ببعض الاعتداء لتقوم بغزوتها « الجميلة » فيما وراء البحار . ان اولئك الذين رأوا عن حسن نية أن عام ١٩١١ كان عام الثورة الوطنية وان الاحتلال الجديد ورأوا فيه حلا للكثير من مشاكل البلاد الخطيرة واهمها مشكلة الجنوب والهجرة قد اضطروا الى تغيير ارائهم فقد ظلت البلاد كما كانت بالاضافة الى زيادة ثقيلة في العبء الذي تتحمله نتيجة لنفقات الحرب . لقد وجدت البلاد نفسها غداة الحرب وقد استولت على جزء ضئيل من مستعمرة

---

(٩٨) ــ فيكتور الى طرابلس » الحرب المحصورة » منشور في « نوفاانتولوجيا » اول يناير ١٩١٢ ص ١٤٣ .

ومع توقع استمرار حالة حرب عصابات صعبة وخطيرة لزمن طويل . ان احلام امثال دي فيليتشي وفورتونانو ودي فيتي دي ماركــو الذين كانوا يتوهمون ان الحرب الليبية ستخلص الجنوب وتحل مشاكلــه الاجتماعية والاقتصادية قد كان مقدر لها أن تتلاشى بسهولة . وقد لاحظ ذلك بدقــة الشاب جوسبي دوناتي في مقال نشر على صحيفة « ريسور جيمنتو » في يونيو ١٩١٢ . وهذا الشاب الذي غدا فيما بعد مديــرا لصحيفــة « بوبولــو » وضع بصورة خاصة النقاط على الحــروف على ان مشكلة الجنوب لم تكن مشكلة اقتصادية ولكنها وقبل كل شيء مشكلة سياسية واخلاقية ولم يكن في الامكان حلها تلقائيا بغزوة استعمارية :

« (.....) ان الايطاليين قائمتان ومن العبث واللهو الصبياني ان نفكر ان الحرب الليبية تستطيع ازالة وتبديد اثارهما الى الابد . ان الايطاليتين لا تنحدران من انقسام سياسي يستطيع قانون الدولة ازالتــه وبسبب الكراهية والنفور في الطباع الذي تولد ما بين الجنوبيين والشماليين بسبب تعودهم الطويل العهد على الطعن والاحتقار المتبادل بحيث أن الحرب حقــا تستطيع أن تقضي أو تسكن ذلك . وانما تنحدران من أوضــاع اقتصادية مختلفة ومتضاربة ومن الاضطراب الاداري الخاص الذي كان يحافظ عليــه الفساد السياسي للحكومة المركزية من أجل فائدتها ومن عدم كفاية التعليم الاولى ومن الامراض الكبيرة البدنية والمعنوية الخاصة بالبيئة ، الــخ ...

لكي يستفاد من الحرب (....) يجب ربما ان يكتفي بازالة الحالات الواقعية البعيدة جدا عن دائرة تاثيرهــا . (٩٩)

---

(٩٩) ــ جوسبي دوناتي « كتابات سياسية « ألمذكور مجلد ١ ص ٣٦ ــ ١٢٥ . قد اجاب دوناتي على أولئك الذين كانوا يظنون أن الحرب حطمت حدود عدم التفاهم التي كانت قائمة ما بين الشمال والجنوب قائلا : « ان الاف الالاف من فلاحي الجنوب الذين تاثروا اكثر منا نحن الشماليين بالحرب الافريقية الاولى لم يتخذوا من الضرر والخداع عذرا في الخلاف او الثورة . لقد ماتوا ودفعوا و .. هاجروا . وهذا دليل على انه لا يجــوز القول بعدم وجود ايطاليتين لان هناك ايطاليا واحدة سياسية ... ان الحالــة النفسيــة

فالمسالة الجنوبية بعيدا عن الاوهام التي نضجت في سبتمبر ١٩١١ فانها كانت لا تزال من احداث الساعة بما تحتويه من مشاكل لم تجد الحل لدرجة أن دوناتي قد اكد عشية الانتخابات السياسية عام ١٩١٣ أن مشكلة الجنوب كان يجب « ان تطرح من جديد على بساط الحياة السياسية الوطنية برمتها كما كانت قبل الحرب وباستمرار مشاكلها المخيفة والخطيرة وان على أولئك الذين يحبون ايطاليا ان يعدوا كرة الرصاص لربطها في اقدام جميع الحكومات القادمة . » (١٠٠)

واعترف الكثيرون أن من بين الاثار الايجابية للحملة كان العثور من جديد على الوفاق الوطني ووحدة النفوس في جو الحرب الافريقية دون اختلاف اقليمي أو طبقي . وفي الخلاصة فقد كان هناك تفكير في أن الحرب قد حققت حلم ماسيو دازيليو « بان يخلق الايطاليون » بعد « قيام ايطاليا » وقد بلغ الامر بباسكو الى فيلاري أن يكتب غداة ابرام الصلح ما يلي :

« (....) من المؤكد أن الحرب الحاضرة كانت الاولى التي غمر فيها الحماس الامة باكملها . لقد اشتركت فيها جميع النظم الاجتماعية : الارستقراطية والبرجوازية وشعب المدن والارياف والجنوب ايضا وربما أكثر من الشمال . (...) والشيء المؤكد هو الشعور العميق الذي تكون في البلاد بان هذه الحرب كان مقدر لها أن تخلق الامة بصورة نهائية وان ايطاليا العظيمة الجديدة اخذت تتحول الى حقيقة يعترف بها الجميع . ان جنودنا سافروا كصليبيين جدد حملهم الشعب على اكتافه هاتفا لهم . كان يبدو أن الجميع كانت تسيطر عليهم فكرة واحدة . كل صوت مخالف كان يخنق وكل معارضة ضد الحكومة تلاشت بالمرة » . (١٠١)

التي تركتها الحرب هي استثنائية مثل الحرب نفسها . فنود ان نقول اذا كان الاندفاع الحالي يقصد اتخاذه للتدليل على أن هذه هي الحالة النفسية للايطاليين في الشمال والجنوب دون اختلاف فيجب قبل ذلك اثبات اللامعقول : اي ان الحرب حدث عادي في حياة الشعب الايطالي » (المصدر المذكور ص ١٢٨) .

(١٠٠) — المصدر المذكور ص ١٢٩ .

(١٠١) — « كوريري ديلا سيرا » ٢٤ نوفمبر ١٩١٢ .

انها لفكرة متفائلة لدرجة ان حتى اشد معارضي الحرب الليبية تايطانو سالفيميني قد قبلها . (١٠٢) ولقد حاولنا أن نبين في بعض الصفحات السابقة (١٠٣) كيف انه لم تنعدم في الجنوب وعائلاتهم الخلافات والاستياء والتردد وكيف أن اسطورة الحرب الجميلة تتلاشى امام الصعوبات وعدم كفاءة القيادات ورد فعل السكان المحليين . اما بالنسبة للحماس الشعبي فالى اي حد لعبت عوامل عدم النضوج والايحاءات السهلة والاساطير التي خلقتها الصحافة ؟

لقد فكر جوليتي في اتمام عملية سياسية دولية دون تكدير النظام الداخلي . فالحرب الليبية بالنسبة له كانت ويجب ان تظل عملية ضرورية حتى وان كانت مزعجة بالنسبة لايطاليا ، عملية تتفق بوضوح مع اتجاهات وممارسات السياسة الخارجية الاوروبية القديمة . وخطابه في تورينو يوم ٥ اكتوبر ١٩١١ واضح جدا في هذا الخصوص . فهو لم يدرك ماذا يمكن عمليته ان تحدثه من تأثير في هيكل البلاد السياسي والاجتماعي . لقد ظن انه اذا ما انتهت الحرب فقد سيكون في امكانه مواصلة سياسته كاداري هادىء بسلطة ونفوذ متجدد . ولم يحسب أن الحرب بالعكس قد ساهمت بتعجيل شرح وتجاوز نظامه السياسي القديم المتآكل الذي تولى قيادته طويلا وتجاوز ازمات داخلية صعبة غير انه لم يصمد امام الصدمة النفسية التي اصابت البلاد بسبب العملية الليبية . ان سياسة التحول الجوليتية قد

---

(١٠٢) ــ كتب سالفيميني في رسالة موجهة الى مارينيللي ومنشورة بصحيفة « اونيتا » بتاريخ ٥ اكتوبر ١٩١٢ ما يلي : « انت ايضا تعترف بسرور بانه تجاه ضرورة العملية التي تشغل اليوم ايطاليا ، فان جميع الجنود من مختلف المناطق قد التقوا في افريقيا « متحدين ومتاخين » لا بسبب الخطر فقط بل بسبب الشعور بالواجب والشرف الوطني ايضا » . وانت ايضا مرتاح « لان شعور الشرف الوطني نفسه هنا في الوطن قد حافظ على الجميع في نظام حتى وان كانت النفوس غير متفقة » . وانت ايضا تشاهد بعطف « هذا الاندفاع العظيم في التضامن من اجل الحرب » . ان هذه نتيجة مفيدة للعملية التي نحن رغم معارضتنا القوية لها فلنا الحق والواجب في ان نغتبط دون حدود » (تايطانو سالفيميني » كيف ذهبنا الى ليبيا » المصدر المذكور ص ٤٠ ــ ٢٣٩).

(١٠٣) ــ راجع بصورة خاصة صفحات ٩٩ ــ ٢٨٤ .

انتهت فعلا . فلم يكن في امكانه بالتاكيد استعادة سيره بادخال الانتخابات العامة التي كان يراها الكثيرون كمناورة لاعادة كسب موافقة اليسار المفقودة بسبب العملية الليبية . والاقتراع العام بالعكس كان يقلق اكثر فاكثر البرجوازية الليبيرالية والمعتدلة وكان يساعد تشكيل تكتلات راديكالية في مواقف الدفاع تذفت في الهواء بعمل عشر سنوات من السياسة المنفتحة على مطالب عالم العمل . وان دخول أصوات الكاثوليك الذي انتظر كثيرا فبدلا من أن يعمل كقوة موضحة داخل التشكيل السياسي ، فقد جاء ليزيد من الفوضى حيث أن الكاثوليك أيضا كان يكفيهم الخوف والتسرع . (١٠٤)

وفي الخلاصة فان جوليتي رغم جهوده في حصر العملية الليبية في اطار عمل اداري عادي لم يفلح بعد في ان يكون صانع المعجزات في الحياة السياسية الايطالية ، وقد دفع ثمن اعتداده في الاستمرار الى ما لا نهاية في نظام حكم لم يعد بعد — من جهة — مقبولا من الحركة العمالية التي ابتلعت مرارة الحرب ولكنها آخذة في تنظيم مقاومتها خارج المناقشات البرلمانية وقد رفضت بالفعل الاصلاح والتدرج التوراتي ومن جهة اخرى كان يرى تطور وتضخم معارضة سالا ندرا وسونينو التي كانت تستعد للثار بمساعدة القوميين من جماعة كوراديني الذين نضجوا واشتد ساعدهم واجتذبوا اليهم تأييد وعطف بعض البرجوازية من المقاولين الذين يدينون مع ذلك الى جوليتي بثرواتهم وقوتهم .

وكان يرتسم وراء كواراديني واصدقائه ظل شخصيات كانت تعرف كيف

---

(١٠٤) — راجع قابريلي دي روزا — « ازمة الدولة الليبيرالية في ايطاليا » المذكور ص ٧٢ — ١٧٠ .

« بخصوص الطبقة الحاكمة الليبيرالية — كتب قابريلي دي روزا — فانها منذ الحرب الليبية اظهرت نحو القوميين المنتجين اكثر من العطف الذي اخذ يتزايد مع مرور السنين كلما كشفت القومية بالتدريج عن طبقيتها الرجعية الجافة . والان فان هذا التآمر التدريجي ما بين ليبيرالية اليمن والغليان القومي وجد المصادقة عليه وتتويجه في الفلسفة في فكرة جنتيلي « الحالية » وفي السياسة في حركة سالاندرا التدخلية الذي رغم تاكيده أي سالاندرا انه من اتباع سيلفيو سبافنتا فقد انتهى بدافع من حقده لجوليتي الى الانحناء أمام مساعي القوميين الحربية » .

تستغل لصالحها تلك الصيحات غير المنتظمة من أجل تصفية جوليتي . وكان وراء كوراديني وقومية المنتجين يرتسم ظل انطونيو سالاندرا وظل اليمين الليبيرالي المحافظ المضاد لجوليتي ، والذي بالرغم من استناده الى تقاليد اليمين التاريخي للنهضة قد وجد في القومية التي كانت تقبل نفس المثل وان كانت تشوهها — الادارة لتطوير ومواصلة السير الى الامام بتلك السياسة التي ستؤدي الى ايام مايو المشرقة « والى التدخل عام ١٩١٥ — وان أندريا توري مثلا قد كتب الى البرتيني في ١٦ اكتوبر ١٩١٢ داعيا مدير «كوريري ديلا سيرا» الى تجنب مهاجمة القوميين : الذين « بدونهم لما حدثت بعض التغييرات في الراي العام الايطالي في الاوقات الاخيرة وليس من اللائق أن نحط من معنوياتهم فانهم يمثلون قوة مثل عليا تفيد البلاد » (١٠٥)

واهمية عمل الحركة القومية في أعوام الحرب الليبية تكمن فعلا في انها وجدت ليس لدى جوليتي — بل لدى مجموعات قوية من الطبقة الحاكمة الليبيرالية وجدت فيهم حلفاء واصدقاء . وان طابعها السياسي — كما لاحظ دي روزا — كان في انها وجدت :

« كيف تتغذى وتتضخم من انفعال طبقة حاكمة يعصف بها الخوف من التصادم مع قوى سياسية ، حتى وان كانت تتضارب فيما بينها وتختلف في نوعيتها ، غير انها في الواقع بوجودها الايجابي النشيط تعرض للازمات عوامل الاستئثار والرغبات في التركيز التي كانت تمارسها هذه الطبقة على الحرية والملكية وعلى جميع أحجام المجتمع المتمدن بصورة عامة » . (١٠٦)

ولكن الكل كان جدا جديدا الذي سمح لهذه التشكيلة السياسية التي كونت قاعدة للتدخل الايطالي في الحرب العالمية الاولى . وهو جو ساهم

(١٠٥) — لويجي البرتيني — مراسلات — المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٢٦ .

(١٠٦) — ج . دي روزا — المصدر المذكور ص ١٧٣ . « كل ما كان هناك من صحيح واصيل في «الثورة» اي ذلك الذي اصبغ منذ البداية الكرامة على رد فعل اتباع ليوناردي على حيرة الادب الايجابي قد اعاقه في الحال وهو في الطريق تيار قومية المنتجين المتعكرة والصاخبة وتيار القومية الامبريالية والحربية الراغبة في حمام ساخن من الدماء لتطهير ايطاليا جوليتي الصغيرة من غيوبها » (المصدر المذكور) .

القوميون بقوة في خلقه . وراقب ادولفو أموديو باهتمام خاص خلال الحرب الليبية ، الحالة النفسية الجديدة التي أخذت تتكون في البلاد بفعل موجة القومية العاتية . وقد شعر هو ايضا ان شيئا ما أخذ يتغير في ضمير وفي الحياة العامة بالبلاد وان روحا غير ناضجة ولكنها خطيرة أخذت تتغلغل في الايطاليين لتشوه وتفسد حبهم لوطنهم — وقد لاحظ كيف انه لم يعد في الامكان توجيه النظر الى تلك المشاكل التي كانت هي المشاكل الحقيقية وقد بدا كل شيء مرتبكا وقد امتزج في « نشوة سكر من الحماس » والبطولة الرخيصة . واشتكى أموديو من عدم النضوج هذا الذي اظهرته البلاد ولم يكن في امكانه « أن يغتبط لامجاد الوطن » .

« يا صديقتي — كتب اموديو الى ايفازونا في ٢٤ اكتوبر ١٩١١ من بالرمو — اني أحب ارضي واحب ثقافة وتقاليد شعبي بقوة يزداد عمقا بقدر ما يقل ظهورها . ان تفاهة الوطنية القومية والحماس المتدفق المبالغ فيه يخدش حبي لوطني هذا ، اني ملتاع من رؤية الى اية ايدي سلم(الوطن) او بمعنى ماذا يتبقى لدينا من العمل . واذا كان نجاح هذه الايام يخفف قليلا من هذا القلق ، فانني لا أخفي بان ايطاليا ينقصها الكثير والكثير من أجل ان تصبح بحق عظيمة . هل في هذه النفوس يعيش حقا الوطن ؟ كم من الرجال تتجسد فيهم اماني الوطن يرتجفون بكل روحهم من اجل مصيره ويجتهدون في التمسك وفهم المشاكل التي تعصف بالوطن فهما عميقا ؟ ان الوطنية المتطرفة (شوفنية) التي تطغى في هذه الايام على الصحافة ليست بضمير وطني بمعنى عمق الكلمة . لا يبدو لي انه من حقي ان اهتف للامة التي يديرها جوليتي في خدمة المصالح الاحتكارية لاسرة سافويا البرجوازية (الاسرة المالكة) . ان الامة وهي لا تزال مفككة الاوصال تعصف بها غنغرينة الجهل والخرافة . واني لاخشى من أن نشوة الحماس هذه تضر اكثر مما تفيد واود لوطني حتى في النصر ان يظهر بمظهر الرجولة الباردة والهدوء الحكيم . » (١٠٧)

---

(١٠٧) — ادولفو أموديو Adolfo Omodeo « رسائل ١٩٤٦ — ١٩١٠ » تورينو ١٩٦٣ ص ١٢ — ١١ .

وقد توصل فيليبو ميدا في كتابه « من القومية الى السلم » الى نفس الخلاصة التي توصل اليها اموديو وان اختلفت اللهجة وبتحليل سياسي ادق لتلك الفترة الخاصة من الحياة العامة الايطالية . ولم يستطع ميدا الا ان يحذر مواطنيه من الاخطار التي قد تنتج عن اندفاع امبريالي وحربي متزايد جـــدا .

« لنتجنب ان نساعد بسهولة كبيرة التيار التجريبي الذي يبدو انه اخذ يتغلب ويدين السلمية او بالاخرى يدين الفكر والطموح الذين تحت صفة السلمية المحتقرة يعتبران خيالا وحلما : كلا ، ان السلمية لها قاعدتها المنطقية والمعنوية التي تسمح لها ان تؤكد نفسها كهدف مسلم به في تصور المجتمع القانوني : ان عمل القائمين بها سيكون في مثل اليوم متفـــاوت فعاليـــة وعملية . قد يكون ربما متسرعا وغير مناسب : غير ان السلمية كاسلوب لها تكوينها الصلب الصامد الاكثر بكثير مما لدى النظم السياسية والمعنوية المعارضة التي يشملها اسم الامبريالية والقوميـــة » (١٠٨)

ان عهدا تاريخيا كان في طريق النهاية في ايطاليا وفي اوروبا . لقد كانت الايام الاخيرة في عصر — رغم ما عرف من اهتزازات وخوف وازمات — فقد قدم هذا العصر للشعوب فترة حياة تميزت بصورة جوهريـــة بالهدوء والعمل . وكان ايضا عصرا يخفي في طياته تناقضات وامراضا كان ولا بـــد عاجلا أم آجـــلا ان تتفجر في اشكال عنيفة . وقد تدرج ازدياد القلق واخذت بعض الحركات اللامعقولة توطد اقدامها وازدادت صعوبة رقابتها واعادتها الى مجرى اسلوب حياة متمدنة صحيحة . هذا في حين قد اشتدت الخلافات بين الدول وكانت تغذيها مصالح الهيمنـــة والامبرياليـــة . انها سنـــوات « العشية » انها مقدمات المأساة التي كان يجب ان تقلب وتغير وجه القارة الاوروبيـــة .

---

(١٠٨) — فليبو ميدا — المصدر المذكـــور ص ١٣٥ .

ملحـــق رقــــم ١

مذكرة وزير الخارجية دي سان جوليانـــو

(٢٨ يوليــو ١٩١١)

اكتب هذه المذكرة بيدي واكلف شخصا اثق فيه ان يكتب ثلاثـــة نسخ واحدة لصاحب الجلالة الملك ، وواحـــدة لرئيس مجلس الـــوزراء ، والثـــالثـــة للايداع في خزانة الوثائق السرية بالكونسولتا (وزارة الخارجية) .

ان مجمل الحالة الدولية والمحلية في طرابلس تدفعني اليوم الى الاعتقاد بانه من المحتمل ان تضطر ايطاليا في غضون بضعة اشهر الى القيام بحملة عسكرية في طرابلس . ومن الضروري ان نحسب حساب هذا الاحتمال من خلال توجيه كل سياستنا مع وجوب محاولة تجنبها حسب وجهة نظري .

ان بعض الوسائل اللازمة لتجنبها ، كما سابين ذلك فيما بعد ، فان هدفها ونتيجتها تسهيل النجاح في حالة ان هذه الحملة تصبح ضرورية .

فالسبب الرئيسي الذي يدعوني الى الاعتقاد بانه من المستحسن تجنب حملة طرابلس هو الاحتمال (احتمال لا تاكيد) بان الضربة التي سيسددها نجاح هذه الحملة الى هيبة الامبراطورية العثمانية قد يدفع الشعوب البلقانية للعمل ضدها في داخل وخارج الامبراطورية ، وهي الشعوب الغاضبة اليوم اكثر من اي وقت مضى على نظام « الشاب التركي » التركيـــزي المجنون وتعجل بذلك في حدوث ازمة قد تجعل النمسا او ربما تجبرها على العمل في البلقـــان .

ومن المحتمل جدا ان تنتج عن ذلك تعديلات في الوضع القائم (status quo) الاقليمي في البلقان وفي بحر الادرياتيك وهي في جزء منها حقـا ضـارة بالمصالح الايطالية ، وفي جزء آخر يعتبرها الرأي العام ضارة أيضا وان كان في ذلك مخطئـا .

فهذه التعديلات وما يتبعها من مظاهر معادية للنمسا ، خاصة في شمال ايطاليا قد تحدث في وقت تجد فيه ايطاليا نفسها ولو بصورة عابرة قـد ضعفت بشكل محسوس في الأرض والبحر (ولهذا السبب ستكون اقل نفوذا في اوروبا ولن تخشاها او تعتبرها النمسا عسكريا) وذلك لان حملة طرابلس تتطلب على الاقل جيشا كاملا وكل الاسطول تقريبا .

وبالنظر فعلا الى القوات الارضية التركية الموجودة في طرابلس والـى القوات البحرية التركية الموجودة في البحر الابيض المتوسط فلا شك في ان الحملة يجب ان تتكون من قوات متفوقة بدرجة تضمن النجـاح السريـع والاكيـد .

وانه من الواضح أن الضرورة تتطلب ان لا يكون النجاح اكيدا فحسب بل وسريعا ايضا .

يجب ان تجد أوروبا نفسها تجاه الامر الواقع قبل أن تباشر في دراسته تقريبا وأن يصفى بسرعة الوضع الناتج عن ذلك فيما يتعلـق بالعلاقات الدوليـة .

ان فرنسا لا تستطيع ان تعارض بموجب الاتفاق اما انكلتـرا والنمسـا والمانيا فستنظر الى عملنا هذا باسف ولكنها لن تستطيع ان تمنعه وخاصة اذا تم بسرعـة .

واكرر بان السبب الرئيسي الذي يجعلني اعتقد في ان تقوم محاولة لمنع هذا العمل هو خشية تاثيره على الحالة في شبه جزيرة البلقـان والبحر الادرياتيكي . ربما هذا التاثير لن يحدث ، بيد ان احتمالات حدوثه هي اليوم جدية جدا مما يعزز الرغبة في تجنبها .

وباستثناء هذا السبب الكبير الخطورة فان جميع اعتبارات سياستنـــا الخارجية تنصح ــ حسب رأيي ــ في الاسراع باحتلالنا لطرابلس .
واشير الى اهم هذه الاعتبارات :

١ ــ ان فرنسا ستلتزم مخلصة باتفاق عام ١٩٠٢ ومن مصلحتها اليوم وهي لم تنتهي بعد من اعطاء مراكش الصبغة التونسية ، ان توفي بتعهدها . وسيقل اهتمام فرنسا هذا بعد ان تحقق غرضها في مراكش ، اي بعد ان يكون الجزء من الاتفاق الفرنسي الايطالي الملائم لفرنسا قد نفذ مفعوله ولن يتبقى سوى الجزء الذي هو في مصلحة ايطاليـــا .

٢ ــ ومما لا شك فيه ان اعطاء مراكش الصبغة التونسية وهو على ما يحتمل سيكون نتيجة المفاوضات الفرنسية الالمانية الحالية ، فان ذلك قد يغير التوازن في البحر الابيض لضررنـــا .

٣ ــ ان حل مشكلة طرابلس قبل تجديد الحلف الثلاثي سيجعلنا في وضع احسن تجاه حلفائنا عند التفاوض حول الاتفاقيات التي يراد تعديلها .

٤ ــ من الممكن ان يشترط الحلفاء لتجديد الحلف الغاء الاتفاق الفرنسي ــ الايطالي لعام ١٩٠٢ وهو امر سيسبب لنا صعوبات كثيرة سواء قبلنا هذا الشرط ام رفضناه . وان هذه الصعوبات ستقل في حالة ان الاتفاق الايطالي ــ الفرنسي ينتهي قبل تجديد الحلف وذلك دون اعلاننا لالغائه او فسخه من قبلنا وانما يكون سقوطه تلقائيا بنهاية اغراضـــه حيث تكون ايطاليا قد احتلت ليبيا وفرنسا قد احتلت مراكش .

٥ ــ وعلى كل حال قد يكون من المفيد لنا احتلال طرابلس قبل تغيير الوضع القائم الاقليمي في البلقان وبحر الادرياتيك كي نحول دون حلفائنا واعتبارهم ان احتلالنا لطرابلس هو تعويض عن توسع النمســا الاقليمي المحتمل . هذا في حين اننا نتمسك بان تكون التعويضات في نفس حوض بحر الادرياتيك ، وان الاتفاقيات النمساوية ــ الايطالية تترك الامر مبهما .

٦ ــ وفي اطار الاوضـــاع الدولية الراهنة فان احتـــلال طرابلس لـــن تعترضه عقبات سياسية خطيرة في حين انه قد تزداد هذه العقبات خطورة في وقت آخر عندما يغدو الاحتلال ــ لاسباب اخرى ــ لا مفر منه .

٧ ــ بعد احتلال طرابلس فقط سيكون في الامكان قيام علاقات صداقة حقيقية بين ايطاليا وتركيا (طبعا بعد مرور فترة من الوقت والتوتر) .

٨ ــ ان أوضاع تركيا العسكرية في انحاء مختلفة من الامبراطورية قد تجعلها الآن في صعوبة أكثر من حيث ارسال قوات ملموسة الى طرابلس .

٩ ــ فاذا لم تقع أسباب سياسية تضعف ، أو يحدث انحـــلالا فـــي الامبراطورية العثمانية فانها أي الامبراطورية سيكون لديها في غضون عامين أو ثلاثة أسطول ضخم قد يجعل غزونا لطرابلس أكثر صعوبة أو مستحيلا وسيشجع تركيا على نهج سلوك اكثر استفزازا وعداء من سلوكهـــا الحـــالي تجاه مصالحنا في طرابلس .

وهكذا بعد دراسة الاسباب الخارجية المؤيدة والمعارضة لاحتلالنا القريب لطرابلس ، يجب علينا دراسة الاحتمالات الكبيرة والصغيرة في ان الـــراي العام الايطالي قد يفرض على الحكومة هذا القرار (سواء كانت الـــوزارة الحالية أم غيرهـــا) .

ان هذه الاحتمالات تزداد كل يوم للاسباب التاليـــة :

١ ــ من المحتمل أن الاتفاقات الفرنسية ــ الالمانيـــة ــ الانكليزيـــة بخصوص مراكش قد ينتج عنها تبادل التعويضات التي قد تكون احداهـــا استيلاء فرنسا على مراكش الامر الذي قد يخل حقا بتوازن البحر الابيض المتوسط وبعض التعويضات الاخرى التي وان كانت في الواقـــع لا تضـــر بالمصالح الايطالية غير انها قد تحدث في البلاد تاثيرا ــ من المحتمل ان لا يكون له أساس ــ ومع هذا فانه لا يقل خطورة .

٢ ــ لان سلوك الحكومة العثمانية المعادي لكل مصالحنا الاقتصادية في طرابلس والمهين لكرامتنا الوطنية مستمر ومن المؤكد تقريبا انه سيتواصل .

٣ ــ ان الشعور السائد في ايطاليا وهو شعــور لا اســاس له بان سياسة الحكومة الخارجية متساهلة جدا وان مصالح وكرامة ايطاليا ليست محترمة بالقدر الكافي . وان هناك حاجة قوية وعامة الى تاكيد القوة الوطنية بطريقة مــا .

٤ ــ لان كل حادث طرابلسي او ايطالي ــ تركي صغيــر تضخمــه الصحافة بفن ولاسباب مختلفة من بينها المال ودسائس بنك روما الذي يهمه التعجيل باحتلال ايطاليا لطرابلس .

لقد قلت سالفا أن نفس الوسائل التي تعمل من أجل تجنب حملة طرابلس فانها تعمل في نفس الوقت ــ في حالة ان الحملة لا مفر منها ــ على تامين النجاح . ويتعلق الامر سواء بالوسائل العسكرية أم بالوسائل السياسية . ولنبدأ بالوسائل العسكرية حيث أنه من الواضح أنه كلما ازداد اعداد وتحسين الوسائل (البرية والبحرية) كلما كان النجاح أكيدا وسريعا .

ولذلك أعتقد أنه من المناسب الشروع منذ الآن في بعض الاعدادات وذلك لانه في حالة اتخاذ قرار العمل ، فمن الضروري ان يمر أقل وقت ممكن ما بين القرار والعمل بحيث لا يكون هناك وقت لتدخلات الغير الدبلوماسية ولقيام تركيا باستعدادات كبيرة ولتغيير الحالة العامة التي قد تبدو ملائمة .

فالشروع في بعض الاعدادات يفيد (كما وقع في حادث قوزمان) أيضا في التقليل من الاحتمال بان الحملة تغدو لا مفر منها حيث أن هذه الاعدادات ستصل الجمهور عن طريق تسرب المعلومات بصورة ذكية وستصل تركيا وستكذبها الحكومة بصورة غير قاطعة وبذلك ستفهم تركيا اننا لسنا مستعدين للتسامح في طريقة سلوكها معنا . ومن المحتمل ان ذلك قد يدفعها الى تغيير سلوكها (كما وقع في حادث قوزمان) ويسهل علينا اذ ذاك تجنب ضرورة اللجوء الى الوسائل القصوى . فالاتراك بالفعل لا يخضعون الا للقــوة .

الوسائل السياسية هي نفسها التي استعملت حتى الآن وهي بالاضافة الى مثل هذا التهديد المستمر يستحسن ان تستمر لبعض الوقت على أمل ــ لا يجد

ما يسنده في الواقع ــ في ان تؤدي الى النجاح ولو جزئيا على الاقل فـــي تحسين العلاقات المتبادلة المرغوبة ومن اجل التدليل لاوروبا على اننا قبل العمل قد استنفذنا جميع المحاولات الودية وكنا متساهلين جدا وصابرين .

ومن جهة اخرى فان شهرا او اثنين من المحاولات السلمية لن تذهب هدرا اذا ما استعملت لتحسين استعداداتنا العسكريـــة .

ولا استطيع ان اخفي الاقتناع الذي تكون لدي ، وهو ان الوسيلة الاكثر فعالية لتجنب الحملة العسكرية هي اعدادها واشعار تركيـــا دون اعلامها بذلك رسميا باننا نستعد ، حيث انه عن طريق التهديد فقط قد نستطيع دفعها الى تغيير سياستها تجاه جميع نشاطاتنا المشروعة في طرابلس وهو الامر الذي سيجعل ايفاد الحملة العسكرية امرا لا مفر منـــه .

وفي حالة قيام هذه الحملة فماذا يجب ان يكون هدفهـــا ؟

ان بيتولو (Bettolo) تداعبـــه فكرة احتلال طبرق وهي اقـــل اخطـــارا ونفقات من احتلال طرابلس ولكنها غير فاصلـــة .

فاذا اردنا ان نواجه جميع النتائج الممكنة لعمل جرىء فيجب ان يكون في هذا الحل ، ويجب ان يهدف حالا ورأسا الى الاستيلاء على مركزي الحكـومة التركية في افريقيا الشمالية اي طرابلس اولا وبنغازي بعد بضعة ايـــام .

فاذا ما تم ذلك سنحاول اعطاء الشكل الاكثر ملائمة لممارسة سيادتنـــا على طرابلس ليصل بنفقاتنا الى الحد الادنى ، وكذلك فيما يتعلق بالاستعمال الدائم لقوات عسكرية ايطالية في تلك البقاع وذلك ولو لبضعة اعـــوام على الاقل . ومن المحتمل الاستفادة من اسرة قرة منلي التي لم تنطفىء بعد او التوصل مع تركيا الى ايجاد حل مثل الذي اتخذ بالنسبة للبوسنيا عام ١٨٧٨ او مع الصين بالنسبة لالمانيا ودول اوروبية اخرى .

ولكن مناقشة كل ذلك سابق لاوانه ويكفي اليوم ان نضع في حسابنـــا الاحتمال ان جميع الحملة قد تصبح قريبا لا مفر منها وان نوجـــه منذ الآن

عملنا الى غاية مزدوجة ، اي تجنب الحملة من جهة واعداد نجاحها منذ الآن من جهة أخرى ، اذا — كما يبدو — تزايد احتمالها وغدت لا مفر منها حتى ضد ارادتنا نفسها .

ا . دي سان جوليانو

ملحـــق رقـــــم ٢

انـــذار ايطــاليــا الى تــركيــا (*)

(٢٦سبتمبـــر ١٩١١)

أرجو من حضرتكم تسليم الباب العالي المذكرة التاليـــة :

لم تكف الحكومة الايطالية أبدا خلال سلسلة طويلة من السنين عن تذكير الباب العالي بالضرورة القصوى لوضع حد لحالة الارتباك والاهمال الذين تركت فيهما تركيا كل من طرابلس وبرقة وان تتمكن هاتـــان المنطقتان مـــن التمتع بنفس التقدم الذي تحقق في اجزاء أخرى من أفريقيا الشماليـــة .

وان هذا التغيير الذي تفرضه المقتضيات العامة للمدنية يكون بالنسبـــة لايطاليا مصلحة حيوية من الدرجة الاولى وذلك لقرب هذه المناطـــق مـــن الشواطىء الإيطاليـــة .

وبالرغم من سلوك الحكومة الايطالية التي قدمت دوما تاييدها لحكومة الامبراطورية العثمانية في مختلف المسائل السياسية وحتى في الاوقـــات

---

* ارسل هذا الانذار الى القائم بالاعمال الايطالي باسطمبول دي مارتينو في الليلة لواقعة ما بين ٢٦ و ٢٧ سبتمبر وسلمه دي مارتينو نفسه الى الوزير الاكبر يوم ٢٨ سبتمبر في لساعة ١٤،٣٠ . وقدمت نفس الوثيقة الى القائم بالاعمال التركي بروما يوم ٢٨ سبتمبر في الساعة الثامنـــة .

الاخيرة ، وبالرغم من الاعتــدال والصبر اللذين برهنت عليهمــا حتى الآن الحكومة الايطالية ، فان الحكومة الامبراطورية لم تتجاهل رغباتها المتعلقة بطرابلس فحسب ، بل وهذا ادهى وأمر ، فان كل مبادرة ايطالية في تلك المناطق كانت تواجه دائما بمعارضة عاتية منظمة لا مبرر لها .

وان حكومة الامبراطورية التي برهنت حتى الآن على عدائها الراسخ ضد اي نشاط ايطالي مشروع في طرابلس وبرقة ، قد تقدمت مؤخرا بخطوة اللحظة الاخيرة مقترحة على الحكومة الملكية التوصل الى تفاهم معلنة عن استعدادها لمنح ايطاليا اي امتياز اقتصادي يتفق والمعاهدات السارية وكرامة تركيا ومصالحها العليا . ولكن الحكومة الايطالية لم تعد تعتقد انها في وضع يمكنها من الدخول في مثل هذه المفاوضات التي بدلا من ان تكــون ضمانــا للمستقبل لا يمكنها الا ان تكون سببا دائما في نزاعات وصراعات .

ومن جهة اخرى فان المعلومات التي تتلقاها الحكومة الملكية من وكلائها القنصليين في طرابلس وبرقة تصور الحالة هناك بانها في غاية الخطورة بسبب الهيجان السائد ضد الايطاليين والذي يحرض عليه بصورة واضحة جدا الضباط واجهزة السلطة الاخــرى . وهذا الهيجان لا يكون خطرا قريبا على الايطاليين فحسب بل وعلى الاجانب من جميع الجنسيــات الذيــن دفعهم تاثرهم وقلقهم المشروع على سلامتهم الى الشروع في السفر تاركين طرابلس دون تــردد .

ان وصول ناقلات عثمانية عسكرية الى طرابلس ، الذي لم يفت الحكومة الملكية لفت نظر الحكومة العثمانية الى نتائجه الخطيرة ، لا يمكنه الا ان يزيد من خطورة الحالة ويفرض على الحكومة الملكية الواجب الملح والمطلق في تدبــر الاخطار الناتجة عنــه .

ان الحكومة الايطالية ترى نفسها — والحالة هذه — مجبرة على التفكير في حماية كرامتها ومصالحها ولذا قررت القيام باحتــلال طرابلس وبرقــة عسكريــا .

ان هذا هو الحل الوحيد الذي تستطيع ايطاليا اتخاذه ، وتنتظر الحكومة الايطالية من حكومة الامبراطورية اصدار الاوامر اللازمة بحيث لا تواجهها اية مقاومة من قبل الممثلين العثمانيين المحليين . وان تتم التدابير الناتجة بالضرورة عن ذلك بدون صعوبـــة .

ان اتفاقات لاحقة ستتخذ ما بين الحكومتين من اجل تنظيم الحالة النهائية الناتجة عن هذا الامـــر .

ان السفارة الملكية باسطمبول لديها الامر في طلب رد قاطـــع في هـــذا الصدد من الحكومة العثمانية داخل مدة اربعة وعشرين ساعة منذ تقديم هذه الوثيقة الى الباب العالي . وفي حالة عدم الرد فان الحكومة الايطالية ستكون مضطرة الى القيام في الحال بتطبيق التدابير الرامية الى الاحتلال .

يترك لحضرتكم ان تضيفوا ان رد الباب العالي في الاربعة والعشرين ساعة المذكور من الممكن ان يصلنا عن طريق السفارة التركية برومـــا .

ا . دي سان جوليانـــو

ملحـــق رقــــم ٣

الرد التركي على الانذار الايطالي (*)

(٢٩ سبتمبر ١٩١١)

ان السفارة الملكية (الايطالية) على علم بالصعوبات المتعددة والظروف التي لم تسمح لطرابلس وبرقة من الاشتراك بالقدر المرغوب في فوائد التقدم . ويكفي عرض الامور للتحقق من ان الحكومة الدستورية العثمانية لا يمكن اعتبارها مسؤولة عن وضع اوجده النظام القديـــم .

فاذا سلمنا بهذا ـــ فان الباب العالي اذا ما استعرضنا ما حدث في السنوات الثلاثة الاخيرة ـــ يبحث دون جـــدوى عن الظروف التي أظهـــر فيها مناوءته للاعمال الايطالية في طرابلس وبرقة . بل بالعكس لقد راى الباب العالي دوما انه من المفهوم والمعقول مساهمة ايطالية برؤوس أموالها ونشاطها الصناعي في النهضة الاقتصادية لهذا الجزء من الامبراطوريـــة .

وتشعر حكومة الامبراطورية بانها ابدت استعدادها للاستجابة في كل

---

* ارسلتها وزارة الخارجية التركية يوم ٢٩ سبتمبر الى السفـــارة الايطالية باسطمبول الى وزارة الخارجية الايطالية بواسطة السفارة التركية بروما . وقد اعتبر الـــرد « طريقـــة للتهرب والتاجيل » وفي نفس يوم ٢٩ سبتمبر في الساعة السابعة مساء سلـــم الـــى الوزير الاكبر اعلان الحرب الايطالـــي .

مرة وجدت نفسها أمام اقتراحات من هذا النوع . كما أنها قد درست وحللت بصورة عامة بروح الصداقة كل شكوى تقدمت بها السفارة الملكية .

ومن الضروري ان نضيف أن حكومة الامبراطورية كانت تخضع بذلك الى ارادتها التي طالما عبرت عنها في الرعاية والمحافظة على علاقات ثقة وصداقة مع الحكومة الايطاليـــة .

ومن هذا الشعور وحده استوحت حكومة الامبراطورية اقتراحها الحديث جدا على السفارة الملكية في ايجاد تفاهم قائم على منح امتيازات اقتصادية من اجل أعطاء النشاط الايطالي ميدانا فسيحا في الولايتيـــن المذكورتين . وقد وضعت شرطا وحيدا لهذه الامتيازات في ان لا تمس بكرامتها وبالمصالح العليا للامبراطورية وبالمعاهدات السارية وبذلك فان الحكومـــة العثمانيـــة أظهرت مدى شعورها بالرغبة في التفاهم دون ان تغرب عنها رؤية المعاهدات والاتفاقيات التي تلتزم بها امام الدول الاخرى والتي لا تسقط قيمتها الدولية بارادة طرف واحد .

وفيما يتعلق بالامن والنظام سواء في طرابلس ام في برقة فان الحكومة العثمانية وهي القادرة على الحكم على الحالة ، لا يسعها الا ان تلاحظ كما سبق لها شرف الاعراب عن ذلك من قبل ـــ عدم وجود بصورة مطلقة اي سبب يبرر القلق على مصير الرعايا الايطاليين وغيرهم من الاجانب المقيمين هنـــاك .

فلا توجد في هذا الوقت قلاقل في تلك المناطق فحسب ولا دعاية محرضة بل ان الضباط وأجهزة السلطة العثمانية الاخرى لديهم الاوامر بالمحافظة على النظام وهي رسالة يؤدونها بكل اخلاص .

اما فيما يتعلق بوصول ناقلات عسكرية عثمانية الى طرابلس والـــذي اتخذت منه السفارة الملكية سببا لاستخلاص نتائج خطيرة ، فان البـــاب العالي يود ان يلاحظ ان الامر يتعلق بباخرة صغيرة كان ابحارهـــا سابقا

لمذكرة ٢٧ سبتمبر . وبغض النظر عن أن الناقلة لم تحمل جنودا فانها لم تحدث في النفوس الا تأثيرا مطمئنــا .

اما وقد انحصر جوهر الخلاف في عدم وجود ضمانات تطمئن الحكومة الايطالية حيال التوسع الاقتصادي لمصالحها في طرابلس وبرقــة . فــان الحكومة الملكية ــ اذا لم تقدم على عمل بهذه الخطورة كالاحتلال العسكري ــ ستجد الرغبة الاكيدة لدى الباب العالي لتسوية هذا الخــلاف .

وعليه فان الحكومة الامبراطورية تطلب من الحكومة الملكية معرفة طبيعة هذه الضمانات ، وهي على استعداد لقبولها عن طيب خاطر ما لم تمس بسلامة أراضيها . وهي تتعهد في هذا الصدد بعدم تغيير اي شــيء على الحالة الحاضرة في طرابلس وبرقة خلال المفاوضات وخاصة من الناحية العسكرية وتامل في ان تستجيب الحكومة الملكية لاستعدادات الباب العالي المخلصــة فتقبل هذا الاقتــراح .

منشور الاميرال فارافيللـــي الى سكان طرابلـــس *
(١٦ اكتوبـــر ١٩١١)

يا سكان طرابلس ، نحن الاميرال لويجي فارافيللي القائد الاعلى للاسطول الثاني لقوة البحرية الايطالية قد استولينا باسم صاحب الجلالة ملك ايطاليا بالامس على مدينة طرابلس واننا نتوجه اليكم بتحياتنا يا سكـــان مدينة طرابلس والاريـــاف .

كنا نود ان ناتي اليكم دون اقل اسائة لهدوئكم ولمصالحكم : هذا هـــو شعور حكومة صاحب الجلالة وهذا هو شعورنا : غير ان الحكومة العثمانية والسلطات المحليـــة قد اضطرونا بسلوكهـــم الى العمل العسكـــري وقذف البطاريات بالمدافع . ان قلبنا وقلب كل ايطالي يامل في ان تكون الاضرار الناتجة عن ذلك طفيفة جـــدا .

واننا نؤكد لكم باسم صاحب الجلالة ملك ايطاليا احترام وحرية دينكم واحترام نسائكم واننا نعلمكم بان التجنيد الاجباري سيلغـــى وستقـــدم التحسينات الاقتصادية الممكنـــة .

اعتبروا انفسكم منذ الآن مرتبطين ارتباطا وثيقا بايطاليا ، واذكروا ان ملك ايطاليا يمد اليكم يده العظيمة وحمايته المدنية وارفعوا اصواتكم معنا : لتحيا ايطاليا ليحيا الملـــك .

وحيث ان السلطة العثمانية قد زالت فقد عينا الاميرال رفائيلـــي بوريا ريتشي حاكما للمدينة بسلطات عسكرية ومدنيـــة .

صدر بطرابلس في ١٦ اكتوبر ١٩١١ .

ل . ج . فارافيللـــي

---

* صدر هذا المنشور غداة الاستيلاء على طرابلس .

ملحق رقم ٥

منشور الحاكم بوريا رينتشي الى سكان طرابلس

(٧ اكتوبر ١٩١١)

ايها السكان المحترمون

بالنظر الى ان السلطة العثمانية التي زالت من هذا البلد كانت تحاول بجميع الوسائل عرقلة توسع المصالح الايطالية في طرابلس .

وبالنظر الى ان جميع الجهود التي بذلتها الحكومة الايطالية منذ سنوات بقصد الوصول الى اتفاق مع تلك السلطة (العثمانية) من أجل افساح المجال هنا للنشاط الايطالي ، قد اصابها الشلل نتيجة للمعارضة العثمانية الامر الذي اضطرنا مكرهين الى احتلال هذا البلد عسكريا . ولم نقم بهذا العمل من اجل تامين مصالحنا فحسب ، وانما في نفس الوقت بقصد النهوض باوضاع الاقتصاد والتجارة في طرابلس لصالح سكانها انفسهم . ولذلك فنتولى اليوم باسم ملك ايطاليا العظيم الحكم في طرابلس لادارة شؤونها المدنية والعسكرية .

واعلموا ايها السكان الاعزاء اننا نود ان نؤكد لكم بشدة باننا سوف نقوم بكل العناية والاحترام والاعتبار الواجب نحو دينكم بل نتعهد بحمايته بكل قوة اذا ما لحقت به أقل اهانة .

فمن هذه الناحية اذن في امكانكم ان تناموا هادئين حيث اننا التزمنا بكلمتنا المقدسة . وكذلك فيما يتعلق بالمحاكم الشرعية ستظل كما كانت في السابق وستكون محل احترامنا واجلالنا العظيمين ، وان احكامنا ستاخذ مجراها كما كانت في عهد الحكومة الغابرة بل نتعهد بتنفيذ هذه الاحكام اذا اقتضى الامر ذلك . وسيستمر مديري الاوقاف في ادارة أملاك الوقف كما هو الحال حتى الآن ولن يكون هناك اي تدخل ايطالي فيها اللهم الا اذا تعلق الامر بمساعدة المديرين المذكورين بالنصائح الرامية الى تحسين وتطوير زيادة هذه الممتلكـــات .

واننا نعطيكم أيها السكان الاعزاء كلمتنا بصفتنا حاكما عاما اننا لن نترك وسيلة الا وسلكناها من أجل اظهار احترامنا الاعظم واعتبارنا الاكبر للمراة . واذا حدث وتجرا اي متهور على المساس بشرفكم فهذا معناه انه قد نال من شرفنا ايضـــا .

ان نفس الاحترام والتقدير الذي نريده لنسائنا نود بل نفرضه بالنسبة لنسائكم . ونؤكد لكم في كلمة واحدة أن شرفكم شرفنا والويل للمتهور .

ان ممتلكاتكم الثابتة والمنقولة هي ملك مقدس لا يمس وتخصكم أنتم فقط . وسنعمل كل الممكن لتثبيت هذه الممتلكات بحيث تكون بعيدة عن دواعي الشك أو الخصام وأفضل مما كانت عليه خلال العهد التركي الزائـــل .

ان جميع حقوقكم مهما كان نوعها هي مقدسة ولا تتعرض لاي ظلم لاننا نؤكد لكم أن المحاكم الايطالية ستدور حول محور لا يسمح باي تفرقة في الدين أو الاجناس .

ونؤكد لكم أيها السكان المحترمون النبا الجديد وهو منع التجنيد الاجباري في هذا البلد . ولقد الغي وأبطل جزء من الضرائب التي كانت تثقل كاهلكم في عهد الحكومة الزائلة هذا في حين أن الجزء الصغير من الضريبة التي ارتأينا الاحتفاظ بها قد انقصت وخفضت . واننا ننوي عن طريـــق كل هـذه المزايا التي نقدمها لكم تنمية مكاسبكم وتطوير تجارتكم وانعاش الصناعة

في هذا البلد واعطائكم بصورة خاصة الوسيلة لتقدم الزراعة بحيث تتمكن طرابلس ايضا خلال سنوات قليلة من ان تحتل في العالم المتمدن المكان الذي تحتله شقيقتاها المجاورتـــان .

وهكذا ايها العرب الكرماء سوف تنتقلون من الحالة الاقتصادية المزرية التي تعيشونها الى الرخاء ومن الفقر الى الثروة ومن البؤس الى الرفاهية .

واننا ننصحكم يا سكان هذا البلد الشرفاء بان لا تستمعوا للمحرضين الذين لا يبغون سوى جلب الشرور الكبيرة عليكم وعليهم (وليعلم أولئك أن أرهب العقوبات تنتظرهم) . فضموا نواياكم الطيبة الى نوايانا واندمجوا معنا وأبذلوا كل جهد لتكون أعمالكم شبيهة باعمالنا ، فان تاريخ المستقبل يحفظ لكم مكانا مجيدا مثلما حفظ التاريخ لاجدادكم الشرفاء مجلدات تشهد بالتقدم والرفاهية والمجد الذي نالوه . هذا هو أملنا الصادق بل هذا مـــا يشعر به نحوكم قلب كل ايطالي لانكم اصبحتم ابناءنا . فلكم مثلنا نفس الحقوق التي يتمتع بها الايطاليون والذين لا يجوز أن نميزكم عنهم : فصبحوا اذن مع كل اخوانكم في ايطاليا : ليحيا الملك . لتحيا ايطاليـــا .

صدر في طرابلس يوم ٧ اكتوبـــر ١٩١١

ر . بوريا ريتشـــي

ملحق رقم ٦

منشور الجنرال كانيفا الى سكان طرابلس وبرقة

(١٣ أكتوبر ١٩١١)

باسم الله الرحمن الرحيم

في عهد صاحب الجلالة فيتوريو عمانويل الثالث ملك بلاد ايطاليا الكبيرة حفظه الله وجعله دوما عظيما ومجيدا .

أنا الجنرال كانيفا قائد القوة الايطالية المكلفة بانهاء حكم الاتراك في طرابلس وبرقة والمناطق التابعة لهما .

الى جميع السكان القاطنين في المناطق المذكورة من شاطىء البحر الى آخر الدواخل ، الذين يملكون منازل في المدن وبساتين وحقولا ومراعي حول المدن نفسها أو بعيدا عنها داخل البلاد .

اعلن ما يلي :

ان القوات الخاضعة لامري قد أرسلها صاحب الجلالة ملك ايطاليا حماه الله ، لا لاخضاع واستعباد سكان طرابلس وبرقة وبلاد الدواخل الاخرى الواقعة الآن تحت استعباد الاتراك ، وانما لنعيد اليهم حقوقهم ونقتص من مغتصبيهم ولنجعلهم احرارا وأسيادا لانفسهم ، ولحمايتهم من المغتصبين انفسهم اي الاتراك ومن كل من يريد استعبادهم .

فانتم يا سكان طرابلس وبرقة وفزان والمناطق التابعة لها سيحكمكم من الآن فصاعدا رؤساء منكم تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة ملك ايطاليا حرسه الله وهم مكلفون بقيادتكم وفقا للعدالة وبالرافة والحسنى .

ان جميع القوانين الدينية والمدنية ستحترم ويحترم الاشخاص والممتلكات والنساء والحقوق والامتيازات المتعلقة باعمال البر والدين . ان الغاية الوحيدة من عمل الرؤساء (المشائخ) هي خيركم وهناؤكم ويجب ان يكون هذا العمل مستوحى من الشريعة والسنة . وسيقضي بينكم وفقا للشريعة بواسطة قضاة متفقهين في الدين ذوي استقامة وسيرة حميدة .

ولن نغض الطرف عمن يظلم من الرؤساء ولا نسمح بانحراف القضاة ، فالكتاب والشريعة والسنة فقط ستكون لها السيادة .

ولن تؤخذ اية ضريبة لصرفها خارج البلاد ، وان الضرائب الحالية سيعاد النظر فيها وسوف تخفض او تلغى وفقا للعدالة .

ولن يطلب من احد الانخراط في الجندية بغير ارادته وانما يقبل أولئك الذين يرغبون طواعية الانضواء في ظل العلم الايطالي من أجل حماية النفوس والممتلكات ولكي يضمنوا للبلاد كل الرخاء والسلام .

واما الآخرون فيبقون في بيوتهم عاكفين على العمل في حقولهم ورعاية مواشيهم او تعاطي التجارة وجميع الحرف الضرورية للحياة المدنية .

وهكذا فان كل امرىء يستطيع اقامة الصلاة في مسجده من اجل عظمة الشعب الايطالي ومجد ملكه حفظه الله وهم الذين وضعوكم يا سكان هذه البلاد تحت رعايتهم وحمايتهم ويودون ان ذكر اسمهم يرهب اعداءكم ويكون محبوبا ومباركا منكم .

وبناء عليه ، وحسبما خولني جلالة ملك ايطاليا العادل المنصور وحكومته ، اعلن ما تقدم واصدره اليوم ٢٠ شوال ١٣٢٩ من الهجرة ليبقى كاساس للعلاقات المقبلة ما بين الحامية والمحميين ، وبين الايطاليين وسكان

هذه البلاد ، واني لعلى ثقة انكم سوف تتقبلون ذلك بقلوبكم كقاعدة يجب اتباعها بامانة وباستقامة روح ونوايا كلا الطرفين .

واذا وجد من لا يقدس الشرائع ولا يحترم الاشخاص أو يمس حرمـــة النساء أو يعتدي على الممتلكات أو يثور على ارادة العناية الالهيـــة التي أرسلت ايطاليا الى هذه البلاد ، وباسمها استلمت هذه الاوامر ممن كان ولا يزال له الحق في اصدارها والمحافظة عليها فسأقـــوم بتنفيذها بالقوة الموضوعة تحت تصرفي من أجل انتصار الحق والعدالـــة .

يا سكان طرابلس وبرقة والمناطق التابعة لها .

اذكروا أن الله قال في كتابه العزيـــز :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتسقطوا اليهم أن الله يحب المقسطيـــن » .

واذكروا انه جاء في الكتاب العزيز ايضـــا :

« واذا جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

فايطاليا تريد السلام وتريد أن تبقى بلادكم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها باركه الله يخفق عليها العلم الابيض والاخضر والاحمر اشارة الـــى الايمان والمحبة والامـــل .

ك . كانيفـــــا

ملحـــق رقـــــم ٧

مــرســـــوم الضـــــم

(٥ نوفمبـــر ١٩١١)

بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية ،

وبعد الاستماع الى رأي مجلس الوزراء ،

وبعد الاطلاع على البند ٥ من الدستور الاساسي للملكـــة ،

رسمنـــا ونرســـم :

لقد وضعت طرابلس وبرقة تحت سيادة المملكة الايطالية الكاملة والمطلقة ،

ستقرر بقانون النظم النهائية لادارة تلك الناطق والى حين صدور القانون سيعمل بمراسيم ملكية .

هذا المرسوم سيعرض على البرلمان لتحويله الى قانون .

روما في ٥ نوفمبـــر ١٩١٢

فيتوريو عمانويـــل

ملحـــق رقـــــم ٨

اشعـــار الـــدول بمرســـوم الضـــم

(٥ نوفمبـــر ١٩١١)

ان احتلالنا للمدن الرئيسية في طرابلس وبرقة وانتصار اسلحتنا المؤكد وقيامنا باعداد قوات متفوقة للارسال الى هناك ، كل ذلك جعل عبثا اية مقاومة تركية لاحقة وعديمة الاثـــر .

ومن جهة اخرى ، فمن اجل وضع حد لسفك الدماء هدرا يجب الاسراع في ازالة اي تردد خطير من نفوس اولئك السكـــان .

ولذلك فبموجب مرسوم ملكي صدر اليوم وضعت طرابلس وبرقة تحت سيادة المملكة الايطالية الكاملة والمطلقة بصورة نهائية لا رجعة فيهـــا .

ان اي حل آخر اقل جذرية يترك ولو ظلا من السيادة الاسمية للسلطان على الولايتين قد يكون سببا دائما لنزاعات مقبلة ما بين ايطاليا وتركيا قد تنفجر بصورة حتمية في وقت لاحق حتى ضد رغبات الحكام وفي وقت ــ خلافا للآن ــ قد يكون خطرا جدا على السلام الاوروبـــي .

ان الحل الذي اتخذناه هو الوحيد الذي يرعى بصورة نهائية مصالـــح ايطاليا واوروبا وتركيا نفسهـــا .

ان السلام الموقع على هذا الاساس سيقضي على جميع أسباب الخـــلاف

العميقة ما بين ايطاليا وتركيا وان ذلك سيسهل علينا توجيه كل سياستنا نحو موضع اهتمامنا الاكبر الا وهو المحافظة على الوضع القائم الاقليمي في شبه جزيرة البلقان الذي يعتبر توطيد الامبراطوريـــة العثمانيـــة شرطه الاساســـي .

ولذلك نرغب بحرارة ــ اذا كان سلوك تركيا لا يجعل ذلك مستحيلا ــ في ان تكون شروط السلام متمشية بقدر ما يمكن مع مصالح تركيا وهيبتها .

ان طرابلس وبرقة لم تعودا جزءا من الامبراطورية العثمانية ، واننا اليوم على استعداد بروح التفاهم الواسعة لدراسة الوسائل لتسوية آثار الاحداث ــ التي تمت بصورة لا رجعة فيها ــ بالطريقة الاكثر ملاءمة والمشرفة لتركيا .

ومن المؤكد اننا لا نستطيع ان نحافظ على نوايا التفاهم هذه فيمـــا اذا اصرت تركيا على اطالة الحرب بدون جدوى . واننا على ثقة في ان مساعي الدول الكبرى الطيبة قد تجعل تركيا تتخذ دون تردد القـــرارات الحكيمـــة والحاسمة التي تتفق ومصالحها الحقيقية ومصالح العالم المتمدن كافـــة .

وان ايطاليا على كل حال ستتعاون في هذا السبيـــل بالاعـــراب عـــن استعدادها لشروط سلم عادلة وعن عزمها في نفس الوقت علـــى اتخـــاذ الوسائل الاكثر فعالية لفرضها في اقرب وقت ممكن .

وفي امكان سعادتكم اعطاء صورة من هذه البرقية الى وزارة الخارجية بطرفكـــم .

ا . دي سان جوليانـــو

ملحـــق رقـــــم ٩
فرمـــان السلطـــان محمد الخامـــس *
(٢٦ أكتوبـــر ١٩١٢)

الى سكان طرابلس وبرقـــة :

لما كانت حكومتنا في وضع يجعل من المستحيل عليها تقديم المساعدات الفعالة والضرورية لكم من أجل الدفاع عن وطنكم ، ولما كانت ، من جهة آخرى ، حريصة على هنائكم حاضرا ومستقبلا ، ورغبة منا في اتقاء استمرار حرب مدمرة بالنسبة لكم ولعائلاتكم وخطيرة على امبراطوريتنا ، وبقصد أحياء السلام والرخاء في بلادكم ، فانني استنادا على حقوقي السيادية قد منحتكم استقلالا ذاتيا مطلقا وكاملا . وستدار بلادكم بموجب قوانين جديدة وانظمة خاصة ستساهمون في اعدادها بنصائحكم لكي تكـــون مطابقـــة لحاجاتكم وعاداتكم .

وقد عينت خادمي الامين شمس الدين بك ممثلا عني بلقب نائب السلطان وعهدت اليه برعاية المصالح العثمانية في بلادكم ، وستكون مدة انتدابه خمس سنوات احتفظ بعد مرورها بحق تجديد انتدابه أو تعيين خلف لـــه .

ولما كانت رغبتنا المحافظة على بقاء الاحكام الشرعية الغـــراء ساريـــة المفعول ، فقد احتفظنا لهذا الفرض بحق تعيين القاضي الذي سيتولى بدوره تعيين نواب عنه من العلماء المحليين وفقا لما تنص عليه الشريعة . وستدفع رواتب القاضي من قبلنا . أما رواتب نائب السلطان والموظفين الشرعيين الآخرين فستدفع من الواردات المحليـــة .

محمـــد الخـــــامس

---

* انها اول وثيقة تمهيدية للتوقيع على معاهدة السلام وفقا للاتفاق الذي تم بين الوفديـــن الايطالي والتركي في غشـــي .

ملحـــق رقـــــم ١٠

مرســـوم ملـــك ايطاليـــــا

(١٧ اكتوبـــر ١٩١٢)

فيتوريو عمانويل الثالث ملك ايطاليا بفضل الله وارادة الامـــة .

بعد الاطلاع على القانون رقم ٨٣ بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩١٢ القاضي بوضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الكاملة والشاملة لملكة ايطاليا .

وبقصد تعجيل السلام في الولايات المذكـــورة .

وبعد سماع مجلس الوزراء بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية قررنا ونقرر :

المادة ١ ــ يمنح عفو كامل وشامل لسكان طرابلس وبرقـــة الذيـــن اشتركوا في الحرب وتورطوا بسببها باستثناء الجرائم العادية . وتبعا لذلك لا يحاكم احد مهما كانت طبقته وحالته أو يضايق في شخصه وممتلكاته او في ممارسة حقوقه وذلك بسبب الاعمال السياسية أو العسكرية التي قام بها او بسبب أراء عبر عنها خلال الحـــرب .

الاشخاص المسجونون والمبعـــدون لهذا السبب سيطلق سراحهـــم في الحـــال .

المادة ٢ ــ سيستمر سكان طرابلس وبرقة كما كانوا في الماضي فـــي

التمتع بكامل الحرية في ممارسة شعائر الاسلام . وسيستمر ذكـر اسـم صاحب الجلالة الامبراطور السلطـان بصفته خليفة في الصلوات العامـة للمسلمين ويعترف بالشخص الذي يعينه ممثلا له وستسحب مخصصاتـه من الواردات المحلية . حقوق الاوقاف ستحترم كما في الماضي ولكن يكون هناك اي عائق في علاقات المسلمين بالرئيس الديني المسمى بالقاضي الذي يعينه شيخ الاسلام وبالنائب الذي يعينه والذين ستسحب مخصصاتهم من الواردات المحليـة .

المادة ٣ ـ الممثل المذكور معترف به حتى بالنسبة لرعاية مصالح الدولة العثمانية والرعايا العثمانيين الذين يظلون بالولايتين بعد قانون ٢٥ فبراير ١٩١٢ رقـم ٨٣ .

وبموجب مرسوم آخر ستعين لجنة يشترك فيها اعيان وطنيون لتقديم الاقتراحات بالنسبة للولايتين والخاصة بالنظم المدنية والادارية المستوحاة من المبادىء التحريرية (ليبرالية) ومن احترام العادات والتقاليد المحليـة .

نامر بنشر هذا المرسوم بعد ختمه بختم الدولة في مجموعـة الـقـوانين الرسمية ومراسيم المملكة الايطالية ونطلب الى جميع من يهمهـم الامر أن يعملوا به والامر بالعمل بـه .

توقيعـات : جوليتي ، دي سان جوليانو ، فينوكيارو ابريلي ، فكتا ، تيديسكو ، سينقاردي ، ليوناردي كوتوليكا ، كريدارو ، ساكي ، نيتي ، كاليسانـو .

صدر في سان روسوري في ١٧ أكتوبر ١٩١٢

فيتوريو عمانويل الثالث

ملحـــق رقـــم ١١

معاهـــدة ســـلام ما بين ايطاليـــا وتركيـــا

(١٨ اكتوبـــر ١٩١٨)

ان صاحبي الجلالة ملك ايطاليا وامبراطور العثمانييـــن ، بدافع مـــن رغبتهما المشتركة في وضع حد لحالة الحرب القائمة بين بلديهمـــا قد عينا مفوضيهـــم .

عن صاحب الجلالة ملك ايطاليا : السنيور بيترو بيتوليني حامل وسام الصليب الاكبر من نيشان تاج ايطاليا ووسام ضابط اكبـــر من نيشـــان القديسين موريس ولازار وعضو البرلمـــان :

السنيور قويدو فوزيناتو حامل وسام الصليب الاكبر من نيشان تـــاج ايطاليا ووسام ضابط اكبر من نيشان القديسيـــن موريس لازار وعضـــو بالبرلمان ومستشار دولة .

السنيور جوسبي فولبي حامل وسام كومندتور من نيشـــان القديسين موريس ولازار ونيشان تاج ايطاليـــا .

عن صاحب الجلالة امبراطور العثمانيين : صاحب السعادة محمد نابي بك حامل وسام الوشاح الاكبر من نيشان العثمانية الامبراطوري ، مندوب فوق العادة ووزير مفوض لصاحب الجلالة امبراطور العثمانييـــن .

صاحب السعادة روم بيوغلوي فخر الدين حامل وسام ضابط أكبر مـــن نيشان العثمانية الامبراطوري مندوب فوق العادة ووزير مفوض لصاحب الجلالة امبراطور العثمانيين .

وبعد ان تبادل الطرفان وثائق الاعتماد ووجداها صحيحة قانونيا فقــد اتفقا على المواد الآتية :

المادة الاولى : تتعهد الحكومتان بان تتخذا فورا بعد التوقيـــع على هذه المعاهدة التدابير الضرورية لايقاف القتال حالا وفي نفس الوقت . وسوف يرسل مندوبون خاصون الى المواقع للاشراف على تنفيذ ذلك .

المادة الثانية : تلتزم الحكومتان باصدار الاوامر الفورية بعد التوقيع على هذه المعاهدة ، باستدعاء ضباطهما وجنودهما وموظفيهما المدنيين : بالنسبة للحكومة العثمانية من طرابلس وبرقة وبالنسبة للحكومة الايطالية من الجزر التي احتلتها في بحر ايجـــه .

ويتم جلاء الضباط والجنود والموظفين المدنيين الفعلي من الجزر المـذكورة بمجرد اخلاء طرابلس وبرقة من الضباط والجنـــود والموظفيـــن المدنييـــن العثمانييـــن .

المادة الثالثة : تتبادل الحكومتان الاسرى والرهائن في أسرع وقت ممكن .

المادة الرابعة : تتعهد الحكومتان باصدار عفو عام شامل . فتعفو الحكومة الملكية عن سكان طرابلس وبرقة ، وتعفو الحكومة الامبراطورية عن سكان بحر أيجه الخاضعة للسيادة العثمانية ، اي الذين اشتركوا في الحـــرب أو تورطوا بسببها ما عدا الجرائم المتعلقة بالحق العام . وتبعا لذلك لا يحاكم أي شخص مهما كانت الطبقة أو الفئة التي ينتمي اليها أو يمس شخصه او ممتلكاته أو ممارسة حقوقه بسبب أعماله العسكرية أو السياسية او بسبب الاراء التي أبداها خلال الحرب . وان الاشخاص المعتقلين والمبعديـــن لهذا السبب سيطلق سراحهم في الحـــال .

المادة الخامسة : سيعاد في الحال العمل بجميع المعاهدات والاتفاقيات والالتزامات مهما كان نوعها وطبيعتها وصفتها التي عقدت او كانت سارية المفعول بين الطرفين المتعاقدين قبل اعلان الحرب ويعود وضع الحكومتين ورعاياهما ازاء بعضهما الى نفس الوضع الذي كانوا عليه قبل وقوع الحرب .

المادة السادسة : تتعهد ايطاليا بان تعقد مع تركيا في الوقت الذي تجدد فيه اتفاقياتها التجارية مع دول أخرى ، معاهدة تجارية على أساس الحق العام الاوروبي ، بمعنى أنها توافق على ان تترك لتركيا حريتها الاقتصادية وحق ممارسة شؤونها التجارية والجمركية اسوة بجميع الدول الاوروبية دون ان تغل يدها الامتيازات أو غيرها من الاتفاقيات المعمول بها حتى اليوم . ومن المفهوم انه لا يسري العمل بهذه المعاهدة التجارية الا عندما يعمل بالمعاهدات التجارية التي عقدها الباب العالي مع الدول الاخرى على نفس القاعدة .

وتوافق ايطاليا ، من جهة أخرى على رفع رسوم الجمرك النسبية في تركيا من ١١ الى ١٥ في المائة وكذلك على انشاء احتكارات جديدة وجباية رسوم استهلاك اضافية على السلع الخمس الآتية : البترول وورق السجاير واعواد الثقاب (كبريت) والكحول وورق اللعب على شرط أن تطبق نفس المعاملة على الواردات من البلاد الاخرى في نفس الوقت وبدون تمييز .

وفيما يتعلق باستيراد المواد المحتكرة فان ادارة هذا الاحتكار ملزمة باستيراد مواد ايطالية حسب النسبة المقررة وعلى أساس الوارد السنوي منها ، على أن تكون الاسعار المقدمة لشراء المواد المحتكرة مطابقة لحالة السوق وقت شرائها مع مراعاة نوع البضاعة المعروضة ومتوسط الثمن في السنوات الثلاث التي سبقت الحرب لنفس الانواع المذكورة .

ومن المفهوم ايضا انه اذا ارتات تركيا بدلا من انشاء احتكارات جديدة على المواد الخمس المذكورة ان تفرض عليها ضريبة استهلاك اضافية ، فيجب

ان تفرض هذه الضرائب الاضافية بنفس المقدار على المنتوجات المماثلة في تركيا وعلى منتوجات الامم الاخـــرى .

المادة السابعة : تتعهد الحكومة الايطالية بالغاء مكاتب البريد الايطالية العاملة في الامبراطورية العثمانية وذلك حالما تلغي مكاتبها الدول الاخرى التي لديها مكاتب بريدية في تركيـــا .

بما ان الباب العالي ينوي عقد مؤتمر اوروبي او غيره مع الدول الكبرى ذات المصلحة في المفاوضات بقصد الغاء نظام الامتيازات في تركيا واستبداله بنظام الحق الدولي ، فان ايطاليا مع اعترافها بعدالة مقصد الباب العالـــي هذا ، فانها تعلن منذ الآن انها ستقدم معاضدتها الكاملة والصادقة في هذا الصـــدد .

المادة التاسعة : تعلن الحكومة العثمانية عن استعدادها لاعـــادة الرعايا الايطاليين الموظفين في ادارتها والذين اضطرت ان تفصلهم من عملهم وقت الحرب الى وظائفهم التي تركوها اظهارا لرضاها عن خدماتهم الصادقة لها ، وان تدفع لهم رواتب الاستيداع عن الاشهر التي قضوها خارج وظائفهم وان لا يضر هذا الانقطاع عن العمل اقل ضرر بالموظفين الذين يستحقون معاشا تقاعديـــا .

وتتعهد الحكومة العثمانية ايضا ببذل مساعيها الطيبة لدى المؤسسات المرتبطة بها (صندوق الديون العمومية وشركة السكك الحديدية والبنوك وغيرها) كي تعامل الرعايا الايطاليين الذين كانوا في خدمتها ، وفي نفس الاوضاع ، تعاملهم بنفس هذه المعاملـــة .

المادة العاشرة : تتعهد الحكومة الايطالية بان تدفع سنويا الى صندوق الديون العمومية لحساب الحكومة الامبراطورية مبلغا معادلا لمتوسط المبالغ التي في كل من السنوات الثلاث السابقة لاعلان الحرب قد دفعت لميزانية الصندوق من واردات الولايتين . ويتولى معتمدان تعين احدهما الحكومة الايطالية وتعين الآخر حكومة الامبراطورية وذلك ليقررا بالاتفاق مقدار هذه

المبالغ السنوية . وفي حالة حدوث اختلاف يرفع الامر الى مجلس تحكيم يتكون من المعتمدين المذكورين ومن حكم اعلى يعين باتفاق الطرفين . فاذا لم يتم الاتفاق عين كل فريق دولة مختلفة وتختار الدولتان المرشحتان بالاتفاق حكما أعلـــى .

وللحكومة الملكية ولادارة الديون العموية بواسطة الحكومة الامبراطورية صلاحية طلب استبدال هذه المبالغ السنوية بدفع مبلغ موازي بفائدة ٤ ٪ .

وتعترف الحكومة الملكية منذ الآن ، فيما يتعلق بالفقرة السابقة ، بان هذا المبلغ السنوي لا يمكن أن يكون اقل من عشرين مليون ليرة ايطالية وانها اي الحكومة الايطالية على استعداد بان تدفع الى ادارة الديون العمومية المبلغ الموازي بمجرد ما يطلب ذلك .

يعمل بهذه المعاهدة منذ يوم التوقيع عليهـــا .

وقع المفوضون على هذه المعاهدة وختموها باختامهـــم .

لوزان في ١٨ اكتوبر ١٩١٢

بيترن برتوليني ، قويدو فوزياناتو ، جوسبي فولبي ،

محمـــد نابـــي ، روم بيوغلـــوي فخر الدين

فهـرس الكتـــاب

الترتيب الزمني للعمليات العسكرية *

١٩١١

سبتمبر

٢٩ ـ ايطاليا تعلن الحرب على تركيا

دوق الابروتسي على راس فرقة نسافات يهاجم طرادتين تركيتين خرجتا من ميناء برفرسا ببحر الادرياتيك ويستولى على مركب شراعي ويخت مشحونين بالاسلحة .

اكتوبر

٢ ـ الاميرال فارافيللي يوجه انذارا الى قائد حامية طرابلس بتسليم المدينة .

٣ ـ في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر تشرع البوارج الايطالية بقيادة الاميرال فارافيللي بقصف طرابلس .

٤ ـ حملة انزال بقيادة الجنرال اوبري تحتل طبرق .

٥ ـ انزال ١٧٢٢ بحارا الى طرابلس بقيادة القومندان اومبرتوكاني وظل هؤلاء البحارة سبعة ايام يقاومون هجمات الاتراك العنيفة الذين شرعوا بعد ذلك في انسحاب الى الداخل .

* ان غاية هذا الترتيب الزمني هو اعطاء صورة اجمالية للاحداث العسكرية التي ميزت الحرب الايطالية ـ التركية والتي ذكرت مظاهرها العامة في هذا الكتاب . ومن اجل تتبع مختلف مراحل القتال بصورة افضل يجب الاخذ بالعلم بان العمليات الحربية قسمت في الولايتين الى عدة مناطق . في القطر الطرابلسي : طرابلس والخمس ومصراتة وزوارة . وفي برقة : بنغازي ودرنة وطبرق . وفي شهر مايو ١٩١٢ فتحت جبهة جديدة في بحرايجة . وقد استعملنا هذا الترتيب الزمني الدقيق لاعطاء صورة عامة لمختلف ادوار القتال وبالنسبة للمعارك المهمة ذكرنا بين قوسين عدد الخسائر الايطالية (حسب المصادر الرسمية) .

اغرقت السفينة الايطالية (اريتوزا) سفينة مدفعية تركية قـرب الحديدة بالبحر الاحمر .

اطلقت الطرادة (ارتليري) بقيادة القومندان بيسكـاريتي مدافعهـا على سان جوفاني دي مدوا ببحر الادرياتيك .

١٠ ـ الجنرال كانيفا يتولى قيادة الحملة .

١١ ـ نزول الوحدات الاولى من الحملـة الى طـرابلس (الالاي الاربعين والرابع والثمانين مشاة والحادي عشر برسلليري).

١٢ ـ وصول الدفعة الثانية من الحملة .

١٤ ـ صد هجوم قام به قرابة مائتي جندي من المشاة الاتراك على المراكز الايطالية المتقدمة بغرب بومليانة .

١٧ ـ نزول بعض الوحدات البحرية الى درنـة بقيـادة القـومنـــدان اورسيني بعد قذف المدينة بشدة بالمدافع .

١٩ ـ نزول الالاي الثاني والعشرين مشاة الى درنة مع كتيبة (سالوتسو) من رجال الالب وسرية اشغال والجميع بقيادة الجنرال (زوبيللي). في الساعة السادسة شرع في قصف الناحية الجنوبية من بنغازي نزلت فصائل من الالايين الرابع والثالث والستين مشاة الى شاطىء جليانة بقيادة الجنرال اميليو . وبعد تسع ساعات من القتال هجم الايطاليون على ثكنات البركة وقرية سيدي حسين جنوب شـرق بنغازي . وهو التمهيد للاستيلاء على بنغازي .

٢٠ ـ احتلال بنغازي (٢٥ قتيلا و ٤٥ جريحا) .

٢١ ـ نزول الالاي الثالث برساليسري الى الخمس بقيادة الكـولونيـل (ماجوتو) تحت حماية السفن الـحربيـة (فاريـزي) و (اربـــا) و (ماركوبولو) .

٢٢ ـ اول رحلات جوية فوق طرابلس بقيادة الكبتن (بياتسا) .

٢٣ ـ وقوع معركة شارع الشاطىء بمنطقة طرابلس على اثر هجوم تركي قوي . وتعرض الالاي الحادي عشر برساليري الذي كان يحتل اقصى اليسار في الجبهة الى هجوم قام به الثوار العرب من الخلف وتكبد خسائر باهظة جدا . رد فعل ايطالي عنيف . اعلان الاحكام العرفية في جميع انحاء القطر الطرابلسي (٣٧٨ قتيلا و ١٢٥ جريحا).

احتلال مرتفعات المرقب المتحكمة في طرق القوافل المؤدية من الخمس الى ترهونة . هجوم مضاد قوي العدو .

٢٦ ـ معركة بومليانة بمنطقة طرابلس بعد هجوم عربي ـ تركي عنيف صد بعد صراع قاسي اشترك فيه الالاي الاربعين مشاة ورماة الالاي الثاني والثمانين والالاي الرابع والثمانين تؤيدهم البحرية والمدفعية (٢٦ قتيلا و ١٠٧ جرحى) .

٢٨ ـ هجوم قوي للعدو يجبر الايطاليين على التخلي عن مرتفعات المرقب

نوفمبر

٤ ـ الاتراك يقصفون طرابلس بالمدافع ويتبع ذلك هجوم عربي تركي صغير صده الالاي الثالث والستين مشاة .

٦ ـ احتل اللواء الخامس بقيادة الجنرال (دي شوراند) حصن الحميدية الذي يحمي طرابلس من الشرق وذلك بعملية التفاف (٨ قتلى و ١١ جريحا) .

٩ و ١٠ ـ هجوم تركي عنيف في منطقة طرابلس صد بعد معارك قاسية اشترك فيها الالاي الثامن عشر والرابع والثمانين مشاة والالاي الرابع برساليري .

١٨ ـ هجوم تركي جديد في منطقة طرابلس .

٢٠ ـ قصفت سفينتان ايطاليتان تقومان بدورية بالبحر الاحمر الحصن التركي القائم بالعقبة .

٢١ ـ قصفت السفينة الحربية (كارلو البرتو) منطقة العمروس مما تسبب في انتقال العرب والاتراك الى بن سعيد التي اخليت فيما بعد في نفس اليوم .

اربعة الايات السادس والاربعين والثاني والثمانين والرابع والثمانين صدت العدو على خط الهاني بوسقافة .

٢٤ ـ معركة امام درنة دارت رحاها من الساعة التاسعة حتى الخامسة مساء وانتهت بانسحاب العرب والاتراك .

وقام العرب عند سدول الليل بهجوم على الالاي الثالث والتسعين مشاة وقد صد الهجوم (١٤ قتيلا و ٦١ جريحا) .

١٦ ـ معركة الهاني المصري حيث قامت الفرقة ١٣١ (الالاي الثامن عشر برساليري والالاي الثالث والتسعون مشاة وكتيبة قرانتييري) تعززها سفن الاسطول (سيشليا اومبرتو وكارلو البرتو وليقوريا) قامت باحتلال الحصن (٢٩ قتيلا و ٩٦ جريحا).

٢٨ ـ توغلت قوة مؤلفة من الاسلحة الثلاثة حتى الكويفية بمنطقة بنغازي حيث اشتبكت مع مجموعة كبيرة من البدو وسقط في الميدان ٢١ من رجال قبيلة العواقير (٢٥ قتيلا و ٤٥ جريحا) .

٣٠ ـ صد هجوم تركي عربي على حصن الهاني المصري .

ديسمبر

١ ـ صد هجوم تركي جديد على حصن الهاني المصري .

صدام بلبده بمنطقة الخمس (٣ قتلى و ١١ جريحا) .

٢ ـ البارجتان (ليقوريا) و (اومبرتو) تقصفان تاجوراء الواقعة في الطرف الشرقي للواحة الطرابلسية .

٤ ـ الاحتلال الايطالي لعين زارة بمنطقة طرابلس قامت به ثلاث قوات : اليمنى بقيادة الجنرال (بيكوري جيراردي) والوسطى

بقيادة الجنرال (زينالدي) واليسرى بقيادة الكولونيل (اماري) .
(٢٠ قتيلا و ١١٠ من الجرحى) .

صد هجوم ليلي عربي ـ تركي على مدينة بنغازي .

٥ ـ قام الايطاليون من عين زارة بعمليات استطلاع نحو الصحراء . ووصلت قوة ايطالية الى معسكر للعدو مهجور فدمرته .

٧ ـ صدام في منطقة درنة .

١٠ ـ احتلال ايطالي لواحة الساحل بمنطقة طرابلس .

١٣ ـ الالاي الثالث والتسعون مشاة والالاي الحادي عشر برساليري يحتلان تاجوراء الواقعة في منطقة طرابلس .

١٦ ـ صدت كتيبة من رجال الالب ومعها اربعة مدافع جبلية ورشاشات هجومين للعرب والاتراك في مرتفع درنة واحد في الصباح والآخر بعد الظهر (٩ قتلى و ١٦ جريحا) .

١٧ ـ قام الالاي ٥٠ مشاة وكتيبة من الالاي الثالث والستين بعملية استطلاع في جنزور واعدوا عند الغروب بعد ان قطعوا خط التلغراف ما بين جنزور وغريان .

١٩ ـ توغلت قوة مختلطة حتى بئر طبراس بمنطقة طرابلس لتحرير بعض عائلات مشائخ عرب موالين لايطاليا اسرها الاتراك (١٦ قتيلا و ٧٧ جريحا) .

معارك ليلية في بنغازي وطبرق نتيجة لهجوم عربي تركي صد .

٢٥ ـ هجوم عربي ـ تركي جديد على مدينة بنغازي صدته المدفعية بنيران مكثفة . اطلقت في المتوسط ٣٩ طلقة لكل مدفع واشترك في المعركة ٢٩ مدفعا .

٢٦ ـ وقع هجوم على اربع كتائب مزودة بالمدافع كانت تقوم بحراسة الاعمال الجارية بخزان مياه درنة وقد استطاعت صد الهجوم بمؤازرة كتيبتي احتياط . (١٠ قتلى و ١٦ جريحا) .

٢٩ ـ صد هجوم عربي تركي جديد على بنغازي .

١٩١٢

ينـاير

١ ـ صدت القوات الايطالية هجوما ليليا على الجانب الايسر للقصر العربي بطبرق .

٢ ـ هاجمت مجموعة من العرب المراكز الايطالية المتقدمة بالقرب من الخمس على يمين الفنار وقد صد الهجوم .

٣ ـ قصف الطرادان (بيمونتي) و (بوليه) الحامية التركية العسكرية في جبانة على بعد عشرة اميال من الحديدة .

٤ ـ قام قرابة اربعين شخصا من الغزاة بعملية سطو ليلية على قرقارش.

٥ ـ سطو جديد على قرقارش .

شرعت قوات عربية ـ تركية قرب منتصف النهار في التقدم من الجنوب والجنوب الغربي من عين زارة . وقد واجهتها نيران المدفعية من على بعد فانسحبت .

٦ ـ هاجمت مجموعات عربية القوات القائمة بحماية الاعمال الدفاعية على الجناح الغربي لخنادق الخمس ولكنهم صدوا .

٧ ـ اغرقت السفن الحربية (بيمونتي) و (قاريبالدينو) و (ارتليري) سبع سفن مدفعية تركية بالقرب من (كوفوندا) واسرت اليخت المسلح (فوقيت) .

١٢ ـ توغلت مفرزة (لانشييري) من الاي (فيرنسه) في عملية استطلاعية نحو بئر التركي واصطدمت بما يقارب المائة من العرب.

١٧ ـ اقتربت في الليل مجموعة من العرب من الاشغال القائمة على جبهة درنة الشرقية . وقد ردتهم كتيبة (سالوتسو) وسريتان من كتيبة

(افريا) وكتيبة من الالاي السابع مشاة احتلوا مرتفع واد صغير متفرع من وادي درنة .

١٨ ـ قام اربعمائة عربي في الليل بهجوم عنيف على حصن صغير ببنغازي وقد صد الهجوم بمؤازرة القلاع القريبة .

قصفت السفينة (اتروريا) الكويفية وقامت السفن (كارلو البرتو) و (تشينيو) و (كانوبو) و (فولميني) بقصف زوارة .

١٨ ـ ٢٠ ـ قامت اربع كتائب ومجموعتان من الفرسان بصد هجوم معدى على قرقارش حيث كانت سرية اشغال تقوم ببناء معقلين لحماية المحجر (١٢ قتيلا و ٥٦ جريحا).

٢١ ـ اعلن الحصار الفعلي على الساحل العثماني بالبحر الاحمر من راس عيدا شمال الحديدة الى راس قلافايك وذلك ابتداء من يوم ٢٢ يناير .

٢٤ ـ قصفت سفن ايطالية الحاميات التركية في موكا (جنوب البحر الاحمر) .

٢٨ ـ رد هجوم تركي عنيف على عين زاره وقرقارش (٣ قتلى و ٠٠٠ جريحا) .

٣٠ ـ قام قرابة ٤٠٠ بدوي بهجوم ليلي على وسائل دفاع ابار الفويهات قرب بنغازي . وتجدد الهجوم في الصباح وقد صد .

فبراير

١ ـ رد هجوم عربي تركي قرب الخمس .

قصفت سفن ايطالية الحصون التركية على ساحل اليمن .

٣ ـ قصف الحصن والمخيمات التركية بالشيخ سعيد على مضيق باب المندب .

هجوم قام به البدو على طبرق وقد ردته اسلحة البنادق والمدفعية.

هجوم قامت به القوات العربية ـ التركية على درنة وقد ردته المدفعية .

٤ ـ هجوم عربي جديد غرب الخمس ردته المدفعية وكتيبتان من البرساليري .

٥ ـ قصفت السفينة (كالابريا) حصون الشيخ سعيد وراس فارنو بالبحر الاحمر .

٩ ـ وصول اول كتيبة ارثرية الى طرابلس وتتالف من الوحدات التالية : السرية الثانية من كتيبة (قاليانو) والسرية الرابعة من كتيبة (هيدالقو) والسرية الخامسة من كتيبة (توزيللي) والسرية الاولى من كتيبة (توريتو) .

١١ ـ ١٢ ـ هجوم ليلي قام به العرب والاتراك بقيادة انور بك على منطقة درنة وقد رد .

١٤ ـ قصف بحري جديد لمنطقة الشيخ سعيد (البحر الاحمر) .

٢٥ ـ قصفت السفينتان (غاريبالدي) و (فيرتيو) مدينة بيروت التركية على الساحل السوري .

٢٧ ـ قتال واحتلال جبل المرقب المركز الاستراتيجي الهام بمنطقة الخمس . واشتركت في القتال ثلاث قوات بقيادة الجنرال ريزولي الالاي الثامن برسليبيري على اليسار . والالاي التاسع والثمانين مشاة وكتيبة رجال الالب (موندوفي) بالوسط وكتيبة من الالاي السابع والثلاثين مشاة على اليمين . (٢١ قتيلا و ٧٤ جريحا) .

مــــارس

٣ ـ معركة سيدي عبد الله رقم ١ بمنطقة درنة وقد اشتعلت نتيجة لهجوم عنيف عربي ـ تركي . وقاد العمليات الجنرال ترومبي والجنرال كابيللو (٥٩ قتيلا و ١٩٠ جريحا) .

٥ - ٦ حاول العرب والاتراك استعادة المرقب غير انهم صدوا بعد قتال ليلي عنيف (١٣ قتيلا و ٥٠ جريحا) .

٩ - قام العرب بهجوم ليلى على القلعة رقم ٣ للدفاع عن بنغازي وردت الهجوم احدى البطاريات الجبلية .

١٠ - اول رحلة للمناطدين « P. 2 » و « P. 3 » وقد قصفا مخيمات العرب والاتراك بفندق التومار .

١١ - الالاي الرابع والثلاثين والالاي الواحد والعشرين مشاة يصدان هجوما عربيا - تركيا ليليا على طبرق .

١٢ - هجوم عربي - تركي عنيف على بنغازي وقد رد بعد قتال قاس جدا . وقد دارت المعركة حول واحة النختلين التي اشتهرت باسمها (السلاوي) وتولى قيادة المعركة الجنرال «اميليو » الذي خرج من بنغازي ومعه سبع كتائب تنتمي الى الالايات الرابع والثالث والستين والسابع والخمسين والتاسع والسبعين وخمس بطاريات مدفعية والاي فرسان (٣٩ قتيلا و ١٣٨ جريحا) .

١٣ - حاولت القوات العربية التركية الالتفاف حول حصن «لومبارديا » بدرنة وقد ردتهم اسلحة البنادق والمدفعية .

١٤ - قام البدو عند الفجر بهجوم على طبرق . وقد ردته بطاريات المدفعية .

١٨ - صد هجوم عربي - تركي بالقرب من درنة .

٢١ - صد هجوم عربي - تركي ليلي على طبرق .

٢٤ - البحرية الايطالية تقصف مخيمات الاتراك على سواحل طبرق الشرقية والغربية .

٢٩ - هجوم عربي - تركي جديد على طبرق رد بعد ساعتين من القتال .

٣٠ ـ قصفت المناطيد الايطالية مخيمات الزاوية غرب جنزور .

٣١ ـ قصف زوارة من جديد من الجـو .

ابــــريــــل

١ ـ هجوم عربي ـ تركي على طبرق وهجوم آخر على الجـانب الايـسر للمرقب وقد رد الهجومـان .

٧ ـ حاول العرب والاتراك من جديد الهجوم عـلى جـبهـة المـرقـب الجنوبيـة .

١٠ ـ ١٤ ـ نزول ايطالي قرب سيدي سعيد واحتلال مكابز غرب زوارة وهي عملية صعبة بصورة خـاصة حـيث تجـري على شـاطىء مفتـــوح .

١٨ ـ قصفت سفن ايطالية من بينها (بيزا) و (امالفي) بقيادة الاميرال بريزبيتيرو مدخل الدردنيل .

قصفت البارجة (ايمانويلي فيليفرتو) والنسافة (اوسترو) مدينة « Warhy » بجزيرة سامو .

٢٣ ـ معركة بوكماش بمنطقة زوارة وقد اشتعلت نتيجة لهجوم عربي ـ تركي من الشرق والجنوب الشرقي ومن الغرب وقد صد بعد معركة عنيفة (٩ قتلى و ٥٥ جريحا) .

٢٦ ـ استولت الفرقة البحرية بقيادة الاميرال بريزبيتيرو على جـزيرة ستامباليا (بحرايجة) .

مــــايــــو

١ ـ المنطدان « P. 2 » و. « P. 3 » يقصفان معسكرات الاتراك بالعزيزية ادم .

٢ ـ تعزيز احتلال المرقب .

٢ ـ ٣ ـ تقدمت قوتان ايطاليتان بقيادة الجنرال ريزولي نحو لبدة بمنطقة الخمس ، وفي الوقت الذي كانت فيه حامية المرقب تشغل قوات العدو في المعركة الا ان هذه استطاعت الافلات من عملية التطويق وتركت لبدة بدون دفاع (١٣ قتيلا و ٥٠ جريحا) .

٤ ـ قامت حملة بقيادة الجنرال اميليو تحرسها سفن الفرقة الثانية البحرية ، بالنزول عند الفجر في جزيرة رودس بخليج كاليتيا وارتد الاتراك نحو الداخل (مرتفعات سان ستيفانو) بعد معركة وقعت في ازقوري .

٥ ـ دخلت القوات الايطالية مدينة رودس .

١٢ ـ نزول قوات ايطالية الى جزر (سكاربانتو) و (بيسكبي) و (نيسيرو) و (كاليمنو) و (باتمو) وتم فيما بعد احتلال جميع جزر سبورادي الجنوبية باحتلال جزر (كو) و (سيمي) و (كالكي) .

معركة في طبرق على اثر هجوم تركي وقد صد .

١٦ ـ ١٧ ـ معركة (بسيتوس) بجزيرة رودس ، وقد اضطر الاتراك خلال الليل الى الجوء الى وادي ماريتزا حيث تعقبتهم القوات الايطالية واجبرتهم على التسليم (٩ قتلى و ٢٦ جريحا) .

١٩ ـ احتلال جزيرة (وكو) بواسطة البارجة نابولي واحتلال جزيرة سيمي بواسطة السفينة (بيقزو) .

٢٠ ـ هجوم ايطالي ناجح بقيادة الجنرال قاربوني على الخنادق العربية التركية بقرب بوكماش .

٢٦ ـ السفينة (اتروريا) تقصف الخويبية .

٣١ ـ قامت قوة عمليات بقيادة الجنراو قاربوني بمهاجمة قرابة ثلاثة الاف من العرب والاتراك بقرب بوكماش ، وحالت بذلك دون مرور قافلة ما بين الحدود التونسية وزلتن .

يـــونيـــو

٣ ـ صدام ما بين الايطاليين والبادية بالقرب من طبرق .

قصفت السفينة (بيمونتي) المخيمات التركية بالقـرب من مـوكا (البحر الاحمر) ودمرت السفينة (اتروريا) عدة مراكز عسكرية على الساحل جنوب بنغازي .

٧ ـ هجوم عربي تركي على استحكامات المرقب الايطـاليـة وقـد رد الهجـوم .

٨ ـ معركة سيدي عبد الجليل (والمعروفة ايضا باسم معركة جنزور) بمنطقة طرابلس وقد قامت على اثر هجوم ايطالي على خط الخنادق العربية التركية الذي كان يهدد خط قرقارش الايطالي ، وبعد اربعة ساعات من القتال استولى الايطاليون على خنادق الاتراك . ودارت معركة اخرى ما بين الايطالين وعشرة الاف من الاتراك والعـرب كانوا يحاولون الالتفاف على الجناح الايسر الايطالي ، وقد صـد الهجوم العربي التركي . مكن هذا النجاح الايطاليين من السيطرة على واحة جنزور (٥٢ قتيلا و ٢٨١ جريحا) .

١٢ ـ معركة هضبات لبدة (او الجبال الجر) بمنطقة الـخمس تسببـت في تراجع العرب والاتراك بعد ما توصلوا في السـاعـات الاولى من الليل الى احتلال احد الحصون (٣٧ قتيلا و ٥٤ جريحا) .

١٦ ـ نزول الى شواطىء مصراتة بقوة قوامها سبع كـتـائب مشــاة وكتيبتان من رجال الالب وكوكبة فرسان وخمس بـطـاريــات اشغال وخدمات (ومحطة راديو تلغرافية وهي احـدى الاوائـــل) وكتيبة ارثرية . وذلك بقيادة الجنرال كـاميرانـا وقـام رجـال البحرية من المشاة باحتلال هضبة الشيخ وتـوغـلوا حـتى راس الزروق وتمركزوا فيه . وبعد الظهر تم انزال جميع قوات الحملـة واحتلت في اليوم التالي واحة قصر احمد .

١٩ ـ هجوم ايطالي على سواني عصمان بقيادة الجنرال بونيني . وقد اضطر العدو الى الانسحاب .

٢٢ ـ رد هجوم عربي ـ تركي على اعمال التحصينات بالقرب من الزورق .

المنطاد « P. 2 » بقيادة الطيار نوفوليس بقذف مخيمات العزيزة جنوب طرابلس .

٢٦ ـ قصف جوي جديد يقوم به نوفيليس على مخيمات العرب والاتراك بضواحي طرابلس .

٢٧ ـ ٢٨ ـ معركة سيدي سعيد بقيادة الجنرال قاربوني وقد مكنت الايطاليين من الاستيلاء على موقع هام على طريق زلتن زوارة يستطيعون بواسطته مراقبة قرابة اربعين كيلومترا من الساحل الواقع شرق الحدود التونسية .

يوليو

٦ ـ صدام بجودايم غرب جنزور ما بين قوة استطلاع ايطالية و ٥٠٠ عربي ـ تركي .

٨ ـ معركة مصراتة قامت بها فرقة كاميرانا حول قرية محمود (٢٧ قتيلا و ١١٥ جريحا) .

١٤ ـ معركة عنيفة بسيدي علي بمنطقة زوارة (يوم شديد الحرارة) مكنت الايطاليين (فرقة قاريوني) من الاستيلاء على هضبة على بعد ستة كيلو مترات شرق سيدي سعيد التي فتحت الطريق امام احتلال زوارة (٢٢ قتيلا و ٦٧ جريحا) .

١٨ ـ توغلت خلال الليل قوة من الناسفات (سبيرا وتشينتاورو واوستوري وكليميني وبرسيو) بقيادة القومندان ميللو في الدردنيل غير ان الاضواء الكاشفة فضحت امرها وتقذفتها بالمدافع فاضطرت الى الفرار الى ما وراء راس هيلليس ببحر ايجه .

٢٠ ـ معركة القيران منطقة مصراتة حيث قام لواء مشترك بتفريق العرب والاتراك (٢٠ قتيلا و ٩٩ جريحا) .

٢١ ـ قامت المدفعية التركية بقصف درنة من الساعة الثالثة الى الساعة التاسعة مساء .

٢٤ ـ قصفت السفينتان الايطاليتان (بيمونتي) و (كابوا) المعسكر التركي بالحديدة .

اغسطس

٥ ـ احتلال القوات الايطالية لزوارة تقريبا بدون قتال بعد تشتيت بعض دوريات المؤخرة العربية التركية التي قاومت قرب بوساليه وقامت بالعملية قوتان : واحدة جاءت راسا من أوغوسطا (ايطاليا) عن طريق البحر (الجنرال تاسوني) والاخرى جاءت عن طريق البر من سيدي علي بقيادة الجنرال قاريوني .

١٣ ـ قصفت السفن (فلافيوجويا) و (فيسبوتشي) و (ثنا) واحات قاريونس وحوشتريه والمريسة وقمينس على طول ساحل بنغازي.

١٥ ـ معركة رقدالين بمنطقة زوارة واحتلال فرقة قاريوني لها . وقام العرب والاتراك بهجوم مضاد عنيف نتج عنه صراع دام طيلة اليوم وانتهى بانسحاب العرب والاتراك (٨ قتلى و ١١٩ جريحا).

٢٥ ـ سقطت في البحر بقرب طرابلس طائرة الملازم طيار بيترو مانزيني.

٣٠ ـ هجوم عربي ـ تركي على الوسائل الدفاعية الايطالية بمصراتة وقد صد الهجوم .

سبتمبر

٥ ـ اعفي الجنرال كانيفا من منصبه كقائد اعلى وتشكلت قيادتان مستقلتان واحدة بطرابلس والثانية ببرقة واسندتا الى الجنرال راني والجنرال بريكولا .

٨ ـ صدام في بوعيلة ما بين القوات الايطالية الجنرال تاسوني والفرسان العرب وانسحب العرب بعد خوض معركة عنيفة بالبنادق .

١٠ ـ اضطر الكابتن الطيار ريكاردو مويزو الى الهبوط بطائرته قرب الزاوية غرب جنزور بسبب عطب وقد وقع اسيرا .

١١ ـ وقعت في كمين كوكبتان من فرسان (لودي) كانتا قد خرجتا من زوارة في رحلة استطلاعية .

١٤ ـ تقدم ايطالي بقيادة الجنرالات ريزولي وكابيللو ديل بونو وسالسا بغرض احتلال موقع الخرائب بدرنة ومواقع قصر اللبين وحوش هارون من اجل حماية الحزام الدفاعي عن درنة . فانسحب العرب والاتراك الى الداخل ولم يقع سوى صدام صغير بسيدي عبد الله رقم ٢ (قتيلان و ٥ جرحى) .

١٦ ـ اشتركت السفينة (اترروريا) والنسافات(بارتينوبة) و (الباتروس) و (الديا) والمنطاد « P. 2 » في قصف وادي الهيرة .

١٧ ـ معركة قصر اللبن بمنطقة درنة حيث حاول العرب والاتراك بقيادة انور باشا استعادة المواقع التي فقدوها يوم ١٤ سبتمبر . واستطاعت القوات الايطالية ان ترد هجوم العدو العنيف جدا . (٥٢ قتيلا و ١٣٢ جريحا).

٢٠ ـ معركة سيدي بلال بمنطقة طرابلس من اجل محاولة انهاك المقاومة العربية التركية حول طرابلس .

وقامت بالعملية فرقة الجنرال دي شوراند يعززها لواء احتياطي بقيادة الجنرال ماجيتو وقوة اخرى متحركة بقيادة الجنرال دي شوراند يعززها لواء احتياطي بقيادة الجنرال ماجيوتو وقوة اخرى متحركة بقيادة الجنرال كواردي دي كاربينيرو . وكانت المعركة عنيفة جدا واستمرت قرابة الاثنتي عشر ساعة وتكبد خلالها الطرفان خسائر بالغة ، واستطاع الايطاليون في

النهاية احتلال جنزور وهضبة سيدي بلال . (١١٩ قتيلا و ٤٢٩ جريحـــا) .

اكتـــــوبـــر

٨ ــ ١١ ــ احتل الايطاليون في المنطقة الواقعة الى الغرب من درنـــة موقعي سيدي عبد الله رقم ٣ وبراكسادا وذلك من اجل تـــوسيع الحزام الدفاعي (٢٩ قتيلا و ٦٨ جريحا) .

١٠ ــ قتال جديد في منطقة درنة عند بوسافر .

١٨ ــ تم التوقيع في لوزان على معاهدة السلام ما بين ايطاليا وتركيا .

ALVARO, Corrado, *Luigi Albertini*, Roma 1925.
ARFE', Gaetano, *Storia del Socialismo Italiano*, (1892-1926) Torino 1965.
ALBERTINI, Luigi, *Epistolario 1911-1926*, Vol. I, Dalla guerra di Libia alla grande guerra, Milano 1969.
ALBERTINI, Luigi, *Vent'anni di vita politica*, parte I, Vol. II, 1909-1914 Bologna 1951.
ANDRE', Gianluca, *L'Italia e il Mediterraneo alla vigilia della prima guerra mondiale (1911-1914)*, Milano 1967.
ANTOGNINI, Tom, *Quarant'anni con D'Annunzio*, Milano 1957.
ALBERTINI, Alberto, *Vita di Luigi Albertini*, Roma 1912.
ASKEW, C. William, *Europe amd Italy's acquisition of Libya, 1911- 1912*, Durham 1912.

BEVIONE, Giuseppe, *Come siamo andati a Tripoli*, Torino 1912.
BACCIO, Baccio, *La guerra di Libia descritta nelle lettere dei combattenti*, Firenze 1912.
BISSOLATI, Leonida, *La politica estera dell'Italia dal 1897 al 1920, scritti e discorsi*, Milano 1923.
BATTAGLIA, Amleto, *La Libia, Tripolitania e Cirenaica*, Mantova 1912.
BONCOPAGNI LUDOVISI, Francesco, *L'Italia di Vittorio Emanuele III, a cura di Tommaso Sillani*, Roma 1925.
BARIE', Ottavio, *Le origini dell'Italia contemporanea*, Rocca San Casciano 1966.
BRIGUGLIO, Letterio, *Il Partito Operaio Italiano e gli anarchici*, Roma 1969.
BALLINI, Pier Luigi, *Il movimento cattolico a Firenae, (1900-1919)*, Roma 1969.
BARZILAI, Salvatore, *Luci ed ombre del passato*, Memorie di vita politica.
BRUERS, Antonio, *Gabriele D'Annunzio*, Roma 1924.
BULOW, Von Bernhard, *Memorie*, Vol. III, Guerra Mondiale e catastrofe (1909-1920), Milano 1937.

BEDESCHI, Lorenzo, *I cattolici disubbidienti*, Roma 1959.
BRUCKMAN, Hugo, *Enver Pasha um Tripolis*, Verlag-Munchen 1918.

COMANDO DEL CORPO DI STATO MAGGIORE, *L'azione dell'Esercito italiano nella guerra italo-turca*, Roma 1913.
CHIESA, Eugenio, *Discorsi parlamentari (1906-1924)*, Milano 1960.
CORRIDONI, Filippo, *Le rovine del neo-imperialismo italico. Libia e antimilitarismo*, Parma 1912.
CUSIN, Fabio, *Antistoria d'Italia*, Milano 1970.
CONRAND, Franz Von Hotzendorf, *Ausmeiner Dienstzeit*, (1906-1918, Wien 1921-1923).
CAROCCI, Giampiero, *Giolitti e l'età giolittiana*, Torino 1961.
CANAPINI, Luigi, *Il nazionalismo cattolico*, Bari 1970.
CASTELLINI, Gualtiero, *Tunisi e Tripoli*, Torino 1911.
CORRADINI, Enrico, *L'Ora di Tripoli*, Milano 1911.
CORRADINI, Enrico, *Il volere d'Italia*, Napoli 1911.
CORRADINI, Enrico, *La conquista di Tripoli*, Milano 1912.
CAFAGNA, Luciano, *La formazione di una base industriale fra il 1896 e il 1914*, in AA.VV.
CORRADINI, Enrico, *La guerra lontana*, Milano 1911.
CASRONUOVO, Valerio, *La Stampa dall'unità al Fascismo*, Bari 1970.
CAROCCI, Giampiero, *Giovanni Amendola, nella crisi dello Stato Italiano 1911-1925*, Milano 1965.
CAPELLO, Luigi, *Caporetto. Perché*, a cura di Renzo Felici, Torino 1967.
CADORNA, Luigi, *Lettere famigliari*, Milano 1967.
CARACCIOLO, Alberto, *Roma Capitale*, Roma 1956.
CARRA', Alfio, *La Sicilia Orientale dall'unità all'impresa libica*, Catania 1968.
CROCE, Benedetto, *Storia d'Italia dal 1871 al 1915*, Bari 1959.
COLAPIETRA, Raffaele, *Leonida Bissolati*, Milano 1958.
CAUSA, Cesare, *La guerra italo-turca*, Firenze 1912.
CASTELLINI, Gualtiero, *Fasi e dottrine del nazionalismo*, Milano 1915.
CHABOD, Federico, *Storia della politica estera iraliana dal 1870 al 1896*, Bari 1965.
CIASCA, Raffaele, *Storia coloniale dell'Italia contemporanea*, Milano 1940.
CAPECELATO, Alfonso, *Per la spedizione italiana a Tripoli, l'amore della Patria e i cattolici particolarmente in Italia*, Roma 1911.
COTTAFAVI, Vittorio, *Nella Libia Italiana, Impressioni, studi, ricordi*, Bologna 1912.
COEN, Gustavo, *L'Italia a Tripoli*, Livorno 1912.

D'ARMESANO, Enzo, *In Libia, Storia della conquista*, Buenos Aires 1917.
DEL PIANO, Fulgenzio, *Le mie preghiere a Tripoli*, Roma 1911.
DE MARTINO, Ferdinando, *Diario 1914-1918*, a cura di Gabriele De Rosa, Milano 1966.

DE ROSA, Antonio Cestaro, *La questione Meridionale,* Antologia di scritti e documenti, Napoli 1970.
DAR KLING, Lucio, *La libia romana e l'impresa italiana,* Roma 1912.
DE SANTIS, Emilio, *Dalla Canea a Tripoli,* note di viaggio, Roma 1912.
D'ANNUNZIO, Gabriele, *Per la più grande Italia,* Roma 1943.
DE MARTINO, Giacomo, *Cirene e Cartagine,* Bologna 1908.
DALLE CARTE DI GIOLITTI, a cura di Claudio Pavone, Milano 1962.
DE STEFANI, Alberto, *Baraonda Bancaria,* Milano 1957.
DARLING, Carlo, *L'impresa italiana in Libia,* Roma 1912.
DONATI, Giuseppe, *Scritti politici,* Roma 1956.
DE CARD, Rouard, *Accords secrets entre France et Italie concernant le Maroc et la Libye,* Paris 1921.
DE FELICE, Renzo, *Mussolini il rivoluzionario,* Torino 1965.
DE ROSA, Gabriele, *Storia politica dell'azione cattolica,* Bari 1958.
DORSO, Guido, *Mussolini alla conquista del potere,* Torino 1949.
DE ROSA, Gabriele, *I conservatori nazionali,* Brescia 1962.
DE ROSA, Gabriele, *Storia del movimento cattolico in Italia,* Bari 1960.
DE ROSA, Gabriele, *La crisi dello Stato Liberale in Italia,* Roma 1964.
DE ROSA, Gabriele, *L'intervento dell'Italia nella prima guerra mondiale,* Napoli 1967.
D'ANNUNZIO, Gabriele, *Laudi del cielo, del mare, della terra e degli eroi,* Libro IV, Merope le canzoni della gesta d'Oltremare (1911-1912), Milano 1929.
DEDIJER, Vladimir, *Il groviglio balcanico e Serajevo,* Milano 1969.
DALLA TORRE, *I cattolici e la vita pubblica italiana, saggi, discorsi,* Roma 1962.

EINAUDI, Luigi, *Cronache Economiche e politiche di un Trentennio (1893-1925),* Torino 1963.
FINOCCHIARO, Beniamino, *L'Unità di Gaetano Salvemini,* Torino 1963.
FRASCATI, Alfredo, *Giolitti,* Firenze 1959.
FERRERO, Guglielmo, *Potere,* a cura di Gina Lumbroso Ferrero, Milano 1947.
FEDERZONI, Luigi, *Italia di ieri per la storia di domani,* Milano 1967.
FAPPANI, Antonio, *Guido Miglioli e il movimento contadino,* Roma 1964.
FORCELLA, Enzo, e MONTICONR, Alberto, *Plotone d'esecuzione,* Bari 1968.

GARIN, Eugenio, *Cronache della filosofia italiana, 1900-1943,* Bari 1956.
GIOVANNINI, Claudio, *Politica e religione nel pensiero della lega democratica nazionale (1905-1915),* Roma 1968.
GAETA, Franco, *Nazionalismo italiano,* Napoli 1965.
GERONI, Giovanni, *Spigolature bengasine,* Firenze 1913.
GRAZIANI, Rodolfo, *Verso il Fezzan,* Tripoli 1929.
GRAZIANI, Rodolfo, *La riconquista del Fezzan,* Milano 1934.
GRAZIANI, Rodolfo, *Pace romana in Libia,* Milano 1937.

GIOLITTI, Giovanni, *Memorie della mia vita,* Milano 1967.
GALLI, Carlo, *Diarii e lettere,* Tripoli 1911, Trieste 1918, Firenze 1951.
GHISLERI, Arcangelo, *Tripolitania e Cirenaica, dal Mediterraneo al Sahara,* Milano 1912.
GOLZIO, Francesco, e GUERRA, Augusto, *La cultura italiana del 900 attraverso le riviste,* Torino 1912.
GRAMSCI, Antonio, *Il Risorgimento,* Torino 1955.

ISTITUTO COLONIALE ITALIANO, Atti del secondo congresso degli italiani all'estero (11-20 giugno 1911), Roma 1911.

LEONORI, Franco, *No guerra, ma terra, Guido Miglioli, una vita per i contadini,* Milano 1969.
LO BELLO, F., *Le vicende politico militari dei primi 12 anni di occupazione italiana in Cirenaica,* Bengasi 1925.
LEVI DELLA VIDA, Giorgio, *Fantasmi ritrovati,* Vicenza 1966.
LEONE, Enrico, *Espansionismo e Colonie,* Roma 1911.
LUZZATI, Luigi, *Memorie,* a cura di Elena de Carli, Ferruccio de Carli e Alberto de Stefani, Milano 1966.
LUCATELLI, Luigi, *Il volto della guerra,* Roma s. d.
LODI, Luigi, *Venticinque anni di vita parlamentare, da Pelloux a Mussolini,* Firenze 1918.
LABRIOLA, Arturo, *La guerra di Tripoli e l'opinione socialista,* Napoli 1912.
LESSONA, Alessandro, *L'Africa settentrionale nella politica mediterranea,* Roma 1962.
LE FEVBRE, Lucien, *Profilo di Marc Bloch, in Marc Bloch,* Torino 1969.

MARANINI, Giuseppe, *Storia del potere in Italia, 1848-1967,* Firenze 1967.
MALVEZZI, Aldobrandini, *L'Italia e l'Islam,* Firenze-Milano 1913.
MEDA, Filippo, *Il socialismo politico in Italia,* Milano 1924.
MUSSOLINI, Benito, *Opera Omnia,* a cura di Eduardo e Duilio Susmel, Firenze 1951-63.
MONTICONE, Alberto, *La storiografia militare e i suoi problemi, convegno nazionale di storia militare, Ministero della Difesa,* Roma 1969.
MALAGODI, Olindo, *Conversazioni della guerra 1914-1919* a cura di Brunello Vigezzi, Napoli 1960.
MICHELS, Robert, *L'imperialismo italiano,* Milano 1914.
MOLINELLI, Raffaele, *Per una storia del nazionalismo italiano,* Urbino 1966.
MANFRONI, Camillo, *Guerra italo-turca, cronistoria delle operazioni navali,* Vol. II, Milano 1926.
MURET, Maurice, *Le nationalisme italien,* Paris 1910.
MINISTERO DELLA GUERRA, *Campagna di Libia,* Roma 1922.

MINISTERO AFFARI ESTERI, *L'Italia in Africa,* Serie storico militare Vol. I, tomo III, Roma 1964.
MINISTERO AFFARI ESTERI, *L'Italia in Africa,* serie storica: la politica coloniale dell'Italia negli atti, documenti e discorsi parlamentari testo di Giacomo Perticone a cura di Guglielmo Guglielmi, Roma 1963.
MAMMARELLA, Giuseppe, *Riformisti e rivoluzionari nel partito socialista italiano 1900-1913,* Padova 1968.
MALGERI, Francesco, *La stampa cattolica a Roma dal 1870 al 1915,* Brescia 1965.
MANZOTTI, Fernando, *La polemica sull'emigrazione nell'Italia unita,* Milano 1962.
MANTOVANI, G., *La Libia,* Milano 1911.
MIRA, Giovanni, *Memorie,* Vicenza 196 ...
MALTESE, Paolo, *La terra promessa, La guerra italo-turca e la conquista della Libia 1911-12,* Milano 1968.
MAMOLI, P., *La Cirenaica,* Napoli 1912.
MARINETTI, Filippo Tommaso, *Guerra sola igiene del mondo,* Milano 1915.
MARINETTI, Filippo Tommaso, *La battaglia di Tripoli,* Padova 1912.
MANTEGAZZA, Vico, *Questioni di politica estera, L'impresa di Tripoli,* Milano 1912.

NEGRI, Ada, *La madre, in poesie,* Milano 1948.
NAZARI, Vittorio, *Tripolitania, Impressioni di viaggio,* Roma 1911.
NITTI, Francesco Saverio, *Scritti politici,* a cura di Giampiero Carocci, Bari 1963.

OCCHINI, Pier Ludovico, *Corradini,* Firenze 1933.
OMODEO, Adolfo, *Lettere, 1910-1946,* Torino 1963.

PICCIOLI, Angelo, *Tripolitania scuola d'energia,* Antologia di pagine d'azione, Roma 1932.
PODRECCA, Guido, *Libia, impressioni e polemiche,* Roma 1912.
PALICA, Ernesto, *L'Italia e la conquista libica,* Genova 1912.
PIAZZA, Giuseppe, *La nostra terra promessa, lettere dalla Tripolitania marzo-maggio 1911,* Roma 1911.
PERTICONE, Giacomo, *La politica estera italiana dal 1861 al 1915,* Torino 1967.
PETEANI, Luigi, *La questione libica nella diplomazia europea,* Firenze 1939.
PIAZZA, Giuseppe, *Come conquistammo Tripoli,* Roma 1912.
PINI, Giorgio, *Vita di Umberto Cagni,* Milano 1937.
PICCIOLI, Angelo, *La pace di Ouchi,* Roma 1935.

RAVIZZA, Adalgiso, *La Libia nel suo ordinamento giuridico,* Padova 1931.
ROSSI, C. Mario Francesco Luigi Ferrari, *Dalle Leghe al partito popolare,* Roma 1965.
RONCAGLI, Giovanni, *Guerra italo-turca, cronistoria delle operazioni militari,* Vol. I, Roma 1918.

RICCHIERI, Giuseppe, *La Triplice e l'Italia,* Milano 1912.
RICCHIERI, Raffaele, *Libia interna,* Roma 1912.
ROMEO, Rosario, *Breve storia della grande industria in Italia,* Bologna 1967.
RICCHIERI, Giuseppe, *La Tripolitania e l'Italia,* Milano 1912.

SCHIARINI, Pompiglio, *Il soldato italiano in Libia, 1911-12,* Roma 1914.
SFORZA, Ascanio, *Prigionia e viaggi in Libia,* Milano 1912.
SALANDRA, Antonio, *La neutralità italiana (1914),* Milano 1935.
SCAGLIONE, Emilio, *Primavera italica,* Antologia delle più belle pagine sulla guerra italo-turca, Napoli 1913.
SERRA, Emanuele, *La nuova Epopea,* Biella 1912.
SPADOLINI, Giovanni, *Il mondo di Giolitti,* Firenze 1970.
STURZO, Luigi, *Il Mezzogiorno, La politica italiana in discorsi politici,* Roma 1951.
STURZO, Luigi, *Politics and morality, traduzione di Barbara Barclay Carter* London, 1958.
SORES, Feorge, *L'Europa sotto la tormenta,* Milano 1941
SERTOLI, Renzo, *Le isole dell'Egeo dall'occupazione alla sovranità,* Roma 1939.
SIGHELE, Scipio, *Ultime pagine nazionaliste,* Milano 1912.
STATO MAGGIORE DELL'ESERCITO, *Campagna di Libia,* Roma 1938.
SANTARELLI, Enzo, *Il socialismo anarchico, in Italia,* Milano 1959.
SABETTA, Ugo, *Il distretto di Derna,* Roma 1912.
SUSMEL, Duilio, *Nenni e Mussolini, mezzo secolo di fronte,* Milano 1969.
SUARDO SECCO, Dino, *I cattolici intransigenti,* Brescia 1962.
SPADOLINI, Giovanni, *Giolitti e i cattolici, (1901-1914),* Firenze 1960.
STURZO, Luigi, *Italia e fascismo,* Bologna 1965.
SPELLANZONI, Cesare, *L'Africa nemica,* Venezia 1912.
SALINARI, Carlo, *Miti e coscienza del decadentismo italiano,* Milano 1962.
SALVADORI, Massimo, *Gaetano Salvemini,* Torino 1963:
SALVEMINI, Gaetano, *Carteggi,* Vol. I, 1895-1911, a cura di Elvira Gengarelli, Milano 1968.
SPLENDORE, L., *Il Banco di Roma, Monografia storica,* Roma 1913.
SALVEMINI, Gaetano, *Come siamo andati in Libia e altri scritti dal 1910 al 1915,* a cura di Augusto Torre, Milano 1963.
SERRA, Enrico, *L'intesa mediterranea, una fase risolutiva nei rapporti italo inglesi (1902),* Milano 1952.
SERRA, Enrico, *Camille Barrère e l'intesa italo-francese,* Milano 1950.

THEODOLI, Alberto, *A cavallo di due secoli,* Roma 1050.
TARASCHI, Tito Manlio, *La Libia italiana nella preparazione diplomatica e nella conquista,* Napoli s. d.
TURATI, Filippo, *Le vie maestre del socialismo,* a cura di Rodolfo Mondolfi e Gaetano Arfé, Napoli 1966.

TUMIATI, Domenico, *Tripolitania,* Milano 1911.
TOSCANO, Mario, *Storia dei trattati e politica internazionale,* Torino 1963.

VOLPE, Gioacchino, *L'Italia nella Triplice Alleanza (1882-1915),* Milano 1941.
VOLPE, Gioacchino, *L'Italia che fù,* Milano 1961.
VOLPE, Gioacchino, *L'impresa di Tripoli,* Roma 1946.
VOLPI DI MISURATA, *La rinascita della Tripolitania,* Milano 1926.
VOLPE, Gioacchino, *L'Italia in cammino,* Milano 1927.
VALENTE, Giambattista, *Aspetti e momenti dell'azione sociale dei cattolici in Italia,* a cura di Francesco Malgeri, Roma 1968.
VIGEZZI, Brunello, *Da Giolitti a Salandra,* Firenze 1969.
VALERI, Nino, *Da Giolitti a Mussolini,* Milano 1967.
VALLIANI, Leo, *La storia d'Italia dal 1870 al 1915, in annali della fondazione Luigi Einaudi,* Vol. I.

ZOLI, Corrado, *Espansione italiana 1922-1937,* Roma 1949.
ZAGHI, Carlo, *Pasquale Stanislao Mancini, l'Africa e il problema del mediterraneo,* Roma 1955.



من منشورات الدار العربية للكتاب

دراسة وتراجم :

- **شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى**

تأليف : محمد مصطفى بالحاج

- **دماء على الحدود**

تأليف محمد المرزوقي

- **الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب**

تأليف : عمر التومي الشيباني

- **تطور النظريات والأفكار التربوية**

تأليف : عمر التومي الشيباني

- **أصول النظام الإجتماعي في الإسلام**

تأليف : الشيخ محمد الفاضل بن عاشور

- **العرب وابن خلدون**

تأليف ابو القاسم محمد كرو

- **شخصيات ومواقف**

تأليف : ماجد السمرائي

- **أدب العلماء : البيروني وعمر الخيام**

تأليف : محمد سويسي

- **الرازى من خلال تفسيره**

تأليف عبد العزيز المجذوب

- **أبو حيان التوحيدى**

تأليف : على دب



الدار العربية للكتاب

عماره « وفاء » . شارع غومة المحمودى ص.ب 3.185 طرابلس - ليبيا ●

43 مكرر شارع جوغورطة (ليسبس سابقا) ص . ب : 1.104 تونس ●

الثمن : ٣٫٥٠٠ د.ل — ٤٫٩٠٠ د.ت